KÖPRÜLÜ KÜT.
71

KÖPRÜLÜ KÜT.
71

ابو السعود

١٧

٧١

Mikrofilm Arşivi
No. 61

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل جل ودق أنزل عليه أظهر بينات وأبهر حجج
قرآناً عربياً غير ذي عوج مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ناطقاً بكل أمر رشيد
هادياً إلى صراط العزيز الحميد آمراً بعبادة الصمد المعبود كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور وتذوب
منه الحديد وتميع صم الصخور حقيقاً بأن تسير به الجبال وتتيسر به كل صعب محال معجزاً أفحم كل مصقع من مهرة قحطان وبكت كل مفلق
من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته نزله على فترة من الرسل
ليرشد الأمة إلى أقوم السبل فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز
بمناه وأما من عاند وعصاه واتخذ إلهه هواه فقد هام في موامي الردى وتردى في مهاوي الزور ومن لم يجعل الله له
نوراً فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار الأبرار ما تناوبت الأنوار والأنواء وتعاقبت الظلم والأضواء وعلى من تبعهم بإحسان
مدى الدهور والأزمان فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي أبو السعود بن محمد العمادي إن الغاية
القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطوراً والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئاً مذكوراً ليست
إلا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل إلى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف
التنزيل فإنه عز سلطانه وبهر برهانه وإن سطر آيات قدرته في صحائف الأكوان ونصب رايات حججه في صفائح
الأعراض والأعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات اليم وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع
وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم
يعقلون برهاناً جلياً لا ريب فيه ومنهاجاً سوياً لا يضل من ينتحيه لا ناطقاً يتلو آيات ربه فهل من سامع واع
ومجيباً صادقاً فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاورهم تارة بأوضح عبارة ويلوح
أخرى بألطف إشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك الأمارات والمخايل والتنبه لتلك
الإشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز
آثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر فإذن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد
إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع
على خبايا أسرار الأنس وبه يكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة فلا جرم أنه في رفعة الشأن
وسمو المكان ونهاية الغموض والإعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية
أعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج إلى معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقي إلى مدارجه المنيعة كيف لا
وإنه مع تضمنه لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطوياً على رقائق الفنون الخفية والجلية حاوياً لتفاصيل الأحكام الشرعية
ومحيطاً بمناط الدلائل الأصلية والفرعية منبئاً عن أسرار الحقائق والنعوت مخبراً بأطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك
الأوامر والنواهي وإليه يستند معرفة الأشياء كما هي قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز واحتجبت طلعته بسجال الإعجاز
طويت حقائقه الأبية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول يرد عيون العقول سبحاته ويخطف أبصار البصائر
بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار وتولى تيسير عويصات معضلاته
سلاطين أسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار فغاصوا في لججه وخاضوا ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير
وأبرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتباً جليلة الأقدار وألفوا زبراً جميلة الآثار أما المتقدمون المحققون فقصروا على

على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام عليه شرائف التحية والسلام
وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خفاياه الفائقة ليعاين الناس دلائل
إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا أسفاراً
بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة تتشنف بها
آذان الأذهان لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق
أي إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز صحائفها مرايا المزايا الحسان وسطورها عقود الجمان وقلائد العقيان
ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان تقلبي
لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق
وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته
في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع
حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ويسنح للفكر العليل بالغاية الزاهية ويمنح
النظر الكليل بالهداية السنية من عوارف معارف تمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب
ترنو إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الأفهام من مزلة الأقدام وتدقيقات
متينة تزيل خطرات الأوهام من خواطر الأنام في معارك أفكار تشتبه فيها الشؤون ومدارك أنظار تختلط فيها الظنون
وأبرز من وراء أستار الكمون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن إليه النفوس وتقر به
العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز وأهديها إلى الخزانة العامرة الغامرة ببحار الزاخرة بجناب
من خصه الله تعالى بخلافة الأرض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم
والخاقان الأمجد الأفخم مالك الإمامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابراً عن كابر رافع رايات
الدين الأزهر موضح آيات الشرع الأنور مرغم أنوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه الأكاسرة والقياصرة
فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق عزمه المتين فانتهى
إلى المشرق الأسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس أو أدنى بخميس عرمرم متراكم الأفواج وعسكر كخضم متلاطم
الأمواج فأصبح ما بين أفقي الطلوع والغروب وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظماً في سلك ولايته الواسعة
ومندرجاً تحت ظلال راياته الرافعة فأصبحت منابر الربع المسكون مشرقة باسمه الميمون فيا له من ملك استوعب
ملكه البر البسيط واستغرق فلكه البحر المحيط فكأنه فضاء ضربت فيه خيامه أو نصبت عليه ألويته وأعلامه مالك
ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الأمم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان البرين
وخاقان الخافقين الإمام المقتدر بالقوة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين
وحماية المقامين الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية السلطان ابن السلطان سليمان
خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموفق المشهور صاحب المغازي المشهورة في أقطار الأمصار
والفتوحات المذكورة في صحائف الأسفار السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان
لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة إلى انتهاء سلسلة الزمان وأرواح أسلافه العظام مترنحة في روضة الرضوان
وكنت أرى فيه بين إقدام وإحجام لقصور شأني وعزة المرام أين الحضيض الأدنى شتان بين الثريا والثرى
وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الأفلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت
الأطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد وأخرى في قضاء العسكر والأجناد
فحال بيني وبين ذلك الخيال تراكم المهمات وتزاحم الاشتغال وهجوم العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق
والتردد إلى المغازي والأسفار والتنقل من دار إلى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الأمور أقدر في نفسي أن أنتهز

نبذة من الدهور وسنين الى القرار وتطمئن بي الدار واظفر حينئذ بوقت حال ابتهل منه الى جناب ذي العظمة والجلال
واوجه اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واتوقف سر الحق في كل موجود تداركا
لما قد فات واستعدادا للممات والتصدي لتحصيل ما عزمت عليه والسعي لتكميل ما توجهت اليه برفاهة واطمئنان
وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدى لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقع الامر
اشق من الاول ارتبكت بمشكلات الانام فيما يجري بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وتيقنت كما ان
من المطالب السيول فبلغ السيل الزبى وعرفني اي غر عوارب وجرى بين زيد وعمرو فاضحت في ضيق المجال وسعة
الاشغال اشهر ممن يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو كل الحوادث برهة واستمرض الايام
وهي صحاح الى ان تغشتني وقيت حوادث تحقق ان السالفات منايح فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال
ورايت ان الفرصة على جناح الفوات وحل الاسباب في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر
ودنى الاجل من الحلول واشرف شمس العمر على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء ما ابتغيه
ناويا ان يسمى عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم
المكاره علي وتزاحم المتاعب من بين يدي مستمدا من رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت في ان يعصمني
عن الزيغ والزلل ويمنحني مصاعد السداد في القول والعمل ويوفقني لتحصيل ما اروم وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن
الوجوه ويجعله ذخيرة ليوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال تلقاء بابه المنيع وتعلقت ايدي
الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق وثبت
اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بنواصينا الى الخير
حيث كان جباهنا على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فضلك قارعين انت الملاذ في كل امر مهم وانت المعاذ
في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور
الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلق عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول
كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية
الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه
بالذات وبما عداه بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة
عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات
وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته
على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول هو الاول الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة تمامها باعتبار جزئها
الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة
الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
بالاذن فيكفي فيها تحققه باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى
من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدا للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة
في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فلان ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرا في الصلاة
حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بعض
اجزاء الكتاب من تلك الحيثية ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليس على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن
لكونها اصلا ومنشا له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده
ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء

والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات
الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه
من انه يبدا بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز
تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة
لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافي لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني
لانها سبع آيات تثنى في الصلاة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة اخرى حين حولت
القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الائمة
في شان التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود ومذهب مالك والمشهور من مذهب
قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح
من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهم وهو
محمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير قال روي عن ابن عمر انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري
وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة
بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض
لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة
وقيل انها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات
من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر
ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية
تامة في الفاتحة لكان ذلك احد محتملي تردد الشافعي رحمه الله فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد
فقيل بين ان تكون قرآنا اولا وقيل بين ان تكون آية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد
ابن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن
هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين
كلام الله عز وجل يقتضي نفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا
من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس من ان من تركها
فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات
اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة من انه عليه السلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العالمين آية وان دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلا يدل
الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها
الا ان يلتجئ الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني
فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء متعلقة
بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال
ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرا او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد
وتقديره مؤخرا لا يقتضي اقتصار التبرك على الابتداء بل يفيد ما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه اخلالا بالحديث الشريف
من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقديره اقرا من جهة المعنى لتعلقه [illegible] فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث
الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية
التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف

المفردة ان يفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة الداخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء
والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون فاذا دخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دابهم
البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا
آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت
الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم
وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة هاهنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة
على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المؤثرة عند الاصوليين من اصحابنا بان يمكن العبد من اداء ما ارتضاه المتقرب اليه كلمة وتيسيره
وهي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى
يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله
عند الاطلاق الاستعانة عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل طريق الباء على التبرك يستغني عن ذكر الاسم لما ان التبرك
لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم ومع التباس الالف فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى
ويتعين حمل الباء على الاستعانة او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال فلو طولت الباء عوضا عنها والله اصله
الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك
قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة
فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله
في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه
ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة
والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على
انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق
ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية
اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فباي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال
ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك
المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شانه
العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تاله واستاله اشتقاق استنوق واستحجر
من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله
اذا فزع من امر نزل به وآلهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر
من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله
الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك لا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص
بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل ومن هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا كالعلم يرد في اجراء الاوصاف عليه وامتناع
الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن
تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال
والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل الرحيم ليس بصفة مشبهة
بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها
والمراد هاهنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله

تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره
تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود
فعلانة فاعتبارهما يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظايرها من باب
فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعا من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فيمتنع
من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس
تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به
عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولانه يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم
مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة • الحمد لله • الحمد هو النعت بالجميل
على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك
الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق
عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ
في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها منبئ عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة
هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله
ومورده فلما كان تعلقه ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي
ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كما في الاعانة
مثلا او بالابتداء منه كما في الاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة به مغايرة لما اعتبر في النحو
الاخر فنظم القسم الاول من التعلق في سلك تعلق المفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين
من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه
وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسالني المال
فالحديث مع كونه فعلا واحدا تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية
الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من الافاعيل المذكورة بما يليق بها
منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كانت المذكورة لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف
ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما
في المعنى قطعا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف
بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما
من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما المرادف للنصر الاعانة ومرادف التاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور
من معنى الحمد اللائق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يليق بالمقام فضلا عن الاختيار فبمعزل عن
الارادة هاهنا استقلالا او استتباعا فانه جعل الحمد على نعم المنعمين اذ ليس اثباته له عز وجل فارغ بعد بها واما الشكر فهو مقابلة
النعمة بالثناء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بصفات الكمال كما قال من قال • افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي
ولساني والضمير المحجبا • فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة
النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا
لامره في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر
المنصوبة باضمار افعالها التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد
واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة

إليه مما لا محة له في نفسه فإن السؤال المقدر لا بد أن يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق إليه الأذهان والأفهام ولا ريب
في أن الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال أحد أن يسأل عن كيفيته على أن ما قدر من السؤال عن مطلق الوجوب
فإنه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتذار بأن المعنى نخصك بالعبادة ونبين تخصيصه لحمد
تعكيس للأمر وتمحل لترويج المنزل المغري لموهوم المقدر بعد اللتيا والتي أن فرض السؤال من جهته عز وجل فأنت خبير بأن الالتفات الذي أجمع
عليها السلف والخلف وإن فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا اتضح فساد ما قيل إنه استئناف جوابا
لسؤال يقتضيه إجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكأنه قيل ما شأنكم معه وكيف توجهكم إليه فأجيب بحصر العبادة والاستعانة
فيه فإن توجيه جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله والحق الذي لا محيد عنه أنه
استئناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للإقبال الكلي عليه من غير أن يتوسط هناك شيء آخر
كما يستحقه خبرا وإيثار الرفع على النصب الذي هو الأصل للإيذان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لإثبات مثبت وأن ذلك
دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل عليه السلام أحسن من تحيتهم له في قوله تعالى
قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به
المستدعي لتخصيص جميع أفرادها به تعالى على الطريق البرهاني لكن لا بناء على أن أفعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الأفراد الواقعة
بمقابلة ما صدر عنهم من الأفعال الجميلة راجعة إليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الأفراد ووجودها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقيل
للاستغراق الحاصل بالقصد إلى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع أفرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمدِ لله بكسر الدال اتباعا لها
باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل
رب العالمين بالجر على أنه صفة له فإن إضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين إرادة الاستمرار وقرئ منصوبا
على المدح أو بما دل عليه الجملة السابقة كأنه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة إعمال المصدر المحلى باللام وللزوم
الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة
كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله إلى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه
ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع إلى ربك
وما في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقيل
إن النهي للتنزيه وأما الأرباب فحيث لم يكن إطلاقه على الله تعالى جاز في إطلاقه الإطلاق والتقييد كما في قوله تعالى أأرباب متفرقون
خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات أي القدر المشترك بين أجناسها
وبين مجموعها فإنه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الأفلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان إلى غير ذلك
يطلق على المجموع أيضا كما في قولنا العالم بجميع أجزائه محدث وقيل هو اسم لأولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم
بطريق الاستتباع وقيل أريد به الناس فقط فإن كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض
يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك أمر بالنظر في الأنفس كالنظر في الآفاق فقيل وفي أنفسكم أفلا تبصرون
والأول هو الأحق الأظهر وإيثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الأجناس والتعريف لاستغراق أفراد كل منها بأسرها
إذ لو أفرد لربما توهم أن المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي أو استغراق أفراد جنس واحد على الوجه الذي أشير إليه في تعريف
الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وإن لم يطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل إنه جمع لا واحد له من لفظه فكما
أن الجمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وإن لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين أي كل محسن كذلك العالم يشمل أفراد
الجنس المسمى به وإن لم يطلق عليها كأنها آحاد مفرده التقديري ومن قضيته أن التنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما أن الأقاويل يتناول
كل واحد من آحاد الأقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الأجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه أنه قال لله تعالى
ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها وإنما جمع بالواو والنون مع اختصاصهما بصفات العقلاء وما في حكمها من الأعلام لدلالته
على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم أن عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس إلا باعتبار

الغلبة والاصطلاح وأما باعتبار الأصل فلا ريب في صحة الإطلاق لتحقق المصداق حتما فإنه كما يستدل على الله سبحانه
بمجموع ما سواه وبكل جنس من أجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من أجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من أفراد تلك الأجناس
لتحقق الحاجة إلى المؤثر الواجب لذاته في الكل فإن كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل
لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد وأما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة إلى بيانه إذ لا شيء مما حواه
نطاق الإمكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات إلا وهو في حد ذاته بحيث
لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار إلا في مطمورة العدم ومهاوي البوار
لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة
بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير ضرورة أنه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته
الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه
جميع أنحاء عدمه الأصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارئ لما أن الدوام
من خصائص الوجود الواجبي وظاهر أن ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التي هي علله وشرائطه وإن كانت متناهية لوجوب
تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الأمور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك إذ لا استحالة
في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده أو بقاؤه على ارتفاعها أي بقائها على العدم مع إمكان وجودها في
فإبقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة
على كل فرد من أفراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه ما أعظم شأنه وسلطانه لا تلاحظه العيون
بأنظارها ولا تطالعه العقول بأفكارها شأنه لا يضاهى وإحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي إقامة مراسم
شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية إلى مناهج معرفتك والتوفيق لأداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا إله
إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك الرحمن الرحيم صفتان له فإن أريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين
أو ما يفيض على الكل بعد الخروج إلى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وإن أريد ما يعم الكل في الأطوار كلها
حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب أن التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فإيرادهما في عقبها للإيذان بأنه
تعالى متفضل فيها فاعل بمقتضى رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبأنها واقعة على أحسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى
بهما في التسمية لما أنه الأنسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والأوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة
له تعالى وتأخيرها عن الصفات الأول مما لا حاجة إلى بيان وجهه وقرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في أمور العامة بالأمر والنهي وهو الأنسب بمقام الإضافة
إلى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملْك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالكا بالنصب
على المدح أو على الحال وبالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة
عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت
والدين الجزاء خيرا كان أو شرا ومنه المثل السائر كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا وأما الأول في الأول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وإنما سمي به مشاكلة أو تسمية للشيء باسم سببه كما سميت
إرادة القيام والقراءة باسمهما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة وقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء
المفاعلة من الأفعال التي تقوم أسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فإن قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل
منزلة قيام المسبب وهي العقوبة فصار كأنها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين
وإضافة اليوم إليه لأدنى ملابسة كإضافة سائر الظروف الزمانية إلى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الأحزاب وعام الفتح وتخصيصه
من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه أدخل في الترغيب والترهيب فإن ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته
وإضافة مالك إلى اليوم إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على نهج الاتساع المبني على إجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله

كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك الامور كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه
صفة لمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة
حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه
لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد له القراءة على صيغة الماضي وذكر
من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول
في مالك عبده انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان
تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة
عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة
والاستعانة عليه فان كل واحد منها مفصح عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى
والرابعة فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه
تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحد من تلك الصفات
كما دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة
الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل
من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد
من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك
من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة
على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل
خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى
بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة
عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى
من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر
الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعوه بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة
قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق
الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة
من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنته للتبتل اليه بالكلية واياه ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء
حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارأيتك وما ادعاه
الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب مما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر
واياه دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى الله والعبودية الرضى بما فعل الله
تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون
مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل
واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم
الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة حق
حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا
على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوه وقيل انه لما ان المسؤول هو المعونة في العبادة

والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة
فعل من افعاله يستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه
تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولعل ذلك هو
العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه
او بما يعمها وغيرها كانه قيل اياك نستعين في ذلك فانا عاجزون عن اداء حقوقه من غير اعانة منك ووجه الترتيب حينئذ واضح
وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المساعي واهم المقاصد ما لا يخفى ومن ابهم
ما كلا من اعمال نفسه ومن لم لانه لا يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم
مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء
المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو دين الملوك او للاشعار
باشتراك سائر الموحدين له في الحالة المعبر عنها بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقد قرئ نستعين بكسر النون
على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف
اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها باللام او الى كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع
لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية
والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية
فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية
مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية ببيان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات
التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه
مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله
في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل
من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول
فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية
الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين
قلبت صادا لمكان المطابقة كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما
لانها تلتقمهم وقد يشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش
وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد طريق الحق
وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل
من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له
بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم
كلها فمن فاز بها فقد حاز جميعها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز وعلا فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما
وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل
الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها

ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل
وما يتبعه من القوى المدركة كالفهم مع كونها من قبيل الهداية نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن
بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر له ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع الملائكة المقربين
هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب
عليهم ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهود لهم بالانعام عليهم وباستقامة المسلك
ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف كلمة غير اليه من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب
عليهم ولا الضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعه صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون ووصفوا بكل ما به
وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال
وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه
وهو المسمى المعهود الذهني وبالمغضوب عليهم ولا الضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيقع لفظ غير على انها
نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان حمل الموصول على ما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدار كون صراط
المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث انتسابه الى كلهم
لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه
مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة
للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح
او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به
غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس
الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان شبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك
اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه
تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى والذي هو يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده
غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع
مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ غير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل
بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن وفاقا
لكن يسن ختم السورة الكريمة به والمشهور عن ابي حنيفة رحمه الله ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي
منه وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها لما روى وائل بن حجر
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب
الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم

الحمد

ويشهد

ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية
وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف
والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما هو
عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة
تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف
كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والحكم على
الحرفية واستتباع الحسنة انما هي للمسميات البسيطة المكتوبة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك
السين مهملة والشين معجمة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا لاسمائها المؤلفة كما اذا قلت الالف
مؤلف من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة
قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات الموافقة في العدد والحكم
بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر ولعل السر في ان
استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بالتلفظ
حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات
كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ترى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف
عبر عنهما في ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه
من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو اول ما يقرع السمع منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها
الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكونها لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد
وغيرها حيث خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء
وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا تقصر تارة فيكون
حرفا وتمد اخرى فيكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم يسمع له
لاء هذا وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة
روي عن الصديق رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال عجزت العلماء عن دراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل
حرف منها اشارة الى اسم من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام
لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما السلام وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه
الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء
كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن التعويل انما هو على انها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اطباق الاكثر وهو مذهب
الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي
من الله عز وجل لم يعجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء
فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار
فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه
حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان تكون على نهج

التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان يكون خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة
القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها
لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم
ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة
بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب
من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف
الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك
قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري
مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع
وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص
والسبر حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته عن ان يطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان تنالها
ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها
على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة
بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فآية حيثما وقعت من اوائل السور الست وكذا المص آية والمر لم تعد
آية والر ليست باية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحمعسق
آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها
بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب
ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب
بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف
فما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها
الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا
ما كانت منها موازنة للمفرد كحم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز فيها سيبويه مثل ذلك قال في باب اسماء السور
من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا
عن بعضهم قراءة ياسين وجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها
من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا
الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف هنا للمخالفة بين الاول والثاني
في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك
لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك
من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة
الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة
الى القرآن بعضا وكلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان
واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب
واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها بها يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذلك
ذا اسم اشارة واللام عماد جيء بها للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد
بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف

اثر تنويهه بذكر اسمه وقيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان صحيحا
لا يراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى
بالاسم المذكور من حيث هو مسمى لا من حيث هو مسمى السورة ولمراعاة الخبرية في الاول بناء على ان التسمية لتمييز السور
بعضها عن بعض فذلك على تقدير ... وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب
اما خبره او صفته اما اذا كان خبره فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شأن المسمى لا محل لها
من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر
سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها
الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء التي
عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وان لم
ينزل عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى سماء الدنيا
حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل
كل الكتاب المعهود والغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون
المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب
لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل
اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح
كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هنا لحمل الكتاب
على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي يطلق عليه اسم الكتاب
باعتبار كونه جزءا للفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور
وان لم يكن القصد الى بيان ذلك لتحقق المغايرة بينها هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك
الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير
كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى
كلا هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شأنه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشأن البالغ
اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود ومعنى البعد حينئذ ظاهر فانه ان كان المسمى هي السورة فهو ان
يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما مر وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير
كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته
والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب قوله تعالى
لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الوجوه الثلاثة المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير
كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر لجزاء على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى
واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة
لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس معلقة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها
مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف
فمما لا معول عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى لا الاستغراقية لا لانه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب
موجود ونحو ذلك كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب
المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا
لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له

والريب في الأصل مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا أو مع
تهمة لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب أنه في علو الشأن
وسطوع البرهان بحيث ليس مظنة أن يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا أنه لا يرتاب فيه أحد أصلا
ألا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا فإنه في قوة أن يقال إن كان لكم ريب فيما نزلنا إلا أنه عدل
فيما نزلنا إلى الجزء إلا أنه خولف في الأسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه
بل مع نوع إشعار بأن ذلك من جهتهم لا من جهة العالم ولم يقصد ههنا ذلك الإشعار كما لم يقصد الإشعار بثبوت
الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى
وهو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية أي ما من شأنه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة إليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته
في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ولا شك في أن
عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى
المتعدي إذ لا فرق بينهما إلا من حيث الأثر والتأثر ومحصله أن الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لأن اللازم هو التوجه
الموصل بدليل أن مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على أمرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم
اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الأمرين بمعزل من الثبوت أما الأول فلأن مدار التقابل
بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الإطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص يتحقق التقابل
بينهما وتوضيحه أن الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم إلى ما من شأنه الإيصال إلى البغية كما أن الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور
عن القصد إلى ما ليس من شأنه الإيصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما وأما النزاع ع
في أن إمكان الوصول إلى البغية هل هو كاف في تحقق مفهوم الهدى أو لا بد فيه من خروج الوصول من القوة إلى الفعل كما
أن عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا إذا تقرر هذا فنقول إن أريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى
اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لأن الوصول غاية للتوجه
المذكور فيتحقق قطعا لاستحالة التوجه إلى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو إما توجه آخر عليه وإما توجه إلى زيادة ولأن
التوجه إلى المقصد تدريجي والوصول إليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة وأما عدم الوصول فحيث كان أمرا مستمرا
مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع أزمنة وجوده إذ لو فارقه في آن من آنات ملكه لأزمنه لفارقه ذلك
الآن مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وإن أريد اعتباره من حيث إنه غاية له واجبة الترتب عليه
لزم أن يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك إلى ما من شأنه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير قصور
ولا جور من قبل الموجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا إذ لا واسطة بينهما مع أنه لا جور فيه عن القصد أصلا فبطل اعتبار
وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما وأما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا
فهو الأمر الثاني فبناؤه على تمهيد أصل وهو أن فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في حد
نفسه تم من تعلقه بمفعوله أعني ذلك لم يكن أول سمة قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله
وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في أنفسها مستقلة بأحكام مقتضية لإفرادها بأسماء خاصة وعرض له بالقياس
إلى كل أثر من تلك الآثار إضافة خاصة متمايزة عما عداها من الإضافات العارضة له بالقياس إلى سائرها وكانت
تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه أصلا إذ لا مؤثر لها سوى علته عدت من متمماته واعتبرت الإضافات العارضة له
بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الإضافة العارضة له من أثره الذي هو كالجسم الذي
هو أثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الإضافة العارضة له من تعلقه الذي هو أثر الجرح اسم القطع إلى غير ذلك
من الإضافات العارضة له بالقياس إلى الآثار اللازمة له وهذا أمر مطرد في آثاره الطبيعية وأما الآثار التي لها دخل في وجودها
في الجملة من غير إيجاب لها عليها تارة وتفارقه أخرى بحسب وجود أسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية

الصادرة

الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا إليها بحيث كانت مستقلة في أنفسها مستندة إلى مؤثراتها غير لازمة له
لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الإضافات العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالإضافة العارضة
للأمر بحسب امتثال المأمور به والإضافة العارضة للدعوة بحسب إجابة المدعو فإن الامتثال والإجابة وإن عدا من آثار الأمر
والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما من حيث كانا فعلين اختياريين للمأمور والمدعو مستقلين في أنفسهما غير لازمين
للأمر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر الإضافات العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول لاسم الأمر والدعوة بل جعلا
عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد الامتثال والإجابة أو لا إذا تمهد هذا فنقول كما أن الإجابة
والامتثال فعلان مستقلان في أنفسهما صادران عن المدعو والمأمور باختيارهما غير لازمين للأمر والدعوة لزوم الآثار
الطبيعية التابعة للأفعال الموجبة لها وإن كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهتدي أي توجهه إلى ما ذكر من المسلك فعل
مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية أعني التوجيه له لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وإن كان مترتبا عليها في الجملة
فلما لم يعد الامتثال من متممات الأمر والدعوة ولم تعتبر الإضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم أنه لم يعد الهدى من متممات
الهداية ولم تعتبر الإضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها إن قيل أليس الهدى بالنسبة إلى الهداية كالامتثال والإجابة
بالقياس إلى نسبتهما فإن تعلق الأمر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي إلا اتصافهما بكونهما مأمورا ومدعوا وليس من ضرورة
اتصافهما بالامتثال والإجابة إذ لا تلازم بينهما وبين الأولين أصلا بخلاف الهدى بالنسبة إلى الهداية فإن تعلقها بالمهدي
يقتضي اتصافه به لأن تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله مستلزم لاتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم
لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو إلا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما أن تعلق الأمر والدعوة بالمأمور
والمدعو لا يستدعي إلا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والإجابة إيجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة
عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي إلا اتصافه بمدلوله الذي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله
لتلك الدلالة كما هو معنى المهدي اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة إلى طريق الحق والاهتداء عين الإجابة كما يكشف عنه قوله تعالى
واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا إنما هو في الأفعال الطبيعية
كالكسر والانكسار والقطع والانقطاع وأما الأفعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف إن قيل التعلم
من قبيل الأفعال الاختيارية مع أنه يعتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا
على الإطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فإن المعلم ليس مستقلا في ذلك فلا يصح إسناده إليه من غير تجوز
بل لأن كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله إلى الآخر فإن التعليم عبارة عن إلقاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها إلى ذهنه شيئا فشيئا
على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق إليه بعض منها إلا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله وأما الهدى الذي هو
عبارة عن التوجه المذكور فهو فعل اختياري مستقل فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية إلى إيجاده باختياره فلم يكن من متمماتها
ولا معتبرا في مدلولها إن قيل التعليم نوع من أنواع الإهداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية
قلنا إطلاق الهداية على التعليم إنما هو عند وضوح المسلك واستعداد المتعلم لسلوكه من غير دخل للمعلم فيه سوى كونه داعيا إليه
وقد عرفت جلية الأمر على ذلك التقدير إن قيل أليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم ويحمل سببه لا يستتبع الهدى
بها على التجوز على الهداية أيضا كذلك قلنا شتان بين التخلفين فإن تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما أن تخلف الآثار
عن الضرب الضعيف كذلك وأما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل إنما هو لعدم سببه الموجب له من جهة المهدي
بعد تكامل ما هو من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين أنها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شأنه الإيصال
إلى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير أن يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وأن الدلالة المقارنة لهما أو لأحدهما والمفارقة
عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها أفراد حقيقية لها وأن ما في قوله تعالى إنك لا تهدي من أحببت وقوله تعالى
ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف أن الدلالات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق والبيانات
التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الإطلاق بالنسبة إلى كافة البرية برا وفاجرا هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي

هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله **للمتقين** اى المتصفين بالتقوى حالا او مالا وتخصيص الهدى بهم لانهم المقتبسون من انواره المنتفعون باثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة والتقوى فى عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقى من يترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس وعن ابى يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقى من تبرأ من حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابى تراب بين يدى التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما فى قلبه فى طبق فطيف فى السوق لم يستحى ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقى المأمور به فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستى النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شأنهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عنى بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليها انما يتحقق بهدايته المترقبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهداية الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهدى حقيقة فى جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا فى المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير فى فيه والعامل فى الحال الجار والمجرور من معنى الفعل المنفى كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفى لا للمنفى وحاصله نفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او بجعل المصدر بمعنى الفاعل او الذى يستدعيه جزالة التنزيل فى شأن ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى لما دلت عليه من كونه منعوتا بكمال الفائق ثم يحمل على غاية فضله نفى الريب فيه اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك يستلزم كونه فى غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفى كل منها من النكت الرائعة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما تحققته **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة ان

فسر التقوى بترك المعاصى مرتبة فقط عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لاشتمالها على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصى غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعنى او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتى بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل اما على الوجه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ فى النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو على اذا ذكرت صفات للمدح او الذم فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ان التفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد فى الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا يخلو حال الموصول عند كونه خبر المبتدأ المحذوف كما عند كونه مبتدأ خبره اولئك على هدى اى يستتبع جواز الوقف على المتقين لان اتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه وحيازتهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة ما لا يشك فى ان جعل ذلك فى الصورة الاولى من توابع المتقين وعدا الوقف غير تام فى الثانية مستقلا وعد الوقف تاما فيها قلت ذلك ان المبتدأ فى الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر فى الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ اجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك فى سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمى قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر فى الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر فى الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لم ينبئ عنه المبتدأ من المعانى اللائقة كما سيحيط به خبرا افاد المخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مستقلا بما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدى الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال آمنته غيرى ثم استعمل فى التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اى يجعله آمنا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكى عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اى ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو فى الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف فى ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول رأى الشيخ الاشعرى ومن شايعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثانى مذهب ابى حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة وقرئ يؤمنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل فى قيل وميت فى ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل فى نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذى اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الآخر واحواله

من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للإيمان إما بتضمينه معنى الاعتراف أو بجعله مجازا عن الوثوق
وهو واقع موقع المفعول به وإما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين
يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي يؤمنون ملتبسين بالغيبة إما عن المؤمن به أي غائبين عن النبي صلى
الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي أن أصحاب ابن مسعود ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإيمانهم فقال رضي الله عنه إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من الإيمان بغيب ثم قرأ هذه
الآية وإما عن الناس أي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم
فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة إما للقصد إلى إحداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع أي
يفعلون الإيمان وإما للاكتفاء بما سيجيء فإن الكتب الإلهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الإيمان به ويقيمون الصلاة إقامتها عبارة
عن تعديل أركانها وحفظها من أن يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من أقام العود إذا قومه وعدله وقيل عن
المواظبة عليها مأخوذ من قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة فإنها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل
عن التشمر لأدائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه واجتهد وقيل عن أدائها عبر عنه بالإقامة لاشتماله على القيام
كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والأول هو الأظهر لأنه أشهر وإلى الحقيقة أقرب والصلاة فعلة من صلى
إذا دعا كالزكاة من زكى وإنما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وإنما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى
حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في أعالي الفخذين لأن المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني
دون الأول لا يقدح في نقله عنه وإنما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون
الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به
الحيوان والمعتزلة لما أحالوا تمكين الله تعالى من الحرام لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام
ألا يرى أن الله تعالى أسند الرزق إلى ذاته إيذانا بأنهم ينفقون من الحلال الصرف فإن إنفاق الحرام بمعزل من إيجاب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأصحابنا جعلوا
الإسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الإنفاق والذم لتحريم ما لم يحرمه الله واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا
لشمول الرزق لهما بما روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين أتاه فقال يا رسول الله إن الله كتب علي الشقوة فلا أراني
أرزق إلا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال عليه السلام لا إذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت
أي عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه لو لم يكن
الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها والإنفاق والإنفاد أخوان
خلا أن في الثاني معنى الإذهاب بالكلية دون الأول والمراد بهذا الإنفاق الصرف إلى سبيل الخير فرضا كان أو نفلا
ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وأخذها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم
المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الآي وإدخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز أن يراد به الإنفاق
من جميع المعادن التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام إن علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه
وإليه ذهب من قال ومما خصصناهم من أنوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
معطوف على الموصول الأول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا
أو من حيث المعنى فقط اندراج خاص تحت عام إذ المراد بالأولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير
عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الإيمان بالكتب المنزلة قبله كعبد الله بن سلام وأضرابه وعلى المتقين
على أن يراد بهم أولئك خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للإيذان بتنزههم عما هم عليه أولا بالكلية لما فيه من كمال القبح
والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فإنهم غير تاركين بالكلية لما كانوا عليه بل هم متمسكون بأصول الشرائع التي

لا يتأتى ويختلف باختلاف الأعصار ويجوز أن يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط
العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب إيذانا بأن كل واحد من الإيمان بما أشير إليه من الأمور الغائبة
والإيمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله وشأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل أحدهما تتمة للآخر وقد شفع الأول بأداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك
الأمور المؤمن بها تكملة له فإن كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالإيقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الأول تنبيها على كمال صحته وتعريضا
بما في اعتقاد أهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالإيمان وأما على تقدير الحال عند تعلقها بالمحذوف فإن كلا
من الإخبار والمعنى المشفوع بما بعده من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والإيمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الأمور التي
يجب الإيمان بها مع ما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى أعلم وقد حمل ذلك على معنى أنهم الجامعون بين الإيمان
بما يدركه العقل جملة والإتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها
على تغاير القبيلين وتباين السبيلين عليا مله وأن يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الأول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا
أهل الكتاب بأن يخصوا بالذكر كتخصيص جبريل وميكائيل إثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشأنهم وترغيبا لأمثالهم
وأولهم في تخصيصهم والإنزال النقل من الأعلى إلى الأسفل وتعلقه بالمعاني إنما هو بتوسط تعلقه بالأعيان المستتبعة
لها فنزول ما عدى الصحف من الكتب الإلهية إلى الرسل عليهم السلام والله تعالى أعلم بأن يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا
روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها إلى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليك هو القرآن
بأسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن إنزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر أو لتنزيل ما في شرف الوقوع
لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مع أن الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع إذ ذاك
نازلا وبما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من أنزل إليه من الأنبياء عليهم السلام
لقصد الإيجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل
الآية والإيمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فإن في وجوبه على الكل عينا حرجا
بينا وإخلالا بأمر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للإيذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وبالآخرة
هم يوقنون الإيقان إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا أي يعلمون علما قطعيا مزيحا
لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار
لن تمسهم إلا أياما معدودات واختلافهم في أن نعيم أهل الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أولا وهل هو دائم أولا وفي تقديم الصلة وبناء
يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول إلى مرتبة
اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما أن الدنيا تأنيث الأدنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الأسماء وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء
حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة إجراء للضمة قبلها مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان
إلي مؤسى وجعده إذ أضاءهما الوقود وقوله تعالى أولئك إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها
وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا على هدى خبره وما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه
كأنه قيل على أي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال
من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه
باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للإيذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم
فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها أي على هدى
كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتفخيم الموصوف

والمضاف اليهم شرفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان وجهه يقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستأنفة لا محل لها من الاعراب متفرع مضمونها على قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة
تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فرع من فنون ثمرته واستقروا على من الهدى حسبما تحققه لاستجماع ما يحط
باستعداده من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمتقين بما ذكر من النعوت
اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن وبل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بها يكون لزاما من الهدى
الجامع للعوائد المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من جعل مورد
الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير
كونها مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استيناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين
فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شئونهم احقاء بما هو
اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين عزروا ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله اولئك
سوادهم وسوددهم الجلي وعلم ان هذه المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد
حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول
لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة منزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزهم بها
وانتظامهم بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلتهم كما مر آنفا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى المتقين
حسبما فصل والثاني مبتدا واولئك خبره ويحمل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا
يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح واولئك هم المفلحون تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشأن المشار
اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم
ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم
بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب
فلما كان مغايرا بالهدى صحة لزم ان كل منهما في نفسه اخر مرام يتنافس فيه المتنافسون على ما مر وهم ضمير فصل يفصل الخبر من الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم هذا وفي بيان
اختصاص المتقين بنيل ما لا ينال كنهه من المراتب القاصرة على نفوس من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة
من ترغيب في اقتفاء آثارهم والارشاد الى الاقتداء بسيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق ان الذين كفروا
كلام مستأنف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم
في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التباين
في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان شأن الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين
به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث
لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون
في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب
هدى للاولين وغير مجد للآخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في مقام تعداد كمالاته وان من الحروف
التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما وفي اعطاء
معانيه والتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل
خلافا وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد
عن العوامل والالما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها
القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار
عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد
والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما
اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل
كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي
غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار
بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لانه دال على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ
لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي
سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم
لا يستدعي حدوث العلم سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع
به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما
في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص
قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء عليهم خبر قدم عليه
اعتناء بشأنه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث
المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم
والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما اشير
اليه وقيل سواء مبتدا وما بعده خبره وليس بذاك لان مصب الفائدة هو بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي
الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف
من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا اهلا للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب
واشد تأثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة رأسا اولى وقرئ
بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه
والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة
مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان
وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من جوز عدم كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق
فانه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم
مأمورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا
من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لاسيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي
القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا
الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما
لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة وحيازة الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك
كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص

بآياتهم فهي من المعجزات الباهرة ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه أو بيان
وتأكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له أو لما فيه
من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والأول هو الأنسب بالمقام إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل إحداث
حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق
أصلاً إما على طريقة الاستعارة التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو أبواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول
بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه أن يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي
وإما على طريقة التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من إحداث تلك الحالة المانعة من أن يصل إليها ما خلقت
هي لأجله من الأمور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولاً مستتبعاً لمصالح مهمة
وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل
من طرفي التشبيه مركباً من أمور عدة وقد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الأمر في تصوير كلتا الهيئتين وانتزاعهما
وهو الختم والباقي منوي مراد قصداً بألفاظ متخيلة بها تحقق التركيب وتلك الألفاظ وإن كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو أمر
عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما أعد له بسبب مانع قوي لكن ليس شيء منها على الانفراد يتجوز به عما يناظره من المجازات
باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازاً أو كناية وإنما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الألفاظ التي ليس فيها
التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها من معانيها لولا وضعنا لها لكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة
المشبهة مستعملاً في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما
وضع له وذهب بعض المحققين كالشيخ عبد القاهر وأضرابه إلى جعل التمثيل قسماً برأسه ومن لم يتعقل الأقسام عد تلك الهيئة المشبه بها
من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما شبه بها من هيئة أخرى منتزعة من أمور أخرى من قبيل
الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية وإسناد إحداث تلك الحالة في قلوبهم إلى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق
إليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون أفعالهم من حيث الكسب مستندة إليهم فإن خلقها
مستتبع ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك
وأما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الأقاويل منها أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم
حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها أن المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية
عن الفطن أو بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته ومنها
أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر وإسناده إليه سبحانه باعتبار كونه بإقداره تعالى وتمكينه ومنها أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق إلى تحصيل إيمانهم طريق سوى الإلجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لأنه سد
لطريق إيمانهم بالكلية وفيه إشعار بتمادي أمرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها أن ذلك حكاية
لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكماً بهم ومنها أن ذلك
في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً ومنها أن المراد
بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم ﴿وعلى سمعهم﴾ عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل
وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الإدراك من جميع الجوانب وإعادة الجار للتأكيد
والإشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للإيذان بأنها الأصل في عدم الإيمان وللإشعار بأن ختمها ليس بطريق التبعية
لختم سمعهم بناء على أنه طريق إليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله
يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع إدراك القوة السامعة وقد يطلق عليها
وعلى الجارحة وهو المراد ههنا إذ هو المختوم عليه أصالة وتقديم حاله على حال أبصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحالة أو
لأن جنايتهم من حيثية السمع الذي يتلقى الأحكام الشرعية وبه يتحقق الإنذار أعظم منها من حيثية البصر الذي يشاهد الأحوال الدالة

على التوحيد فبيانها أحق بالتقديم وأنسب بالمقام قالوا السمع أفضل من البصر لأنه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولأن السمع
شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولاً أصم ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من أصحابها وتوحيده
للأمن عن اللبس واعتبار الأصل أو لتقدير المضاف أي وعلى حواس سمعهم والكلام في إيقاع الختم على ذلك كما مر من قبل ﴿وعلى أبصارهم
غشاوة﴾ الأبصار جمع بصر والكلام فيه كما مر في السمع والغشاوة فعالة من غشاه إذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة
واللفافة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الاسمية للإيذان بدوام
مضمونها فإن ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك أيضاً كذلك
وأما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها إليها حيناً فحيناً أوثر فيما يحكي الختم عليها وعلى ما هي أحد طرقي معرفته أعني القلب
الجملة الفعلية وعلى رأي الأخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب أي وجعل على أبصارهم غشاوة
وقيل على حذف الجار وإيصال الختم إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة
والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه ومنه الماء العذب لأنه يقمع العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخاً
فإنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتاً لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن عقاباً يراد به ردع الجاني
عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة
كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والأحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ووصف العذاب به لتأكيد
ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى أن على أبصارهم ضرباً من الغشاوة خارجاً مما يتعارفه الناس وهي غشاوة
التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم إنا نعوذ بك من ذلك كله يا أرحم الراحمين
﴿ومن الناس﴾ شروع في بيان أن بعض من حكيت أحوالهم الذين لا ينفع فيهم الإنذار ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الإصرار على الكفر والعناد
بل يضمون إليه فنوناً أخرى من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لأحوالهم عاجله وآجله وأصل ناس أناس كما يشهد له
إنسان وأناسي وإنس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة في ألوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وأما في قوله
إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الإيناس بهم كما سمي الجن جناً لاجتنانهم وذهب بعضهم إلى أن
أصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم إلى أنه مأخوذ من نسي نقلت لامه إلى موضع العين فصار نيساً ثم قلبت ألفاً
سموا بذلك لنسيانهم وروي عن ابن عباس أنه قال سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسي واللام فيه إما للعهد أو للجنس المقصور على المصرين
حسبما ذكر في الموصول كأنه قيل ومنهم أو ومن أولئك المذكورين والعدول إلى الناس للإيذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على أنه
مبتدأ باعتبار مضمونه أو نعت لمقدر هو المبتدأ كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك أي جمع منا دون ذلك وقوله تعالى ﴿من يقول﴾
موصولة أو موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو بعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي
إلى آخره أو فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال على أن يكون مناط الإفادة والمقصود بالأصالة اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة
وما يتعلق به من الصفات جميعاً لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وأما جعل الظرف خبراً كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة
المعنى لأن كونهم من الناس ظاهر فالإخبار به عار عن الفائدة كما قيل فإن مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقاً وكذا ادعاء أن الجواب
بأن الفائدة هو التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فحق من يتصف بها أن لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه
بأن الناس عبارة عن المعهودين أو عن الجنس المقصور على المصرين وأياً ما كان فالفائدة ظاهرة بل لأن جزالة الظرف تستدعي
أن يكون اتصافهم بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنواناً للموضوع مفروغاً عنه غير مقصود بالذات وكون مناط
الإفادة كونهم من أولئك المذكورين ولا ريب لأحد في أنه يخل بجزالة النظم الجليل على الجزل المعاني والكلمات وتوحيد الضمير في يقول باعتبار
لفظ من وجمعه في قوله تعالى ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ وما بعده باعتبار معناه والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا
يتناهى أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات وتخصيصهم للإيمان بهما بالذكر مع تكرير الباء للادعاء بأنهم قد حازوا
الإيمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه وأنهم قد آمنوا بكل منهما على الأصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم

ايمانهم بواحد منها ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه
واجازوه فان جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاقي بخلاف الحجة واشار بجعل الاسمية على الفعلية المواخذ له جوابهم المردودة
مبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية لا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية
تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كالمضارع
الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار
كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل
والاطلاق لان الاتيان بمقيده يلائم ان ايمانهم بسوء انحسن الامثالي في اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد يجوز ان يكون المراد ذلك
ويكون الاطلاق للظهور وعدول الآية الكريمة من اظهر الايمان واعتقاده بخلاف ان يكون موضحا لاحد فيها على الكراية العالمين بان
من يعوه يكفي بالشهادة فارغ القلب عما انغمد اوبيا فروس يخادعون الله والذين آمنوا بيان لقوله وتوضيح لما يوجد منهم ما قولوه
او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله الذين كانه قيل لم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الله اي
وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمراد له
فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريده به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريده به
ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارس يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه ثم يخرج من باب
الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا
عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة واما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي
يعاملون معامله الذي يخدع واما على طريقة المجاز العقلي بان نسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لكمال عبوديته
كما في قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله افادة
لكمال الشناعة واما المجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله اما صيغة المفاعلة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم
الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخادعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا فان صورة صنيعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنيعه
معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام
والمؤمنين امر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل حالا بر تقتضيه الذوق السليم اما الاول فلان
المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم مقابلة خدعهم لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة
وتصويرها بما يليق بها من الصور المستهجنة وبيان غايتها التي اليها من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم
فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم
حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فقد قيل وما يعاملون
تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي تغرهم
وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب
انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به ويطلق ايضا على محل الروح او متعلقه وهو القلب لان قوامها
وعلاقتها الفاسدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون حال من ضمير يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وعدم
المعقول الى الظهور والعلم اي يشعرون بشيء اصلا فكيف يحق بل ما صنعوا بهم في الظهور من المحسوس الذي لا يخفى الا على ما يوف من الحواس
محل الشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت

استعير هنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك
الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار
عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر
فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتيب مضمونها عليه وانتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة
بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازدادوا التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز
ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا فعل بهم
من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر والتمكين
فقوله تعالى في قلوبهم مرض حينئذ استيناف تعليلي لقوله يخادعون الله كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم يجاهروا بما في قلوبهم
من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف فضاعف هذه حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف العذاب به للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما
ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون
الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية واحكي الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا للحكاية لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب
كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار بحدوث الايمان
فيما مضى لا انشاء للايمان والاسلام فهو متعين للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان
والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على انظارهما على راي من يجوز ان يكون كان الناقصة معتمدا كما صرح به في قول الشاعر
بنزل وجل ساد في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتب العذاب
عليه من بين سائر موجبات العقوبة اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركهم للمجاهرين فما ذكر
من العذاب العظيم حسب اشراكهم فما وجب من الاصرار على الكفر كما حكي عنه قوله تعالى ومنا الشرح واما للايذان بان لهم بمقابلة
ما رجحانها تمهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية واجمالة
عن الاتباع بان لحوق العذاب بهم من جهاتها شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله عنه
ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب
ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون
والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن او موصولة اي الذي
يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان تكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقلص في قلص والتكثير كما في موتت البهائم وبركت
الابل او ان يكون من قولهم كذب الوحش اذا جرى شوطا ووقف لينظر وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه ولذلك
قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق
واذا ظرف زمان مستقبل لزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه والكلام متعلقه بمعناها الانهاء
والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة
اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر
المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال
للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول وقد خلت كلمة من موصوله فلا محل
له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة
فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا ارادة للنصح بان ذلك
غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون
اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق شائبة الافساد والفساد وتشريد بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب

منه وإما كلام مستأنف مسوق لتقرير شنائعهم وإما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب أليم بكذبهم وقولهم حين نهوا عن الإفساد
إنما نحن مصلحون كما قيل فيأباه أن هذا النحو من التعليل حقه أن يكون بأوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان
لشهرة الاتصاف بها عند السامع أو لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فإن مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم
آمنا بالله وباليوم الآخر أو لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب فإن ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن
كذلك فحقه أن يخبر به قصدا كما في قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق الآية
إلى غير ذلك ولا ريب في أن هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب إليهم
عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فإذن حقها أن تكون مسوقة على سنن
تعديد قبائحهم على أحد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد منهم من تلك الأوصاف قصدا واستقلالا لا كفلا وقوله عز وجل
ألا إنهم هم المفسدون يأبى ذلك إباء جليا فإنه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ رد وأدله على سخط عظيم حيث
سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي إلى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها فإن الهمزة
الإنكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الإثبات قطعا كما في قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها
إلا مصدرا بما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح
وإن المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصرهم أنفسهم على الإصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى
ولكن لا يشعرون للإيذان بأن كونهم مفسدين من الأمور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين
وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا أن المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خبائثهم وشناياتهم ثم إظهار فسادها وإبطالها لما اتضح هذا التأ[illegible]
والله أعلم بالصواب وإذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف إثر نهيهم عن المنكر إتماما للنصح وإكمالا للإرشاد
آمنوا حذف المؤمن به لظهوره أو أريد افعلوا الإيمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف
أي آمنوا إيمانا مماثلا لإيمانهم فما مصدرية أو كافة كما في ربما فإنها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني
الجملتين أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس
كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بإنسان
وقد جمعهما من قال إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم
كابن سلام وأصحابه والمعنى آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لإيمانهم قالوا مقابلين
للأمر بالمعروف بالإنكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد أوصافهم الحسان أنؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام
إلى من أشير إليهم في الناس من الكاملين أو المعهودين أو إلى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة
رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والأناة وإنما نسبوهم إليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم
في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة
ضلالا أو لتحقير شأنهم فإن كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم
على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله وأيا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل
أن يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه أولئك المشاهير الأعلام
والقدح في إيمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي أن يكون ذلك
فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الإمام الواحدي إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام
والمؤمنين بذلك عنهم وأنت خبير بأن إبراز ما صدر عن أحد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد
في الكلام فضلا عما هو في منصب الإعجاز فالحق الذي لا محيد عنه أن قولهم هذا وإن صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فإنه
ضرب من الكفر أنيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما أنه كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل

على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى
الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين إرادة المعنى الأخير وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به ولذلك نهي عنه كذلك هذا
الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء الإيمان كإيمان الناس وإنكار ما اتهموا به من النفاق على معنى أنؤمن كما
آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بإيمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كإيمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين
استهزاء بهم مرائين لإرادة المعنى الأخير وهم معولون على الأول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
أبلغ رد وجهلوا أشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما أشير إليه فيما سلف وجعل السفاهة مقصورة عليهم وبالغ حيث يعدون
أنهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما في تفسير قوله تعالى إنما نحن مصلحون فإن حمله على المعنى الأخير كما هو رأي الجمهور مناف لما تقرر من
أن شأنهم مع الناصحين ادعاء كونهم نواجهه من الإفساد وإصلاحا كما [illegible] إظهارهم للشقاق ويرون ما يجتنبهم من نحو النفاق والاعتذار
بأن المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالإصلاح الذي هو منه إصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وأن معنى
قوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون أنهم بتلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لإشعارها بإعطاء الدنية وإنبائها عن ضعفهم إلى ما يستبط
من يعتدي للإصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل إليه قطعا فإن قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وأنه
يقتضي أن يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للإصلاح ويأتيهم الإفساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في أنهم فيها
كاذبون لا يباشرونها إلا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فإذن طريق حل الإشكال ليس إلا ما أشير إليه فإن قولهم إنما نحن مصلحون يحمل على الكذب
والإنكار لما صدر وسلف منهم ما نسب إليهم على معنى إنما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الإفساد وقد خاطبوا به الناصحين استنزالا لهم
وإراءة لإرادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الأول فرد عليهم بقوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون الآية والله سبحانه أعلم بما أودعه
في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون
لما أنه أكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق
والباطل وذلك مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق وما فيه من الفتن والفساد وما يترتب عليه من كونهم مفسدين فأمر بديهي
يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية المتقدمة بلا يشعرون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين أحوالهم وتناقض
أقوالهم في أثناء المعاملة والمخالطة حسب تباين المخاطبين وما صدرت به القصة مسوق لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض هناك
لمتعلق الإيمان وفيه شأن النزول روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال
ابن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام
وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد
بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خليقة الله
فقال له مهلا يا أبا الحسن أنى تقول هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن أبي لأصحابه كيف رأيتموني
فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فأثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته أي صادفته واستقبلته وقرئ إذا لاقوا وإذا خلوا إلى شياطينهم من خلوت بفلان وإليه
أي انفردت معه أو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم أي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به
إذا سخرت منه على أن تعديته بإلى في قوله تعالى إلى شياطينهم لتضمينه معنى الإنهاء أي إذا أنهوا السخرية إلى آخره وأنت خبير بأن تقييد
قولهم المحكي بذلك الإنهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون لهم في التمرد والعتو المظهرون لكفرهم وإضافتهم إليهم
للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة أصلية فوزنه فيعال على أنه من شطن إذا بعد
فإنه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة فوزنه فعلان على أنه من شاط أي هلك أو بطل ومن أسمائه الباطل وقيل
هاج واحترق قالوا إنا معكم أي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الأحوال وإنما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لأن مدعاهم
عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للإنباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لإنكار الشياطين بخلاف معاملتهم

مع المؤمنين فانهم انما يدعون عند احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه انما نحن في اظهار
الايمان مستهزؤن بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استيناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم ان صح انكم
انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد يجعل
جوابا لهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيدا لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات
على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة
في اللفظ او للمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء
او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي
في الطغيان واما في الاخرة فبما روي انه يفتح لهم باب الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعتها عند السامعين
وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة
بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل
والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز وعلا او لا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه قوله
عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم اي يزيدهم ويقويهم
من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت واسناد على يزيدهم الى الله تعالى
منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستعداد وهو يجري مجراه من الجهة الاخرى انه كالمداد لا اشد انه كذلك وقرئ ويمدهم من الامداد
وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء له ويقال مد له في العمر اذا وحذف الجار وايصال
الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم
وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان لغة في لقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصهم به وتاييد لما اشير اليه من ترتب
المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى
في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق
لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم
والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم سلكوا الى شعاب التاويل فاجابوا اولا بانهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى
ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند المدد الى الله تعالى ففي المسند مجاز لغوي عن الاسناد
عقلي لانه اسناد الفعل الى المسبب وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى
ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند والثالث بان المراد معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه تعالى مجازا لانه بتمكينه تعالى
واقداره اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا
كانهم حضار شاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء وخبره
قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جنايتهم بما حكي عنهم من الاقوال والافعال
بالطغيان باخراجها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير
الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها
كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ونحوه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في
يده عينا كان كل منهما او معنى لا الاعراض عما في يده محصلا غيره كان او لا ومنه قوله اخذت بالجمة راسا ازعرا
المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه كما يقتضي ذلك ان يكون

بالهدى يجري مجرى الثمن حاصلا لهم قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بمعزل عن الهدى
مستمرون على الضلالة مستدعي الحال الحقيقي جري مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بتعلق الاشتراء بها جنس الضلالة
الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى يكون حاصلا لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالطغيان
المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند ياسهم عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بالهدى ما في خبر ... نفس الهدى
بل هو الحق الذي يتم منه بمعاضدة الاسباب وتاخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كنفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع
الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من الهدى كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوه وراء
ظهورهم واخذوا بدله الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها
غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها
من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضائعا وانه حمل اشتراء الضلالة بالهدى
على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الاخر
فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الاتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو
الانسب بجزالة اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا شاهدوه في التوراة من نعوته وكانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة فما ربحت
تجارتهم عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل
الربح وهو الفضل على راس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها
وهو لاربابها بناء على التوسع لما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسارة وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم
وايراد حال الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة التي يتحاشى عنه
كل احد للاشباع في التحسر والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه
معربة عن كون ذلك صنعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورة الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد الا تقويتها كما في قوله
رايت اسدا وافي البراثن فانه لا يراد به الا زيادة تصوير الشجاع وانه اسد كامل من غير ان يراد بلفظ البراثن معنى اخر بل قد يكون مستعارا
من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه
جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للراس واللحية او للفودين
اعني جانبي الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه
مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين باعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم
وما كانوا مهتدين اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة
اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء الذين كان راس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا
كلتا الطلبتين فبقوا خاسرين خائبين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب
على الاشتراء المذكور والا فعطفا على اشتروا الى الحرف مثلهم الى الاخرة زيادة كشف لحالهم وتصوير لها بعد تصويرها بصورة ما يؤدي
الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله
من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها
في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل
ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا

باستسير في البلاد وضيقا بالعقول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ
بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
اي قصتها العجيبة الشان كمثل الذي اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا
نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة
لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين
والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا
على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او النوع او الفريق المستوقد وان رجع ... لطف معنى ما يحرق واشتقاقها من نور اذا نفر
لان فيها حركة واضطرابا والاستيقاد طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكير النار للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة
فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد
اي فلما اضاءت النار حول المستوقد او فلما اضاءت ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها
فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام
لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفاء الله نارهم التي
هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى
فلما اضاءت ما حوله حيث لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال
مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به
للايجاز والامن من الالتباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها
واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلق الله واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر والمبالغة كما يؤذن به
تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل
له من بعده ولذلك عدل من الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي
لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما
اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى
من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنار لا الارضية الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله ووصفها بالاضاءة ... المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي ... اوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي
ويهتدوا بها في طرق العبث والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب امالهم وترك الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى
مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد
والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي استبدالهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل
او بالهدى الذي كانوا حصلوه من النور الحسي وركبوا من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها
الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدا محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة
مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع
لان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه
ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لانهم حيث سدوا اسماعهم عن الاصاخة الى ما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا
ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوه من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى
التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كالفاقدين لتلك المشاعر بالكلية

وهذا عند مغلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة في السماء لا ان المقدر في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن
هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون
الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه
او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير
تعرض لشيء من السمع والنطق والاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية
تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا
واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه والتمثيل فبقوا جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون اتقدمون ام يتاخرون وكيف
يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة
الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية
لتركهم فالضمير للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع والتهويل
فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال
ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة
لا بد ان يوفي فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في التمثيل
تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او
للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول
الذي له وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الرعد صيب ولعل
الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع من المطر شديد هائل كالنار في التمثيل الاول واقيم فيه من المبالغات
من جهة مادته الاصلية التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة وهيئته الدالة على الثبوت المنبئ عن شدة الانسكاب
ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هي المظلة
وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان
بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا
وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل
المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال
ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انها جعلت توابع
ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات
هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الى آخره افاد ان الصيب ظلمة خاصية فضلا عن كونها
على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها
عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل
مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل
للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل
بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول
على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل يجعلون اصابعهم في آذانهم للمضاف الذي اقيم مقام المضاف اليه فان معناه باق
لفظا تعويلا على الدليل كما في قوله عز وعلا وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه
من القرية قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه

من الکاتب

الی ما الصق الی بردی والالات حما واشار بجعل المنبی عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار علی الادخال المفید لمجرد الانتقال
الی الداخل للمبالغة فی بیان سد المسامع باعتبار الزمان کما ان ایراد الاصابع بدل الانامل للاشباع فی بیان سدها باعتبار الذات
کانهم سدوها بجملتها لا بانامله فحسب کما هو المعتاد ویجوز ان یکون هذا ایماء الی کمال حیرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الی حیث لا یهتدون
الی استعمال الجوارح علی الوجه المعتاد وکذا الحال فی تعیین الاصبع المعتاد وهی السبابة وقیل ذلک لرعایة الادب والجملة استیناف
لا محل له من الاعراب مبنی علی سؤال نشأ من الکلام کانه قیل عند بیان احوالهم الهائلة فماذا یصنعون فی تضاعیف تلک الشدة فقیل یجعلون
الی آخره وقوله عز وجل من الصواعق متعلق بیجعلون ای من اجل الصواعق المرعدة من قولهم سقاه من العیمة والصاعقة قصفة رعد هائل
تنقض معها شقة نار لا تمر بشیء الا اتت علیه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان یکون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة
کما فی الراویة او مصدر کالعافیة وقد یطلق علی کل هائل مسموع او مشاهد یقال صعقته الصاعقة اذا اهلکته بالاحراق او بشدة الصوت
وسد الاذان انما یفید علی التقدیر الثانی دون الاول وقری من الصواقع ولیس ذلک بقلب من الصواعق لاستواء کلا البنائین فی التصرف
یقال صقع الدیک وخطیب مصقع ای مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بیجعلون علی العلة وان کان معرفة بالاضافة کقوله واغفر
عوراء الکریم ادخاره واعرض عن شتم اللئیم تکرما ولا ضیر فی تعدد المفعول له فان الفعل یعلل بعلل شتی وقیل هو نصب علی المصدر ای
ای یحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقری حذار الموت والموت زوال الحیاة وقیل عرض یضادها لقوله
تعالی خلق الموت والحیوة ورد بان الخلق بمعنی التقدیر والاعدام مقدرة والله محیط بالکافرین ای لا یفوتونه کما لا یفوت المحاط
المحیط شبه شمول قدرته تعالی لهم وانطواء ملکوته علیهم باحاطة المحیط بما احاط به فی استحالة الفوت او شبه الهیئة المنتزعة من شؤونه تعالی
معهم بالهیئة المنتزعة من احوال المحیط مع المحاط فالاستعارة المبنیة علی التشبیه الاول استعارة تبعیة فی الصفة متفرعة علی ما فی مصدرها
من الاستعارة والمبنیة علی الثانی ممثلة قد اقتصر من طرفی المشبه به علی ما هو العمدة فی انتزاع الهیئة المشبهة بها اعنی الاحاطة والباقی منوی
بالفاظ متخیلة بها یحصل الترکیب المعتبر فی التمثیل کما مر تحریره فی قوله عز وجل ختم الله علی قلوبهم والجملة اعتراضیة منبهة علی ان ما صنعوا من سد الآذان
بالاصابع لا یغنی عنهم شیئا فان القدر لا یدافعه الحذر والحیل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الکافرین موضع الضمیر الراجع
الی اصحاب الصیب الایذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحکیة بسبب کفرهم علی منهاج قوله تعالی کمثل ریح فیها صر اصابت حرث
قوم ظلموا انفسهم فاهلکته فان الاهلاک الناشیء من السخط اشد وقیل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه علی ان المراد بالکافرین
المنافقون وقد دل علی انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالی فی الدنیا والآخرة وانما وسط بین احوال المشبه مع ان القیاس تقدیمه
او تاخیره لاظهار کمال العنایة وفرط الاهتمام بشأن المشبه یکاد البرق استیناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر کانه قیل
فکیف حالهم مع ذلک البرق فقیل یکاد ذلک یخطف ابصارهم ای یختلسها ویستلبها بسرعة وکاد من افعال المقاربة وضعت
لمقاربة الخبر من الوجود لتآخذ اسبابه وتعاضد مبادیه لکنه لم یوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا یکون خبرها الا مضارعا
عاریا عن کلمة ان وشذ مجیئه اسما صریحا کما فی قوله فابت الی فهم وما کدت آئبا وکذا مجیئه مع ان حملا لها علی عسی کما فی قوله
قد کاد من طول البلی ان یمصحا کما تحمل هی علیها بالحذف لما بینهما من المقارنة فی اصل المقاربة ولیس فیها شائبة الانشاء
کما فی عسی وقری یخطف بکسر الطاء ویختطف ویخطف بفتح الیاء والخاء بنقل فتحة التاء الی الخاء وادغامها فی الطاء ویخطف
بکسرهما علی اتباع الیاء والخاء ویخطف من صیغة التفعیل ویتخطف من قوله تعالی ویتخطف الناس من حولهم کلما اضاء لهم کل ظرف
وما مصدریة والزمان محذوف ای کل زمان اضاءة وقیل ما نکرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف ای کل وقت اضاء لهم فیه
والعامل فیه مشوا جوابها وهو استیناف ثالث کانه قیل ما یفعلون فی اثناء ذلک الهول ایفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا
فقیل کلما نور البرق لهم ممشی ومسلکا علی ان اضاء متعد والمفعول محذوف او کلما لمع لهم علی انه لازم ویؤیده قراءة کلما ضاء
مشوا فیه ای فی ذلک المسلک او فی مطرح نوره خطوات یسیرة مع خوف ان یخطف ابصارهم وایثار المشی علی ما فوقه من السعی
والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لها واذا اظلم علیهم ای خفی البرق واستتر والمظلم وان کان غیره لکن لما کان الاظلام
والراجع الیه اسند الیه مجازا تحقیقا لما ارید من المبالغة فی موجبات تحیرهم وقد جوز ان یکون متعدیا منقولا من ظلم اللیل ویشهد
له ما جاء فی قول ابی تمام هما اظلما حالی ثمة اجلیا ظلامیهما عن وجه امرد اشیب ویعضده قراءة اظلم علی البناء للمفعول قاموا

قاموا ای وقفوا فی اماکنهم علی ما کانوا علیه من الهیئة متحیرین مترصدین لخفقة اخری عسی یتسنی لهم الوصول الی المقصد او الالتجاء
الی ملجأ یعصمهم وایراد کلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للایذان بانهم حراص علی المشی فرحون لا یتحج فکلما وجدوا فرصة انتهزوها
ولا کذلک التوقف وفیه من الدلالة علی کمال التحیر وتطائر اللب ما لا یوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم کلمة لو للتعلیق
حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فیه هو الشرط لما بینهما من الدوران حقیقة او ادعاء ومن قضیة مفروضیة الشرط دلالتها علی انتفائه
قطعا والمنازع فیه مکابر واما دلالتها علی انتفاء الجزاء فقد قیل وقیل والحق الذی لا محید عنه انه ان کان ما بینهما من الدوران کلیا او جزئیا
قد بنی الحکم علی اعتباره فهی دالة علیه بواسطة مدلولها الوضعی لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما فی مادة الدوران الکلی
کما فی قوله عز وجل ولو شاء لهداکم اجمعین وقولک لو جئتنی لاکرمتک فظاهر ان وجود المشیئة علة لوجود الهدایة حقیقة ووجود المجیء علة لوجود الاکرام
ادعاء وقد انتفتا الحکم المفروضتین فانتفی معلولاهما حتما واما انه قد یساق الکلام لتعلیل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط کما فی المثالین المذکورین وهو
الاستعمال الشائع لکلمة لو ولذلک قیل هی لامتناع الثانی لامتناع الاول وقد یساق للاستدلال بانتفاء الثانی لکونه ظاهرا او مسلما
علی انتفاء الاول لکونه خفیا او متنازعا فیه کما فی قوله سبحانه لو کان فیهما آلهة الا الله لفسدتا وفی قوله تعالی لو کان خیرا ما سبقونا الیه
فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقیقة وعدم سبق المؤمنین الی الایمان لازم لخیریته فی زعم الکفرة ولا ریب فی ان انتفاء اللازم مستلزم لانتفاء
الملزوم حقیقة فی الاول وادعاء فی الثانی الا انه ضرورة استلزام انتفاء اللازم انتفاء الملزوم لکن لا بطریق السببیة الخارجیة کما فی المثالین الاولین
بل بطریق الدلالة العقلیة الراجعة الی سببیة العلم بانتفاء الثانی للعلم بانتفاء الاول ومن لم یتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثانی واما فی مادة
الدوران الجزئی کما فی قولک لو طلعت الشمس لوجد الضوء فان الجزاء المنوط بالشرط الذی هو طلوعها لیس وجود ای ضوء کان کضوء القمر الجامع
لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشیء من الطلوع ولا ریب فی انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بنی الحکم علی اعتبار الدوران
واما اذا بنی علی عدمه فاما ان یعتبر هناک تحقق مدار آخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلک المدار فان کان بینه وبین انتفاء الاول منافاة
تعین الدلالة کما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لکنه فی الحقیقة معلق بسبب آخر ضرورة
ان عدم الطلوع من حیث هو هو لیس مدارا لوجود الضوء فی الجملة وانما وضع موضع المدار لکونه کاشفا عن تحقق مدار آخر له فکانه قیل لو لم تطلع
الشمس لوجد الضوء بسبب آخر کالقمر مثلا ولا شبهة فی ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمری عند طلوع الشمس وان لم یکن
بینهما منافاة تعین عدم الدلالة کما فی قوله صلی الله علیه وسلم فی حق ابی سلمة لو لم تکن ربیبتی فی حجری ما حلت لی انها لابنة اخی من الرضاعة
فان المدار المعتبر فی ضمن الشرط اعنی کونها ابنة اخیه علیه السلام من الرضاع غیر مناف لانتفائه الذی هو کونها ربیبته علیه السلام بل کان معه
ومن ضرورته مجامعة اثرهما اعنی الحرمة الناشئة من کونها ربیبته علیه السلام والحرمة الناشئة من کونها ابنة اخیه من الرضاع وان لم یعتبر
تحقق مدار آخر بل بنی الحکم علی اعتبار عدمه فلا دلالة لها علی ذلک اصلا کیف لا وساق الکلام حینئذ لبیان ثبوت الجزاء علی کل حال بتعلیقه
بما ینافیه لیعلم ثبوته عند وقوع ما لا ینافیه بالطریق الاولی کما فی قوله عز وجل قل لو انتم تملکون خزائن رحمة ربی اذا لامسکتم وقوله علیه السلام
لو کان الایمان فی الثریا لناله رجال من فارس وقول علی رضی الله عنه لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا فان الاحکام المذکورة
قد نیطت بما ینافیها ویستدعی نقائضها ایذانا بانها فی انفسها بحیث یجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها
فکیف اذا لم یکن کذلک علی طریقة لو الوصلیة فی مثل قوله تعالی یکاد زیتها یضیء ولو لم تمسسه نار وقد فصلناه فی تفسیر قوله تعالی
او لو کنا کارهین وقول عمر رضی الله عنه نعم العبد صهیب لو لم یخف الله لم یعصه ان حمل علی تعلیق عدم العصیان فی ضمن عدم الخوف بمدار آخر
کالحیاء والاجلال وغیرهما مما یجامع الخوف کان من قبیل حدیث ابی سلمة وان حمل علی بیان استحالة عصیانه مبالغة کان من هذا القبیل والآیة
الکریمة واردة علی الاستعمال الشائع مفیدة لکمال فظاعة حالهم وغایة هول ما دهمهم من الشدائد وانها قد بلغت من الشدة الی حیث لو تعلقت
بها مشیئة الله تعالی بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما یقتضیه اقتضاء تاما وقیل کلمة لو فیها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة علی انتفاء
احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة کلمة ان ومفعول المشیئة محذوف جریا علی القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا کان مفعولها مضمون الجزاء
ولا یکاد یذکر الا ان یکون شیئا مستغربا کما فی قوله فلو شئت ان ابکی دما لبکیته علیه ولکن ساحة الصبر اوسع ای لو شاء الله ان یذهب بسمعهم وابصارهم
لفعل ولکن لم یشأ لما تقتضیه من الحکم والمصالح وقری لاذهب باسماعهم علی زیادة الباء کما فی قوله تعالی ولا تلقوا بایدیکم الی التهلکة والآیة وما افراد
فی المشهورة لان السمع مصدر فی الاصل والجملة الشرطیة معطوفة علی ما قبلها من الجمل الاستینافیة وقیل علی کلما اضاء الی آخره وقوله عز وجل ان الله

على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها انما علق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء مفهومه
اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة
من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص ههنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقرينة اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن
من الايجاد والاعدام الى حسن وقيل هي صفة تقتضي ذلك الممكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير
هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء
ابقاءه على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه
ومعنى قدرته تعالى على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده ومقدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته
او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور الله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين يحتمل
ان يكون من التمثيل المفرق كما في قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان شبه المنافقون في التمثيل الاول
بالمستوقدين واظهارهم الفطرة بالنار وتأييدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءة
ما حولهم وازالته باذهاب النور واخذ الضلالة وتعاطيهم بالمستهم الظلمات الكثيفة وبقاءهم فيها وشبهوا في التمثيل الثاني
باصحاب الصيب وشبه القرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم
والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله
الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه
بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم ويحتمل على التمثيل المركب الذي
لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع
فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه به هيئة فيشبه بها هيئة منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه بان ينتزع من المنافقين
واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة فيشبه
كل واحدة من الاولين بما يضاهيها من الاخرين هو الذي يعتقده فحول التنزيل ويستحسنه... الجليل لاشتماله على التشبيه الاول
اجمالا مع مزايا عليه وهو تشبيه الهيئة بالهيئة والدلالة بان اجتماع تلك المفردات يستتبع هيئة عجيبة حقيقة بان يكون مثلا في الغرابة
يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس الى ثلاث فرق مؤمنة محافظة على ما فيه
من الشرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة
منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات تنشيطا لهم الى الاصغاء وتوجيها لهم
نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى
به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد او استقصارا لنفسه واستبعادا لها
من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على عظم المدعو وبعده ... ان يعتقد امر خطير يعتنى بشأنه واي اسم مبهم
جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب محله
اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما ترى من استقلاله
الطريقة بضروب من اساليب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرائع
وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان يشمر لها الجلد وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى
الحال المبالغة والتأكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام
للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين بعمومها شائعا ذائعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر
من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة الا ما خص

في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله
تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين
من ورود هذا الامر لما ان المأمور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر
اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها مستلزم للامر بما لا يتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به
فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ههنا اعمال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل
والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا
ولا في كون بعض من الفرق الاخير ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فائدته تكليفهم
بالايمان ومنعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في علمه تعالى
بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص به كذا جزاء صلاحهم بتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف يستفاد منه فحوى قوله
وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم
صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب
على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل
اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب وتتميم لما قصد
من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم
وقيل خلقهم من قبل خلقكم بحذف الخلق واقامة الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان
شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا باصله كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول
الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كاقحام اللام بين المتضايفين في لا ابا لك او جعله موصوفا بالظرف خبر المبتدأ المحذوف اي الذين
هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب
فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع
في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله تعالى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية
مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع
التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان شبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها
برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فاستعير له كلمة لعل
استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان لاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين
للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فيشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا
سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها
اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما حمل المشبه على ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مبني
على قاعدة الاعتزال لعلمه بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي خلقكم راجيا للتقوى او من مفعوله وما عطف عليه
بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال
في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير
من اهل السنة فانها غير بالغة الى مرتبة العلة الغائية التي لولاها لما اقدم عليها بل هي بمنزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة
جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية المأمور به

وتأكيداً فإن إتيانهم بما خلقوا له أدخل في الوجوب وإيثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس
إلا ليعبدون للمبالغة في إيجاب العبادة والتشديد في إلزامها لما أن التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا لزمتهم كان ما هو أدنى منها
ألزم والإتيان به أهون وإن روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كأنه قيل اعبدوا ربكم راجين
للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على أن المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل إلى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما
يشغل سره عن مراقبته وهي أقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين إنشائه والثبات عليه
ليحصل أرباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل
توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقدم من فوات الإشعار بكون الوصف الأول معظم أحكام الربوبية وكونه عز وعلا أحق
العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فأما إن اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف
عليه على الطريقة المذكورة أي خلقكم وإياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج أن تتقوا فإنه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى
جامعين لمبادئها الآفاقية والأنفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج أن يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وإن لم يتحقق الرجاء قطعا
واعلم أن الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته تعالى على كافة الناس مرشدة لهم بإشارتها إلى أن مطالعة
الآيات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وتقديم ما يتعلق بأنفسهم من خلقهم
وخلق أسلافهم لأنه أقوى شهادة وأظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الأرض فراشا وهو في محل النصب
على أنه صفة ثانية لربكم موضحة أو مادحة أو على تقدير أخص أو امدح أو في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم
حذف الفعل في المنصوب على المدح إشعارا بأنه إنشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع إجراء للوجهين على سنن واحد وأما كونه مبتدأ
خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي أن يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير أن يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه
أعظم شأنا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق على التقديرين وتقديمه
على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق إليه لأن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الإشعار
بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن أو لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاذب أطراف النظم
الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا عن الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم
فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها مسطحا حقيقيا فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا
والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الأرض لما أن احتياجهم إليها وانتفاعهم بها أكثر وأظهر أي جعلها قبة مضروبة عليكم
والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد أو جمع سماوة أو سماءة والبناء في الأصل مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء ومنه قولهم
بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وأنزل من السماء ماء عطف على جعل أي أنزل من جهتها أو منها إلى السحاب
ومن السحاب إلى الأرض كما روي ذلك عنه عليه الصلاة والسلام أو المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الإظهار في موقع الإضمار وهو على الأول ل
زيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول أي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة وأما تقديم الظرف
على الوجه الأول مع أن حقه التأخير عن المفعول الصريح فلما أن السماء أصله ومبدؤه وأما لما مر من التشويق إليه مع ما فيه من مزيد انتظام
بينه وبين قوله تعالى فأخرج به أي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بأن أودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة منفعلة
فتولد من تفاعلهما أصناف الثمار أو بأن أجرى عادته بإفاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منهما وإن كان المؤثر في الحقيقة
قدرته تعالى ومشيئته فإنه تعالى قادر على أن يوجد جميع الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس المبادي والأسباب لكن له عز وجل في إنشائها
متقلبة في الأحوال ومتبدلة في الأطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لأولي الأبصار عبرا ومزيد طمأنينة إلى عظيم قدرته ولطيف حكمته ليس في إيجادها بغتة
ومن للتبعيض لقوله تعالى فأخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين أعني ماء ورزقا كأنه قيل وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج من الأرض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
المرزوق ومن الثمرات بيان له أو حال منه كقولك أنفقت من الدراهم ألفا ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه أو مصدرا
من أخرج لأنه بمعنى رزق وأما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع أن الموضع موضع كثرة لأنه أريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك أدركت

ثمرة بستانه وتؤيده القراءة على التوحيد أو لأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى
ثلاثة قروء أو لأنها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق
أي رزقا كائنا لكم أو دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كأنه قيل رزقا إياكم فلا تجعلوا لله أندادا إما متعلق
بالأمر مترتب عليه كأنه قيل إذا أمرتم بعبادة من هذا شأنه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والأفعال الجميلة فلا تجعلوا له شركاء
وإيثار الأنداد باعتبار الواقع لا لأن مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات وتعيينه
بالصفات وتعليل الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوحدانية واستحالة الشركة والإيذان باستتباعها لسائر الصفات
وإما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للإشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي
أو للانتهاء أو لأن مآل النهي هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على أصلها كأنه قيل اعبدوه فخصوه بها والفاء في موضع الإنكار
لا مر لغوا وقيل هو نفي منصوب بإضمار أن جوابا للأمر وأما أن ذلك مما لا يكون الأول سببا للثاني ولا ريب في أن العبادة لا تكون سببا
للتوحيد الذي هو أصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فأطلع في قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى أي خلقكم
لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا المذهب تشبيه لعل في بعض المواضع بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو
بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح أي هو الذي حفكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا
شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق أسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر لموصول على تأويل مقول في حقه وقد عرفت
ما فيه مع لزوم المصير إلى مذهب الأخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة المضمر كما في قولك زيد قام أبو عبد الله إذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي
من ند ندودا إذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله
أندادا والحال أنهم ما زعموا أنها تماثله تعالى في صفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لما أنهم لما تركوا عبادته تعالى إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت
حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم
أن جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند ولذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى وأنتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا بصرف التقييد إلى ما أفاده النهي من قبح
المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كأنه قيل لا تجعلوا ذلك فإنه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال أنكم من أهل العلم والمعرفة
بدقائق الأمور وإصابة الرأي أو مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وأنتم تعلمون بطلان ذلك أو تعلمون أنه لا يماثله شيء أو تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت
أو تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وفي ذلك حاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء
عما نهوا عنه هذا والذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بحمل المنهي عنه على القدر المشترك المنتظم لإنشاء الأنداد كما هو المطلوب من الكفرة وما عليه
كما هو شأن المؤمنين حسبما مر مثله في الأمر وأما صرف التقييد إلى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة إذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي
على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل إنما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على أن تعاطي القبائح من العالمين
بقبحها أقبح وذلك إنما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد إلى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين أيضا فقد نأى عن التحقيق إذ ليس في تخصيصه
بالكفرة في الأمر والنهي خلاص من إشكال أمر التكليف وحسن انتظام بل إن سياق الآية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة
لا محالة مع ما فيه من رفع محل المؤمنين ورفع شأنهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والإيذان بأنهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما في صدر
السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الأمر والنهي على أنه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من شد عليه فتأمل
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق أن الكتاب الكريم الذي من جملته ما مر من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد
منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما أن ذكر ما فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر
في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها أنه لا ريب فيه والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع أنهم جازمون بكونه
من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى إن كنتم صادقين إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو
الارتياب في شأنه وأما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما أن تنكيره وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيف الشك
الوقوع وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ونهاية قوتها وإنما لم يقل وإن ارتبتم فيما نزلنا

لما أشير إليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والإشعار
بأن ذلك إن وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه وإحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما أن ما يقتضيه ذلك
هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية بأباه توهم كونه محلا للريب
في الجملة وحاشاه من ذلك وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين أبعاضه وليس معنى
كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة أحكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وإيثار التنزيل المنبئ عن التدريج
على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه إرخاء للعنان وتوسيعا للميدان فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة إلى إنكاره
فجعل ذلك من مبادي الاعتراف كأنه قيل إن ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا أنتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فإنه
أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وإزاحة العلل وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الإضافة
إلى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لأوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام
وأمته أو جميع الأنبياء عليهم السلام ففيه إيذان بأن الارتياب فيه ارتياب فيما أنزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والأمر في قوله تعالى فأتوا
من باب التعجيز والفاء للجواب وسببية الارتياب للأمر أو الإتيان بالمأمور به لما أشير إليه من أنه عبارة عن إلزامهم الحجة فإنه
سبب للأول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما يقدر عليه
سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة وأقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلية منقولة من سور البلد لأنها محيطة بطائفة من القرآن
مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط
حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتبا من حيث الفضل والشرف أو من حيث الطول
والقصر فهي من حيث انتظامها مع أخواتها في المصحف مراتب يرتقي إليها القارئ شيئا فشيئا وإن كانت مبدلة من الهمزة فمعناها البقية والقطعة من الشيء
ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة
والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الإعجاز وجعلها تبعيضية يوهم أن له مثلا محققا قد عجزوا عن الإتيان ببعضه كأنه قيل
فأتوا ببعض ما هو مثل له فالمفهوم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع أنه المراد وبناء الأمر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم
حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا أو على التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فإن مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه والتحدي
وقيل هي زائدة على رأي الأخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله وبعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لأن رجوعه إلى المنزل
يوهم أن له مثلا محققا قد ورد إلى المنزل عليه فإن من هو مثله عليه السلام في البشرية والأمية يكون الجملة حالا إن تخصيص التحدي بفرد
شاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للإتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة
فرادى أو مجتمعين مع أن سوق التحدي عن الفاصل يعني التحدي لاستحالة وجود مثله في نفس الأمر بحيث يجيء أعم من أن يأتي بعض دون أي علية
المعارضة بكليهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الإتيان بقدر يسير مماثل في صفات
الكمال لا إلى محله واحد من أبناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر ومعنى دون أدنى مكان من الشيء
ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو أي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل
في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم من غير ملاحظة انحطاط أحدهما من الآخر فجرى مجرى أداة الاستثناء وكلمة من متعلقة بادعوا وهي
لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله للاستظهار من حضركم كائنا من كان أو القائمين في مشاهدكم ومحافلكم
من رؤسائكم وأشرافكم الذين تفزعون إليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات أو القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من أمنائكم
المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة أو الناصرين من الإنس والجن لعصبيتكم وإخراجه سبحانه وتعالى من حكم
الدعاء في الأول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على كلمة فإن ذلك مما يوهم أنهم لو دعوه
لأجابهم وأما في سائر الوجوه فللتصريح من أول الأمر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه
والالتفات لتربية المهابة وإدخال الروعة وقيل المعنى ادعوا من دون أولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناظرة
ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله إيذانا بأنهم يأبون أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه أنه يؤذن بعدم توجه

التحدي إلى أولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصحاءهم ادعوا لكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله شاهد ومدعيه
حق فإن ذلك ديدن المحجوج وفيه أن أن ما يدعون حسبما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي إلا أن يرد مثله
ما أتوا به للمتحدي مع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم أنهم قد تصدوا للمعارضة وأتوا بشيء يسمى مثلا مترددين في المثلية عند إيهامهم
ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه إذ عند ذلك مس الحاجة إلى الأمر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وأنى لهم ذلك
وما بعث لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة وأما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الأصنام ودون بمعنى التجاوز على أنها ظرف مستقر وقع حالا
من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم أي ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من
ابتدائية فإن الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الأصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من أنها تشهد لهم
وأنها تنفعهم بشهادتها لهم أنهم على الحق فإن ما هذا شأنه يجب أن يكون ملاذا لهم في كل أمر مهم وملجأ أو دون إليه في كل خطب ملم كأنه قيل
أولئك عندكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات إلى الإذن بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات
الكمال عبادة ما لا أحقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو أدنى مكان من الشيء لمعنى كما في قول الأعشى تريك القذى
من دونها وهي دونه أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا متعلقا بشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة
إلى اعتماد ولا إلى تقدير يشهدون أي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وإيرادها بهذا العنوان
لما مر من الإشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فإن القوم بهذا الأمر في ذلك المقام الخطير حقيق بأن
في كل مرام وفي أمرهم على الوجهين بأن يستظهروا في معارضة القرآن الذي أعجز كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من على هذا تبعيضية
لما أنهم يقولون جبر بين يديه وجلسه بمعنى في لأنها ظرف مستغل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل إنما يقع في بعض هاتيك الجهتين كما تقول
جئته من الليل يريد بعض الليل ودونها كلمة من الداخلة على دون جميع المواقع معنى كما في سائر الظروف التي لا تنصرف ويكون منصوبة على الظرفية
ابتداء ولا تجر إلا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل الحاضرة ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية أي ادعوا الذين
يشهدون لكم أنه مثله متجاوزين في ذلك أولياء الله ويقصد به مدارة أنهم أيضا لا يشهدون بذلك وإنما
المقصود إلى الله تعالى للمقابلة فإن أولياء الله تعالى يعلمون أولياء الأصنام كان ذكر الله تعالى بدل ذكر الأصنام والمقصود بهذا الأمر
إرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا إلزامكم بشهداء الحق إلى الحق الذي هو المعتاد واكتفينا بشهداءكم
المعروفين بالذب عنكم فإنهم أيضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وأنفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وأمر الإعجاز قد بلغ من الظهور
إلى حيث لم يبق إلى إنكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملاءمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لأولئك الشهداء وإيهام أنهم تعرضوا
للمعارضة وارتسوا حاجوا إلى ما يستشهدون به للمتحدي إلى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك إن كنتم صادقين أي في زعمكم أنه
من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله وادعوا واستلزام المقدم للتالي
من حيث إن صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول
الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لا سيما عند المطاعنة والتعارض
ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر به فإن لم تفعلوا أي ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعدما بذلتم
في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وإنما لم يصرح به إيذانا بعدم الحاجة
إليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له للإيجاز البديع المغني عن التطويل
والتكرير مع سر سري استدعاه المقام وهو الإيذان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول
أي المأتي به ضرورة استحالته وأن مناط الجواب في الشرطية أعني الأمر باتقاء النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول لفظ الفعل
نفس الأفعال الخاصة لازمة كانت أو متعدية من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فإذا علق بفعل خاص يتعدى فإنما يقصد إيقاع نفس
ذلك الفعل وإخراجه من القوة إلى الفعل وأما تعلقه بمفعوله الخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما يستفاد ذلك من الفعل الخاص
ولذلك تراهم يتوسلون بذلك إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلا معطي فلان يعطي ويمنع لفعل
الإعطاء والمنع يرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني بأخ لكم من أبيكم فإنه لما كان

مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومن مرضه بالتكليف استحضار منابين لم يكف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي
في تحصيل المأمور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطلوبية
واعرابا عن مقصده بذاته وقيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما تعلق به على طريقة التعبير عن الاتيان الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها
حذرا من التكرار وهو على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال المعهود واعتراض بين الشرط وجزائه وايثار كلمة ان
المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم اتيانهم بمثله مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكما بهم ولن تفعلوا كلمة لن اخت لا في نفي المستقبل
كلا خلا ان في لن زيادة تأكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي
الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر
كيف لا ولو عارضوه بشيء مداني في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار جواب الشرط على ان اتقاء النار كناية
عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا
من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتقاء عن ذلك
بهما للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع امره واظهار كمال الاعتناء بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحصيل ما ينجيهم منه وفيه من الايجاز
البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان سببا لاستحقاقكم
العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله منها
والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها
من الشدة بحيث لا يتقد الا بالناس والحجارة لا كنيران الدنيا المفتقرة في الالتهاب الى وقود من حطب وحشيش وانما جعل الوصف
صلة للموصول المقتضي كون انتسابها اليها معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله
عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم
لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب
فيتعين لان المخاطب ههنا المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم
حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية اعدت للكافرين اي هيئت للذين كفروا بما نزلناه
وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم
لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها
من الاعراب مقرر لمضمون ما قبلها ومؤكد لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار
لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا اي بانه
منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل
عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد
بالوعيد وكان تغيير السبك لتخصيص كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون
استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة
فضلا عن ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة اسم الفاعل لحث
المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله
عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك
وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شأنه حقيق بان يتولى التبشير كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة
وتباشير الصبح اوائل ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل
النقل والعقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة
منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق

البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ان لهم جنات
منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل
والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كأنها لفرط تكاثفها
والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستر وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر
حينئذ ان يكون مأخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا وصف من الغرفات والقصور لما انها مناط
نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد
وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها
الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها
فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق
اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري
والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا انهار
من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها الجاري
مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى
لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة
كأنه حين وصف الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية
ورزقا مفعول ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة
على ان الرزق قيد بكونه مبتدأ من الجنات اولا وبها مقيدا بكونه مبتدأ من ثمرة ثانيا فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية
ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا مقدما على المبين كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا ومن قبل
معين بانه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا يتقطع فانك لا تريد الى ما بعينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني به النوع المعلوم المستمر
فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس
اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير المعروف ولتستبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه
لا يكون الا كذلك او من الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابهة الصور كما يحكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها
ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي
نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما
فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت
العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب
ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة
والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة
بان مستلذات اهل الجنة مقابلة بما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة بحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه
في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب واتوا به
متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا
من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور
فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومطهرة للاشعار

بأن طهرهن طهرن وما سواه إلا الله سبحانه وتعالى وأما التطهر فمحتمل أن يكون من قبل أنفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر
والأنثى وهو في الأصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح إطلاقه على أزواج
أهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الأولاد لما أن مدارية بقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك بإطلاقه
على ثمار الجنة **وهم فيها خالدون** أي دائمون والخلود في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار الخوالد
وللجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز وجل خالدين فيها أبدا ولما استعمل
حيث لا دوام فيه لكن المراد هاهنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات والأحاديث وما قيل من أن الأبدان المركبة
من الأجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانحلال والانفكاك كما يشاهد في ذلك العالم الكائن في عالم الكون
والفساد وعلى أنه يجوز أن يعيدها الخالق بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بأن يجعل أجزاءها متعادلة في الكيفيات
متساوية في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هيئتها
مصطلحة بينها لا يعتريها التغير بالأكل والشرب والحركات وغير ذلك اعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات إذ كل نعمة وإن جلت حيث كانت بصدد الزوال ومعرضة
للاضمحلال فإنها منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك ومساعيها
الهادين للقصد والعمل **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة
ما وقع فيه من ضرب الأمثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق إثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي وإلقام الحجر كما أفحم البلغاء
من أهل المدر والوبر روى أبو صالح عن ابن عباس أن المنافقين طعنوا في ضرب الأمثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله أجل
وأعلى من ضرب الأمثال وروى عطاء عنه أن الطعن كان من المشركين وروي عنه أيضا أنه لما نزل قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء الآية قالت اليهود أي شيء يصنع بهذا الذباب والعنكبوت حتى يضرب الله
بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة إلى إنكار كونه من عند الله تعالى مع أنه لا يخفى على أحد ممن له مسكة أن ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن النكير
بل هو من أوضح أدلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وأن التمثيل كما لم يلبس إلا إبراز المعنى المقصود
في معرض الأمر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته
للعقل واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الأبية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه إلى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الأمثال
في الكتب الإلهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء ومن قضيته وجوب التماثل بين المثل والممثل به في عظم
الممثل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد شاع الإنجيل على الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء بإثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء أجمع
أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من بعوضة إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما
يعاب أو يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق نسي وحشي من النسا والحشا وشظي الفرس ونسي وحشي
إذا اعتلت تلك الأعضاء كأن من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وينتقص ويستحيي بمعناه خلا أنه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته
واستحييت منه والأول لا يتعدى إلا بحرف الجر وقد يحذف منه إحدى الياءين ومنه قوله ألا تستحيي منا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم
وقوله إذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد وإنه إذا أسند إليه سبحانه يراد به الترك اللازم كما في قوله صلى الله عليه وسلم إن الله
يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه وقوله عليه السلام إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا أراد
الترك اللازم على طريقة التمثيل حيث مثل تركه تعالى تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك ذلك حياء وكذلك إذا نفى
عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب وصف الحياء لا لحصول سلب المراد
توهم كون الإحجام من شأنه تعالى في الحكمة فالمراد هاهنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز إلى تعاضد الدواعي إلى ضربه
وما هو الباعث له إذ الإحجام إنما يتصور في الأفعال المقبولة للنفس المرضية عندها وتجويز أن يكون وروده على طريقة المشاكلة فإنهم كانوا
يقولون أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالأشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل
وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه لا صنعه وإنشاؤه في نفسه وإلا لكان إنشاء الأمثال البارزة في موارد ما ضربها دون استعمالها

بعد ذلك في مضاربها عين إنشائها في أنفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار الأول قطعا وهو إما
من ضرب الخاتم بجامع التطبيق كأن ضربه تطبيقه بعالمه كذلك استعمال الأمثال في مضاربها تطبيقها بها كما أن المضارب
وأن يضرب الأمثال على شاكلتها لكن لا بمعنى أنها تنشأ بحسبها بعدما لم تكن كذلك بل بمعنى أنها تورد منطبقة عليها سواء كان
إنشاؤها حينئذ كعامة الأمثال التنزيلية فإن مضاربها مواردها أو قبل ذلك كسائر الأمثال السائرة فإنها وإن كانت مصنوعة من قبل
إلا أن تطبيقها أي إيرادها منطبقة على مضاربها وجعلها ضربة لازب لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل أن يضرب على تعديه
بعديه يتعدى بنفسه النصب على المفعولية وأما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض بإضمار من وعند سيبويه النصب بإفضاء الفعل إليه
بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية إبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر إبهاما وشياعا كما في قولك أعطني كتابا ما كأنه
قيل مثلا ما من الأمثال أي مثل كان فهي صفة لما قبلها أو حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة
بدل من مثلا أو عطف بيان عند من يجوزه في النكرات أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه
معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوف الصدر كما في قوله
تعالى تماما على الذي أحسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحلها على الوجهين النصب على أنه بدل من مثلا
أو على أنها مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها إبهامية صفة لمثلا كذلك وأما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كأنه لما رد
استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة وأي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى أن يمثل بما هو أصغر منها وأحقر كجناحها على ما وقع في قوله
صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش **فما فوقها** عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه
المذكورة وما موصولة أو موصوفة صلتها أو صفتها الظرف وأما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الأولى على تقدير كونها موصولة أو موصوفة
وأما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها أعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها أو فشيء فوقها حتى لا يضرب
بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة أو زائدة وبعوضة خبر المضمر وذكر البعوضة فما فوقها من أفراد المثل إنما هو بطريق التمثيل
دون التعيين والتخصيص فلا يخل ما شرع له بل يقرره ويؤكده بطريق الأولوية والمراد بالفوقية إما الزيادة في المعنى الذي أريد بالتمثيل أعني
الصغر والحقارة وأما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ في الجثة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الأول يجوز أن يكون ما أتى
خاصة بها كالجناح والمعنى أن الله تعالى لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فأي شيء فوقها في الصغر والحقارة فإن له تعالى
أن يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الأمرين ما روي أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز
الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الألم كما
ما حكي من الخرور **فأما الذين آمنوا** شروع في تفصيل ما ترتب على ضرب المثل من الحكم إثر تحقيق حقيقة صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة
على ترتيب ما بعدها على ما دل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فأما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة لما لا يخفى من
السبب في تصدير الكلام بما من إحماد المؤمنين وذم الكفرة وأما حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن
من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الأقسام وقد يذكر جميعا وقد يقتصر على واحد
منها كما في قوله عز من قائل فأما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب لا محالة
وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوها الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط
لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما أن المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا كل من يتصف بالصلة ومن تحرزه لإخلال المعنى
أي فأما المؤمنون **فيعلمون أنه الحق من ربهم** كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل إلى
لا إثباته مطلقا واللام للدلالة على أنه مشهود له بالحقية أي أن له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع
حالا من الضمير المستكن في الحق أو من الضمير العائد إلى المثل أو إلى ضربه أي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميرهم لتشريفهم والإيذان بأن ضرب المثل تربية لهم وإرشاد إلى ما يوصلهم إلى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي العلم

عند الجمهور وسد مسد مفعوليه الأول والثاني محذوف عند الأخفش أي يعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية
اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للإشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهور المغني
عن الذكر **وأما الذين كفروا** مر تحقيق أقوالهم وأحوالهم **فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا** أو تقولون على الكون
حسبما يقتضيه ظاهر قرينه دالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي أمرهم في العتو فإن مجرد عدم العلم بحقيته ليس مما يوجب الإنكار والاستهزاء
صريحا ومسد مسد العناد ما نعى عليهم بضاعة الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنايعهم المترتبة على قولهم المذكور
على أن عدم العلم بحقيته لا يلائم حسبهم فإن منهم من يعلمها وإنما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الإذعان والقبول الشامل
للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقيل كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا
دليلا واضحا على جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فأين هو من الحق المبين وماذا ما يؤلفه من كلمة استفهام وبعده
مبتدأ وخبر وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالأحسن أن يجيء جوابه مرفوعا وأما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى أي شيء
فالأحسن في جوابه النصب والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه والقوة التي هي مبدؤه والأول مع الفعل والثاني
قبله وكلا المعنيين غير متصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في إرادته عز وجل فقيل إرادته تعالى لأفعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولأفعال غيره
أمره بها فلا تكون المعاصي بإرادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنه عبارة
عن ترجيح أحد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهي أعم من الاختيار فإنه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير
للمثل وإرذاله واسترذال ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة
في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بعدم ورعه جل وعلا [illegible] من الدناءة والحقارة
بحيث لا يليق بأن يتعلق به أمر من الأمور الداخلة تحت إرادته تعالى على استحالة أن يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز
من قائل **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي
كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية وإضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة
في الدلالة على تحققهما فإن إرادتهما دون وقوعهما بالفعل ومع ما فيه من علم الإضلال مع الهداية سلك للإرادة لانتهائهما
في تعلقها ليس كذلك فإن المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاستهداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون ونظائره وأما الإضلال فهو أمر عارض مترتب على سوء اختيارهم وإعراضهم عن الاستقبال إخبارا بالجحود والاستكبار
وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كأنه قيل إرادة إضلال كثير وهداية كثير وقدم الإضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال
الضالين فيما قبله ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمرا فظيعا يسوءهم ويفت في أعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفاتحة بالذكر
وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسق
وكثرة كل فريق إنما هي بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة أهل الهدى بالنسبة إلى أهل الضلال حسبما نطق به قوله
تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك وإن يعتبر كثرتهم الذاتية دون القلة الإضافية يتكمل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز أن يراد
في الأولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم
قل وإن كثروا وإسناد الإضلال أي خلق الضلال إليه سبحانه مبني على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وإن كانت أفعال العباد من حيث
الكسب مستندة إليهم وجعله من قبيل إسناد الفعل إلى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير
مع جواز الاكتفاء بالأول لزيادة تقرير التسبيب وتأكيدها **وما يضل به** أي بالمثل أو بضربه **إلا الفاسقين** عطف على ما قبله وتكملة
للجواب والرد وزيادة تعيين لمن أريد إضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له وإشارة إلى أن ذلك ليس إضلالا ابتدائيا بل هو
تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به إلا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت
الرطبة عن قشرها والفارة عن جحرها أي خرجت قال رؤبة يهوين في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة الخروج
عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الإصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الأولى التغابي وهو ارتكابها أحيانا مستقبحا إياها والثانية
الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه

بالتصديق الذي عليه يدور الإيمان ولقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا إلى أن الإيمان
عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده ولم يتيسر لهم إدخال الفاسق في أحدهما فجعلوه قسما
بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض أحكامه والمراد بالفاسقين العاتون الماردون في الكفر الخارجون
عن حدوده ممن حكى عنهم ما حكى من إنكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الإضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما أجري عليهم
من القبائح للإيذان بأن ذلك هو الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال فإن كفرهم وعدولهم عن الحق وإصرارهم على الباطل صرف
وجوه أنظارهم عن التدبر في حكمة المثل إلى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه وقالوا فيه ما قالوا
الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل
والغزل ونحوهما واستعماله في إبطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط أحد كلامي المتعاهدين بالآخر فإن أطلق مع
الحبل وأريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وإن قرن بالعهد كان رمزا إلى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وإن المذكور قد استعير له
كما يقال شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس منبها على أنه أسد في شجاعته وبحر في إفاضته والعهد الموثق يقال عهد إليه كذا
إذا أوصاه به ووثقه عليه والمراد هاهنا العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده تعالى ووحدته وصدق
رسوله عليه السلام وبه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو المعنى الظاهر منه أو المأخوذ من جهة الرسل على الأمم
بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه
قوله عز وجل وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الأول ما أخذه
على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته والثاني ما أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام بأن يقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الميثاق إما اسم لما تقع به الوثاقة
والإحكام وإما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الأول إن رجع الضمير إلى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام
وإن رجع إلى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وإنذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين أي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني
إن رجع الضمير إلى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد أن وثقوه بالقبول والالتزام أو من بعد أن وثقه الله عز وجل بإنزال
الكتب وإنذار الرسل وإن كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا إما بتوثيقهم إياه بالقبول أو بتوثيقه تعالى إياه بإنزال الكتب
وإنذار الرسل **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء
عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد
من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والأمر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الأمر
الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول بالمصدر فإنه مما يؤمر به كما يقال له شأن وهو الطلب والقصد لما أنه … وكذا يقال له
شيء وهو مصدر شاء لما أنه أثر المشيئة ومحل أن يوصل النصب على أنه بدل من الموصول أو من ضميره والثاني أولى لفظا ومعنى
ويفسدون في الأرض بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه **أولئك**
إشارة إلى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه إيذان بأنهم متميزون بها أكمل تميز منتظمون بسبب ذلك في سلك
الأمور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحياة الأبدية واستبدال الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء
والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** التفات إلى خطاب المذكورين مبني على إيراد ما عدد
من قبائحهم لزيادة السخط الموجب لمزيد التوبيخ والتقريع والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار الوقوع كما في قوله كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله بل بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الكفر
بأن يقال أتكفرون لأن كل موجود لا بد أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعا فإذا أنكر جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني وقوله عز وجل **وكنتم أمواتا** إلى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما فيها من الصوارف
العظيمة الداعية إلى الإيمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعما عامة ومن حيث إنها علم قدرته الباهرة كقوله تعالى وقد خلقكم أطوارا

على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الأخفش أي في أي حال أو على أي حال تكفرون به تعالى والحال أنكم كنتم أمواتا أي أجساما
لا حياة لها عناصر وأغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والأموات جمع ميت كالأقوال جمع قيل وإطلاقها على تلك الأجسام
باعتبار عدم الحياة مطلقا كما في قوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة فأحياكم بنفخ الأرواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب
فإن الإحياء حاصل إثر كونهم أمواتا وإن توارد عليهم في تلك الحال أطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما أشير إليه آنفا ثم يميتكم
أي عند انقضاء آجالكم وكون الإماتة من دلائل القدرة ظاهر وأما كونها من النعم فلكونها وسيلة إلى الحياة الثانية التي هي الحيوان والنعيم
المقيم والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة إلى زمان الإحياء دون زمان الحياة فإن زمان الإماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور
يوم ينفخ في الصور أو للسؤال في القبور وأياما كان فهو متراخ عن زمان الإماتة وإن كان آخر زمان الموت المستمر ثم إليه ترجعون
بعد الحشر لا إلى غيره فيجازيكم بأعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر أو إليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الأفعال وإن كان
بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يكاد يتسنى جعل شيء منها حالا منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كأنه قيل كيف تكفرون
بالله وأنتم عالمون بهذه الأحوال المانعة منه وما في التعجب من قوة الردع مع تحقق ما يعده أما بالنظر إلى ما ينكرونه من الإحياء الأخير والرجع فسلك
ما يعرفون من الإحياء الأول والإماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم بما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم به لكمال العقل في إزاحة العلل والأعذار
والحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الإنسان من الفضائل العقل والعلم والإيمان من حيث إنه كمالها وغايتها
والموت بإزائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها
وقال أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة
اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والأول هو الأليق بالمقام هو
الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا تقرير للإنكار وتأكيد له من حيثية المذكور من غير سياقه عن سبكه ما فيه مع اتحاد ما في المقصود
إياه لما بينهما من التفاوت فإن ما يتعلق بذواتهم من الإحياء والإماتة والحشر أدخل في الحث على الإيمان والكف عن الكفر مما يتعلق
بمعاشهم وما يجري مجراها وفي هو الضمير مبتدأ والموصول خبره من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح
لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق إليه كما سلف أي خلق لأجلكم جميع ما في الأرض من الموجودات لتنتفعوا بها
في أمور دنياكم بالذات أو بالواسطة وأمور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شأنه والاستشهاد بكل واحد
على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الأرض لا نفسها إلا أن يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم
يعم كل جزء من أجزائها فإنه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فإن كل
من أفراد ما في الأرض بل كل جزء من أجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور نظام
مصالح الناس أما من جهة المعاش فظاهر وأما من جهة الدين فلما أنه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر إلا وهو دليل
على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن لم يستدل به أحد بالفعل ثم استوى إلى السماء أي قصد
إليها بإرادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من إرادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها أو غير ذلك
مأخوذ من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر هنا إما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السماوات بين خلق
الأرض ودحوها عن الحسن خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان
وخلق منه السماوات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وإما لإظهار كمال العناية
بإبداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والأول هو الظاهر وكلمة ثم للإيذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات
لا للتراخي الزماني فإن تقدمه على خلق ما في الأرض المتأخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها وما روي
عن الحسن والمراد بالسماء إما الأجرام العلوية فإن القصد إليها بالإرادة لا يستدعي سابقة الوجود وإما جهات العلو فسواهن
أي أتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا أنه تعالى سواهن بعد أن لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء
من حسن الموقع وفيه إشارة إلى أن لا تعرض فيهن بالبروز والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الأول للسماء فإنها في معنى الجنس وقيل هي جمع
سماءة أو سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى سبع سماوات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الأول بدل من الضمير

وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الأرض مع كونه أقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما أن المنافع
المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإن كان في إبداع العلويات أيضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا
وما قالوا أو سيأتي في حم السجدة من زيادة تحقيق وتفصيل بإذن الله تعالى وهو بكل شيء عليم اعتراض مقرر لما قبله من خلق السماوات
والأرض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فإن علمه عز وجل بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها بارزها
وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي أن يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد وإذ قال ربك
بيان لأمر آخر من جنس الأمور المتقدمة المؤكدة للإنكار والاستبعاد فإن خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية
من جملة النعم الداعية لذريته إلى الشكر والإيمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض
جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للإيذان بأن فحوى الكلام
ليس مما يهتدي إليه بأدلة العقل كالأمور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل إنما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من الإنباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى وإذ ظرف موضوع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة أخرى مثلها كما أن إذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى مثلها ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل
وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الأمر بالذكر
إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما
وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا وقيل ليس منصوبا
على المفعولية بل على أنه ظرف لذكر الحادث فيه بحذف المظروف وإقامة الظرف مقامه وأياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام
كأنه قيل له عليه السلام غب ما أوحي إليه ما خوطب الكفرة به من الوحي الناطق بتفاصيل الأمور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم
هذه النعمة لينتبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه وأما ما قيل من أن المقدر هو اشكر النعمة في خلق السماوات والأرض إذ تدبر ذلك فغير سديد
ضرورة أن مقتضى المقام تذكير المخاطبين بما يوجب الشكر منهم على ما تقتضيه الآية لا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل منصوب بقوله تعالى قالوا أ
إذ يقتضي أن يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا إلخ بعده وقيل بمضمر دل عليه
مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم إذ قال إلخ ولا ريب في أنه لا فائدة في التقييد بالخلق في ذلك الوقت وقيل بخلقكم أو بأحياكم مضمرا
وفيه ما فيه وقيل إذ زائدة ويعزى ذلك إلى أبي عبيدة ومعمر وقيل إنه بمعنى قد واللام في قوله عز وجل للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور
في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار أصله الذي
هو ملأك على أن الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على أنه
مقلوب من ألك من الألوكة وهي الرسالة أي موضع الرسالة أو مرسل على أنه مصدر بمعنى المفعول فإنهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس
فهم رسله عز وجل أو بمنزلة رسله واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المتكلمين إلى أنها
أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك وذهب الحكماء إلى أنها جواهر مجردة مخالفة
للنفوس الناطقة في الحقيقة وأنها أكمل منها قوة وأكثر علما جارية منها مجرى الشمس من الأضواء منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة
الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء
إلى الأرض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس
الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان ونقل في شرح ... أنه عليه السلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك
ساجد أو راكع وروي أن بني آدم عشر الجن وهؤلاء عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين
وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا إلى السماء السابعة ثم كل أولئك في مقابلة ملائكة الكرسي
نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت
به السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل
بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل

والملائكة الذين هم جنود الله تعالى لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفية عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك
الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام الى اين يسيرون فقال جبريل لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم
منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم
قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس انهم المختارون
مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن حين كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا واخرجوهم
من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء
الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة
والتابعين انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة في حيز النصب على انه مقول قال واسم الفاعل
بمعنى المستقبل ولذلك عمل عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير
المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما
الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة ثم صار في الارض خليفة ثم جاعل في الارض خليفة معناه بعد دخول الجاعل
فاعل خليفة من المؤتلف وخليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك
ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن هو اي خليفة
مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة
واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما فانه حذف فيه المفعول
الاول من ضمير الاموال لدلالة الحال عليه كما في قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول
الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة هنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي
فهي المنحة لوعده في اثناء ذكره عليه السلام على ما استفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعله في الارض خليفة واما ان حمل على انه
لم يحذف شيء من ذلك بل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة قال العلامة الزمخشري
في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه
ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى بحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك
التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فلأن يكتفى ههنا بالحذف مع وجود قرينة ظاهرة اولى ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول
واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقدم كما مر خلا انه لا يكون حينئذ من الكلام الملقى الى الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه
روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد
به آدم وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما استغني عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش او من يخلف
او خلف يخلف معه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس
وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه
واما الخلافة ممن كان في الارض من قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة
حينئذ فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو اما من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول منهما
محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكر هناك لا تجعلنا على غرائك انا طال ما قد وشى بنا
الاعداء بحذف المفعول الثاني اي لا تجعلنا جارين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر

الحالة ان ظاهره دعوى خيريتهم منه بعض بطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منهم بالخلافة وهم مخلوقون بل بدار الخلف
لعمارة الارض ولا اصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من من شأن بني نوعه
الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه
غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بهرت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يرشدهم
ويزيح شبهتهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على
الله سبحانه ولا تشككا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان
يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى
حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ركز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر
ويسفك الدماء السفك والسبح والسكب والسباك انواع من الصب فالاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما
الا في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء
ويسفك من سفك وسفّك وقرئ يسفك على البناء للمفعول فحذف الراجع الى من موصولا او موصوفا اي يسفك الدماء فيهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها
غيره استخدم العصاة وانا مجتهد فيها كأنه قيل اتستخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا
والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيهم
من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراط سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير يحصل بذلك من علو
الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تبعيد الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا
عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى
من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما انعمت علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة
فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت
لله او للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقه محذوفا اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما
لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث
النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع قال استئناف كما سبق اني اعلم
ما لا تعلمون ليس المراد بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه
عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد
فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمون من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام
بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تحاشيا عن ذكر ايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة
وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة
وحكمة وان خفي عليهم وجه حسن الحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتماله على
الفعل للحكمة وذلك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن للحكمة ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هو امر راجع الى محض حكم
الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم
ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية وعلم آدم الاسماء كلها شروع في تفصيل ما جرى
بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا للابهام وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرى
بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل

كما أشير إليه وإيراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولأن ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو
اسم أعجمي والأقرب أن وزنه فاعل كشالخ وعازر وعابر وفالغ لا أفعل والتصدي لاشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من
أديم الأرض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت
ألوان ذريته أو من الأدم أو الأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس والاسم
باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء
كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا إما الأول أو الثاني
وهو مستلزم للأول إذ العلم بالألفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بعد تكلف غالبا
ولا يحصل ذلك بمجرد إفاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير الهدى وهو أكثر إشارة على الإعلام
ولا إنباء فإنهما إنما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر أحقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لأن جبلتهم غير مستعدة
للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبرا والمعنى تعليمه تعالى إياه أن خلق فيه إدراكا بموجب استعداده علما ضروريا بتفصيل أسماء
جميع المسميات وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها أو ألقى في روعه تفصيلا أن هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت إلى غير ذلك
من أحوال الموجودات فتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده وتستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى
وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه أسماء جميع الأشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وأنحى منفعة
كل شيء إلى جنسه وقيل أسماء ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك
أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول
العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن ثمة
جملة مطوية عطف عليها المذكور أي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه إلخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها بالأسماء
كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها أي عرض مسمياتهن أو مسمياتها أي
أنه تعالى عرضهم أمثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجا يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها فقال
أنبئوني بأسماء هؤلاء تبكيتا لهم وإظهارا لعجزهم عن إقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة بغير وقوف
على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه
وإيثاره على الإخبار للإيذان برفعة شأن الأسماء وعظم خطرها فإن النبأ إنما يطلق على الخبر الخطير والأمر العظيم إن كنتم صادقين
أي في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه باعتبار ما يلزمه
من الإخبار فإن أدنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على أسماء ما في الأرض وأما ما قيل من أن المعنى في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء
فليس مما يقتضيه المقام وأما أن المعنى إن كنتم صادقين في زعمكم أني أستخلف من غالب أمره الإفساد وسفك الدماء من غير أن يكون له مزية من جهة أخرى أو لا تعلق
له بأمرهم بالإنباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استئناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة
ما كلفوه أو لا فقيل قالوا سبحانك قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل إلا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وهو غير منصرف للعلمية والألف والنون
المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر وأما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ به فقيل صرفه للضرورة وقيل إنه مصدر منكر كغفران لا اسم علم ومعناه
على الأول سبحتك عما لا يليق بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها خلو أفعالك من الحكم والمصالح وعلى هذا فذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمأنينة
النفس والإيقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني من تسبيحك تسبيحا ناشئا عن ذلك ما أرادوا بقولهم
من أنفسهم لما علموا إجمالا بأنه عليه السلام تكلف ما كلفوه وأنه مستعد لما عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا لا علم لنا إلا ما علمتنا
اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه إذ معناه لا علم لنا إلا ما علمتنا حسبما تقتضيه قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا لما هو خارج عن دائرة
استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لأفضته علينا وما في ما علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها أو مصدرية وقد نفوا عنهم العلم بالأسماء
على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بأن قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه وأشعروا أن كونه من تلك الجملة غني عن البيان
إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا إشارة إلى تحققهم لقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون الحكيم أي المحكم لمبدعاته الفاعل لها حسبما

يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر أو صفة للأول وأنت ضمير الفصل لا محل له من الإعراب أو له محل مشارك لما قبله كما قاله الفراء
أو لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن وتلك الجملة تعليل
لما سبق من قصر علمهم على ما علمهم الله تعالى وما فهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكأنهم قالوا إنك العالم بكل المعلومات التي من جملتها
استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الأرض من أنواع المخلوقات التي عليها يدور
فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالأحكام
الواردة على ما في الأرض وبناء أمر الخلافة عليها قال استئناف كما سلف يا آدم أنبئهم أي أعلمهم أوثر على أخبرهم كما وقع في أمر الملائكة
مع حصول المراد معه أيضا وهو ظهور فضل آدم عليهم عليهم السلام إبانة لما بين الأمرين من التفاوت الجلي وإيذانا بأن علمه عليه السلام بها أمر
واضح غير محتاج إلى ما يجري مجرى الامتحان وأنه عليه السلام حقيق بأن يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها أيضا والهاء مكسورة
فيهما بأسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما أنبأهم بأسمائهم الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية
على محذوف يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام للإيذان بتقرره وغناه عن الذكر وللإشعار بتحققه في أسرع ما يكون كما في قوله عز وجل
فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وإظهار الأسماء في موقع الإضمار لإظهار كمال العناية بشأنها
والإيذان بأنه عليه السلام أنبأهم بها على وجه التفصيل دون الإجمال والمعنى فأنبأهم بأسمائهم مفصلة وبين لهم أحوال كل منهم وخواصه
عليه السلام ولم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الأسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك
من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما أنبأهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الإجمالي واستحضارا له
ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض لكن لا لتقريره فقط كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما
من بحسن دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور مصداقه وإيراد ما لا تعلمون بعنوان الغيب مضافا إلى السماوات والأرض
للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الإيذان بأن ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليهما السلام من الأمور المتعلقة بأهل السماوات
وأهل الأرض وهذا دليل واضح على أن المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما أشير إليه هناك كأنه قيل ألم أقل لكم إني أعلم فيه من دواعي الخلافة
ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة ألم أقل لكم لا على أعلم إذ هو
غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها أي أعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الأسلوب للإيذان باستمرار كتمهم
قيل المراد بما تبدون قولهم أتجعل إلخ وبما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم روي أنه تعالى
لما خلق آدم رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أكرم عليه منه وقيل هو ما أسره إبليس في نفسه من الكبر
وترك السجود فإسناد الكتمان حينئذ إلى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم قالوا في الآية الكريمة دلالة
على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط للخلافة وأن التعليم يصح إطلاقه على الله تعالى وإن لم يصح
إطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية إذ الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر
في إلقائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو إلا من الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا لزم
التكرار وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا إلا له
مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لأنه أعلم منهم وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها وإذ قلنا للملائكة
عطف على الظرف الأول منصوب بناصبه من المضمر أو بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة أي واذكر وقت قولنا
لهم وقيل بمضمر دل عليه الكلام أي أطاعوا وقت قولنا إلخ وقد عرفت ما في أمثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر إيراده
على نهج ما قبله من الأقوال المحكية المتصلة للإيذان بأن ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكر على حيالها والالتفات إلى التكلم
لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا إظهار الملائكة في موقع الإضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول
كما مر وقرئ بضم الملائكة إتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله إتباعا لكسر اللام وهي لغة
ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة وقيل أمروا بالسجود له عليه السلام على وجه
التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله وأداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شأنه وقيل أمروا بالسجود له تعالى وإنما كان آدم قبلة لسجودهم

تعظيماً لشأنه او سبباً لوجوبه فكأنه تعالى لما براه انموذجاً للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما
على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس
بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم
الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى
الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنياً مفرداً مغموراً بالوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء
واحد منهم او لان من الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم او لان الجن ايضاً كانوا مأمورين بالسجود له
لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقاً من الابلاس وهو اليأس قال انه لم ينصرف
حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة
طه من قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح
فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي وكذا ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا
واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه عليه فيهما
من الامر التعليقي بعد تحقق المعلق من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما ينفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح بلا تأخير ويأول
الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق اجمالاً فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز واما ما في سورة الاعراف
من كلمة ثم المنادية بتأخير ورود الامر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الامر التعليقي فلا اعتداد بحمل التراخي على الرتبي او التراخي
في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق لما كان في عدم ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث بعد تحققه فحكي
على صورة التنجيز ويؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه تعالى وبينهم عليهم السلام في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود
المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عياناً وهو امر
تأباه يقضي بنقضه العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه الى تأويل نفخ الروح بحمله على ما تم افاضة ما به حيوته الروحاني من جملتها تعليم الاسماء
تعسف في مضيق المحال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر
المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار
بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح
فقالوا عند ذلك فان الفاء الجزائية ليس منطوقها وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب
السعي عقيب النداء في قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان في قوله تعالى فاذا
اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي انما هي حمل الملائكة
عليهم السلام ليتدبروا في احواله ويحيطوا بما لديه خبراً ويستفهموا عما عسى يشتبه عليهم في امره عليه السلام لابتنائه على حكم ابيّة سرية
طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال عند ورود الامر التنجيزي ويحتم الامتثال وقد قالوا قبل ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر
التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي
عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما تقتضيه
المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل بوجوه ولكنه تعالى ثم ان مع عدم سبق معرفة الملائكة به
وحصول السجود مع انهم لم يرد بنقل ما هنالك ما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد ألقي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي
اجمالاً بان قيل مثلاً اني خالق بشراً من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعوا له ساجدين
فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او ألقي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل
هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه ما ذكروا فايده الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي
اعتناء بشأن المأمور به وتعييناً لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن اكتفاء بما ذكر في موطن آخر كما ترى في مواطن اخر والذي يحسم مادة

الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الى آخره بدل من قوله اذ يختصمون فما قبله من قوله تعالى ما كان
لي من علم بالملأ الاعلى الملائكة وآدم وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاول
الذي من جملته ما صدر عنه من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلاً من الامر
التعليقي وما لحق من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس وما بعده من لعنه واخراجه من بين
الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال اذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم
لما عرف من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء حينئذ فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود
حتماً باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر **ابى واستكبر** استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
وانه لم يكن للتردد والتأمل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسبباً عنه لظهوره
ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين
وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او كان صار من كفرة الجن فلما ارتكب ما ارتكب على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن
ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباحه امره تعالى اياه بالسجود لآدم
زعماً منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما ينفصح عنه قوله انا خير منه جواباً لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها واياً ما كان فالآية دالة على ان مخالفة الامر
والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى
بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء
بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه
بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا ادخل في تذكير النعم لتذكيره لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير
الكلام بالنداء في قوله تعالى **يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به
عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي
هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس
وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به
فألقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعاً من جانبه الايسر ووضع مكانه لحماً وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة فسألها
ما انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لانها من المرء
اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس قال بعث الله جنداً من الملائكة
فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة
والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم وحمل الاهباط
على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصراً لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة
رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل
انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل
ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميماً للتشريف
والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذاناً بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل
بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه **رغداً** صفة للمصدر المؤكد اي اكلاً واسعاً رافهاً **حيث شئتما** اي اي مكان اردتما
منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض
المواضع الجامعة للمأكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا تقربا** بفتح الراء من قرب الشيء

بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه
هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بالمشتق اي هذه الحاضرة من الشجر اي لا تاكلا منها وانما
النهي القربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنب او التين وقيل هي شجرة من اكل منها
احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وما تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء
فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب
لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله
فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما اي لغزتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى
فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الايات مشعرة بانه عليه السلام
لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قدر من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في انه كيف توصل اليهما
بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على جهة التكرمة كما يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء
لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخلت معهما وقيل ارسل
بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان
بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا
الخطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كله وقيل لهما وللحية وابليس على انه
اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو
حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو
اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق
به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين
هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي
مستحقين للاستقرار والتمتع او استئنافا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس
قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة
قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام
للتشريف والايذان بعلية ما ذكر لتلقي الكلمات المذكورة وانه عليه تقبلها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة
على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر
شان آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع
على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به
الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان
مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع
بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته
عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار النوع رأفة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق النير كيف لا
والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة

علق

والنجاة واما ما فيه من وعد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين
وقيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما
فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير
الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط
في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا فاما ياتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم
من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التوكيد وقيل معرب
مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب كما هو مبين في موضعه وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة
والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان
بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر
والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم
في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس
الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته
واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدى الذي هو الشريعة
ومما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا
باياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ذكر بعض ما كل الضلالة واظهار الكمال قبحهما وايراد
الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون
العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي الذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا
باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها
فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن
المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم
اي بجماعتهم قال برج بن مسهر الطائي خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها من اي لانها تبين أيا من اي او من
اوى اليه اي رجع واصلها اوية او ائية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ائية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا
للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وهو مبتدأ وقوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها
وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له
وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز
كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي
من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام
يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم
الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكيرهم بالنعم العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال
ربك للملائكة واذ قلنا للملائكة لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا اباكم خليفة في الارض واسجدنا له الملائكة

ى الـ

وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب
وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل بحذف الياء
واسرال بحذفهما واسرائل بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة
بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها
وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها ببالهم لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب
تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى
والشكر قيل اريد بها ما انعم به على ابائهم من النعم التى يستحى تفصيلها وعليهم من فنون النعم التى اجلها ادراك عصر النبى صلى الله عليه وسلم
وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتى باسكان الياء واسقاطها فى الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا
بعهدى بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف
الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعد
لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء
والاموال واخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم
واما ما روى عن ابن عباس اوفوا بعهدى فى اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم فى رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا
باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر
الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة او التكثير
واياى فارهبون فيما تأتون وتذرون خصوصا فى نقض العهد وهو اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير
المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية
متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف الا الله تعالى وامنوا بما انزلت افراد
الايمان بالقران بالامر به لانه العمدة القصوى فى شان الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التورية والتعبير عنها بذلك للايذان
بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما فى تضاعيفها المؤدى الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه
للتورية انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى
عن المعاصى والفواحش واما ما يرى من المخالفة لها فى بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليس بمخالفة حقيقية
بل هى موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع وليس فى التورية دلالة
على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها نسخها وانما دل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هى ناطقة
بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القران الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة فى الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعى وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضى الايمان بما يصدقه قطعا
ولا تكونوا اول كافر به اى لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من امن به لما انكم تعرفون شانه وحقيته بطريق التلقى
مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجئ فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب
عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر
خبرا عن ضمير الجمع كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم فى الكفر به مع ان مشركى العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق
به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر
بما يصدقه او مثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجى وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسى
او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتى اى لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هى الحظوظ

الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة
فى قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى
الذى هو العمدة فى عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التى حقها ان يتنافس
فيها المتنافسون بالباء التى تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة مقصدا واياى
فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الاية
الثانية فصلت بالرهبة التى هى من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم فيها بالرهبة المتناولة للفريقين
واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم فيها بالتقوى الذى هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط
وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالاخر ولا تجعلوا
الحق ملتبسا بسبب الباطل الذى تكتبونه فى تضاعيفه او تذكرونه فى تأويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهى كانهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو
للجمع اى لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون اى كاتمين وفيه اشعار
باستقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبى صلى الله عليه وسلم الذى
كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجئ فى قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهى عنه اذ فى التصريح باسم الحق كسر
فى ضمره وانتم تعلمون اى حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او انتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس المراد الحال
لتقييد النهى كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل زيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
اى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا
مع الراكعين اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فى المناجاة
وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشرع قال الاضبط بن قريع السعدى
لا تهين الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخير ولذلك
قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم اى تتركونها من البر
كالمنسيات عن ابن عباس انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا
فى الهدايا والصلات التى كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى انهم كانوا يأمرون الناس
بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هى الجملة
المعطوفة دون ما عطفت هى عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اى والحال انكم تتلون التورية
الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الامرة بالايمان او بالوعيد بفعل الخير والوعيد على الفساد وترك البر ومخالفة القول والعمل
افلا تعقلون اى سوء صنيعكم او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة
من حيث الكيف او الا تتأملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل فى الاصل المنع والامساك
ومنه العقال الذى يشد به وظيف البعير الى ذراعه ليحبسه عن الحركة سمى به النور الروحانى الذى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية
لانه يحبسه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل
بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فيقيم غيره لا منع الفاسق
عن الوعظ روى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة
تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما
على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت لتهدى الانام ولا تهتدى الا ان ذلك لا ينفع
فاجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله سبحانه

واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك
والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر
الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب
ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة
بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد بالقلب انما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم
بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه السلام
وقرة عيني في الصلوة والجملة حالية او اعتراض ثم بين الخاشعين بقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون
لقاءه ونيل ما عنده من المثوبات وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون
انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون
العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فثقلت عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض لعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية
للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع
قال فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وجعل خبر ان في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع البتة
عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتاكيد وليربطه بما بعده من الوعيد الشديد واني فضلتكم
عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان
والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا
واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصاب
شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزي اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية
وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد فيها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف
قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول ثم حذف كما حذف في قول من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد
ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع
كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سميت به الفدية لانها تساوي المفدى
وتجري مجراه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع
الضرر كانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني
اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي
عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة
والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم
من ال فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمله في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء اي واذكروا وقت
تنجيتنا اباءكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار
كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك
ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد

وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر
فرأى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخة بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى
حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ واحدة بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة فقبضها بدرهم ومضى لوجهه
ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض
لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر
مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك
هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك هذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك
فانبهك على اختلال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا
كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل
والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة
سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه فانه قبيح
بالاضافة الى سائره والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او اخبره الكهنة انه
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا فقتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود او سبعين الفا
وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت
معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى
قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان
للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه تعالى محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار
لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم
من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما جميعا عظيم صفة بلاء وتنكيرهما للتفخيم
وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار واذ
فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر ذكرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى
هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه
وبعضه حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل
كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا ال فرعون اريد به
فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر
الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق
بعض اصحابنا فلا نعلمه ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فراه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم
ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها
على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها
بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون

وما ذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها
بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان
لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ ووعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها معبودا وثم للتراخي الرتبي
من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال
من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي انتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما
قال عفت المنزل الخالي عفى من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي
هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون كي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته
الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون كي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع
العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئا
من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما بطريق التفصي كما في برئ
المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية
منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة
وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع
او قطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر
على المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون
عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة
الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم
عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع
على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق للاحياء بقبول
التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان
ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام
لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عليه السلام
قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك
النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل
دعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التوراة او تكليمه اياه او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة
اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان
الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء
على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل اي جاهرين والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل
روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى ان يجمع سبعين رجلا ويحضر
معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يأمره وينهاه وكان
كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا
ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب

المستحيل

المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام وتعلق الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز
ولا ريب في استحالته انما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء
الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كأنهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال
في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا
بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك
بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى موتا بل غشية لقوله تعالى
فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او باثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة قيد البعث لما انه قد يكون
من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى
وظللنا عليكم الغمام اي جعلناه بحيث يلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود
من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني وقيل كان ينزل عليهم المن
والسلوى مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة
القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى
وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم
على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة
وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي
وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير
لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية
منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا
اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول
الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا
في زمن موسى عليه السلام كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في زمن موسى
سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة
من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه
امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء
على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان
وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان
المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار
بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة
حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم
وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل انما وضع الموصول
موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم
المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق
وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء

والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي أنه مات به في ساعة
واحدة أربعة وعشرون ألفا وإذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة أخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم
العطش الشديد وتغيير الترتيب لما أشير إليه مرارا من قصد إبراز كل من الأمور المعدودة في معرض أمر مستقل واجب التذكير
والتذكر ولو روعي الترتيب لتوهم أن الكل أمر واحد أمر بتذكره واللام متعلقة بالفعل أي استسقى لأجل قومه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر روي أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث أعين يسيل كل عين في جدول
إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا أو كان حجرا أهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع إلى شعيب
عليه السلام فأعطاه موسى مع العصا أو كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الأدرة
فأشار إليه جبريل عليه السلام أن احمله أو كان حجرا من الحجارة وهو الأظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا
كيف لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه بها إذا ارتحل فييبس فقالوا إن فقد
موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى إليه أن لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا
عشرة أذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر يستدعيه الكلام
قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب أي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
وأما تعلق الفاء بمحذوف أي فإن ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على أحد وقرئ عشرة بكسر الشين
وفتحها وهما أيضا لغتان قد علم كل أناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على إرادة القول
من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لأنه يؤكل مما ينبت من الزرع والثمار ويأباه أن المأمور
أكل النعم العتيدة لا ما سيطلبونه وإضافته إليه تعالى مع إسناد كل الرزق إليه خلقا وملكا للتشريف وإما لظهوره بغير سبب عادي
وإنما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا إيذانا بأن الأمر بالأكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام
ولا تعثوا في الأرض العثي أشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل إنما قيده لأن العثي
في الأصل مطلق التعدي وإن غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح
راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا أنه غالب فيما يدرك حسا وإذ قلتم تذكير لجناية أخرى
لأسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلادهم إلى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة وإسناد القول المحكي إلى أخلافهم وتوجيه
التوبيخ إليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة
ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها إذ يأباه التعرض للوحدة بل أرادوا أن يكون هذا تارة وذاك أخرى روي أنهم كانوا
فلاحين فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها واطرادها وتاقت أنفسهم إلى الشقاء فادع لنا ربك
أي سله لأجلنا بدعائك إياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الإجابة يخرج لنا
أي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الأمر مما تنبت الأرض إسناد مجازي بإقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي
في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال أي كائنا من بقلها الخ وقيل بدل بإعادة
الجار والبقل ما ينبت في الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم
وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال أي الله تعالى أو موسى عليه السلام إنكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر
كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال أتستبدلون أي أتأخذون لأنفسكم وتختارون الذي هو أدنى أي أقرب منزلة وأدون
قدرا وسهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه ما لا يزداد قليل النفعة وأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ أدنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على أن ألفها مبدلة من الهمزة بالذي
هو خير أي بمقابلة ما هو خير فإن الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالإيمان
وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وليس فيه دلالة قطعا على أنهم أرادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانهما
لتحقق الاستبدال فيما هو من صورة المناوبة اهبطوا مصرا أمروا به بيانا لدناءة ما طلبوه وإسعافا لمرامهم أي انحدروا إليه من التيه

يقال هبط الوادي وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أريد به العلم وإنما صرف لسكون وسطه أو لتأويله
بالبلد دون المدينة ويؤيده أنه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل أصله مصراييم فعرب فإن لكم ما سألتم
تعليل للأمر بالهبوط أي فإن لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الأشياء المسؤولة بما للاستهجان بذكرها كأنه قيل فإنه كثير فيه مبتذل
يناله كل أحد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة أي جعلتا محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقتا بهم
وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الأمر
أذلاء مساكين إما على الحقيقة وإما لخوف أن تضاعف جزيتهم وباءوا أي رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله
متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي بغضب كائن من الله تعالى أو صاروا
أحقاء به من قولهم باء فلان بفلان أي صار حقيقا بأن يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب وأصل البوء المساواة
ذلك إشارة إلى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بأنهم بسبب أنهم كانوا يكفرون على الاستمرار
بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق
كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن قتل الأنبياء يستحيل أن يكون بحق الإيذان بأن ذلك عندهم أيضا بغير الحق
إذ لم يكن أحد معتقدا لحقية قتل أحد منهم عليهم السلام وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح
عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي جرهم العصيان والتمادي في العدوان إلى ما ذكر من الكفر وقتل الأنبياء عليهم السلام
فإن صغار الذنوب إذا دووم عليها أدت إلى كبارها وقيل كما أن مداومة صغار الطاعات مؤدية إلى تحري كبارها وقيل كررت
الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما أنه بسبب الكفر والقتل والباء بمعنى مع وجواز الإشارة إلى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر أو تقدم
كما في قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق أي كأن ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات
والمبهمات أن تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين إن الذين آمنوا أي بألسنتهم فقط وهم المنافقون
بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم
نفعا أصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا أي تهودوا من هاد إذا دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب
سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة وإما معرب يهوذا كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب
عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري
سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها أو نسبوا إليها والياء للنسبة وقيل
واحد النصارى نصري كمهري ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو إن كان عربيا فمن صبأ إذا خرج من دين إلى آخر وقرئ بالياء إما للتخفيف وإما لأنه من صبا إذا مال
لأنهم مالوا من سائر الأديان إلى ما هم فيه أو من الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر أي من أحدث من هذه الطوائف
إيمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق وعمل صالحا حسبما يقتضيه الإيمان فلهم بمقابلة ذلك
أجرهم الموعود لهم عند ربهم أي مالك أمرهم ومبلغهم إلى كمالهم اللائق فمن إما في محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم أجرهم والفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما أن إفراد
ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر إن والعائد إلى اسمها محذوف أي من آمن منهم وإما في محل النصب على البدلية من اسم إن وما عطف
عليه فخبرها فلهم أجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي إضافته إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد لطف بهم وإيذان بأن أجرهم متيقن
الثبوت مأمون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم أجرهم أي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون
حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما
مر أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الإسلام
المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالإيمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الإطلاق سواء كان ذلك
بطريق الثبات والدوام عليه كإيمان المخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كإيمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة

التعيم للمخلصين مزيد ترغيب للباقين في الإيمان وبيان أن تأخيرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم أسوة لأولئك الأقدمين
في استحقاق الأجر وما يتبعه من الأمن الدائم وأما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ معتقدا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل إليه أصلا لأن مقتضى المقام هو الترغيب في دين الإسلام وأما بيان حال من مضى على دين آخر
قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على أن المنافقين
والصابئين لا يتسنى فيهم ما ذكر أما المنافقون فإن كانوا من أهل الشرك فلا أمر بين وإن كانوا من أهل الكتاب فمن مضى منهم
قبل النسخ ليسوا منافقين وأما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الأوقات ولو سلم أنه كان لهم دين سماوي
ثم خرجوا عنه فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن إرجاع الضمير الرابط بين اسم إن وخبرها إليهم
أو إلى المنافقين وارتكاب إرجاعه إلى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا إلى كل واحدة منها قصدا إلى درج الفريق المذكور فيه
ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا إلى كل واحدة منها قصدا
إلى درج الفريق المذكور فيه ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود
والنصارى وإن لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله على أن المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم إن
ليس لهم في حيز خبرها عين ولا أثر فتأمل وكن على الحق المبين وإذ أخذنا ميثاقكم تذكير لجناية أخرى لأسلافهم أي اذكروا وقت
أخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور عطف على أخذنا أو حال أي وقد رفعنا فوقكم الطور عطف على أخذنا
أو حال أي وقد رفعنا فوقكم الطور كأنه ظلة روي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم فأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه أي احفظوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا
المعاصي أو لتنجوا من الهلاك في الدارين أو رجاء منكم أن تنتظموا في سلك المتقين أو طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم أي أعرضتم
عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد أخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد
صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه لكنتم من الخاسرين أي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي
الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله عليكم بالإمهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهذا الأنسب بما بعده وكلمة لولا إما بسيطة أو مركبة
من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما أن لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه
مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف أي لولا ثبت
فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم أي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي أنهم أمروا بأن يتمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا
لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه أناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها أيلة
فإذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت إلا برز وأخرج خرطومه فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا إليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم
بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على أن خاسئين نعت
لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لأنه في معنى ممسوخين وقال مجاهد
ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا والمراد بالأمر بيان سرعة التكوين وأنهم صاروا
كذلك كما أراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها أي المسخة والعقوبة نكالا عبرة
تنكل المعتبر بها أي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذكرت حالهم في زبر
الأولين واشتهرت قصصهم في الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لأهل تلك القرية وما حواليها
أو لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم أو لكل متق سمعها وإذ قال موسى لقومه توبيخ
آخر لأخلاف بني إسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن أسلافهم أي واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لأجدادكم
إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وسببه أنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة

ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى ويخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق
إليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا إلى الامتثال أو لا فقيل قالوا أتتخذنا هزوا بضم الزاي وقلب الهمزة واوا وقرئ
بالهمز مع الضم والسكون أي أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو مهزوا بنا أو الهزؤ نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال
استئناف كما سبق أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لأن الهزؤ في أثناء تبليغ أمر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام
ما توهموه من قبله على أبلغ وجه وآكده بإخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما أقدموا
عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا
ادع لنا أي لأجلنا ربك يبين لنا ما هي ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين أي يبين لنا جواب هذا السؤال
وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع أسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فإن ما وإن شاعت في طلب مفهوم
الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب أو عالم كأن حقه أن يستفهم بأي لكنهم
لما رأوا ما أمروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس أخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله مغايرة قال أي موسى عليه السلام بعدما دعا
ربه عز وجل بالبيان وأتاه الوحي إنه تعالى يقول إنها أي البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا مسنة ولا فتية
يقال فرضت البقرة فروضا أي أسنت من الفرض بمعنى القطع كأنها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة
عوان أي نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال مثل أعناق الهوادي نواعم بين أبكار وعون بين لاختصاصه بالإضافة إلى المتعدد فافعلوا
أمر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فإن حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالأفعال المتعدية إلى مفعولين وهذا الأمر منه عليه السلام
لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وزادوا قالوا استئناف كما مر كأنه قيل ماذا صنعوا
بعد هذا البيان والأمر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى تتبين لنا البقرة المأمور بها
قال أي موسى عليه السلام بعد المناجاة إلى الله تعالى ومجيء البيان إنه تعالى يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها
إسناد البيان في كل مرة إلى الله عز وجل لإظهار كمال المساعدة في إجابة مسؤولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك تؤكد به فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وأحمر قان وفي إسناده
إلى اللون مع كونه من أحوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده
وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما أنها من مقدماته
وإما لأن سواد الإبل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب
عند حصول نفع أو توقعه من السر وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استئناف كنظائره ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كأنهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الأوصاف
المذكورة والأحوال المشروحة في أثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم إن البقر تشابه علينا يعنون أن البقر الموصوف بالأوصاف المعدودة
يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها إلى تعيين ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا إن البقرة تشابهت إذ ما بين البقرة
المعدودة ليست مختصة بالمأمور بها بل صادقة على أفراد الجنس وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والأباقر والبواقر وبه
بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء والإدغام على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه
بالتذكير ومتشابه ومتشبهة ومتشبه والمراد على أنها من بعض ما عداها في الجملة وما بقي اشتباه يشرف
الزوال كما ينبئ عنه قولهم وإنا إن شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التأكيد أي لمهتدون بما سألنا من البيان إلى المأمور
بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث أي
لم تذلل بالكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أي حيث هو وقرئ تسقي من أسقى مسلمة
أي سلمها الله تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لونها من سلم له كذا إذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها

أي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر قالوا عند ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلا بخلاف المرتين الأوليين فإن ما جئت فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ... في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الأخيرة والأظهر أنهم عرفوا اختصاص النعوت الأخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت أي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا أي فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه أو اعتراض تذييلي وماله استثقال استقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط إسهابهم فيها قيل مضى من أول الأمر إلى الامتثال أربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشب وكبر العجل فكانت من أحسن البقر وأسمنها فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت تختص بالصفات المذكورة وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم أنه لا خلاف في أن مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وأن الامتثال في آخر الأمر إنما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لما خرجوا عن عهدة الأمر لكن اختلف في أن المراد بالمأمور به أولا شيء مبهم أو المعينة وتأخر البيان عن وقت الخطاب أو المبهم ولحقها التغير إلى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم إلى الأول تمسكا بأن الضمائر في الأجوبة أعني إنها بقرة للمعينة قطعا ومن قضيته أن يكون في السؤال أيضا كذلك لا ريب في أن السؤال إنما هو عن البقرة المأمور بذبحها فتكون هي المعينة ومدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة ... ما عدا الجنس من الصفات الخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر إلى المعينة بحسب اعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وإن لم يكن المراد من أول الأمر هي المعينة والحق أنها كانت في أول الأمر مبهمة بحيث لو ذبحوا أية بقرة كانت لحصل الامتثال لا لأنه ظاهر النظم الكريم وتكرار الأمر قبل بيان اللون وما بعده من غير نهي ... إلى آخره وقد قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وروي مثله عن سيد المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الأول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادات فإن الامتثال بالأمر بدون الوقوف على المأمور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال وإذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناد الفعل والتدارؤ إليهم لما مر من نسبة جنايات الأسلاف إلى الأخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالإسناد دون ما مر من جناياتهم لظهور قبح الفعل وإسناده إلى العشرة أو كرره وقت بحكم نفسا محرمة فادارأتم فيها أي تخاصمتم في شأنها أو كل واحد من الخصماء يدفع الآخر أو تدافعتم بأن طرح كل واحد قتلها إلى آخر وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون أي مظهر لما كتمتموه لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وإنما عمل مخرج لأنه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار أنها عبارة عن الرجل أو بتأويل الشخص أو القتيل ببعضها أي ببعض البقرة أي بعض كان وقيل بأصغرها وقيل بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بذنبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهو أول ما يخلق وتأنيث الضمير الراجع إلى البقرة كأنه قيل وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا البقرة فاضربوه ببعضها وإنما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فإن كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على أمره وترك المسارعة إلى الامتثال جناية عظيمة حقيقة بأن ينعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصها من التوبيخ وإنما حكى الأمر بالذبح عن موسى عليه السلام مع أنه من الله عز وجل كالأمر بالضرب لما أن جناياتهم كانت بمراجعتهم إليه عليه السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيي الله الموتى على إرادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فضربوه فحيي وقلنا كذلك إلى آخره فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك حينئذ إما

للحاضرين عند حياة القتيل ويجوز أن يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ إلى تقدير القول بل ينتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة أي مثل ذلك الإحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير ويجوز أن يراد بالآيات هذا الإحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت وإخباره بقاتله وما يلابسه من الأمور الخارقة للعادة لعلكم تعقلون أي لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعملوا على قضيته ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الإحياء مع ظهور كمال قدرته على إحيائه ابتداء بلا واسطة أصلا اشتماله على التقرب إلى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الأولاد ونفع بر الوالدين وأن من حق الطالب أن يقدم قربة ومن حق المتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وأن المؤثر هو الله تعالى وإنما الأسباب أمارات لا تأثير لها وأن من رام أن يعرف أعدى عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائعة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما ينكشف به الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعير لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وإيراد الفعل المفيد لحدوث القسوة مع أن قلوبهم لم تزل قاسية لما أن المراد بيان بلوغهم إلى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة وإما لأن الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه أمر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك إشارة إلى ذكر من إحياء القتيل أو إلى جميع ما عد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق أي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطب إما بتأويل الفريق أو لأن المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة أو أشد منها قسوة أي هي في القسوة مثل الحجارة أو زائدة عليها فيها أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وإيراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء إما لتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة وتفريع التشبيه على وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد وإما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وإنما لم يقل أقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه لأمن اللبس وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار بيان لأشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني أن الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وإن منها لما يشقق أي يتشقق فيخرج منه الماء أي العيون وإن منها لما يهبط من خشية الله أي يتردى من الأعلى إلى الأسفل بمقتضى ما أودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي إلى المركز وهو مجاز عن الانقياد لأمره تعالى والمعنى أن الحجارة ليس منها فرد إلا وهو منقاد لأمره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فيكون أشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم إن لتقدم الخبر وقرئ إن على أنها مخففة من المثقلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قبائح الأعمال والعقود أو ما يترتب عليها من الأعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات وقوله تعالى أفتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود إثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده كما في قولك أتضرب أباك لا لإنكار الوقوع كما في قوله أأضرب أبي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام وإما على قصد توجيه الإنكار إلى المعطوف معا كما في أفلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا أي لا تنظرون فلا تبصرون

فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم
فتطمعون والمعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة
لا يتأتى من اخلافهم الا ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا اي في ايمانهم ومحلها بعد الحذف النصب او الجر على
المذهبين واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذنه تعالى وقد كان
فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله يسمعون
كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله
تعالى وهم لكم عدو بعد قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين
المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه
لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه
اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون
كما سمعوه وقالت طائفة منهم سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
فلا بأس ثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء
اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره
وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على الحكاية
على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التوراة
وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتبديلها اكثر لا سيما
رؤساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون
في ان يؤمن هؤلاء باخباركم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة
ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستحيون له مشاهدا من مشاهدها في اشاركم على الله من الفخامة والجلالة وقوله عز وجل
وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه
او على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا
جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق
بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل
تحريا لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة لقوا الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي اللاقون
لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد
القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت
النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي واذا خلا بعضهم
اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم
وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه اذ الخلو انما يكون
بعد الاشتغال ولان عتابهم متعلق بمحض التحدث ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان
فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون
المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه
بالفتح للايذان بانه سر مكتوم وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة التصلب في

دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم متعلقة بالتحدث دون الفتح
والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحدث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحدث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد
يصدر عن عاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا
له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله
كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا
والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اكثر فيجوز
ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحدث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده
الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه
الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او تفعلون ذلك
فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجوا الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل هذا واما جعله من خطاب الله سبحانه
للمؤمنين متصلا بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه الى آخره
تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ايراد خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب
بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ
كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحدث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون
اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الى النبي صلى الله عليه وسلم
فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن هنا تبين ان المحذور
عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا بالتحدث حتى تندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط
او لهم وللموبخين او لابائهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم
ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما
في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى
لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه
الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل تعلق
المحاسبة بالامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن
الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم
اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها
في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون النساء بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه عليها من الخلو عن الكتابة والعلم وقيل
الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي الى العامة وقد روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم
نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس
والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطائفة السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة
الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل
بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق او النهي عن اظهار ما في الكتاب
قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة
فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم الكريم وسياقه الا اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية واصلها امنوية

التوراة

أفعولة من منى بمعنى قدر أو بمعنى تمنى كما في قوله تمنى كتاب الله أول ليله فأعل إعلال سيد وميت ومعناها على الأول
ما يقدره الإنسان في نفسه ويمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع أي ليس لهم ما يتمنى وما يتلى من
علم الكتاب أي لا يعلمون الكتاب لكن يعتقدون أماني حسبما منتهم أحبارهم من أن الله سبحانه يعفو عنهم وأن آباءهم الأنبياء
يشفعون لهم وغير ذلك من أمانيهم الفارغة المستندة إلى الكتاب على زعمهم أو ما بينهم أو لا يعلمون الكتاب لكن يتلقون ما يتلى
عليهم فيقبلونه من غير أن يتمكنوا من التدبر فيه وأما حمل الأماني على الأكاذيب المختلقة على الإطلاق من غير أن يكون لها ما يناسب الكتاب
فلا يساعده النظم الكريم وإن هم إلا يظنون ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم
فأنى يرجى منهم الإيمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في مسلكهم بحبال الأماني واتباع الظن عقب ببيان حال
الذين أوقعوهم في مهاوي الردى وكشف كيفية إضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة حيث على وجه الدعاء عليهم فويل
هو وأمثاله من ويح وويس وويب وويك من المصادر المنصوبة بأفعال من غير لفظها لا يجوز إظهارها ألبتة فإن صح
نصب نحو ويلك وويحك إذا فصل عن الإضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر كما قاله الأصمعي وقال الخليل الويل التفجع والويح
الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن أشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك
المعنى أو بينها فرق وقيل ومن هو الدعاء عليه وقع ما بعده في المترجم عليه قال ابن عباس الويل العذاب الأليم وعن سفيان الثوري
أنه صديد أهل جهنم وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا
قبل أن يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب إنه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح
ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي أنه باب من أبواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا للذين يكتبون
الكتاب أي المحرف أو ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
أي حينئذ على الأول وبخصوصه على الثاني هذا من عند الله روي أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم حين قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق أسافل اليهود عن الإيمان فعمدوا إلى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة
وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم
عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وهم للتراخي الرتبي فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ
إلى الله سبحانه صريحا أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل ليشتروا به أي يأخذوا لأنفسهم بمقابلته ثمنا هو ما
أخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وإنما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي
هو وسيلة فيه إيذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو الوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فإن ذلك وإن جل في نفسه فهو قليل عند ما استوجبوه من العذاب
فويل لهم تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت أيديهم بعد الإشعار به فيما سلف بإيراده في حيز الصلة وبعنه
في معرض الوصف والفاء للإيذان بترتبه عليه مما كتبت أيديهم تعليلية متعلقة بويل أو بالاستقرار في الخبر وما
موصولة اسمية والعائد محذوف أي كتبته أو مصدرية والأول أدخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف وويل
لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد والقصد إلى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض
لقولهم هذا من عند الله لما أنه من مبادي ترويج ما كتبت أيديهم فهو داخل في التعليل وقالوا بيان لبعض آخر من جناياتهم وصلة
عما قبله بشر كونه من الأكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب لن تمسنا النار في الآخرة إلا أياما معدودة
قليلة محصورة عدد أيام عبادتهم العجل أربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الأصم عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم
العجل سبعة وروي عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا
وروى الضحاك عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود زعمت أنهم وجدوا في التوراة أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة
الزقوم وأنهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها قل تبكيتا لهم وتوبيخا أتخذتم بإسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج
وإظهار الذال وقرئ بإدغامها في التاء عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون فإن ما تدعونه لا يكون إلا بناء على وعد قوي
ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان أقصى ما يراد
بنا

ثم القفول فقد جئنا خراسانا أي إن كان الأمر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم
فإن عدم الإخلاف من قضية الألوهية وإظهار العهد مضافا إلى ضميره عز وجل لما ذكر أو لأن المراد به جميع عهوده لعمومه بالإضافة
فيدخل فيه العهد المعهود دخولا أوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وإن كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا
أعني اتخاذ العهد أم تقولون مفترين على الله ما لا تعلمون وقوعه وإنما علق التوبيخ بإسنادهم إليه سبحانه
ما لا يعلمون وقوعه مع أن ما أسندوه إليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والنكير
فإن التوبيخ على الأدنى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى وقولهم المحكي وإن لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له
لأن ذلك الجزم لا يكون إلا بإسناد سببه إليه تعالى وأم إما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي إلى التبكيت لتحقق العلم بالشق الآخر
كأنه قيل أم لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى وإما منقطعة والاستفهام لإنكار الاتخاذ ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال
من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهد إلى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا آلله أذن لكم أم على الله
تفترون بلى إيجاب عن قولهم المحكي وإبطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر
الكفرة بعد إظهار كذبهم إجمالا وتفويض ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما أن المحاجة والإلزام من وظائفه عليه السلام مع ما
من الإشعار بأنه أمر بين لا يتوقف على الوحي وبلى حرف إيجاب مختص بجواب النفي خبرا أو استفهاما من كسب سيئة
فاحشة من السيئات أي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب
أليم وأحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه إلا وقد اشتملت واستولت عليه
خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الإضافة إليه وهذا إنما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف
بالكفر حسبما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وابن جرير عن أبي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء
والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما أن الأولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد
بالعرض لأنها من الخطأ وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك إيذان بكثرة فنون
كفرهم فأولئك أصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وإيراد اسم الإشارة المنبئ عن استحضار
المشار إليه بما له من الأوصاف للإشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وإنما أشير إليهم بعنوان الجمعية
مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما أن ذلك هو المناسب لما أسند إليهم في تينك
الحالتين فإن كسب السيئة وإحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع أي أولئك الموصوفون
بما ذكر من كسب السيئات وإحاطة خطاياهم بهم أصحاب النار أي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يوجبها
من الأسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وإنما لم يخص الجواب بهم
بأن يقال مثلا بلى إنهم أصحاب النار لما في التعميم من التهويل ببيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما فيه من قصد الإشعار بالتعليل
هم فيها خالدون دائما أبدا فأنى لهم التقصي عنها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة
لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة إلى حمل الخلود على اللبث الطويل على أن فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الإلهية على شفع الوعيد بالوعد مراعاة
لما تقتضيه الحكمة في إرشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والإنذار أخرى وإذ أخذنا ميثاق
بني إسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود مما ينادي بعدم إيمان أخلافهم وكلمة إذ نصب بإضمار فعل خوطب
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع عن إيمانهم أو اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا
لهم بسوء صنيع أسلافهم أي اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم لا تعبدون إلا الله على إرادة القول أي وقلنا أو قائلين لا تعبدون
وهو إخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب إلى فلان وتقول له كيت وكيت وهو أبلغ من صريح
النهي لما فيه من إيهام أن المنهي حقه أن يسارع إلى الانتهاء عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف
قولوا عليه وقيل تقديره أن لا تعبدوا إلى آخره فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد

للذات مع انه مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فلمن به لا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل
المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اي وتحسنون
او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم ومسكين
مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحركة واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا
للمبالغة وقرئ كذلك حسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا
التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة
لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت عليهم وان جعل خطابا لليهود
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف
منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف
من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية
اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض
واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بموجب الميثاق المأخوذ
منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على سبيل الامر فان
المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية
وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي عدل اليه لما ذكر من نكتة
المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم
واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل
على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ
به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين
من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة
ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فمحتمل للوجهين مفاد الاول كون
المسفوك دماء اخوانه المخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة
فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا
تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا
يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم
تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل انتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما
كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة
اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الاتية فان قوله تعالى
تقتلون انفسكم الى آخره بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون
انفسكم اي الذين تجري منكم مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين
والمضاف محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والافراد لمكان فريق المقيد (?)
والمخرجين وذلك العنوان الذي عليه يدور ركن المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه لا بعنوان كمال قباحة حالهم في نقضه
من ديارهم التصريح به مع اسناد العقبة (?) مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما في الميثاق للاحتراز

عن

عن توهم كون المراد اخراجهم عن ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول
والجملة بعده صلته والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف احدى التائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون
بطرح احدى التائين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية
الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق
بتظاهرون حال من فاعله اي ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينفر عنه النفس ولا يطمئن اليه
القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر
اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم
من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا
ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس
والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم
واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم
عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم خبره وفيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان
وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما معا بعد اعتبار التقييد بالحال
السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة
خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث
لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة
مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها
افتؤمنون ببعض الكتاب اي التورية التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
المقام اي تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع
ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض حسبما يفيده
ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما وادنى ذلك ههنا باعتبار
الانكار والتوبيخ عليه هو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب
وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال اتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او باعتبار
فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية ومن ان جعلت ذلك موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه
صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى ومنكم
حال من فاعل يفعل الا خزي استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة
واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحاء من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن
في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات
ايمانهم ببعض الكتاب والاظهار ان لا اثر لمصالح الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالياء وبصيغة الجمع نظرا الى معنى من بعدما اوثر
الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل الى اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم
في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين حالي
النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من القبائح
التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد اولئك الموصوفون بالقبائح وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين اشتروا

أي آثروا الحياة الدنيا واستبدلوها بالآخرة وأعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فإن ما ذكره من الكفر ببعض أحكام الكتاب إنما كان
لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود إليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية والدنية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان أو أخرويا ولا هم ينصرون بدفعه
عنهم بشفاعة أو جبرا والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية أو ينصرون خبر لمبتدأ محذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها
ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لإظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب
التوراة عن ابن عباس أن التوراة لما نزلت أمر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق ذلك فبعث بكل حرف منها
ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به إذا أتبعه إياه أي أرسلناهم
على أثره كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل
وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات من إحياء الموتى
وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى بالسريانية أيشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء
كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل أهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل وأيدناه
أي قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها أي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود
ورجل صدق وإنما وصف بالقدس للكرامة أو لأنه عليه السلام لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالإنجيل
كما قيل في القرآن وروحا من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه
بما ذكر من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس لما أن بعثتهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى عليه السلام فقد نسخ
بشرعه كثير من أحكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيقته وإظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام أفكلما
جاءكم رسول من أولئك الرسل بما لا تهوى أنفسكم من الحق الذي لا محيد عنه أي لا تحبه من هوي كفرح إذا أحب والتعبير عنه
بذلك للإيذان بأن مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لأهواء أنفسهم والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت
به من الأفعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام أي ألم تطيعوهم
فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم عن الاتباع له والإيمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم
من غير أن تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية أو للتعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم
كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم لا للقصر وإيثار صيغة الاستقبال
في القتل لاستحضار صورته الهائلة أو للإيذان بأنهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوا من قتله عليه السلام وسحروه وسموا له
الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق تلوين الخطاب
الموجب للإعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقبحها من أهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه السلام
قلوبنا غلف جمع أغلف مستعار من الأغلف الذي لم يختن أي هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد
عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن أبي عمرو من القراءة
بضمتين يعنون أن قلوبنا أوعية للعلم لو كان في حديثك خير لوعته أيضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه
وتكذيب لهم في ذلك المعنى على الأول بل أبعدهم الله تعالى عن رحمته وخذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض لإبطالهم
لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا تنفعهم الألطاف أصلا بعد أن خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني
بل أبعدهم من رحمته فأنى لهم ادعاء العلم الذي هو أجل آثارها وعلى الثالث بل أبعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي إليها
فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة أي فإيمانا قليلا يؤمنون وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل زمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا
بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بإيمان حقيقة وقيل أريد بالقلة العدم والفاء سببية أي للعن لعدم
الإيمان ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله أي كائن من عنده تعالى للتشريف
مصدق لما معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما أن المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي إلى العلم بكونه مصدقا
لها وقرئ مصدقا على أنه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل أي من قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون

اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل
عاد وإرم قال ابن عباس وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بأن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة كما في استعجب أي يسألون
من أنفسهم الفتح عليهم أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا
فلما جاءهم تكرير لما الأولى لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لأن معرفة من أنزل
هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وإيراد الموصول دون الاكتفاء بالإضمار لبيان كمال مكابرتهم فإن معرفة ما جاءهم
من مبادي الإيمان ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقب مجيئه للاستفتاح به من غير أن يتخلل بينهما مدة منسية وقوله تعالى
كفروا به جواب لما الأولى كما هو رأي المبرد وجوابهما معا كما هو قول أبي البقاء وقيل جواب الأولى محذوف لدلالة المذكور عليه
فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا
يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن أنزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم
النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد أي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للإشعار بأن حلول اللعنة
عليهم بسبب كفرهم كما أن الفاء للإيذان بترتبها عليه أو للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا إذ الكلام فيهم وأيا ما كان فهو تحقيق
لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به أنفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته
أي بئس شيئا باعوا به أنفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون أنهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وأيا ما كان فلا بد أن يكون
المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى أن يكفروا بما أنزل الله أي بالكتاب المصدق لما معهم
بعد الوقوف على حقيته وتبديل الإنزال بالمجيء للإيذان بعلو شأنه الموجب للإيمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة
لأن يكفروا اعتقادا دون اشتروا المانع من الفصل بما هو أجنبي بالنسبة إليه وإن لم يكن أجنبيا بالنسبة إلى فعل الذم وفاعله لأن البغي
مما لا يعلل بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتي من أن ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء وإنما الذي بينه وبينه علاقة
هو كفرهم بما أنزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به أنفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لأجل أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء أي يشاؤه ويصطفيه من عباده المستأهلين لتحمل أعباء الرسالة والمراد تعليل كفرهم بالمنزل الحادث بعد ظهور المنزل
عليه وإيثار صيغة التفعيل ههنا للإيذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الإنزال وكثرته فباءوا بغضب على غضب أي رجعوا ملتبسين
بغضب كائن على غضب مستحق له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فإنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى عليه السلام
وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين أي لهم والإظهار في موضع الإضمار
للإشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به إهانتهم وإذلالهم لما أن كفرهم بما أنزل الله تعالى كان مبنيا على
البغي والحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن أنزل عليه عليه السلام وإذا قيل من جانب المؤمنين
لهم أي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ آمنوا بما أنزل الله من الكتب الإلهية جميعا والمراد به
الأمر بالإيمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم إيذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له
في المضمون وتنبيها على أن الإيمان بما عداه من غير إيمان به ليس بإيمان بما أنزل الله قالوا نؤمن أي نستمر على الإيمان
بما أنزل علينا يعنون به التوراة وما أنزل على أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل
عليهم ومرادهم بضمير المتكلم إما أنفسهم فمعنى الإنزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام وإما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر لاشتماله
على مزية الإيذان بأن عدم إيمانهم بالقرآن لما أن من بعدهم حسدهم على نزوله على من ليس منهم ولأن مرادهم بالموصول إن كان
هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن أرادوا بعنوان الإنزال عليهم مبني على ادعاء أن ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض
كما أشير إليه فلو أريد بالإنزال عليهم ما ذكر من تكليفهم لزم من مغايرة القرآن لما أنزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون
بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني إسرائيل على الوجه الأخير وتجريد الموصول

عند الاخبار رعاية ضرابه تصف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اى قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما وراءه
وليس المراد به مجرد بيان انفرادا ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان انهم يدعون الايمان بالشئ
بما انزل عليهم بالذكر حقيقة فان قوله عز وجل وهو الحق اى المعروف بالحقيقة الحقيق بان يخص اسم الحق على الاطلاق ن
حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها ضمير الحق وعاملها فعل مضمر اى احقه مصدقا
لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما امنوا به فيلزمهم الكفر
بما امنوا به ومآله انهم ادعوا الايمان بالتوراة والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله
من قبل بيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهام
والخبر تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والمراد اسلافهم على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين
في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط
محذوف اى قل لهم ان كنتم تؤمنون بالتوراة كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ
انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اى ان كنتم مؤمنين فلم قتلتموهم
وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقدم الجواب على الشرط وذلك
لا يتاتى الا على راى الكوفيين وابى زيد وقيل ان نافية اى ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات
من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص من قبل في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل اللام
للقسم اى والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان
والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فان التي بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اى الها
من بعده اى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التوراة حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة
على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته ووضعين لها في غير موضعها
او بالاخلال بحقوق ايات الله تعالى او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم نوع من جناياتهم تعالى وتكذيب لهم
في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم اى واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
قائلين خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا ما امرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سماع طاعة وقبول قالوا استئناف
مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد
مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة وفعلوا هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم
الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه ورسخ
في قلوبهم صورته لفرط شغفهم وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق
الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين
احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما ياتون وما يذرون بئسما يامركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التوراة حسبما تدعون
والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم كما في قوله تعالى
ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التوراة وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين
فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يامركم به ايمانكم بها اذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا
وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر الاول لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم
في فن اخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار

الاخرة اى الجنة او نعيم الدار الاخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان ن
هودا ونصبها على الحال من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة
يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اى سائر الناس او للعهد اى المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق
الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي وقال عمار بن ياسر بصفين الان الاقي الاحبة
محمدا وحزبه وقال حذيفة اليماني حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل ذلك حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اى على التمني وقوله
ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل على اعتقادهم هم
ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا
كلام مستانف غير داخل تحت الامر سيق من جهته تعالى لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم
بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت
اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله
عليم بالظالمين اى بهم واشار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس
لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب
وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم
احرص الناس من وجد بمعنى علم وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص
والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين
اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس
للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص
المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه
اى واحرص من الذين اشركوا وقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون في حيز
الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره الظرف المقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اى ومنهم
طائفة يود احدهم انهم كان اى كل واحد منهم لو يعمر الف سنة الغيبة لقوله تعالى يود وهو حكاية لودادتهم ولو
بمعنى ان وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له
مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه
خبرها والباء زائدة ان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم من يزحزحه اى يبعده وينحيه من العذاب تعميره وقيل الضمير
لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر يفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر
على انها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته
وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشئ الخبير به ومنه
قولهم فلان بصير بالفقه اى عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بالتاء على الالتفات وفيه تشديد للوعيد قل
من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل
عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لامنا بك وفي بعض الروايات رسولنا ميكائيل
فلو كان هو الذي ياتيك لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله
فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فباي حق تقتلونه
وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس
اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لشك في ديني

وانما دخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف
وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره
وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه ان كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر
ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وجبرائيل كسلسبيل وجبريل كقمطرير وجبرئيل وجبرال وجبرئل
وجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز
الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن واضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه كأنه لتعينه وفرط شهرته ونباهته لا يحتاج الى ذكر
من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المحكي على
كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقال باذن
الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب فيه مدح بليغ لجبريل عليه السلام الى منزله وصدق غرضه عليه وهو حال من فاعل
نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي من الكتب الالهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى
للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا
مصدقا لكتابهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له
لان الاعتراف به يوجب الايمان وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد
كفر بما معه من الكتاب اي علمه غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج
عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا
كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما افردا بالذكر
مع انهما اول من يشمله عنوان الملكية والرسالة لاظهار فضلهما كأنهما عليهما السلام من جنس آخر اشعارا بان التغاير في الوصف
منزلة التغاير في الجنس والتنبيه على ان معاداة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان
وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله تعالى وان من عادى احدهم فكأنما عادى الجميع
وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية
للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك مما لا يحتاج الى الاخبار
وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئيل
وميكئل كميكعل وميكل (?) ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل
وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر
بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس انه
قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية نعرفه فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون
المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا
الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا من جملة ذلك ما اشير اليه
في قوله تعالى وكانوا يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
وقرئ بسكون الواو على ان تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا
عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا بالزمام ورفضوه
وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من ان
النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا هم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم
من عند الله متعلق بجاءهم او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية

مصدق لما معهم من التوراة من حيث انه صلى الله عليه وسلم جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
اي التوراة وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان
عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وايراده النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وايثارهم له عليه والمراد
باتيانها اما ايتاء علمها بالمدارسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة
عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله
اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة
واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الى آخره وانما عبر
عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم
تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كما قيل كتاب
الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به
وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه كأنهم لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد
احبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم
يتجاهلون او كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل ففي هذا الحمل زيادة مبالغة في اعراضهم
عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو العلم
بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جمل اليهود
اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا احدا ولكن نبذوها
لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية والمراد
بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية مع مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل معطوف
على الجملة وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
يلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون
هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن
كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل الخادم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء
من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان
وانه ما بلغ ما بلغ الا بسبب تلك الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه
يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك ولكن الشياطين وقرئ
بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو
وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحال
من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر
الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه
الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما مستأنفة وحسبما اعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون
الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة
تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون

يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد
منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة يزعمون ان الافلاك والكواكب فاعلة مختارة لكنهم
قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية
فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات
الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر
اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله
سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد
معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما يأتي
ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن
فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة
فظاهر ان من يستعين به الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بين الاشرار
في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من الامور المبنية على وساطة ترتيب الآلات الهندسية
وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة
عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء
ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي يعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او هو نوع اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اي اتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله
للناس كما ابتلي قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا
ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة
اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم
وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك
ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا
الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا
عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء
فاختصمت اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت
مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها
ما سألا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا
فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل
فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما
وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل
والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا
ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من
الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتأنيث والعلمية
او للتأنيث والعلمية هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرأ الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن

المغم

هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول لافادة
تأكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام حتى
يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطأة للمبالغة كانهما
نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر
احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى
عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية التعليم
ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح
والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي والشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل
على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان قوله
تعالى وما انزل الى آخر ما فيه من الجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة
السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا
لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون ثناء فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس لا يلائم
وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون
منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الى آخره والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى
فما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وتشديد
الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة
الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك قيل فيتعلمون منهما ما يعلمون فيزوان
ويعتقدون انه حق فيكفرون فيبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا ومن مزيدة
لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حمل اسم ما على الفعل كما قيل
وما يضرون من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التأثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم
السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان
نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به اي ما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا
من المجرور وفصل ما بين المتضايفين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم
صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب
من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن
ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود
الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل والاظهر ان اللام الاولى جواب قسم محذوف
والثانية لام ابتداء علق علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ما له في الآخرة من خلاق
اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له
خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله
الواحد ان جعل متعديا الى واحد والمعنى ولقد علموا الى آخره مقسما عليها دون جملة لمن اشتراه الى آخره هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه
وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاولى موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب
القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما
ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس ما باعوا به انفسهم السحر
او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون

المشترى بمعنى الاشتراء كما لا يسند اليه لان المشترى متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المنبوذ
كما اشير اليه في تفسير قوله بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اى يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لمين
لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا
على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا
ولو انهم امنوا اى بالرسول او بالوحي المذكور في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الى آخره او بما انزل الله من الآيات المذكورة في قوله
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم
بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتنوين المثوبة
اى لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية
جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ
لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم
العمل بموجب العلم يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود
لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول ابه
صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت
لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك
افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون تلك المسبة او نسبته عليه الصلاة والسلام
الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي
بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا او لستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون
عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اى انظر الينا بحذف الايصال
او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل
اى قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة
او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول لا يكن سماعكم مثل سماع
اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اى اليهود الذين تسببوا لتهاونكم المذكور اى كفروا بما ... وجعلوه سببا للتهاون
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد
لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما وفيه كناية عن الكراهة
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلة ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان
يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكأنه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل
الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى
من اهل الكتاب ولا المشركين للبيان كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتأكيد النفي ان
ينزل عليكم في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح به في الآتي وقوله تعالى من خير هو القائم
مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة
مما لا يلائمه وصفه بما سيأتي من الاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم
ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعلية تنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم

وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم به لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية
من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم
ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب
وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رتبة
الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كان
اليهود بهذا الداء اشهر اسند نفي الود اليهم اصالة وذكر المشركين تبعا ... ود المشركين له فزيدت كلمة لا لتأكيد النفي
والله يختص برحمته من يشاء الجملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله
سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي كرم الله وجهه يعني بها
محمدا صلى الله عليه وسلم والفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء والاشارة الى التنزيل المناسب لسياق النظم كقوله تعالى
ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور
اى يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا
لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم
تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم
ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون
كل منهما مستقلة بشأنها فان الاختصاص بالنبوة تابع لمقتضاها على الكمال ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان
سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأسا قيل نزلت
حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه والنسخ في اللغة الازالة
والنقل يقال نسخت الكتاب اى نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننسأها من النسء
اى نؤخرها وننسأها بالهمز وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ
وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير مدبل
غير بدل نأت بخير منها اى نوحي آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها
اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب
والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح
وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال
اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده
وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه السلام وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي علم
عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته
تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول
قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم
فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان والمراد كر
على انه تعالى له ملك السموات والارض بعبيده الى تقوى الحكم بتكرير الاسناد وهو انما كرر للتقرير واعادة للاستشهاد على ما
ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها روما لزيادة التأكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته

في الوقوف على ما هو المقصود وأما التقرير فيستعمل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الأشياء أي ألم تعلم أن الله له السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما إيجاداً وإعداماً وأمراً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض
لأمره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
معطوف على الجملة الواقعة خبراً لأن داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه إشارة إلى تناول الخطابين السابقين للأمة أيضاً
وإنما إفراده عليه السلام بهما لما أن علومهم مستندة إلى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع إلى اسم إن لتربية
المهابة والإيذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد بالاستشهاد بما تعلق من العلم على تعلق إرادته تعالى بما ذكر من الإتيان
بما هو خير من المنسوخ أو بمثله فإن مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وإنما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا
لهم فمن علم أنه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال علم قطعا أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في أمر النسخ وغيره
أصلا والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا من المنصور وما إما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم
ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق وإما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه ومن ولي اسمها ومن دون
الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى أن قضية العلم
بما ذكر من الأمور الثلاثة هو الجزم والإيقان بأنه تعالى لا يفعل بهم إلا ما هو خير لهم في أمر دينهم أو دنياهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل
عليه وتفويض الأمر إليه من غير إصغاء إلى أقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ وقوله تعالى أم تريدون تجريد
الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر
عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وأمارات التأثر من أقاويل الكفرة إلى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة إنكار وقوع الإرادة منهم
واستبعاده لما أن قضية الإيمان وازعة عنها وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها للمبالغة في إنكاره واستبعاده ببيان أنه مما لا يصدر
عن العاقل إرادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل أتريدون أن تسئلوا وأنتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة
من علو الشأن ما تقترحونه عليه ما تشتهون غير واثقين في أموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه مثل ما كانوا
يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية إلى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كانت
وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر مؤكد
محذوف وما مصدرية أي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا إلها وأرنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر أن يقال
كما سألوا موسى لأن المشبه هو المصدر المبني للفاعل أعني سائلية المخاطبين لا المبني للمفعول أعني مسؤولية الرسول عليه السلام
حتى يشبه بمسؤولية موسى عليه السلام وإنما عدل عنه لما أن المعتبر في جانب المشبه ما دخل في حيز الإرادة وفي جانب المشبه به
ما ذكر في كل موضع ما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز
أن تكون ما موصولة على أن العائد محذوف أي كالسؤال الذي سئله موسى وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتأكيد وقرئ سيل
بالياء وكسر السين وتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر أي يختره ويأخذه لنفسه بالإيمان بمقابلته بدلا منه وقرئ
ومن يبدل من أبدل وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن يفعل ذلك أي السؤال المذكور وإرادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة
المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل أي عدل وجار من حيث
لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل إلى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وإنما أوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح
من أول الأمر بأنه كفر وارتداد وأن كونه كذلك أمر واضح غني عن الإخبار به بأن يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بأن يعد من المسلمات ويجعل
مقدمة للمبالغة في الزجر والإفراط في الردع وسواء السبيل من باب إضافة الصفة إلى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف
كأنه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين
حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى آخره فالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للتعريض على القولين باعتبار أنهم من أمته
ومعنى تبدل الكفر بالإيمان وهم بمعزل من الإيمان تركهم صرف قدرتهم إليه مع تمكنهم من ذلك وإيثارهم للكفر عليه ود كثير من أهل الكتاب
هم رهط من أحبار اليهود روي أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهما

بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد عليه السلام ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال
حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله تعالى ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ثم أتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة
كما في قوله حلف ليفعلن وهي بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير
ودوا ردكم وقيل هي على معناها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم لسروا بذلك من بعد إيمانكم متعلق
بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير أي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل
سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والأول أدخل لما
فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين لاستعظام
تحقق الرد إلى الكفر بعد سبق الإيمان مع توسيطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة ما أرادوه وغاية بعده من الوقوع إما لزيادة
قبح الصارف للعاقل عن مباشرته وإما لممانعة الإيمان له كأنه قيل من بعد إيمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا
علة لود أو حال أريد به نعت الجمع أي حاسدين لكم وهو الأسف على ما نالكم من الخير من عند أنفسهم متعلق بود
أي ودوا ذلك من أجل تشهيهم وحظوظ أنفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أي حسدا منبعثا من أصل
نفوسهم بالغا أقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التوراة من الدلائل وعلموا أنكم متمسكون
وهم متمسكون بالباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى يأتي الله بأمره
الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم أو الإذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه منسوخ
بآية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لأنها لا تعلم إلا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من أن يكون ناسخا كأنه قيل فاعفوا واصفحوا
إلى ورود الناسخ إن الله على كل شيء قدير فينتقم منهم إذا حان حينه وآن أوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
عطف على فاعفوا أمروا بالصبر والمداراة والالتجاء إلى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لأنفسكم من خير كصلاة
أو صدقة أو غير ذلك أي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة أنفسكم تجدوه عند الله أي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من أقدم
إن الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير
لأهل الكتاب جميعا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما إلى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا أو نصارى
تهتدوا وليس مرادهم بذلك ما هو المتبادر من ظاهر اليهود والنصارى من النسخ والتحريف على وجه بالغ أنفسهم على ما هم عليه لأنهم إنما يقولونه
لإضلال المؤمنين وردهم إلى الكفر والهود جمع هائد ونصارى جمع نصران والإفراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ
إلا من كان يهوديا أو نصرانيا تلك أمانيهم الأماني جمع أمنية وهي ما يتمنى كالأعجوبة والأضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا
وتلك إشارة إليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم وقيل تلك إشارة
إليه وإلى ما قبله من أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارا وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين
فإنه ليس مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا أصله آتوا قلبت الهمزة هاء أي أحضروا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه إعجاز التنزيل أن يحمل الأمر التبكيتي
على طلب البرهان على أصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص فإن قوله تعالى بلى إلى آخره إثبات من جهته تعالى لما
يستلزم نفيه إثباته وليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء أصل الدخول
على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه بإذن الله تعالى فظهر أن المنفي أصل دخولهم ومن ضرورته أن يكون هو الذي
أريد إقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الإثبات والنفي وإنما عدل عن إبطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك إيذانا بأنهم
ما علقوا أطماعهم وإظهارا لكمال عجزهم عن إثبات مدعاهم لأن حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن إقامة البرهان عليه لا يقتضيان

حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فقد ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاحصاء حتى
ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز من نظمه هو بقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها
بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده
بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور
وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا
دايما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل
والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف
وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعل الفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى
فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان نص
بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل من الاختصاص بالف منزل ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر الثلاث
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليل كل من عداهم على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين على
شيء اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور
وكفروا بموسى والتوراة لا انهم قالوا ذلك بناء على منسوخية التوراة وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله
متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة
القصر اي هو لا غير ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا
لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل
القول الذي سمعت مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون مثل مقالة اليهود
والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى فان
مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم الا انه لا حاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيامة متعلق بيحكم
وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤوس الآي لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار
واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها تشهد به العرف العام
والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام
لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى
ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس ان طيطوس الرومي ملك النصارى
واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل
خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه واياما وقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى
والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها ابطلت لدعوى النصارى اختصاصهم بحوز
وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما قبلها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة

القائلين لكل من هو اهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى
وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان او ان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة
ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون في خرابها
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما
كان الحق ان يكونوا الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا منها
او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الله
وعده والحمد لله روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد
واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم اي لاولئك
المذكورين في الدنيا خزي اي خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم في الآخرة عذاب
عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر
بعده من الخزي والعذاب لما مر من ان تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن جهتي
المشرق والمغرب اي لا يختص من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته بمكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد
الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد
خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته
التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيبكم
على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته الموسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة
اينما توجهت وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ
لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة
المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت لا على صلة من لا ينتهي الى الكثرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن
شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف حيث قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي
بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدر ولا يكاد يذكر ناصبه
اي اسبح سبحانا اي انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة
اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به مبالغة من جهة اسناد البراءة
الى الذات المقدسة وان كان التنزه اعتقاد تنزيهه تعالى عما لا يليق لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد
لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته تعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة
الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان اجرام الفلك مع امكانها وفنائها لا تحتاج لبقائها
بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح
والملائكة كل السموات والارض اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون اي منقادون لا يستعصي
شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شأنه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد
والتنوين عوض عن المضاف اليه اولي العلم تحقيرا لشأنهم وايرادهم بعد ما عمم ما نسبوا الى بعض منهم وضع جمع العقلاء في قانتون للتغليب
او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته كما في قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة

بديع السموات والأرض أي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فإن البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع
نص عليه أساطين أهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى أنشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله
أمن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور أي بديع سمواته
من بدع إذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة أخرى لإبطال مقالتهم الشنعاء تقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه
مبدع الأشياء كلها على الإطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو بديع إلخ وقرئ بالنصب على المدح
وبالجر على أنه بدل من الضمير في له أي من تجويز الإبدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وإذا قضى أمرا أي أراد شيئا
كقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا وأصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه البتة وقيل الأمر
ومنه قوله تعالى وقضى ربك إلخ فإنما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام أي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الأمر والامتثال
وإنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي
المطاع وفيه تقرير لمعنى الإبداع وتلويح بحجة أخرى لإبطال ما زعموه بأن اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده إلى مبادئ يستدعي حصولها
مرور زمان وتبدل أطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في أمر النبوة بعد
قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد إليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ونفي
العلم عنهم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي أو لعدم عملهم بموجب علمهم أو لأن ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم أصلا وقال قتادة
وأكثر أهل التفسير هم مشركو العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لولا يكلمنا
الله أي هلا يكلمنا بلا واسطة أمرا ونهيا كما يكلم الملائكة أو هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك أو تأتينا آية حجة تدل على صدقك بلغوا
من العتو والاستكبار إلى حيث أملوا نيل مرتبة المفاوضة الإلهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة إلى حيث لم يعدوا
ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله أنى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر
عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الأمم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا أرنا الله جهرة وقالوا لن نصبر
على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك إلخ وقالوا اجعل لنا إلها تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء وأولئك في العمى والعناد
وإلا لما تشابهت أقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات أي نزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل لا أنا بيناها بعد أن لم تكن بينة لقوم يوقنون أي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد
لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وإيراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الإتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى أنهم اقترحوا
آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وإنما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله إيذانا بأنه من ظهور البطلان بحيث
لا حاجة له إلى الرد والجواب إنا أرسلناك بالحق أي متلبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو بالصدق كما في قوله تعالى
أحق هو وقوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو بالصدق كما في قوله تعالى أحق هو وقوله بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال
الأولى أي أرسلناك متلبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما أنزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به أو أرسلناك صادقا حال كونك
بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لأنفسهم ما أحبوا لا قاسرا لهم على الإيمان فلا عليك إن أصروا وكابروا
ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعدما بلغت ما أرسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ ولا تسأل على صيغة النهي إيذانا بكمال
شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على إجرائها على لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمع خبرها وحكاية نهي
النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار والتعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر
والتكذيب ونحوهما لتشديد الوعيد والإيذان بأنهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الإيمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة إثر بيان ما يعمهما والمشركين من الإصرار على ما هم عليه إلى الموت وإيراد لا النافية
بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من أن اليهود في إيثار هذه العظيمة أشد من النصارى والإشعار بأن رضى كل منهما مباين لرضى الأخرى
أي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة بظهور المراد
من المبالغة في إقناطه صلى الله عليه وسلم من إسلامهم بالكلية فإنهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام وإن خلاهم يفعلون ما يفعلون

أن يؤمنوا صلى الله عليه وسلم فلا يكاد يدخل تحت الإمكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته وهذه حالهم في أنفسهم
ومقالتهم فيما بينهم وأما أنهم أظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وإن بالغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فإن قوله عز وجل قل إن هدى الله هو الهدى صريح في أن
ما وقع منهم إنما عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها أو ما هو من الدعوة إلى اليهودية والنصرانية وادعاء أن الاهتداء فيهما
كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا أي قل ردا عليهم إن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي
يحق أن يسمى هدى هو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون إليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت
أهواءهم أي آراءهم الزائفة الصادرة عنهم بقضية شهوات أنفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم إذ هي التي يدعون إليها وما شرعه الله
لهم من الشريعة على لسان الأنبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروه تغييرا بعد الذي جاءك من العلم أي الوحي أو الدين المعلوم صحته ما لك
من الله من جهته العزيزة من ولي يلي أمرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط
حرف النفي بينهما للتأكيد وهو من باب التهييج والإلهاب وإلا فأنى يتوهم إمكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب القسم الذي وطأه اللام
وأغنى عن جواب الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه يتلونه حق تلاوته
بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر وما بعده مقرر له أولئك إشارة
إلى الموصوفين بإيتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به أي بكتابهم
دون المحرفين فإنهم بمعزل من الإيمان فإنه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فأولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالإيمان يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم من جملتها التوراة واذكر النعمة بما يكون بشكرها والإيمان
بجميع ما فيها من جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورته الإيمان به عليه السلام وأني فضلتكم على العالمين
أفردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة لعراقتها في كون النعمة واتقوا إن لم تؤمنوا يوما لا تجزي
في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس أخرى شيئا من الأشياء أو شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل أي فداء
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تخصيصهم بتكرير التذكير وإعادة التحذير للمبالغة في النصح وللإيذان بأن ذلك فذلكة القضية
والمقصود من القصة لما أن نعم الله عز وجل عليهم أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق أن هدى
الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والإسلام الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام وأن ما عليه أهل الكتاب أهواء زائغة
وأن دعواهم أنهم على ملته فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن إبراهيم وأبنائه الأنبياء عليهم السلام من الأقاويل والأفاعيل الناطقة
بحقية التوحيد والإسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه إبراهيم وإسماعيل
عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فإذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين
أي واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا ما وقع فيه من الأمور الداعية إلى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا
ما هم فيه من الباطل وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات قد مر وجهه في تفسير
قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر أي وإذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما ينحى
من قوله تعالى قال إني والأول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد أن ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو إسرائيل ليتأملوا فيما يحكى
عمن ينتمون إلى ملته من إبراهيم وأبنائه عليهم السلام من الأفعال والأقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الأصل الاختبار أي
تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالبا فعله أو تركه وذلك إنما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من العليم
الخبير فلا يكون إلا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار أحد الأمرين قبل أن يرتب عليه شيئا هو من مبادئ العادة كمن يختبر عبده ليتعرف حاله
من الكياسة فلا يزيد بأن يتعلق به من مصالحه وإبراهيم اسم أعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق أو التقارب بين السرياني والعربي
ألا ترى أن إبراهيم تفسيره أب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا إلى يوم القيامة
على ما روى البخاري في حديث الرؤيا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الروضة إبراهيم عليه السلام وحوله أولاد الناس وهو مفعول مقدم
لإضافة فاعله إلى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وإيذان بأن ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لأمر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة

الخبر حيث كلمه باوامر ونواهي فظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه
المعاملة وهو كبرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا
مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم
عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال
طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهن سنن في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق
وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر
ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يبتل الله احدا بهذا الدين
فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الى آخره وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله
بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجته قومه والصلوة والزكوة
والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام
الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم جعل ابتلاءه بهذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر ومن بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي
بان ظاهر الوحي لا يستدعي التكليف الحكمي وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن
اي قام بهن حق القيام وأداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه
الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات وقوله عز وجل
قال على تقدير انتصابه باذكر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء بهيدك امر معظم وظهور فضله
المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكاية تمام ذلك الابتلاء اوقع بعد ما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك
للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على ان المراد بالكلمات عبارة عن ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك
وعلى تقدير انتصابه باذ يقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي قال اذ ابتلى الخ
والجعل بمعنى التصيير ومفعوله الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع وانما ذكر منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام
اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته
قال استئناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة
بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك
لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل المعنى ردّا وانكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذرأ او فعلية والاصل
ذرووة او ذرئية فاجتمع في الاولى واوان فابدلت الاخيرة ياء فصارت ذروية فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون
فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية منها والاصل ذريوة فقلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق احداهما
بالسكون فصارت ذرية كما سبق فادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعلية من الذر بمعنى الخلق والاصل ذريرة فخففت الراء
بابدال الياء كما ... ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذررة فقلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي
الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت التاء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ
بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق
لا ينال عهدي الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام
بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف يميزهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان
الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل اشارة
الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا وتفصيلا وارسال الباقين نشلا للنظم المعتدرون بالائمة من الانبياء في سلك

المجرمين وفي تفصيل كل فرق من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم
الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى
وهرون وداود وسليمن وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل
بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل
اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى
واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل
معطوف على المضمر الاول والجعل بمعنى التصيير وقوله عز وجل مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع
ثواب يثابون بحجه واعتماره ومفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة
لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا اي امنا كما في قوله
تعالى حرما آمنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي امنا
من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا كما هو رأي ابي حنيفة
والجواز ان نعمه الامن ما يعبأ الى كل شيء كائنا ما كان فقد دخل فيه امن الناس من خوف او نار وقد اعيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم
بالصيد فيخرج الحرم وعرفته ومعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو
عطف على جعلنا او حال من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا او وقيل هو مضمر العامل في اذ وهي جملة مستأنفة والخطاب على الاول
الاخير له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر فيه كان من مقامهم الكماية لا استحبابا ومن تبعيضية والمقام
اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدميه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو
موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه
انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مواقف الحج عرفة
والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس
من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما
امرا موكدا ان طهرا بيتي بان طهرا على ان ان مصدرية حذف عنها الجار فاشتغل بالجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله
عز وجل ان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي محققة فيهما ووجوب كونها فعلا
انما هو لدلالته على المصدر حينئذ في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت
خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل
فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال
او اي طهرا على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول اضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام
لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت
وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده
اثر حكاية ... والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله
والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين والركع السجود
جمع راكع وساجد اي الطائفين المصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلين ... الاخر
... وان كانت مع ...
... واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا ... رب اجعل هذا بلدا آمنا
... ذلك اول ... عليه السلام ... كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم

أنه عليه السلام لما أسكن إسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها إلى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع
وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء
أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة إبراهيم إن حمل على تعدد السؤال فلأنه
عليه السلام سأل أولا كلا الأمرين البلدية والأمن فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة ثم
كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال أو كان المسؤول أولا البلدية ومجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد
وقد أجيب إلى ذلك وثانيا الأمن المعهود أو كان هو المسؤول أولا أيضا وقد أجيب إليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار
على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لأنه المقصد الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حمل
على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسؤول كلا الأمرين وقد حكي ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية
سؤال الأمن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل أهله أن يهوي إليهم كما سيأتي تفصيله هناك إن شاء الله عز وجل
وارزق أهله من الثمرات من أنواعها بأن تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبى إليه من الأقطار الشاسعة وقد حصل
كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الطائف كانت من أرض
فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري أنه تعالى
نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من أهله بدل
البعض خصهم بالدعاء إظهارا لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماما بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب وفيه ترغيب لقومه
في الإيمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من أهل الكتاب قال استئناف مبني على سؤال
كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره وأرزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فأمتعه
معطوف على ذلك الفعل أو في محل الرفع بالابتداء وقوله تعالى فأمتعه خبره وإنما دخله الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وإن لم يكن سببا
للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كأنه قيل قل وارزق
من كفر فإنه أيضا مجاب كأنه عليه السلام قاس الرزق على الإمامة فنبهه تعالى على أنه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة
الخاصة بالخواص وقرئ فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار أي ألزه
إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق نمتعه وقرئ فأمتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الأمر فيهما على أنهما
من دعاء إبراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وإنما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للإيذان بأن الكفر سبب لاضطرارهم
إلى عذاب النار وأما رزق من آمن فإنما هو على طريقة التفضل والإحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطره
بإدغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فإن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف أي بئس المصير النار أو عذابها وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله
من قوله عز وجل وإذ قال إبراهيم على أحد الطريقين المذكورين في وإذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز
من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لأنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وإن كان
هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكأنها التي ارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فإن كل ساف
قاعدة لما يبنى عليه ورفعها بناؤها بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت وإظهار شرفه ودعاء الناس إلى حجه وفي إبهامها
أولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت أي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطأة
مرتفعة عالية بالبناء روي أن الله عز وجل أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم عليه السلام
أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بألفي عام وحج آدم عليه السلام أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء
الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا إلى زمن إبراهيم عليه السلام فأمره ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه

فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت فسار إبراهيم في ظلها إلى أن وافت مكة المعظمة
ووقفت على موضع البيت فنودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان
والجودي وأسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في أيام الطوفان وكان
ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي
تحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة أنها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات
والأزرقي في تاريخه وذكر أنه كان قبل خلق آدم ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروي عن عبد الله بن عمرو بن
العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل إلى آدم عليهما السلام فقال له ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم
يحفر وحواء تنقل التراب حتى إذا أصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه أوحى الله إليه أن يطوف به وقيل له أنت أول الناس وهذا
أول بيت وهكذا ذكر الأزرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عندما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه
السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم إلى أن كان الغرق
في عهد نوح عليه السلام ذكره الأزرقي بسنده إلى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور في أخبار
قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الأزرقي بسنده إلى علي بن أبي طالب ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن
بكار في كتاب النسب ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل للجدار من جهة الحجر وقال الحافظ السهيلي إن بناءها
لم يكن في الدهر إلا خمس مرات الأولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه أعلم وإسمعيل عطف على إبراهيم وفي
تأخيره عن المفعول للإيذان بأن الأصل في الرفع هو إبراهيم وإسمعيل تبع له قيل إنه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه
من طرفين ربنا تقبل منا على إرادة القول أي يقولان وقد قرئ به على أنه حال منهما عليهما السلام وقيل على أنه هو العامل في إذ
والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير يقولان ربنا تقبل منا فيكون إبراهيم هو الرافع وإسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب
على الحالية أي وإذ يرفع إبراهيم القواعد والحال أن إسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة
ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الإجابة وترك مفعول التقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل
دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية
إنك أنت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع أعمالنا والجملة تعليل
لاستدعاء التقبل لا من حيث إن كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث إن علمه تعالى بصحة نياتهما
وإخلاصهما في أعمالهما مستدع لذلك بموجب الوعد تفضلا وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم
عليه تعالى لإظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم أن الظاهر أن أول ما جرى من الأمور المحكية هو الابتلاء
وما يتبعه ثم دعاء البلدية والأمن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والأمر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب
الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الأمور الواقعة من جهة إبراهيم وإسمعيل عليهما
السلام من الأفعال والأقوال في سلك آخر وأما قوله تعالى ومن كفر إلى آخره فإنما وقع في تضاعيف الأحوال المتعلقة بإبراهيم لاقتضاء
المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه أصلا كما أن وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه
لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد والمراد طلب
الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الإخلاص والإذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بإدخال هاجر معهما في الدعاء أو لأن التثنية من مراتب
الجمع ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أي واجعل بعض ذريتنا وإنما خصهم بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا صلح الأتباع وإنما خصا
بعضهم لما علما أن منهم ظلمة وأن الحكمة الإلهية لا تقتضي اتفاق الكل على الإخلاص والإقبال الكلي على الله عز وجل فإن ذلك مما يخل بأمر المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز أن يكون من للتبيين قدمت على المبين
وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الأرض مثلهن والأصل أمة مسلمة لك من ذريتنا وأرنا من الرؤية بمعنى
الإبصار أو بمعنى المعرفة أي بصرنا أو عرفنا مناسكنا أي متعبداتنا في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية العبادة

وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة
والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم
وهو تعليل للدعاء وللاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم
اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي
صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة
ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام
يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب اي القرآن والحكمة
وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي
انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة
المسئول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود
المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح
والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها قيل خسر نفسه وقيل
اوبقها او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما روي في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمط الناس وقيل
معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه نحو قوله ونأخذ بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد
من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واهانتها وايثار ما يتحاشى عنه كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني
اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن
به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه
بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام جواب قسم محذوف والواو اعتراضية
والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي بالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات
على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره [illegible] حالا
مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او سفه
نفسه بالجهل والاعراض عن النظر وانما اثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين
لا انه يحدث في الآخرة وان اكد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور
المشاهدة اثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر
في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظها اي الصالح
في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظها اعني في الآخرة نحو ذلك بعد رعيا وهل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما
وتأخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط
ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر
ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه انما نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان والانقياد
واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على
حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن
واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات
مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه

عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة
لا لنفسه وحده كما هو المأمور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله
في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح من فعل او قول
واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه
وقرئ واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها يعقوب بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه
يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا
انا رأينا رجلا عريانا فهو عند الاولين مقدر بالقول وعند الآخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو
ابراهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر
روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر وزبولون وزوانا ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عند الله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه
ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه
ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة
ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء
والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين
ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام
باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب بالذكر وما سيأتي
من قوله عز وجل ام يقولون ان ابراهيم الى آخره ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى
اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء
تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب عند هذا التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين
ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على
الثبات عليهما اذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه
وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب
عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مرادا لهم
عليه السلام بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لقوله عليه السلام
عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا
بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها
واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف
لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون
اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة
التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة لامة اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله
صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال
من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة لا تتخطاها الى غيرها فان تقدم

المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتداة
على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة والاستئناف ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتم لا لاحد
غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى
على هذا القصر على ان اولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا كما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج
الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس
لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس
باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين
تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهي تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له اذ ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم
الفارغة عن الانتفاع بحسنات من مضى منهم واما اطلاق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية وجعل السؤال عبارة
عن المؤاخذة والمسؤول عنه عن السيئات اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم فلا ريب في انه مما لا يليق بشأن الرسل
كيف وهم منزهون عن كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان امتناعه وقالوا شروع في بيان فن
آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب
حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس مقول
مقول الكل ولا اي طائفة كانت من تلك الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالها اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت
اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فقطع بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل
لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام
وقيل بل نتبع ملته وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن
ملته اي اهل ملته حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رأيت وجه هند قائمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا الى آخره وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله
والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام مع اشراكهم برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشاد لهم
الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا بمقابلة ما قالوا تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه آمنا بالله وما انزل
الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف وهي وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا
متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى
من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم
وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض انما عبر عن عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما
اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن
يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس وفي مثل قوله
صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤوس غيركم حيث وصف بالجمع واما بدل من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي
وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر
الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال
لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا
فان آمنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتاب بناء على

على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان تكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به
محذوف لظهوره بمرور ذكره انفا او على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اي فان آمنوا ايمانا مفضيا اي فان فعلوا الايمان بشهادة مثل
شهادتكم وان تكون الاولى زائدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية اي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكون للملابسة
اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما انتم عليه او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ايمانكم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص
وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد منهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه
بخلاف المؤمن به فانه لا يجوز فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل
من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه ان المقام
تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا ابهام تجويز ان يكون له طريق اخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه
المذكور بان اخلوا بشئ من ذلك كان آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم فانما هم في شقاق المشاقة
والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الاخر
صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق
وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة جواب الشرط كما هي على ان المراد تشافهم
بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستمرارهم في ذلك اما بتأويل فاعلموا
انما هم في شقاق وهو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل في قوله تعالى فان آمنوا الى آخره من باب التبكيت على منهاج قوله
تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولا امكان له فلا امكان لاهتدائهم
ولا ريب في انه مما لا يليق بجلالة النظم الكريم ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك
بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصرة والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة
فقيل فسيكفيكهم الله اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز وعده الكريم بقتل
بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتوجيه الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك
وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاسات الشدائد في مناصبة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى
في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به
ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون في قلوبهم
مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه او وعد ووعيد للكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من صبغ كالجلسة
من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم
بآثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يتحقق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع اسناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف
والايذان بانها عطية منه تعالى لا يستقل العبد بتحصيلها وهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا وانتصابه عند سيبويه على
كونه مفعولا مطلقا لفعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله واما وسط بينهما تشريطا … بعد ما اعتبار
الايمان الحق … الى رشد عليه السلام ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله
تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما
اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه وتعالى من ان يخلو عن صبغ الى آخره وحيث كان ذلك التفضيل على
التحقيق والاولى المبني على زعم الكفرة تم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى الابتهاج
ونحن له اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف
على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون

قوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ مجرى التعليل للاغراء قل أتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به من الوظائف الخاصة به عليه السلام والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة عليها وتقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوى ان [illegible] وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر وارد من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم مساعدة النظم الكريم وسباق الآية على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان مدار الصلاح والسوء على [illegible] الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل أأنتم اعلم ام الله اعادة الامر لتجديد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم مع الايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل منهما كلام لمخاطبين مترتب على ما سبق مما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو [illegible] بما نحوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل [illegible] من جهته الا الضالون [illegible] في حقكم انما المسلمون [illegible] قال اسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين [illegible] والاستتباع كما مر في محله اي كذبتم في ذلك وكذبكم فاعلموا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابرهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين فاما كيف تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده من الله وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما [illegible] فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما مر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بما يعلمه اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه في اطلاق الشهادة مع ان المراد بها الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من السيئات فيدخل فيها كتمانهم الشهادة وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تاتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير لمن كتم باعتبار المعنى او لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى الآخر مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر

عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس ومجاهد قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون قالوه كراهة للتحويل الى الكعبة طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم المعاندون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لاقتضاء سلم العقل البائن للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بانه للحكمة ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس ثم نقل الى ما يقابل له [illegible] غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة والمراد بها بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتاكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه واعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالسفهاء اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطا وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لانكار اصلهم الانصراف عنها والرجوع الى الكعبة وتعليق الانكار بالتحويل عنها لا بالتوجه الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد عند العقول واكثر سببا ادخل في الانكار والمنكر هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحول عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحق عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة المعتادة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانها الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من حد التزيين لا مجال له [illegible] والاخبار به قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حسبما مر كالخبر لتوطين النفوس واعداد الجواب فان مفاجاة المكروه على النفس اشق والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل لله اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله تعالى ومشيئته يهدي من يشاء ان يهديه هدايته بعد للحكمة التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة ثم الى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة للحكمة ومصالح جمة وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين بعد الخطاب بالتخصيص للرسول صلى الله عليه وسلم لما انهم في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد بقول ابن اوس الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعدل الذي طرفاه الجور والظلم وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعفة التي هي كيفية متوسطة حاصلة من اجتماع تلك [illegible]

باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كما هو دأب
سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق
الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة
واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية فمن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة
كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل
لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكره فصل من الجعل المذكور وهو غاية للجعل المذكور
مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الحكمة المتشابهة لما ان العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة
القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رفعتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان
المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم رضوان الله عليهم اجمعين حاويا لشرائط
الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة
لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وعلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص
شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع ... الى ... الكلام ...
الجهة ... معرفة به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى
فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني القبلة فالكلام
مساق على ... اليه الذهن بحسب النظر الكلي لكن ... الى العكس فان المقصود افادة ... جعل الجهة قبلة لا غير كما ...
وذكر ... جعل القبلة المحققة الموجودة الجهة دون غيرها والمراد بالموصول الجهة فانه عليه السلام كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلاة
الى الصخرة تألفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه وعلى ... الرواية لا يمكن ان يراد به ... الكعبة او الصخرة ... الروايتين والمعنى على الاول ما جعلنا
القبلة الجهة التي كنت عليها اولا ... وهي الكعبة ... ما جعلنا التي كنت عليها في ذلك الوقت وهي الصخرة الا لنعلم
استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ
من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار
بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه
والمراد بالعلم ... تلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده
اليه تعالى لما انهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه
ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول ... العلم اما بمعنى المعرفة او علق ... ما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني
ممن ينقلب الى الكفر اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة
من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كاد ليضلنا ... وزعم الكوفيون انها
نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان زائدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام واصله ان هي لكبيرة
كقولك ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون
الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على

ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها لما روي انه عليه السلام
لما وجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر
المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الى آخره ففي توجيه النفي
الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك
زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤوف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له
فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه
ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم
الخالصة عن الآلام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد تكون مع الالم كقطع العضو المتآكل وقرئ لرؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب
وجهك في السماء اي تردده وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه
ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي محققة
داخلة على قسم محذوف من علة اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته
واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وهو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها
وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية
بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن لما مر في شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو منتصب على الظرفية او
على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له والشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوه وذكر المسجد الحرام دون الكعبة
ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء
والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما له
وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التصريح باختلاف اماكنهم تأكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد
وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية تجزم الفعل جزمها وقوله تعالى فولوا جوابها وكونها منصوبة على الظرفية كحيث نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم
من التولية الحق لا غير لعلمهم ان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وما في كتبهم من انه عليه السلام
يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد بناء
على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على رأي من جوز حذف الموصول مع
صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد
لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق علمهم
... من الكتاب ... بكل آية اي بكل حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا
قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة يزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا
وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه لما ان المحاجة والاتيان بالآيات من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى وما انت بتابع
قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو
ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تعزيرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد
قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ... هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة

وما بعضهم بتابع قبلة بعض فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب
كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت أهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما أنت عليه والشرطية
الفرضية واردة على منهاج التهييج والإلهاب للثبات على الحق أي ولئن اتبعت أهواءهم فرضا إنك إذا لمن الظالمين وفيه لطف
للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى واستفظاع له من ليس من شأنه ذلك إذ نهى عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام
في سلك الراسخين في الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك وإذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم إن وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة إذ كان حقها
أن تتقدم أو تتأخر فلم تتقدم لئلا يتوهم أنها لتقرير ما بين الشرط وجوابه المحذوف لأن المذكور جواب القسم ولم تتأخر لرعاية الفواصل
ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب عن الأنبياء
عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب أي علماؤهم إذ هم العمدة في إيتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للإشعار
بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم يسبق ذكره لأن المراد
ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها أنه عليه السلام
يصلي إلى القبلتين كأنه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو لما مر من الذكر الصريح
بتحويل شأنه عليه السلام وإنه علم معلوم بغير إعلام فقال وقيل للعلم أو لما أسند إليه الذي هو الوحي أو القرآن أو التحويل ويؤيد الأول
قوله عز وجل كما يعرفون أبناءهم أي يعرفونه عليه السلام بأوصافه المعينة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه أبناؤهم وتخصيصهم
بالذكر دون البنات لكونهم أعرف عندهم منهن بسبب كونهم أحب إليهم عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به مني بابني فقال ولم قال لأني لست أشك في أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضي الله عنهما
وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فإنهم يظهرون الحق ولا يكتمونه
وأما الجهلة منهم فليس لهم معرفة بالكتاب ولا بما تضمنه فما هم بصدد الإظهار ولا بصدد الكتم وإنما كفرهم على وجه التقليد الحق
بالرفع على أنه مبتدأ وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والإشارة إلى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الحق الذي يكتمونه
أو الجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي أنت عليه لا غيره كالذي عليه أهل الكتاب أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق
وقوله تعالى من ربك إما حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول يعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره
عليه السلام من إظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين أي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به أو في أنه من ربك
وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لأنه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل إما تحقيق الأمر وأنه بحيث لا يشك
فيه ناظر أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ ولكل أي لكل أمة من الأمم على أن التنوين عوض من المضاف إليه وجهة أي قبلة
وقد قرئ كذلك أو لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها أحد المفعولين محذوف أي موليها وجهه أو الله موليها
إياه وقرئ ولكل وجهة بالإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد جبر ضعف العامل وقرئ هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها
فاستبقوا الخيرات ۝ أي فابتدروها انتزع الجار كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو فاستبقوا إليها فإن في تعدية الفعل بنفسه من المبالغة
لما فيه من الحث على إحراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع أنواعها من أمر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات
وهي المسامتة للكعبة أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا أي في أي موضع تكونوا من موافق أو مخالف مجتمع الأجزاء أو متفرقها يحشركم الله تعالى
إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كأنها صلاة إلى جهة واحدة إن الله على كل شيء قدير فيقدر
على الإماتة والإحياء والجمع وهو تعليل للحكم السابق ۝ ومن حيث خرجت تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الأمر في حالتي
السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول أو بمحذوف عطف هو عليه أي من أي مكان خرجت للسفر فول وجهك عند صلواتك
شطر المسجد الحرام أو افعل ما أمرت به من أي مكان خرجت إليه فول وإنه أي هذا الأمر للحق من ربك أي الثابت الموافق
للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين
ومن حيث خرجت إليه في أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة ۝ فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا
وحيثما كنتم من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين حسبما يعرب عنه إيثاره على خرجتم فإن الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق

من الحاضرين والمسافرين فلا يتوهم أن حيثما خرجتم لما تناول الخطاب المعينين في الأماكن المختلفة من حيث إقامتهم فيها فولوا وجوهكم
من محالكم شطره ۝ والتكرير لأن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري أن يؤكد أمرها مرة بعد أخرى مع أنه
قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل فعلنا ذلك
لئلا والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة من أوصافه أنه يتحول إلى الكعبة واحتجاج المشركين بأنه
يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم القائلين
ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء
حجة مع أنها أخس الأباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة في نفي الحجة رأسا كما في قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة أن الحجة الظالم ... وقرئ ألا
بحرف التنبيه على أنه استئناف فلا تخشوهم فإن مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا أمري ولأتم نعمتي عليكم
ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم أي وأمرتكم لأتم النعمة عليكم لأنه نعمة جليلة ولإرادتي اهتداءكم لما أنه متمم
لنوال سعادة الدارين كما أشير إليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفي التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي
على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال اللطف ما لا يخفى أو عطف على علة مقدرة أي اخشوني لأحفظكم عنهم ولأتم
أو على قوله تعالى لئلا يكون إلى آخره وتوسط قوله تعالى فلا تخشوهم بينهما لما ... السالفة ... إتمام النعمة دخول الجنة عن علي
رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الأول متعلق بالفعل قدم على مفعوله
الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة
إتماما كائنا كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا كنعمة وقيل متصل بما بعده
أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني ... مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم
آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة أخرى
مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها
بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كلا من الأمور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن
تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الآيات من الشرائع
من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف
تعليمه على تعليمهما وما ذاك إلا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم أنه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي
فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الأمر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر
مع الإشعار بما يوجبه ۝ واشكروا لي ما أنعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الأمر ۝ يا أيها الذين
آمنوا وصفهم بالإيمان إثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يقتضيه من الأمر استعينوا في كل
ما تأتون وما تذرون ۝ بالصبر على الأمور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقاتلتهم المؤدية إلى قتالهم والصلاة
التي هي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين إن الله مع الصابرين تعليل للأمر بالاستعانة بالصبر
لما أنه المحتاج إلى التعليل وأما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين أجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم
يفتقر الأمر بالاستعانة بها إلى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة وإجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما أنهم
المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا إلخ سوق لبيان أن لا غائلة للأمور التي
التي ربما تؤدي إليها الصبر حسبما أشير إليه لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء أي بل هم أحياء ولكن لا تشعرون

بحيوتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الالم والوجع وقد ثبت في المنام سنة تسع وثلاثين وستمائة انى ازور قبور شهداء احد رضي الله تعالى عنهم وانا الموجه الآن
وما في سورة آل عمران وارده مما تفكرا الى امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذا رايت باشهم عند
في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدى منه فوق السرة واستحيى في النوم فلا
اعلم يقينا ان ذلك ايضا كاظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الى متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف ما الى
فسبحان من علمه كلمة جلت حكمته وقيل لانها نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها
مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن
وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وجلاله
ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك
فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالمعاندين وكذا ما يصيب معاندهم وانما اخبرهم قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد
يقينهم عند مشاهدتهم حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شيء او على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى
منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت
ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها
وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم
الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
واولئك اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب
على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر
من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم عليهما فلا بد من تأخيره عما هو نتيجة لهما من الآثار يوجبه وليس نظم الجملة اعتراض من عرض مضمون
ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب لذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء
والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا
والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر
الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان فحسب الظهر
البيت وحسب تجرده عن التعلق فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف فقلبت التاء طاء فادغمت الطاء
في الطاء وفي ايراده صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك
والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر
نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع
ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض

من حج او عمرة او طواف خيرا فحينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين
معنى فعل وقرئ تطوع وجملة تطوع مثل يطوف وقرئ ومن يطوع بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر
مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة
لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود
الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع
والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول
فان عموم الحكم لا ينافي خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون
بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات
الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي الآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها
بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات من الهدى وقيل المراد بالهدى
الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة
ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير
متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينهم لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون فيه
شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى موكد لقبح الكتم او تفهيمهم له بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى الكتاب
والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكر في تفسير قوله تعالى فويل للذين يكتبون
الكتاب الآية اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد منزلتهم
في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة والايذان بان
والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم
اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور
الاستثناء المتصل في قوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه
ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا فانه ادخل في ارشاد
الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا دعوهم اليه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة الكفر عنهم ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة
المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك اتوب عليهم اي اقبل توبتهم وافيض عليهم المغفرة والرحمة وقوله تعالى
وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه
من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعله تعالى السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن
فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض
لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ان ما سيرد له الكلام وجود ملك الامور الثلاثة يستلزم بعدها حتما اي ان الذين استمروا على الكفر
المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما فيما قبله عليهم اي مستقر
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنتهم وهو اثبات لدوام اللعنة بعد ثبوتها وانها اللحوق بعد التجدد وقيل الاول لعنهم احياء
وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من
ضرب زيد وعمرو كما قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الى آخره وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة
او في النار وهي انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكم
اثر بيان كثرته من حيث الكيف او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف
على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر

اليهم

نظرة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لنسبتها الى غيره اصلا
لا اله الا هو خبر ثان للمبتدأ او صفة اخرى للخبر او اعتراض اياما كان فهو مقرر لما قبله ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة
الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدأ او لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها
ودقيقها وكون ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته كما نعت وحدانيته بالربوبية واختصاصه باستحقاق العبادة قيل
كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها
صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها
عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما وكون كل منهما
خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك
التي تجري في البحر عطف على ما قبله والفلك بالفتح يستعمل مفردا وجمعا فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد المقدرة كما في حمر
كما في حمر وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله
من السماء من ماء عطف على الفلك واخره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وصل المقصود الاستدلال بالبحر
واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه لذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الاحوال
ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية واياما كان فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو
فأحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها
كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل
داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا به متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كأنه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث
فيها الى آخره او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق شرائط المعهودة كما في قوله وان لساني شهد يشتفى بها
ولكن على من صبه الله علقم اي علقم عليه وقوله تعالى لعل الذي اصعد حتى ان يرقى الى الارض لم يقدر جحيم قادره على معنى فاحيا
الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من جهة
الى اخرى ومن حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه
في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه
في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئته الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس
الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون
المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات عظيمة كثيرة دالة
على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون
العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول الا
فان من تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقا بوجوده تعالى ووحدته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها فان كلا
من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا
عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة
الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ
من دون الله بيان لحال ما كان عليه المشركين اثر تقرير وحدته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها المانعة
ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفاته الكمالية فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الى آخره ومن دون متعلق بيتخذ اي من يتخذ من دون الله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة والاظهار
الاسم الجليل لتعين تعاليه بالذات وتعيينه بالصفات اندادا اي امثالا من الرؤساء الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر
والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبرؤ من المتبعين وقيل الاصنام والاظهر ارجاع ضمير العقلاء اليها وقوله عز وعلا يحبونهم صفة

على انهم الباعثون لهم لشأنهم من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها
ورسخ فيها والفعل منها على حذه لكن الاستعمال المستفيض على احب ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة
العبد له سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم ويحتجون ... وضمير النصب لاندادا
او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد للفعل اي حبا
من حيث كونه مبنيا للفاعل كما انه ايضا كذلك والاظهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون بالله تعالى ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا
كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار
المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم
وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس ... لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته سبحانه ... استغنائه
قوله عز وعلا كما سنذكره ... من قبل اظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف واظهار كمال قبح ما ارتكبوه والذين
آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رداءة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي
اشد حبا له تعالى منهم لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى واما جعل المفضل عليه حبهم له تعالى فمما لا
يساعده المقام ... وانقلابه بغضا بعضهم ... لكونه منوطا باغراض فاسدة ... يزول بزوالها ولذلك كانوا
يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما زمانا فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه ...
من حيث انه خير ... وذلك باعتبار ... في الدنيا وليس الكلام فيه ... في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال
ومعاينة الاهوال ... باعتبار ... مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وايثار الاظهار
في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب
المعد لهم يوم القيامة اي لو علموا اذ عاينوه ... وصيغة الاستقبال لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان
القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص
القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان لعدم الاحاطة بكنهه
... اي لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء على ان الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ... وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله
شديد العذاب على الاستئناف ... اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع
بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ... من الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت
بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والاول هو الاظهر ورأوا العذاب حالية باضمار قد
على تبرأ والضمير للمتبوعين والاتباع جميعا وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل التي كانت بينهم من التبعية والاتفاق على الدين
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للمسارعة الى ...
عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرأ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة
اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم هناك كما تبرؤا منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي يعقبه لا الى شيء
آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد لما ... المشار اليه ... مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة
... يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات
فان الحسرة شدة الندم والكمد ... القلب ... مفاعيل يرى
ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار
كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام النفي ... على ...
فما استند اليهم كما في قوله ... يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها

من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف
وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال
من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا ويؤيد الاول
قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده
قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال
على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله
عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي
وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها على الواو وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي
اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم
بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر
ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها
والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله تعالى بانه حرم هذا
وذاك ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم
وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه
واكده وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله تعالى ما لا يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع
المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة
تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من خبائثهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل ذمائمهم عليهم هيج المباثة
اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اي وجدناهم
عليه على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آباءنا الفى متعد الى واحد او على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين
امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا الى التقليد والموصول اذا عام لما سبق من اتخاذ الانداد
وتحريم الطيبات ونحو ذلك فهو باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا الموصول ما انزل الله تعالى من التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام
وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى رد لمقالتهم الحمقاء واظهار لبطلان
آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كما في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان
انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب قد حذف بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات
او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته
او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وكقولك
احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لتحققه على جلية واما فيما نحن فيه فيتنوع خفاء من حيث ورود الانكار عليه لكن اصل الكل واحد
الا ان كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره وان ما تعلق
وان في خبر لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه فان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه
على كل حال لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال من متعلقه لا من متعلق المذكور من حيث هو متعلق وان المقصود الاصلي انكاره
بمدلوله باعتبار مقارنته للحال المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان في خبرها لا يقصد استبعاده في نفسه بل المقصد الاستبعاد
بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم ليلا يثيروا التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة

جلد النمر فركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا
بعيدا فلأن يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب
ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من ... اي ايتبعونهم على طريقته وقوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كأنه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم
عاقلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالين غير انه اكتفى بذكر الحالة التي هي ابعدها على انها
هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاخرى اقتضاء جليا فان اتباعهم الذي يتعلق به الانكار حين تحقق مع كونهم جاهلين ضالين
فلأن يتحقق مع كونهم عاقلين مهتدين اولى ان قيل الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا يجب ان الاولوية في صورة
النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء
فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو
الذي دل عليه ايتبعون قلنا ذلك انما هو في اختلاف الحال مخالفة لان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي
عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر او من تضمين الكلام السابق
اعني قولهم بل نتبع الكلام السابق الى آخره واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تتمته
كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سلف تحقيقه في قوله تعالى اولو كان
وقيل الواو حالية وكلمة لو بمعنى ان والمعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير
ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبله عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم
بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله العجيبة الغريبة التي هي مثل في الآفاق في تماديهم
من دعوة آبائهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من ذلك الداعي
الا الدعاء من غير ان يعقلوا انهم الى ماذا يدعون كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا صوت الراعي
وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عما يشعر به ما في حيز الصلة
ما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه
الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم
في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا يغني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام
بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل مما يتباين به افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم صم بكم عمي فهم لا يعقلون شيئا
لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمعاملة
مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسدت عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى
لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم
عليكم الميتة اي اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثناء الشرع وحرمة الانتفاع
من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه تبع له
وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت وان كان الخبر
فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا
لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله تعالى فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار
كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي
من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به
اي يأخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا والتعبير عن ذلك بالشراء الذي هو وسيلة عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة

الصلة

الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تميز كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه
وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله عز وجل ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم
مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون الى آخره ومعنى اكلهم النار انهم ما يأكلون في الحال الا ما يستتبع النار ويستلزمها فكأنه عين النار واكله اكلها
كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في المآل الا النار يوم القيامة عين ما تحروا اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم
متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقره ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض
بطنكم تعفوا الى تعلقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقدمه على حرف الاستثناء والا فتعليقه بيأكلون يؤدي قصر
ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه العظيم عليهم والتعريض بحرمانهم ما
للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى المذكورين
بنعوتهم باعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتناوله من احكام العقوبة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تصويرهم بما هو من المعاملة
بصورة مستهجنة تتنفر منها الطباع والاستبعاد على مثل ذلك ... وهو مبتدأ خبره الموصول
اي اولئك المشترون لكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ... الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة
الى الغيب ما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ... والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة
العذاب الذي لا يسوم كونه مما يشترى بالمغفرة التي ... فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهائلة
في ملابستهم ما يوجب النار ... تعجبا ... نكرة تامة بمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها ... خبرها
خبرها بعدها اي شيء عظيم ... صابرين على النار وعند الفراء استفهامية ما بعدها خبرها اي اي شيء صبرهم على النار وقيل هي موصولة
وقيل موصوفة ما بعدها والخبر محذوف اي الذي صبرهم على النار او شيء صبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله
نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا ... فلا جرم يكون من يعتقد الكتاب ويركب من الخطأ ... مستحقا لما ذكر
من فنون العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التوراة
بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم ... الاختلاف التخلف عن الطريق الحق
او الاختلاف ... وفي القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكي عن المشركين لفي شقاق بعيد عن الحق
والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتاب
فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب
مع تأخر زمان الملة النصرانية ... مراعاة لما بين الترتيب المتفرع على ترتب الشروق والغروب لان توجههم الى المغرب ليس لكونه مغربا
بل لكون بيت المقدس من المدينة ... فقيل لهم ليس البر ... على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها
كما في قوله سل ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا في الخطوب معول
وانما اخر ذلك لان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية لان في الاسم
طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا
ان يكون ... ولكن البر من آمن بالله
وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر ... اي ولكن البر المعهود الذي يحق
ان يهتم بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله ... كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله
وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون
لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتاب لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح ... وفي تعليق البر بهما من اول الامر ... الى المشرق
والمغرب ... كأنه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن
بهم بانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب الذي من افراده القرآن
الذي نبذوه وراء ظهورهم ففيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفريق

بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين جملة الوحي بين النبيين واضح وما في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين
سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر
ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا او قيل الضمير لله تعالى اي آتاه كائنا على محبته تعالى لا لمقصد آخر والظرف في
موضع ... وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله
اعني المال للاهتمام به او لان في الاول مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا
وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم ... وتقديم ذوي القربى عليهم لان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او الدائم السكون الى الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل
ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب
واعتاقها واياما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين
او بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير ... للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة ... واقام الصلوة
اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة ... على الفريضة مبالغة في الحث عليه والمراد
بها المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال
ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحل حراما من العهود الجارية بين الناس
وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير معطوف على ما قبله
الصبر ... معطوف على ما قبله ... فقد خولف ...
قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما في ... وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين
في البأساء اي الفقر والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة
الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا من الاشعار بعلو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم
... واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم
والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلث صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الى آخرها ولذلك وصف
الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه اشير بقوله صلى الله عليه وسلم من عمل
بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين
وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو
اذ ... المسند الى الحكام او القاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة
ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول
على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا
وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي رحمه الله ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق
وقد رأيت الوجه ههنا وانما تمسك في ذلك بما روى علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفاه سنة ولم يقده به وبما روي عنه رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فانه شرع من قبلنا اذا قص
من غير دلالة على نسخه فالعمل به واجب على انه شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما يستويان فيهما وقرئ

على البناء للفاعل بغضب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفي لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهي شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وجعل العفو على المحو كما في قول من قال ٭ ديار عفاها جور كل معاند ٭ وقد رعفا كل حسان كسر اول مطال ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما ولا في استعمال الناس فانهم انما يستعملون العفو في باب الجنايات لا المحو كما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن الى الجاني والذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم واراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما من الجنس لكونهما من بني آدم عليه السلام لتحريك سلسلة رقته والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي ومطالبته الدية بالمعروف من غير تعنيف وتعزير واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها بالاحسان من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار ولكم في القصاص حياة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحياة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ في الآخرة والظرفان اما خبران لحياة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القرآن حياة للقلوب يا اولي الالباب اي ذوي العقول الخالصة عن شوائب الاوهام خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التأمل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال بالمحافظة عليه والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها لما مر او باعتبار ذكر الفعل مع جواز تأنيثه لتأنيث اللفظ لكونها بمعنى ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعدما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لا من حيث حدوث الكتب بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما في عدتك المفعول الكامل لا الايجاب لا مساغ لجعل العامل الوصية لتقدمها عليه مع ما هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قول من قال ٭ من يفعل الحسنات الله يشكرها ٭ ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحية النسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع له شيئا فيه دخل لرأيكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بالا مع التجنيس وتصديرها بكلمة التنبيه اذ الحقيقة ظهر ان الناسخ هو آية المواريث لا الحديث بل تحققه وتوكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله تعالى به عليهم ثم ان من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كأنه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا هو النسخ (?)

لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية حيث كان تفويض الامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسنى الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فكون آية المواريث ناطقة بمراتب الاستحقاق ومفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا اشتباه فيه على احد وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله اي غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه اي بعدما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى من لما في الصلة من الايذان بعلية ما في حيز الصلة للحكم وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرئ موص جنفا اي ميلا بالخطأ في الوصية او اثما اي تعمدا للحيف فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو وقال ٭ خيل صيام وخيل غير صائمة ٭ تحت العجاج واخرى تعلك اللجما ٭ وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب على انه نعت لمصدر المؤكد اي كتابا مماثلا لما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فان ذلك اليوم يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا فيه حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل هو عليه اي صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا للمكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه ايماء الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف مع ظهوره وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لانه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه واصلهما يطيوقونه ويتطوقونه من فيعل وتفعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطوقونه والثاني يتكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية

أو من تطوع الخير أو منهما أو من التأخير إلى أيام أخر والالتفات إلى الخطاب للحث والتنشيط {إن كنتم تعلمون} أي ما في
الصوم مع تحمل المشقة للإفطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره أي اخترتموه أو سارعتم إليه وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم
والتدبر علمتم أن الصوم خير من ذلك {شهر رمضان} مبتدأ خبره ما بعده أو خبر مبتدأ محذوف أي ذلكم شهر رمضان
أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا أو بدل
من أياما معدودات ورمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للتعريف والألف
والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للأمن من الالتباس وإنما سموه
بذلك إما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب بالصيام فيه أو لوقوعه في أيام رمض الحر عند نقل أسماء الشهور عن اللغة
{الذي أنزل فيه القرآن} خبر المبتدأ على الوجه الأول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى أنزل فيه أنه ابتدئ إنزاله فيه
وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض حسبما تقتضيه المشيئة أو أنزل في شأنه القرآن
وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين منه
والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين {هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} حالان من القرآن أي أنزل
كونه هداية للناس بإعجازه وغيره وآيات واضحة مرشدة إلى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام {فمن شهد
منكم الشهر} أي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب وتضمين المبتدأ
معنى الشرط أو زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبره وقيل هي جزائية كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام
في ذلك الشهر فمن حضر فيه {فليصمه} أي فليصم فيه فحذف الجار وأوصل الفعل إلى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على أنه مفعول كقولك شهد الجمعة أي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كأنه قيل {ومن كان مريضا} وإن كان حاضرا فيه مقيما {أو على سفر}
وإن كان صحيحا {فعدة من أيام أخر} فعليه صيام أيام أخر لأن المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك أو لئلا يتوهم
نسخه كما نسخ قرينه {يريد الله بكم اليسر} بهذا الترخيص {ولا يريد بكم العسر} لغاية رأفته وسعة رحمته {ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
على ما هداكم ولعلكم تشكرون} علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق أي ولهذه الأمور شرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص إباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز أن يكون معطوفا على علة مقدرة مثل
ليسهل عليكم أو لتعلموا ما تعملون ولتكملوا إلى آخره ويجوز عطفها على اليسر أي ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيمه
تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الإهلال وما تحتمل المصدر والموصول أي الذي هداكم إليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد
{وإذا سألك عبادي عني} في توجيه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى من تشريفه ورفع محله {فإني قريب}
أي فقل لهم إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه روي أن أعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت {أجيب دعوة الداع إذا دعان} تقرير للقرب وتحقيق له ووعد
للداعي بالإجابة {فليستجيبوا لي} إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم {وليؤمنوا بي} أمر بالثبات على ما هم عليه
{لعلهم يرشدون} راجين إصابة الرشد أي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام
بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه
ثم شرع في بيان أحكام الصيام فقال {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم} روي أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب
والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا ثم إن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقام رجال
فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح
بما يجب أن يكنى عنه وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وإيثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث
وتقديم الظرف على العامل مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فإن ما حقه التقديم إذا أخر بقي النفس مترقبة إليه فيتمكن عند وروده فضل تمكن
{هن لباس لكم وأنتم لباس لهن} استئناف يبين سبب الإحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن

وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر بالليل قال إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت
فكانت عليه لباسا أو لأن كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور {علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم} وتنقصونها حظها
من اللذات والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب
{فتاب عليكم} عطف على علم أي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه {وعفا عنكم} أي محا أثره {فالآن} لما نسخ عنكم التحريم
{باشروهن} المباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة
{وابتغوا ما كتب الله لكم} أي اطلبوا ما قدره الله لكم وأثبته في اللوح من الولد وفيه أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة
في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم {وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر} شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل
بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة
إلى التمثيل ويجوز أن تكون من للتبعيض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى خيطين أبيض وأسود فلا يزالون يأكلون
ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت لعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز أو اكتفى أولا باشتهارهما في ذلك
ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة إلى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم من أصبح جنبا {ثم أتموا الصيام إلى الليل}
بيان آخر وقته {ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد} أي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وأن الوطء فيه حرام ومفسد له
لأن النهي في العبادات يوجب الفساد {تلك حدود الله} أي الأحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى للعباد {فلا تقربوها} فضلا
عن تجاوزها نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن رتع
حول الحمى يوشك أن يقع فيه ويجوز أن يراد بحدود الله محارمه ومناهيه {كذلك} أي مثل ذلك التبيين {يبين الله آياته}
الدالة على الأحكام التي شرعها {للناس لعلهم يتقون} مخالفة الأوامر والنواهي {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل} نهي عن أكل بعضهم
أموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن أكل أموال أنفسهم نهار رمضان أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى
وبين نصب على الظرف أو الحال من أموالكم {وتدلوا بها إلى الحكام} عطف على المنهي عنه أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي ولا تلقوا
حكومتها إلى الحكام {لتأكلوا} بالتحاكم إليهم {فريقا من أموال الناس بالإثم} بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة أو متلبسين
بالإثم {وأنتم تعلمون} أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعاصي مع العلم بها أقبح روي أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض
ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية
فارتدع عن اليمين وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وروي أنه اختصم إليه خصمان فقال عليه السلام إنما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن
بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال
اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه {يسألونك عن الأهلة} سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال
يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا {قل هي مواقيت للناس والحج} كأنهم سألوه عليه السلام
عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله العزيز الحكيم أن يجيبهم بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم يعرف بها الناس أوقات عباداتهم لا سيما
الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة
والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة إلى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لأمر
{وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها} كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب
أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر {ولكن البر من اتقى} أي ولكن البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم
سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت الحج وذكر عقبه أمرا من أفعالهم في الحج استطرادا أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
فإنه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الأشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوه
تنبيها على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال كأنه تمثيل لحال من قلب ودخول البيت

من زمانه والمعنى ليس البر أن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله وأتوا البيوت من أبوابها إذ ليس
في العدول بر فباشروا الأمور من وجوهها واتقوا الله في تغيير أحكامه أو في جميع أموركم أمر بذلك صريحا بعد ما بين أن البر من التقوى لإظهار
الزيادة اعتناء بشأن التقوى وتمهيدا لقوله تعالى لعلكم تفلحون أي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله أي
لإعزاز دينه وإعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لإبراز كمال العناية بشأن المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك
قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة جميعا فإن الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء
فخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده إيراده في أثناء بيان أحكام الحج ولا تعتدوا
بابتداء القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم
إن الله لا يحب المعتدين أي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم أي حيث وجدتموهم من حل أو حرم
وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما أو عملا وهو متضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود
وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح من لم يسلم من كفارها والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي
يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم
لكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام أي لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثم لأنهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا ... العدل في الكلام
عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عنه بالنظر إلى العلة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا
بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فإن انتهوا عن القتال والكفر بعدما
رأوا قتالكم فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله خالصا
ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين أي فلا تعتدوا عليهم إذ لا
تظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم
إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة واتفق لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة أيضا وكرهوا القتال فيه فقيل هذا الشهر الحرام بذاك الشهر
الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص أي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة
شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شأن الانتصار واحذروا أن تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله
مع المتقين فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين وأنفقوا في سبيل الله أي لا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإن ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم
ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها
فنزلت أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء
وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك
وقيل معناه لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول وأحسنوا
أي أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على الفقراء إن الله يحب المحسنين أي يريد بهم الخير وأتموا الحج والعمرة لله بيان
لوجوب إتمام أفعالهما عند التصدي لأدائهما وإرشاد للناس إلى تداركهما على ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الإحصار ونحوه
من غير تعرض لحالهما في أنفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل فإنه بيان لوجوب مد الصيام
إلى الليل من غير تعرض لوجوب أصله وإنما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما أن وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس

حج البيت الآية فإن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمرا بأصله ولا مستلزما له أصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا
وادعاء أن الأمر بإتمامهما أمر بإنشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة وأقيموا الحج والعمرة وأن الأمر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل
مما لا سداد له ضرورة أن ليس البيان مقصورا على أفعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق أن تلك القراءة أيضا محمولة على المشهور
المعلوم بوجوب إتمام أفعالهما كما سبق من غير تعرض لحالهما في أنفسهما فالمعنى أكملوا أركانهما وشرائطهما وسائر أفعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى
من غير إخلال منكم بشيء منها وقد قيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم
وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تجعل نفقتهما حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما
بشيء من الأغراض الدنيوية وأيا ما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة أصلا وأما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال
إن العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما
جميعا فبمعزل عن إفادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن
أن تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فإن أحصرتم أي منعتم من الحج يقال حصره العدو وأحصره
إذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل صده وأصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله لقوله تعالى فإذا أمنتم ولنزوله
في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض عند أبي حنيفة رحمه الله لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي أي فعليكم أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى إن المحرم
إذا أحصر وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر وعندنا يبعث إلى الحرم ويجعل للمبعوث
بيده يوم أمارة فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله أي لا تحلقوا حتى تعلموا
أن الهدي المبعوث إلى الحرم بلغ مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه
حلا كان أو حرما ومرجعهم في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف
الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية
هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي جمع جدية وقرئ من الهدي
جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية أي فعليه
فدية إن حلق من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة
لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع
فإذا أمنتم أي الإحصار أو كنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع بالعمرة إلى الحج أي فمن انتفع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع
بتقربه بالحج في أشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج فما استيسر من الهدي
أي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه إذا أحرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي رحمه الله وعندنا هو كالأضحية
فمن لم يجد أي الهدي فصيام ثلاثة أيام في الحج أي في أشهره بين الإحرامين وقال الشافعي رحمه الله أيام الاشتغال بأعماله بعد الإحرام
وقبل التحلل والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وأيام التشريق وسبعة إذا رجعتم أي نفرتم وفرغتم
من أعماله وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله أو إذا رجعتم إلى أهليكم وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام تلك عشرة فذلكة
الحساب وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فإن
أكثر العرب لا يعرف الحساب وأن المراد بالسبعة العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك أيضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة
تفيد المبالغة في المحافظة على العدد أو مبينة لكمال العشرة فإنها أول عدد كامل إذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمالها
بدليتها من الهدي ذلك إشارة إلى التمتع عندنا وإلى الحكم المذكور عند الشافعي رحمه الله لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام
وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا وأهل الحل عند طاوس وغير أهل مكة عند مالك
واتقوا الله في المحافظة على أوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا أن الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان
وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة الحج أشهر معلومات معروفات بين الناس هي

عجرة

أي نفقة

شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام
به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر
في غير العقلاء تجيء بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث
ولا فسوق اي لا جماع او لا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل السباب والتنابز بالالقاب
ولا جدال اي لا مراء مع الخدم والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار
بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة
على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة
القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالفتح
على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا
وان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي به خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا
فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب
فان قضية اللب خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤوا من كل شيء
سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص هذا الخطاب باولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي
في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها ايام موسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها
بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه علمية وتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع لذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وما فيه ذلك لان التأنيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت
وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت
او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي عليه السلام الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج
او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بالصلوة بين العشائين
عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روي عن جابر انه عليه السلام
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة
ووصفه بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم
اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ذكره
من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله
عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون
بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناسي بالكسر اي الناسي على ان يراد به آدم
عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك
ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه وهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة

بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم
وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد
ذكرا مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية
من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول
اي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار
همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر همه على المطالب الدنيوية ومنهم
من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا
عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار
المرأة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية
الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة
الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع
اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء
كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا ان تخلوا بطاعة
من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله اي كبروه
في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل النفر
اذ التعجل والاستعجال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق لقوله تعالى ومن تأخر كما في قوله
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤوس اليوم
بعينه ينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند
بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التعجل والتأخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا
بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمنهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى خبر لمبتدأ محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم
عن المتعجل والمتأخر من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة المنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله
في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات لتعبأ بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص او احذروا الاخلال
بما ذكر من الاحكام وهو الانسب لقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر
الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة
التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له الى النبي عليه السلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس في شأن
التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما فيه من فنون الحلاوة ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب
عدم الشعور بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريد بادعائه
من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم او في شأنها اي انه لا قول له في الآخرة ليس بمثل الصفة او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا
حلاوة وفصاحة لا في الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا يبالغ حينئذ في سوء حاله
فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه الا القول الحسن
ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب دعواه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله
فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالكلمة

اعراضه وقرئ ويشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين والخصام مصدر واضافة
الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم لهم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي
وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير
لـ المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين الاخريين واذا تولى اي ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل
على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد
اي لا يرتضيه فيغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييل واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك
ما تباشره من الفساد او النفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه
لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل
ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم
ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب
ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد وشاق الطاعات او يعرضها للهلاك في الحرب
او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وهو كال التقوى المراد
فيما قابل الاول من حيث ان ذلك ينفق من الامر بالتقوى وهذا يأمر به وتلك اداه الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي
اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوه منه واتى المدينة فيشتري حسنه بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشرى والله رؤف بالعباد ولذلك
يكلفهم التقوى وعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييل يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل
الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا
كما في قوله خرجت بها تمشي تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت بمعنى جميعا والتاء
ليست للتأنيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا بمعنى الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تأخذ منها
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والآية تحتمل كافة عامة وخاصة وكافة المعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة
ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون
بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم وتسميتهم
بالايمان على طريقة التغليب او بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين واما طب
اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بالكفر الان اذ لا يتم الا به ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق ومخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء
فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم الآيات البينات والحجج القاطعة الدالة
على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة
من مؤاخذة المجرمين مستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون لما يعملون من الغفلة
والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان يأتيهم الله اي امره او بأسه او يأتيهم الله بأمره وبأسه فحذف المأتي به
لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف
على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها
في ظلل جمع ظلة كقلل في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما يأتيهم
العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب

باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي يأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى
بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي او الاتيان من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه
عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اي تم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكأنه قد كان
او جملة مستأنفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور بالتاء
من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بهذا السؤال تبكيتهم وتقريعهم
وتقرير لمجيء البينات كم اتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم السلام او آية ناطقة بحقية الاسلام المأمور بالدخول
فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل
نعمة الله اي آيات الله فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او بتحريفها
وتأويلها الزائغ من بعد ما جاءته اي وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم
قد بدلوها بعدما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف
للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كأنه قيل ومن يبدل يعاقبه الله عاقبة اشد
عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحياة الدنيا اي حسنت
في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والمزين من حيث الخلق والايجاد هو الله
سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور
البهية والاشياء المشتهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية
منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية
كأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا هم الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا
للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيامة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في
الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الاخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة
على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع
في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق دين الاسلام وكان ذلك
بين ادم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله يدل عليه قراءة ابن مسعود
وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب رضي الله عنه الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام
مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة
متفقة على الكفر والضلالة في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل
معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب خاص لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب
وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا
بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس
حاليه اي المذكورين والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي او في الكتاب المنزل ملتبسا به وما اختلف فيه
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال شناعتهم
من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازاحة الاختلاف
سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام اي فاختلفوا
وما اختلف فيه الى آخره وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلق
اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين امنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف

من الحق بيان لما في ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء
عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر
وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اي بل حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء
ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع
ومنتظر مستهم استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كأنه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة
من الخوف والفاقة والضراء اي الآلام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى
واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره متى اي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة
الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وفيه اشارة الى غاية العناء القصوى ونهاية الثبات ان كيف لا والرسل
مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضيق علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمع وراءها الا ان
الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية
على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد
بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم
الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وقد رمز
الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة
حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع الانواع من الاموال وبيان لما في السؤال الا انه
جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض البيان للمصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين لما ان الاهم بيان
المصروف لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح وكان شيخا هرما ذا مال عظيم
قال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل
لم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه
شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدي
كتب عليكم القتال بنيا الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ بنيا للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ
عليكم القتل اي قتل الكفرة والاول هو الاولى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول
مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه لغة في المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كأنهم اكرهوا
عليه لشدته وكراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها
القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهي معطوفة على ما قبلها لا محل لها من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به وانتم
لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك آراءكم واشتغلوا بامره
يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر
بشهرين ليترصدوا عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة
الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل

توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل
الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل
يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل
فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف
ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان
المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم و
ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد
عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله سبحانه وكونه عطفا على كبير
فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله
والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض منه ويجوز ان يكون معطوفا على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام
واخراج اهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على كفر اكبر عند الله
خبر للاشياء المعدودة اي كبائر قريش اكبر عند الله مما فعلوا بالسؤال وهو ما فعله السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء
اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين
حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل وايثار الذين اليهم لتذكير ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا
اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اي من يفعل
ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي
كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية
واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون
كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمة الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء
دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها
والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها
يسألونك عن الخمر والميسر قد تواردت في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا افتنا
يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
فسكروا فأم احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن
عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان

والتي حجار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي بها عصير العنب اذا غلى واشتد وقذف الزبد لتغطيتها
العقل والميسر كأنها تخمره تستره كما سميت سكرا لانها تسكره اي تحجزه والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته
اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب يساره وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح
هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم
من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان
وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل
ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له
من تلك الثلاثة غرم من الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين
اللعبتين المشؤمتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر
والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما وذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين
والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية
الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول
ما لا يخفى على واطن مواقع التنزيل واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما
ويسألونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي شيء ينفقونه قيل سائله عمرو بن الجموح
سأل اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سأل ثانيا عن اي اصنافها ينفق من
خيارها ام من غيرها او سأل عن مقدار ما ينفقه قيل قل العفو بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما
استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر
مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر
ذلك مرارا حتى قال صلى الله عليه وسلم مغضبا هاتها فاخذها فحذفها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به
ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما هو محله النصب على انه
نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما سبق في اجوبة الاسئلة الثلاث يبين الله لكم الآيات
الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر ما فيه من التحقيق في قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات لما فيها
الخفي المتحتم للمدلول لا انه يبقى شيء منها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون كي
تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما فيها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق بيبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا
والآخرة الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اي يبينها لكم كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم على التعليل
لمزيد الاعتناء بشأن التفكر واما بقوله تتفكرون اي تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة في اجوبة الاسئلة
المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية وتجويز التعميم لجميع الامور
المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ اشارة الى ما مر من البيانات كلا او بعضا لا الى مصدر يبين فانه حينئذ فعل مستقل ليس بعبارة
عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين لكم الآيات والدلائل لعلكم
تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون ما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما يقتضيه تلك الآيات المبينة
ويسألونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة

اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم واموالهم
على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي
هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد
من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدي الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في اموالهم عند المخالطة ومن يقصد بمخالطته التي
والاتلاف ويميزه ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ضمنه وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد
وتأكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم اي تكليفكم بما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم
مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو يفعل ما تقتضيه الحكمة وقوله عز وجل حكيم
اي فاعل لافعاله حسبما يقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا
المشركات اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات
ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي باقية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو
ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت
ولامة مؤمنة تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التأكيد
مبالغة في الحمل على الارتداع واصل امة امو حذفت لامها على غير القياس وعوض منها تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع
قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا ادعي نبأ الاموان للعار وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت
بالاموة وقد وصفت بمؤمنة لما فيها من لام الابتداء او الوصف اي لامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين
والدنيا من مشركة اي امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن ولو اعجبتكم فقد مر تحقيق في امثال هذه
المواقع ليست لبيان مغايرة الشيء المذكور لما قبله لاتحاد غيره فيه فلا لاحظ لها من جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه من نقصان المعنى
على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي
القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو التي للعطف على نظيرها المقابل
لها الشامل لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم
والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المعنى والامة المؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها
ونسبها ونحو ذلك من مبادي الاعجاب وموجباته عند حصولها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة فتجري سببها على
حسب ما هو معه فلان يتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بذاك والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار
اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها ولا تنكحوا المشركين من الانكاح
والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر
ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة
الى ذاته وصفاته اولئك استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اي اولئك المذكورون من المشركين والمشركات
يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم
والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما
وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اي يدعو
بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام
الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران

فزلت

هذا وقد حمل معنى والله يدعو اولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وبيان
بان الضمير المعطوف على الخبر في قوله تعالى ومن يتق الله تعالى فلزم التفكك وحمل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة
فانها موصولة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا
للمبتدا لكن يفوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ويحمل الطريق الاسلم اي ويختاره اولا ويراد
التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ويسألونك عن المحيض عطف على ما تقدم
من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك
في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنوا الحيض ولا يواكلوهن
كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فنزلت قل
هو اذى اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة الحيض
قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان
آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون
في الاعتزال فامر المسلمين بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد عدم قربانهن
لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع وان كان في اقلها
من الاغتسال او من مضي وقت صلاة وعند الشافعي ان يغتسل بعد الانقطاع كما يفصح عنه قراءة التشديد ونص عليه قوله عز وجل
فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فأتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين
مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه من سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وكرر الفعل لمزيد الاعتناء بامر التطهر نساؤكم حرث لكم
اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل
فأتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم
من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند الجماع
واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لتحصيل ما تنتفعون به حينئذ
واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال
بما تقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه ما في الخطاب
وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله
ابن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح
لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة يطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا عنه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى
المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله تعالى للامور التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان
لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام
في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا
بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض للامور المذكورة ويحجزها بان تكون الحلف به تعالى على تركها وقد جوز ان يكون
اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها او بحذف مؤدية الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي
وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم مبتذلا بكثرة الحلف ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين اتم الشتم

وجعل الحلاف مقدمها ان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له
فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم
بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به
في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب
وعند الشافعي رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول
لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم باللغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب
في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكم بها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين
ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم
حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الى آخره وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب
الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى وتعديته بمن
لتضمنه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي
منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد
او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح
وحنث القادر ولزمه كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا اي رجعوا من اليمين بالحنث
والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله
غفور رحيم يغفر للمولي بفيئه التي هي كتوبة اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق
واجمعوا عليه فان الله سميع لما جرى منهم من الطلاق وما تعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة
عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن
لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر الاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءان
يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتأكيد باشعاره بان المأمور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان فكأنهن امتثلن
بالامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا محققا وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بانفسهن اي بانفسهن اي يغيظها ويحملها
على التشبه بل سبق عليها من التربص وفيه حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الاقتصار بما يستنكفن منه من كونهن
طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف
اي يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام
اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر
ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من
مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد
استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر
جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله لا انه هو اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع
فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعول جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة
او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذي طلقهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض
المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وفيه للتفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة

والمراة بما وجب لها من قوله على نحو ما لان لها ايضا حقا فى الرجعة ان ارادوا اى الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم
وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد
الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذى لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التى يجب مراعاتها ويحق المحافظة
عليها وللرجال عليهن درجة اى زيادة فى الحق لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن فى المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية
فى الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما فى ايديهن يشاركونهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية
والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم ينطوى شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو
بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعى لما ان السابق فى الرجعة ولما روى انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام
او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اى عدد الطلاق الذى يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا
مرتان اى اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا
حينئذ ايضا فامساك اى فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اى بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضى العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعى وبالمرتين
مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الى آخره حكم مبتدا وتخيير مطلق والفاء للترتيب
على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن اى
من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها فى الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا ما اعطوهن
بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا ما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اى نزرا يسيرا فضلا
عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع
وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان
وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اى ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على بناء
المفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بالخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اى الزوجان
حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اى على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج فى اخذ
ما افتدت به ولا عليها فى اعطائه اياه روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شىء والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى اكره
الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت
فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اى الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد
حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه
ووضع الاسم الجليل فى المواقع الثلاثة موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهى بالوعيد للمبالغة فى التهديد
فان طلقها اى بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اى من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره
اى حتى تتزوج غيره فان النكاح اسنادا الى كل منهما يتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روى ان امراة
رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه مثل هدبة
الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق
عسيلتك فمسئلة تجويز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة فى هذا التشريع الردع
عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة لكن الشرط
يهدر جانبه وحرام عند الاكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اى الزوج الثانى فلا جناح عليهما
اى على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الاخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله اى ان كان فى

بتقابله

فانه

مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافى
للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اى احكامه
المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتى بناء على ان بعضها
ملحقة زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر بعد خبر عند من جوز كونه جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال من حدود الله
والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اى يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان
بعض الخصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون فى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن فان
الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشىء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد ههنا
لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اى فراجعوهن من غير ضرار
او خلوهن حتى ينقضى اجلهن من غير تطويل وهذا اعادة للحكم فى بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة فى ايجاب المحافظة عليه
ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بالمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار
بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد الامر بضده
لا ذكر ونصب ضرارا على العلية او الحالية اى لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام فى قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اى لتظلموهن
بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته
فى الشر والفساد فقد ظلم نفسه فى ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة
اى جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اى مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا فى المحافظة على ما فى تضاعيفها
من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزء بها واريد به الامر بضده اى جدوا فى الاخذ بها
وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهى عن الامساك ضرارا فان الرجعة لا لرغبة فيها عمل بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء
وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اى قابلوها بالشكر
والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اى كائنة عليكم او صفة لها على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض
صلته اى الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كالنبات ولا يقدح فى عملها تاؤها لانها
لا تبنى عليها كما فى قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عطف على نعمة الله موصول
حذف عائده من الصلة وتخصيصه بالذكر مع اندراجه فى النعمة عليكم من الكتاب والحكمة بيان له اى من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف
لتغاير الوصفين كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفى ابهامه اولا ثم بيانه من تفخيم الامر ما لا يخفى وفى افراده بالذكر مع كونه
فى النعمة المامور بذكرها ايذانا بخطره ومبالغة فى البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اى بما انزل حال من فاعل انزل
او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله فى شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شىء عليم فلا يخفى
عليه شىء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العذاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم آخر
متعلق ببلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما قرب منه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها
فلم يخرج والمراد المنع والخطاب للاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها
الاول بالنكاح وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل
لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله وتخصيص وقوع العضل المذكور عنده وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج
نفسها والا لما احتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن
عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة او الازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية
فان اسنادهما الى فاعل واحد ... الجمع شائع والمعنى اذا وجد منكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من
الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل

من

في استيعاب الثلاثة وسائر الفائدة أن ينكحن أي من أن ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن أزواجهن إن أريد بهم المطلقون فالزوجية إما باعتبار ما كان وإما باعتبار ما يكون والأخبار لاعتبار الأخير إذا تراضوا ظرف لا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لأنه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لأن ينكحن بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس إما متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا أو نعتا لمصدر محذوف أي تراضيا كائنا بالمعروف وإما بتراضوا أي تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه إشعار بأن المنع من التزوج بغير كفؤ أو بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك إشارة إلى ما فصل من الأحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار إليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد إما باعتبار كل واحد منهم وإما بتأويل القبيل والفريق وإما لأن الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين أو للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء للدلالة على أن حقيقة المشار إليه أمر لا يكاد يعرفه كل أحد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع إلى الامتثال بأوامره ونواهيه إجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم إما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها وإما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن أي كائنا منكم ذلكم أي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه أزكى لكم أي أنمى وأنفع وأطهر من أدناس الآثام وأوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمون ذلك أو والله يعلم ما فيه صلاح أموركم من الأحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وأنتم لا تعلمونه فدعوا آراءكم وامتثلوا أمره تعالى ونهيه في كل ما تأتون وما تذرون والوالدات يرضعن أولادهن شروع في بيان الأحكام المتعلقة بالأولاد خصوصا والمشركات وهو أمر أخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب أو الوجوب إن خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير أو فقدان الظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو أولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن إذ الكلام فيهن حولين كاملين أكده بصفة الكمال لبيان أن التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن أراد أن يتم الرضاعة بيان لمن توجه إليه الحكم أي ذلك لمن أراد إتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فإن الأب يجب عليه الإرضاع كالنفقة والأم ترضع له كما يقال أرضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له أي الوالد فإن الولد يولد له وينسب إليه وتغيير العبارة للإشارة إلى المعنى المقتضي لوجوب الإرضاع ومؤن المرضعة رزقهن وكسوتهن أجرة لهن واختلف في استئجار الأم وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح أو العدة وجائز عند الشافعي رحمه الله بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس إلا وسعها تعليل لإيجاب المؤن بالمعروف أو تفسير للمعروف وهو نص على أنه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي إمكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له أي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف وأصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل أو بالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون بمعنى تضر والباء من صلته أي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضيره وإضافة الولد إلى كل منهما لاستعطافهما إليه وللتنبيه على أنه جدير بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي أن يضرا به أو يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل أو تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصبته وقال الشافعي رحمه الله هو وارث الأب وهو الصبي أي يمان من ماله إذا مات الأب ولا نزاع فيه وإنما الكلام فيما إذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الأبوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك إشارة إلى ما وجب على الأب من الرزق والكسوة فإن أرادا أي الوالدان فصالا أي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للإيذان بأنه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف هو صفة لفصالا أي صادرا عن تراض منهما أي من الوالدين لا من أحدهما فقط لاحتمال إقدامه على ما يضر بالولد بأن تمل المرأة الإرضاع ويبخل الأب بإعطاء الأجرة وتشاور في شأن الولد وتفحص عن أحواله وإجماع منهما على استصلاحه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل إذا

استخرجته وتكريرهما للتفخيم فلا جناح عليهما في ذلك لما أن تراضيهما إنما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على أن صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وإن أردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات إلى خطاب الآباء لهزهم إلى الامتثال بما أمروا أن تسترضعوا أولادكم بحذف المفعول الأول استغناء عنه أي أن تسترضعوا المراضع أولادكم يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها إياه وقيل إنما يتعدى إلى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي أي أن تسترضعوا المراضع لأولادكم فحذف حرف الجر أيضا كما في قوله تعالى وإذا كالوهم أي كالوا لهم فلا جناح عليكم في الاسترضاع وفيه دلالة على أن للأب أن يسترضع للولد ويمنع الأم من الإرضاع إذا سلمتم أي إلى المراضع ما آتيتم أي ما أردتم إيتاءه كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ أتيتم من أتى إليه إحسانا إذا فعله وقرئ ما أوتيتم أي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم إلى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب إلى ما هو الأليق والأولى فإن المراضع إذا أعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك أدخل في استصلاح شؤون الأطفال واتقوا الله في شأن مراعاة الأحكام المذكورة واعلموا أن الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف أي أزواج الذين يتوفون منكم أي تقبض أرواحهم بالموت فإن التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه أي أخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا أو على حذف العائد إلى المبتدأ في الخبر أي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم أي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور والأيام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله أصلا حتى إنهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى إن لبثتم إلا عشرا ثم إن لبثتم إلا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير أن الجنين إذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة أشهر وإن كان أنثى يتحرك غالبا لأربعة فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهارا إذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والأمة والحائل والحامل في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الأمة وقوله عز وجل وأولات الأحمال أجلهن خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنها تعتد بأبعد الأجلين احتياطا فإذا بلغن أجلهن أي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأئمة والحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع فعليهم أن يكفوهن عن ذلك وإلا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما أمرتم ولا جناح عليكم خطاب لكل من يريد النكاح فيما عرضتم به التعريض والتلويح إبهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لأسلم عليك وأصله إمالة الكلام عن نهجه إلى عرض منه أي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب أي الشأن الذي له خطر لما أنها شأن من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن أن يقول لها إنك لجميلة وصالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك مما يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح أو أكننتم في أنفسكم أي أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا علم الله أنكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن إظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذي هو الوطء مما يسر وإيثاره على اسمه للإيذان بأنه مما ينبغي أن يسر ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصابه على الظرفية أي لا تواعدوهن في السر على أن المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه إلا أن تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي أي لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما تكون بطريق التعريض والتلويح أو إلا مواعدة بقول معروف أو لا تواعدوهن بشيء من الأشياء إلا بأن تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لأدائه إلى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الأمر إذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي

لمن لم يبيت الصيام للنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله
اي العدة المكتوبة المفروضة اخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا
عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه
بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء
في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب
اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تأتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن
غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يصح فيها ما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف
اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
ولا يخفى ان ليس المسيس بعد الطلاق فلا وجه لان يقدر الحال بمكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن
او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية
ويجوز ان يكون مصدرا بصيغة اعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق مطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال
تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم التسمية عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة
التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس
ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر يستدعيه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش
الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال
كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا
او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه
اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة لا ينقص
من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد
اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف
وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة قبل ذلك
اي ان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين فريضة فيما سبق اي عند النكاح بناء على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن
ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المعنى بالفاعل والمفعول وان لم يقارن حالة التطليق
لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها
فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة
السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا النصف وفي تأخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر
في الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهاره ان لا شيء له متعها بقلنسوتك الا ان يعفون
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه
وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث واما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي
الثاني لام الفعل والنون ضمير الفعل ولذلك لم يؤثر فيه ان واثر فيما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون
الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد

من

الواو

تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة وتسمية ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة وتغليب لحال السوق على حال عدمه
فرجع الاستثناء حينئذ الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان اي فلهن هذا القدر بلا نقصان
ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ما دونه او حيطة او في حال عفو الزوج
فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا
لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب ها هنا وفي القول القديم للشافعي رحمه الله ان المراد عفو الولي الذي بيده عقد نكاح
الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا ان الاول انسب لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الى اخره فان اسقاط حق الصغيرة ليس
من التقوى في شيء وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء
ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء
جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات
اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف
بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها
بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية
المتاكدة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود
عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار حينئذ وقيل هي صلوة
الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة
من حيث العدد ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل صلوة العشاء لانها بين جهريتين
واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام يريد الصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون حينئذ احد
الاربع قد خص بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ على الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا
اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء منها
وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم
او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا
راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف بالجملة وقد جوز الشافعي رحمه الله اداؤها حال المسايفة ايضا
فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف
وقع صفة لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة المؤداة موافقة لما علمكم
الله تعالى واراد بذكر العنوان تذكير النعمة او شكرا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها
كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية
الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبني على تنزيل مقام وقوع
المامور به فيها منزلة مقام وقوع الامر تنشيطا للمامورين عبارة الاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما تحري حصول المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار
ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان
احكام وسلطتها بينهما لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب عليهم وصية
ويؤيده قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية
متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما
في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم

بان يتمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وان كان متقدما في التلاوة متاخرا في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي رحمه الله هي باقية فان خرجن عن منازل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواكن مدخولا بهن اولا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة اوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اي ما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون كي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية والنظر اليه او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم بعجبها وان لم يكن ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى الرؤية وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رآهم فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه وتشبيه لها بامر آمر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على انه عبارة عن الامر وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار والاظهار في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا لثواب الآجل والمراد ههنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ومقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرض الله وقرئ بالرفع اي فهو يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية ظاهرا

طامة او صيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان لتضمين المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر وجمع للتنوع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ ويبسط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق وقطع عنه للايذان باستقلاله في التعجيب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملا من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملئون العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليئون بما يحتاج اليه ومن متعلقة بمحذوف ... في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملا اي كائنين من بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملا او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع ابن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بالي بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه مقدرين القتال او استئناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر او الوصف لملكا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه الشرط ما المشهور بان هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا الى العدو مع انه اظهر تعلقا بكلامهم لما ان ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في تبكيتهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ايراده ذكره ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق وما لنا الا نقاتل اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله انما ذكر ههنا مال امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول ياباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استئنافا كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم

لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح
منكم وثانيا بان العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء
ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا
وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده
فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء
من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وقال لهم نبيهم وتوسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين
متفرع على السابق كانهم طلبوا منه عليه السلام ما يدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية
ملكه فقال إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع
اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها هاء
والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب
القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف
والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت هذا قول ابن عباس وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه
تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان
توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى
عليه السلام فكان يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته
ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون
على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا
سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء
حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالباسور وهلك من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه
وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت وقيل لما سألوا نبيهم
البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم
اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التوراة المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام
اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها
وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه
كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة
وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام والآل ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله
الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ونقل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة
عن سوقهم للثورين الحاملين له إن في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى
القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
على التقديرين بتأويل الفريق او غيره كما سلف لآية لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر إن كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية
والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس واصل الفصل القطع يقال فصله فانفصل
فاعلا ومفعولا شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا آخر ممتازا من المتعدي
بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا

من طالوت اي مصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج
بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة
فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فعند ذلك طلبت مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته
قال إن الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء شربه من النهر بالكرع لانه الشرب منه حقيقة
فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه
اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف
غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة
باليد دون الكروع والغرفة بمعنى المغروف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف هو صفة لغرفة اي غرفة كائنة
بيده ويروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وادواته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش
فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه إلا قليلا منهم وهم المذكورون فيما سلف من الاستثناء
من الاول وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن مراعاة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال
لم يطيعوه نحو ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع
في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف
متعلق بمحذوف وقع صلة للموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة
الى من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي
بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان نكون غالبين عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح
قال استئناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل الخلص منهم الذين يتيقنون
لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع
متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا
للمتخلفين عنهم كانهم قالوا اعتذارا عن التخلف النهر هنا كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته
او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية
مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء وخبره غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة بإذن الله اي بحكمه وتيسيره
فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده
وهذا روعي في الجواب بعينه حيث لم يقل اطاقة بعد كثرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وما
كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه لا دخل فيه لذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد
فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة لا يتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد
على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن معاونة
نبيه صلى الله عليه وسلم بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معية نصره وتأييده حتما وحملها على المعية بالاثابة
كما قيل يأباه انهم انما قالوه تشجيعا لاخوانهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة
ولا تعلق لما ذكر من المعية بالاثابة بذلك قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهته سبحانه تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى
قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
فتح ايضا نعت جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي
طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد
والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تعبئة العدو للحرب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني
متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة العصيبة

وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال ايذان بالافراغ المطلوب عن اكثره وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم
من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وتثبيت القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند
المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين
في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ
الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم
بالكسر باذن الله بنصره وتأييده اجابة لدعائهم وايثاره على الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا
الى آخره للمحافظة على مضمون قوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت
ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه
فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار وقال له كل منها احملني فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته وقيل ابطا على ابيه خبر اخوته
في المصاف فارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان
جبلا مهيبا فقال داود ولا غيرة ما يحكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجره اخوته فجاء الى ناحية اخرى ليس فيها اخوته فقدم به طالوت وهو
يحرض الناس على القتال فقال له داود عليه السلام ما يصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له
داود ورماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصاب صدره فنفذ الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمته الاحجار عند بروزه
لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك
داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها
والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك
وعلمه مما يشاء اي مما شاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان عظم ما علمه الله تعالى اياه مما لا يكاد
يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد والانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية
ولولا دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى
من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على ان صيغة المبالغة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت
مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم
المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر
قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه وضع
موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله
تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الارض وتنتظم به مصالح العالم
وينصلح احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو شأن المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة
جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز
النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها
موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق وانك
لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان اخبارك بالمعاينة
لا تجري بينك وبين قدمهم في شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم ما يستوجبها واتى كيد من عصم مقام الجاحدين
بها تلك الرسل استئناف مقرر لما انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام اثر بيان كونه
من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في الرسل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم

على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور
اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله
من المكالمة فانه كلم الله كما انه تعالى كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكلم والرفع
وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم
من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل درجات عالية ومراتب سامية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال
في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك لتنويه شأنه فانه قد خص بالدعوة
العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه
العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بمقام الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم
من الرسل عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وايدناه اي قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي الروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح
عيسى وانما وصفت بالقدس تكرمة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قال
عليه السلام بما ذكر لما ان اهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
متفاوتة الاقدار يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة
اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء
على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الى آخره وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل
البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الى الاقتتال
ومن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اي فالاستثناء في مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها
الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناش من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه
قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم
من كفر بذلك كفرا لا ارعواء عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله
عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا اي ما اقتتل بعض
منهم عرق التفاوت والتعادي لما ان الكل بمشيئته تعالى فليس تكريرا تأكيدا بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته
لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعها بل هو مستمر على حاله حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم لما اقتتلوا
كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم اقتتالهم
والمراد انه من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة
لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا في سبيل الله مما رزقناكم اي شيئا مما رزقناكم
على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به
الانفاق الواجب لاقترانه بالوعيد من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها
ولا تخالف فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم
فيه اذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن
له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت الثلاث مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب
هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اي والتاركون للزكاة واثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى
ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة هم الظالمون
اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر اي هو المستحق
للمعبودية لا غير وفي الضمير خبر لا بتقدير لا شيء في الوجود ويصح ان يوجد خلافا للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء

وهو اما خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من هو او مبتدأ حذف خبره ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه
بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه
سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر
الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة
الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر
على دفع النوم القوي كما في قولك فلان لا يغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط
كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية والتعبير عن عدم الاعتراء والعروض
بعدم الاخذ لمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة
تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق
وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج على تفرده في الالهية
والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده بشفاعة وضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة
او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب من فيهما من العقلاء على غيرهم
او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء ان يعلمهم
وعطفه على ما قبله لما ان مجموعهما دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض
الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود
وانما هو تمثيل لعظمة شانه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من الكرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك
فان الكرسي كل مكان اعظم يكون عظيم الكرسي اكثر فخبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه احاطته بالاقطار العلوية
والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات والارض السبع مع الكرسي كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي
كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش ولا يؤده اي لا يثقله ولا يشق عليه
حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه
والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه وهذه الآية الكريمة مشتملة على امهات المسائل الالهية المتعلقة
بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لان
القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول متبرئ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري
النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له الرحمن
عالم بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه ان يملك ويقدر عليه
لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يناله الاوهام عظيم لا تحيط به الافهام ولذلك تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة
خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية من القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته
الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب

وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد
البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما ثبت
بالاخبار المستفيضة والمنعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستأنفة
جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف
والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف
ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله
عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد
الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان
كالملكوت والجبروت قلب بتقديم لامه على عينه لانه في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتأنيث
للارادة بالالهة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير اي فمن يكفر بما يطغيه
من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادة
تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية
به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به عز وجل لتوقفه عليه فان التخلية مقدمة على التحلية فقد استمسك
بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو متمسك بها يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الانفصام
الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على نفي الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال
من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى واما في حيز الخبر اي كالتي لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة
من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض بوجه ما لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه
فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي
اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك مستعارا لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله سميع
بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد
الله ولي الذين آمنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية
او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل ما يعم
مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها الفوقية العالية في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه
الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها
من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة
خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها وعدل عن تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة
بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق
الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق
الى القدرة سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها
وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذين حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر

من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على الآية الاولى
وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين ما قبله والاستفهام للتعجيب حقيق بان يتعجب منه ويعجب من اجترائه على محاجته في ذاته
عز وجل وما اتى به في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيها من تعدد وتفصيلا يورث تقديمه تشتت النظم على انه قد اشير في تضاعيف
الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وافحام الكافر من آثار ولاية الله تعالى وهمزة الاستفهام
لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات
اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده في المحاجة ان آتاه الله الملك اي لان آتاه
اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لاني
احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من
آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال
من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحياة والموت في الاجساد قال استئناف مبني على السؤال كانه
قيل فماذا قال ذلك الكافر في هذه المقالة الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك
قال ابراهيم استئناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابراهيم حين سمع هذه المرتبة من الجهل والحماقة فقيل قال فان الله ياتي
بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فات بها من المغرب اي ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى
الى ابطال مقالة اللعين اذ ذاك بان بطلانه من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطاله من قبيل
تحصيل الحاصل وانه لا مثل لاجل التعين لمجال التمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان
الموصول مفعول له اي غلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا
والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم
عن قبول الهدى الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر
من ان لا سبيل للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على الواو العاطفة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه
من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي
مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او الم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة
الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رايت مثل ذلك وشاهدته فان لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الى العبرة بهذا
الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني او ارايت مثل الذي
ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه راي الجمهور فتخلص بتحرير التنزيل فتدبر
والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن حلقيا
من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد
والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابرآباد وقال السدي هي سلماباد
والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد سلط الله سبحانه
عليهم بختنصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم
ابقاهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير
من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي
خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض
اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيي اي يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد

ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي
واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من نحو يا اهل الذين يعرفونها من سبا ومن حضرموت وانما عبر عنها بالاحياء
الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجل ذلك عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها
وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل ابعد الامرين في نفسه
ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده والماحل احياءها على احياء اهلها فيأباه التعرض لحال القرية
دون حال اهلها والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها
على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله والبثه على الموت مائة عام
روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب
وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب وامات حماره وبقي سلة عنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه
عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس
ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل
وردهم الى بيت المقدس ونزح اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة
من موته احياه الله وذلك قوله تعالى ثم بعثه واثاره على الاحياء للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على الباري تعالى
كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استئناف مبني على السؤال
كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة
ربما يتوهم انه مبني في الجملة بعد مدة طويلة وتحسم بمادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته
وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم
وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت
يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه وانما قال ذلك لانه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على وجه الاضراب بمنزلة بل تحقيقا لا على وجه الجزم
اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال استئناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر
اي ما لبثت ذلك القدر بل لبثت هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير
في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد هناك عنبه وعصيره كما جنى وعصر
سواء من الطعام والشراب افراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما الآخر اكتفاء بدلالة حال الاول عليه
من قرأ وهذه الكلمة ليست والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة
المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه حقيقة بل هو بحاله
اي هو على حالة كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسن وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وتمزقت وتقطعت
اوصاله ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك فقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل
مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر
طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب
من علم التوراة كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر
من اللبث المديد ولذلك قرن معه وبين الامر بالنظر الى حماره وكرر الامر بقوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام حماره
ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحياة
ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار التي تراها كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت تغيرها في نفسك كيف ننشزها بالراء المهملة
اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها وقيل من نشر

اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها لا مضاهيا للحقيقي بقوله تعالى ثم نكسوها لحما
اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها
والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها محياة او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل
عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء
من اجزائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق
الضلع بالضلع والذراع بمحلها والراس موضعه ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه
الروح فاذا هو قائم ينطق فلما تبين له اي ظهر له الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بابدايه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده
بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشرها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك
اي اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار
قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل
بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقد قيل فاعل
تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال قد علمت وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم ان الله على كل
وهو على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكرهم وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله
فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم وان ذكر عزير قد نسيه الناس منذ
كذا وكذا فبكت بكاء شديدا فقال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان
رجلا مستجاب الدعوة فادع الله يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال
قومي باذن الله تعالى فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل
وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف
فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف
فقرأها عليهم عن ظهر قلب من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت نصر حدثني
ابي عن جدي انه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده
ففتشوه فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
واذ قال ابراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما سلك به مسلك الاستشهاد كما في قوله عام
تعالى او كالذي مر على قرية لجريان ذكره عليه السلام في اثناء الدليل كذاب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من جملة
من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي اذكر وقت قوله
عليه السلام ولعل وقوعه حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل لتعطف على امر من آياته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
الى الوقت دون ما وقع فيه من الوقائع مع انها المقصودة بالذكر لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر
عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة ارني
من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما تعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا
كيف تحيي الموتى بان تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه او بالحال عند الاخفش والعامل فيها
تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام
هاهنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما سأله عليه السلام ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه

اطمئنانا على اطمئنان وانما قيل ان نمروذ لما قال انا احيي واميت قال ابراهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى برد الارواح
الى الاجساد فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك ليتأتى له الجواب عن
السؤال بالاطمئنان قال استئناف كما مر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحياء
كيفما اشاء حتى تسألني اراءته قال عز وعلا وهو اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب فيكون ذلك
لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على اي كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن
قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدة على كيفيته قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف
اي ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم جمع كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به
الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة
كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان والسهولة اي تأتي بعض ما يفعل بها من التجزئة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقرئ بكسر الصاد
من صاره يصيره اي امِلهن واضممهن وقرئ فصُرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ
فصرّهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك لتتأملها وتعرف شئوناتها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها
لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها
ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزءا منهن وفرق اجزاءهن على ما
بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا
بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك جزم على انه جواب الامر
ولكنه بني لاتصاله بنون الجمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية
اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام لها ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي انه عليه السلام نادى فقال
تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة
منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له
الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى ما سأله في الحال
على ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شيء
عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن الايجاد بطريق آخر خارق للعادات
بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة
لابد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت ساقا
تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي
المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر
والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى لمن يشاء والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق
ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل النفقة الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين
فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول
النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها
واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما من ولا اذى
لهم اجرهم اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر
بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر

على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بل بسببه الابهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا
فكيف بهم اذا فعلوا فيا به مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون
لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه يعتريهم خوف
وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف وخشيته استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته استقصارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص المقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر
في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام
جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسألة
وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة
المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول خير اي للسائل من صدقة يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين
من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بمغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو المسؤول
بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة
والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة
لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها
الذين امنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ان بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
اي لا تحبطوا اجر واحد منها كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوا ابطالا كابطال الذي
ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوا مشابهين الذي ينفق الذي يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر
المقدر حسبما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله اي ينفق مرائيا والمراد به المنافق
لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي
في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر
فتركه صلدا املس يابسا ليس عليه شيء من الغبار اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا
قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الى اخره ومن ثم
نزل مثلهم كما ذكرنا مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كما ان الضمير الاخير للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل
وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد الجنس او الجمع والفريق كما ان الضمير الاول راجع اليه باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين
الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اي ليثبتوا بعض انفسهم على الايمان
فان تجشيمه كما في قوله من نشاطه وحركه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم
ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه
على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث
والقراءة بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه
بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة
هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا
ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال بناء
على ان الكل من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها
طل او المطر الصغير القطرة وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت

باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة
باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب
بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب
في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة للانكار الوقوعي
كما في قوله اتضرب ابي لا للانكار الوقوعي كما في قوله اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود انما هو اصابة
الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اي كائنة منهما على ان يكون الاصل
والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والثمار مستتبعا لما عداهما على ان يكون فيها غيرهما كما ستعرفه
الجنة يطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض المشتملة
عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها
وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيأتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى
من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر
والثاني حال والثالث مبتدأ اي صفة للمبتدأ او قائمة مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما
احد الا له وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي
هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية او عاطفة اي وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال
من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها
اي الجنة اعصار ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف
على فاصابها وهذا كما ترى مثل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته
الى ثوابها هباء منثورا في التحسر والتأسف عليها كذلك وتوحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك
البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها
من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته
اي انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات
ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها
وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث اي الرديء الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا يذكر
موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا
الخبيث قاصدين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق ايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث
خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق
بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة [illegible] وتخصيص
ذلك بما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اي لا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما اخرجنا لكم منفقين
اياه وقوله تعالى ولستم باخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اي والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت
من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق
الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض او تدخلوا فيه
او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف
فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه وماله الاستفهام الانكاري كانه
قيل امنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما امركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به
توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من اثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة

اعصار

عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره ويستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجيء الفقر الى جهته للايذان بالمبالغة في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء وبسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء اي بالخصلة الفحشاء اي يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقيل المعاصي والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنكير اي مغفرة اي مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي فضلا كائنا منه عز وجل اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او عليم بما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها فسرت في القرآن باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بالفهم من عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة وقيل لا سيما العلم بالاحكام المتقنة في تضاعيف الآيات الكريمة من احوال الوحيين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بين في ضمن الآي من الحكم البالغة التي عليها مدار مصالحكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على بنائه للفاعل اي من يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشأنها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اي ما يتعظ بما اوتي من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شأن الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها ومن للتبيين اي اي شيء انفقتم من نفقة اي نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر النذر عقد القلب على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اي نذر كان طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلاة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على جواب الشرط وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته ولا حاجة الى اكرمتهما ولذا احتيج الى التأويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما او بعود الضمير الى المتقدم رعاية للاقدم كما في قوله عز وعلا واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او نظرا الى المتأخر كما هو الاقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل الكلام على ان ما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو والجامع تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على كونها موصولة وتقدير الجملة لتأكيد مضمونها اي ان الله تعالى يجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه من الترغيب والترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذر او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى ونحو ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة تذييل مقرر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين بتحصيل الآثام ورعاية الخلل ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان

لم تكن رئاء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اي في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي المراد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما ستر تموها وقيل مزيدة على رأي الاخفش وقرئ بالياء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريقة تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى الخطاب للمكلفين زيادة في حثهم على الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائنا من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به غيركم من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجهه او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة او يوفى لكم خلفه ويؤيده ما روي من دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما فاتتها امها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وكانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف ومن الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين فيهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل

المسؤول حتى يعطيه من قوله ألحف علي من فضل ما عنده والمعنى لا يسألون الناس شيئا وإن سألوا لحاجة اضطرتهم
إليه لم يلحوا وقيل هو نفي للأمرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره أي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير
فإن الله به عليم فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير والصدقة قيل نزلت في شأن الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة
آلاف بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده إلا أربعة دراهم فتصدق بكل واحد
منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للإيذان بمزية الإخفاء على الإظهار وقيل نزلت في ربط
الخيل والإنفاق عليها فلهم أجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
تقدم تفسيره الذين يأكلون الربا أي يأخذونه والتعبير عنه بالأكل لما أنه معظم ما يقصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه
من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار أو في الأجل حسبما فصل في كتب الفقه وإنما كتب بالواو كالصلاة على لغة من يفخم
في أمثالها وزيدت الألف تشبيها بواو الجمع لا يقومون أي من قبورهم إذا بعثوا إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
أي إلا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط
العشواء من المس أي الجنون وهذا أيضا من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو
متعلق بما قبله من الفعل المنفي أي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكلهم الربا أو بيقوم أو بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك
سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف ذلك إشارة إلى ما ذكر من حالهم وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بفظاعة
المشار إليه بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح
فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلا في الحل وقاسوا به البيع
مع وضوح الفرق بينهما فإن أحد الدرهمين في الأول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة إلى السلعة أو بتوقع رواجها
وأحل الله البيع وحرم الربا إنكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وإبطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما أشير إليه من عدم
الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب فمن جاءه موعظة أي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ
جاءته من ربه متعلق بجاءه أو بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة للإشعار بكون مجيء الموعظة
للتربية فانتهى عطف على جاءه أي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف أي ما تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه وما في محل الرفع
بالظرف إن جعلت من موصولة [illegible] لا بالابتداء إن جعلت شرطية على رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وأمره إلى الله
يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد أي إلى تحليل الربا
فأولئك إشارة إلى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم
في الشر والفساد أصحاب النار أي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون أبدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربا
أي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي أخرجت
منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي أحدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط
والله لا يحب أي لا يرضى لأن الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في ارتكابه إن الذين
آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما
في الصالحات لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام لهم أجرهم جملة
من مبتدأ وخبر واقعة خبرا لإن أي أجرهم الموعود لهم عند ربهم حال من أجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله أي قوا أنفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربا أي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا
إن كنتم مؤمنين على الحقيقة فإن ذلك مستلزم لامتثال ما أمرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله أي إن كنتم مؤمنين

فاتقوه وذروا إلى آخره روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت فإن لم تفعلوا
أي ما أمرتم به من الاتقاء وترك البقايا إما مع إنكار حرمته وإما مع الاعتراف بها فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا
بها من أذن بالشيء إذا علم به إما على الأول فكحرب المرتدين وإما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم وهو
من الأذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وقرئ فأيقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
لها مؤكدة لفخامتها أي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله ورسوله روي أنه لما نزلت قالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء مع الإيمان بحرمته بعدما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤوس أموالكم
تأخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم بأخذ الزيادة والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه
الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله أي لا تظلمون أنتم من قبلهم بالمطل والنقص من رأس المال ويفهم منه الحكم بتوبتهم
عدم ثبوته عند عدمها لأن عدمها إن كان مع إنكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند أبي حنيفة
رحمه الله وكذا سائر أموالهم عند الشافعي رحمه الله وعندنا هو لورثتهم ولا شيء لهم على كل حال وإن كان مع الاعتراف فإن كان
لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤوسهم فكيف برؤوس أموالهم وإلا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما فإنه يقول من عامل بالربا
يستتاب وإلا ضرب عنقه وأما عند غيره فهم محبوسون إلى أن تظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات أصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء
من أموالهم بل إنما يسلم لورثتهم وإن كان ذو عسرة أي إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على أن كان تامة وقرئ ذا عسرة
على أنها ناقصة فنظرة أي فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أي فليكن نظرة وهي الإنظار والإمهال وقرئ فناظره أي فالمستحق ناظره
أي منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره أمرا من المفاعلة أي فسامحه بالنظرة إلى ميسرة أي إلى يسار
وقرئ بضم السين وهما لغتان كمقربة ومقربة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كما في قوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا
وأن تصدقوا بحذف إحدى التاءين وقرئ بتشديد الصاد أي وأن تتصدقوا على معسري غرمائكم بالإبراء خير لكم أي أكثر
ثوابا من الإنظار أو خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم كلا أو بعضا على غرمائهم
المعسرين كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره
إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون جوابه محذوف أي إن كنتم تعلمون أنه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيامة وتنكيره
للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والأهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ
على البناء للفاعل من الرجوع والأول أدخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون إلى الله
لمحاسبة أعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم أي تعطى كملا ما كسبت أي جزاء ما عملت من خير أو شر
وهم لا يظلمون حال من كل نفس يفيد أن المعاقبين وإن كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما أنه من قبل أنفسهم
وجمع الضمير لأنه أنسب بحال الجزاء كما أن الإفراد أوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام
وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين
وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاملات
الجارية فيما بينهم مع [illegible] بالنقود بعد بيان حال الربا أي إذا داين بعضكم بعضا وذكر الدين لدفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه إلى الحال والمؤجل
وأنه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالأمر إلى أجل متعلق بتداينتم أو بمحذوف وقع صفة لدين مسمى
بالأيام والأشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه أي الدين بأجله لأنه أوثق
وأدفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وليكتب
بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها إثر الأمر بها إجمالا وحذف المفعول إما لتعينه أو للقصد إلى إيقاع نفس الفعل
أي فعل الكتابة وقوله بينكم للإيذان بأن الكاتب ينبغي أن يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام أحدهما وقوله تعالى
بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب أي كاتب كائن بالعدل أي ليكن المتصدي للكتابة من شأنه أن يكتب بالتسوية من غير ميل إلى أحد
لا يزيد ولا ينقص وهو أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع وهو أن يكون حالا أي ملتبسا

بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله
على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي
عن الامتناع منها مطلقا ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه
فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل مبالغة في التحذير اي ليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله
ولا يبخس منه اي من الحق الذي عليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة
كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي
عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي
عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر المنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض
فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة ولم يكلف بعين ما كلف به
من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوا من يتحمل الشهادة على ما جرى بينكم
من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف
وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع
لا تنظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كان المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا
فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب
فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا عندنا في غير الحدود والقصاص وفي الاموال خاصة
عند الشافعي رحمه الله تعالى ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم بتخصيصهم بالوصف
المذكور مع تحقق عبارة في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل فيه
بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله فاستشهدوا فيلزم الفصل بين الشرط المركب
وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم
كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته
كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كأنه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها
ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص
الضلال باحداهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما
مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة وعن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت
ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق
كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال
من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي
مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل
عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي
عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب
الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء

منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد
فليس عليكم جناح الا تكتبوها اي فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم
كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط
والاوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
نهي عن المضارة محتمل للبناءين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف
في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الاضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ
بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج
عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة
لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة
وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة
تعظيم لشأنه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا
فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر
في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير
واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه
في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن
بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان
وقرئ فان اومن بعضكم اي آمنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فكون انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض اي على متاع بعضه
فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي
امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة لا تدغم
لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى
ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديون اي شهادتهم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه
مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان
مما يقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او لانه لما كان رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كأنه قيل تمكن
الاثم في نفسه وملك اشرف مكانه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله تعالى لقوله تعالى فقد حرم الله
عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ آثم قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم
فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة
فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم
من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه عنهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه
ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله
يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء
على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم هنا هو المحاسبة والاصل فيها
الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود
كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء
متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه
بحالته الثانية وقدم في سورة قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر

فيغفر لمن يشاء أن يغفر له ويعذب من يشاء أن يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على أنه بدل من الجواب
بدل البعض أو الاشتمال ونظيره في البدل الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وإدغام
الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر
من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة أن ما أنزل إلى الرسول صلى
الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الإيمان به وبما أنزل قبله
من الكتب الإلهية وأنهم حائزون لأثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها إذ ليس فيما ذكر
في حيز الصلة حكم بالفعل وتعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع
والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سوالف الأمم وغير ذلك مما تقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها
على طريقة الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الإيمان وحسن الطاعة وذكره صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب
لما أن حق الشهادة الباقية على مر الدهور أن يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض هناك لبيان فوزهم بالمطالب التي من جملتها ما حكي
من الدعوات الآتية إيذانا بأنه أمر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد النص عليه فيما سلف وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة
المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما أنزل إليه وتنزيه وتصريح لأنه رأس
في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليه كله لا كل جزء من أجزائه فقط كحقيقة كيفية إيمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين
عنوانه أي آمن عليه السلام بكل ما أنزل إليه من ربه إيمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والأحكام والقصص والمواعظ
وأحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث إنه منزل منه تعالى وأما الإيمان بحقية أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك من فروع
الإيمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الإجمال إجلال لمحله عليه السلام وإشعار بأن تعلق إيمانه بتفاصيل ما أنزل إليه وإحاطته
بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة إلى ذكره أصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام
تشريف له وتنبيه على أن إنزاله إليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام
عهدية لا موصولة لإفضائها إلى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن
خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين ووحد الضمير في آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لما أن
المراد بيان إيمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل أتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما
قبله لتأكيد الإشعار بما بين إيمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين إيمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف
الجلي كأنهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الإسناد لما في الحكم بإيمان كل واحد منهم على الوجه الآتي
من نوع خفاء محوج إلى التقوية والتأكيد أي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الألوهية والمعبودية وملائكته
أي من حيث إنهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي فإن مدار الإيمان بهم
ليس خصوصية ذواتهم في أنفسهم بل هو ما فصل من النعت المذكور كما ينبئ عنه الترتيب في النظم وكتبه ورسله أي من حيث
مجيئها من عنده تعالى لإرشاد الخلق إلى ما شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على الإطلاق بل على أن كل واحد من تلك
الكتب المنزلة منه تعالى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل
إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم الآية ولا على أن مناط
الإيمان خصوصية ذلك الكتاب أو ذلك الرسول بل على أن الإيمان بالكل مندرج في الإيمان بالكتاب المنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
ومستند إليه لما نطقت به الآية الكريمة ولا على أن أحكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن كلا منها معتبر بالنسبة إلى
أحكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة إلى ورود كتاب آخر ناسخ له وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث
إنها من أحكام هذا الكتاب المصون عن النسخ إلى يوم القيامة وإنما لم يذكر هنا الإيمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الإيمان بالكتب وقرئ وكتابه على أن المراد به القرآن أو جنس الكتاب كما في قوله

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع في أفراد الجنس والجمع في جموعه
ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما أجمل في قوله عز وجل بما أنزل إليه من ربه اقتصر عليه إيذانا بكفايته في الإيمان
الإجمالي المتحقق في كل فرد من أفراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت إيمانهم بالأمور المذكورة
في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فإن الإجمال في الحكاية لا يوجب الإجمال في المحكي كيف لا وقد أجمل في حكاية إيمانه عليه السلام
بما أنزل إليه من ربه مع ما هو عليه من كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم إن الأمور المذكورة حيث كانت من الأمور
الغيبية التي لا يوقف عليها إلا من جهة العليم الخبير كان الإيمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الإيمان بالغيب
وأما الإيمان به تعالى فإشارة إليه في قوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل
بمقداره الجليل وقد جوز أن يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع
إلى المعطوفين معا كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربهم ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله
إلى آخره خلا أنه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وإيذانا بأصالته عليه السلام في الإيمان ولا يخفى أنه مع خلوه عما في الوجه
الأول من كمال إجلال شأنه عليه السلام وتفخيم إيمانه يخل بجزالة النظم الكريم لأن ما فصل من الإيمان إن حمل على ما يليق بشأنه صلى الله
عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال إسناده إلى غيره عليه السلام وضاع التكرير وإن حمل
على ما يليق بآحاد الأمة كان ذلك حطا لرتبته العلية عليه السلام وأما حمله على ما يليق بكل واحد ممن نسب إليه من الآحاد وأما
اتفاقا بأن يحمل بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على الإيمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان
المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم من الإجمالي والمفصل فمع أنه مما ينبو عنه ساحة التنزيل عز شأنه وقوله تعالى لا نفرق
بين أحد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على أنه حال من ضمير آمن أو مرفوع على أنه
خبر آخر لكل أي يقولون لا نفرق منهم بأن نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به إيمانهم تحقيقا
للحق وتخطئة لأهل الكتابين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقل اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام أيضا
على أن مقصدهم الأصلي إبراز إيمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا إظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في أن المعني
آحاد المؤمنين خاصة إذ لا يمكن أن يسند إليه عليه السلام أن يقول لا أفرق بين أحد من رسله وهو يريد به إظهار إيمانه برسالة نفسه وتصديقه
في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وإنما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما أن الأصل
في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على إسناد الفعل إلى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى
كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكل
بعد النفي دون العكس والمراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة أحد وحل عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى
لا نفرق بين أحد منهم وفيه من الدلالة الصريحة على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في أن يقال
لا نفرق بين رسله وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع في قوله تعالى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم
إما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم أو للإشعار بعلة عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة
وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالأوامر إثر حكاية إيمانهم سمعنا أي فهمنا
ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته وأطعنا ما فيه من الأوامر والنواهي وقيل سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك غفرانك ربنا
أي اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة أو ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة
على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة
في التضرع والجؤار وإليك المصير أي الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع
للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها جملة مستقلة جيء بها إثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهارا
لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي أنه لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا
ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب

فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فيهم
الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد
بانفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع
الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما تتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا
ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان
كل نفس مع مقاساتها التكليف والتيسير بمضمون ما ينفعها راجع اليها وانما تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها
لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب
ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة كما لكل جزء من اجزائه مسبوبها وعليها لا على غيرها احد
الطرفين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعمال من اقتضاء
النفس تحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف
اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما
من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ يؤدي
الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ولكنه تعالى وعد بعدمه فلا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك
من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت
لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه
مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمّل بالتشديد
للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة
لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة
في كل يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من الشدائد فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان
حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل هذه الامة بفضله ورحمته من امثال
ذلك وانزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وعن البلايا التي عوقب
بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد
من كلفها يخلو من التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقاب
بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة
البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا
اي امح آثار ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو
والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا
على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبيده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد عامة الكفرة وفيه اشارة الى اعلاء
كلمة الله والجهاد في سبيل الله تعالى حسبما امر به في تضاعيف السورة الكريمة خاتمة لما بها روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات
قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما

بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره
ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة تمت السورة الشريفة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا
موازنة لمفرد كحم وطس وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق
التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين
لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح
على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي لبقاء
حركتها في حكم الثابت لابتداء بها والميم بحركته في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام
وليس بحركة لالتقاء الساكنين التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها كما ذهب اليه سيبويه لسقوطها في الدرج
وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لبقاء الهمزة على حالها كما في الحروف والالفاظ المبنية على السكون
فان حقها الاتصال بما بعدها وصلا وسكونا لا يسقط بها همزة الوصل وتحريك اجازة لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة
على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب
على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكروا او اقرأوا ونحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها
لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة استئناف اي هو المستحق للمعبودية لا غير
وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل صفة للمبتدأ او بدل منه او من الخبر او
هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق
المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الجليل في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال الحي القيوم ويروى ان عيسى
عليه السلام كان اذا اراد ان يحيي الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام
وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين
راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابرهم اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح
وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان
ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة
بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان
الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة
ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ
فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال

نعتت وقت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم منعكم من الاسلام دعاؤكم
لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا حي لا يموت وان عيسى اتى عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت قيوم على كل شي يحفظه
ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شي
في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا
صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة
ووضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام
فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا الجحود فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام
عليهم واجابة عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون ﴿نزل عليك الكتاب﴾ اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال
تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة
والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة استئناف
او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما وقرئ نزل
عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ ان يكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده
﴿بالحق﴾ حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله او ملتبسا بلطائف الحكم او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر وعده
وايعاده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة ﴿مصدقا﴾ حال من الكتاب لا اتفاق على تقدير كون
قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف لا بدلية حال منه بعد حال
واما عند من منعه فقيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير العامل
عامله المحذوف فيكون ذا الاحوال على كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل عليهم
على وجه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما ﴿لما بين يديه﴾ مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل فقال
اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد
وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت
المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما الشرائع المختلفة باختلافها فمن حيث ان احكام
كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشانهم ﴿وانزل
التوراة والانجيل﴾ تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة
ويزداد في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما
جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان عجميان الاول عبري والثاني سرياني
وتصدي القراء بفتح همزة الانجيل فانه افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف ﴿من قبل﴾ متعلق
بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان ﴿هدى للناس﴾ في حيز النصب على انه علة للانزال
اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هاديين لهم وافراده لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه
المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد بهما ايتهما الجمع فالمراد بالناس حيث هو جمع فالمراد بهم الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما
وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لان هدايتهما فيما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقها
القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة ﴿وانزل الفرقان﴾ الفرقان في الاصل
الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعضها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا
فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ
الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب

غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد والزاجرة عن الشر والفساد وعدم
الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما بالذكر واما القرآن
نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد جئ اولا بانزاله التدريجي الى الارض ثانيا بانزاله الى السماء
الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق
والمبطل ﴿ان الذين كفروا بآيات الله﴾ وضع موضع الضمير العائد الى الفرقان من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات اضيفت الى الاسم
الجليل تعظيما لها وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل
بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا
اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بما نحن فيه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها
الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما او اصالة ايضا
بان كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه او بآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها ﴿لهم﴾ بسبب
كفرهم بها ﴿عذاب﴾ مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي عذاب
شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جئ به اثر تقرير امر التوحيد الذي هو الاصل والاشارة الى ما ينطق به ذلك من الكتب
الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان ﴿ذو انتقام﴾ عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة
والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ﴿ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء﴾
استئناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا
وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته ترتيبا لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما وقع لعيسى عليه السلام بمعزل
من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفاء عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يعتريه خفاء بوجه من الوجوه
كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء
مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء كائن في الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار
فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال
اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا
وقوله عز وجل ﴿هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء﴾ جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احكامه في الخلق
في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه تعالى مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود
ضرورة علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا
على انه
من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول لشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم اي
يصوركم كائنا على مشيئته تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحكام المتغايرة ككونكم
نطفا فعلقا فمضغا فعظاما مكسوة لحما مخلقة وغير مخلقة في الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات
وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وكونه ابنا لله سبحانه وتعالى والتنبيه على تقلبه في هذه الاطوار على مشيئة
الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه ولعبادته ﴿لا اله الا هو﴾
اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد لتتوهم الوهيته ﴿العزيز الحكيم﴾ المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم
على ما ذكر من النمط البديع ﴿هو الذي انزل عليك الكتاب﴾ شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى
عليه السلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته
تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى
قالوا حسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول مبينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه

من الضلال والمراد بالإنزال هو القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه واللام في الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه
لما أشير إليه فيما قبل من الاعتناء بشأن ما يرجع إلى تشريف الإنزال عليه من التشويق إلى المنزل فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم
لا سيما بعد الإشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وقيل بتفصيله تقسيم منه آيات
الظرف خبر وآيات مبتدأ أو بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والأول أوفق بقواعد الصناعة والثاني
أدخل في جزالة المعنى إذ المقصود الأصلي انقسام الكتاب إلى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتدبر والجملة مستأنفة أو في حيز النصب على الحالية
من الكتاب أي هو الذي أنزل الكتاب كائنا على هذه الحالة أي منقسما إلى محكم ومتشابه أو الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية
محكمات صفة لآيات أي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه هن أم الكتاب أي أصل فيه
وعمدة يرد إليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والإضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فإن ذلك يؤدي إلى كون الكتاب عبارة
عما عدا المحكمات والجملة إما صفة لما قبلها أو مستأنفة وإنما أفرد الأم مع تعدد الآيات لما أن المراد بيان أصلية كل واحدة منها أو بيان
أن الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية للعالمين وقيل اكتفي بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى
فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب أي وأما جلودها وأخر نعت لمحذوف معطوف على آيات أي وآيات أخر وهي
جمع أخرى وإنما لم ينصرف لأنه وصف معدول عن الآخر ومن آخر متشابهات صفة لأخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف أي محتملات لمعان
متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الإرادة بها ولا يتضح الأمر إلا بالنظر الدقيق والتأمل الأنيق فالتشابه في الحقيقة
وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بما هو وصف المدلول وقيل لما كان من شأن الأمور المتشابهة أن تعجز العقول
عن التمييز بينها سمي كل ما لا تهتدي إليه العقول متشابها وإن لم يكن ذلك بسبب التشابه كما أن المشكل في الأصل ما دخل في أشكاله وأمثاله
ولم يعلم بعينه ثم أطلق على كل غامض وإن لم يكن غموضه من تلك الجهة وإنما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد
في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد بها من الأحكام الحقة فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها
اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان إلى المعارج القاصية وأما قوله عز وجل الر كتاب
أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من اعتراء الخلل من النسخ أو نحوه أو أحكم القطع الدال على حقيتها أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل
الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها فمعناه متشابه الأجزاء أي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية
المدلول فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين وجعل
قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات
أي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة أي طلب أن يفتنوا
الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تأويله أي طلب أن يؤولوه حسبما يشتهونه
من التأويلات الزائغة والحال أنهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم حال
من ضمير يتبعون باعتبار العلة الأخيرة أي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال أن التأويل مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم أي
الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الأقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف
بالصحة أو الحقية إيذان بأنهم ليسوا من التأويل في شيء وأن ما يبتغونه ليس بتأويل أصلا لا أنه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على إلا الله
فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على عدم إرادة
ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون آمنا به أي بالمتشابه وعدم التعرض لإيمانهم بالمحكم لظهوره أو بالكتاب والجملة على الأول استئناف
موضح لحال الراسخين أو حال منه أو على التأخير خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له
أي كل واحد منه ومن المحكم أو كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما أو آمنا به بحقيته على مراده تعالى وما يذكر
إلا أولوا الألباب أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إنها جواب
عما شبهت به النصارى بما هو من كونه تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه على وجه الإجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله

كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين أي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق
إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه على الحق
وإن شاء أزاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا أي إلى الحق والتأويل الصحيح أو إلى الإيمان بالقسمين
وبعد نصب بلا تزغ على الظرفية وإذ في محل الجر بإضافته إليه وهو خارج عن الظرفية أي بعد وقت هدايتك إيانا وقيل إنه بمعنى أن وهب لنا
من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الأول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول أي كائنة من لدنك
ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست بمعنى عند إذ قد يكون
فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وقد تضاف إلى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر إلى العصير
ولا تقطع عن الإضافة بحال وأكثر ما تضاف إلى المفردات وقد تضاف إلى أن وصلتها كما في قوله وليت فلم تقطع لنا من لدن أن وليتنا
قرابة ذي رحم ولا حق مسلم أي من لدن ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن أنت يافع وإلى الجملة
الفعلية أيضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح وقد تخلو عن من كما في البيتين الأخيرين
رحمة واسعة تزلفنا إليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع بالأمارة
فإذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن إنك أنت الوهاب تعليل للسؤال أو لإعطاء المسؤول وأنت إما مبتدأ أو فصل أو تأكيد لاسم إن
وإطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب
عليه شيء ربنا إنك جامع الناس ليوم أي لحساب يوم أو لجزاء يوم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تهويلا له وتفظيعا
لما يقع فيه لا ريب فيه أي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة
وأنها المقصد الأسنى عندهم والتأكيد لإظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة إن الله لا يخلف الميعاد
تعليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب بتأكيده بما مر وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ
من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فإنه مقام طلب الإنعام كما سيأتي وللإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية
منافية للإخلاف وقد جوز أن يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل الوعيدية
وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا إن الذين كفروا إثر ما بين
الدين الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال الكفرة
والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الأصناف وقيل وفد نجران أو اليهود من قريظة والنضير أو مشركو العرب لن تغني عنهم
أي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين أموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع
ودفع المضار ولا أولادهم الذين بهم يتناصرون في الأمور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير الأولاد عن الأموال
مع توسيط حرف النفي بينهما إما لعراقة الأولاد في كشف الكروب أو لأن الأموال أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب
من الله من عذاب الله تعالى شيئا أي شيئا من الإغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله أو بدل طاعته كما في
قوله تعالى إن الظن لا يغني من الحق شيئا أي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده بدلك أي بدل رحمتك كما
في قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وأنت خبير بأن احتمال سد أموالهم وأولادهم مسد رحمة الله تعالى
أو طاعته مما لا يخطر ببال أحد حتى يتصدى لنفيه والأول هو الأليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل أمرهم والأنسب بما بعده من قوله تعالى
وأولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فأخذهم الله أي أولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فإن
بيان حالهم عند التسعير فالإشارة إليهم بالجملة الاسمية للدلالة على تحقق الأمر وتقرره والإيذان بأن حقيقة حالهم ذلك وأن أحوالهم
الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء
وأن يكون ضمير الفصل والجملة إما مستأنفة مقررة لعدم الإغناء أو معطوفة على خبر إن وأيا ما كان فنفيها تعيين للعذاب الذي بين
أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر أي أهل وقودها كدأب آل فرعون

الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فغلب استعماله في الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر المبتدأ
محذوف وجوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن او يتوقد بهم النار كما توقد بهم وهذا حيز المذكور
في تفسير الدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي الجمهور ولا الاتقاد
النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى
واولئك هم وقود النار الا ان يجعل اسمية فالاعتراض فالاظهر على جيران فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة
من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر
عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كانه قيل كيف
كان دأبهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا
من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا الى آخره حال من آل فرعون والذين من قبلهم على
اي دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا عن الموصول فكل ما يستبرد في النظم الكريم والالتفات
الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم
بالايات فالباء للسببية جيء بها تأكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة
جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخر اي فاخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب
في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي يتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله
من الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى في التوراة ونعته وهموا باتباعه فقال بعضهم
لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه
وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير
وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع
فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة
عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيرده انقطاع
الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون اي في الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي
لهم ما اخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كانه قيل اذ ايهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استئناف لتهويل
جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف
وهو من تمام القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها
وبين معمولها ترك التأنيث كما في قوله ان امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان التأنيث هنا غير حقيقي
او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي قد كان لكم ايها المغترون
بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوب منهما كان
مدلا بكثرتهما معجبا بهما وقد لقيتها التقتا فسيصيبكم ما اصابهم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على انه خبر كان
والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة
بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة كما في قوله اذا مت كان الناس صنفان شامت واخر مثن بالذي كنت اصنع
اي احدهما شامت وآخر مثن وقوله اذا ما استقل النجم في فلس وعود البيل طوي محمود والجابح … من الآية
من الآية وقوله تعالى في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر … احكام الايمان …

بالمقام مع حالهم واعتقادهم قتالهم وانما هم لا يدرون بحقيقة الآية وهي رد العليل كثيرا وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفوج
واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كما عرفت اختها
ان المقصود بيان الشيء المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف
الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يقصدوا بقتالهم الا ما عليه من الرغبة
وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى البدل منه مسوغ لوصف
البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبرا اي فئة
منهما تقاتل الى آخره وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الى آخره وقرئ فئة بالجر على البدلية
من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد في مثله من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدل التفصيل كما في قول كثير عزة وكنت كذي
رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة بالنصب على المدح او الذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل
التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى موطئة لما هو الحال حقيقة او المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا
يرونهم اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى واشار بصيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع
على انها صفة للفئة الاخيرة او مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين او مثلي عدد المرئيين
كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان رضي الله عنه وابو جهل وكان فيهم من الخيل
مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس قال اسر المشركون رجلا من المسلمين
فسألوه كم كنتم قال ثلاثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المؤمنين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث
كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه وصاحب راية
الانصار سعد بن ابي عبادة الخزرجي رضي الله تعالى عنه وكان في العسكر سبعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر
لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
رضوان الله عز وجل عليهم اجمعين اراهم الله سبحانه كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه عز وجل كما امدهم بالملائكة
عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند رأيهما ليجترؤا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين يحبهم الكذب
وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا
فانه روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا
رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى في اعيننا حتى رأيناهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى
قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم
في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت ثمة رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان بيان آثار قدرة
وحكمة تكثير الكفرة باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف
المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين
السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستأنفة اجمل للعكس فلما تقتضيه جزالة النظم على قراءة الجمهور ولا يبعد جعل الخطاب
للمشركين كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما هو قضية نظم فظاهر وانما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي
شاهدت تلك الآية هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بالغيبة تارة وبالخطاب اخرى ثم اسناد المشاهدة الى الجماعة كون اسناد
الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت … وبهذا يتبين حال جعل الخطاب للمؤمنين واما قراءة ترونهم
بتاء الخطاب فظاهرة وان صح توجيه الخطاب الى المشركين لكنه ليس نصا في ذلك لانه ان اندفع به المحذور الاخير فالاول
باق بحاله فعلى جعله للمشركين نزل منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعد ما وقع منهم بواسطة

لهب لا ان الانزل من العهد والميثاق فاستند الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا للنصرة مع ما في ذلك من الحكمة وقيل المراد
جمع الكفرة والامر في صيغة سواء وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي
العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين
والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر
من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة
على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة
من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر
وقيل لمن ابصرهم وهو ايضا من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل او وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته عليه السلام
زين للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى
اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده
والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حب شهواتها
او حبوا شهواتها كما في قوله تعالى احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري
سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها
ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء
وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى
وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها
في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات
لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا
وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل الف ومائتا رطل وقيل مائة مثقال
وقيل النفس واختلف في ان وزنه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة
وقيل الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقيل المدفونة وقيل المضروبة المنقشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف
على القناطير وهي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اي المعلمة
من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي او المطهمة التامة الخلق والانعام اي الابل والبقر
والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعدودة متاع الحياة الدنيا اي
ما يتمتع به في الحياة الدنيا اياما قلائل فيفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدده عاقبة
حميدة وفي تكرير الاسناد وجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله تعالى
من حسن المآب النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر بيان شأن مزخرفات الدنيا وما
عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير
اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات
استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد
الجار على شيء في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها
من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند ربهم حال من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال
رفعة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا
الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدل من خير والاحسن ان يتعلق للاخبار والاتيان بما هو خير
لطائف ربما يتوهم ان هناك خيرا لآخرين تجري في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق

ربع

تجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار
جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
وازواج مطهرة عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم
وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله
عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم
ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون لتعليقه بهم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه
قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الى آخره او النصب على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا
او بدلا او للعباد وكذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترض بينهما وتأكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة
وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق
المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير
كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين
في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى
والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة
وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود
الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله تعالى ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء
والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما
للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه
بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية
الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ بكسر الهمزة اما باجراء
شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين عند الله على قراءة من فتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء
لله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالرفع على المدح اي هم شهداء لله وهو اما جمع
شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي
شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولو العلم اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية
قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين
الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءات الاخيرة قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما واستحسن
بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس كذلك فالوجه حينئذ ان يكون
ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولو العلم شهداء بذلك وكذا في حال القراءتين على المدح حسبما
ورفعا فحينئذ يحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى قائما بالقسط اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان
كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله عز وعلا وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده بها مع عدم جواز جاءني زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس
كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى افادة شهودهم بالتوحيد
اعتناء بشأنه ورفعا لمحله والمراد في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة كما في قوله تعالى آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه الآية وهو اوجه والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله
قائما الى آخره والفصل بينهما من قبيل توسيعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح وقرئ القائم
بالقسط على البدلية من هو فلم يلزم الفصل منها كما في الصفة وعلى انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتأكيد ومزيد
الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم

بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي في فضلها انه
عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت
هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام
فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالنعت فقالا له
انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا آمنا بك وصدقناك
فقال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان ان الدين
عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة
او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى
حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة لزيادة
تقبيح حالهم فان الاختلاف مع علمهم بما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والشناعة وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء
مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي
لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج الباهرة والآيات وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة
ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا
للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله اي بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله
هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او بآية آية كانت من آيات الله تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله
سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب
اي يأتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى
من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم
فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام اي جادلوك فيه بعدما اقمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي
وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة
وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام
ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه
وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والاميين
اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة
فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا
سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة
وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال
وان تولوا اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اي لم يضروك شيئا
اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا
اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد
عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله اي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة
بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام

وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصمه الله عز وجل
ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق و
يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما
في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر
بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين
فبشرهم بعذاب اليم خبران والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيدا وكذا الحال في النسخ
بأن المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله [illegible] وذكر بعضهم
فسوف يكون وانما لم تغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا
عندهما في قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كما في قولك السلطان فاضل وعادل وعلى الاول
هو مستأنف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول مع
صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة والمبتلون باسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر
في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس الله وعذابه في احدى
الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم
تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم
في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة على ان اللام للعهد
وحمله على جنس الكتب الالهية يخل بالمقام اذ تمام التعجب حينئذ بكون التوراة من تلقائها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اخلالهم
بالمحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الى التوراة والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعت
النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها
وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه
وهو التوراة والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجملة
استئناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى
وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث
بن زيد على اي دين انت فقال صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم
التوراة فهلموا الينا فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ
ليحكم على البناء للمجهول فيكون الاختلاف فيما بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال
من فريق لتخصيصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار
على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار
باقتراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا وان الله تعالى وعد يعقوب
عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال
لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب
في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الاشهاد
ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه
للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كأنهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية

جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا يخلد فيها فادنى بعد الخلاص منها وهم اي كل انسان المدلول عليه بكل نفس لا يظلمون
بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا
خصائص الاسم الجليل لدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به
فحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي لك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا تتصرف فيه
كيف تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم
تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره
بطريق المجاز كالمنبئ عنه اسناد الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه ايا
وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكه حقيقة والاخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية
وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين وتعز من تشاء
اي تعزه في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير
بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه
مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقتضى الذات واما الشر فمقتضى بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول
الشر دخلا لصنع العبد في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او رعاية للادب او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب قطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق
صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ المعول فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور
صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت
انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة
وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج
المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء
بغير حساب قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القران على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب
وبمعنى العدد قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال ذلك لا يعجزه العالم المحير للعقول والاوهام
فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل شيء عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسي والايتين من ال عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت
انه لا يقرأكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له
سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم ب
[illegible] عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
المصادقة والمعاشرة كما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع
الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن

عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس
من الله اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان ولاية المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع
قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب
بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال
من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول
فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا واظهار ما في الضمير
كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ابدلت الواو تاء كتهمة وتخمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم
الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح
بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا
هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم
من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء
قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات
وما في الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب
وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف بشيء منها من العلم
الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس اي
من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وقيل من الثواب ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت
والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية
تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتهما محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم
امدا بعيدا لغاية تنوله في اسناد الود والتمني الى كل نفس حتى كان عاملا من السوء اولا كما تنبئ عنه في الخير من الدلالة على كمال
فظاعة ذلك اليوم وهو مطلعه الا يعنى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب اليوم على المفعولية باضمار اذكر وتود حال
من كل نفس او استئناف مبني على السؤال كانه قيل اذكر يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وتود ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان
سائلا قال حين امر بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الى اخره او تجد معطوفا على ما عملت من خير وتود خبرها
من سوء ولا تكون شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة
المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤوف بالعباد
من ان تحذيره تعالى من رافته بهم ورحمته الواسعة او ان رافته بهم لا تمنع تحقق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة
الرافة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير
الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه
واذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله
وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم
من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب
اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع
وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في قوم زعموا على عهده عليه السلام
انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف علت

على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى
فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله
فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام
دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المأمور بها اطاعته عليه
السلام من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما
من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة
الماضي الغائب ولم يرد ذكر احتمال الاعراض كما في قوله تعالى فان تولوا تنبيها على انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة
كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه
تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتاب فيه انما هو للبغي
والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة
القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس
الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام
وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله
عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان
بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل
وتحتم الطاعة له حسبما يفصله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم
الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة
كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كون عيسى عليه السلام غير متفان في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم
في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الآل الاقرب
ادخل في تحقيقه من نسبته الى الآل الابعد وهو الداعي الى اثبات الآل لابراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ صفوة الشيء كالاستصفاء
مثل به اختياره تعالى اياهم النفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل
عليهم السلام او فيمن يلابسه وينتمي اليه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه
واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزوج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته
هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين
من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى
عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازار بن ابي يوذ بن
زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشا بن امون بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا
بن راجيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذب بن رام بن حضروم بن
فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام او ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وهما موسى وهرون فانه ايضا
فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام حينئذ بالاندراج في آل ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون
عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي
ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها اي انهم ذرية واحدة متسلسلة بعضها من بعض

في

في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية
او بعضها من بعض في الدين فالاستئناف على الوجه الاول تقريبية وعلى الثاني برأسه والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم
البادية والخافية فيصطفي من يشاء منهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبلها اذ قالت امرأة عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته
اي اذكر لهم وقت قولها الى آخره وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل
منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل منصوب بمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور
كأنه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الى آخره فيكون من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء
الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى
وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس كذلك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه
عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم في شأن يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة
فقيل تأويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم
من الاب على ان عمران نكح ام حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع
اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت
طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته
وخدمه وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ قولها رب اني نذرت لك ما في بطني لانه
من حمله على الذكر مراعاة لغلبة ذريته واخراجه عن صورة التعليق لبنيه التحقيق والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب
مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته
وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء وابهامه لما في بطنها لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء
محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل نذرت وقيل من ضميره
في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى
لا تقييد ما في بطنها بما هو ما في الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء
للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها
تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى
سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا
وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لغرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه
بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما وضعتها اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته اعتبارا
في حيز الشرط اذ عليه يترتب جوابه الذي هو قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتا
قالت الى آخره وقيل لما ان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبارها من حيث ذكر
في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وما فيه من معنى التحسر الى عرض ومهمات جهته
رجائها ولما من تبادل الحملة النسمة فالكلام حينئذ مبني على خلاف ما قدرت تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو
ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها
وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة
عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن
وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى
حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه

حينئذ ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالأنثى اعتراض آخر مبين لما في الأول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والأنثى للعهد
أي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالاً قصاراه أن يكون كواحد من السدنة كالأنثى التي وهبت لها فإن دائرة علمها وأمنيتها لا تكاد
تحيط بما فيها من جلائل الأمور هذا على القراءتين الأوليين وأما على القراءة الأخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الأنثى في الفضل
منها وأما على تفسير الأول لما فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان أن الذكر ليس كالأنثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المسجد فإنها بمعزل
عن ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى وإني سميتها مريم عطف على إني وضعتها وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب إليه تعالى
والاستدعاء للعصمة لها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب وإظهار أنها غير راجعة عن نيتها وإن كان ما وضعته
أنثى وأنها إن لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وإني أعيذها بك عطف على إني سميتها والمضارع
للدلالة على الاستمرار أي أجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة إلا في موضعين بعهدي أوف وآتوني أفرغ
وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لإبراز كمال العناية من الشيطان الرجيم أي المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع
في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها أي أخذ مريم ورضي بها في النذر
مكان الذكر ربها أي مالكها ومبلغها إلى كمالها اللائق وفيه تشريف لها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر
مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد أي تقبلها قبولاً حسناً وإنما عدل عن الظاهر للإيذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية
الذاتية فإن صيغة التفعل مشعرة بحسب أصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وإن كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب
عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى إياها بإقامتها مقام الذكر
في النذر ولم يقبل قبلها أنثى أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي أن حنة لما ولدتها لفتها في خرقة
وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها
لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم وقيل لأنهم وجدوا أمرها وأمر عيسى عليه السلام في الكتب المنزلة
فقال زكريا عليه السلام أنا أحق بها عندي خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم
زكريا عليه السلام ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر أي فتقبلها بذي قبول أي بأمر ذي قبول حسن وقيل تقبل
استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل أي استقبلها أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها
في جميع أحوالها نباتاً حسناً مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل للفعل المقدر موافق له تقديره فنبتت نباتاً
وكفلها زكريا أي جعله عليه السلام كافلاً لها وضامناً لمصالحها قائماً بتدبير أمورها لا على طريق الوحي بل على ما ذكر من التفصيل
فإن غلبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب أقلامهم وغير ذلك من الأمور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ وكفلها
زكريا بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدوداً وقرئ وتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على صيغة الأمر في الكل ونصب
ربها على الدعاء أي فاقبلها ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلاً لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى لها عليه السلام المحراب في المسجد
أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب
روي أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وإذا خرج غلق عليها سبعة أبواب كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لإظهار
كمال العناية بأمرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على أن ما مصدرية والزمان محذوف أو نكرة موصوفة معناها الوقت والعامل
فيها جوابها أي كل زمان دخوله عليها أو كل وقت دخل عليها وجد عندها رزقاً أي نوعاً منه غير معتاد إذ كان ينزل ذلك
من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثدياً قط قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام
عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم أنى لك هذا أي من أين لك هذا الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة
دونك وهو دليل على جواز الكرامة للأولياء ومن أنكرها جعل هذا إرهاصاً وتأسيساً لرسالة عيسى عليه السلام أو جعله معجزة لزكريا عليه السلام
فيأباه اشتباه الأمر عليه وإنما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما رآه أنها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم
قالت استئناف كما قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله

فلا تعجب ولا تستبعد إن الله يرزق من يشاء أن يرزقه بغير حساب أي بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضلاً منه تعالى
وهو تعليل لكونه من عند الله إما من تمام كلامها فيكون في محل النصب وإما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي أن فاطمة الزهراء رضي الله
تعالى عنها أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء
خبزاً ولحماً فقال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك
شبيهة سيدة بني إسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أهل بيته فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت
على جيرانها هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما
في إيرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فإن فضائل بعض الأقرباء أدلة فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام
للدلالة على البعد والكاف للخطاب أي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت إذ يستعار هنا وثم وحيث
للزمان دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم ومنزلتها على الله تعالى رغب أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله
تعالى وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير أوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فأقبل
على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى أن ذلك كان هو الموجب للإقبال على الدعاء فقط كان جراءة
لغير من التوسلات السابقة لما مر حكيها من كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء
وبيان لكيفيته لا محل له من الإعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء
الغاية مجازاً أي أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز أن يتعلق بمحذوف وقع حالاً من ذرية
أي كائنة من لدنك والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد ههنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف وفي الدلالة
من قال أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال وهذا إذا لم يقصد واحد معين أما إذا قصد به معين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة
وحمزة فلا يجوز أن يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة إنك سميع الدعاء أي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة فنادته الملائكة
كلما هي جبريل عليه السلام كما ينبئ عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب الخز
والثوب قال الزجاج أي أتاه النداء من هذا الجنس الذي هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له وقيل الرئيس
لا بد له من أتباع فأسند النداء إلى الكل مع كونه صادراً منه خاصة وقرئ فناداه بالإمالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء
مقررة لما أفادته الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي إما صفة لقائم أو خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون
الثاني جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى أو حال أخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية أو حال من المستكن في قائم وقوله تعالى
في المحراب أي في المسجد أو في غرفة مريم متعلق بيصلي أو بقائم على تقدير كون يصلي حالاً من ضمير قائم لأن العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد
فلا يلزم الفصل بالأجنبي كما يلزم على تقدير الصفة أن الله يبشرك بيحيى أي بأن الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول أو إجراء النداء
مجراه لكونه نوعاً منه وقرئ يبشرك من الإبشار ويبشرك من الثلاثي وأياً ما كان فمبنى ذلك كون هذا الكلام آخره حكاية بعبارته عن الله
عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما ينبئ به مراجعته عليه السلام في الجواب إليه
تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن إسناد التبشير إلى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء
أمير المؤمنين يرسم لك كذا وللإيذان بأن ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية
له سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمي يحيى لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة لأنه تعالى أحيا قلبه بالإيمان قال القرطبي
كان اسمه في الكتاب الأول حيا ولاد من بعد رمضا فيعود إليه الحال أي بولادة يحيى فإن التبشير لا يتعلق بالأعيان مصدقاً حال مقدرة
من يحيى بكلمة من الله أي بعيسى عليه السلام وإنما سمي كلمة لأنه وجد بكلمة كن من غير أب فشابه البديعيات التي هي عالم الأمر ومن لابتداء الغاية
مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة كائنة منه تعالى قيل هو أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت أم يحيى أم عيسى
فقالت يا مريم أشعرت بحبلي فقالت مريم وأنا أيضاً حبلى قالت فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقاً
بكلمة إلى آخره وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما السلام بستة أشهر وقيل بثلاث سنين وقتل قبل رفع عيسى عليهما السلام

بدء بشيره وعلى كل تقدير يكون من ولادة يحيى ومن البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت اى نبت عشرة سنة ونيت
عشر سنين اصل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اى يسود قومه
ويفوقهم فى الشرف وكان فايقا للناس كافة فانه لم يهم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله
اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى انه مر فى صباه بصبية فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله
مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اى ناشيا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين
بالصلاح كما فى قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة
البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال استئناف مبنى على السؤال
كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادى له مع ان الظاهر ان البشارة منه مخاطبة له وان كان
ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه مبالغة فى التضرع والمناجاة وجدا فى التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى
يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه مستفاد منه او ما يصدر عنه مبتنيا على توسطه كما توقف فى ما له الا قوال وان لم يوقع عليه بعضها
انى يكون لى غلام فيه دلالة على انه قد اخبر فونه غلاما عند التبشير كما فى قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى انى بمعنى كيف او من اين
يحدث لى غلام ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف مع حالا من غلام او لو تأخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها انا انى والام متعلقة
بمحذوف وقع حالا من غلام او لو تأخر لكان صفة له او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها انا انى والام مستقر بمحذوف كما مر او هو الخبر
وانى منصوب على الظرفية وقد بلغنى الكبر حال من ياء المتكلم اى ادركنى كبر السن من حيث ارقى كونهم ادركه الموت
السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون
وقيل اثنان وتسعون وقيل تسعة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون
وللامرأة ثمان وتسعون وامرأتى عاقر اى ذات عقر وهو ايضا حال من ياء عنده من مجرد تقدير الحال او من ياء بمعنى اى كيف
يكون ذلك والحال انى وامرأتى على حالة منافية لكل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرته
تعالى عليه لا استبعادا بل استعظاما لقدرته تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمه تعالى عليه فى ذلك
لا استبعادا له وقيل لكان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد فصل كان
استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل فى قوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اى يشاء
ان يفعله من العجائب الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف
اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك العجيب الصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة
القصر المستفاد بالتقديم الى المراد من التشارك وباعتبارة الكاف مقحمة للتاكيد لما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المعرف اى يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او فى محل الرفع على انها خبر الجلالة
مبتدأ اى على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان له لكن الشأن المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف اى الامر كذلك
وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له وقال رب اجعل لى آية اى علامة تدلنى على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر
لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا
السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عليهما السلام ستة اشهر او ثلاث سنين
لان ظهور العلوق كان عقيب بيانها لقوله تعالى فى سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية الا انه هو المجاوبة بين زكريا
ومريم فى حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم فى الصغر موجب ظهوره الحكى والحمل الداعى واللام متعلقة والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشوق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين اولهما آية وثانيهما لى والتقديم لا مسوغ
لكونه مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حاله بعد دخول الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس
اى ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام اى بلياليها لقوله تعالى فى سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح انما جعلت
آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها

الفضل

واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اى اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اى تحرك ومنه
قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب
فى كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس
معا بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اى فى ايام الحبسة
شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اى نزهه
او افعل التسبيح بالعشى اى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع
الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلوة ولهذا قيده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الكل
الحق اى كان المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ والابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع
فى شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعنى زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء مقام
اياه حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر
السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعنى قوله تعالى اذ قالت امرأت عمران منصوب بناصبه وقد رأى واذكر
ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وكرر النداء للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء
والتنبيه على استقلالها وافرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم وهذه من باب التربية الروحانية
المتكلفة للترقية المتعلقة بحال كبرها وقيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ
امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يقبل قبلك انثى ورباك فى حجر زكريا عليه السلام
ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اى مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفتك به اليهود بانطاق
الطفل واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية
للعالمين فعلى هذا ينبغى ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق
للاستقلال بالتذكير ولو روعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين
من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال فى ترتيب النظم الكريم اذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ذكرا او لا ويحمل هذه المقاولة على بشارتها بعيسى
عليه السلام اذا ما لا بد فى ذلك متوقفة على الطاعات والعبادة حسبما امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى منقطعة اليه تعالى
منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح يا مريم كرر النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من
النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا فى العمل بموجبه اقنتى لربك اى ادومى على الصلوة او اطيلى القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة
رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك او لكون السجود افضل اركان الصلوة
واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق الترقى من الادنى الى الاعلى وانما يقترن اركعى بالراكعين
للاشعار بان من لا ركوع فى صلوتهم ليسوا مصلين وما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب غاية الترجيح لا الترجيح بحرمة الامرين
الاخرين عما قبلهما الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كما فى قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود
الصلوة لما من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا
ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى من انباء الغيب اى من الاخبار المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك خبر
مستقل مبين للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اى نوحيه حال كونه من جملة
انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحى لم ينقطع وما كنت لديهم اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم
وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى الآية وما كنت ثاويا فى اهل مدين لان
طرق معرفة امثال هذه الحوادث اما العيان واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقى احتمال العيان المستحيلة ضرورة فنفى ذلك تهكما بهم

اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التوراة تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون
في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز
وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند القاء الاقلام
وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لاسيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب
في الذكر مؤكد له اذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه السلام وبدل من اذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به
تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب اذا
تباين الخطابين او تقاربا في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على انباء وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك
الزمان المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم من اولها الى اخرها
والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع للتعظيم يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع
صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه وذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدا خبره المسيح وقوله تعالى
عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر اخر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب باضمار اعني وهذا وقوله تعالى ابن مريم
صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يمتاز المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع ما عداه والمسيح
عليه السلام وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما
من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام او مسح الارض ولم يقم في
مكان او كان يمسح ذا العاهة فيبرأ او بانه كان في لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها
تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا والاخرة الوجيه
ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال
وتذكيرا باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين
اي من الله عز وجل وقيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته للملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس
في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه
وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين
حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة او من الضمير في يكلم قالت استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم
حين قالت لها الملائكة ذلك فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون او من اين يكون لي ولد
على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره
ويكون اما تامة واني واللام متعلقان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان تعلق اللام
بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة اسمها ولد وخبرها اما اني واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر واما لي
نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال
كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما في قصة زكريا بعينه خلا ان المراد
يخلق هيهنا لما كان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق
المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل
الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتي المقدورات
حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء
مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة واحدة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة

او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتوراة والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد
بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق
تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ نعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل
منصوب بمضمر يقود اليه المعنى معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم
مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف واخرهم عيسى عليهم وقيل اولهم موسى
واخرهم عيسى عليهم السلام وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي ورسولا ناطقا باني الخ وقيل منصوب بمضمر
معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم
الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقرئ ورسول بالجر
عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل اي ملتبسا باية والتنوين للتفخيم دون الوحدة
لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بايات اي جئتكم على انها للتعدد ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او متعلقة بجئتكم والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سيأتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني
قد جئتكم ومحله النصب بنزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني
اني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف اي اقدر لكم اي لاجل
تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة
الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا
كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار عليه السلام بذلك الى ان احياءه من الله عز وجل لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش انه
عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض
قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش
لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير
بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير
وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح
ايضا وتخصيص هذين الداءين لانهما اعيا الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك
الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء
واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر
وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعى الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وعاش وولد له وبنت العاشر
احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا فاصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح
فقال دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعى الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن
في زمانكم شيب قال يا روح الله انك لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول
ذلك شبت فسالوه عن النزع فقال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان من وقت موته اكثر من اربعة الاف سنة وقال للقوم
صدقوه فانه نبي فامن به بعضهم وكذبه اخرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك
قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف
ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لاية عظيمة وقرئ لايات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة
ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه ودلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم ممن يتاتى منهم الايمان
دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى باية اي قد جئتكم

ملتبسا بآية الى آخره ومصدقا لما بين يدي عطف على رسولا على الاوجه الثلاثة فان مصدقا في معنى النطق كأنه رسولا اي بمجيء مصدقا ناطقا
بأني اصدق او ويقول ارسلت رسولا بأني قد جئتكم و مصدقا او حال كونه مصدقا ناطقا بأني اصدق او منصوب بمضمر دل
عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا الى آخره وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضمير المستقر في الظرف الواقع
صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل لكم
وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كأنه قيل قد جئتكم لاصدق ولاحل وقيل عطف على بآية اي جئتكم بآية
من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب ولحوم الابل والعمل في السبت وقيل
احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ
حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لان النسخ في الحقيقة بيان
تخصيص في الازمان وتأخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر وجئتكم بآية
من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما آمركم به
وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هي قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع
عليه الرسل قاطبة فيكون آية منه على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم
وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي وقد جئتكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء
الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة
واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش ثم شرع في الدعوة واشار
اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه
اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع
في بيان مآل احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة مفصحة عن تحقق جميع اقوال الملائكة
عليهم السلام وخروجها من القوة الى الفعل حسبما حكيت كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك كأنه قيل فحملت به فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت واما ما ذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف فيه
بالفصل في الموضع الآخر واما لعدم تعلق غرض ببعض احواله عليه السلام في سلك النقل فاما للاعتناء بامره واما لعدم مناسبتها للمقام
لما فيها من ترقيه عليه السلام للشدائد ومعاناته لها والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر
اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه
امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي
ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما عرفت مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الكفر قال اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فآمنت طائفة
من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجه الخطاب الى الكل بل يكفي فيه عموم الدعوة اليهم من انصاري الانصار جمع
نصير كالاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري
متضمنا معنى الاضافة كأنه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى
اللام وقيل بمعنى مع قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون
جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن
ونقائهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال الاكل منها ولا تنقص

فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون
وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون
السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه
المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة
من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا
آمنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا
قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل
من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته
فقال له عليه السلام هنا ثياب مختلفة وقد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها
في حب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل
يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه السلام
وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين
وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله
اي انصار دينه ورسوله آمنا بالله استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه
والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام
الشهادة بذلك يوم القيامة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا آمنا بما
انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي
في كل ما يأتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال
من مفعول اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى
عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده
اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا
فيه روزنة ورفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى
الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن
بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان ادلكم
على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام ورفع الى السماء فاخذوا المنافق وهو
يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون جاءتا
عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله
رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك
ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك لخليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام
فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية
في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك
في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلاث عشرة سنة

وولد ببيت لحم من ارض اورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس
ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلاثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين
والله خير الماكرين اى اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة فى موضع الاضمار لتربية
المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر كوقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفى
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع
وهو نائم وقيل مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته
الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبى والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن
وابن زيد وهو اختيار الطبرى وهو الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون
وهم اثنا عشر رجلا فى غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبر بهم ابليس جمع اليهود وركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة
فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معى فى الجنة فقال واحد منهم انا يا نبى الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله
عكازه والقى عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله تعالى الريش والنور وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وذلك قوله تعالى انى متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما
شاء ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء هم المسلمون
فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك
اى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا اى من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين
اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبى ومقاتل والكلبى هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم
دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا هم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود
فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغى ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد فى الاسلام
والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام
الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر فى الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية ينتهى حينئذ ويتخلص الكفرة من الذل بل على ان المسلمين يعلونهم
الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم الى مرجعكم اى رجوعكم بالبعث وثم للتراخى وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد
لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب فى ضمن الالتفات فانه ابلغ
فى التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الى فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته
والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى فى الدنيا والاخرة
متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب فى الدنيا والتعذيب فى الاخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى ايقاع مجموعهما
وقيل ان المرجع اعم من الدنيوى والاخروى وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية لفوقية الجعل والرجوع متراخ عن الجعل وغير محدود [illegible]
المحدودة على نهج قولك سأعتكف فى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تاخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر وما لهم
من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله فى الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين امنوا
بما ارسلت وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اى يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان
بما بين مقامى التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وان توفيتهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله
لا يحب الظالمين اى يبغضهم فان هذه الكناية فى جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون
متجاوزون عن الحدود واضعون الكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف
من نبأ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف على كونه فى ظهور الامر ونباهته
بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله عز وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من

الى

من الايات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر اى
الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اى المشتمل
على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القران فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية
ان مثل عيسى اى شانه البديع المنتظم لغرابته فى سلك الامثال عند الله اى فى تقديره وحكمه كمثل ادم اى كحاله العجيبة
التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل
ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبهة الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق ادم عليه السلام بغير
اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اى انشأه بشرا كما فى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا اخر او قدر تكوينه
من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم للتراخى فى الاخبار كما للتراخى فى الخبر فيكون حكاية حال ماضية روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء
البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان ادم
ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اى
الحق ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اى كائنا من ربك او خبر ثان اى كائن منه تعالى وقيل الحق مبتدا
وخبره الجار المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل
الايات الحقة انما هو لتربيته عليه السلام ولطف به صلى الله عليه وسلم فلا تكن من الممترين فى ذلك الخطاب اما للنبى صلى
الله عليه وسلم ولطفه على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء فى المحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يكاد
يمكن صدوره عنه فكيف ممن يصدر الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اى من النصارى اذ هم المتصدون
للمحاجة فيه اى فى شان عيسى وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكى من بعد ما جاءك من العلم اى ما يوجبه ايجابا قطعيا
من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغى والضلال فقل لهم تعالوا اى هلموا بالراى والعزيمة
ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما الاناث فتعلقهن من جهة اخرى ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اى ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس
فى باب المباهلة التى هى من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه
صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم فى ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر فى تقديم جانبه عليه السلام
على جانب المخاطبين فى كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل فى الصيغة فان غير المتكلم تبع له فى الاسناد ثم نبتهل اى نتباهل
بان نقول لعنة الله على الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اى تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين
عطف على نبتهل مبين لمعناه روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنهم اجمعين
وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه
لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك
ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فانى اناجزكم فقالوا
ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف
فى صفر والف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى يهلكوا ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل

ونساءنا

كم

دخله اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدا
والقصص خبره والجملة خبر ان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله
لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية
فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي يقص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم
بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه المظهر للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعدما قامت الحجج افساد للعالم
وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود
المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا
مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه السلام
اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد
وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم
او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة
في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر
كيفية دعوته لمن شاء الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا
بعض الانقياد دعاهم الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى
في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه
كان منكم وما انزلت التوراة على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام الا من بعده حيث كان
بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يكون عليهما افلا تعقلون
اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا
وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم
به علم في الجملة حيث وجدتموه في التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في
الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم
فيه او كل شي فيدخل فيه ذلك دخ لا اوليا والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شي فيدخل فيه وانتم لا تعلمون اي بحال
النزاع او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما تعلق به البرهان المقرر
ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام
والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين
انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي
والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ النبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم
والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما
يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال
ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون اي
باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين

الله

ن

او تعلمون

او تعلمون المعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفهم وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز
بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد عليه
الصلاة والسلام ونعته وانتم تعلمون اي حقيته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا
ما هم عليه من الكفر آخره مرائين لهم انكم آمنتم بادي الراي من غير تامل ثم تاملتم فيه فوقفتم على خلل رايكم الاول فرجعتم عنه
لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان بانكارهم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا
وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا
وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي ولا تقروا عن تصديق
قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل
ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك
وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ ان يؤتى
على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث
معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة البالغة يختص برحمته من يشاء اي يجعل رحمته مقصورة على من
يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال
بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء باعتبار تحققه في ضمن قوله تعالى ومن الناس من يقول او خبر قوله
من ان تامنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كما قيل بعض
اهل الكتاب بحيث ان تامنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يؤده
اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال اي في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم
في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل
اي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى
وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء
في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين ناب
مناب الراجع من الجزاء الى من واشعار بان التقوى ملاك الامر للوفاء وغيره من اداء الواجبات ان الذين يشترون
اي يستبدلون وياخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق
لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال للتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب

لا نصيب

من الملئكة عليهم السلام او لا يصغون بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك
لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالغير
التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا
لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اى لا يثني عليهم
او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق
وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث
ابن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن
يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وان منهم اى من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اى يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلوون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لتحسبوه اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اى من جملته
وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا وهو
مع ما ذكر من الى التحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض وهو اى المحرف من عند الله اى منزل من عنده
وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدا في الخبر اى والحال انه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم
وتقبيح امرهم وكمال جراتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى
نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اى ما صح
وما استقام لاحد وايا ما كان من البشر اشعار بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسندوه اليه ان يؤتيه الله الكتاب
الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر
بعدما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي الجار متعلق بمحذوف هو
صفة عبادا اى عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحتمل الحالية لتخصص
النكرة بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي
والسيد النجراني قالا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام معاذ الله ان نعبد غير الله سبحانه
وان نامر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك قال عليه الصلوة والسلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ولكن اى ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب
ودراسته اى قراءته فان حمل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار
التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني
لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز ان تكون
القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق
ببيان ما يليق بشانه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها عزيمة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادة نفسه ولا

ولا يامر باتخاذ الكفار اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقتضي نفيه ما ذكر من توسيط الاستدراك بين المتعاطفين
مزورة انهما حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايامركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء
الاول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف وتجويز الحالية بتقدير المبتدا اى وهو يامركم لا يليق بالمقام ومنه انتفاء قوله
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اى
ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا على معنى انه ليس له ان يامر بعبادة
ولا يامر باتخاذ الكفار اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة وقرئ بالرفع على الاستئناف وتحمل الحال ايامركم بالكفر انكار
لما نفي عن البشر والضمير له وقيل لله تعالى بعد اذ انتم مسلمون دل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لسجود له عليه السلام
واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اى اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما
اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان
الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكر امهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين
اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
او سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام
في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر
على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او من اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات استثقالا
قال اى الله تعالى بعدما اخذ الميثاق ااقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اى عهدي سمي به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بضم
الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به وقرئ بضم الهمزة قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك
فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم
المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اى اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار
والشهادة فمعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون بالصفات
القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد
افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اى يتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار او على الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة
لوكادة الانكار طوعا وكرها اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق
والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم واليه
يرجعون اى من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منتظمة معها في سلك الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد
والوعيد قل امنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله
تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل
او عن نفسه فقط وهو الانسب بما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك
ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والتنزيل كما يعدى بالى لانتهائه
الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين
فقد تعسف الا يرى الى قوله تعالى بما انزل اليك الخ وقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم

على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرّف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد
والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى
من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لان
الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما
اي وما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى
آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق من الكتب والاسلام
المذكور آنفا وقد مر تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب
يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو
واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان
بين الخير اذ جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا
نشرك فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى
كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو منصوب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام
حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن
يقبل ذلك منه اذ ابى برده وشدده والجملة جواب الشرط وهو في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور واما
لا محل له من الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال
الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن
بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره
كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير
ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي
ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله تعالى الى آخره فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج
عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان
فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر
من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفي جواز لعن غيرهم
ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها اي في اللعنة او العقوبة
او النار وان لم يذكرا لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد
ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل
عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك

تكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا
لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
زيدت الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا لو تصدق في الدنيا ولو افتدى من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم سواء اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع
عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة
الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من نال نيلا اذا اصاب والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف مسوق لبيان
ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا
شأوه ولن تظفروا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل الله عز وجل
رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة
اي ما تهوونه ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او ما يعمها وغيرها من الاعمال والمحبة
على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اجمعين اذا احبوا
شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها
يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه
وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكأن زيدا
وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي
موسى الاشعري رضي الله عنهما ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها
وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك
قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي
اخذت من تركته ففتش عن حاله واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال
انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرك كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا
من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائنا
من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث
تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما
كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الرديء
ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل
من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهي لحوم الابل والبانها قيل
كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد
ولا مانع ان يقول كان ذلك باذن الله تعالى فيه وهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة متعلق بقوله كان حلا ولا
فيه توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تحريمه عليه السلام بقبلية نزول التوراة مشتمل على تحريم ما حرم عليهم بظلمهم

وبغيهم عقوبة لهم وتشديدا وتسورة على اليهود في دعواهم البراءة مما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت
لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم
ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم
موافقته لإبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أمر عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم
الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات
عقوبة لهم ويكلفهم إخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم وإظهارهم اسم التوراة تلون الحجة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله
وقوله تعالى إن كنتم صادقين أي في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا
بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم ما يدعوكم إلى ذلك لبت وروي أنهم لم يجترؤوا على إخراج التوراة تكون الحجة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله
وقوله تعالى إن كنتم صادقين أي في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين
فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم ما يدعوكم إلى ذلك فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله
عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه لا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب أي اختلقه عليه
سبحانه بزعمه أنه حرم ذلك قبل نزول التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والإلزام والتقييد للدلالة على كمال القبح
فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الفعل باعتبار لفظه وما فيه
من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان أي فأولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت
عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب
مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم ومن هي في محل النصب أو الرفع على القول عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتوراة قل صدق الله
أي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما أنزل في شأن التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا أو صدق في كل شأن من الشؤون ومن جملته ذلك
وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم عليه السلام فإنكم
ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب
لتسوية الأغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقه تعالى موجب
ومبرك لما عليه حنيفا أي مائلا عن الأديان الزائغة كلها وما كان من المشركين أي في أمر من أمور دينهم أصلا وفيه
تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس منهم ولا منهم في شيء قطعا والغرض بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم على دين إبراهيم
عليه السلام في الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها إن أول بيت وضع للناس
شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شرائع ملته عليه السلام إثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روي أنهم قالوا بيت المقدس
أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت أي إن
أول بيت وضع للناس وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر لإن وإنما أخبر
بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بما بعدها من الصفة والجملة بعدها أي للبيت الذي ببكة أي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى
وبكة لغة في مكة فإن العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم
أمر راتب وراتم وسبد رأسه وسمده وأغبطت الحمى وأغمطت أي علم للبلد الحرام من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس
بعضهم بعضا أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد
ومكة اسم للبلد كله وأيد هذا بأن التباك هو الازدحام إنما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم المسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى
للذي ببكة روي أنه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة
وقيل أول من بناه إبراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الأقاويل في سورة البقرة وقيل أول بيت بالشرف لا بالزمان
مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لأن
التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة

٤

دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى
الأعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل والجملة
مفسرة للهدى أو حال أخرى مقام إبراهيم أي أثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت
رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند غسل رأسه على ما روي أنه عليه السلام جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل
عليهما السلام انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته
إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه وهو إما مبتدأ حذف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات
بدل البعض من الكل أو عطف بيان إما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى
وعلى نبوة إبراهيم عليه السلام كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا أو باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فإن كل واحد من أثر قدميه
في صخرة صماء وغوصه فيها إلى الكعبين وإلانة بعض الصخرة دون بعض وإبقائه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة
الأعداء ألوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد وإما بما بعده من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا فإنه وإن كان
جملة مستأنفة ابتدائية أو شرطية لكنها في قوة أن يقال وأمن من دخله فيكون بحسب المعنى والمآل معطوفا على مقام إبراهيم ولا يخفى أن
الاثنين نوع من الجمع فيكتفي بذلك أو يحمل على أنه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى أمن داخله
أمنه من التعرض له كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام
رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته
حتى يخرج منه ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى
ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل أمنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة
آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدأ
هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار أو بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار
والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز أن يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل إلى أن يجعل حالا من
الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقدم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك
إذا كانت هي ظرفا أو حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فإنهما تقدمان على عاملهما المعنوي واللام
في البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع
إليه سبيلا في محل الجر على أنه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف أي من استطاع
منهم وقيل في محل النصب على أن المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة إلى الضمير وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر أي
من استطاع إلى آخره وقيل في حيز النصب بتقدير أعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد
إلى الناس أي من استطاع منهم إليه سبيلا فلله عليه حج البيت ويترجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في إليه راجع
إلى البيت أو إلى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل فهل إلى خروج من سبيل وهل إلى مرد
من سبيل لما فيه من معنى الإفضاء والإيصال كيفما كان وهو عبارة عن الوسيلة من مال أو غيره فإنه قد روي أنس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال السبيل الزاد والراحلة وروي ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال
الزاد والراحلة وهو المراد بما روي أنه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله
عنهم وعليه أكثر العلماء خلافا للشافعي رحمه الله فإنه أخذ بظاهره فأوجب الاستنابة على الزمن القادر على أجرة من ينوب عنه
والظاهر أن عدم تعرضه عليه الصلاة والسلام لصحة البدن لظهور الأمر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع إلى البيت

وزاد لا بغير ردون العصر وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة
وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع
ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه السلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع
اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان
من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات
المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية
الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم
مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا شيء وراءه
وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة
الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب وقال ابن عباس والحسن وعطاء
ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما
نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت
به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا
تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت
في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم
اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل
لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى
ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد
على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل
الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب
تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم ومجازيكم عليها ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم
بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما
كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة
في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي
الايمان بما صدقه يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القبائح وكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات
الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصده عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة
الاسلام من آمن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون
من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج
فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير
كقوله فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان
تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل
تصدون او من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شاهدون
بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في التوراة ان دين الله
الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او انتم عدول فيما بينكم تثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون

اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد ولما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم
مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل
الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم
وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا منهم كما ان تعميم التوبيخ فيما قبل للمبالغة في الزجر وللمحافظة
على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر
شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا
يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار
ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرفوا انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام
الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا
صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى
كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن
السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله الاول وفيه تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر
المفروض بطريق القسر اراد الاطراف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون
سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل
عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كأنه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري
بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الى آخره لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده
على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله
جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة
عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام
بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق
كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى
الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان
هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام بعينه لكن لما اختلف الاعتبار ان وكان العنوان الاخير ابلغ في التحريض
في معرض الحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين آمنوا كرر الخطاب
بعنوان الايمان تشريفا اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه
وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم
بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل
هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد واصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن

الا وانتم مسلمون اى مخلصون نفوسكم لله سبحانه لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما فى قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما تنبئ عنه الجملة الاسمية
ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل فى الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون
على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهى عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذى هو الكون على حال الاسلام حينئذ
وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهى الى الموت للمبالغة فى النهى عن قيده المذكور فان
النهى عن المقيد اشارة نهى عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهى عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد
فى ايجاب الخشوع فى الصلوة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع فى الصلوة اذ ذاك نهى عنه وعما يقارنه ويفيد ان الخشوع هو العمدة فى الصلوة
وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل واعتصموا بحبل الله اى بدين الاسلام او بكتابه
لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى
الى صراط مستقيم مثل الحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن
الانقطاع من غير اعتبار مجاز فى المفردات واما استعارة الحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق
والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين فى الاعتصام ولا تفرقوا اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التى انتم عليها واذكروا
نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له
او لمستقر فى عليكم اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء فى الجاهلية بينكم الاحنة والعداوة والحروب
المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين
فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اى فصرتم بنعمته التى هى ذلك التاليف اخوانا خبر اصبحتم اى
متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم فى الصباح فالباء حينئذ متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اى فاصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها
حرفها اى كنتم مشرفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم منها بان هداكم للاسلام
والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لتأنيث ما اضيف اليه كما فى قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة
فان شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا فى المذكر وحذفت فى المؤنث كذلك اشارة
الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه
بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف
اى مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته اى دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاحكام والاوامر والنواهى
تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حرمتها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزجرهم عن الاخلال
بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها على الاصل ومن ان كانت للتبعيض متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا
من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اى لتكن امة كائنة منكم داعية الى الخير والامة هى الجماعة التى يؤمها فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون
بها او من ابتدائية وامة اسمها ويدعون خبرها اى لتكن منكم امة داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة
الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل
اثموا جميعا لا بحيث يحتم على الكل اقامتها وينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية لانها من عظائم الامور وعزائمها
التى لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ فى مقام
اللين ويلين فى مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادى والاصرار وقيل من بيانية كما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم الآية والامر كان فى الاصل مفروضا كل احد ان يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة

فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح دينى
او دنيوى فعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه
من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف
المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اى يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما فى
فلان يعطى ويمنع اى يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقوله تعالى واولئك اشارة الى الامة المذكورة
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والافراد فى كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان
التعيين غير مقصود اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل
بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او للاشارة الى انه يعرفه كل احد حقيقة المفلحين روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن على رضى الله عنه افضل الجهاد الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف فى الوجوب والندب تابع للمأمور به
واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط
بترك احدهما وجوب الآخر وليس فى قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا امرهم بالبر
وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى
فرقا واختلفوا باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية
من بعد ما جاءهم البينات اى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهى متوجه الى المتصدين
للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا وتجريد الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف الذين
اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهى عنه انما هو الاختلاف
فى الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة وقوله عليه السلام
من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما فى حيز الصلة
وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ
او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التأكيد والمبالغة فى وعيد المتفرقين والتشديد فى تهديد المتشبهين
بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اى وجوه كثيرة وقرئ بياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض
وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار فى لهم اى ثابت
العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب المؤمنون تحذيرا لهم من عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا فى الاتفاق على
الدين اى اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم
تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه
من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم
على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعدما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق
او بعدما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء فى قوله
عز وعلا فذوقوا العذاب اى العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب

على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا • واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اي الجنة والنعيم المخلد عبر عنهما
بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت
هم فيها خالدون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك اشارة الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار
ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وبعد منزلتها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة
حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع
كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى
وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم
حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ
وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات
الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد
العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة
الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة
نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفاظا
ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا
لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى والى الله اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا ترجع الامور اي امورهم
فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعد من غير دخل في ذلك لاحد فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها
مقررة لمضمونه فان كون العالمين جميعه تعالى مخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستأنف سيق
لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان
الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح
او في الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم
خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة
رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الا
ستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله
عليه وسلم قال الزجاج اصل الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر
ان المراد بكل امة اولهم واخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلا في الحكم وكذا الحال فيما روي
ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى ابي حذيفة رضي الله تعالى عنهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعونا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير امة الذين
هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة

الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء
وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه هو الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك
كما هو ايمان اهل الكتاب ليس من الايمان بالله تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان الانتهاء على خيريتهم بما
اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اي لو آمنوا كما ينبغي لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه
من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل
مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم الايمان
لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به هنا ايضا لربما فهم ان لاهل الكتاب ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وذلك
منهم المؤمنون جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر
فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر
الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى
به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل واسر ثم لا ينصرون
عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم
بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة
عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف
عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شأنهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر
والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان ذلك كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر
ما لقوا ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضربا على جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين
بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله اي رجعوا به مستوجبين
له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية اي كائن من الله عز وجل
وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى ذلك
اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي ذلك الذي ذكر كائن
بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية ويقتلون الانبياء
بغير حق اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم
ينسب الى كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اي كائن بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه
ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم
من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل
الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل
مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق
المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها
من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله
تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الآية ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك
بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارذالهم والقائمة العادلة من قمت العود فقام

يعني استقاموا وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد وأضرابهم وقيل هم أربعون رجلا من أهل
نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم
النبي صلى الله عليه وسلم منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة
ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى ﴿يتلون آيات الله﴾
في محل الرفع على أنه صفة أخرى لأمة وقيل في محل النصب على أنه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي تضمنه
الجار أو من ضمير قائمة أو من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لأمة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى ﴿آناء الليل﴾ ظرف ليتلون
أي ساعاته جمع إني بزنة عصا أو إني بزنة معى أو أني بزنة ظبي أو إنو بزنة جرو ﴿وهم يسجدون﴾ أي يصلون
إذ لا تلاوة في السجود وقال صلى الله عليه وسلم ألا إني نهيت أن أقرأ راكعا أو ساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين أركان
الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة
وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الإيمان والمراد صلاة
التهجد وهو أدخل في مدحهم وفيه تسنية لهم بالتلاوة فإنها في المكتوبة وظيفة الإمام واعتبار حالهم عند الصلاة على الانفراد يأباه مقام
المدح وهو الأنسب بالعدول عن إيرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة بالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلاة العشاء لأن أهل
الكتاب لا يصلونها لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها ليلة ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل
الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتأكيده
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى أنهم يقومون تارة ويسجدون أخرى يبتغون
الفضل والرحمة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ وقيل المراد بالسجود هو
الخضوع كما في قوله تعالى ﴿ولله يسجد ما في السموات والأرض﴾ ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ صفة أخرى لأمة مبينة لمباينتهم اليهود
من جهة أخرى أي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والإطلاق للإيذان بالغنى عن التقييد لظهور أن الذي يطلق عليه
الإيمان بهما لا يحتمل غيره وتعريض بأن إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر
بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما في شيء أصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم أن المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز إطلاق
الإيمان على إيمانهم بالله واليوم الآخر ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ صفتان أخريان لأمة أجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود
في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير إثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر
بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فإنه أمر بالمنكر ونهي عن المعروف ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ صفة أخرى لأمة جامعة لفنون المحاسن
المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي
أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم إلى الشرور وإيثار
كلمة في على إلى الواقعة في قوله تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة﴾ الآية للإيذان بأنهم مستقرون في أصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات
الفضل لا أنهم خارجون عنها منتهون إليها ﴿وأولئك﴾ إشارة إلى الأمة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه
من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وإيثاره على الضمير للإشعار بعلة الحكم والمدح أي أولئك المنعوتون بتلك الصفات
الفاضلة بسبب اتصافهم بها ﴿من الصالحين﴾ أي من جملة من صلحت أحوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه ﴿وما يفعلوا
من خير﴾ كائنا ما كان مما ذكر أو لم يذكر ﴿فلن يكفروه﴾ أي لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر
إظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى
الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ بالفعلين على صيغة الخطاب ﴿والله عليم بالمتقين﴾ تذييل
مقرر لمضمون ما قبله فإن علمه تعالى بأحوالهم يستدعي توفية أجورهم لا محالة والمراد بالمتقين إما الأمة المعهودة وضع موضع الضمير العائد
إليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم وإشعارا بمناط إثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة وإما جنس المتقين
عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا أوليا ﴿إن الذين كفروا﴾ أي ماتوا على الكفر قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو

قريظة والنضير فإن معاندتهم كانت لأجل المال وقيل هم مشركو قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل أبو سفيان وأصحابه
أنفقوا مالا كثيرا على الكفار يوم بدر وأحد وقيل هم الكفار كافة فإنهم فاخروا بالأموال والأولاد حيث قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال ﴿لن تغني عنهم﴾ أي لن تدفع عنهم ﴿أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ أي من عذابه
﴿شيئا﴾ أي شيئا يسيرا منه أو شيئا من الإغناء ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ أي مصاحبوها على الدوام وملازموها ﴿هم
فيها خالدون﴾ أبدا ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا﴾ بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع
ودفع المضار ويعلقون بها أطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو
رياء أو خوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة ﴿كمثل ريح فيها صر﴾ أي برد شديد فإنه في الأصل مصدر وإن شاع
إطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴿أصابت حرث قوم ظلموا
أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصي فباؤوا بالغضب من الله تعالى وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع ﴿فأهلكته﴾ عقوبة
لهم ولم يدع منه أثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته
ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال
بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وقرئ تنفقون ﴿وما ظلمهم الله﴾ بما بين من ضياع ما أنفقوا من الأموال ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ لما أنهم أضاعوها بإنفاقها
لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا
أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز أن يكون المعنى وما ظلم الله تعالى أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم
ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه أنه قد مر التعرض له تصريحا وإشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها
ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة أي ولكن أنفسهم يظلمونها وإنما تقدير ضمير الشأن فإنما سبيله الاختصاص بالشعر كما في قوله
ولكن من يبصر جفونك يعشق ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة﴾ بطانة الرجل وليجته من يعرفه أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار قال ابن عباس كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم
من القرابة والصداقة والحلف والجوار فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك
ويؤيده قوله تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل وهي صفة المنافقين وأيا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة
﴿من دونكم﴾ أي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أي كائنة من دونكم مجاوزة لكم ﴿لا يألونكم
خبالا﴾ جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة لبطانة يقال ألا في الأمر إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين
في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿ودوا ما عنتم﴾
أي تمنوا عنتكم أي شدة ضرركم ومشقتكم وهو مستأنف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه ﴿قد بدت البغضاء
من أفواههم﴾ استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما أنهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط
أنفسهم وتحاملهم عليها أن تنفلت ألسنتهم بما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك
جمعه على أفواه وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار ﴿قد بينا
لكم الآيات﴾ الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي إن كنتم
من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ﴿ها أنتم أولاء﴾ جملة من مبتدأ وخبر
مصدرة بحرف التنبيه إظهارا لكمال العناية بمضمونها أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى ﴿تحبونهم ولا يحبونكم﴾ بيان لخطئهم
في ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلة له أو حال والعامل معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء
بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والحال
أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾
نفاقا ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ أي من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا ﴿قل موتوا

بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله
عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم
بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم
من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان
بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي
على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي
دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضم الراء في القراءة
المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين
والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد
محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت
كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة من مضرة
كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده للمؤمنين
لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا
انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها استحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
والمراد به خروجه عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اي من عند
اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل
غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة
وما يترتب عليهما اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع ان خروجه عليه السلام كان بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه
اذ حينئذ وقعت التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير ما وقع فيه من الفشل لمخالفتهم امر النبي صلى الله عليه وسلم وزايلهم عن احيازهم
المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل راي من احتج به على جواز اداء الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى للقتال
اما متعلقة بتبوئ اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد
والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم وقال عليه السلام اني رأيت
في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فقال النعمان
ابن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال لتوكيد اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر
من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب
من احد يوم السبت للنصف من شوال السنة الثالثة من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان

رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم
انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم
والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت
مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه
لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء هو مثل قولك ضربت واكرمت زيدا ... وانما تسلط عليه
طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوفة اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين
وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال
عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس عنه
عند الشدائد والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضميره
في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع امورهم
فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به وللتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان
دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستانفة سيقت لايجاب
الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر
اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر فسمي به وقيل سمي لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع والوادي
وكانت هذه الوقعة في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع
جمع قلة للايذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح
يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وستون بعيرا وستة ادرع وثمانية سيوف
وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله في الثبات معه وترتيب الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق
للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان
بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتموه يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين
ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم مما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه
الذي هو الانعام اذ تقول ظرف لنصركم وتخصيص الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم للتشريف وللايذان بان وقوع النصر كان ببشارته
عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما لم يذكر
وذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق بوجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك
للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فقال لهم
حينئذ ما حكي هنا الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا
بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده مدا ومنه والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون والامداد في الخير كما في قوله تعالى
وامددناكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية هنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة
الامداد والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم
وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لآلاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة آلاف وقيل

حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ منزلين
على صيغة الفاعل من الصيغتين اى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اى بلى يكفيكم ذلكم ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا
لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام ويأتوكم
اى المشركون من فورهم هذا اى من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اى اشتد غليانها ثم استعير للسرعة بعينه
وتقريبه نظم اتيانهم بسرعة فى سلك شرطى الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعنى الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا
او ابطأوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اى حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها
بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فلان تحققه حينئذ احرى كما اذا اردت وصف
درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايدى شدادها وسيوف حدادها لم تؤثر فيها قطعا يمددكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة مسومين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشىء اى معلمين من جهته سبحانه وتعالى او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل فى حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر
مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا ييأسوا منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه
النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وذكر وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى
يتعين معه ما يقتضى تعيينه من وقوعه حينئذ تعينا قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على شهادة الدلائل واخذ الامارات والمخايل ايذانا بكمال
الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرار او عن ايهام احتمال الخلف فى الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين فامدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واعوده الى المصدر المذكور اعنى قوله
تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الفعل البسيط متقدم على المركب فبيان العلة
الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده فى نفسه ولا ريب فى ان المصدرين المذكورين غير معتبرين
من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجوده بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثانى من حيث
الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة آلاف لا الواقع هو الامداد بخمسة آلاف قوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ
من اعم العلل وتنوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب
الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنى عنه بما له من التأييد الروحانى اى ما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشىء من الاشياء الا
للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اى بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبنى اسرائيل كذلك ولعل اعماله علة
غاية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل ودخل اللام على الثانى لفقدها
ومثل للاشارة ايضا الى اصالته فى العلية واهميته فى نفسه كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفى قصر الامداد
عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحوه
كما هو رأى بعض السلف وقيل جعل مصدره الى الستين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم الاحوال اى ما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا
او بشارة لكم كاللام فى قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اى حقيقة النصر على الاطلاق
فيندرج فى حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اى لا كائن من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب
والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير
وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اى الذى لا يغالب فى حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى
للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اى الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان
بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما
تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصود فى التعليل ذكر من اشد والاظهر ان هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك
فى تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او متعلق بما تعلق به الخبر فى قوله تعالى وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود والى ان
المعلل ثبوته والاظهر ان اما تعلق الامداد الصورى لما فى ضمنه من النصر المعنوى الذى هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر المعنوى كما قيل

مع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المختص بالمعلل المعين على الحصول
من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك المعنى لقد نصركم الله ببدر وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة
الا ثابت من عند الله ليقطع اى ليهلك او ينقص طرفا من الذين كفروا اى طائفة من الذين كفروا بالقتل والاسر وقد وقع ذلك
حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او
وقع فى القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين وكلمة او
حينئذ غير مسدلة للتنويع فينقلبوا خائبين اى فينهزموا منقطعى الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشىء كما فى قوله تعالى ورد الله
الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شىء اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف
المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصورين اثر بيان ان لا تأثير للناصرين وتخصيص النفى برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب
للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشرى القتال مدخل فى الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على
الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك
من امرهم شىء انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروى المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق
التعذيب الاخروى متحقق فى الفريقين الاولين ايضا ولم يتعرض للتعذيب المذكور فى سلك العلة الغائية للنصر المرتب عليه فى الوجود لكن
ان حصل توبتهم فرع تحققها انما هى من ثمرة الاسلام بسبب علية المرتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم
على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابى وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه
السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم
فنزلت ليس لك من الامر شىء الآية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم
من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ عطف على الامر او على شىء باضمار ان اى ليس لك من امرهم شىء او التوبة عليهم او تعذيبهم
عن الفراء وابن الانبارى ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شىء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بهم او يعذبهم فتشتفى منهم
واياما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر
لان كلا منهما مبنى على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومبنى على سلبه عمن سواه والحمل على الكل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى ولقد
لان من اذ غدوت الى ما حكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى
فلما لم يفعلوا لم يحصل الموعود كما قيل مما لا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى هو الامداد بخمسة الآلاف لا بثلاثة الآلاف
مع انهم لم يقع الامداد حينئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغى حينئذ ان ينعى عليهم جنايتهم وحرمانهم بسببها مما علق بتحققه
ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السياق والسباق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى حمل القصر
فى قوله تعالى وما جعله الله الخ الى الامداد الموعود ولا الى النصر لم يحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد بشارة لكم
والطمأنينة قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى لم يقع انجاز الموعود لان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح فى
عدم وقوع الامداد الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقى فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله
مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف امره وترك الصبر والتقوى اعتساف يجب تنزيه التنزيل
عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله
ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار خصوص النصر قطعا
لان تفصيل الاحكام المرتبة على وجود شىء بعد انتفائه مما لا يصدر عن كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذى لا محيد عنه ان قوله تعالى
او يتوب عطف على نصركم وما بين ذلك اشارة الى قوله تعالى خائبين متعلق بهما قطعا وما بعده محمول على الوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم
ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما فى السموات وما فى الارض كلام
مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه وتعالى تقريرا لما سبق وكلمة ما لتغليب وتقديم الجار للقصر

وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بمشيئته كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص
المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه بناء على مقتضيات الحكمة دونه ما يعقب
سبق العصاة وهذا التصريح في نفي وجوب التعذيب للتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى
يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشان المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا
الربوا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة بعد ما مر من الامور المذكورة على نهج الترغيب
والترهيب ولعل ايراده في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما هو ادخل بالكمال ووجوب المحافظة عليه قبيل قرن الجهاد فان الامور
المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد وعليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا والحافظ
على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام كالفقراء لعل ايراد النهي عن الربوا في تضاعيفها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء
والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترهيب في تحصيل المال لكن ربما يوهم مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا
فنهوا عن ذلك والمراد بالاكل الاخذ وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله تعالى
اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال
زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا
وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي
اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره
ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار
بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد
وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اي بادروا واقبلوا وقرئ سابقوا الى مغفرة من ربكم
وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الاسلام وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء
جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية
مقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار
مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة
والبسط على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان
الجنة مخلوقة للآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان
او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق وتركه بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع
في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما
بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق
فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بالفعل المفيد للحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تأويله انه كتمه على امتلائه منه
يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا
وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي ينادي مناد
يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وقد كانوا اكثر الى الامم التي بعث فيها من الوصفين اشعار الى
حسن موقع عفوه عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه وقد مثل به لامثلن
بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة

من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين
مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما
من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت
اكثر واظهر واذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت
بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله هذه الآية
وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها
الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى شيء بين انصاري
وامرأة رجل ثقفي كان بينهما مؤاخاة فندم الانصاري وحثا على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ منتظم لما فعله الرجلان انتظاما اوليا ذكروا الله ذكروا
العظيم جلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة
على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في
فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بالمقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله
بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله فان الاستفهام على الانكار في قوة النفي وابلغ لايذانه
بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الا تغافلا فيسارع الى الجواب والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة
والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف
على فاستغفروا واخره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار واستحقاقه للمسارعة
اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اي لم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما صدر عنهم من الذنب فاحشة كان او ظلما او على فعلهم
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار
وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه والنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم
ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم اولئك اشارة الى المذكورين آخرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة
خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو
الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء او على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستأنفة
مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء
الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالآخرين مع اشتراكهما في اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة
لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد
رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين
فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين
المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل
وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل محقق لما قبلها ولا يخفى ما بين حسب اختصاص التذييل بالاولين
وما بين تذييلها والثاني من التفاوت بين الفريقين من اللقاء اليسير وايا ما كان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين
الحائزين لاجرهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدماتهما

الفوز والفلاح بخلوا مضى وسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد خلت من قبل زمانكم
او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الآية والفاء في قوله تعالى
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او الامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا
وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من
قد خلت بيان للناس اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له والتعريف
للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العبرة موجبة
عبرة واحدة فيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم
وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم واهل للمتقين فان مدار
كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى الهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لحال المكذبين
وسوء عاقبته وهدى ليس حقيقيا منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب ان يراد بانهم وغيرهم من المتقين الفعل ويراد بالهدى والموعظة
ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق
لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس
مع تعميم المتقين لما ان المراد مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصود
الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص
من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الخ جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان
الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان
باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن والكلام بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما
اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله
عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم
الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشارة اليه
فيما سبق او انتم المعهودون بغاية علو الشأن لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار
وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه
محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالاة باعدائه
او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بما وعدكم الله تعالى فانتم الاعلون وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق
بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري لذلك مثل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ
بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم
بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة
الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد
اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام صفة له
او عطف بيان له ونداولها خبر او خبر ونداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد
والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله

الذين آمنوا اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز
عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبرا من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه
فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا يطلق
على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى الاسم الجليل المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل
من افعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي ينطق بها قوله
تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد
بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين
محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الى آخره فان ظهور حالهم في خروجها
من القوة الى الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية كذا الحال في باب التمثيل فتأمل واما على العموم
والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر ان لله تعالى في ذلك من الالطاف
الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداولها بينكم لتكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان
بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان
تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها علة داعية اليه كأنه قيل نداولها بين الناس كافة
ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الى آخره فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده بتلك الافراد والثانية
باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد
اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي
منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيامة فمن بيانية
لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وانما لم يكن في لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم والتفخيم
ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض
بمحبته تعالى لما يقابلهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة منهم
واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانما تخصهم وبيان لما يحكي مما ذكر من الفوائد العائدة
الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل
بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة
باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين
في الظالمين او لتقترن بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص
قليلا قليلا حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا اي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين
والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستأنف
سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب للذين
انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطالب
والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير
تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم
المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها
اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علمه تعالى بها كأنه قيل الحال انه لم يوجد الذين
جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن عدم ما تجاهدوا

للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه أصلا وفي كلمة لما إيذان بأن الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل إلا أنه غير معتبر في التأكيد
الانتظار وقرئ يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلمن فحذفت النون وعلى أنه اتباع الميم لما قبلها في الحركة لالتقاء تفخيم اسم الله تعالى ويعلم
حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا يكن
منك أكل السمك وشرب اللبن والمعنى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر أي الجمع بينهما وإيثار الاسم على
الموصول للدلالة على أن المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على التواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله فقد حرك لالتقاء
الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على أنه الأصل في تحريك الساكن وقرئ ويعلم بالرفع على أن الواو للحال وصاحبها
الموصول والمبتدأ محذوف أي وهو يعلم الصابرين كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت أي تتمنون
الحرب فإنها من مبادي الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يشهدوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك
من قبل أن تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب إقدامهم على التمني أي من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه
أي ما تمنونه من أسباب الموت أو الموت بمشاهدة أسبابه وقوله تعالى وأنتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين في رأيتموه وفيه
وتقييد الرؤية بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل إن كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل
بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم
لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما أن مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير أن يخطر بباله شيء غير ذلك
فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد إلا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالانتقاض نفيها بإلا وقوله تعالى قد خلت
من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فإن خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه السلام لا محالة
كأنه قيل قد خلت من قبله أمثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فإنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه عليه السلام رسول لا كسائر
الرسل في أنه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بأنه ليس إلا رسولا كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا
ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر إفراد فإنهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم
يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بأنه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك فلا
حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل
عليهم السلام وأياما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم إنكار لارتدادهم وانقلابهم
عن الدين بخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل سببا
لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وإيراد الموت بكلمة إن مع العلم به لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين
لما ذكر من استعظامهم إياه وهكذا الحال في سائر الموارد فإن كلمة إن في كلامه تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع أو اللاوقوع
بل تحمل على اعتبار حال السامع أو أمر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو الذي ثار منه العتب حيث عظم في الجملة أن
الموت في شرف الوقوع فزجر أن يحتمل الانقلاب عنده وحملهم على الثبات ولأن الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو
الخلو بالموت دون القتل روي أنه لما التقى الفئتان حمل أبو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن أبي طالب حتى
التوى سيفه وكذا سعد بن أبي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة إليهم وراءهم قد انهزموا أقبلوا
على النهب ولم يلتفتوا إلى نهي أميرهم عبد الله بن جبير فلم يثبت معه إلا نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في
خمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف صفوف المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى أصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء
وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن
عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل إنه إبليس ألا إن محمدا
قد قتل فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلي عباد الله قال كعب بن مالك كنت أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

من المسلمين فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا
المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول
هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ونحو تجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما أن كل
ليس يسمعها كل أحد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن الآية الكريمة
عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وإنه والله
ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال
وأرجلهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه
ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت
من قبله الرسل الآية قال الراوي والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وقال
عمر والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ومن ينقلب
على عقبيه بإدباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الإسلام وما ارتد يومئذ
أحد من المسلمين إلا ما كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا أي شيئا من الضرر وإنما يضر نفسه بتعريضها
للسخط والعذاب وسيجزي الله الشاكرين أي الثابتين على دين الإسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لأن الثبات
عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه إيماء إلى كفران المنقلبين روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والأنصار
وعن علي رضي الله عنه أبو بكر وأصحابه وعنه رضي الله عنه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى وإظهار الاسم الجليل في موضع
الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم وما كان لنفس أن تموت كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا
من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان أن موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها وإن خاضت
موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل أمر مخوف وقد أشير بذلك إلى أنهم لم يكن متعلقه تم في الوقت الذي خاضوه فيه ولذلك لم يقتلوا
حينئذ فلا وجه لإحجامهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها الظرف على أنه متعلق بمحذوف وقوله تعالى
إلا بإذن الله استثناء مفرغ من أعم الأسباب أي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئته تعالى
على أن الإذن مجاز منها لكونها من لوازمه أو إلا بإذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس
بصورة الأفعال الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل إيقاعها والإقدام عليها بدون إذنه تعالى أو بتنزيل إقدامها على مبادئه كالقتال
منزلة الإقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فإن موتها حين استحال وقوعه عند إقدامها عليه أو على مبادئه وسعيها في إيقاعه فلأن
يستحيل عند عدم ذلك أولى وأظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي كتب الله كتابا مؤجلا
مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو وحمل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق أن مدار الموت
والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه دخل لأحد أصلا أشير إلى أن توفية ثمرات الأعمال دائرة على إرادتهم ليصرفوها عن الأغراض
الدنيوية إلى المطالب السنية فقيل ومن يرد أي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريق الالتفات منها
أي من ثوابها ما نشاء لمن نريد إياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بشغلهم بالغنائم
ويتبعه ما قدرناه تفضلا ومن يرد أي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها أي من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعد
الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة
الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف أصلا والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم وإما جنس الشاكرين وهم داخلون
فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة
شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الأفعال الثلاثة بالياء وكأين كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم

في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه
وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هذه إحداها وثانيها
كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كأن
مثل كعن ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى ﴿من نبي﴾ تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا
كما في قوله اطرد اليأس بالرجا فكأين آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى ﴿قاتل معه ربيون كثير﴾ خبرها على أن الفعل مسند
إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب إلى الرب كالرباني
وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها أيضا على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أي كثير من الأتقياء
قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون وجماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا
من فاعله كما في القراءتين الأخيرتين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي ما قتلوا إلا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا
بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع إليه وهو أوضح على القراءة المشهورة حالا أي كم من نبي قاتل كائنا
معه في القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوز بعضهم أن يراد بالنبي
... صلى الله عليه وسلم أي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل أو في القتال ربيون إلى آخره ﴿فما وهنوا﴾
عطف على قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء
بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له
على ما قبله أي فما فتروا وما انكسرت همتهم ﴿لما أصابهم﴾ في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعلته قوله تعالى
﴿في سبيل الله﴾ فإن كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة أو موصوفة فإن حمل القتل على الجميع
ففي عبارة ما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وإن حمل على البعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو اللائق بمقام
بعدما استشهد الشهداء ففي عبارة ما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على
الأخيرتين فإن أسند الفعل إلى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما وإن أسند إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو اللائق بالتوبيخ
على الانخزال بسبب الإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهو للباقين أيضا إن اعتبر كون الربيين معه في القتل وللجميع إن اعتبر
كونهم معه في القتال ﴿وما ضعفوا﴾ عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين ﴿وما استكانوا﴾ أي وما خضعوا للعدو وأصله
استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والألف من إشباع الفتحة أو استكون من الكون لأنه يطلب
أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والإرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان
﴿والله يحب الصابرين﴾ أي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين إما المعهودون
والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والإشعار بعلة الحكم وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة تذييل لما قبلها
﴿وما كان قولهم﴾ كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم نصب خبر لكان واسمها
أن وما بعدها في قوله تعالى ﴿إلا أن قالوا﴾ والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء أي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام
مضايق الحروب وإصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والأهوال شيئا من الأشياء إلا أن قالوا ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾
أي صغائرنا ﴿وإسرافنا في أمرنا﴾ أي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط
في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم وإسنادا لما أصابهم إلى أعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال
من الدعاء بقولهم ﴿وثبت أقدامنا﴾ أي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك أو ثبتنا على دينك الحق ﴿وانصرنا على القوم
الكافرين﴾ تقريبا له إلى حيز القبول فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة أقرب إلى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين
على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض

بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على أنه الاسم والخبر أن وما في حيزها أي كان قولهم
هذا شيئا من الأشياء إلا هذا القول المنبئ عن أحاسن المحاسن وهذا كما ترى أقعد بحسب المعنى وأوفق بمقتضى المقام
لما أن الإخبار بكون أهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما أكثر إفادة للسامع من الإخبار بكون
خصوصية قولهم المذكور قولهم لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالة
على الحدث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها
أتم وأكمل وأما ما تفيده الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية بحيث كانت سبيل الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة
إجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وإنما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي أنه إذا اجتمع
معرفتان فالأعرف منهما أحق بالاسمية ولا ريب في أعرفية أن قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولأنه يشبه المضمر
من حيث إنه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضافا إلى مضمر فهو بمنزلة العلم ﴿فآتاهم الله﴾ بسبب دعائهم ذلك ﴿ثواب
الدنيا﴾ أي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ أي ثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد
وتخصيص وصف الحسن به للإيذان بفضله ومزيته وأنه المعتد به عنده تعالى ﴿والله يحب المحسنين﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله
فإن محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به وهي مبدأ لكل سعادة واللام إما للعهد وإنما وضع المظهر موضع المضمر المعهود
للإشعار بأن ما حكي عنهم من الأفعال والأقوال من باب الإحسان وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وهذه الآية
ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان مضارها
تحذير الدنيا والآخرة إثر ترغيبهم في الاقتداء بأنصار الأنبياء عليهم السلام ببيان فضائله إلى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير
الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالإيمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها بإظهار ما ينافيها من حال أعدائهم
كما أن وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ﴿إن تطيعوا الذين كفروا﴾ لذلك مضافا إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم
قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم ﴿يردوكم
على أعقابكم﴾ جواب للشرط مع كونه في قوة أن يقال إن تطيعوهم في قولهم ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم
لكونه مقيدا للرد كما في ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ أي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على أن الارتداد
على العقب علم في انتكاس الأمر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين
ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصاب أصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وقيل أبو سفيان
وأصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في أمر من الأمور حتى لا يستجروهم
إلى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير إلى ما مر من البيان ﴿بل الله مولاكم﴾ إضراب عما يفهم من مضمون الشرطية
كأنه قيل فليسوا أنصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب على
بل أطيعوا الله مولاكم نصب على أنه صفة له ﴿وهو خير الناصرين﴾ فخصوه بالطاعة والاستعانة ﴿سنلقي﴾ بنون العظمة
على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الإلقاء ﴿في قلوب الذين كفروا الرعب﴾
بسكون العين وقرئ بضمها على الأصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة
والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب فأمسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب وعقيب انقضائه وقيل هو
ما ألقى في قلوبهم من الرعب يوم الأحزاب ﴿بما أشركوا بالله﴾ متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية أي بسبب إشراكهم به تعالى
فإنه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ﴿ما لم ينزل﴾ أي بإشراكه ﴿سلطانا﴾ أي حجة
سميت به لوضوحها وإنارتها أو لقوتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله لا ترى
الضب بها ينجحر أي لا ضب ولا انجحار وفيه إيذان بأن المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والأهواء الباطلة ﴿ومأواهم﴾
بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا وهي الرعب أي ما يأوون إليه في الآخرة ﴿النار﴾ لا ملجأ لهم غيرها ﴿وبئس

مثوى الظالمين أي مثواهم وإنما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والإشعار بأنهم في إشراكهم ظالمون واضعون
للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف أي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز إلى خلودهم
فيها فإن المثوى مكان الإقامة المنبئة عن المكث وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ۝ ولقد صدقكم الله وعده
نصب على أنه مفعول ثان لصدق وقيل هو منصوب بنزع الجار أي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم إلى المدينة
من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم
فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية أخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم في هذا المكان وقد كان كذلك فإن
المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك
قوله تعالى إذ تحسونهم أي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه إذا أبطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى بإذنه أي
بتوفيقه لتحقيق أن قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى إن تصبروا وتتقوا الآية فقد تحقق أن ذلك كان
يوم بدر كيف لا والموعود هناك إمداده عز وجل بإنزال الملائكة عليهم السلام وتقييده عن قتالهم وقتلهم بإذنه تعالى صريح في أن الموعود
هو النصر المعنوي والتيسير لا الإمداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب كان عند تركهم القتال
ورجوعهم من غير سبب أو عند ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين وأياما كان فلا سبيل إلى ذلك أن يبين بقوله تعالى حتى إذا
فشلتم أي جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف القلب وتنازعتم في الأمر فقال بعض الرماة حين انهزم
المشركون وولوا هاربين والمسلمون على أعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هاهنا بعد هذا وقال رئيسهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من أصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد
ما أراكم ما تحبون أي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب فقتلوا أمير الرماة ومن معه
من أصحابه ما حصل في تعبير الغالي أي فلما انقلبتم على أعقابكم وجواب إذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ورده
جعل الإسلام غاية النصر ورتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين
تركوا المركز وأقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة ۝ وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة وهذا على تقدير كون إذا شرطية
وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل إذا اسم كما في قولهم إذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى إلى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه
معنى النصر كأنه قيل لقد نصركم الله إلى وقت فشلكم وتنازعكم إلى آخره وعلى الأول قوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الأول عطف
على الجواب المحذوف كما أشير إليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين أي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف
بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم أي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما
ندمتم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان
لا بطريق الوجوب عليه أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو يتفضل عليهم في جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم إذ الابتلاء أيضا رحمة والتنكير
للتفخيم والمراد بالمؤمنين إما المخاطبون والإظهار في موقع الإضمار للتشريف والإشعار بعلة الحكم وإما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا
إذ تصعدون متعلق بصرفكم أو بقوله تعالى ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض وصعد في
السلم أي الجبل وقرئ تصعدون من تصعد بطرح إحدى التاءين وقرئ يصعدون بالياء على الغيبة ولا تلوون على أحد
أي لا تلتفتون إلى ما وراءكم ولا يقف أحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون
كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلي عباد الله إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة وإيراده عليه السلام
بعنوان الرسالة للإيذان بأن دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته عز وجل إشباعا في توبيخ المنهزمين في أخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الأخرى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله تعالى بما عصيتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل
والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير أو غما مقابلا بغم أذقتموه رسول الله عليه السلام
بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرر آت وقيل لا زائدة
والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في أثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم أي

أي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من النصر وما أصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون أي عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها ثم أنزل عليكم عطف على قوله
تعالى فأثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم أي الغم المذكور والتصريح بتأخر الإنزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه
لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية أمنة أي أمنا نصب على المفعولية وقوله تعالى
نعاسا بدل منها أو عطف بيان وقيل مفعول له أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة عليه أو مفعول له أو حال من المخاطبين على تقدير مضاف
أي ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كأنها مرة من الأمن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالإزالة لأنه المهم عندهم حينئذ لما أن المشركين
لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متأهبين للقتال فأنزل الله تعالى عليهم الأمنة فأخذهم
النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام وقال الزبير
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فأنزل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني
ما أسمعه إلا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا وقال أبو طلحة رفعت رأسي يوم أحد فجعلت لا أرى أحدا من القوم إلا وهو يميد
تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن ألقي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه
ولا على المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة
الأنصار ولا يقدح ذلك في عموم الإنزال للكل والجملة في محل النصب على أنها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على أنها صفة لأمنة وفيه أن الصفة
حقها أن تقدم على البدل وعطف البيان وأن لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وأن المعهود أن يحدث عن البدل دون المبدل منه
وطائفة قد أهمتهم أنفسهم أي أوقعتهم في الهموم والأحزان أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وقصد خلاصها من قولهم همني الشيء أي كان من همي
وقصدي والقصر مستفاد من المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها إما خبرها وإنما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله
سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا محياك أخفى ضوءه كل شارق أو لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وشق عندنا لم يحول وإما صفتها والخبر محذوف أي ومنكم طائفة أو وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وهذا يقتضي دخول المنافقين
في الخطاب بإنزال الأمنة وأياما كان فالجملة إما حالية مبينة لفضل النزول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وإما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير أهمتهم
أو من طائفة لتخصصها بالصفة أو صفة أخرى لها أو خبر بعد خبر أو استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر أي يظنون به
عز وعلا غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والإضافة كما في حاتم
ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما أن مسألتهم كانت صادرة عن الظن أي يقولون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الأمر أي من أمر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء أي من نصيب قط
أو هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل إن الأمر كله لله أي الغلبة بالأخرة لله تعالى ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون
أو أن التدبير كله لله تعالى فإنه عز وجل قد دبر الأمر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى
يخفون في أنفسهم أي يضمرون فيها أو يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف أو حال من ضمير يقولون
وقوله تعالى قل إن الأمر الخ اعتراض بين الحال وصاحبها أي يقولون ما يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين للإنكار
والتكذيب وقوله تعالى يقولون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل أي شيء يخفون فقيل يحدثون أنفسهم أو يقول
بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الأمر شيء كما وعد محمد عليه السلام من أن الغلبة لله تعالى ولأوليائه وأن الأمر كله لله
أو لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتلنا هاهنا أي ما غلبنا أو ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على أن النفي راجع إلى
القتل لا إلى وقوعه فيها فقط أو لما حبسنا بها كما رآه ابن أبي وغيره فيكون المعنى تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم
أي لم تخرجوا إلى أحد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل أي في اللوح المحفوظ بسبب من الأسباب الداعية
إلى البروز إلى مضاجعهم أي مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هناك البتة ولم تنفع العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعا فإن

فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما تكونوا
يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام
ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رأيت مرآه هائلا فامرها عليه السلام فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث
ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته هناك قبضته
امر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ
لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص
والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل
لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها علة للبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان
حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما
خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخبآت الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور
اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله غني عن الابتلاء
وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين اي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال
انه غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما تكرر
انما استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي
التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فحرموا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سبقت لهم فكرهوا القتل قبل اخلاص
التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب
ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا
وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين
وتنفيرا عن مماثلتهم اي في شيء وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لخصوص المماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم
اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ
المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب
عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او لقصد الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها من الضرب لا باعتبار زمان التكلم
لا لقولهم كما قيل قالوا لاجل احوال اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا غزى اي اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال
خاسية الصوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب
في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض
او المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى
وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان ثمة مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض
فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائليه الا يرى انه
عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه انما يجعل حسرة فيما قطعوا به والاشارة الى ذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم لو لم يحضروا
القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون
لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا
او تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك اشارة
الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتكم

في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحياة والممات
وحده من غير ان يكون للاقامة او السفر دخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد
مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وتعلقه بما
عام متناول لقولهم المذكور ولمنشئه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان
السمع واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله
او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان
يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء او اللام
في الموضعين للتعليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب القسم سادة مسد
جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا وان وقع ذلك بامر الله تعالى لنفسه يسيرة من رحمة ومغفرة
كائنة من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتها من ذلك بناء على
حسب معاملتهم للايذان بعدم الحاجة اليه تنبيها على ان ... سبحانه وتعالى بعد الاطلاع ولا بد من حذف اي لمغفرة لكم من الله
وحسنه ايضا كون اخراج المقدر مخرج العفو دون الجزاء ... من ... الظهور والغنى عن الاخبار ... الترتيب الواقع في الآية
وتقديم القتل على كثرة الوقوع ... للمبالغة في الترغيب في الجهاد وبيان مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة
ولا ... على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والحكم بموجبه لا في النطق والضلال
الناشئ ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بضم الميم من مات يموت لالى الله
اي الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم وادخال
اللام على الجملة كما في اخويها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الرسول صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون
الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم للائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته اي بسبب رحمة
عظيمة ... وما مزيدة للتأكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبينة لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة
اي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف
بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو كنت فظا جافيا في المعاشرة
قولا وفعلا قال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا
في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي الردى
والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا
الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب
اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ
وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء
امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به تعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه
فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع
للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى
وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى
وحثهم على ما لا بد منه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد
الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط والمفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض
لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه قطعا نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم

من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له
بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في سورة هود حيث
قيل بعده في حقهم لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم
استفهام انكاري كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام
انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على
اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او
الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي
قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات
وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشراكا او استقلالا وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا
وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه
منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من انه شيئا فقوله ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم
امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت
والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول
تغليظا واما ما قيل من ان المراد تبرئته عليه السلام عما توهمه بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي عنه عليه السلام قال الا لا الفين
احدكم يأتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد ابلغتك او
بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب
موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان انه من تمام التناسب كأنه نفسه وايثار اسناد التوفية الى كل كاسب بتعلقها بكل مكسوب
مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غل يوم القيامة للدلالة على فخامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال
ما لا يخفى فانه حين يوفى كل كاسب جزاء ما كسبه لم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلأن لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه
من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او نقص ثواب افمن اتبع
رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيث فعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع
بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يسير بسيرته والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام
وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء مع
بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه قيل ابعد ظهور حاله كمن ترقى الى اعلى
كمن تردى الى اسفل سافلين والاظهار في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم الكلام مستأنف
مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى او معطوف على باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من الاعراب
وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على حالة
مخالفة للحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصول الاول باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة عنده وحكمه شبهوا في تفاوت
الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال
ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم على المؤمنين اي من قومه
عليه السلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله

في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه
عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث على انه خبر لمبتدأ محذوف اي منه اذ بعث
او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود
والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو
عليهم آياته صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو
اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا
مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها
بحسب القوة العلمية وتهذيبها النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها
مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان
نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل
اي من قبل بعثه عليه السلام وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من المثقلة
وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكانوا والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة
التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة حال
من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستأنفة وعلى التقديرين ففيها بيان لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا كلام مبتدأ مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة اثر ابطال بعض آخر
والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة
لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم ومثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا
مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بين الهمزة ومدخولها مع انها المقصودة بالانكار والعطف بالواو حقه لتأكيد النكير وتشديد التقريع فان
فعل القبيح في غير وقته افحش والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين
اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم
مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة وانما لم
ولما اصابتكم غائلة قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا
مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو
من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد بتحقيق الحق وبالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم
من تركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله
وعده الآية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الحظر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان
من اكرمهم الله تعالى بالشهادة ومنهم اين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الانسب
الاقوى وربما يعضده توسيط خطابه النبي صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام
الفاعل على الفعل اذ كان من نهاه عنه كان اشد تأثيرا ان الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند
وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع
الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام لهم بتضمنه ارشادهم الى حقيقة الحق مما سألوا عنه وهداية لبعض ما فيه من الحكم والمصالح
ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير
بيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك

اذ لم تكونوا منا من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التميز والاظهار فيما بين
وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان
باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد
الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن
ليميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس
هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله
ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي اي ادفعوا
العدو بتكثيركم سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا
وقاتلوا لان المقصود بهما واحد هو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا
استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين لو نعلم قتالا لاتبعناكم
اي لو نحسن ما لا نقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبروا عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال
الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس
الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا يرضون لانفسهم
باب المقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدأ واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا
يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف وبدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل لدلالته على اصل
الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لتشبههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا
ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين
وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد
المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه
والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب
اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا
وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشئه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكي
انفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا
حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون
زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان
بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفية
مخصوصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا بحذف العائد
تقديره قل لهم او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله
على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج
فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال لو اطاعونا اي فيما امرناهم
به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا وجعل القعود على الخصوص
ابن ابي عند ذلك ورده من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه ذلك يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان
والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيما به ذلك المعنى على ان تخصيص عدم القتل باخوانهم ينادي على اختصاص الامر بقضيتهم فيستحيل ان يحمل
على ما خوطب النبي صلى الله عليه وسلم عند الشورى قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم الموت جواب لشرط
قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما ان شرط هذا حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما

عنه من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت
معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم
من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انكم لم تكونوا مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه
اذ قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل المراد ان كنتم صادقين
في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت حينئذ
استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر
بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ لا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء
احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم
من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء
على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف
عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من جهة النهي تنبيه
السامعين على انهم احياء لا انهم يعلمون ذلك ويتشرفوا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل بعد
القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تنبيههم وتبشيرهم فائدة ولا للنهي وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة
المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى
والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ
المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء او هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى
وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه تاكيد
لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم
في اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ومن قال
بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب
فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل
والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا
بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم
متخلفين عنهم باقين في الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل الاشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم
لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين
تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه
عين الحيوة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر او لا يعتريهم ما يوجب ذلك كانه لا يخافون ولا يحزنون
والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما
يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله
فرحين بما اتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي نعمة
وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطف على فضل

منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين إما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيذان بسمو رتبة الإيمان وكونه مناطاً لما نالوه
من السعادة وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية أجورهم على إيمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم
الأخوة في الدين وقرئ بكسرها على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة لا أجر لها
وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله
والرسول من بعد ما أصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة ونصب على المدح أو رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين
أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لأن المستجيبين كلهم محسنون
متقون روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا
إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح
فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب
الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه لأنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل
ويلبس الثياب وما له إلا فرس فرد وغير ثوب أصلاً أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله تعالى فلما
كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله تعالى في قلبه الرعب فبدا له أن يرجع فمر به ركب من بني عبد
قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له
عشراً من الإبل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد
أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً
كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وهي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار فزادهم إيماناً الضمير المستكن
للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم وأظهروا
حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصاناً فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار وقالوا حسبنا الله أي محسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة
تعريفاً في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل أي نعم الموكول إليه والمخصوص بالمدح محذوف أي الله عز وجل فانقلبوا عطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فخرجوا إليهم ووافوا الموعد روي أنه عليه السلام وافى بجيشه بدراً وأقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات
فباعوها وأصابوا خيراً كثيراً والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم أي فرجعوا من مقصدهم
ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير
بالفخامة الإضافية أي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل أي ربح في التجارة والتنكير
للتفخيم لم يمسسهم سوء حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال
إذا كان مضارعاً منفياً بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وعدمه كما في هذه الآية
الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً واتبعوا في كل ما أتوا من قول وفعل رضوان الله الذي هو مناط
الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين
وإظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فازوا به
وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم إنما ذلكم إشارة إلى المثبط أو إلى من حمله على التثبيط
والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان إما خبره وقوله تعالى يخوف أولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته
أو حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وإما صفة له والجملة خبره ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان

أي

أي إبليس والمستكن في يخوف إما للمقدر وإما للشيطان بحذف الراجع إلى المقدر أي يخوف به والمراد بأوليائه إما أبو سفيان
وأصحابه فالمفعول الأول محذوف أي يخوفكم أولياءه كما ينبئ عنه قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم
أي أولياءه وخافون في مخالفة أمري وإما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف أي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير البارز في لا تخافوهم للناس الثاني أي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم
والخطاب للفريقين الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي أو الانتهاء على ما قبلها فإن كون المخوف شيطاناً مما يوجب عدم الخوف والنهي
إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الأمن من شر الشيطان وأوليائه
ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والإيذان بأصالته في أمور الدين
والاهتمام بشأنه الذين يسارعون في الكفر أي يقعون فيه سريعاً لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله
تعالى وسارعوا إلى مغفرة الآية للإشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى أولئك
يسارعون في الخيرات فإن ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها وأما إيثار كلمة إلى في قوله تعالى
وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة إلى آخره فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة
من اليهود حسبما ينبئ عنه قوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين
هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى عليهم ذلك للإشارة بأي خبر العمل إلى ... والمنهي عنه وإظهاره لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أي لا يحزنك مسارعتهم في الكفر ومبادرتهم إلى مشايعة أهله ومظاهرتهم لأهله وحرصهم على الإضرار بالمؤمنين عليه السلام عن التأثر
منهم مبالغة في ذلك لما أن النهي عن التأثر نهي عن التأثير بعده ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي إلى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قوله
لا أرينك هنا وقرئ لا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزناً كما في دهنه أي جعل فيه دهناً
ومعنى أحزنه جعله حزيناً وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه عرضه للحزن إنهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية
بتحقيق نفي ضررهم أبداً أي لن يضروا بذلك أولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والإيذان بأن مضارتهم بمنزلة
مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئاً في حيز النصب على المصدر أي شيئاً من الضرر وتنكيره لتأكيد
ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار أي بشيء ما أصلاً وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئاً كما روي عن أبي ذر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئاً
ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص من ملكه جناح بعوضة والأول هو الأنسب بمقام التسلية
والتعليل يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الإرادة
من الإيذان بكمال خلوص الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما إرادة أرحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة
على دوام الإرادة واستمرارها أي يريد الله بذلك أن لا يجعل لهم في الآخرة حظاً ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون
إلى أن يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم
شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيهاً على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة إما ابتدائية
مبينة لحظهم من العقاب إثر بيان أن لا شيء لهم من الثواب وإما حال من الضمير في لهم أي يريد الله حرمانهم من الثواب معداً لهم عذاب عظيم
إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان أي أخذوه بدلاً منه رغبة فيما أخذوه وإعراضاً عما تركوه وقد مر تحقيق القول في كيفية الاستعارة
في تفسير قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى لن يضروا الله شيئاً تعيين كما مر وفيه تعريض ظاهر
باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وإنما يضرون أنفسهم فإن جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بأن يراد باشتراء الكفر بالإيمان
إيثاره عليه إما بأخذه بدلاً من الإيمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين أو بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو حال
اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فإن ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح
في لحوق ضرره بأنفسهم وعدم تعديه إلى غيرهم أصلاً كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الأبدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم
فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهي أعز من الأبلق الفرد وأمنع من عقاب

وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفرة لاحاصل منزلة
نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كان اللائق
جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول
عاما للكفار والجملة خاصا بالمعهودين واثبت خبرية مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بشأن التنزيل الا ان يصدر
في الكفرة بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه انما يتصور فيمن علم اتصافهم بها لا
حال من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم باعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له
وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري
بالاشتراء وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها ساد
مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش
وما مصدرية او موصول حذف عائدها وصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم
او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبانه
لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة
بناء على توهم الضرر من جانبهم وتسلية له عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي
احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الذاتية بين الصلة وبين الاملاء
الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن له وجودا انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور
فانهما من الاحوال المتجددة المتقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه
الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم بدل منه وحيث كان التعويل على البدل
وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت متاعك بعضه فوق بعض او على انه
مفعول بحذف مضاف اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما استئناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه
وكسر الهمزة فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءهم
لازدياد الاثم كما يشاهدونه من احوالهم بل انما هو لتلافيهم ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء
التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتدأة
مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان
عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات
في ضمن الكون والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء الاحكام الاسلامية عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل الخطاب
للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين فقيل هم المنافقون فقط وعطف المنافقين عطف تفسيري للكفار
والافراد مشتركة بين المؤمنين والمجانسين في امر من الامور والمراد بما هم عليه امر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته
الى كل منهما كالكفر والنفاق كما قيل فالمؤمنين ما كانوا شركاءهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل المؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل التفسير
فيه قوم من المنافقين والتعرض لعنوانهم مع نعت الاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه امر غير مرضي والاول هو الاقرب الى فهم المخصوص من كل
لكونه مع خفائه كون المراد بما هم عليه ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك
كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق وما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما وبين فهم ذلك ما يفهم من حيث
الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز فاللام في ليذر لتأكيد النفي المتعلق بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصريين

وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين وفي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد وتشديد
ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفيين ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح في ذلك
زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك
الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به
واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعددهما
للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفيهما لا خصوصية ذاتيهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى
الا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء
او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تخليصهم وافرازهم
عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المؤمنين
على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه
من الاستتار والله يعلم المفسد من المصلح وانما نسب عدم الترك اليهم لما انه
مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز
وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن
الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة والمعنى ما كان
الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين منهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم
من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف
فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من سوء مشاركتهم وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية
لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام
للدلالة على ان شأنه عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية وتعميم الامر في قوله تعالى
فآمنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي عليه السلام للايجاب بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك
مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه السلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام
فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا وهذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم
مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح
في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق
الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر الله تعالى به انتهى ولا يخفى انه لا يساعده ذكر اجتباء الرسل المعنى
عن ذلك ثم تفضيلهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا الاسرار صريح في ان المراد اظهار تلك الاسرار بطريق
الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان يكون مسوقا لبيان الحكمة في
املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم والمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الآن لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين
ولذلك فعله يوم احد حيث خلى الكفرة وشأنهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما في ضمائرهم الخبيثة فتخلوا على رؤوس الاشهاد
وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا
اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وسوء عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به
بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم
الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير

والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة وذلك لان
للتمهيد قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لكيفية شريته اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروى عن النبي عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل
الله شجاعا في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك ولله
وحده لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا ميراث السموات والارض اى ما يتوارث اهلهما من مال وغيره من الرسالات
التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله وانه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى
عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ
بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء
الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا وروي انه فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى
الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى وانه اعد لهم من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث
لا يرضى قائله ان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اى سنكتب
ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد
اى لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم
ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وانهم
فيه عريقون ان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله
بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء
للفاعل ويكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا
العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك
اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد مرتبته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
بما قدمت ايديكم اى بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي
لان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم
بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما
يستحيل صدوره عنه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه
ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد
من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما وسببيته للعذاب من حيث
ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض
نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال ومن هنا قيل ان عذابهم مقيد بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليه اذ لولاه لامكن
ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم
حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا
نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهوذا ان الله

عهد الينا اى امرنا في التوراة واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل
حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم
فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اى تبكيتا لهم واظهارا
لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اى المعجزات الواضحة وبالذي قلتم بعينه من القربان
الذي تأكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اى فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى
وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع
في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى اليه بمجيئه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى
فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اى فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل
اى كائنة من قبلك جاؤا بالبينات اى المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل هو التوراة
والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ
وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اى تعطون اجزية
اعمالكم على التمام والكمال يوم القيامة اى يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم
قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اى بعد عنها يومئذ
ونجي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة
اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة
فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه
ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب
واصل الابتلاء الاختبار اى طلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة
ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور
قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مبادئه العادية كما مر واللام جواب قسم محذوف اى والله لتبلون اى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم
من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث
على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد في اموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها وانفاقها في سبيل الخير مطلقا
فالحق عليه في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضافة لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف
المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الابتلاء فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اى من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم
على زعمهم الى الكتاب كما في قولهم ان الله عهد الينا والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد
تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن
وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اى على تلك الشدائد عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اى تتبتلوا الى الله
تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يستوي عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى

الدنيا

البعد

لانه ان يعلو وجهها ويعد منزلتها وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه
من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه
كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا
والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الى آخره
ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار
كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله
عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تلوين الخطاب لما ان ذلك مما لا يعلمه
المؤمنين يكون معهم من الوقائع الحادثة عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اي حاله اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين
اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية
لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب القسم الذي ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرن جميع ما فيه
من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف
على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتاكيد الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير
المخاطبين اما على اضمار مبتدأ بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عنده وعلى كلا الوجهين
فهو بمعنى النهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته
عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه القاء الشكوك والشبه الباطلة وقرئ بالياء كما مر فنبذوه النبذ الرمي والابعاد
اي الميثاق ... وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل
في الاستهانة والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين
من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار ... سوف ... بهذا ... الله ... العلم
كما ... عن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال
وعن علي كرم الله وجهه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه
ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق ... مع ان المراد ... صلى الله عليه وسلم
... الخطاب ... فرض بعض ... الكل ...
واستجرار العتاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا
واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء
المؤذن برغبة المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد ... بالمعاملة ... ان يكون وسيلة
وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون ثمنا ... الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم
وغاية قبحها بايثارهم الدني الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه
فبئس ما يشترون ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن
لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه
كان وعده ماتيا وقد جاء في قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التوراة قال ابن عباس رضي
هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود
عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة
بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون لملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن شرذمة منهم ... من العتاب

الاخروي ... بان بعض آخرين شنايعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم
لان يصفوا الناس بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا
بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب
بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين
بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين
وفيهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب
ويود ان يحمده الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي والتاء فيها
لما انها مبنية عليها وليست فيه لاجل الوحدة كما في قوله فلا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا بالموارد ولا يحسن جعلها
اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى
اي بمفازة ومنجاة من العذاب مع كونه خلاف الاصل يستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا
وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني
فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم بمفازة وقوله فلا يحسبنهم
تأكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله
بأي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الثاني عليه والفعل الثاني مسند
الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة
وتقديم ... نهيهم عن الحسبان المذكور ... على بطلان زعمهم الركيك وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون
بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم اما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور
لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب اليم بعدما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب صرح بالمه
وفداحته لا غاية له في الشدة والايلام كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله اي خاصة ملك السموات والارض
اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون
لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله على كل شيء قدير مقرر لاختصاص ملك العالم
الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا
ما كان مقدورا له مقهورا تحت قدرته ... واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء فضلا عن ان يشاركه في ملك السموات والارض
وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقريره واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط
الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات
جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التحقيق اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائها
على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي يحار في فهمها اجلاء العقول والارض اي على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار
اي تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من حركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما
بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما
بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة
ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا
وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع الجمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ
له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب

كورين

الشمس قال الراغب قال ابن فارس هو ضياء ما بين ... وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه
في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله ونخلفه ﴿لآيات﴾ اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها
والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة
التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده
تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان
اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان الفلك ومنافعها من آثار رحمته تعالى كما نطقت به الآيات
﴿لأولي الألباب﴾ اي لذوي العقول الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق البشرية المتخلصين عن الوقائع
الظلمانية المتأملين في احوال الخلائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك
الخلاق المستبصرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المستغرقين في حقيقة التجلي والجود
الشاكرين على آلائه وذكره ... لكل شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر
الابداع وحضر في محاضر التكوين والاختراع سبيل موصل الى عالم الوحدة ودليل قاطع على الصانع المجيد ذي الآيات ... قدرته وفصل من صنائع
بدائع ومعجزات باهرة وحكم ... الناس على قدر عقولهم ودرجاتهم بحسب عقولهم تارة ... بمنح عبارة ومنح
اخرى ... وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ... الشؤون
والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا عائشة ذريني
انسك في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر
من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت
دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ما لي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك
ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض ﴿الذين يذكرون الله﴾ الموصول اما موصول لاولي الالباب مجرور على انه نعت له كاشف
وما في حيز الصلة اما مفعول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف واما مفصول مرفوع على الابتداء والخبر
القول المقدر ... من حكاية النظم الجليل ما لا يخفى واما ما كان فقد اشير في حيز صلته الى ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى
في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون حالا
من الاحوال في انفسهم والآفاق ... قوله عز وجل ﴿قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ ولا في الآفاق ... الا وهم يعاينون في ذلك
شأنا من شؤونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر
اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله
فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها
على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلاة في هذه الاحوال حسب
الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فمما لا
يساعده النظم الجليل ... والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كصيام ورقود جمع صائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي
يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات
كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ﴿ويتفكرون﴾
﴿في خلق السموات والارض﴾ عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب او في محل النصب على انه معطوف على الاحوال
السابقة ... موجبا لتفكرهم في ... تعالى ... اشارة الى ... الى
احوال المعاد حسبما نطقت به الرسل والكتب ... انها آيات ... معرفته تعالى ووجوب طاعته ...

ت

ايات كونها مرشدة لهم الى ذلك فالاول ... لهم على الثاني ... داعية الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونظائرها
في مواقع غير محصورة من التنزيل وان المنقولات ... شواهد دالة على صحة مضمونها وحقيته ... فان من تأمل في بدائع خلق العالم
على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من وجوب الوجود ووحدة الذات والملك العام
والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه
فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم علومهم واعتقاداتهم
التابعة لانظارهم من الحجج والدلائل والامارات والمخائل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل يتناول عمل
القلب ايضا بل هو اشرف افراده لان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون عمله كذلك ...
دون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ... النظر والتفكر
في شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان
ذلك التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه يستتبع تحقق جميع الشريعة الكريمة والاعمال
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة ... بالكتاب والحديث
فحصل ان الآيات المذكورة سوابق لاولي العقول السليمة وسوابق بل علم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة
في سلك ... تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهما والايذان بكون
تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه
لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات
من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في خلقهما اعم من ان يكون بطريق التجزئة منهما او بطريق
الحلول فيهما او على انهما ... ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق اي الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق
وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثا عاريا عن الحكمة خاليا
عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش
العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما نطقت به الرسل والكتب الالهية كما حققه مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب
بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول صفة لاولي الالباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص
الآيات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كأنه
قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتائج فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق
الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي ... فالاظهر ... في الفعل كما اطبق عليه الجمهور
فهو لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة ... من حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته له
كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب
ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه غايته ان يعد ... في حيز الصلة ... ما لا يليق بالنظم
الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف لا اشتباه
في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابرازه في معرض الحال ... اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم
وتردد في ذلك قوله تعالى ﴿سبحانك﴾ اي ننزهك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون
ما قبله وممهد لما بعده من قوله ﴿فقنا عذاب النار﴾ فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والعاقبة
من الاعمال الصالحة وترتب الفضائل ... عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك ... الموقوف على تحقيق العذاب

ب

فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكره اثناء الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو على الوفاء على ذلك كما قيل او ونعم
والطف امر كرّ نزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسبب تقديم الجملة بالنداء المبالغة في التضرع والجؤار وتأكيد الاظهار كمال اليقين بمضمونها
والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في موقع العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية
فظاعته قال الواحدي الاخزاء جاء بمعان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك
بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى
الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من انصار تذييل لاظهار نهاية
فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين
لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم
من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية ما لهم من التفكر في الادلة
العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدوره عنهم بوفور الرغبة وكمال
النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته باللام لتضمنه معنى الانتهاء والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم
وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع
الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت
سمعت زيدا يقول الى آخره ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقق السماع
والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدوره من المتكلم والتوصل الى تحصيله واستحضار صورته وقد اخص النظم الكريم مرتبة
زيادة على ذلك حيث عبر عن المسموع بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما في التفسير بعد الابهام
والتقييد بعد الاطلاق من ... وقيل المنادي القرآن العظيم ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية
او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا
اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايماء الى العلة
في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء
بها ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا
مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله
احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله
معطوف عليه ... التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب ... كما في قوله وعد الله الجنة
على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك
المقدر منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذا الموقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو
الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل
فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على لسان الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا
يوم القيامة ... وقصدوا بذلك ... يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ... الانتظام في سلكهم
وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ... في سلك الدعاء هذه الدعوات ... مع ما فيها من كمال الضراعة والابتهال
ليست لخوفهم من خلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين ... فرجعها الى الدعاء بالتثبيت
او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه البعث بعد الموت ... في الآثار عن جعفر الصادق رضي الله عنه

فقال رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة
وقال تاج القراء الاجابة والاستجابة بمعنى عطاء السؤال وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف
على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما في قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل
الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به وقد كنتم الآية وكما في قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم
يهد اي يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب
لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه
من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الى آخره
واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار تعقبه لما وقع حالا من فاعله اعني فقالوا ربنا الخ فان الاستجابة
على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة
في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حقه في حيز الصلة
ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم ليست كذلك فان الاستجابة المتأخرة عنها في ...
بعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم
اي باني وهكذا قرئ اي بالباء السببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته مستمرة على ذلك والالتفات
الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار
بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات
المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان
كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر
الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ ... وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل
كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام
النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين
والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى
يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا شروع في تفصيل ما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده
على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول
عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله
وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ
بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد لما قتل بعضهم قاتل آخرون ... على اتصاف كل فرد من افراد الموصول
المذكور بجميع ما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف
المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كانه قيل فالذين هاجروا والذين
... الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان ... على ان التصف بالبعض ... قتلوا بالشدة لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف
اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك تفسير له
ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفته
مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة من عنده تعالى بالغة الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده
حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية
لاعتماده على المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته

وتفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحيث واحد لا يدل على غيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل وهو اجمل عنوع
خبر المقدم بالحسن الثواب دلالة في تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل بعنعنة مثل في الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف
المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا
وكشف عن حقارة شأنها وسوء عاقبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد
تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد هم
او لكل واحد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي في المخاطب انما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة والحظ
ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش
فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر
محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من الثواب قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع فانه لا تحدي جدواه ولا جدوى لما لا يعتد به ثم مأواهم اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحونه جهنم التي
لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف
اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين
بيان وكرم له اثر ذكر مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم ويتكامل سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز
الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به
على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول خالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من
جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام
وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية
من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل نزلا او عطاء من عند الله
وما عند الله خير مبتدأ وخبره وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن
للابرار مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل
التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت
هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم طائفة جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل
نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير
النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ادخلت
لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتب
وما قدم ايمانهم بما انزل اليهم مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليها فان ايمانهم بها انما يعتبر بتبعية
ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامها المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ويتعلق ايمانهم بها والمراد بايمانهم بها ايمانهم
بها من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسيطها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك
لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عدد من صفاتهم الحميدة وما فيه
من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل وهو مبتدأ وخبره قوله تعالى لهم وقوله تعالى اجرهم اي المختص
بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء
والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله
سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل والمراد بيان سرعة وصول الاجر

بين

الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها
فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله تعالى
بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه
واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا
اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل كروب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه
والملائكة حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ
والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف
الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة
مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة
وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما اندراجهم
في خطاب ما عداهما مما له دخل في تأكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة
جمع المذكر في قوله عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر
بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق
التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق
او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر
وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى
لهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر
قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته ومن اتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة
واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم
لما ان الكل مع اختصاصهما بالمأمورين ناظر على ان كل ما يرجع الى ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات
الامتثال فكذلك النظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم
وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمنا للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك
قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان
تفرع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها
الى آخره وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على
واحدة داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني
بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى
عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم
لما ان ذكر خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من ذكر خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء

خلقكم

مبدئه عليه السلام لما مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر وارادها وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل
وبث منهما اى نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد
لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اى بثا كثيرا ونساء اى كثيرة
وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة
لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اى وهو خالق وباث واتقوا الله الذى تساءلون به تكرير للامر وتذكير
لبعض آخر من موجبات الامتثال فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف
يقتضى الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة فى الحمل على الامتثال بتربية المهابة
وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التاءين تخفيفا
وقرئ بادغامها فى السين لتقاربهما فى الهمس وقرئ تسألون من الثلاثى اى تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية
وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما فى قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر تساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة
الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا ويعضده قراءة تساءلون به وبالارحام
فانهم كانوا يقرنونها فى السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اى اتقوا الله
والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطعها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدى والضحاك والفراء والزجاج
وقد جوز الواحدى نصبه على الاغراء اى والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر
تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما فى قوله تعالى
الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله
ان الله كان عليكم رقيبا اى مراقبا وهى صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اى حافظا مطلعا
على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما فى ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال
واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع فى تفصيل موارد الاتقاء
بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام
اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على
اليتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادى الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق
يقتضى صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبنى على العرف واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين
لمعنى اللفظ اى لا يجرى على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها
وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهى عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط
بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغى ان يكون مرادهم
بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء
وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتيم فى الجملة مجازا اعم من ان يكون
عند النزول صغيرا او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب
الدفع الى الكبار فمستفاد مما سيأتى من الامر وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء فى الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق
الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى
الاعطاء بالفعل واياما كان ففيما سيأتى من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ نوع بيان لما فى هذا الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائى لا على وجه تعيين وقته
او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا ومآلا فان
وتعميم الخطاب للاولياء بكلا الفريقين على ان من بلغ منهم فهو مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما فيه من التكلف لا يجدى فائدة لان ما تقدم
من حمل اموالهم اليهم على ما يؤدى اليه من ترك التعرض لها سالمة كما يوجه التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد بالايتاء الصغار

ومآل اليتيم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روى من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب ماله فمنعه
فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح فى ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهى عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهى الضمنى عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشئ
بالشئ واستبداله به اخذ الاول بدل الثانى بعد ان كان حاصلا له او فى شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما
والى الزائل بالباء كما فى قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الى آخره وقوله تعالى اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير واما التبديل
فيستعمل تارة كذلك كما فى قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الى آخره واخرى بالعكس كما فى قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها
خاتما نص عليه الازهرى وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما فى قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب
ان كان هو الحرام والحلال فالمنهى عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم
الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهى عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فالتعبير
عنهما بهما لتنفيرهم عما اخذوه وترغيبهم فيما اعطوه وتصوير المعاملة بصورة ما لا يصدر عن العاقل واما ان كان هو الردئ والجيد فمورد النهى
ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردئ من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعى والزهرى والسدى وتخصيص هذه
المعاملة بالنهى لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديل الردئ بالجيد او بدل الطيب
بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا فى المعاملة عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه كأنهم مشترى
كان ما وقع لا لاستبدال وحيث ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم نهى عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اى لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا
بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولى فقيرا انه اى الاكل المفهوم من النهى كان حوبا اى ذنبا
عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة فى بيان عظم ذنب الاكل
المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى اى ان لا تعدلوا وقرئ بفتح التاء فقيل هو
من قسط اى جار ولا مزيدة كما فى قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما فى قوله تعالى
فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقى لان الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف
لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا يخافه وهذا شروع فى النهى عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى
اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهى عما يتعلق باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهى عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد
وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتى يلونهن لكن لا رغبة فيهن بل فى مالهن ويسيئون فى الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن
ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان
ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهرى رواية عن عروة عن عائشة
رضى الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها
فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمع عنده عشر منهن الى آخره فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عدد
اى وان خفتم ان لا تعدلوا فى حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة
ما بعدها صلتها او صفتها واوثرت على من ذهابا الى الوصف ايذانا بان المقصود بالذات والغالب فى الاعتبار لا بناء على ان الاناث
من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرئ بالياء من طاب من تكره عز وجل من النساء بيانية
وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفى ايثار الامر بنكاحهن على النهى
عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف فى استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء
بالطيب على الوجه الذى اشير اليه فيه مبالغة فى الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر
فى توجيه النهى الضمنى الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع
والمبالغة فى بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب
الحل اى ما حل لكم شرعا لان الاستطابة تشمل المحرمات فلا يختص له من عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو اقطع منه لان ما حل

يحمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة
قبل ورود البيان اصلا ولئن حمل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على انه مقدم في التنزيل فليحمل دالا على التعميم
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل
والصفة فانها بنيت صفات وان لم تكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال
من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودا
هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة
لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افرد
لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد وقد اقدم على تفسير الآية
الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط
مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تائب وقيل كانوا لا يتحرجون عن الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعده جزالة النظم الكريم لابتنائه على تقدم نزول الآية الاولى
وشهرتها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم
الا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه
الاعداد فواحدة اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة
او ما ملكت ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه
بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين
بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك
اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر مع ما بينهما من التفاوت لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب
القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار
الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم اي جار والمراد هنا الميل المحظور
المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه راسا بانتفاء
محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين ان
الاهم المناط لتحقق العدل لا الميل وقد فسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة
على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري
انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل وآتوا النساء اي اللاتي امر بنكاحهن
صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى في النحلة
اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا
فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية
منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة
مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء
كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين
طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم
عن شيء منه الضمير للصداق وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما قال لكني اردت كان ذلك او للصداق الواقع موقعه
صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على محل فاصدق كانه
قيل فاصدق واكن والاظهر متعلقه بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي وهبن لكم شيئا من الصداق متجافية عنه
نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن جعل عن طيبة النفس وادخالها على النفس
النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن
وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان
سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما يساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى
المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير
اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ
مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق
اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط
ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات
من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيف
اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة
اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك
حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به
وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموها لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به قيامها من المال كانه في انفسها قيامكم وانعاشكم
وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما به
المعاش وحيلة الله المقوت وادخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك يخل بحمل الاولياء
على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المعتبرة بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل متحققة بين اموالهم واموال
الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف
وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اي اجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا
حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له
من نسائه واولاده وغلمانه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما لينا تطيب به
نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه
النفس الحسنة شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت
تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم
بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا
من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة
عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح

فان آنستم اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه
شوس منهم رشدا اي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر او للاعتداد به والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وضمهما فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما معنى كما اشير اليه
فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي يقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها
جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا
وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا
او لم يؤنس ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها
وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تأكيد للامر بالدفع وتقرير لها والتسديد لما بعدها من قوله
ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقتنع بما اتاه الله تعالى من الغنى والرزق
اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة
سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
قال له عليه السلام ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم
قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل
ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر
ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل
اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت
قضيته واستعف ابلغ من عف كأنه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لان ذلك ابعد من التهمة وانفى
للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك
والشافعي رحمهما الله وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم
ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء
بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم
الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري
خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كجة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا
من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله الآية فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب
مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار والضمير المجرور راجع اليه
على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل
جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم

نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم
وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا
لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب لفات تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى
والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر
ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا
لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن
حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف
المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا
خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه صلة للذين
على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم
وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله
ما بعدها على اجلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول
دون الآخر ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع
الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث وقوله تعالى
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي انما
يأكلون في بطونهم اي في بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بريدة انه قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم
تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي
النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم
يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت
هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله
شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الآية واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج
فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم اولاد كل واحد منكم اي في شأن ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت
واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى
يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله
تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة
بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم وقيل صفة لمحذوف
اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كأنها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر
والانثى على ذكر ولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ
والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد والتأنيث
باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات
على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امرأة واحدة ليس معها
اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في البنتين
فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين

او كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد
بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق
فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان
مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير
العامل وتوسط بين المبتدا الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبر اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما
السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق
بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد الابن ذكرا كان
او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن
له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار
الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول
بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقها اوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين
اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه
اقوى منها في الارث بدليل استحقاقه عند انفراده ما عدا حصة احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع
فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا
او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب
عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على كل حال خلا ان الحجب عنده لا يحصل بما دون الثلث
ولا بالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف اي الجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما
يليه وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة
الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به الوصية بل هو مطلق يتناول ما
ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين
وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين
آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدا
واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز وهو منقول من الفاعل كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة كلها
اعتراض مؤكد لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب
الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل
من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله
خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا
بعكس ذلك مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية بقرب النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشا خطئهم
ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم
نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال فتحسبون انفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة
ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم من
اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا في شانهم ما وصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض وقيل ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لامر القسمة تثبيتا
مشعرة بان مدار الارث ما ذكر من قرب النفع مع ان العلاقة النسبية فريضة من الله نصب نصب مصدر مؤكد للفعل المحذوف
اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى

وقد دخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة
ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها وان سفل
ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات
او غيرهم ولكم المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر
تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد
وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت
في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة
على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من اظهار كمال العناية بتنفيذها ولهن
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او
المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين
من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما في النسب
لعلوه وشرفه الظاهر ولذلك اختص بشرف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا
اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث
من الورثة المحتمل سقوطهم ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث
لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة
من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد
من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول له
اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث
صفة لرجل اي كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب
كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث
ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امراة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراة تورث
كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل فقط تاكيدا للايذان المذكور وحيث كان
ما بعده جاريا على المراة ايضا وحد الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان
والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث
صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم عليه المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة
واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ
والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك
اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او بالتكرير والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد
فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا وانما جوزوا ان يكون يورث
في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة
اي غير والد ولا ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من
اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع على الثلاثة لا يزاد عليه شيء بمعزل من السداد اما اولا فلان
المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شركه في الارث من اخيه او اخته لا اخوته بين مورثه من الاخوة
التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر فيها الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابة التي لا
بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شركه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام فقد ... بالاجماع على ان المراد

بالكلالة هنا أولاد الأم فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه إنما هو الإجماع على أن المراد بالأخ
في آية الكلالة الأخ أو الأخت من الأم خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية التي في آخر السورة الكريمة وأن
الرجل عبارة عن الميت والأخوة معتبرة بينه وبين ورثته لا الكل من كل وأولاد الأم ثم إن الكلالة كما سبق باقية على إطلاقها
ليس فيها ما ينبئ عن اختصاصها بأولاد الأم فضلا عن الإجماع على ذلك وإلا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم
وما ذكر من أن المراد بالأخ والأخت من كان لأم خاصة دون غيرهما ذلك في قوة الإجماع على أن يورث من ورث
لا أن الإرث منه بدونه ثانيا فلا يقتضي أن يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور أخوة بعضهم لبعض من جهة الأم فقط لما
من الإجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الأخوة من الجهتين وأما ثالثا فلأن حكم صورة انفراد الوارث عن الأخ والأخت
بقي حينئذ غير مبين السدس من فرائضه كل منهما السدس عند الاجتماع والنصف عند الانفراد وأما إلغاء لتخصيص
أحد الورثة بالتوريث وجعل غيره بمعزل عنه مع اتحاد الكل في الإدلاء إلى المورث بما لا عهد به. من بعد وصية يوصى بها
أو دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا أن الدين هنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف
بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيهما وذلك إنما يتحقق بما يكون بشرط الإقرار في المرض كأنه قيل أو
يوصى. غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من الموصول اعتمادا عليه كأن ما قال يوصي غير مضار
بهما بالعدد والإيصال حال على قراءة المبني للمفعول من الفعل المذكور ومن فاعل الفعل المذكور المحذوف اكتفاء على قراءة
البناء للفاعل أي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بأن يوصي بما زاد على الثلث أو تكون الوصية لقصد الإضرار
بهم دون القربة وبأن يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما أن الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم. وصية
من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلق بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الإضافية أي يوصيكم بذلك
وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الإشعار بما بين الأحكام المتعلقة بالأصول والفروع
وبين الأحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وإن كانتا متواجبتي المراعاة أو منصوب بغير مضار
على أنه مفعول به فإنه اسم فاعل معتمد على ذي الحال أو منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالإضافة أي غير مضار لوصية
الله وعهده لا في شأن الأولاد فقط كما قيل إذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة هنا فإن الأحكام المفصلة كلها مندرجة تحت
قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الإخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية
لقصد الإضرار دون القربة والإقرار بالدين كاذبا وإيقاعها على الوصية مع أنها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله تعالى يخادعون الله
للمبالغة في الزجر عنها بإخراجها مخرج مضارة أمر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي أن يكون
غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي إلى الفصل بين الحال وعاملها بما هو أجنبي وهو المعطوف على أنه مع أنه
تخصيص مادة المضارة بعقد الإقرار بالدين على إطلاقه. والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالإمهال
وإيراد الاسم الجليل مع كفاية الإضمار لإدخال الروعة وتربية المهابة. تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى
والمواريث وغير ذلك. حدود الله أي شرائعه المحدودة التي لا تجوز مجاوزتها. ومن يطع الله ورسوله في جميع الأوامر
والنواهي التي من جملتها ما فصل هنا وإظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا. يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية
عند الأخفش. تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها. خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله والجمع
بالنظر إلى جمعية من بحسب المعنى كما أن إفراد الضمير بالنظر إلى إفراده لفظا. وذلك إشارة إلى ما مر من دخول الجنات على الوجه
ما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال علو درجته. الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف للفوز وهو النظر الجزم
إما باعتبار مستقبله أو باعتبار ذاته فإن الفوز بالنعيم عظيم والجملة اعتراض. ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الأوامر والنواهي
قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعدى ما قال الله وما الكلمة تعني من يكون عصيته
المواريث. ويتعد حدوده استحلالا والإظهار في موقع الإضمار لما مر من تربية المهابة. ويتعد حدوده المحدودة في جميع الأحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا أوليا. يدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين. نارا أي عظيمة هائلة

لا تقادر قدرها. خالدا فيها حال كما سبق ولعل إيثار الإفراد هنا نظرا إلى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا إلى المعنى
للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة
وله عذاب مهين أي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه
والجملة حالية. واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بهن إثر بيان أحكام
المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحها والإتيان
الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالإتيان بمعناه المشهور
ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم أي من أزواجكم كما في قوله تعالى والذين
يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي. فاستشهدوا عليهن أربعة منكم خبر للموصول والفاء
لدلالته على سببية ما في حيز الصلة للحكم أي فاطلبوا أن يشهد عليهن بإتيانها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم. فإن شهدوا
عليهن بذلك فأمسكوهن في البيوت أي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن. حتى يتوفاهن إلى أن يستوفي أرواحهن
الموت وفيه تهويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى قبض الأرواح ويوفيها أو يتوفاهن ملائكة الموت. أو يجعل الله لهن
سبيلا أي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للإيذان بكونه طريقا مسلوكا فليس صريحا لأنه على كونه أخف من
كما قاله أبو مسلم. واللذان يأتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي أريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون
عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا أنه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الأولى بالمحصنات وعدم ظهور
الحكم بالمحصن ولا لحاقه بالشركة في المناط. فآذوهما أي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال أيضا والظاهر أن إجراءه الحكم
إنما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا. فإن تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من أجزية الأذية وقوارع
التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء. وأصلحا أي أعمالهما. فأعرضوا عنهما بقطع الأذية والتوبيخ فإن التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم
والعقاب وقد جوز أن يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الولاة وبالإعراض
عنهما ترك التعرض لهما بالرفع إليهم وقد كانت عقوبة الفريقين المذكورين في أوائل الإسلام على ما فصل من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الأولى
نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الأذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز أن يكون الأمر بالحبس غير منسوخ بأن يترك ذكر الحد
لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بإمساكهن في البيوت بعد إقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض
للرجال ولا يخفى أنه مما لا يساعده النظم الكريم وقال أبو مسلم وقد عزاه إلى مجاهد أن الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين والتي في
النور في الزناة والزواني متمسكا بأن المذكور في الأولى صيغة الإناث خاصة وفي الثانية صيغة المذكر ولا ضرورة إلى التعبير والتغليب
على أنه لا إمكان له في الأولى وبأنه إذا حمل الأولى على الزناة يلزم التكرار وبأن الإمساك بالاستشهاد والأربعة فإنه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا. إن الله كان توابا مبالغا في قبول
التوبة. رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للأمر بالإعراض. إنما التوبة على الله استئناف مسوق لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى
ليس على إطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النظم الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى
للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فإن تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي كما لا
في جوازه وكذا الظرف أو بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي
كونها ظرفا أو حرف جر كما سيجيء في تفسير قوله تعالى والله على الناس حج البيت وأيا ما كان فمعنى كونها عليه سبحانه وتعالى والقول ...
وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد كأنه من الواجبات عليه سبحانه وتعالى وقيل هي بمعنى عند
يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل هي بمعنى من أي التوبة التي أوجب الله على نفسه بفضله قبولها وأما ما قيل من أن قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه
على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أي إنما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت أو كبيرة وقيل الخبر على الله
وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر أو بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس بذاك فإن الأول من تقديم الحال على
العامل المعنوي إلا أن الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الأول لأن ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما إنما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة به تعالى

بالمذكورين وذلك لما يكون بجهل وسفاهة تدل من الى آخره فانه ناطق بما قلنا كما مر انما التوبة لهم لا لا لهم بجهالة متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او يعملون على ان الباء سببية اي يعملون بسبب الجهالة لان ارتكاب
الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فراوا ان كل شيء عصي به فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال
الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت
كما ينبئ عنه ما سياتي من قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه
في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم
النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء
ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال
تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت
زمانا قريبا ففي اي جزء من اجزاء هذا الزمان تاب فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما
فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة
لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس
الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية
منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب
وزيادة تعيين لبيان ان التوبة من هؤلاء بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكررها ووقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها
جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية
بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت الان لزيادة تعيين الوقت
واختيار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على
الذين قبله اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول
توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع
الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصول اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم كفارا
للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية للتغليب ويجوز ان يراد
بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم
في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه لتفخيمه الذاتي والوصفي يا ايها الذين آمنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته او على خبائها وقال ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك
احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا
وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان سبقت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل
لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كان يمسكونهن
حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك ومن غير رضاهن باموالكم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ
كرها بضم الكاف وهي لغة كالضعف والضعف كان الرجل اذا تزوج امرأة ولم يكن له حاجة فيها حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها
لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اي من الصداق

بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر
عن ذلك بالذهاب لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب
لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان يأتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول
وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده
قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال او من اعم الاوقات او من اعم العلل اي ولا يحل لكم
في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها او الا
لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين
يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو
ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن
بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة
استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه
وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره
ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر
الفعل الاول مع الاستغناء عنه واقتصار العلية على الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه
دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل
على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية تنوين خيرا التفخيم الذاتي ووصفه
بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل
والله يجعل الله وضع المظهر موضع المضمر وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امرأة ترغبون فيها مكان زوج ترغبون عنها
عنها بان تطلقوها واتيتم احداهن اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط
اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا فلا تأخذوا منه اي من ذلك القنطار شيئا يسيرا فضلا
عن الكثير أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي
أتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل
ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف تأخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه
الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال
فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد
النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر
وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا
وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه
النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع في بيان من يحرم نكاحها
من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين
على تعاطيه قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا
فتثبت حرمة ما نكحوه نصا واجماعا ويستدل على اثبات هذه الحرمة بنفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها
من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالشبهة
المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي رحمه الله تعالى في الحرمة اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثارها على من للذهاب الى الوصف قيل ما

على إرادة المفعول من المصدر «من النساء» بيان لما نكح على الوجهين «إلا ما قد سلف» استثناء مما نكح مفيد لمبالغة التحريم بإخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب. والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم إلا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الإباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كأنه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قد مضى فإنه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لأنه مقرر «إنه كان فاحشة ومقتا» تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا أشد البغض وأنه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لأمة من الأمم فلا يلائم أن يوسط بينهما ما يهون أمره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه «وساء سبيلا» في كلمة ساء قولان أحدهما أنها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب أي ذلك الماء وثانيهما أنها كسائر الأفعال وفيها ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير إنه وسبيلا تمييز والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فإن ألسنة الأمم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الأعصار والأمصار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح «حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت» ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له وأما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يجري فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية أبضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة سباق النظم الكريم وسياقه وإنما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن رأسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد ولا يجري مجراه كما أوجب حرمة عقد النكاح وامتناع وروده عليهن لأن مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته قطعا وإنما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ويزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع أحكامه المقصودة منه شرعا وأما حل الوطء فليس من تلك الأحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والأمهات تعم الجدات إن علون والبنات يتناول بناتهن وإن سفلن والأخوات ينتظم الأخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد والدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد والدتك قريبا أو بعيدا وبنات الأخ وبنات الأخت يتناول القربى والبعدى «وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة» نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه وأما أم أخيه لأب وأم أم ابنه وأم عمه وأم خاله لأب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة حلهن في صورة الرضاع بل من جهة المصاهرة ألا يرى أن الأولى موطوءة أبيه والثانية بنت موطوءته والثالثة أم موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد «وأمهات نسائكم» شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة إثر بيان المحرمات من جهة الرضاع التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الإطلاق سواء كن مدخولا بهن أو لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها إنه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله خلا أنه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم أنهم قرؤوا وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد أنه إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والأمهات المرضعات كالأمهات حسبما ذكر «وربائبكم

اللاتي في حجوركم» الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل إلى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه غالبا كما يرب ولده وإن لم يكن ذلك أمرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فإن شأنهن الغالب المعتاد أن يكن في حضانة أمهاتهن تحت حماية أزواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما أنها النكتة في إيرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فإن كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة الشبيهة بين الأولاد ويستدعي إجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه أخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر أولا كما في قوله تعالى «من نسائكم اللاتي دخلتم بهن» فإنه لتقييد الربائب قطعا فإن كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم أو من ضميرها المستكن في الظرف لأنه لما وقع صلة تحمل ضميرا أي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم إلخ ولا مساغ لجعله حالا من أمهات أو مما أضيفت إليه خاصة وهو ظاهر ولا منهما معا ضرورة أن حاليته من ربائبكم أو من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من أمهات نسائكم تستدعي كونها بيانية قصدا إلى معنى لا ابتداء والبيان أو جعل الموصول صفة للنساءين مع اختلاف عاملهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله مع أنه يبقى في إمكان ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل وأما ما نقل من القراءة فضعفه الرواية وعلى تقدير الصحة محمول على النسخ ومعنى الدخول بهن إدخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر «فإن لم تكونوا دخلتم بهن» أي فيما قبل وطلقتموهن أصلا «فلا جناح عليكم» أي في نكاح الربائب وهو تصريح بما أشعر به ما قبله والفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه «وحلائل أبنائكم» أي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج أو لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما إزار صاحبه وفي حكمهن ما نكحوه بملك اليمين ومجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى «الذين من أصلابكم» لإخراج الأدعياء دون أبناء الأولاد والأبناء من الرضاع فإنهم وإن سفلوا في حكم الأبناء الصلبية «وأن تجمعوا بين الأختين» في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين وأما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم أختين بخلاف نفس ملك اليمين فإنه ليس في معنى النكاح المفضي إلى الوطء ولذلك صح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطء إحداهما حتى يحرم عليه الأخرى بسبب من الأسباب وكذا لو تزوج أخت أمته الموطوءة لا يحل له وطء إحداهما حتى يحرم عليه الأخرى لأن المنكوحة موطوءة حكما فكأنه جمعهما وطئا وإسناد الحرمة إلى جمعهما لا إلى الثانية منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن إفادة حرمتهن على الانفراد كما في المحرمات السابقة ولكونه بمنزلة الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فإن مدار حرمة الجمع بين الأختين إفضاؤه إلى قطع ما أمر الله به أن يوصل وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل أولى فإن العمة والخالة بمنزلة الأم فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب «إلا ما قد سلف» استثناء منقطع أي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل إلى جعله متصلا لقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لأن قوله تعالى «إن الله كان غفورا رحيما» تعليل لما أفاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه جمع بين ليا أم يهوذا وبين راحيل أم يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لأن فعل يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن أنه قال كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات إلا اثنتين نكاح امرأة الأب والجمع بين الأختين ألا يرى أنه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى إلا ما قد سلف وهذا يشير إلى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين «والمحصنات» بفتح الصاد وهن ذوات الأزواج أحصنهن التزوج أو الأزواج أو الأولياء أي أعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فإنهن أحصن فروجهن من غير أزواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الأولى أيضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظائره ملقح ومسهب من ألقح وأسهب وقد ورد الإحصان في القرآن بإزاء أربعة معان الأول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم

طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن فمن في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات
السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم
شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي
لكنه واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها واشهر ذلك الارقاء الاسباء اذ انهم
ومن المراد تسيارها للمعاملة بين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة
العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق
نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات
على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرأيين واما خاصة بالمذكورات
فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما لهم فبحكم ملك اليمين فمفهوم مدلوله
النفي لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق ولاية العقد
وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما من من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين
او بالسبي على اختلاف الرأيين مبني على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة الا ترى الى ما روي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا سبايا من اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه فنادى منادي رسول الله الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطئهن
بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له
بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت
في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهي
عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن
اسم الاحصان والنهي للتحريم المتعلق بعرف حال المتوقع والا فاعداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا
وحين انقطع العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها اولى كما في
قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب
عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف
وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب
في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه
فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم على البناء للمفعول عطف على حرمت عليكم وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم
بينهما للمسارعة الى الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل على حرم
فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلافهما في المسند اليه بحسب الظاهر لاسيما بعد ما
اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا
وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة
منهن من العنوان الذي يدور عليه حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها
وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال
حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل
نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة
على الحرة ونكاح الملاعنة لا يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة

وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق
الحل ههنا ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتيهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما
اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا
الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان
العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح
الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني
وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وهي قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن
من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها
شرطية فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول
معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية
او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن
فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته فالمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف
اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة او عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط
عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه وقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه او
نكاح وما بعده وقوله الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح
الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها من مقام او فراق
وما بعده وقوله تعالى من بعد الفريضة اي لا تعلق لها بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح
الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة او استمتاعها بما يعطي وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت
مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجع عن القول بجوازها عند موته
وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام
ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف
متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة واعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل
مفعول ليستطع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع
كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم
يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة
في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند
الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة
هو الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك
الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما
من النقص والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر
حذف مفعوله وما موصولة اي فلينكح امرأة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول
المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم
وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على ان
وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كائنا بعض ما ملكت ايمانكم

والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر وتملكت على ما تقدم آنفا من فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راي اهل الحجاز وقد جوزها ابو حنيفة رحمه الله تمسكا بالعموم وحمل الشرط والوصف هو الاصل فيه لا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وسع الله على هذه الامة نكاح الامة اليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جي بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذي به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين كما في الحق الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس اي انتم وارقاؤكم متناسبون كلكم لآدم عليه السلام فلا تستنكفوا من نكاحهن فانكحوهن مع انتهاء ان تنكحوا مما ملكت ايمانكم ذكر زيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبلها اي اذا وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تتزوجوهن بغير اذنهم وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اصله آتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اي الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف الوقوع في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هواها خشي ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لانها ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان حق المولى فيها ادعى الى المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين من اهل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم ورودت اللام مؤكدة معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم

كم

وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب اي ان اذهب وامرتك لتقوم اي ان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي اخرى وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما ذكر باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل مؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء وجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الراي الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتم من الشرائع فان المكلف بها قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الحكم لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته في من لم يتب منكم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية لالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية فالضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص في عهد من مشاق التكاليف الحرجة التي لا تحتملها الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقاومة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله ان المراد ضعف الخلقة ولا يظهر العام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما الى آخره او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروآت والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من

كان

من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم
بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده
عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي
الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
وقرئ لا تقتّلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها
وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق
الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي التي هي من
التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة
لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما يليه من اكل الاموال
وما فيه من معنى البعد لما ذكر من الايذان ببعد منزلته في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه
وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية
اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اي ندخله وقرئ
من صلى وبتخفيف النون من اصلاه وصلاه وبالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي
نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم
الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة
الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائرها
ونمحها عنكم قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر
واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام
وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروي عنه الى السبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر
الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها ويختلف ذلك بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر
حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عرض له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا
مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر
مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت
او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الى آخره ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام
للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي
اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل التطهير للاعمال
الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس
دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل
من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكمة البالغة لا لما انه
خير له ولا انه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان

ان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين
قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت
وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني
بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار
مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه
تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى
واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل
لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول للتعميم اي واسألوا
ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء
في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي والاكتساب
على حقيقته بحمل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا
الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال
كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن
من خزائن رحمته تعالى ما يليق بهن من الاجر لا يساعده سباق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان
بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب
المشيئة المبنية على الحكم الالهية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول
ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قولك لكل جعلت درهما منها جابيا اي لكل تركة
جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة وتارك
بيان لكل مع الفصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل
فيما اضيف اليه اعني غير او لكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلناهم موالي صفة لكل من خلقه والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا
من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث
وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان
الى آخره فمع تفكيكه للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما
في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا ينتظمهم الاقربون كما لا يتناولهم الوالدان والذين
عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة
رحمه الله اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد
العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه
ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني
قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان
والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مسببة عن الجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان على كل شيء من الاشياء
التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان
سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة
المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شأنهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة

على الزوجية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله تعالى الى آخره ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات الكمال التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب الذي انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الغالب لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بينهما بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اي الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما آخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز وقيل في

في انهما هل يليان الجمع والتفريق ام لا فقيل ليس لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي والحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقي في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هي المرأة وابن السبيل هو المسافر او المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاولى وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التي بينها لهم في التوراة وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون على انما شاركوا في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع للملامة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا كأنه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه هم شركاء المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملهم على تلك القبائح وزينها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله وإنما لم يصرح
به تعويلا على التفصيل السابق من الكفار بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فإنه يقتضي أن يكون الإنفاق لابتغاء وجه الله تعالى
وطلب ثوابه أي وما الذي عليهم أو أي تبعة ووبال عليهم في الإيمان بالله والإنفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل
بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤديهم إلى العلم بما فيه من الفوائد
الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى
وتقديم الإيمان بهما لأهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالإنفاق بدونه وأما تقديم إنفاقهم رئاء الناس على عدم إيمانهم بهما مع
كون المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين إنفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم للناس به وكان الله بهم
وبأحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب أو بأحوالهم المفروضة فهو بيان لإثابته تعالى إياهم لو كانوا قد آمنوا وأنفقوا كما
عنه قوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على أنه نعت للمفعول أي مفعول عامه
سواء كان الظلم بمعنى النقص أو بمعنى وضع الشيء في غير موضعه أي لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة أو على أنه
نعت للمصدر المحذوف نائب منابه أي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة أو كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة [illegible]
مقام المبالغة فإن حالته في الثقل أظهر من حاله في الخفة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة
من هؤلاء ذرة وإن تك حسنة أي وإن يك مثقال ذرة حسنة أنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى الذرة وحذف النون
من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على أن كان تامة يضاعفها أي يضاعف
ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها
بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه ألفي ألف حسنة
ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعد
في مقابلة العمل أجرا عظيما عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لكونه تابعا للأجر مزيدا عليه فكيف محلها الرفع على أنه خبر لمبتدأ
محذوف وأما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه أو على التشبيه بالظرف كما هو رأي الأخفش أي فكيف حال
هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون إذا جئنا يوم القيامة من كل أمة من الأمم بشهيد يشهد عليهم
بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الأعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون
المبتدأ والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء إشارة إلى الشهداء
المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل إلى المكذبين المستفهم
عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما يشهد سائر الأنبياء على أممهم وقيل إلى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي أشير إلى شدتها وفظاعتها
بقوله تعالى فكيف الخ أي يود الذين كفروا المكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الإشارة إليهم بهؤلاء
لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والأمر الهائل وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه
وزيادة تقبيح حال مكذبيه فإن حق الرسول أن يؤمن به ويطاع لا أن يكفر به ويعصى أو أريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون
في زمرتهم دخولا أوليا والمراد بالرسول جنسه المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما أوليا وأيا ما كان ففيه من [illegible]
وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم وفيه
دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر أي يود في ذلك
اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول أو الذين كفروا وقد عصوا الرسول أو الذين كفروا والذين عصوا الرسول لو
تسوى بهم الأرض إن جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود أي يودون أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى وقيل يودون أنهم
لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وإن جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف

لدلالة الجملة عليه أي يودون تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضا محذوف إيذانا بغاية ظهوره أي لسروا بذلك وقرئ
ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود أي ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون
أن يدفنوا في الأرض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا
ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرئ تسوى على أن أصله
تتسوى فأدغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الإشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي إليه من حيث لا يحتسبون فإنه روي
أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما وشرابا حين كانت الخمر مباحة ودعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة
في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهي عن إقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي
عن قربان المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تصلوا
في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه إذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في
الصلاة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلاة
تطويل بلا طائل لأن تلك الحيثية إنما تظهر بما ذكر من التجربة على أن ما تقولون على ما تقرؤون حينئذ يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد
بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وأيا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل إنما هو القيد مع بقاء المقيد
على حاله إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا لا تسكروا في أوقات الصلاة وقد روي أنهم كانوا بعد ما نزلت
الآية لا يشربون الخمر في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى فإنه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من أصابته الجنابة
يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر إلا عابري سبيل استثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب
على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه معنى النهي أي لا تقربوا الصلاة جنبا حال من الأحوال
إلا حال كونكم مسافرين على معنى استثناء حالة السفر من حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة
على انتفاء خصوصية البعض المستثنى ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كلا ولا جزءا فإن الاستثناء لا يدل على ذلك
عبارة ثم يشير إلى مخالفة حكمه لما قبله إشارة إجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في إثبات الأحكام الشرعية فإن محل الآية
في ذلك إنما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على أن إلا بمعنى غير أي لا جنبا غير عابري سبيل من محل الصلاة
على موضعها فالمراد العبور بالاجتياز فيها وجوز الجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك إلا أن يكون الماء
أو الطريق فيه وقيل إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فرخص لهم ذلك
حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للإيذان من أول الأمر بأن حكم النهي في هذه الصورة
ليس على الإطلاق كما في صورة السكر تشويقا إلى البيان وروما لزيادة تقريره في الأذهان وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي
أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وأن يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها وإن كنتم مرضى شروع
في تفصيل ما أجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الأعذار والاقتصار على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له
في حكم الترخيص للإشعار بأنه العذر الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور أمر الرخصة كأنه قيل ولا جنبا إلا مضطرين
وقيل من جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك لتعذر الوصول إليه
أو لتعذر استعماله أو على سفر عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وإيراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء
لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فإن الاستثناء كما أشير إليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض
عليه للإيذان بأصالته واستقلاله بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه أو جاء أحد منكم من الغائط هو المكان
الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس وإسناد المجيء إلى واحد

منهم من المخاطبين ومنهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحيى منه أو يستهجن التصريح به وكذلك إيثار الكناية عطف
من قوله عز وجل أو لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير إلى التيمم مع
سببي وجوبها ليس باعتبار أنفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة
وإنما ذكر تمهيدا له وتنبيها على أنه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كأنه قيل أو لم تكونوا مرضى أو
على سفر فاقدين للماء بسبب من الأسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع أنه معتبر في صورة المرض
والسفر أيضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره إما لأن الجنابة معتبرة فيهما قطعا فعلم من حكمها حكم الحدث الأصغر
بدلالة النص لأن تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا حال كونكم مسافرين فإن كنتم كذلك أو كنتم مرضى إلى آخره
وإما لما قيل من أن عموم إعواز الماء في حق المسافر وغلبة العجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن
عن ذكره لفظا وما قيل من أن هذا القيد راجع إلى الكل إذ فيه وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة في الكل
مما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الأرض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا
أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي
رحمه الله لا بد من أن يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وأيديكم أي إلى المرفقين لما روي أنه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح
إلى مرفقيه ولأنه بدل من الوضوء فيقدر بقدره إن الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة
أن يعفو عن الخطائين ويغفر للمذنبين لا بد من أن يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عن الترخيص والمسامحة لأن ذلك من
العفو وتوابع الغفران ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من
حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه إليه ههنا مع توجيه ما بعده إلى الكل
معا للإيذان بكمال شهرة شناعة حالهم وأنها بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية أي ألم تنظر
إليهم فإنهم أحقاء بأن تشاهدهم وتتعجب من أحوالهم وتجويز كونها قلبية على أن إلى لتضمين معنى الانتهاء كما فعله البعض يأباه مقام
تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الأمور المشاهدة والمراد بهم أحبار اليهود روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت
في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الإسلام وعنه رضي الله عنه أنها
نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد
بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتب المنزلة خلاف الظاهر وبالذي أوتوه ما بين لهم فيها من الأحكام
والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا
من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للإيذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم
والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والإشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة
المحكية عنهم من الهدى الذي هو أحد العوضين وكلمة من متعلقة إما بأوتوا أو بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الإضافية
إثر بيان فخامته الذاتية أي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو أوتوا
ولا ريب في أن اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الإيتاء مما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول أي ألم تنظر إليهم حال كونهم
وأنت خبير بأنه خال عن إفادة أن مدار التشنيع ومدار التعجيب المفهوم هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه الذي يقتضيه جزالة
النظم الكريم أنه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الإجمال والإبهام مبني على سؤال
نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية وإنما طوي ذكر المتروك
لغاية ظهور الأمر لا سيما بعد الإشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن أي
أخذها بدلا منه أخذا ناشئا عن الرغبة فيها والإعراض عنه للإيذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يعرض عنها
كل الإعراض وإعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى
حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحد ممن له أدنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يحكى

الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا شأن النبي صلى الله عليه وسلم
وتيقنوا حقية دينه وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة ولا ريب في أن هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في أوائل
سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة
على الاستمرار التجددي فإن تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه وتجدد إرادتهم المذكورة أي لا يكتفون بضلال أنفسهم
بل يريدون بما فعلوا من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم أن تضلوا أنتم أيضا أيها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل إلى الحق
والله أعلم أي منكم بأعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم
أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة لتقرير إرادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع أموركم ومصالحكم وكفى
بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فإنه تعالى
يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء زائدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وتكرير
الفعل في الجملتين مع إظهار الجلالة في مقام الإضمار للإشعار باستقلالها المناسب للاعتراض كفاية عز وجل
في كل من الولاية والنصرة والإشعار بعليتها فإن الألوهية من موجباتها لا محالة من الذين هادوا قيل هو بيان
لأعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه أنه لا وجه لتخصيص علمه تعالى بطائفة من أعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم
والإطلاق وانتظامهم في المعصوم في العام انتظاما أوليا كما أشير إليه وقيل هو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كما
في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع أنه لا داعي إلى وضع الموصول موضع ضمير الأعداء لأن ما في حيز الصلة
ليس بوصف ملائم للنصرة وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له أي من الذين هادوا
قوم يحرفون إلى آخره وهذا يقتضي كون الفريق الأول بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي
يليق بشأن التنزيل الجليل أنه بيان للموصول الأول المتناول بحسب المفهوم لأهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان
محل التشنيع والتعجيب والمسارعة إلى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته
ونصرته وأن قوله تعالى يحرفون إلخ عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة
التفسير بعد الإبهام والتفصيل إثر الإجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار
إفراده لفظا وجمع مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد
به إما ما في التوراة خاصة وإما ما هو أعم منه ومما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في أثناء المحاورة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لإرادة تلك الكلمات خاصة بأن يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا إلى آخره عليه
عطف تفسير إذ لا يساعده النظم الكريم فإن أريد الأول فتحريفهم له إما بإزالته عما وضعه الله تعالى فيه من التوراة كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم أسمر ربعة عن موضعه
في التوراة بأن وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد وإما بصرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات
الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وإن أريد به ما هو أعم منه فإن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كما
في التوراة أو بتعيين العقل والدين كما في غيره وأيا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا حقه أن يجري على إطلاقه من غير تقييد بزمان
أو مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل أن يحمل على ما هو أعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت
به ألسنة حالهم عند تحريف التوراة فإن من لا يسلك مسلك الطاعة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والحمل على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم
من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بمن لم يعرض لتحريفهم التوراة مع أنه مخل بما يتم المقصود
ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل أي يقولون في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم
أو لا بلسان المقال والحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا
داخل تحت القول أي ويقولون ذلك في أثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى
اسمع حال كونك غير مسمع كلاما أصلا بصمم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت أو غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز أن يكون
نصبه على المفعولية والخير بأن يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له عليه السلام إرادة

المعنى الاخر وهم مضمرونه في انفسهم والمعنى الاول مظهرون به · وراعنا · عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له
صلى الله عليه وسلم هذا ايضا يريدون به كلاما على النظام الذي هو موافقها وهو نعني كلمة ذات جهتين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا
او انظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها
وهي راعينا كانوا يخاطبون به عليه السلام بذلك يريدون السب والاهانة ويظهرون التوقير والاكرام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القول
الاخير مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء
ومن كانوا يقولون الاول فيما بينهم ويحتمل ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به · ليا بالسنتهم · اي فتلا بها
وصرفا للكلام عن جهة الى السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى
انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير · وطعنا في الدين · اي قدحا فيه بالاستهزاء
والسخرية وانتصابهما على العلة ليقولون باعتبار تعلقه بالقول الاخير اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن جهته الى السب
والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين · ولو انهم · عندما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه · قالوا ·
بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا · سمعنا واطعنا · انما عند سماعنا انه الحق كلامهم وانما احتيج
الى ضم اطعنا مكان عصينا لا الى تسليم عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم حكاية اعلان
عصيانهم لا بعد سماعه والوقوف عليه فلابد من ازالته واماطة سماع القبول مقامه · واسمع · اي قالوا عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
بدل قولهم اسمع غير مسمع · وانظرنا · اي لو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا
هذا مكان ما قالوا من الاقوال · لكان · قولهم ذلك · خيرا لهم · مما قالوا · واقوم · اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على
اعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل واما ما قيل ايجاب حاله بالنسبة اليهم حتى حاله
في نفسه لان ما هم مقصورة على ما ينفعهم · ولكن لعنهم الله بكفرهم · اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم
عن الهدى بسبب كفرهم ذلك · فلا يؤمنون · بعد ذلك · الا قليلا · منهم اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب
والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل
موته وكلا ما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون
الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون بشئ من الايمان فيه المعنى يعلق بالمحال ان خيرا لكل ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن
ان طلق بهذا الافصاح الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاول فلان امرهم
بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بما ينافي عدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه
ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يحمل المستثنى منه على الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان ممن لعنه الله تعالى
وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى
لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما · يا ايها
الذين اوتوا الكتاب · تلوين للخطاب وتوجيه له الى الفريق المذكور حالهم وخاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب
اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة او توهين
تعلقهم بها بالتحريف وليس في ارادة ذلك كلها حتى يوصفوا بايتائها بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب
الامتثال بالامر الذي يعقبه التحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر
بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتوراة بنفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بكون القرآن مصدقا
لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما التحريم فاطبة
الكفرة واياما كان فتفصيل ما كان من حظ لاقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر
بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل · آمنوا بما نزلنا · من القرآن عبر عنه بالموصول
تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لنزوله من عنده عز وجل · مصدقا لما معكم · من التوراة عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على

حقيقته الحال فان المخبر المستند عنه لدوام تلاوتهم وتكرار المراجعة اليها من جنايات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم
بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة
الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يرى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها
يدور التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي · من قبل ان نطمس وجوها · متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والتحذير عن مخالفته
بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان
ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامه
لطف بالمخاطبين وحسن استدعائهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي من قبل ان نمحو تخطيط
صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى
فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة · فنردها على ادبارها · فنجعلها على هيئة ادبارها واقفاءها مطموسة مثلها فالفاء
للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه
الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا ونردهم من حيث
جاؤوا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه
هو الاول من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان
عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله
ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه فاسلم وقال ما قال وكذا ما روي
ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد
ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات
حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وفي التوراة فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق
المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مات من السنين من اعقابهم الضالين اضلالهم العاملين بمهدهم امر ابى الغواية بعيد
الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم لم
يكن ليكون سببا لتاخر نزول العذاب على الباقين لتشديدهم الكفر والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول
من ان يكون سببا لزيادة نقمتهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى · او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت · فان لم يقع
الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة لانه خبير بالسداد
من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة ان تغاير
ما عطف عليه على ان المتوعد به لابد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون زجرا عن مخالفة الامر ولم يعهد ان يقع
عليهم لعن بهذا الوصف فالواقع عليهم ما اودعه الالسنة من اللعن المستمر الذي لا يعتد به وهو بمعزل من صلاحية ان يكون محكا لهذا الوعيد او مزجرة
عنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع · واما ما روي
عن عبد الله بن سلام وكعب فمبني على الاحتياط اللائق بشأنهما لحمل النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول
لانه اوفق في الزجر وعليه يبنى ما روي عن الحبر ابن كعب لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الكائن والله تعالى اعلم وانما كان ظل الشر بحقهم اللعنة
من بين العقوبات مراعاة لما كلمه مهذا وبين اوجها من جنايتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير · وكان امر الله · اي امره
كائنا ما كان او امره بايقاع شئ من الاشياء · مفعولا · نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال · ان الله
لا يغفر ان يشرك به · كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه

فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الأدنى أي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاماً أولياً فإن الشرع قد نص على شرك أهل الكتاب
قاطبة وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل هو الأنسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه
بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعاً بل لا وجه له أصلاً لاقتضائه جواز أن يغفر ما دون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أي لا يغفر الكفر لمن اتصف
به بلا توبة وإيمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه ولأن ظلمات الكفر والمعاصي إنما يسترها نور
الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر إن وذلك إشارة إلى الشرك وما فيه
من معنى البعد مع قربه في الذكر للإيذان ببعد درجته وكونه في أقصى مراتب القبح أي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة
تفضلاً من لدنه وإحساناً من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل لمن يشاء أي لمن يشاء أن يغفر له ممن اتصف به فقط أي بما دونه فإن مغفرتها
لمن اتصف بما سواه أي استحالة دخول المسند على الحكمة التشريعية فإن اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان
من تتمات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الأول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل
سبيل الصواب كيف لا وإن مساق النظم الكريم لإظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها
فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للإجماع على مغفرتهما بالتوبة ثم إن المحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحث على
الإيمان ومن يشرك بالله إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لزيادة تقبيح الإشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى إثماً عظيماً
أي افترى واختلق مرتكباً إثماً لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم تعجيب
من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هم ناس من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
أي انظر إليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم أو من ادعائهم التكفير مع استحالة أن يغفر للكافر
شيء من كفره أو معاصيه وفيه تحذير من إعجاب المرء بنفسه وعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه
قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين
إذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح وأصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل
أو بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وإيذاناً بأنها غنية عن الذكر أي يعاقبون بتلك
الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلاً أي أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة
وقيل النقير ثواب المزكين وينقص من ثوابهم أصلاً ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف
نصب إما على التشبيه بالظرف أو بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والأخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على أي في أي حال يفترون
عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب إثر تعجيب
وتنبيه على أن ما ارتكبوه متضمن لأمرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فإن ادعاءهم
الزكاة عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه إياهم تعالى عن ذلك علواً كبيراً ولكون هذا أشنع من الأول جرماً وأعظم قبحاً لما فيه
من نسبته تعالى إلى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر إلى كيفيته تشديداً
للتشنيع وأكد التعجيب بالتصريح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به أي بافترائهم هذا من حيث
هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية أنفسهم وسائر آثامهم العظام إثماً مبيناً ظاهراً بيناً كونه إثماً والمعنى كفى ذلك وحده
في كونهم أشد إثماً من كل كفار أثيم أو في استحقاقهم لأشد العقوبات لما مر وجعل الضمير لزعمهم مما لا يساعده الإخلال بتهويل أمر الافتراء
فتدبر ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب تعجيب من حال أخرى لهم ووصفهم بما ذكر من إيتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر
عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل
ماذا يفعلون حتى ينظر إليهم فقيل يؤمنون إلى آخره والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت
السين تاء وقيل الجبت الأصنام والطاغوت الشيطان وقيل هو كل ما يطغي الإنسان روي أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف

اليهوديين خرجا إلى مكة في سبعين راكباً من اليهود ليحالفوا قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي
كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم
ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ
الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقاً نحن أم محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال
وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلاً وذلك قوله تعالى
ويقولون للذين كفروا أي لأجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أي أقوم ديناً وأرشد طريقة وإيرادهم
بعنوان الإيمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفاً لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين بأقبح القبائح
أولئك إشارة إلى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للإشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الذين لعنهم الله أي أبعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم وإظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله أي يبعده عن رحمته
فلن تجد له نصيراً يدفع عنه العذاب دنيوياً كان أو أخروياً لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش
وتوجيه الخطاب إلى كل أحد ممن يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكراً والتعبير عنه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسنداً إلى المخاطب
العام من الدلالة على حرمانهم الأبدي بالكلية ما لا يخفى أم لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وأم منقطعة
وما فيها من بل للإضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم وغير ذلك مما حكي عنهم إلى ذمهم بادعائهم نصيباً من الملك وبخلهم المفرط وشحهم
البالغ والهمزة لإنكار أن يكون لهم ما يدعونه وإبطال ما زعموا أن الملك سيصير إليهم وقوله تعالى فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً
بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب أنهم من البخل والدناءة بحيث لو أوتوا شيئاً من ذلك لما أعطوا
الناس منه أقل قليل ومن حق من أوتي الملك أن يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف أي إن جعل لهم نصيب
فإذاً لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه
حالهم وإذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم أذلاء متفاقرون ويجوز أن لا تكون الهمزة لإنكار الوقوع بل لإنكار الواقع
والتوبيخ عليه أي لعده منكراً غير لائق بالوقوع على أن الفاء للعطف والإنكار متوجه إلى مجموع المعطوفين على معنى ألهم نصيب وافر من الملك
حيث كانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيراً كما تقول للغني الذي لا يراعي أباه ألك هذا
القدر من المال فلا تعطي أباك شيئاً وفائدة إذاً تأكيد الإنكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سبباً للمنع مع كونه سبباً
للإعطاء وهي ملغاة عن العمل كأنه قيل فلا يؤتون الناس إذاً وقرئ فإذاً لا يؤتوا بالنصب على إعمالها أم يحسدون الناس
منقطعة أيضاً مفيدة للانتقال من توبيخهم بما سبق إلى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل وأقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه
واللام في الناس للعهد والإشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو حمله على الجنس إذاناً بحيازتهم للكمالات البشرية
قاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل إبراهيم فإن ذلك ليس كبير ارتباط من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق
الفضل والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه فإنهم كانوا يطمعون أن يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم أي
يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوماً فيوماً وقوله تعالى فقد آتينا تعليل
للإنكار والاستقباح وإلزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما
أوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابراً عن كابر وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية
بالأمر والمعنى إن حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فإنا قد آتينا من قبل هذا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله
عليه وسلم وأبناء أعمامه الكتاب والحكمة أي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكاً عظيماً لا يقادر قدره فكيف يستبعدون
نبوته عليه السلام ويحسدونه على إيتائها وتكرير الإيتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الإشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فإن أريد
الإيتاء بالذات فالمراد بآل إبراهيم أنبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المضاف في الفعل الثاني لبعضهم إما بحذف المضاف أو بطريق الاستخدام
لما أن الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وإن أريد
ما هو أعم من الإيتاء بالذات أو بالواسطة فهو اللائق بالمقام والأوفق لما قبله من نسبة إيتاء الفضل إلى الناس فالمراد بآل إبراهيم كلهم فإن

فان تشريف البعض بما ذكر من شأن النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوا
وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح
جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر حينئذ ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب
وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء اليهود وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم
ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم فمستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم
بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزول
وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد الالزام وحملها على حكاية حالهم السابقة لا يساعده النظم المرتب لما بعد
على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون المعنى لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك كون بعضهم لم يؤمنوا الآية تعليلا دلالة على اعراضهم
عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكروه بطريق الحسد كأنه قيل بل ايحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون وذلك منهم مستمر
فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به وانه يسمى اهل وتسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعمه وسائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول
لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم الصلاة والسلام سوف نصليهم نارا
قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت
جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من جلد له تكون آنفا لا من قبيل بدل الله سيئاتهم حسنات
اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود
ليذوقوا العذاب اي ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها
قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس روي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها فاعادها
وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن
تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ما بين منكبي
الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر
مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم باتم ما يكون
كاحساس الذائق المذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه وشدة تأثيره من حيث ان الذائقة
الذائقة اشد الحواس تأثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق
او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق فلا تستبعد كل الاستبعاد ان يكون مكونه
من المها فاذا اصابه ذلك تعلق الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق
حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط
لجميع صفات كماله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا للمساءة الاولين وتمسيرا
للآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم
بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها
ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة الدنية والادناس الطبيعية محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية
من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه ودائما
لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم
وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم ولعل تأخير ذكره لما انه خبر الادخال الاول في الذات بل العنوان كان في ذكره تعالى ولما جاء ان ما بحينا سواه

والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام
بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل ايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال والدلالة على الاعتناء
بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد
سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله
لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما اكرهت
واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد
والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور به هنا مخصوصا بوقت الحكم
قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي
وان تحكموا اذا حكمتم الى آخره وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله
نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به
وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين
وحسن استدعائهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد
ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر انفا فان مع تأكيد الكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعد ما امر الولاة بطريق العموم او بطريق
الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومة امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من
واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع
في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر
عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور
الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه
الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان
الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل
النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فردوه الى آخره فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد
المأمور به خير لكم وانفع واحسن في نفسه تأويلا اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما ان تعلق انظارهم
والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل كما في عنه التجريد الا تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم والنهي
الله ورسوله وصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعني التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة
بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق
لبيان محل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الى آخره روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم

فيهودي خاصم منافقا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية به او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وتراجمهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فكيف بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين واما الايمان بالتوراة فلا يقتضي كونهم من منافقي اليهود فيقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم الى كعب ابن الاشرف بهذه الآية من الظهور والعجب فانه تبارك وتعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتابين واوليائه المشهورين بولايته كالكهنة ونظائرهم لانه مما لم يشهد ذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لما ذكر من التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجب ضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فامر الله نباتا حسنا اي اضلالا واما مصدر مؤكد لفعل مدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمراة تعالي بكسر اللام وعليه قول فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي رأيت المنافقين اظهر المنافقين في مقام الاضمار تسجيلا عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا اي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر المتعدي يقال صده عنه صدا اي منعه وصد عنه صدودا اي اعرض عنه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية وغائلة عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤوك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤوك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا سخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي باقامة صاحبنا المقتول التحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم اي في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقدير الاول متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز

تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتأخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب علاوة على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤوك من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية القصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفر لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته من جلائل العفو لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة ان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه واياما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار وفرط تسلية لاولئك المنافقين على ما صنعوا فان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارها مما يوجب زيادة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلهما وتمام الحسرة على فواتهما فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه اعني قوله لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي مما قضيت او من قضائك وقيل شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي فنزلت في شأن هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم وخروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا

وتواصيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اى فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا وآجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد
من الاضطراب فيه واشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم
بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم فاذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم
ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستأنف فيه فضل ترغيب
فى الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهى اليه همم الامم وارفع واعلى ما يمتد اليه الاعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا
وارفع منارا متضمن لتفسير ما ابهم فى جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالرسول هو الانبياء الامام والانسان الكامل المجمع
للاوامر والنواهى فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع
فى الذكر لما ذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار
بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام فى بيان
حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم فى سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم
التى لا تتغير بتغير الاعصار روى ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة
فلا نراك وقال الشعبى جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله والله الذى لا اله
الا هو لانت احب الى من نفسى واهلى ومالى وولدى وانى لاذكرك وانا فى اهلى فيأخذنى مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتى وموتك فعرفت انك
مع النبيين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بى من وجع غير انى اذا لم
اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وانى ان
ادخلت الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون
احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروى ان
رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والصديقين المتقدمين فى تصديقهم المبالغين
فى الصدق والاخلاص فى الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابى بكر الصديق رضى الله عنه
والشهداء الذين بذلوا ارواحهم فى طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وليس المراد
بالمعية الاتحاد فى الدرجة ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما
من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك
اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين
او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل
اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز فى الاول
والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق وقيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلالها بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون
السين ذلك اشارة الى المطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اى ذلك الفضل العظيم من الله
لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اى ذلك الذى ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال
المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر
والاثر والشبه والشبه اى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته
التى يقى بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اى اسلحتهم والعدة فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اى اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم
ثبات جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها فى الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها هاء التانيث وهل هى واو او ياء فيه قولان
قيل انها مشتقة من ثاب يثوب كحلا يحلو اى اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف

من عجزه ومحلها النصب على الحالية اى انفروا جماعات متفرقة بعد سرية او انفروا جميعا اى مجتمعين كوكبة واحدة
ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى
اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا
عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابى غيره يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى
للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجح اليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم
لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اى المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه قد انعم الله على اى بالقعود اذ لم اكن
معهم شهيدا اى حاضرا فى المعركة فيصيبنى ما اصابهم والفاء فى الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب
عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشئ ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع
صفة للفضل اى فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما فى قوله تعالى
واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا
على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط
بين الفعل ومفعوله الذى هو يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ان مطلع كلامه ذلك ليس الا الغرض الدنيوى تحسرهم وتظاهرهم
حسبما يقتضيه ما بين من المودة بل هو الحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم
وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اى ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هى داخلة فى المقول اى يقول المبطئ لمن يثبطه
من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم فى الغزو حتى تفوزوا بما فاز المثبطين
كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم وتاكيدها وكان مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم
يكن بالتاء والمنادى فى يا ليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على انه خبر
مبتدا محذوف اى فانا افوز فى ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمنى فليقاتل فى سبيل الله قدم الظرف
على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اى يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اى ان بطأ هؤلاء
عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء
للتعقيب اى ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق وليحثوا بالقتال فى سبيل الله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد ينبغى ان يوطن نفسه على احدى الحسنيين
ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه فى استتباع الاجر روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه
مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة فى التحريض عليه وتاكيدا لوجوبه وهو مبتدا وخبره
لا تقاتلون فى سبيل الله حال عاملها ما فى الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفى اى شئ لكم غير مقاتلين اى لا عذر لكم فى ترك
المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله اى فى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف
المضاف اى فى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدى الكفرة
اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين
او لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب الرحمة وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث
بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الله تعالى الدعاء الذى اقترب به الخلاص من اشراكهم فى التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة
فى الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الولائد والولدان وقد غلب المذكر على المؤنث فاطلق الولدان على الاولاد
الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما فى حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
بالشرك الذى هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهى مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجرى على غير من
هو له كان كالفعل فى التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرور

على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بها وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه
كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون
المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من نصيرا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى
واجعل لنا من لدنك وليا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا
ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز
ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اي تول ونصرهم اي نصر ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم اي نصر
ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا
وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين
في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم
الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يبلغ بهم الى الشيطان
فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة
على ان ذلك منشأ لقتالهم سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتأكيد رغبة المؤمنين
في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في القوة والعزة كما ان الشيطان سنخ الذلة والضعف كما قيل اذا كان الامر
كذلك فقاتلوا اولياءه واولياء الشيطان صرح بالسبيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد ذاته فكيف بالقياس
الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان التأكيد ببيان ان الواقع الثابت كذلك ببيان
انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف
الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنهم كانوا
يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم
النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي
صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم
بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز القول الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الآمر غرض
وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم
وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور
امر التعجيب كأنه قيل ألم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما
على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجأة لبيان مسارعتهم الى الخشية عقيب نزول الآية
ادنى اثر من غير تلعثم وتردد اي فاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم
للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احد منهم ما ينافي حالهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال
من فاعل يخشون اي يخشونهم متشبهين باهل خشية الله تعالى وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية
الله او على انه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية منها وكلمة او
للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها او للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف
او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم الخشية
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف

لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت
به ألسنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال
من النعيم الباقي متاع الدنيا اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل
والآخرة اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات
وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بموجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون
فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب
به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق
تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته عليه الصلوة
والسلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المأمور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال
زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ
يدرككم بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدأ واينما تكونوا متصل
بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة اي في حصون رفيعة او قصور
محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا
كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج
مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها
دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو الوصلية وان الوصلية من التأكيد والمبالغة
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ اي يجيب
حكي عن المسلمين لما فيها من نسبة السيئة اليه على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وذكرهم له بسبب ذلك والعذر لليهود والمنافقين رضي
كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص
في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اي ان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها
الى الله عز وجل وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي
صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترئون على معارضة امر الله
عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون له مدخل في وقوع شيء منها
بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه
وهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التي هي
عند الله تعالى لا عندهم حتى يسندوه الى ما تطيروا به وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى
لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء
والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي حيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا
او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او من عدم فهمهم فقيل لا يكادون يفقهون حديثا
من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة
بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد كما سينطق به الوارد
عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وما سيتلى عليهم بطريق الخبر وقوله تعالى ما اصابك من حسنة
الى آخره بيان للجواب المجمل المأمور بايراده على لسان النبي صلى الله عليه وسلم مسوق من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب والتوجيه
الى كل واحد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والاشعار بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى
بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال

سببه معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير
استحقاق لها من قبلك كيف لا وكل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجو ان تكون ذريعة الى اصابتها فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة
المقارنة لادائها ولا نحو اقدار الله تعالى اياه على ادائها فضلا عن ان يستوجب بها نعمة اخرى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة
الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها
المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله
اكثر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير
ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة
وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام
بناء على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل
الناس لا لبعضهم فقط كما في من قبلك من الرسل ... ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي برسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات
التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول
فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله
عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ للامر والنهي فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني
فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذ
النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته
عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على حسن النظم ... عليه السلام
او نيابة وبتحسين خطابه عليه السلام ... ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف لما ذكر تقديره ومن تولى
اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انا ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا
حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع
في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا طاعة
او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم
اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قلت لها من القبول وضمان الطاعة
لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قالت لك الطائفة من القبول وضمان الامر
والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام
التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين
ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يثبته في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ذلك يخفى عليك فيجدون
بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه وايا ما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف
عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل امورك لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام
الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما ذكر وليكون اوفق باستقلال الجملة واستغنائها
عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات
الايمان وتدبر الشيء تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اي يعرضون
عن القرآن فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم
المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق

للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى
قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل
لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى
يطلع الرسول عليه السلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فحصل لهم ان ذلك لم يحصل الا باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولو وقع فيه
الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة
بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب قال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض
في الحكم بل لاختلاف الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال
اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم
في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا
من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة
يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور
تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك فقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي
جاءهم الى الرسول اي عرضوه على رايه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات
الرد والمراجعة اليه صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله عنهم لعلمه اي لعلم الرادون معناه وتدبيره
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاحه
اي لعلمه وكان الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وانما فعلوا الى ... فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره
بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها ... قيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر
لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه وقيل كانوا
يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول
عليه السلام والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون
وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة
وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات
اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى الطريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لاتبعتم
الشيطان وعملتم باراء المنافقين فيما تاتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار
الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
وبقيتم على الكفر والضلال الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة
الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر
بالاعداء اي لولا حصول النصرة والظفر على التواتر لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصائر النافذة والنيات
القوية والعزائم المتينة من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة الامارات الخارجية
من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تجريد الخطاب له صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات

وهو جواب شرط محذوف ينساق إليه النظم الكريم أي إذا كان الأمر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة أحكام الإسلام فقاتل أنت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف إلا نفسك أي إلا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فإن اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على أن ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل أي فقاتل غير مكلف إلا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الأمر وقرئ بنون العظمة أي لا نكلفك إلا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف أحدا إلا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الأمر السابق داخل في حكمه فإن ما ذكر من حال المنافقين كما هو سبب للأمر بالقتال وحده سبب لتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه قال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به أي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وإنما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا عدة منه سبحانه وتعالى محققة الإنجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فإن ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى الجيش بدرا وأقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله أشد بأسا أي من قريش وأشد تنكيلا أي تعذيبا وعقوبة ينكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي إليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها أي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان أن له عليه السلام فيما أمر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فإن الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية أو خلاصه من مضرة ما كذلك من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في أمر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير أن يتضمن غرضا من الأغراض الدنيوية أي شفاعة أجل مما حصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والأخروية أي أعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيه الدعاء للمسلم فإنه شفاعة إلى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية وعن النبي عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها أي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا أي مقتدرا من أقات على الشيء إذا قدر عليه أو شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين وإذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من أفراد الشفاعة الحسنة إثر ما رغب فيها على الإطلاق وحذر عن مقابلها من الشفاعة السيئة وإرشاد إلى توفية حق الشفيع وكيفية أدائه فإن تحية الإسلام من المسلم شفاعة منه لأخيه إلى الله تعالى والتحية مصدر حيى أصلها تحيية كتسمية من سمى وأصل الأصل تحيي بثلاث ياءات فحذفت الأخيرة وعوض عنها الهاء وأدغمت الأولى في الثانية بعد نقل حركتها إلى الحاء قال الراغب أصل التحية الدعاء بالحياة وطول الحياة ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الإسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما أنه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولأن السلام من أسمائه تعالى فالبداءة بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته أي إذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا بأحسن منها أي بتحية أحسن منها بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله إن اقتصر المسلم على الأول وبأن تزيدوا وبركاته إن جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها أو ردوها أي أجيبوها بمثلها روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وإنما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي أن السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والأذان والإقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد

لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الأجنبية والسنة أن يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير وإذا التقيا ابتدرا وعن أبي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن أنه يجوز أن يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلما وردها عند كونه كافرا إن الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من أعمالكم التي من جملتها ما أمرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما أمرتم به الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم إلى يوم القيامة جواب قسم محذوف أي والله ليحشرنكم من قبوركم إلى حساب يوم القيامة وقيل إلى بمعنى في والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو خبر ثان للمبتدأ أو هي الخبر ولا إله إلا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه أي في يوم القيامة أو في الجمع حال من اليوم أو صفة لمصدر أي جمعا لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا إنكار لأن يكون أحد أصدق منه تعالى في وعده وسائر أخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للإنكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه إلى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر أي أي شيء كائن لكم فيهم أي في أمرهم وشأنهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأما بما دل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق أي فما لكم تفترقون في المنافقين وإما بمحذوف وقع حالا من فئتين أي كائنين في المنافقين لأنه في الأصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الإطلاق ومن العلماء من قال فئتين منصوب عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل فيها ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة أي ما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد إنكار أن يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في أمر المنافقين وبيان وجوب القطع بكفرهم وإجراء أحكام المجاهرين بالكفر في جميع الأحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي أنهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في أمرهم وقيل هم قوم هاجروا إلى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية لحرمة توليهم وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة بأحكام المعاهدة منهم من السلم والحرب قولا وفعلا فإنهم قد أخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم يعقل في أمرهم اختلاف المسلمين والله أركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الإنكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود الصارف بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو أي أي شيء يدعوكم إلى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو أن الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا أي بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد إلى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية أي بكسبهم وقيل معنى أركسهم أن صيرهم إلى النار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بإيمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك وإشعار بأنه يؤدي إلى محاولة المحال الذي هو هداية من أضله الله تعالى وذلك لأن الحكم بإيمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وإرادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الإنكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الإنكار إلى الإرادة لا إلى متعلقها بأن يقال أتهدون إلخ للمبالغة في إنكاره ببيان أنه مما لا يمكن إرادته فضلا عن إمكان نفسه وحمل الهداية والإضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي من يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن أن تهديه إليه وفيه من الإفصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل إضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب إلى كل واحد من المخاطبين للإشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة إما حال من فاعل تريدون أو تهدوا والرابط هو الواو أو اعتراض تذييلي مقرر للإنكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية بما ذكر وعنده يجوز أن يكون الخطاب لكل أحد ممن يصلح له من المخاطبين أولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لإضلال غيرهم إثر بيان كفرهم وضلالهم في أنفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب أي تمنوا أن تكفروا نصب على المفعولية أي ودوا أن تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نعت لمصدر محذوف أي كفرا مثل كفرهم أو حال من ضمير ذلك المصدر

كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال
وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء
الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمع المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان
حالهم ما ذكر من ودادة الكفر فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم مجانبة كلية لا تقبلوا
منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون
وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة
او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك
المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الى آخره فانه صريح في ان كفهم عن القتال
احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال
باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤا اي جاؤكم
قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان
يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي من ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الى آخره ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية
مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الفريق الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا لان
حاجزهم كالفريق الاول اي لو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك
ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم
فلم يقاتلوكم مع ما علم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان تقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم
لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا
ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة
اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف
عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون بما عد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في الايقاع
بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في اخذهم وقتلهم
وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول
الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه على انه حال اي ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على انه
مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ وقيل الاستثناء منقطع ولا التقدير ما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا عمدا او لا خطأ اصلا ما كان نافيا في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد
الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا
كعصى بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل
في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة

كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما على امه
فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم
اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير
رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها الا ان يصدقوا اي يتصدقوا اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب
على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل فان كان اي المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن
ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى
الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله لانهم محاربون وان كان اي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق
اي عهد مؤقت او مؤبد فدية اي فعليه او فواجبه دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديمها هنا مع تاخيرها
فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليمها الى اهله تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افرادها
بالذكر مع اندراجها في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه
فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي والمعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا يرث من المسلم الكافر وقد عرفت عدم لزومهما
فمن لم يجد اي رقبة ليحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن فصيام اي فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بينهما
يوم افطار توبة نصب على انه مفعول له اي شرع لكم ذلك توبة اي قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف
اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام
التي من جملتها ما شرع في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا ان حكمه الدنيوي
لما بين في سورة البقرة اقتصر هنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم
بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا
ولكنا نؤدي ديته فاتوه مائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت
دية اخيك فتكون سبة عليك اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل
واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة
وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى
خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول
جازاه واياه وكلاهما انسب بعطف ما بعده عليه لو افرد له صيغة الماضي اي بتقدير الحال او عطف عليه هذا ان يكون كما يقتضيه المقام اقتضاء
ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كونه جزاءه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء حتى يقدر جزاه او جازاه بطريق الاخبار
عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية الدالة دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتاكيدا
لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر
بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه واعد له في جهنم
عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تأيدت بما روي
من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا

من بالمشرق وآخر حتى بالمغرب لأشركه في دمه وقوله عليه السلام من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس
من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع متمسك الخوارج والمعتزلة في خلود من قتل المؤمن عمداً في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل إنها
في حق المستحل كما هو رأي عكرمة وأضرابه بدليل أنها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فإن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً وكذا ما روي عن سفيان أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله
في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا
وقد روي عن ابن عباس أن رجلاً سأله ألقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر ألقاتل المؤمن توبة قال نعم فقيل له قلت لذاك كذا ولهذا كذا
قال كان الأول لم يقتل بعد فغلظت عليه كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة أيضاً
حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم أي جزاؤه فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروي مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هو جزاؤه
إن جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وأبو صالح قالوا قد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب
ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذباً قال الواحدي والأصل في ذلك أن الله عز وجل يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع أن يخلف الوعد
بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس أنه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثواباً فهو منجزه له ومن أوعده
على عمله عقاباً فهو بالخيار والتحقيق أنه لا خلف فيه إلى تعريض ما يخرج على الأكمل المذكور لأنه إخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يجزيه ذلك
كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا إخباراً بأنه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير
يا أيها الذين آمنوا إثر بيان حكم القتل بقسميه وأن ما يتصور صدوره عن المؤمن إنما هو القتل خطأً شرع في التحذير عما يؤدي إليه من قلة
المبالاة في الأمور إذا ضربتم في سبيل الله أي سافرتم للغزو والفاء في إذا من معنى الشرط والظرف متعلق بقوله تعالى فتبينوا أي فاطلبوا
بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا أي اطلبوا إثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن ألقى إليكم
السلام نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين وقرئ السلم بغير ألف وبكسر السين وسكون اللام
أي لا تقولوا لمن حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمناً وإنما أظهرت ما أظهرت
متعوذاً بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمناً بالفتح أي مبذولاً لك الأمان وهذه القراءة أظهر من الأخريين والاقتصار
على ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور
خطئهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف بمن يقرن بها وقوله تعالى تبتغون عرض
الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعاً إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب
العلم تبتغي به الجاه بل إليهما جميعاً أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم
كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله
كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم
مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم
إلى آخره وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في
فمن عطف على كنتم أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضاً في مبادي إسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الإسلام
ونحوها فمن الله عليكم بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة أي إذا
كان الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير توقف على تواطئ
الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأن التعليل ومن حسب أن المعنى أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم
كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان
والتقدم فيه وإن صرتم أعلاماً فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكافة ولا تقولوا إن تهليله لاتقاء القتل
عن خوف لا عن إخلاص [illegible] لأن المراد كما عرفت بيان أن يحصل له ما [illegible] والاكتفاء في الحكم مترتب على ما ذكر لما ذكر من مجرد التفوه بكلمة الشهادة والطهارة

عليه في جهنم فيقضي ربه عليه بحد قضاء الزنا بالمرة والإظهار للخطاب بهم ولا يخفى أن ذلك إنما يتأتى بغير مزيد علاوة على المعنى المترتب على كونهم
متحصنين بأنهم وأموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصينه وما ليس لحكم المشاركة فيما وجب وحيث لم يفعل ذلك
في فسره فما فسره به النظم الكريم يأبى على ترتب تحصين دمائهم وأموالهم على ما ذكر من أن يقول تحصنت دماؤكم وأموالكم
إلى آن وارتكاب تقديره بناء على مقتضى ما ذكر في تفسير المن أيضاً بناء على ما سيأتي كيف لا وأن ذكره لبعد إن كان المراد بالمن
على ما منه المأمومة مبنياً عليه حتم لكنه ليس بحكم أريد إثباته في حقه بناء على أنه في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق أن يتعرض له ولا بأنه دخل
في وجوب اعتبار ظاهر الإسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه من قوله فعليكم أن تفعلوا إلخ وحمل الكلام على معنى كنتم في أول
كنتم من قبل في الإسلام فمن الله عليكم بالشهرة [illegible] العالية فلا تستحقروا حال من هو في مثل ما كنتم فيه نظراً إلى حاله
السابقة وزوال حاله لم يكن للاستقصار إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فإن الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من أهل
فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ
غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجداً شديداً وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة إنه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية إنما قالها متعوذاً
من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه وفي رواية أفلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا إله
إلا الله فقال أسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال
يا رسول الله كي نغلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلاً فلما أحس بالسيف قال إني مسلم فقتلته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت مسلماً قال
كان متعوذاً فقال عليه السلام أفلا شققت عن قلبه إن الله كان بما تعملون من الأعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيراً فيجازيكم بحسبها
إن خيراً فخير وإن شراً فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح أن على أنها معمول لتبينوا
أو على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجاتهم في الجهاد بعد ما مر من الأمر
وتحريض المؤمنين عليه لينفر القاعدون عنه ويترفعوا بأنفسهم عن انحطاط رتبتهم فينزعوا إليه رغبة في ارتفاع طبقتهم والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد
اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل
من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه يأباه أن تاريخ وقعة بدر والحال إذا لم يكن مشتغلين بعد هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين
متعلق بمحذوف وقع حالاً من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدته الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار
بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى غير أولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرئ
بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه
العجز عن الأهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت
أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن
لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون
أوردهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله بأموالهم
وأنفسهم مدحاً لهم بذلك للإشعار بعلة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر
للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة
ونقصاناً وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي
الظلمات والنور إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول
وقوله عز وجل فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة استئناف سيق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم
من ذكر عدم استوائهما إجمالاً ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال نشأ منه كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله إلخ وإنما تقديم
حالهم لا يستوون فإن ما عرفت محل الاستئناف تعليلاً لعدم الاستواء فالإثبات وفيه تحكيم لما عرفت الذي يحق أن يكون مقصوداً
بالذات إنما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة وأما عدم استوائهما فقصارى أمره أن يكون توطئة لذكره واللام في المجاهدين والقاعدين

للقعود فقد يكون الجهاد في سبيل الله معتبرا في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني درجة نصب على المصدرية لوقوعها
موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة
وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة
اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين
عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لها عن ذكر القيود التي ذكرت على سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر
مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر او نائب عن مصدره من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء
اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا
بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى
قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز
ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل
البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا
حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة
ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المبني على المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه
حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف
الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا
البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال
كونه للوحدة فقيل ما قيل ولو ذهب شان التنزيل اما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل
الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وفي التفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة
من الدرجات العالية الغير المتناهية كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة
وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول
والله اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين من غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بعموم الصفة بناء على ان الاستثناء
من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم
من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم
بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والآخر غيرهم وفيه تفكيك النظم الكريم مع انه لا
ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما ان غيرهم دون المجاهدين بحسب اختلاف رتبة الدرجتين وكان الله غفورا رحيما تذييل
مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد
وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرا توفتهم وان يكون مضارعا قد حذفت احدى التاءين واصله تتوفاهم على حكاية
الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي
يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى
على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه

فيمن ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه
من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية
سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجب عجزهم كنا مستضعفين
في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على التعلل بالعجز
عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم وذلك فتردد ان سبب العجز عنها لا يخلو فقدان الزاد والراحلة او يكون لعدم الاستطاعة على الخروج
بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم الا بعد بيان استطاعتهم ايضا حتى تبكت
ومن كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا
فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة وبانتظامهم
في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل
من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة ماواهم اي في الآخرة جهنم كما ان ماواهم
في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط
وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه
مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل
من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له
الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة
اليه من تعلق بقوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلق بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان
ان اريد بهم المماليك او المراهقون فظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين
لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب
عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف
او حال منه او من الضمير المستكن فيه وصف للمستضعفين بكمال الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها
واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات
العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها
عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول
بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو
التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي في الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل
الشرط وقرئ بالرفع عطفا على انه خبر مبتدا محذوف اي ثم هو يدركه وقيل الحركة منقولة من الهاء الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم
اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو
توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت وقالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل ورسوله

صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج
رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته وإذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر
ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي سفر
كان ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد
يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف
فعلى هذا قوله تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان يكون
تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى
الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته ويراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح
في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق
به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي مسيرة يومين وظاهر الآية
الكريمة يقتضي ان يكون الاتمام فيه افضل وبه تعلق الشافعي لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها
انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه
عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاعلى وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر
وجابر رضوان الله عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا
الى المدينة وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه ما سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم الا كان يصلي ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم
سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين
وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان
وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن تمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما
فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها فاقرت
ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين
فحيث حللت فهي داري واما ورود ذلك بنفي الجناح فلانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح
عنهم لتطيب نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا
ركن عند الشافعي رحمه الله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال
وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا
لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت
منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وهذا يدل على عدم جواز الاكمال لان التصدق
بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما عرف في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم
عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فمسكوت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا بقي على حاله العدم تحقيقا لما لا يتحقق الدليل عدمه
وما نحن فيه ثبت بما ذكر من الادلة واما عند العاملين بالمفهوم فلانا انما نعمل به عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج
الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته
وما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر حال الامن وتخصيصه بالرباعيات
على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل
عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من

من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الى آخره اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح
وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الى آخره فان
استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك
باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى
وإذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان
بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها الى البيان لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا
ظهر لك ان مورد النص الشريف هي الصورة المذكورة وحكمها انما استفيد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد
وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم
حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان
صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان
ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة
الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة
الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها
ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون
معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي
الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم يعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الثانية ولم يبين في الآية الكريمة حال
الركعة الثانية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت الطائفة الاولى
وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى
صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف
الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين
بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات
اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب
لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب
مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له
وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث
المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه
من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت
ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله واني محمد عبده ورسوله واعطيك
سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله
لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم ثم سكن
الوادي فقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم الخبر وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر

بأخذ الحذر اي عدلهم هذا بأهبتنا بحيث لهم وينصركم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه
بأيديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبتهم عليهم اعتراضا على ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم
لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
اي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها
فأقيموا الصلوة اي الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة
الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين
بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي وفيه من البعد ما لا يخفى
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه
المشروع وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء
القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون
وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون
على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر
ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى
وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها
علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة
يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعوه فانه قد لجأ اليك فتركوه فاخرجوه
من مكة فلحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة
فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب
عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على ما ينسحب عليه
النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة
والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصيتهم
خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول طعمة وامثاله او هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم
شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض
والسخط بصيغة المبالغة ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وتعالى وهو احق بان يستحيا منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء
منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء خطاب
وتوجيه له بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا
انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا

ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به
كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله
غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب
لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله
الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر
وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف
وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع
لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقيل يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب ثم
للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتانا
وهو الكذب على الغير بما يبهته ويتحير عند سماعه لفظاعته وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا
وهو صفة لاثما وقد اكتفي في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف
البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي
بريئا فان رمي البريء بجناية خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب
فعل الرامي لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسب اليه البريء ايضا كذلك بل المجوز لذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان
فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي … ويزداد قبحا بالانضمام جناية المكتسب الى رمي البريء الا
ان الرمي بجناية مع تبرئة نفسه كذلك … العظم الاشتمال على تحميل جناية على البريء واجراء عقوبتها عليه كما … الاحتمال
على الاكتساب ونحوه لما فيه من الاذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الاثم بما ذكر في انضمام … رمي
البريء يزداد الجناية قبحا ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك بما هم عليه بالوحي وتنبيهك
على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير
راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا بايدينا ولا نعشر فردهم
صلى الله عليه وسلم ان يضلوك بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بحقيقة الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي … تأثيره فقط
ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة
اي لقد همت طائفة وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وبال كيدهم عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك
شيئا من الضرر لان الله تعالى عاصمك وما خطر ببالك كان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة
على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من
الامور الخفية او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك قبل التعليم وكان فضل الله عليك
عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة التامة والرياسة العامة لا خير في كثير من نجواهم اي كثير من تناجي الناس الا من امر اي الا نجوى
من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء
متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف
الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس
عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم
او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك
على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا ولعل افراد
هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله تعالى الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس

ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه [illegible] الى ستعد وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الآمر بها لدلالة على خيرية
بالطريق الاولى لما ان خيرية الآمر متجهة حسن الامور وقبحه بحيث خيرية الآمر بالامور المذكورة بحيث فعلها اثبت وفيه تحريض
للآمر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان ابتغاء
الآمر به للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستحقاقه له اولى واحق ابتغاء مرضاة الله علة للفعل والتقييد لان الاعمال
بالنيات وان من فعل خيرا لغرض ذلك لم يستحق غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما
يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة
وتعليل الحكم الآتي بذلك بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين
اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي
بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية
الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء تقدم تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتأكيد
والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي
جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلال وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك
جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه ان يدعون
اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن حي من احياء العرب الا كان
لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي
ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل لانهم المراد الملائكة تسميتها اناثا لان اسماءها
او لان اسماء الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها واريد بها هذه الاصنام التي فرط حاله
عبدتها وناعي عليهم ... الا جمع شئ كرباب ورب وقرئ على التوحيد واثنا بقلب الواو على انه جمع وثن كعنق وعنق او جمع اناث
كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كوثن واسد واسد على الاصل وقلبها اوالفا نحو اجوه في وجوه وان
يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعتهم له عبادة
والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا
وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع
الصادر عنه عند اللعن ولعل ترتيب على ان عبادة الاصنام غاية الضلال للطريق الفضيل بان عبدة ما يفعل ولا يخلق فعلا اختياريا
وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك
في الغي لا يكاد يعلق بشئ من الخير والكمال فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق الثاني انه يدعوهم الى الضلال فلا يستتبع مطاوعته سوى
اللعن والضلال الثالث انه في غاية العداوة لهم والسعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي
نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم
فليبتكن آذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري يشقونها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات
كلها للقسم والمأمور في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله باشارة وعدم الاقبال على امر الله تعالى
ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة بمكانه من النار وعدم
اي ما لا ينجزه ويعدهم ويمنيهم اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمني على طريقة فلان يعطي ويمنع والجمع باعتبار معنى من
كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء
الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ
المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى مأواهم مبتدأ ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول
ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل الحيص الروغان بنفور وعنها متعلق
بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلان معمول المصدر لا يتقدم عليه
فما قيل والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن
وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه بمعنى
نعدهم او بفعل حال من الكفرة وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد
الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال
لا معد لان وقتها مضمر وقرئ باسمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد
الله من الثواب يحصل باماني اما المسلمون ولا اماني اهل الكتاب ما يحصل لا بالايمان والعمل الصالح وعلم ان اماني اهل الكتاب سلك الامان لقول اهل الايمان
مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا
لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال
المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر
باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني
اهل الكتاب وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزلت
قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله
قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
اي بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات فمن للابتداء اي كائنا من ذكر وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه
لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون
مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم
ثواب المطيع فلان يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه لله تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل
وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبكه التركيب متعرضا
لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما
انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ
والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية
وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة

الدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله
ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شانه والتنصيص على
انه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان
كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان
في الخصال وفائدة الاعتراض تأكيد وجوب اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته
خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له
بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب
الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها فنزل ابراهيم عليه السلام
والغرائر فيه فتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك فاشتد الاستحياء لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام
فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى فاختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابراهيم
عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا

ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعة الله عز وجل على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما
من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل
لابراهيم عليه السلام خليلا ليس لاحتياجه تعالى الى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض
في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه عليه السلام وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة
بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقوله عز وجل وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله
على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير

ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال
كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله
يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلي من الكتاب فيما سبق
باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه فهو معطوف على المبتدأ او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار
صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه
ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وان العدل والنصفة
المأمور فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فالاخلال بها ظلم عظيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ
عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والمراد معطوف على الضمير
المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الاخيرين
بدل من فيهن والاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وانتم
ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا ان يراد بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن
لكمالهن بل بالكل لهن اي في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك روي عن عائشة رضي الله عنها انها اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وعن ان
تنكحوهن الا ان يقسطوا لهن وذلك روي عنها رضي الله عنها انها اليتيمة ترغب عن نكاحها ولا تنكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية
عنها رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها ولها مال وليس لها احد يخاصم دونها فلا ينكحها ويكره ان يزوجها
رجلا فيشركه في مالها فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول مهورهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى
اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وما يتلى فيهن قوله تعالى وان

خفتم الا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم
الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصن الفزاري
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن
فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصب ان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم وهو خطاب للولاة والاولياء والاوصياء وما تفعلوا
في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما
فيجازيكم بحسبه وان امرأة خافت شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امرأة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها
وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح
عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله به وقرئ يصالحا من يصالحا بمعنى يتصالحا ويصلحا
من اصالحا وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كما قيل اصلاحا او تصالحا
او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح
عنهما مع انه ليس من قبيل الاخذ الذي هو مظنة الجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ والصلح خير
اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت
الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها
فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال
صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها
بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز
والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان
بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة
ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض
مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها
سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل
نزلت في ابي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي واقسم لي
من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شأن من الشؤون البتة
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية
انت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم
فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة
واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل
رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره
يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته اي من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان
الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما كان

من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جل شأنه منبه على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم
في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول
ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول
فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الخ
وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الخ وهي جملة مستأنفة
هذه الآية وانما كان المترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعده كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات
وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المترتبة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى
عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا اي عن الخلائق وعباداتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه وقد تقرر
بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم لمحض رحمته لا لحاجة ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدأ مسوق
للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرط غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ
يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت بآخرين اي يوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين
مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان
انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله
على ذلك اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه
من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين
يوالونه فيكون بمعنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة اي فعند الله تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء اي فعند
الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عالما
بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله
بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا
عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة
المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة
رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى
فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما
بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق
فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق
وان تلووا اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تلوا بها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي اي ان وليتم
اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها رأسا فان الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال
التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد
يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل
من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم

اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان بها ان كل كتاب من تلك الكتب
منزل من عنده تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد
من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها
بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم
ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة
البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما
وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد
وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم مؤمنون
بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان بها تمام ثباتهم والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل
ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق لان
حالهم على التوجيه مبناه على تساوي سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما هو مدار النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين
فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل منهما بالايمان في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى
آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا
عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما ان الكفر باحدهما لا يجامع الايمان اصلا وجمع
الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب
على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين آمنوا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا
بعبادتهم العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم
تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا
عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد
بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم
الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين
وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم
لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم
الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة
الصلبة عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار
جميع افراد العزة في جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه وتعالى واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا
حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ
الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة
لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي
الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء
والحال انه تعالى قد نزل عليكم من قبل هذا في الكتاب اي القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة

القيود فكيف بالاثم والاعتراض بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها
حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل
امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع
وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى
يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذن ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر
لا تقعدوا معهم اي انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب والمراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وهل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم
وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم في العذاب
والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس وهم
داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم
تلوين للخطاب وتوجيه للمؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق
فالفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص
مستتبع لشيء ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين
نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم
ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم
نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وللكافرين نصيبا لتعظيم شأن المسلمين وتخسيس حظ الكافرين
وقرئ ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه
بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل لهم
في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
كلام مبتدأ مسوق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل
الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر تحقيقه في صدر
سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا
نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان
يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه
والجملة اما مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كذلك فقيل يراؤن الناس او حال من ضمير قاموا
ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب
قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا
عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما
بمعونة المقام اي مترددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال
اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او انهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل وتصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين
بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي في طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين
ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان
وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان يهتدي

اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة
الكفرة صريحا اثر ما بين احوال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته
فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر
جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلاث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتهديد
والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر
والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء
من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق
اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا
وعدما انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء
يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني
المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان
لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يرتقي الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب
الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته
عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته
تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول
الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة
فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء
للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا لجميع المسموعات فيندرج فيها كلام
المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا
اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه
بطريق التشبيه به كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة
اي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وهو حسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى
وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون
بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك
وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء
الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب وهو لا يدري
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد

الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا
حقا مصدر موكد لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا
اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذمّا لهم وتذكيرا لوصفهم او الجمع الكافرين فهم
داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله اي على الوجه الذي
بيّن في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين
كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد حقق في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة
سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى ونعتهم بالعظمة
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا
محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم
بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن لو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك
جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد
سألوا موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون ويذرون اسند اليهم
والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين
معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم
تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك
ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا
حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه
على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا
وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس
وقيل هو ايلياء وقيل هو اريحاء وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام
سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدّوا
بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال
بما كلفوه ميثاقا غليظا موكدا وهو العهد الذي اخذه الله عليهم في التوراة قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى
يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم
ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام
فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا
المسيح وقولهم على مريم عليها السلام بهتانا متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله اي بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق
كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
او هو مخفف غلف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم ونحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون انها
بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه
الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم

اوليت قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا
قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اي بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه
على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم
حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بألف منزل
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل
لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به عليه السلام كما في قوله تعالى يا ايها
الذي نزل عليه الذكر الى آخره ولانبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان
ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية
وقاحتهم في تمدحهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام
وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى
عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عز وجل عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فخرج
ليدل عليه فالقى الله تعالى شبهه عليه فاخذوه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان طيطانوس اليهودي دخل
بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا يستبعد في عصر النبوة وقيل
ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا فقتلوه
وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى
المجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس
او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عليه السلام ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد
اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه
النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه
كما في قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه
تهكم بهم لاشعاره بعلمهم بالجهل وقد نفى ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده
حكيما في جميع افعاله فمن حكمته سبحانه وتعالى في امر عيسى عليه السلام وخولا ودنيا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وهو ابتداء
الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي ما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل
موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى
يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج
آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي
اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني
اتاك عيسى عليه السلام نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي
وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم
وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند
نزول عيسى عليه السلام احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون

الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الأول
يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون أي عيسى عليه السلام عليهم على أهل الكتاب شهيدا
فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا لعل ذكرهم
بهذا العنوان للإيذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعدما هادوا أي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع
النفوس إثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه والأشكال صادر عنهم حرمنا
عليهم طيبات أحلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فإنهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع
من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من أسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا بأول
من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين
أي في ادعائكم أنه تحريم قديم روي أنه عليه السلام لما كلفهم إخراج التوراة لم يجترئ أحد على إخراجها لما أن كون التحريم بظلمهم كان مسطورا
فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا أي ناسا كثيرا أو صدا كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه
فإن الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على أن النهي يدل على حرمة المنهي عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة وأعتدنا للكافرين منهم أي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا أليما سيذوقونه
في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله تعالى وأعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف
حالهم عاجلا وآجلا أي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كأولئك الجهلة والمراد به عبد الله
بن سلام وأصحابه والمؤمنون أي منهم وصفوا بالإيمان بعدما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين
المعطوفين تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك حال من المؤمنون
مبينة لكيفية إيمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا والمقيمين الصلوة قيل نصب بإضمار فعل تقديره وأعني المقيمين الصلوة على
أن الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما أنزل إليك على أن المراد بهم الأنبياء عليهم السلام أي يؤمنون بالكتب وبالأنبياء أو الملائكة قال مكي
أي يؤمنون بالملائكة الذين صفتهم إقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في إليك أي يؤمنون
بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلوة وهم الأنبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم أي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع
على أنه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سيأتي من المعطوفين فإن قوله تعالى
والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الآخر فإن المراد بالكل مؤمنو
أهل الكتاب قد وصفوا أولا بكونهم راسخين في علم الكتاب إيذانا بأن ذلك موجب للإيمان حتما وأن من عداهم إنما بقوا مصرين على الكفر
لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والأحكام واكتفي منها
بذكر إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقا لحيازتهم
الإيمان بقطريه وإحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بأن من عداهم من أهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فإنهم بقولهم عزير ابن الله
مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى أولئك إشارة إليهم باعتبار
اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى سنؤتيهم
أجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الأجر للتفخيم وهذا أنسب بتجاوب طرفي الكلام
حيث أوعد الأولون بالعذاب الأليم ووعد الآخرون بالأجر العظيم كأنه قيل إثر قوله تعالى وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن المؤمنين
منهم سنؤتيهم أجرا عظيما وأما ما جنح إليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك خبرا للمبتدأ ففيه كمال السداد خلا أنه معرض
لتفصيل الطرفين وربما يوهم بإيثاره ... قوله تعالى والمؤمنون بالله إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده
جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الإرسال

وإنما شأنه في حقيقة الإرسال وأصل الوحي كشأن سائر مشاهير الأنبياء الذين لا ريب لأحد في نبوتهم والكاف في محل النصب
على أنه نعت لمصدر محذوف أي إيحاء مثل إيحائنا إلى نوح أو على أنه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأي سيبويه
أي أوحينا الإيحاء حال كونه مشبها بإيحائنا الخ ومن بعده متعلق بأوحينا وإنما بدئ بذكر نوح لأنه أبو البشر الثاني وأول نبي شرع
الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الأرض وأوحينا
إلى إبراهيم عطف على أوحينا إلى نوح داخل معه في حكم التشبيه أي كما أوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط
وهم أولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين
تشريفا لهم وإظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمي إليهم اليهود من الأنبياء
وتكرير الفعل لمزيد تقرير الإيحاء والتنبيه على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا قال القرطبي
كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاي وهو
جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على أوحينا داخل في حكمه لأن إيتاء الزبور من باب الإيحاء أي كما آتينا داود زبورا وإيثاره
على وأوحينا إلى داود لتحقيق المماثلة في أمر خاص هو إيتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الإيحاء ثم أشير إلى تحقيقها في أمر لازم لهما لزوما
كليا وهو الإرسال فقيل ورسلا نصب بمضمر معطوف على أوحينا داخل معه في حكم التشبيه كما قبله أي كما أرسلنا
رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك أي قصصنا رسلا كما قالوا فزعموا أن قوله تعالى قد قصصناهم على
الأول مبني على أنه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الإعراب فإنه مما لا سبيل إليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى
من قبل متعلق بقصصنا أي قصصناهم من قبل هذه السورة أو اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب
بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل الخ والحق أن يكون انتصابهما بأرسلنا فإن فيه
تحقيقا للمماثلة بين شأنه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الأنبياء عليهم السلام في مطلق الإيحاء ثم في إيتاء الكتاب
ثم في الإرسال فإن قوله تعالى إنا أوحينا إليك منتظم لمعنى آتيناك وأرسلناك حتما فكأنه قيل إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح ومثله وأوحينا إلى إبراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان كما آتينا داود زبورا وأرسلناك رسولا مثل ما أرسلنا رسلا
قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الإيحاء وأصل الإرسال فما للكفرة
يسألونك شيئا لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح أن رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فإنه يجب أن يكون
معطوفا على أوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في أن قصصنا لا تعلق له بشيء من الإيحاء
والإيتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى إنا أوحينا إليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه وتقديره في جانب الأول
يقتضي تقدير نقص في الثاني وذلك أشد استحالة وأظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى
تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد
لم يكن إلا حقيقة الكلام والجملة إما معطوفة على قوله تعالى إنا أوحينا إليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه وإما حال بتقدير قد
كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات والمعنى أن التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة
سائر الأنبياء عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور
أن نزولها كذلك لحكمة مقتضية لذلك من جملتها أن بني إسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك
لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها إلا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد
منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال بأن يكون رسلا
موطئا لما بعده أو على البدلية من رسلا الأول أي مبشرين لأهل الطاعة بالجنة ومنذرين لعصاة بالنار لئلا يكون للناس
على الله حجة أي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا أرسلت إلينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور
القوة البشرية عن إدراك جزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك الآية وإنما سميت حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله بل له

ان يفعل بهم ما يشاء كما يشاء المالك في ملكه ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك
قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله عز وجل لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل
الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا او بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله
متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله ويجوز ان يكون هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق
به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع
الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف توصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم
الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله
التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافهما في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام
انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها تدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار متباينة
حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم وتقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع
والاحكام حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم
فنزول تنزيل الكتاب جملة اقرب الى ... وحينئذ تتعاقب التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم
الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد
النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا
قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول اي الا انه يشهد
اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل
لكن الله يشهد انزله بعلمه اي متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزله عليه
واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول حال
وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة
عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك
حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل
الآيات وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه
بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا
لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر آنفا
وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في
المعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق
والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم
عند صرف قدرهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص
بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل
يدخلهم جهنم خالدين فيها وقوله تعالى ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم
على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود
بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شأنه عليه السلام في امر الوحي والارسال
كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريق الخطاب
بالايمان بذلك اثر ما اشفعها بالوعد بالايمان والوعيد على الرد منبها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله عز وعلا

قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده صلى الله عليه وسلم
بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول
اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر
والفاء في قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه
مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا وأتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي
الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط القاصي وهو رأي الكسائي وابي عبيد اي يكن الايمان خيرا لكم
وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا على الكفر فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما كما
يعم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل
خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم
لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال
الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب
تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام
وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا
على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح
وقد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه
او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله
خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة
لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم
اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة
معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح يخرج
من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي
المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح
الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى
وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي بها القرآن
لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم
اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من غير نطفة لامس النطفة وصف بالروح
وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل
للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة
ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم
الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة انتهوا اي عن التثليث
خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد

أي منزه في الصفة سبحانه أن يكون له ولد أي أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد أو سبحوه تسبيحا من ذلك فإنما يتصور
فيمن يماثله شيء ويتطرق إليه فناء والله سبحانه منزه عن أمثاله وقرئ إن يكون أي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات
وما في الأرض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره أي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته
من الأشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا إليه يكل الكل أمورهم وهو غني
عن العالمين فأنى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير أمورهم إلى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف
مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الأنفة والترفع من نكفت الدمع إذا نحيته عن خدك بالإصبع أي لن يأنف ولن يترفع أن يكون عبدا لله
أي من أن يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وأن ذلك أقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم
استنكافه عليه السلام عنه مع أن شأنه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه حاله ويفصح عنه أقواله ولا ترى أن أول مقالة قالها
للناس قوله إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا
بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا له تعالى دون أن يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع إفادة فائدة جليلة
هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فإن كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف
عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما أشير إليه بخلاف عبادته تعالى فإنها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يتحقق الاستنكاف
موصوفا بحقيقتها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح
أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله تعالى وقيل إن أريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج إلى التقدير ويحتج بالآية من زعم
فضل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف
أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام
عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء
عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون
بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لأحد في علو درجتهم من هذه الحيثية إنما النزاع فيما هو من جملة الكمالات
وبأن الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة أيضا فلا اتجاه لما قالوا حينئذ وإن سلم اختصاصها بالرد على النصارى
فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التفضيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم
إرادة التفضيل فغاية الأمر الدلالة على أفضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش ومن في أعلى طبقتهم من الملائكة عليهم السلام
على المسيح من الأنبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا وهل النزاع إلا فيه ومن يستنكف
عن عبادته أي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وإنما جعل المستنكف عنه هاهنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعليق الوعيد
بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فإن عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم إلى إنكار اتصافهم به إن قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف
عنها مع أن ذلك منهم كان بطريق إنكار كون الأمر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف لأنهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل هو إلا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل إذ لا أمر له عليه السلام سوى أمره تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله تعالى
ويستكبر الاستكبار الأنفة عما لا ينبغي أن يؤنف عنه وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه
بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن مآله محض الطلب دون حصول المطلوب وقد عبر عن ذلك
بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فإنهم ما كانوا طالبين ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها
بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك لكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الإشعار بأن ليس هناك شيء سوى الطلب
والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم إليه جميعا أي المستنكفين ومقابليهم
المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل تعويلا على إنباء التفصيل عنه ولظهور
اقتضاء حشر أحدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية

مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر
معطوف عليه المقدر فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم إليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه أنه لا يناسب التفصيل الآتي اعتبار حشر الكل
في الإجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الإجمال قدم على بيان حال ما يقابله إبانة لفضله ومسارعة إلى بيان كون حشره أيضا
معتبرا في الإجمال وإيراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله للتنبيه على أنه المستتبع لما يعقبه
من الثمرات فيوفيهم أجورهم من غير أن ينقص منها شيئا أصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها أضعافا مضاعفة وبإعطاء ما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأما الذين استنكفوا أي عن عبادته عز وجل واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم
واستكبارهم عذابا أليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي أمورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم
من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه يا أيها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة المكلفين إثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر
والضلال وإلزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وإزاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وعدة لهم على الحق بحيث لم يبق
للمتعلل عذر ولا للمتعذر قد جاءكم أي وصل إليكم وتقرر في علمكم بحيث لا سبيل لكم إلى الإنكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب
والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه مما أبطل الأباطيل الكفرة
من حيث الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل
هي المعجزات التي أظهرها وقيل هو دين الحق الذي أتى به وقوله تعالى من ربكم إما متعلق بجاءكم أو بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما أفاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائن منه تعالى على أن من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على أن تكون تبعيضية بحذف المضاف أي كائن
من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وأنزلنا
إليكم نورا مبينا أريد به أيضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير إليه آنفا وأخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره إيذانا بأنه كما
يستقل في ثبوت حقيقته وكونه من عند الله عز وجل بإعجازه غير محتاج إلى غيره مبين لغيره من الأمور المذكورة وإشعارا بهدايته للخلق
وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان فقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية
وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند إليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت أحكامه من غير أن يجيء به أحد على
الكفرة بالإبطال وأخرى بالإنزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توقيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به وإسناد إنزاله إليه
بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كونه عبارة عن القرآن وأما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن المعجزات الظاهرة على يديه أو عن الدين الحق فالمراد
بالنور المبين القرآن وقوله تعالى إليكم متعلق بأنزلنا فإن إنزاله بالذات وإن كان إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل إليهم أيضا بواسطته عليه السلام
وإنما عبر عن حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس لإظهار كمال اللطف بهم والتصريح
بوصوله إليهم مبالغة في الإعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر لما أنه
على نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم فأما الذين آمنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي أتاهم واعتصموا به أي عصموا به أنفسهم عما يرديها من زيغ الشيطان
وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
وعبر عن إفاضة الفضل بالإدخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة
ويهديهم إليه أي إلى الله عز وجل وقيل إلى الموعود وقيل إلى عبادته صراطا مستقيما هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة
وتقديم ذكر الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب الوجودي بين الموعودين للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي
قيل انتصاب الصراط على أنه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم أي يعرفهم صراطا مستقيما يستفتونك أي في الكلالة استغني عن ذكره
بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما روي
أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي روي عنه رضي الله عنه أنه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض
لا أعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلالة فنزلت قوله تعالى إن امرؤ هلك استئناف

يبين بعضها وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له او حال من الضمير في هلك ورد بانه للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ولان بعض الورثة علم بقوله تعالى وله اخت عطف على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد والاب وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتأنيثه وتثنيته باعتبار المعنى وفائدة الاخبار عنها بما يفيد العدد مع دلالة الف التثنية عليه التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين تقسم التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته ان الآية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس في ذكره من الآية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي والفراء فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الى غير ذلك وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان البيان على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم ۞ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقد عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن شرعا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدأ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب خز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوها وقيل هي المرادة بالبهيمة هنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين كأنه قيل احلت لكم البهيمة المشبهة بالانعام التي بين احلالها المماثلة لها فيما هو مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عنده فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده ونصبه على الحالية

من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهر لما ان احلالها غير مطلق كأنه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول فلعله اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كأنه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم عملا واعتقادا اياه ولذلك من صنيعهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بها الجريان على موجبها عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها الى ما سيأتي بيانها يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الحرم الذي من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصد الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاء جمع هدية كجدي وجدية ولا القلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كأنه عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام كأنه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال قوم او اذى قوم آمين وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حينئذ حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا لتقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي وتأكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة ليس فيها منسوخ وقيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم ثابتة بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة وخلف خيله خارجها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ووعده ان يأتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فسرح المدينة فاستاقها فلما كان العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلي بينهم وبينه فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله

وخفيفهم الله الى نظمهم وذلك لطف منه تعالى وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا يبعد فيه كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم
الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا
ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل المراد بهم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا
فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
ولا ريب في تناول الآمين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ فيتعين النسخ
كلا او بعضا ولا يبعد الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين بتقييد ابتغاء الفضل بالرزق للمؤمنين والمشركين عامة
وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وبجواز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء سببها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم
فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم
نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه
وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه خلا ان جرم
يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا
واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله
كما قيل وهو شدة البغض وغايته ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام
عن زيارته والطواف للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم
قد ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا
اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر
لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم
وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده
فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال لسببيته وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله
لا اريتك ههنا يريد به نهي المخاطب عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة
الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض
لسائر الآمين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا
على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه نهيهم عما هم بصدده من التعاون على الاعتداء دخولا اوليا ثم نهوا
عن التعاون على الاعتداء في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون
على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية
على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر
والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء
فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما
مر من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى
عليكم والميتة ما فارقته الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها
ثم يأكلونه ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة اي التي
ماتت بالخنق والموقوذة اي التي وقذت بالضرب بخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو الى سفل فماتت
والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل وقرئ المنطوحة وما اكل السبع اي اكل السبع منه فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ

واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة
يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب
وهو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وهو الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها
ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح
وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر
مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام
وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد لما مر في الاشارة الى بعد
منزلته في الشر فسق تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد
بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان المعنى حرم عليكم تناولها اليوم اللام
للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي
صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فنصب على انه ظرف لقوله تعالى يئس
الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده
حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون اي اخلصوا لي الخشية اليوم
اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد
وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى
واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر اي اتممتها بفتح مكة ودخولها
آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق
من حيث اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقوله ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو
الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود
نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم
والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت
الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لم يكمل شيء
الا نقص فقال عليه السلام صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل
بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب اجتنابها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي
اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم اي غير مائل
ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او غير عاص بالسفر فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك
يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها
وتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة كما يقال اقسم زيد
ليفعلن ولو قيل على الحكاية لقيل لافعلن واحل لنا قل احل لكم الطيبات اي ما يستطيبه الطبع السليم ولم يتنفر عنه كما في قوله
عز وجل ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف
اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر فكلوا وانما دخلته الفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او من ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح
الصيد غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب اكثر ما يقع
فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظه ابوه اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ

وابن

مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتأديب فان
العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره
وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فاحبس ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب
الشرط وعلى تقدير ما موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح
المعلمة مبينة لمضاف المقدر الذي المعطوف به على الاحلال حصة مشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخل تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله
الخبر فاصل ما ادرب ومن تبعيضية لان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة والعائد
وعلى متعلقة بامسكن اي كلوا البعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكل منه واما ما اكل منه فهو مما امسكنه على نفسه لقوله عليه السلام لعدي
بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لان تأديبها
الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم انه اذا اكل
الكلب ثلثه وبقي ثلثه فكل ما بقي واذكروا اسم الله عليه الضمير لما في علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن
اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه
اذا شرع فيه تم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلاثة وقت واحد وانما كرره للتأكيد الاحلال الاخذ الواحد
فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر رواه احمد رحمه الله والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رحمه الله واصحابه وحكم الصابئين
حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا
من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم
سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك
والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر
للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات
فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة خلافا للشافعي رحمهما الله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن
حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باعطائها لتاكيد وجوبها
والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها واذا ظرف عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن
حللن لكم محصنين حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين
وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي لا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ولا متخذي مجرور
عطفا على مسافحين وزيدت لا لتأكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجه الثلاثة ومن يكفر بالايمان
اي من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين هنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله
الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل
بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر
في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان
الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها
او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن
محدثا لان الامر للوجوب مطلقا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر

رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب
مما لا يسوغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى
الله عليه وسلم والخلفاء انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة فلا يدل على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه
صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وقيل كان ذلك
اول الامر ثم نسخ ويرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم
اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرافق في المغسول ولذلك قيل الى
بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها
عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول
والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى
من حيث افادتها للغاية يقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل والتحقيق انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه
قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم فاختلف العلماء
في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته
وقدر بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل
الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظائره
وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسلا غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته
ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم
وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا
تخافون به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر اي مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا
وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اي ما يريد
بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال ولكن يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم
او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفيرها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة
وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء
وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم
والآية الكريمة مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح
وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود
عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده
المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا
وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته
الى الله تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق
الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام واتقوا الله اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون
وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها
فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم

وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين امنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم
كونوا قوامين لله مقيمين له اي لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط اي بالعدل ولا يجرمنكم اي
لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى التي امرتم بها صرح لهم بالامر بالعدل
وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك
في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب لها اعتناء بشانها وتنبيها على انها ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون
من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة
في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ
على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة
واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانها استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول
فكانه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك
الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملازموها [illegible]
والترتيب الذي لا محيد عنه بالتبشير والانذار يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة الاسلام وما معها
من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل
الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا انعامه كائنا عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا
بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان
رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة
الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مساس
الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم
بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعري
الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات
الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة
هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه
فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون
بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام
من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله
عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى
الله خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله
وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب
من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية
استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض
الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير
ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها

من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي
للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى
عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى
فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله
من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ
من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء
وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم
موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام وقيل لما توجه
النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الآف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة الآف سنة وكان على راسه
حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها
وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس
فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان
هما يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم
ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه
صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانتقبت فوقعت في عنق
عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فنزا في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا
الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى
ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة
لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء
عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان
والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين يتعاقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن
اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف واخر الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما
من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى
وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير
او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول
حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه
باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول
ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشيء مما عد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية
للترغيب والترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر
وتغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد
احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث
بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنيع
حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا لا شبهة فيه واخطا خطا فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر
قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة يتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي

نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير
او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نقض النقض ان حال شئنا فنقضوا ميثاقهم
فلعناهم ضرورة تقدم ماهية الشيء البسيط على المركب للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية
والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتاثر عن الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا اي فيه خشونة
وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قسوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح
الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار او حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا
اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة
او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من
على الوجهين الاولين ابتدائية اي على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة
عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور
في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على انها
الاثمة فالمراد بالقليل الفعل القليل من ابتدائه كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وآمنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالعفو وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق
من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم تقديم الجار والمجرور للاهتمام ببيان قبائح النصارى وجناياتهم
اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير اخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا
اخذنا ميثاقهم وقيل متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته او صلته مقامه اي منهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم
وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا منهم مثل ميثاق
اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال
ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا
لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه
فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك من الاعمال
الصالحة وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا
نسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره
الزقه ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل
الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيامة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون
الى يوم القيامة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلاث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود
اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل
لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد
والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن ابي
بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها افادة العلم
حالها منزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل اثر بيان
احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب

لاظهار الكلام المعدود على ما ينطق به الكتاب للمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه
من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى
يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه
المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي التوراة والانجيل كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى عليه السلام باحمد
في الانجيل وتاخير كثيرا من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر
لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عنده اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر نوع تفصيل ربما يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم وما اما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا او ما موصولة اسمية ما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب
متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا
من الذين تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اي لا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع
اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما ينبئ عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا
والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة
مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا
من نور والمراد به هو نور يقتضيه مما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من ان كون المجيء
من جهة العالية مما يشوق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى
للمؤمنين وتنوينه للتفخيم والمراد به بقوله تعالى وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس
من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم
وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة
من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبل
الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس وقيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى
الى الثاني باللام او بالى كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ
من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو
اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن حيث
اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة بعد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بان المسيح لا غيره وقيل لما زعموا انه لاهوت وقالوا لا اله الا واحد
لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم
الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا جوابية وهي لترتيب ما بعدها على ما قبلها والاستفهام للانكار والتوبيخ وهي للتبكيت والالزام بحكم علي الشرط المحذوف ومن متعلقة
على حذف المضاف اي كل الامر كما زعمتم فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا ومعنى لا يستطيع ان يملك شيئا منها ان اراد
ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق ولا يتاثر من شيء من الموجودات بقدرة غيره
بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد
بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة
التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قدرته وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد
مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد ان يهلكه لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه
واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية اظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على الوجه

واكده فنظم استحالة الالوهية قطعا بقيام ارادة الهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقق بتقديرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع
ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية
وتخصيصه بالذكر مع اندراجه في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها
لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلكت امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما
اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات
تنصيص على ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف
المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه
وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته
من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية
لا على المفعولية كما قيل يخلق اي خلق شاءه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل
ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق
سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه الصلاة
والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع
ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك
عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله
تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا
ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى
على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم
فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر
كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم
بشر ممن خلق اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به
تعالى وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية
تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فاني لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير في الآخرة خاصة
لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه علمه من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب
تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا واشارة على منهاج ما مر اي
يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي
من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهوره اذ المجيء الرسل انما هو لبيانها او يبذل لكم البيان في كل ما تحتاجون فيه الى البيان
من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فلا لكونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة
من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية
كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان
الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها

احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى
ان تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين
ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد طمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء
وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي ان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر
من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير
ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى
كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد
عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي
ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلام وهو الانسب بما
في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي
ليعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال
موسى لقومه جملة مستانفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث
ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم بتبيانها من جهة اشتماله على معاقرة ارسل فيها منهم واذ نصب على انه
مفعول لفعل مقدر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات
اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر
ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد
عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة
عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله
فيما بينكم من اقاربكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شأن خطير حيث لم يبعث في امة من الامم ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء
وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف
تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك
به مسلك ما قبله لما ان منصب النبوة مع علو الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس مما يتيسر ان ينسب ولو مجازا الى من ليس اصطفاه الله
وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله تعالى فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم
وقيل من له مال لا يحتاج الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم
وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال
به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين و
بعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح المحفوظ ان تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعدما عصوا
فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط
الكتب المذكورة بالايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
ترتدوا او يجوز ان يتعلق بنفس الفعل وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا
عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق به تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي الخسران
خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا
بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين لذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا تتأتى منازعتهم ولا

منا صبغتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب
التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول
بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق
دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان استيناف
كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو
ويتقون في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين
يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا
الى موسى عليه السلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعائد الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل
ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى
بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة
ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب
اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة
الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون
فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علماه من سنته تعالى في نصرة رسله
وما عهداه من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا
بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين
به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استيناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما
مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى انا لن ندخلها اي ارض
الجبابرة فضلا عن دخول الباب وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض
او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما
قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا
ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده
قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤا بقتالهم وقوله تعالى انا هاهنا قاعدون
يؤيد الوجه الاول اراد واريد بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث
والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف
على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا
يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك
بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي الارض المقدسة والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة
بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا
لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم
في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل
الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال

ان ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل
تحريمها عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استيناف لبيان
كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التوقيت للتيه وتكون الحرمة مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان
طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم
كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم
وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعام عليهم مع انهم معاقبون
لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة
العذاب عليهم السلام وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يخفى
خلاف النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان يجعلهما مع القوم في محل العقوبة ويقدره فاتهما
في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بسؤال الفرق بالمباعدة اي
بينهما كانا معهم فيه بعد سؤال الفرق ويأباه ما سيجيء من ذكر الفرق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي
انه عليه السلام ندم على الدعاء عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق
به قوله تعالى اذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعدما كتب عليهم وجاءتهم الرسل بالبينات
من البينات نبأ ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك
اوحى الله عز وجل الى آدم عليه السلام ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط
وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها ففعلا فنزلت على قربان
هابيل نار فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف
اي تلاوة متلبسة بالحق والصدق او حال من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين
اذ قربا قربانا ظرف لنبأهما اي اتل قصتهما ونبأهما الواقع في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك
الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقت وحين والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسك او صدقة كالحلوان اسم لما
يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب
ضرع وجعل قربانه جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح ولم
يتقبل منه قال استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف
سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال
استيناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله اي القربان
من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فيك من التقوى وعدمها اي انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه
لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل
لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا
من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما
المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين
وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل على دوام الانتفاء لا على
انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن بسطت الي يدك شاد
او عدمه وتحقيق ذلك ما انا بفاعل ذلك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين وفيه من
ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه وآكده ما لا يخفى كانه قال اني اخاف الله تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع

هداه لك حتى قتلتك بجاهك وانت البادي بالعادي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه
ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال عليه السلام
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال بالتعليل تحرزا عن ان يترك الاول عنه فرارا لما بعده استتباع
الغالب مبالغة في التنزه وتورعا انى اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متفرع كان الاول
باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلة والمعنى اني اريد باستسلامي لك امتناعي عن التعرض لك ان ترجع
بشيئين اثمي اي لو بسطت يدي اليك باثمك ببسط يدك الى كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
اي على البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي وبمثلك الذي لاجله لم يتقبل قربانك
وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع متلبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد
بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوى عن المعصية اصلا ولذا اوردوا ان يعزره فتكون من اصحاب النار
فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى
وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في مرتبة
عمما ارادهم من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد
فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها
ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة
امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قتله لما
كان يتوقى منه وانما حصلت بعده وتوقفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه
فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعى نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله زيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله
قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس اخذ طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين حجرين
وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة
في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل
حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر بمنقاره ورجليه حفرة
فالقاه فيها والمستكن في ليريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني يجوز تعلقها بيبحث وكيف حال
من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه
قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوان حضورك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي تعجب من عدم
اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فاصبح من النادمين
اي على حمله لما كابده من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة روي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن
فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول
من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك
اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهوم مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته
وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه للقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته
من جملة الخاسرين دينا ودنيا ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقوله تعالى من اجل في الاصل مصدر جل شرا اذا
اكتسبه ثم استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه

وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها
عليه للقصر اي من ذلك ابتدا الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم مبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس
بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه
غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى من غير وضوء او تيمم بطلت صلاته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم
بطلت صلاته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على استفادة من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة وبالعكس
ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما او اشتراطه بتحققهما معا
ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما
حتما ولبس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور ورود النفي عليه وتوضيحه ان كل حكم شرط تحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا
وكل حكم شرط تحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب
الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول
بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلاته مشروطا بتحقق احدهما
مهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور الذي هو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي
المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فاقتضى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما لو
انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجمع نحو لا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله
فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وتيمم صحت صلاته فحيث كان الحكم مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير
وضوء او تيمم بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما لا بعينه اي لا على التعيين
القتل مشروط باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه
قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه وقيل من قتل نفسا ... فقد استحق غضب الله
تعالى كما لو قتل الناس جميعا لوقوع القتل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء
على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى والعذاب العظيم ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس
موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه
فكانما احيا الناس جميعا وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة
والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة
تقرر ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عنده وروده فضل تمكن
كانه قيل ان الشأن الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق
لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو
والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته
وتاييدا لتحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد
بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون
وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينهما لانها لام الابتداء وحقها ان تدخل على المبتدأ وانما دخلت على الخبر لمكان ان
فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان
اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الاحياء وجودا وعدما وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال
ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شأن القتل بغير حق والادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل

اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له
عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب
المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم
والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون
في الارض عطف على يحاربون وبه يتعلق قوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له
اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت
في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج
فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين
وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض
ولما كانت المحاربة بالفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة
بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل
ولا عفو للاولياء لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا او يصلبوا اي مع القتل ان
جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم
وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى
وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها
قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي
بالفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن
وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي من بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد
في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك اي ما فصل من الاحكام والاجزية وهو مبتدا وقوله تعالى لهم خزي
جملة من خبر مقدم على المبتدا وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع
خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا
اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غيرها عذاب عظيم لا يقادر قدره لغاية عظم
جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب
حالا اي كائنا في الآخرة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى
فاعلموا ان الله غفور رحيم واما ما هو من حقوق العباد كالقصاص ونحوه فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وانما اسقط
بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر
المؤمنين بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات
التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه
اي الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا
اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله
كما اشير اليه والذريعة لنيل كل خير والمنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل
دخولا اوليا وجعل الجملة الاولى امرا بترك المعاصي والثانية امرا بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات
المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الباطنة والظاهرة لعلكم تفلحون
بنيل مرضاته والفوز بكرامته ان الذين كفروا كلام مبتدا مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر وترغيب المؤمنين

في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة باقوى الوسائل الى النجاة
فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لا لكلهم جميعا وفي ذلك من
من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها
ومحلها الرفع بلا خلاف خلا انه عند البعض مرفوع على الابتداء لا احتياج فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين
سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون
ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين مرفوع على الفاعلية بفعل يقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى
جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع
الى الموصول وفائدة التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما
شيئا واحدا ولذلك افراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر
في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا وبالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن يحذو حذوه ولا ريب في ان مدار الافتداء
بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما
ذكر واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذاك وقيل راجع الى الموصول والعائد
الى المعطوف اعني مثله محذوف كحذف الخبر من خبر في قوله واني وقيار بها لغريب اي وقيار بها غريب وقد جوز ان تكون الواو في مثله بمعنى مع فينتصب
على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو على مذهب المبرد ومن يرى رأيه وينصره خبره وهو اي كون الرافع للفاعل هو الناصب للمفعول معه
لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان
سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قولهم هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض
في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيامة متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم
من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء
بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتبان عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى العرض
على ما ذكر التقبل وعدمه وقد جعل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده
حيث قيل فلما رآه الخ ولم يقل فاتاه به فلما رآه الخ وفي قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن
والجملة الامتناعية بجملتها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمقدرة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك
كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم زيادة تقريره وبيان هوله وشدته ومحله النصب
على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف
مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ اي
وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار من انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج
ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنون ويريدون بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها
اما حال من فاعل يريدون او اعتراض وايا ما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية معدى بالباء للدلالة بما في خبرها من الباء على تاكيد النفي
لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي
لا نفي الدوام كما مر مرارا وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه من
عدم تناهي مدته بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى
واقتضاء الحال لايراده وتوسيط ما بين المقال وانما قدم السارق مع ان السرقة في الرجال اكثر وصرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة
ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدا خبره عند سيبويه محذوف
فيما يتلى عليكم او فيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط

او المعنى الذي يسرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار او تاويل والرفع
الى الفرجة وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرزه والماخوذ ربع دينار او عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما
ايمانهما كما ينبئ عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان القطع من المنكب والجمهور على انه من الرسغ لانه
عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه **جزاء** نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا
اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى **بما كسبا** على الاول متعلق بجزاء على ان ما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب الذي كسباه
من السرقة التي باشراها بالايدي وقوله تعالى **نكالا** مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء
والجزاء معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا
احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله
على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه يكفروا وان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي
والبغي علة للكفر وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى **والله عزيز** غالب على امره يمضيه كيف
يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه **حكيم** في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم
والمصالح **فمن تاب** من السراق الى الله تعالى **من بعد ظلمه** الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته
واصلح اي امره بالتفصي عن تبعاتها بالشروع والعزم على ترك المعاودة اليها **فان الله يتوب عليه** اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة
واما القطع فلا يسقط بالتوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد قوليه **ان الله غفور رحيم** مبالغ في المغفرة
والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل **الم تعلم
ان الله له ملك السموات والارض** فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتها والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض
مبتدأ والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها سادة مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام للانكار لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي
من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته تعالى **يعذب من يشاء** اي يعذبه **ويغفر
لمن يشاء** ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما
تقرير لكون ملك السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان **والله على كل شيء قدير** فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار
في موضع الاضمار لما مر آنفا والجملة تذييل مقرر لما قبلها **يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** خوطب صلى الله عليه وسلم
بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى
الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنون
الكفر الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات
فانهم مستقرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهو ما ذكر من مسارعتهم في الكفر
نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من ذلك والمبالاة بهم على ابلغ وجه واكده فان النهي
عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقطع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك
هاهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع
سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر وقوله تعالى **من الذين قالوا آمنا بافواههم** بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى **ولم تؤمن
قلوبهم** جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى **ومن الذين هادوا** عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم
بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود وقوله تعالى **سماعون للكذب** خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى الذين

عيسر

واما رجوعه الى الذين هادوا فالمحمل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله من الذين الى آخره خبرا على ان قوله
سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لا دلالة الى اختصاص ما عدد من القبائح وما ترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية
بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول او لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون
في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم
بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس وما عليهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين
وبكسر سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم واياما كان فالجملة نعت جارية مجرى التعليل للنهي عن كونهم سماعين للكذب على الوجوه
المذكورة وقبيح اقبالهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما ياتون ويذرون للقطع
بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الاقاويل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب
بالنصب على الذم وقوله تعالى **سماعون لقوم آخرين** خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين
واللام مثلها في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل
بمعنى سماعون منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد
يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى **لم ياتوك** صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء
قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين
تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الراي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال
ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي
يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده
والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى **يقولون** كالجملة السابقة
في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا
وان مقول القول ناطق بانه لمن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون
اليه عليه السلام من تلقاء حوله عليه السلام قطعا واما قول السماعين لاعقابهم المخاطبين مسلين بصفة ظاهرة مخل بجزالة النظم الكريم
والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة
مشيرين الى كلامهم الباطل **ان اوتيتم** من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم **هذا فخذوه** واعملوا بموجبه فانه الحق **وان
لم تؤتوه** بل اوتيتم غيره **فاحذروا** اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف
من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا
منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا
الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون
شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم هو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التوراة
قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق
آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم
الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني لولا خشيت ان تحرقني التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد
قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة
على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به
المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد **ومن يرد الله فتنته** اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان

فيذرح فيه المذكور من الادراجا او فيها اعدم التصريح بهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له
فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها الجملة مستقلة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك
اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل
الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم اخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم
منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم
بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدا ولهم خبره
وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الكلام في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم
هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد وتكميل
استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة لعقاب كامل لما لهم من العقوبة في الدنيا والآخرة سماعون للكذب
خبر اخر لمبتدأ مقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر اخر للمقدر اي على طريقة الذم
او نصبا على ان المراد بالكذب ما فعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل الحرام
مطلقا من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة والمراد به هنا الرشى اي كانوا ياخذونها ويحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة
والمشتهاة او ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية وقيل هو مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انفا وقرئ
للسحت بضم السين والحاء وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به
فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافعالهم حسبما امر عليه السلام
خوطب عليه السلام ببعض ما يبتنى عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك
فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم
بين الامرين مطلقا وقيل في امر خاص هو ما ذكر من زنى المحصن وقيل في قتيل من اليهود في بني قريظة والنضير تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين
وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل
منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد الحر منا فاقض بيننا فحكم بينهم عليه السلام بالسوية او هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا
فقيل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقيل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد
وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا ايتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسختها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسختها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بيان لحال الامرين اثر تخييره
عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام
الا لطلب الايسر الاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله
عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى
وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدا فحال
من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة
ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك
تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى

وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما
وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم اي انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك
الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التوراة كلام مستانف سيق لبيان علو شان
التوراة ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام
محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور
حال من التوراة فان فيها ما يبين الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها
وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بالظلمات نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل
وهم موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من التوراة فتكون حالا مقدرة
اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر ما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم
وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة
فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ايراد
في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك
قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود بانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم
السلام مع ملاحظة ما ضمنه بعد قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم
اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم
وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل المراد للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه
وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنين للذين هادوا
والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده حبر بالفتح والكسر والثاني افصح وهو
راي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط
المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب
لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير
والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها اولا
ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها
بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله
بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم
انبياؤهم وسالوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعلق حكمهم بالموصول من حيث
المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة
اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء يحمونه من ان يحوم
حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو
وكذا اجاز الزمخشري كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي كلفهم الله تعالى حفظه
وكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين
فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبياء

وبين عيسى بهم من الربانيين والأحبار المتقدمين علما وحفظا فإن ذلك مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة
عليها بأي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جرأتهم على ذلك خشية ذي سلطان أو رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما
صريحا أي إذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة أحكامها وحفظها بمن قبلكم من الأنبياء وأشياعهم
واخشون في الإخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا بآياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن
أي أخذها بدلا مما كان له عينا كان أو معنى أخذا منوطا بالرغبة فيما أخذ والإعراض عما أعطى ونبذه كما فصل في تفسير قوله تعالى أولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا بآياتي التي فيها بأن تخرجوها منها أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلا منها ثمنا
من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليل مسترذل في نفسها لا سيما بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها وإنما عبر
عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود الأصلي بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة لتحصيله وأبرز الآيات التي حقها أن يتنافس فيها
المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل إيذانا بتعكيسهم وجعلهم المقصد الأقصى وسيلة والوسيلة
الأدنى مقصدا ۞ ومن لم يحكم بما أنزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فإنهم مندرجون فيه اندراجا أوليا أي من لم يحكم
بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار
معناها كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم به وهم إما ضمير الفصل أو مبتدأ ما بعده خبره والجملة
خبر لأولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير حيث علق فيه الحكم
بالكفر بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء أنه
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ۞ وكتبنا عطف على أنزلنا التوراة عليهم أي على الذين هادوا وقرئ وأنزل الله على
بني إسرائيل فيها أي في التوراة أن النفس بالنفس أي تقاد بها إذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين إذا
فقئت بغير حق والأنف يجدع بالأنف المقطوع بغير حق والأذن تصلم بالأذن المقطوعة ظلما والسن
تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص ۞ أي ذات قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ أن الجروح قصاص وقرئ العين وما عطف عليها بالرفع عطفا على محل أن النفس
لأن المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس إلا أن فيه إجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة
تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها فمن تصدق أي من المستحقين به أي بالقصاص أي من عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق
للمبالغة في الترغيب فهو أي التصدق كفارة له أي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق
سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى
فأجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيدخل فيه المخاطبون دخولا أوليا بما أنزل الله من الأحكام
والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الأحكام المحكية دخولا أوليا فأولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده
الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لإيجاب العمل بالأحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان أحكام الإنجيل
إثر بيان أحكام التوراة وهو عطف على أنزلنا التوراة أي آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان إذا أتبعته إياه فحذف المفعول لدلالة
الجار والمجرور عليه أي قفيناهم بعيسى ابن مريم أي أرسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التوراة حال من عيسى عليه السلام
وآتيناه الإنجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التوراة وهو في محل النصب على أنه حال من الإنجيل
أي كائنا فيه ذلك كأنه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوينهما للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وأعيد فيه حكم الحالية كرر ما بين يديه من التوراة زيادة التقرير وهدى وموعظة
للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين
لأنهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه ۞ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أمر لهم بأن يحكموا ويعملوا بما فيه من الأمور
التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من أحكامه وأما الأحكام المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما
أنزل الله بل هو إبطال وتعطيل له إذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبأن أحكامه

ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل الآية وقيل هو حكاية
للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كما في قولك أمرته
بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل إلخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على أنها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم
أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه آتيناه إياه أو معطوف على هدى وموعظة على أنهما مفعول لهما كأنه قيل وللهداية والموعظة آتيناه إياه وللحكم بما أنزل
ومن لم يحكم بما أنزل الله منكرا مستهينا فأولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الإيمان والجملة تذييل مقرر
لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالأمر وفيه دلالة على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع
مأمورا بالعمل بما فيه من الأحكام قلت أو كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة
خلاف الظاهر وأنزلنا إليك الكتاب أي الفرد الكامل الحقيق بأن يسمى كتابا على الإطلاق لحيازته جميع الأوصاف الكمالية لجنس الكتاب
السماوي وتفوقه على بقية أفراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على أنزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف
وقع حالا مؤكدة من الكتاب أي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل أنزلنا وقيل من الكاف في إليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه
حال من الكتاب أي حال كونه مصدقا لما تقدمه إما من حيث إنه نازل حسبما نعت فيه أو من حيث إنه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة
إلى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الأعصار
فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث إن كلا من تلك الأحكام حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
وليس في المتقدم دلالة على أبدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وإنما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها
بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس إذ المراد هو
الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وإن كان في نفسه نوعا خاصا من مطلق الكتاب عرفا قالوا اللام للعهد إلا أن ذلك
إلى خصوصية الفردية بل إلى خصوصية النوعية التي هي أخص من مطلق الكتاب ومن الكتاب السماوي أيضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه
أي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء
مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تميز أحكامها الباقية على المشروعية أبدا عما انتهى وقت مشروعيته
وخرج عنها من أحكام كونه مهيمنا عليها وقرئ مهيمنا عليه على صيغة المفعول أي هو من عليه وحوفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه والحافظ إما من جهته تعالى كما في قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو الحفاظ في الأعصار والأمصار
والفاء في قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الأمم مهيمنا
عليها من موجبات الحكم المأمور به أي إذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين أهل الكتاب عند تحاكمهم إليك بما أنزل الله أي بما أنزله إليك
فإنه مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الإلهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز
الصلة للحكم والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم ولا تتبع أهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه
وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله أي لا تتبع
أهواءهم عادلا عما جاءك وفيه أن ما وقع حالا لا بد أن يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول للإيماء بما في حيز الصلة
من مجيء الحق إلى ما يوجب الاجتناب عن اتباع الأهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل أهل
الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره
من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين
خاصة بل للماضين أيضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو إخبار بجعل ماض لا إنشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم
متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والأخير وسط حذفا من الصفة والموصوف كما في قوله تعالى
المعنى لكل أمة كائنة منكم أيها الأمم الباقية والخالية جعلنا أي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الأمة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التي عينت
لها فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليهما الصلاة والسلام
شرعتهم الإنجيل وأما أنتم أيها الموجودون فشرعتكم القرآن ليس إلا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين

لكم سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر
اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها
احكام شرعنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف
بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية لا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي ولو شاء
ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه
النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما
آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية
على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون
الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم
معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين
من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروا انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب
في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد
والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول
واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما
كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله عليك لتأكيد وجوب الامتثال
او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وتكرير الامر بالحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما بعده من قوله تعالى واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد
تهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل
الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت
انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله وارادوا غيره فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع كمال عظمه واحد من جملتها
وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا
من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر معتدون فيه خارجون عن الحدود وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم
الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم
المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب
والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون
حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان
بني النضير تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة وطلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل
الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع
محذوف كما حذف في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير
القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي احكاما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه
احسن من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله لقوم يوقنون اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون

يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم
وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم
احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق
به النهي بعضهم اولياء بعض اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال
في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب
عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم
بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج منه فان
انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم
ممن اليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يتولاهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة حقيقية وقوله تعالى
ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر
موضع ضميرهم تنبيها على انهم ظلموا لما انهم عرضوا انفسهم للعذاب الخالد ووضعوا الشيء في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم
مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يبصره كل من تأتى منه الرؤية وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته
الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول ان
جعلت الرؤية بصرية او مفعول ثان ان جعلت قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم
فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما في
اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقرئ فيرى بالياء على ان
الضمير لله سبحانه وقيل لمن تصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم
الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد
بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان
تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات
الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي تدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار
وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله
بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدائرة المعنى الاخير وفي نفسه
المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان يأتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين
بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه
خبر عسى وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد
بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام
على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون
المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل
الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق
الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من الموالاة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها
ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا

ويقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين
آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين
آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عنهم مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون
دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع
ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم ۝ اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي
بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده
وتخطئتهم في ذلك ويقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا بالكفرة انهم لمعكم فالخطاب
في معكم لليهود على التقدير الاول ومن جهة المؤمنين على الثاني من جهة المقسمين وجهد ايمانهم نصب على المصدر
نفسه وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا
بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم على المصدر
اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل
ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري او خبر ثان
للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ
للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا
حيث لم تكن لهم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى
وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجيبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء
الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وآذن
بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يقال في الحياة الدنيا فالمنافقون حينئذ خلاف ما كانوا عليه ويعملون عليه من لايه المؤمنين ومعاضدتهم
على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم
اشد اذعانا واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا اخلاف ذلك انما الذي ظهر منهم الندم على ما صنعوا وليس ذلك علامة
الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليس اقسامهم الا على ما اظهروه من الاعمال الكفرة حسبما يلي ذكره يا ايها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى
وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصداق من موالاتهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق
وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها وروي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ
وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله عليه وسلم
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود
المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد
تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم
عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح
بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري اضحت سجاح ووالاها مسيلمة
كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر
رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل

مسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي
يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه
معطوف عليها واختلف في هؤلاء القوم من هم فقيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم
الانصار رضي الله عنهم وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال
لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا
يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى لتضمنه
معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بين ما في قوله تعالى
اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم ومجيء الصفتين
لقوم ترك بينهما العطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف
كما في قوله تعالى هذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم
ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف
لا يخفى وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها
مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة
في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون
شيئا يلحقهم لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين والمعترض عليهم المعرضون التابعون
المصابون لسقي بلاده وكلمة ثبت في عدم جواز مباشرته والكل له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه لا انهم
مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل
والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار
الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة
الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين هاهنا من هو وليهم بطريق قصر
الولاية كأنه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة
ولا تخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية
لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين آمنوا لجريانه مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح
او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون
لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت
في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلاة
ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكاة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون
حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو اقتضاء من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى
تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شأنه جدير بالمعاداة
فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية
ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين خصوا

لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول فيه اشعار بانهم ليسوا مستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب
في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله
ومن الذين اشركوا فانهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم
او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء
لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة وفيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان
لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام
فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك اي الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزؤ به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء
ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا باهل الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم
بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه نقمة من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي
لغة اي تعيبون وتنكرون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله
من التوراة والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر
بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه ولاية وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول تنقمون والمعلل الذي الدين محذوف بدلالة ما قبله
وما بعده عليه لا انه وجهه فان اتخاذ الذين هزوا ولعبا والانكار الا انما فصل عن الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض
نقمتهم ليسجل عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا للنقم مع كونه في نفسه موجبا للقبول والارتضاء فالاستثناء من اعم العلل
اي ما تنقمون منا وما تعيبون لعلة الا لان آمنا بالله وما انزل من قبل ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين ما ذكرنا
سيؤمنون بما انكم انما نقمتم بسبب ذلك لا لامر آخر واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول
تنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا المخالفة حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه
وقيل على حذف المضاف اي اعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل عطف على
الواو بمعنى مع اي تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون
وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم والجملة حالية او معترضة وقرئ ان بالكسر والجملة حينئذ مستأنفة مبينة لكون اكثرهم
فاسقين متمردين قل هل انبئكم بشر من ذلك امر صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويبين ان ما نقموه منهم على زعمهم انما هو ما عليه
ارتضاه عندهم ايضا وكفرهم بما سواه امر عليه السلام عقيب ان بكتهم بما ان الحق المنقوم والعيب ما هم عليه من الدين المحرف سيما عليهم
في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض بلا تحكم التصريح بذلك على ركوبهم المكابرة والعناد
ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى الخبر والتنبيه المشعرة بكونه
امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر حيث كان مناط النقم هو المنقوم حقيقة او اعتقادا كان بجزء النقم عند تشريعه
قيل بشر من ذلك لم يقل بالنقم من ذلك تحقيقا لشره باسنده كره وزيادة لتقريرها وقيل انما قيل ذلك لانه وقعت عبارة اليهود حيث اتى
نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى
عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشر بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشر بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال
شره لعنهم الله شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان خيرا في نفسه محضا مثوبة عند الله اي جزاء
ثابتا في حكمه وهي مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ها هنا موضعها على طريقة
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر مبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب
لما اشير اليه بكلمة ذلك اي من لعنه الى آخره او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اي بشر من اهل ذلك والجملة على التقدير استئناف

وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية اما على حالها او بالنظر الى ما يناسب سياق النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه
قيل من الذي هو شر من ذلك فقيل هو من لعنه الله الى آخره او قيل هو السؤال من دين الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم
الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته
وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسطوع البينات وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم وهم اصحاب السبت
خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وضمير الراجع
الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع الضمير الخطاب لما انهم لانهم المقصود
الى اثبات الشرة باعدهم في حيز صلة من امور الهالة الموجبة لها على الطريقة المراسيم مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد
الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة ابنا للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطا
بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف في القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقدم او صار المذكور بعبد اثبات شرته وعلم وصفهم
فذاع انه الاصل المستتبع لسائر الوجوه وان دلالة على شرته بالذات لا عبادة الطاغوت على مبهم الاسم الطلان دلالتها
عليها بطريق الاستدلال بهم الاثار على شرتها وحصانها اعتقاده الكل بالقصد الى تبكيتهم اولا ثم يوصفهم بالاتصال لهم الى الحكم ولاجل
وقطاعه لا ابتداء فهم به واما للاذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرة او وقع على ترتيب الوجود وقيل
من عبد الطاغوت لعنه الله وغضب عليه لانه آخر زمانهم ان علة الشرة هو المجموع وقرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة
على انه جمع كفطن ويقظ وكذا عبد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على انه اصله عبدة فحذفت التاء
للاضافة وبالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقيل
ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف ولا يخفى ان ذلك مع اقتضائه اخلال النظم الكريم من المرام
المذكورة بالمرة مما لا سبيل الى قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الكلام الاستفهامي كما زعم بل سيق الكلام المقصود لمن
المخاطبين وتوجيه اذانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بحكاية خبر موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها ومن المقصود افادته غاية الزجر
والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول في حيز صلة بدلا من الجملة الاستفهامية فانى يتحقق عقيبهما جوابا عما نشأ من السؤال الحاصل للالزام
والتبكيت واما الجملة الآية فبمعزل من صلاحية جواب كيف لا وهو لا بد من موافقة في الكيفية بسؤال الناشئ من الكلمة الاستفهامية قد عرفت ان السؤال
الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من جهة الخبر لا خبر كما في الجملة المذكورة وستسمع ذلك بالايضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت
العجل وكل من اطاعه في معصية الله عز وجل منهم احكام من الشياطين وصح وجه آخر ذكر عبادة عن الطواغيت المذكورة او لوقت
عليها لوهم اشتراك الفريقين في كل العقوبات ولما كان ذلك ما ذكر بعد السكت انه هو شر ما نقموه منهم او ان من هو شر من تلك النقوم
المنقسم بما قدر من المضافين كانت الشرة على كلا الوجهين من الموضوع غير مقصودة الا بالتبع لها او لا محالة ذلك ثانيها لهم
على وجه يشعر بعلة ما ذكر من القبائح لشو تحالفهم بجملة مستأنفة ناشئة من جهة سبقت شهادة عليهم بكمال الشرك والضلال او داخلة تحت الامر
تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عن كرت صفاتهم الخبيثة بما فيه من معنى البعد
للاذان ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرهم
وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون
دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما سلكوه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في
في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من شاركهم في اصل الشرك والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس
من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم
او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك
متلبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد
وان دخلت لتقريب الماضي من الحال لتصح ان تقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم ظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى لذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد شديد

لهم ۝ وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين
وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بالمقام وظهور نفاقهم والمسارعة في الشيء
المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تعالى ترى كثيرا منهم
يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثم والعدوان
اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح
لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار قال الحسن رحمه الله الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض لمن يقتدي بهم افناهم وتعليم
مباحة ما هم فيه وتوبيخ على ما يسامحهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم
لها لبئس ما كانوا يصنعون وهو ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة
تامة ولذلك ذم به خواصهم لان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا
بابلغ ذم وفيه ما لا يخفى على العلماء من التشديد في النهي عن المنكرات لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن
آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اخصب الناس فلما
عصوا الله تعالى وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا
يد الله مغلولة ولما لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل احدهم
وارادوا بذلك لعنهم الله انه تعالى ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات
يد وغل او بسط الا ترى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله ۝ جاد الحمى بسط اليدين بوابل ۝ شكرت نداه تلاعه ووهاده ۝ ولقد
سلك لبيد هذا المسلك الشديد حيث قال ۝ وغداة ريح قد شهدت وقرة ۝ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ۝ قال فانما اراد بذلك اثبات
القدرة اي للشمال على التصرف في القرة كيف شاءت على طريقة التمثيل من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كما في قوله تعالى
المعنى يحتمل كالرمز في قوله تعالى لا ينظر اليهم يوم القيامة من سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل النكد او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى يغلون في الدنيا ويسحبوا الى النار
باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا عطف على الدعاء
الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اي بسبب ما قالوه من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر
يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما تنتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم
وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة
واردة لتأكيد كمال جوده والتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى
ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي
ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سيأتي من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التوراة الآية وكيف ظرف لينفق والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق
اي ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر ما يتعلق به للقصد الى التعميم وليزيدن كثيرا منهم من علمائهم ورؤسائهم
ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليسوا كذلك من ربك
متعلق بانزل كان الكل كذلك وتأخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يقدم على المنتهى قضاء لحق الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول
اليه عليه السلام طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديم اما من حيث الشدة والغلو
واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا
والقينا بينهم اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا تكاد تتوافق قلوبهم
ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين وقيل العداوة اخص من البغضاء
لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي الى يوم القيامة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير اليه

من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك
متن كل صعب ذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف
وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مغايرا
ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك
اطفأ نائرة فسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد
ولو ان اهل الكتاب اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تأكيدا للتشنيع
فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم واقامتهم له لا محالة فكفرهم وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع فقوله
توبيخا آمنوا محذوف لظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان
اكثركم فاسقون وما حكي من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة الخ اي لو انهم مع ما عدد من سيئاتهم آمنوا فيندرج فيه ايمانهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام فحسب فيأباه المقام لان ما ذكر فيما سبق وما حكي من كفرهم به عليه السلام ليس
مشعرا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مما يخل بجانب اطراف النظم الكريم واتقوا
ما عدد من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم
بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وكرر اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان
الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام
التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ
بعضها بنزول القرآن فليست من اقامتهما في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان
للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر مرارا وفي اضافة
الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبيائهم اي من بني اسرائيل ككتاب شعيا وكتاب حيقوق وكتاب دانيال
فانها مملوءة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات
السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطوا
ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كما قيل لاكلوا من كل جهة ويقول كله الخصب
لعقد التعميم والمعتمد نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومفعول المرضعين لا بد القاء وفي ابن الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان
والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال بها ما لا يخفى مع ان في تعليقهما على ذلك تنبيها على ان ما اصابهم من الضنك والضيق
انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض تعالى منهم امة مقتصدة جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين
بحرف الامتناع الدال على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان
فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما في قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدأ التخصيص بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول
اي ساء ما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون
ككعب بن الاشرف واشباهه الروم يا ايها الرسول نودي عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان
بما امر من تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى من ربك
اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك
مكروه ابدا وان لم تفعل اي ما امرت به من تبليغ الجميع كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا تعلق
له بالاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليس مما قصد تبليغه الى الناس فما بلغت شيئا من رسالته لما ينبئ عنه عنوان الرسالة بالمرة

لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها
لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شئ واحد لا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن ولان
كتمان بعضها اضاعة لما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل كانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى
فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمة من يحميه من
بروحه العزيزة باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس
حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين
تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في اهل
الكتاب لما ان الكل حوادث شر الكفار بجملتها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهدتها وخصوصا ما يتلوها من النعي الناعي عليهم
كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شئ اي دين يعتد به ويليق بان يسمى
شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا التوراة والانجيل اي تراعوهما
وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما
مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شئ بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت
العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروج ما كان من احكامها عما قرره النبي الذي بشرتا ببعثته وذكرتا علامات
نبوته فان ادنى اقامتهما ان شاهدتا بنبوته والعمل بما قرره الشرع من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم اي القرآن
المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات رعاية لحق الشهادة
واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مأمورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه
بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب
الالهية فانها بأسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء جماعة من اليهود
فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التوراة حق من عند الله فقال عليه السلام بلى فقالوا فانا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها
فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد
وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للايذان بانهم لا ينتفعون بتلك النسبة فلا تأس على القوم الكافرين اي لا تأسف ولا تحزن
عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب في تحصيل المذكور من الايمان والعمل الصالح اي الذين
آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم اولا والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون والنصارى
جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا
انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها
حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر ان مقدر لدلالة ما
بعده عليه كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل النصارى مرفوع على الابتداء وقوله تعالى والصابئون عطف عليه و
من خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ من الخبر ولا لعطفه على الضمير في هادوا
والابتداء معا واعتذر بان ذلك اذا كان المذكور خبر الجميع واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه لا على الضمير
لعدم التأكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة تخفيفا للهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو

لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من
منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه وقوله تعالى فلا خوف الخ كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث منهم
ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فانه بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه
الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد
بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين
او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان
ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل من ان من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان
بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي بالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة
وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم
ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ
الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد
من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار
المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار وفريقا
آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضارها للتعجب منها والتنبيه على ان
ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر واما جعل الشرطية
صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صلة او صفة تفيد انتساب الحكم وتجعل عنوانا للموصوف
وتبرز في ثانية امر اخر ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند المخاطب كما في الصلة وصفاته ومن هنا قالوا ان الصفات
قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان سوق النظم الكريم انما هو لبيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب
حسبما جعلها اسنادا على ابلغ وجه وآكده لا لبيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما يستدعيه جعلها صفة وحسبوا
ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بلاء وعذاب بسبب ما فعلوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء وقرئ لا تكون
بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها مع انها للتحقيق لتنزيله منزلة العلم
لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله تعالى
فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعدما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق
الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افسادهم حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم
وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارمياء عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عهد
موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم من الفعل بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا
عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بختنصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس
الى بيت المقدس فعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بختنصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا
وكانوا احسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم

وانبيائه عليهم السلام فاسروا على من كان فيهم من اتباع بختنصر فعادت فيهم الامر ثم رجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك
قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام واسناد التوبة اليهم
مع ان ما حوالهم من حسبان الى العمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم انما اشير اليها ضمن بيان نعمته تعالى عليهم بتسديد لسان نقضهم لها
بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخرى من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام
الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت من ان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان الاقتصار على ما حكى عنهم ههنا في المرتين مرتبة
على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عز وعلا اعلم بالكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم
اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة او خبر مبتدأ
محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة رعاية
للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل
نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب فعملوا ما عملوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها
فكيف لا يؤاخذهم بها ومن زعم ان ذلك حسبان الباطل فقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بختنصر عامل لهراسب
على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ
التوراة وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى ما حكى عنهم من حسن الحال
ثم عادوا الى المرة الاخرى من الافساد فسلط الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خردوس وقيل خردوش ففعل بهم ما فعل
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يتقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني
ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ
باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم
الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء الذين قالوا ان مريم ولدت الها هم الملكانية والاريعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية قالوا ان الله
حل في ذات عيسى واتحد به تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم
للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد
مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه اي الشأن من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد
حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه الى المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة
ومأواه النار فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار
اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمقابلة من كان بالافراد في الظالمين اي الشفعاء
للقطع بالحسن من شأنهم ذلولا اوليا وصنعه على الاول موضع المضمر تسجيلا عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل
مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل
على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا
معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول
وانت خبير بان التعبير عما حكى عنه عليه السلام من مقابلة لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم المساعدة
على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن افادة تحقيق الدعوى بصيرة الضعيف وتهوين لخطب ما تكلموا به من الافتراء وكذا حمله على المعنى الثاني لا يلائم
تربيته النصر لا سيما مع ملاحظة قوله وانكم لا تعطون فيه الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من كلامه عليه السلام فان حمله
على نفي نصرتهم الفاسد بما ذكر من عدم الانتصار بعد زجره اياهم بما مر من التأكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة وان حمل على تسلية
منه الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة
ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصبه
اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى ومريم وكل واحد

من هؤلاء الثلاثة اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة آلهة
من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات
الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد
الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى
ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي والله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضعه الموصول لتكرير
الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى منهم بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر او تبعيضية اي ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم
تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعي عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم
اي نوع شديد من الالم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى الله تعالى ويستغفرونه لانكار الواقع
واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة
والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله تعالى ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد عليها
او عدم التوبة معناه ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك تحقيقا لما يوجبها من
تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم
الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استئناف مسوق
لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اقصى ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة
اكمل افراد الجنس واخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار
على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة
لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الالهية اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية
من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى وهو
اعجب منه وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى عليهما السلام
مظاهر لشؤونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن في الاتصاف بهما فما رتبتهما
الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استئناف مبين
لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات
تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين
والجملة في محل النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة الناطقة ببطلان ما تقولوا عليهما نداء بكونهما من جنس البشر ثم انظر
انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها وكلمة ثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت
العجيب من العجب اي ان بياننا للآيات امر بالغ اقصى الغايات من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب واعجب قل امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من
دون الله اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والمراد
عبارة عن عيسى عليه السلام وايراده بكلمة ما تحقيقا لما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي
لا قدرة لها على شيء اصلا وتوصيفه عليه السلام بذلك وان كان لا يملك ذلك بتمليك الله تعالى اياه لكنه لا يملك من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا
والمصائب ولا مثل ما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى
والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ ومقررة للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله تعالى
ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال
الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة والقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل

اليم

الله

قل يا أهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له إلى فريقي أهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد إبطال مسلك كل منهما للمبالغة
في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وإرشادهم إلى الأمم الحق. لا تغلوا في دينكم أي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى
عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة إلى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية إلى ما تقولوا عليه من الكلمة
الشنعاء وهو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان أهلية الكتاب لتذكر أن الإنجيل أيضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى
غير الحق نصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي غلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا أو حال من ضمير الفاعل أي لا تغلوا مجاوزين الحق
أو من دينكم أي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
هم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من قبل البعثة على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم وأضلوا كثيرا
أي قوما كثيرا ممن شايعهم في زيغ الضلال وإضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح
محجة الحق وتبيين مناهج الإسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل
والثاني إلى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا أي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني
إسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم متعلق بلعن أي
لعنهم الله تعالى في الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم
آية فمسخهم الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين
والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك إشارة إلى اللعن المذكور وإيثاره
على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال فظاعته وبعد درجته
في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل
بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وقوله تعالى
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه استئناف مفيد لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمرار الاعتداء بتعاطي المنكرات
وليس المراد بالتناهي أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن أشخاص متعددة
من غير اعتبار أن يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء حال ناهى عن الأمر وانتهى إذا امتنع
منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صراحة وعلى الأول إنما تفيد استمرار انتفاء النهي عن المنكر ولكن حيث
كان فيهم من يتولاه في وقت من الأوقات من ضرورة استمرار فعل المنكر حسبما تحقق على كل تقدير فيما يفيده منكر المنكر من الوحدة النوعية
ما قيل وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي لما أن متعلق الفعل إنما هو فرد من أفراده وتعلق النهي والانتهاء إنما يتعلق بالمنكر باعتبار تحققه
في ضمن أي فرد كان من أفراده وعلى المعنى الأخير لفظا بالنسبة إلى زمان النزول لا إلى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة
إلى تقدير المعاودة أو المثل أو حمل الفعل عبارة عن الإرادة على أن المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول بل لا بد من المصير إلى أحد ذكر
من الوجهين أو إلى تقدير المثل أو حمل الفعل على إرادة وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء أعمالهم
وتعجيب منه بالتوكيد القسمي لا فقدانهم إلى ما شرح من اللعن الكبير ليس بسبب ذلك لأنه على خروجهم عن السبيل مع الإشارة إلى
ما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فإن إجراء الحكم على الموصول يشعر بعلية ما في حيز الصلة له لأن ذكرى أمر المشتمل على كفرهم
ترى كثيرا منهم أي من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأضرابه حين خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية
بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا أي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وقيل منافقي أهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم
أنفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
تنبيها على أن كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد ومبالغة في الذم أي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة خبره
والرابط عند من يشترط هو العموم أو الابتداء لأن الجملة عين المبتدأ أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف هي جملة مستقلة كأنه قيل ما هو أي شيء
فقيل أن سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم أنفسهم جملة في محل

الرفع على أنها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء المحذوف شيئا قدمت لهم وفي العذاب
أي عذاب جهنم هم خالدون أبد الآبدين ولو كانوا أي الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب يؤمنون
بالله والنبي أي نبيهم وما أنزل إليه من الكتاب أو لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا إيمانا صحيحا ما اتخذوهم أي
المشركين أو اليهود أولياء فإن الإيمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين
والإيمان بالله ونبيهم وكتابهم أو متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا
جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين أكدت بالتوكيد القسمي
اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد صالح له إيذانا بأن حالهم مما لا يخفى على أحد من الناس
مسند إلى اثنين أحدهما أشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لأنه محط الفائدة فهو الخبر لا المبتدأ
ولا يضر التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل وها هنا دليل واضح عليه وهو أن المقصود بيان كون الطائفتين أشد الناس عداوة
للمؤمنين لا كون أشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وإن حيرانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والإفادة في الصورة
الثانية والكلية خلو ما عن التقدم وإن خبر المبتدأ كأن قصدت أن تعرف من أشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبع أحوال
الطوائف طرا وأحطت بالأمم خبرا وكنت تعرف أحوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في طلبت عندهم من الأمور البارزة والكامنة
لتجدن الأشد تلك الطائفتين لا غير فاللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لأنها مبنية
عليها كما في قوله رهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة أي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الأنبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم
وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما أن تقدمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم أحرص
الناس على حياة ومن الذين أشركوا إيذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا أعيد الموصول مع صلته
روما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا إنا نصارى عبر عنهم بذلك إشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون أنهم أنصار الله
وأوداء أهل الحق وإن لم يظهروا اعتقاد حقية الإسلام وعلى هذه النكتة بني الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى
أخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شدة العداوة وضعفها
في شدة الضعف أو بالقرب والبعد بأن يقال أخيرا ولتجدن أضعفهم عداوة الخ أو بأن يقال أولا لتجدن أبعد الناس مودة إلى آخره للإيذان
بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت وما بين أحدهما في أقصى مراتب أحد النقيضين والآخر في أقصى مراتب النقيض الآخر ذلك
أي كونهم أقرب مودة للمؤمنين بأن منهم أي بسبب أن منهم قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس
صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء فسمي
عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل قص الأثر وقسه بمعنى وقيل إنه أعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيع النصارى الإنجيل
وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل ومن راعى سنته ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان
وقيل إنه يطلق على الواحد وعلى الجمع وأنشد قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لأقبل الرهبان يعدو ونزل والترهب
التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لإفادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في التعليل لأنها
أدت إلى التمايل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فإن اتصاف أفراد كثيرة للجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها وإلا فمن اليهود أيضا قوم
مهتدون ألا ترى إلى عبد الله بن سلام وأضرابه قال تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إلى آخر الآية لكنهم لم يكونوا
في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم إلى جنس اليهود وأنهم لا يستكبرون عطف على أن منهم أي وبأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق
إذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع أفراد الجنس بسببها لاقترانهم مودة المؤمنين وفي الآية دليل
على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كان ذلك من كافر وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول
عطف على لا يستكبرون أي ذلك بسبب أنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة
خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبائهم إياه ترى أعينهم تفيض من الدمع أي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب

من امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين
الموصول اي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لانهم عرفوا بعض الحق وحيث ابكاهم
ذلك فكيف بهم لو عرفوا كله وقرؤا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا او بمن انزل هذا عليه او حال
من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين
اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امة محمد الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستأنف وارد تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه بتقدير كلمة على ان قوله
لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجه الانكار والنفي الى السبب
جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وذلك
فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اافترى كذلك ما الاستفهامية
قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية التي مر وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية فيهما اعني كلا
من عدم الايمان وعدم الرجاء متحققا وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الآية الاولى
فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها العامل في الاولى مقيدا بها اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة
الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين او معطوف على لا نؤمن
على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي
ورأيه فاثابهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين
اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه
ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن
وقيل نزلت في ثمانين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع انه ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه
كانه لما تضمن ما سلف مدح النصارى على الترهب والحث للمؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك
اي لا تمنعوا انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون
واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
فنزلت ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما
فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اراد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين
تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم حال منه تقدم
عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا
حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون تاكيد للوصية بما امر به
فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والامتناع عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي
لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما ظن وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على انه قربة لما

فلما نزل النهي قالوا كيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء بلا قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة
رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان ووثقتموها
عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم
فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شأنها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز
ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة
مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون
الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم
عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير ان يكون بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف
وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق انسان وشرط الشافعي رحمه الله
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة
فصيام اي فكفارته صيام ثلاثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى التتابع ذلك اي
الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر كما يشعر قوله تعالى اذا حلفتم وقيل
بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اي
مثل ذلك البيان [illegible]
محذوف اصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين تقدم على الفعل لافادة القصر [illegible] ملكية المذكور فصار
المقصد لانه [illegible] كذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه واحكامه
لا بيانا ادنى منه وتقدم لكم على المفعول [illegible] لعلكم تشكرون نعمة فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول
وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شأن الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان
في محل الرفع على انه صفة رجس كائن من عمله لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي
راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيق تفسير لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في الآية الكريمة بفنون
من التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وجعلا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة محققة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية المقتضية
للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلاة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان
حالهما وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلاة
بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد
والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا
عنه واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال
بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل
وبقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف

والطيعوا الله

الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم انهم
بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا اي تناولوه اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه
قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب
فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا اعم من المباحات خاصة الا انه لزم تقييدها بحسب اتقاء عدد ما
من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصيصها ذلك القيد
الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات
والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه بانتفاء
بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا
عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء
عليه لما ان الاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك
مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه
واحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيصه والمراد لذكر تحقيق الحكم بها
بل بيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعته
ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب
اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت
في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بتلك الاحوال الحميدة وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء
في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي
بتعيينه كلمة اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص
بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا
بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة وقد قيل
التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله سبحانه
ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط
والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول
اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل والله
يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم
معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق قال مقاتل
نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر عمرو
فطعنه برمحه وقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية فالتاكيد القسمي في ليبلونكم
انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير
المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء ببذل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي

اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت عنده كيف يثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد
وجعلها تبعيضية باعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا بمعزل من التنبيه المذكور ليعلم
الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف
ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق
علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخاف وان كان متعلقا به لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو مناط الثواب والعقاب وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير
ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم على الاولين متعد الى واحد واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة
لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قيل اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا مترتبا على الابتلاء ولا بعد الابتلاء كما قيل لان نفس الابتلاء
لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب لتشديده بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة محضة
وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من
الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصي فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه
ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي
يوسع ظهره وبطنه جلدا وتنزع ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب
بالتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم لتاكيد حرمته مع كونه معلوما لاستتباعه له تعالى عن محل الصيد وانتم حرم لما
تحرمه ورتب عليه الكلام في الصيد المعهود حسبما سلف حرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا
كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون
الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه
عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما ان الآية نزلت في المتعمد كما روي ان ابا اليسر
الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا
باشتراط التعمد في الآية وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه
وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني
على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافة المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبر وقرئ بنصبهما اي فليجز جزاء او فعليه ان يجزي
جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته
هديا تخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهدى الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا لان الصوم لا يتجزأ فيكون قوله تعالى
من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله هو
المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله تعالى عنهم
انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الضبع صيد وفيه شاة
اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة المعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة
بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذا لم يكن ارادة الاول اجماعا تعين ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى
ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم تعتبر في الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه بل بالقيمة فما ظنك
الا وجه لما لا يعتبر بيان ان المنصوص عليه في امثالها انما هو المثل باعتبار القيمة واعلم ان مثل ما اعتدى عليكم لم يعتبر فيه الا المماثلة في النوع مع مراعاة
بينهما فلا عبرة بالمماثلة بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الصورية مع صعوبة ضبطها وتعسر المحافظة عليها واخرى لان العمد قد اوجب
فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق عموم مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواضع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الواجب لا
يحاذيه الحال المقتول انما هو مركب لا باعتبار ان محله خالى الاسناد فيصير الى الصفار استدلالا باعتبار ان محلها مثيلا فيقدر بها فدى

الخصال الثلث فيعتبر مقابلها نفقه تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في حال
بناء على وصفه الاول الذي هو المماثلة وما بعده من الطعام والصيام فقيمتها ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم
فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي باذن الله تعالى وهذا يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اى بمثل ما قتل
ذوا عدل منكم اى حكمان عادلان من المسلمين وانما لم يكتف بالواحد لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء
المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك شيء من العقلة عما اراده والدابة لها مثل لان ما جلوه ذوا المماثلة بين الصيد
وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدى اليه الا ساطين اهل الاجتهاد
وصناديد اهل الهداية والارشاد الا انه دون بالقوة القدسية لا يرى ان الامام الشافعي اوجب في الحمامة شاة بناء على ما
بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يحكم بها احاد الناس
الذين لا يهتدون الى رؤية الهلال فان اجتماع ذوي العدل ممن عادة الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فيعد ما عين بمقابلة كل نوع من انواع
الصيد نوع من انواع النعم تم الحكم ولا معنى لعود قوع خصوص صياد بحادث حتى يحتاج الى الحكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون
الوحدة وقيل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصيصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء
لما ذكر من تخصيصه بالصفة او بدل من مثل فمن نصبه او من محله فمن جره او نصب على المصدر اى يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ
الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه
وقوله تعالى طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اى هي طعام مساكين وقوله تعالى
او عدل ذلك صياما عطف على طعام كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعدد هم فحينئذ تكون
المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر بها الهدى والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها
بدلا من الآخر هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء ولا يخفى ان سبك النظم الكريم يقتضى ان تقدير الطعام والصيام بالقيمة ابتدا لا يتوقف
على الهدى ينتقض لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات معا او كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم
وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل
بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول
وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عندهما وعند ابي يوسف وللحكمين عند محمد رحمهم الله ليذوق وبال امره
متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اى فعليه جزاء ليذوق الى آخره وقيل بفعل دل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق سوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فأخذناه اخذا وبيلا
ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرأ لثقله عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان يراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل عما سلف في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم
فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
اى فهو لا يخاف وقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلا والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد
بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب
ذو انتقام شديد ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اى ما يصاد في المياه كلها بحرا كان
او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول وطعامه اى ما يطعم من صيده والمعنى احل لكم التعرض
لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم
صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص
بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عليه السلام اى احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم
يأكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اى متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم
فانه في قوة متعكم به كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ

وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة
ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل
ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا اذا ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرم
عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي
التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت كعبة
لتربيعها والمكعبة المربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح
دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال وهو على الاول عطف ما بعده على المفعول الاول
كما سيجيء وذلك على انه المفعول الثاني وقيل جعل بمعنى الانشاء والحق انه حال كالمفعول معنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم
في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع
اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اى الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول
الثاني محذوف ثقة بما مر اى وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد من الهدي وخص بالذكر
لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله
النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اى شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع
الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم
خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتأكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان
الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب
وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانهماك فيها
بعد تعاطيها ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اى الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ
بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا
قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد
به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تحلوا شعائر الله الى العقوبة وقيل نزلت في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي كانت تجارة اى اعتقدت منها مالا فهل ينفعني من ذلك المال
ان عملت فيه لطاعة الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب
والخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم
الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى
هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول
ولو اعجبك كثرة الخبيث اى وان سرك كثرته والخطاب لكل احد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها
المقدرة وقيل للحال ومعناه اى لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك كما في قوله تعالى في موضع الحال من فاعل لا يستوي اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض
كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اى كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة
والتأكيد وجواب لو محذوف في الحالين لدلالة ما قبله عليه اى لا يستويان في حقيقة موقع عدم الاستواء باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولي الالباب
اى تحروا الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير
بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع عند الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت
الصرف لالف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيء كبين مخفف من بين والاصل اشيئاء كأنبياء بزنة افعلاء فاجتمعت

همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشياي فاجتمعت ثلاث
اولاهن عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنع الصرف لالف التأنيث وقيل انما حذفت من اشياء الهمزة
التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داخلة معها في حيز النهي
عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقب بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال
لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء المسوءة بالوحي كما ينبئ عنه
تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك
مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم
الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا
مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها اغتممتم بها ولم تطيقوا بها ونحو بعض امور
مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله
تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد
مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه
في المسألة فقام عليه السلام مغضبا فخطب فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا ارى احدا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام
رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه فقال يا نبي الله من ابي فقال عليه السلام ابوك
حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال اين ابي قال عليه السلام في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد رسولا فانا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم
عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستوجبة للمؤاخذة وقد عفا عنها
وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض
عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها والجملة صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها
بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها كما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائها ان الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو
وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله صفة له وكلا ما ذكر منتف
قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها ان سلم دخولها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء
التي تسوؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عنها او بسبب المسألة كالحج
لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة لمساءة السائل كخطاب الاب الذي في مسألة لا يجاب المسؤول اذا كان بحيث
وجود شيء من خيره ما موجبة للاخرى قطعا ليست مما يختص بحين خلاف ان انما غرضه من السؤال ظهور الامر كيف كان بل لعلها
تحت ايجابها مما علم عنها بحسبه لحالها بل تحقيق المنهي عنه كاستبراء من ذلك المنهي وشدته لا تملك الخبيثة الحج
لاشتمالها الازجار لا حيث ايجابها المسرة ولا حد يرد الا ما يجاب ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة
للمساءة مستلزم لابدائها البتة فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم تفرض في كل عام قلنا لو قوع السؤال قبل ورود النهي
في انه خطيئة انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ الشديد والتخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال
المتردد بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان تعلق الابداء بها الذي
وقع في نفس الامر لا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع موجبا للمسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو
الذي تعلق الابداء الا انه فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة

للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل الوقوع عند المكلفين
حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وحاصل الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي توجب
ابداؤها المساءة اما بان يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فيبدى عند السؤال بطريق الانشاء كالتكاليف الشاقة التي يشق تركها ويثقل
التكاليف الشاقة واما بان يكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فيبدى عنه بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا
وتوهم عدم الفرق بين الشيء وبين ابدائه بناء على عدم امتيازها موجودا او بعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وليس كذلك
عند المكلفين ولا علم لهم بشيء من احتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذرا من ابداء المكروه
والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم
بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سأل امثالها من المسائل لكن لا عينها بل شبهها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم
ذكر المثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها ثم اصبحوا بها اي بسببها او بمرجوعها كافرين فان بني اسرائيل كانوا
يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما
ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن
ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان
الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت
ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبح الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع
من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فان الجعل
كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس يجيء اخرى الى واحد كما في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل
الباطلة وهذا شأن رؤسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله عليه السلام كما يشهد به سياق
النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم
عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي الذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله
من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجب اي احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها
وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او ايقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا
لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا
مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان
وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلأن يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة
والتاكيد وجواب محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو
من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدة المبالغة في الانكار والتعجب بيان ان ما قالوه موجب للانكار
والتعجب اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل ان الواو للعطف والمعطوف عليه مقدر والجملة حال
هكذا ما عطف عليها احسبهم الحال على الوجه الاخير بمجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى
اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم واصلاحها
وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجب عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر
او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة

لا يضركم بكسر الضاد وجزمها من ضاره يضيره ويضوره وأما رفعه فعلى أنه كلام مستأنف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة
لا يضيركم أي لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم مهتدين ولا يتوهمن أن فيه رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا
ومن جملة الاهتداء أن ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره فليغيره
بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقد روي أن الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا أيها الناس إنكم تقرؤون
هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله
بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا الآية فيقول أحدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم
منكر أو سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق على الله تعالى أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون
على الكفرة وكانوا يتمنون إيمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالأمر والنهي وقيل كان الرجل إذا أسلم لاموه وقالوا له
سفهت آباءك وضللتهم أي نسبتهم إلى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بأن ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه إلى الله لا إلى أحد سواه
مرجعكم رجوعكم يوم القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه أحد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من أعمال الهداية
والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا أيها الذين آمنوا استئناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة
بأمور دنياهم إثر بيان الأحكام المتعلقة بأمور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم
بالرفع والإضافة إلى الظرف توسعا إما باعتبار جريانها بينهم أو باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى إذا حضر
أحدكم الموت أي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فإنه
في تهوين أمر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فإن في الإبدال تنبيها على أن الوصية
من المهمات المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف أي شهادة بينكم شهادة اثنين
أو فاعل لشهادة بينكم على أن خبرها محذوف أي فيما نزل عليكم أن يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والإعراب كما سبق وقرئ
شهادة بالنصب والتنوين على أن عاملها مضمر هو العامل في اثنان أيضا أي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم أي من أقاربكم لأنهم
أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحري ما هو أصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان أو آخران عطف على اثنان
فما ذكر من الخبرية والفاعلية أي أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران أو ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران أي
كائنان من غيركم أي من الأجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها
قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم إن أنتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره إن ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهو رأي جمهور البصريين
وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد إن الشرطية كجوازه بعد إذا وقوله تعالى ضربتم في الأرض أي
سافرتم فيها لا محل له من الإعراب عند الأولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فأصابتكم مصيبة الموت
عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن سافرتم فقاربكم الأجل حينئذ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام من يتولى
أمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فليشهد آخران أو فاستشهدوا آخرين أو فالشاهدان آخران كذا قيل والأنسب أن يقدر
ما يستلزم فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين أو فأن يشهد آخران على الوجوه المذكورة وقوله تعالى تحبسونهما
استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما أي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف
من بعد الصلاة وقيل صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن اللائق إشهاد الأقارب أو أهل الإسلام
وإنما إشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة إليه وأنت خبير بأن تخصيص الحبس بالآخرين مع شموله للأولين أيضا على تقدير اتصافهما
بذلك بأنه تمام الارتباط بينهما إذ الآخران شأنهما الحبس والتحليف وإن لم يتم الكلام باعتبارهما لا ربط لها كما ينبغي للاعتراض اللائق المراد
بالصلاة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل
الأديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد أي صلاة كانت لأنها داعية
إلى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى إن ارتبتم

شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والإقسام عليه سيق من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس
والتحليف بحال الارتياب أي إن ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا
جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فإن ذلك إنما يكون عند سد
جواب الأول مسد جواب الثاني لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله إن أتيتني لأكرمنك لا ريب في استحالة ذلك ههنا لأن القسم وجوابه كلاهما من تمام
الشرط من جهته عز وجل والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه لا بذله وتحصيلها كما قيل وإن كان مستلزما له فإن المعتبر في عقد
جهته هو جانب السلعة المقصودة عند البيع ثم استعير لأخذ شيء بإزاء شيء عينا كان أو معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والإعراض عن الآخر
كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لأنفسنا
أي من حرمته عرضا من الدنيا بأن نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير
مضاف البتة أي لا نستبدل بصحة القسم بالله أي لا نأخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بأن نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب أي لا نحلف كاذبين
كما ذكر وإلا فلا سداد للمعنى سواء أريد بهم الصادق أو الكاذب أما إن أريد به الكاذب فلأنه يكون حينئذ هو المعتبر في الاستبدال كون
مرغوبا عنه للحالف كرامة اسم الله تعالى وصفة الصحة والصدق للقسم والأمر في القسم الكاذب ليس كذلك وأما إن أريد به الصادق فلأن المحذور
أن يميل بسببه إلى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه وإنما المحذور في ترك استعماله فلا إمكان لأن يصح تعلق الشراء
إلا باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا فتعين جعل المأخوذ استعماله مأخوذا وترك
استعمال الصادق كما في صورة تعذر الصادق فإن إزالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف لا يكون إلا بوصف الكذب له تعالى وقوله تعالى
ولو كان أي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى أي قريبا منا تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ
لأنفسنا بدلا من حرمة الله تعالى مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء لكن كيف إذا لم يكن كذلك وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
أي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو أعجبك كثرة الخبيث وقوله تعالى ولا نكتم شهادة الله أي الشهادة
التي أمرنا الله تعالى بإقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وبغيره كقولهم الله لأفعلن إنا إذا لمن الآثمين أي إن كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة
وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها فإن عثر أي اطلع بعد التحليف على أنهما استحقا إثما حسبما اعترفا بقولهما
إنا إذا لمن الآثمين أي فعلا ما يوجب إثما من تحريف وكتم بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع
في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران أي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر
بين المبتدأ وبين صفته التي هي الجار والمجرور بعده أي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي
لم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق وإبراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما من الذين
استحق على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وأبي رضي الله عنهم أي من أهل الميت الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم أي
الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي اليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أي استحقا عليهم أن يجردوهما للقيام
بها لأنهما أحق بها وتظهر بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء
للمفعول وهو الأظهر أي من الذين استحق عليهم الإثم أي جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هما فقيل
الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة وقرئ
الأولين على أنه صفة للذين إلخ مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية
وانتصابه على المدح وقرئ الأولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة
أحدهم أربع شهادات بالله أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها أحق بالقبول من
شهادتهما أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه
لا حقية في يمينهما رأسا إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم
أي ما تجاوزنا فيها الحق أو ما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما إنا إذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا

من الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب كتمان شهادة الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم
ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما
اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة
وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن زيد
خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض
بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه
ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا لا ندري انما اوصى الينا
بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا الاية فاستحلفهما
بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو ما قبضا له شيئا ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء
وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من
بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل قوله عز وجل فان عثر الاية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما
وفي رواية والى اولياء الميت اعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ
ذلك كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا
بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة فيها خوفا من العذاب
الاخروي هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين
على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الاخرة بسبب اليمين الكاذبة
او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فيتحرزوا عن الخيانة المؤدية اليه فاي ما وقع حصل الذي
هو الاتيان بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها
فيظهر كذبهم بنكولهم وانما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق
والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشهود مضطرون فيها الى الجواب فالامتناع
عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او واما نسبة
ذلك شهدائهم على ان احد الامرين الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى الخوف مع ان
ما يقتضي احدهما يقتضي الاخر لا محالة ففيه بحث فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون به سماع
طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا اما بناء على ان الملابسة المصححة ليست الا
الظرفية والمظروفية ونحوهما فقط بل هو متعلق مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الا
كوان ومالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى مما يتبادر منه الى الذهن ان المتقي اي شأن من شؤونه واي فعل من افعاله
وقيل هناك مضاف محذوف به يحصل الاشتمال اي اتقوا عقاب الله فحينئذ يحرز اشتماله بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا
وما عطف عليه اي واحذروا او واذكروا يوم يجمع فان تذكر ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وجل وتلقي امره بسمع الاجابة
والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف
اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة
والدواهي العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل يكون من الاهوال والاحوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد الهول وتخصيص الرسل بالذكر لا لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس بل لابانة
ومنه وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم للايذان بشرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم

اتباعا لهم ولانها سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يحشرون على وجه الاجلال
واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما تعرب عنه تخصيص السؤال
بجواب الامم اعراضا وضجرا الا لقصد الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وما ذا اي قوله تعالى ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل
فهو نصب على المصدر اي اي اجابة اجبتم من جهة امتكم اجابة قبول او انكار وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه
اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين فتوجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول
عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا للايذان بكمال تحقيرهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة
على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى
واحاطته باحوالهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال اعراضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت
علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى
بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة
وانك انما تعرفهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وهذا خبر ان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة
وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه
التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام
قد تم عند قوله انك اي انك الموصوف بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى ابن مريم شروع في بيان ما جرى
بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين
شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين
من اهل الكتاب الذين بعث عليهم هذه السورة الكريمة حيث انهم فيصله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت لاعضادهم وادخل في زجرهم
عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما
من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما
او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد به امره عليه السلام بذكر النعمة المستتبع لشكرها لتكليفه عليه السلام
شكرها والقيام بمواجبها لات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام وتعداد
تلك النعم حسبما اتاه الله تعالى اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما عنه النظم الكريم توبيخا وزجرا
للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهم جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي
عليكما وقت تأييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تأييدي لك وقرئ ايدتك والمعنى ايدي اي قويتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيا به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الاثام او يحيا به الموتى او النفوس
حياة ابدية وقيل الارواح مختلفة بالحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكانت
روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلا استئناف مبين لتأييده
عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تلك الحالين كان على نسق واحد
بديع صادر عن كمال العقل مقارن لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لانه عليه السلام رفع قبل
التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك
الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بناصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتوراة
والانجيل خصا بالذكر لما مر اوله الكتاب الخط والحكمة اظهار لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير اي تصور منه صورة مماثلة لصورة الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون تخلق
صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرته الاسباب كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى

فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى
للطير بل عن مجرد تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا القول من جهة الله تعالى تكريرا لما في الطير مع كونه شيئا
واحدا اشارة الى ان كلا من التصوير والنفخ امر عظيم مع انه لا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني
عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذني عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت
عظاما نخرة بارزة وبعد حلول حقيقته تذكره وقد نقل انه اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية وتكرير باذني في المواضع
الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له وخصصها به
وانما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني اسرائيل عنك عطف
على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار
بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فانهم لما سمعوا ذلك قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم
عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى
ما جئت به والتذكير لان اشارتهم الى ما راوه من جنس السحر من حيث هو سحر او من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين
فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها
وهي وان كانت في الحقيقة عين النعمة جعل التي اضيفت اليها تلك الظروف من التاييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق
المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية جعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية
في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فان الظرف موضوع لزمان نسبتين مختلفتين او تعيين واحدة منها بعلاوته الموقع للخطاب
دون الاخرى مرادا افادته وتوجيها ايضا بقصدها الى الجملة المعينة ثم انه الاولى ويجعل ظرفا لسوال الثانية ثم قد يكون المخاطب المتميز
بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الى ردمه المخاطب ونوع احسانك اليه مع احسانه اليك كما هنا
متغايران بالذات وقد يكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية ردا عليه كون منعه منها احسانا اليه
لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه
تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان في قوله تعالى ان
آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان
به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا
استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بما ذكر من وحدانيته
تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى حكمه
دائر ولعلهم به بك نوع جليل كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة عليه الا ترى ايضا راي انه عليه السلام لما لم تلقه يوما
بدرهم يسأل الله تعالى الطعام جعل يلبس المسوح وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايما امسى
بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موقع
الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب
وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عنهم من
المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الى آخره وقيل ظرف لقالوا ارادة بيان ان
ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
وحيثي انهم مع كونهم مؤمنين او لا قصد كانوا اكفر شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كما ادعوه من دعوى
الايمان والاخلاص ومع كونهم مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والعلم لا لازاحة الشك هل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه

وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة
علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه
كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال
ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين
اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات
وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال
اي ليس مرادنا بالسؤال ازالة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها
اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم
الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا
وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون
منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام
للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء تشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول
او حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا
في ذلك او انهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح
وصلى ركعتين فطأطأ راسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات
ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة
من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها عيدا ولنا
حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير
عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم
هناك متواترة وهنا من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت
يوم الاحد ولذلك اتخذ النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا
بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق
لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادة
بيان السؤال من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول ابراهيم
عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اخطأ الرد عنهم ما نوكده وتقريب العمل قال الله
استئناف كما سلف اني منزلها عليكم ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء عليه السلام بصيغة
الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الى
مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة
من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد

فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين ويجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذب تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير لكنوا ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي عليه السلام او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر لهم وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما او الى واحد فهو حال من المفعول وايراد الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل لان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعل اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دون الله والمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى غير ذلك اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام ومريم رضي الله عنها لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل اذ ليس من معالي جنايتهم عبادتهما مع عبادته تعالى كانه تعالى ... ولم يتعين ... فعل ما يحمده واستعمل ما يحمده كذاب من جملة فان ... بما يعتقدونه ... لا يلائمه ... قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية

السؤال كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك وانما قدم التنزيه على الجواب تعجبا من ان يكون ذلك شركا لا رسمه فلابت في سلك النظم الكريم ومنشاؤه قوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بما في خبرها من الباء فان اسمها ضمير العائد الى ما وخبرها بحق والجار والمجرور في لي للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي لا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها لا لكونها محلا لها وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه مدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعول مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امري وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية بتقدير مضاف اي مدة دوامي وفيهم صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تأكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر كان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم المراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فريقين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا ويحصل النفع بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدق لهم المعتقد لهم حق المعتقد بالحكاية تعلقت بمعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان الكافر في الدنيا نجاة لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا وهو المستتبع للنفع ومنه واستمراره في الدارين اي لا جالبه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع الجزائي حالا وفيه ايضا قراءة اي الطيب ما في حينها الجمهور ...

إلى بيان النظم الكريم وسببه وقد قرئ يوم بالنصب على أنه ظرف لقال فهذا حينئذ إشارة إلى قوله تعالى أأنت قلت إلى آخره
وإما على أنه خبر لهذا فهو حينئذ إشارة إلى جواب عيسى عليه السلام أي هذا الجواب واقع يوم ينفع إلخ أو إلى السؤال
والجواب معا هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لأنه مضاف إلى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزي الآية لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل ما لهم من النفع
فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف آخر لبيان أنه عز وجل أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنات
ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه إذ لا شيء أعز منه حتى يمتد إليه أعناق
ذلك إشارة إلى نيل رضوانه تعالى وقيل إلى نيل الكل الفوز العظيم لما أن عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب
الذي يتعلق به الفوز وقد عرفت أن لا مطلب وراء ذلك أصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والأرض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه
على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وأمه أي له تعالى خاصة ملك السموات والأرض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف
فيها كيف يشاء إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة وأمرا ونهيا من غير أن يكون لشيء من الأشياء مدخل في ذلك وفي إيثار ما على من
المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للأصل وإشارة إلى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الألوهية والإيذان بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الأشياء
قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة أولا بالاسم الجليل الذي عليه يدور كافة ما يوجب من صفات
الكمال وإليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للإيذان بأنه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص حقيقته سبحانه لاختصاص
جميع أفراده على الطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الإجمال من عظائم الآثار وجلائل
من جملة عز وجل الذي خلق السموات والأرض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار أفعاله العظام والآلاء
الجسام أيضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي أجلها نعمة الوجود الكافية
في إيجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الأنفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد أي
أنشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين على أنواع البدائع وأصناف الروائع مما تحار في فهمه العقول
والأفكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لأولي الأبصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها
وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الأرض كما هي وجعل الظلمات والنور عطف على خلق
مرتب عليه لكون جعلهما مسببا عما كان خلقهما داخل معه في حكم الإشعار بعلة الحمد فكما أن خلق السموات والأرض وما فيهما
لكونه أثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد به تعالى كذلك جعل الظلمات والنور لكونه أثرا خطيرا ونعمة عظيمة يقتضي اختصاصه
به تعالى والجعل هو الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام
كما في الآية الكريمة وللتشريعي أيضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وأيا ما كان ففيه إنباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر
بأن يكون فيه أو له أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على أن يكون
عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك
فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدم عليه لكونه نكرة وأيا ما كان فهو قيد
في الكلام حتى إذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم
وربما يشتبه الأمر فيظن أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة من أن الظرف متعلق بجاعل
وقد أشير هناك إلى أن الذي يقتضيه الذوق السليم ويستدعيه النظم الكريم أن يتعلق بجاعل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول إلى آخره
هو خليفة ... وجمع الظلمات لظهور كثرة أسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور

لتقدم الإعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة
مسوق لإنكار ما عليه الكفرة وبطلانه بديهة العقول والمعنى أنه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل
من شؤونه العظيمة الخاصة الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه أي يسوون به غيره في العبادة
التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادئ الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح
ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا لبعده عنها بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير أن
يجعل كفرهم بما يجب أن يؤمن به كلا أو بعضا عنوانا للموضوع فإن ذلك مخل باستبعاد ما أسند إليهم من الإشراك وإيثار صيغة يعدلون
ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل
وترك المفعول لظهوره أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم إيذانا بأنه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية
المفعول وأما جعل الباء صلة لكفروا على أن يعدلون من العدول والمعنى أن الله
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمه فيرده أن كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم
أشد شناعة وأعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل ليحتمل مع اعتبار ذلك فيه ... عمدة في الكلام تعقيبا للإفادة وإخراج
أعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا يليق بشأن الكلام فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقيل إنه معطوف على خلق السموات والمعنى أنه تعالى
خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه لا على أن تعدّ صلة مستقلة لتكون من قبيل الحمد لله الذي
عدلوا به بل على أنه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم الكفرة به
... في سلك الصلة المفيدة ... عز وجل ... أن يكون له دخل في ذلك الانتظام ولو في الجملة لا ريب في أن كفرهم بمعزل من
الدخل ... على كمال الجود كما قيل الحمد لله الذي أنعم على من لا يحمده ... النظام و
كيف لا وسياق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية إساءتهم مع نهاية إحسانه تعالى إليهم
لا بيان نهاية إحسانه تعالى إليهم مع غاية إساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح أنه لا سبيل إلى جعل المعطوف مرادا في
عليها لأن حق الصلة أن تكون غير مقصودة الإفادة فما ظنك بما هو من ذاك وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل
وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به إثر بيان
بطلان إشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع أن ما ذكر من خلق السموات
والأرض من أوضحها وأظهرها كما ورد في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعثهم فدلالة
بدء خلقهم على ذلك أظهر وهم بشؤون أنفسهم أعرف والتعامي عن الحجة النيرة أقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ أي ابتدأ خلقكم منه فإنه المادة
الأولى للكل لما أنه منشأ آدم الذي هو أصل البشر وإنما نسب هذا الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي
خلق أباكم إلى آخره مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في إيجاب الإيمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في إزاحة
الاشتباه مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين
خلقا لكل أحد من ذريته منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه
كما هو المعهود من سنة خلق الله تعالى وأدل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين أولى بأن يكون معيارا لانتهائها
فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل على هذا السر قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم إلى آخره وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما
... وقيل المعنى خلق أباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الأغذية المتكونة من الأرض وأيا ما كان ففيه من وضوح الدلالة
على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فإن من قدر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على إحياء ما قارنها مدة أظهر قدرة ثم قضى
أي كتب لموت كل واحد منكم أجلا خاصا به أي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للإيذان بتفاوت ما بين خلقهم
وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه حكمة الله وأجل مسمى أي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ تخصص بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن خير ولو

الاشتباه

في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه للتفخيم ولذلك
اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كتاب جيد كأنه قيل واي
اجل مسمى مثبت معين عنده لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته
او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان
التسمية الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل
الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو
ما روي عن ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا
للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم
تغير الاجل حينئذ عدم تغير آخره والاول هو الاظهر لان المتبادر من الاجل الثاني المذكور اختصاصه بعلمه تعالى والاستئثار به على معارضة للطائف الخبري
فان كون بعضه معلوما للخلق ومعظمه من غير ان يقع فيه شيء من الزوال كاف لسنده يحمل على المعنى الكلي يخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل
ونقصه ما ذكر في الاجل الاول تقديره ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة
الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة
وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على اعادتها
على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا يلوح ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين
والثاني اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رأيت ان ساق النظم
الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عنه بالاجل المسمى حسبما رجحه احد ما ذكر من الامور الثلاثة فاي شيء يمترون فيهم
بالامر الذي هو الشك توجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما يعرب عنه قولهم اءذا متنا وكنا ترابا
وعظاما انا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى وهو الله جملة
من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء
اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي
الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بالاشتهار
الذات بصفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق
الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله بل المراد
بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف وذلك يحل تجرده ملاحظا احدى
المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد قولك اسد علي لما اشتهر من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى
جري علي وبهذا يتبين ان ما قيل بصدد التوجيه والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض وهو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية
او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به والذي يقتضيه المقام حسبما ابين
لا اشتهاره بالوصف الا يرى ان كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا بل هو متعلق بما يفيده من الجراءة
والتفرد كما قيل هو المتوحد بالالهية فيهما وقيل ما يقع عليه الكل من اطلاق هذا الاسم عليه كما قيل هو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك
شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى الوصفية او الوقف على الله ... الكلام بطريق الاستئناف على حمل الاسم الجليل على معنى
المعبود بالاله على هذا القول قد جوزوا ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان ... مبالغة في العلم بما فيهما بتنزيل
علمه المقدس عن حصول الصورة والاشباح لكمال حضورها منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه
بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فقوله عز وجل يعلم سركم
وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيان وتقرير للمعنى
وتحقيق للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيده الجملة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال

المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة
لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الوجه الثالث فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من
ان دلالة الاستواء في الاسمية في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد بحق من ليس له كمال العلم
فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبود بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انه انما يستحقه من له كمال العلم بل لان
من العلم غير معتبر في مدلوله شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هو اسنادا بل هو معتبر فيما صدق عليه وبهذا يتبين انه ليس مبنيا على ما
ذكر ثانيا لما ان التوحد بالالهية لا يقتضي معنوية العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيان
وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو ويعلق الظرف المتقدم
ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه ... سركم وجهركم فيهما لتوسيع الدائرة
وتقرير انه لا يعزب عن علمه شيء فيهما اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب للملائكة تعسف لا يخفى ويعلم ما
تكسبون اي ما تفعلون لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق
على التفسير الثاني لظهور المغايرة بين الاعتبارين او الاكتساب يتعلق بها الجزاء من ثواب او عقاب وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم به سبحانه واعراضهم عن بعض آيات
التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر جناياتهم قد اقتضى ان يضرب عنهم خطابهم
صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع
لتهويل ما اجترؤا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك
الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته تعالى على الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم
الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما سيتضح واما الآيات التكوينية
الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل
شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها واثباته على ان اعرضوا
عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات
لغير ... مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما
وايما كان نصبها والالة فيه على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له اثر الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان
تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه وحاصل بسببه بل على ان
الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد حصل ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له
مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم
الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته وتمهيدا
لبيان ان كذبوا به ذي اثر له عواقب جليلة ستبدو لهم ... المعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما جاءهم
كذبوا بما ... من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تأويله كما ينبئ عنه قوله تعالى فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره وتوبيخا لهم بعلة
الحكم ... خبر القصة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان
النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة
وتقريره اي فسيأتيهم البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه اماثل يستهزئون

بذاناً بأن تكذيبهم كان مقروناً بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر واما ان اريد بها الآيات
التكوينية فالفاء داخلة على جملة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كأنه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا عجب فقد اعرضوا
بما هو اعظم منها ما هو من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلاً واما ما قيل
من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله ﴿ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن﴾
استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيأتيهم وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي
عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة […] سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة بأهلكنا
على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميزها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر
كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم […] او عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل
قرن واما انتصابها على المصدر او على الظرف على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة بأهلكنا اي
الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واما المضاف
[…] كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى ﴿مكناهم في الارض﴾ استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ
من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الى آخره وقيل صفة لقرن لكن النكرة مفتقرة الى التخصيص […]
[…] صفة لها […] على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون […] معطوفاً عليه
من […] الاربع […] بسياق النظم […] الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
موصوفين بكذا وكذا وبأنا اهلكناهم بذنوبهم وانه بين الفساد والتمكين في الارض جعله قاراً فيها ولما لازمه جعلها مقراً له […]
بكل منهما فعدي تارة بفي […] الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى باللام ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض
حتى جرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى ﴿ما لم نمكن لكم﴾ بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كأنه قيل فعل بهم ما لم نفعل
بكم وما نكرة موصوفة بما بعدها والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم والالتفات
لما في مواجهتهم بضعف الحال من زيادة بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر ﴿وارسلنا السماء﴾
اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها ﴿عليهم﴾ متعلق بأرسلنا ﴿مدراراً﴾ اي مغزاراً حال من السماء ﴿وجعلنا الانهار﴾
اي صيرناها ﴿تجري من تحتهم﴾ مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة
على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد تعداد
النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جنايتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان استجماعهم لجميع
اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئاً والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام
والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة
ففعلوا ما فعلوا ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد
والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه ﴿وانشأنا من بعدهم﴾
اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن ﴿قرناً آخرين﴾ بدلاً من الهالكين فبيان لكمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك
الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئاً بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى ﴿ولو نزلنا عليك﴾ جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين
الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله وتكذيبهم بالحق
واستحقاقهم بذلك لنزول العقاب […] عليه السلام مع […] بيان الآيات […] بمجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار
بعدهم في […] عليه السلام في […] فيما نزل عليه […] وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل
بن خويلد حيث قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
انه من عند الله تعالى وانك رسوله ﴿كتاباً﴾ ان جعل اسماً كالامام فقوله تعالى ﴿في قرطاس﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة له
اي كتاباً كائناً في صحيفة وان جعل مصدراً بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه ﴿فلمسوه﴾ اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى

قرن

﴿بأيديهم﴾ مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا
السماء اي تفحصنا اي فمسوه بأيديهم بعدما رأوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار
﴿لقال الذين كفروا﴾ اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى
حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضاً ﴿ان هذا﴾ اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب ﴿الا سحر مبين﴾ اي بين كونه
سحراً تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج ﴿وقالوا لولا انزل عليه ملك﴾ شروع في قدحهم
في نبوته عليه السلام صريحاً بعدما اشير الى قدحهم فيها ضمناً قيل هو معطوف على جواب لو وليس كذلك لان تلك المقالة ليست
مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يقولون بها كلما ضاقت
عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل
ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام
نذيراً اجيب عنه بأن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلاً لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته
يقتضي انتفاء جعله نذيراً وجعله نذيراً يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ﴿ولو انزلنا ملكاً﴾ على هيئته
اي لو انزلنا ملكاً على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى آحاد البشر الا يرى ان الانبياء
صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام
وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك ﴿لقضي الامر﴾
بالكلية واستحال جعله نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلال الحكمة التي عليها يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل
وتمهيد الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وفيه كما ترى ايذان بأنهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه
بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول للجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول
لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول الجاري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ﴿ثم لا ينظرون﴾ اي لا يمهلون بعد نزوله
طرفة عين فضلاً عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجأة العذاب
اشد من نفس العذاب واشق وقيل سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية
لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم والى الثاني بقوله تعالى ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ على ان الضمير الاول
للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والثاني للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيراً لجعلناه
رجلاً فقيل المراد منه ايضاً تحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية
الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبراً لانه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في ان
مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت الملكية مما اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه
المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولاً ثانياً لا محالة ولذلك جعل ما هو في الجعل الثاني كذلك
ليكمل التنبيه على ما هو الموجب لانتفاء الملزوم […] لا لما يرجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكاً لمثلناه
رجلاً لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلاً على بشراً ايذان بأن الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة
وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى ﴿وللبسنا عليهم﴾ عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاءً
بما في المعطوف عليه […] الامر على القوم […] عليهم […] وقرئ للبسنا بالتشديد للمبالغة
اي لخلطنا عليهم بتمثيله رجلاً ﴿ما يلبسون﴾ على انفسهم حينئذ بأن يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن
المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه السلام ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول
والتعبير عن تمثيله تعالى رجلاً باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سبباً للبسهم او وقع في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير
ملكاً كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم
الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه

الا

وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى «بالذين سخروا منهم» اي استهزءوا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما حل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق بالاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما للدلالة على ان النظر في آثار الهالكين لا ينبغي الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير للتجارة ونحوها انما كان لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان ما اصابهم من التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم ان المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله واعرضوا عن الآيات المنزلة وكذبوا بالكتب واستهزءوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فوضعه فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انهما من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من استعماله كلمة هنا بنوعها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيامة جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيامة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين او هم الذين الى آخره او هو مبتدأ خبره قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل

من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما يسكن فيهما ويتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعدما علمتهم ما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل اذ الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل منه فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه ولا يطعم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى اي وهو يطعم ولا يطعم على ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى اتشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وقرئ ببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل لي لا تكونن من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على امرت قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه من تأكيد اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق قوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيامة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ باظهاره والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اي ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف والرحمة لتأولهما بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية واللام للقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اي بلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسكه ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء ذكره روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي ميلا ثم التفت فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويأمر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدأ واكبر خبره وشهادة تمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه

او للايذان بتيقنه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل لظنهم شهيدا
في هذا الشان وقوله تعالى شهيد خبر مبتدا محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو
الجواب لانه اذا كان هو الشهيد فهو اكبر شيء شهادة شهيد له عليه السلام وكرر البين لتحقيق المقابلة واوحي الي
اي من جهته تعالى هذا القران اثبات لمعجزة رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام
مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر من الثقلين او لانذركم
ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك
بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عند غيرهم في الموجودين وفي غير المكلفين بوسيلة كما في اول سورة ... ائنكم لتشهدون
ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكاره واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر
للتاكيد انما هو اله واحد اي بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين
آتيناهم الكتاب جواب عما نشا من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى الخ من نعتك الشهيد مسارعة الى ازاحتهم لحجة
عن حكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الى الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء
الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة
فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه
لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة
بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم محل الموصول الرفع
على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من معنى الشرط وقيل على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين خسروا الى الخ وقيل على انه نعت
للموصول الاول فقيل النصب على الذم وقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الى آخره ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب
غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان فالمراد حتما انه اكرم
من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان
لا محالة او كذب باياته كان كذبوا بالقران الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات
وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده
بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير فان الذهن
لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان
الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية
القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه ايذانا بانه
اسم لا ان جنس لسماع كان فظيعا لا يفيء به نطاق المقال كما في يوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم انتقول كان من الاحوال
والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وبعد ... المنبئ ... على التحقق ويحسن ... وعطف قوله تعالى ثم نقول الى آخره عليه وقيل منصوب
على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول لهم فنقول
للذين اشركوا اي نقول لهم خاصة بطريق التوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد اين شركاؤكم اي الهتكم التي جعلتموها شركاء لله تعالى
وعطف الكفرة واضافتها اليهم لما انه لا شركة لها في الحقيقة وانما هي على زعمهم كما يعرب عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون اي تزعمونها شركاء

فحذف المفعولان معا والمراد بهذا السؤال المنبئ عن غيبتهم مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله ونحو ذلك من النصوص انما يقع بعدما جرى بينهم وبينهم من التبري من الجانبين وانقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه
قوله تعالى فزيلنا بينهم الى آخره ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما لعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها
بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف
بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة
من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا
مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك بانقطاع
رجائهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين
القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انها اسمه والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصبها
على انها الخبر والاسم الا ان قالوا وانما انث الفعل لوقوع الخبر مؤنثا كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها وفتنتهم بحسب المعنى
والحمل عطف على عذرهم او ما لزمهم يوم حشرهم كما تشير اليه الفاء فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء ما مكرهم والمراد بها جوابهم اي لم
يكن جوابهم الذي زعموه عذرا وافتخروا به من الاشياء المجوزة والتبرئة بان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما
جوابهم عذرا اذ العذر لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبري من الاشراك اي والله ربنا على ان الذي ادعوا اظهار الضراعة والاستغاثة
قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش حملا على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا
في الدنيا اي على خطا في معتقدنا اما لانهم يحسبون ان ينفعهم اصلا فانه مما يعلم انه لهم عذرا ولهم قدرة على الاعتذار بجملة ذلك محمل لكل
من اليوم قطعا على انه قد يقضي بطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم
في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في العادة وانما حمله على كذبهم في الدنيا فيحمل بحيث بين حال السائل عنه وتوجه
وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا
باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا
صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا منه بالمرة وقيل عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة
ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى ومن بعدها كلام مستانف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدا مسوق
لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر بما يستبعد عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا للمغرمة والضمير للذين اشركوا
والظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع منا دون ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع
والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات ذلك المذكور
وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى آخره روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول
اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من جملة
بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى
في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك والاكنة جمع كنان وهو ما يستر الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما استئناف للاخبار بما تضمنه من الحكم او حال من فاعل يستمع
باضمار قد عند من يعتبر اهل المحج الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس
ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القران المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا له لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة هو تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي
صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الآية وانت خبير بان مراده ذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القران والنبي عليه السلام جهلا وكفرا من انه
بمعزل من التصديق والا ما كان القران سحرا وشعرا واساطير الاولين فليس عليه ما تخيلوه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الا اخبار

بان سناك امرا وآذانا حال منهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل آية من الآيات
القرآنية اي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحد منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي
من حالهم حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله تعالى اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك حال
من فاعل جاؤك وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم
اذا جاؤك يجادلونك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
فان جعل احسن الحديث واصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها
ان تكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم يجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا تفسير للمجادلة والاساطير
جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر قال الجوهري الاصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين
والمجرور للقرآن اي لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به
وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي
ولعل ذلك هو السر في تاخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه السلام والمرفوع لابي طالب ولعل صيغة الجمع باعتبار اتباعه
فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه
عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا
الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم
بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون
اي يقصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها بل يزعمون انهم يضرون بذلك شانا
من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنهي عنه مطلق الضرر اذ غاية ما في الباب تعويقهم القدح
في القرآن الكريم المانعة في معنى حكمة وظهور امر الدين للانام بان يحيق بهم من الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق
المضارة بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي
فقصره على انفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار
شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب
اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى
حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من سوء حالهم وفظاعتها وجواب لو محذوف
ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى
يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا هي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
من قولهم وقفته على كذا اي فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد اي الى الدنيا
تمنيا للرجوع والخلاص منها ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة
باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا ونكون
من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من زمرة المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين
بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن اسحق
فلا نكذب بالفاء والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل نصب بان المصدرية من الفعل بعد الواو والتقدير يا ليتنا لنا
ردا فيعطف هذا عليه كما في ليت لنا ردا او انتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستانف تعوذوا به
ولا نعود اي انا لا نعود او عطف على نرد او حال من ضمير ونكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للتعليق
التكذيب الآية لما يتضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كما قال ليتني رزقت مالا كافيك على صنيعك فانه تمن في معنى

الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون كذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة
عن رغبة في الايمان شوقا الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفون في الدنيا من النار التي شاهدوها فاتوا
مواقعها فخافوا على ما لا يطيقونها فقالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سبق الكلام لتهويل امرها والتعجب من فظاعة
حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفرا به اخفاء له لا محالة واشارة على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه بالنسبة من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ما لا يخفى
من البعد واما الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم فلما اصل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا
يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون في بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة
النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين المجرور
للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبعيد لا غفلة عما في كل منها من الاعتساف والاخلال لا سبيل الى شيء من ذلك فيما عرفت من ان
سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة ما
لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور ايذانا بانه سبب اضطراب لما بعد ما قاسوه من النار بعد ذلك من كمال السبب في تمنيهم
المتعلقة اي وازجر الزواجر واسنادا الى شيء من الامور المذكورة [illegible] مع عدم جريان ذكره امر
تنزيه ساحة التنزيل عن شائبه وانما مما من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول السوء ظهر ابتداء قال ولو ردوا
اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب
المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب
في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض
مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص او لاخر ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث المعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا
لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي الحياة الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحياة كان لم يروا ما راوا من الاحوال
التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف هنا مجاز عن الحبس للسؤال
والتوبيخ كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال اليس هذا اشارة الى ما شاهدوه من البعث
وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو الا باطل قالوا
استئنافا كما سبق فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق اعترفوا بحقيته الآن
كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل
هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعدما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله
تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث والاحكام المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة
غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور يقال بغته بغتا وبغتة اي فجأة
وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر
فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم تبغتهم بغتة قالوا
جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادئ الساعة
سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا
اي على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت

في حسرة قيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع
وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي الذي يتقدم الواردة فمعنى فرطنا خلينا السبق لغيرنا فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات
وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار والاثقال والاثام اي ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من
العقوبات والتحسر ذلك في العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم لانه
يثقل على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المعتاد الكسب
بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله
وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حيوة اخرى
يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تلك الحيوة التي في انفسها اي ما اعمال تشغل النفس بغيرها عما ينفع به اللهو صرفها
عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار
اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك الاعمال الا لعب تشغل الناس
وتلهيهم عما فيه منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح
وللدار الاخرة التي هي محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة
بالالام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون
فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكان من الله عز وجل وان ما يفعلونه
في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بالفعل وتكثيره كما في قوله تعالى قد يعلم
الله المعوقين منكم ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما تخرج اليه رب في قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود
جريا على سنن العرب في قصد الافراط في التكثير بقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او عندي فارس
مجهول ربه بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل كثيره عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله
عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة
كما في الاية الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله ونحو ذلك قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى
كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف
اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ يحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى
فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا كأنه قيل لا بطريق التسلي عنه وعده هينا والاقبال الى
ما هو اتم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما يلي فانه مع كونه منزها من التسلية لما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم
لما حكي بنفسه بل بطريق التسلي بما بعده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله تعالى الى حيث لا يقادر احد
لم تعتبر حتى جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل عين تكذيبهم عليه السلام
واثبت لاياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عليه السلام في شان الله
عز وجل ففيه استعظام لجنايتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كأنه لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم بايات الله تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي
جحودهم فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود في موقع التكذيب
للايذان بان اياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم
كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي في التعلق شانه او اسنادا او اسنادا في الفعل نفسه والباء متعلقة
بيجحدون بتعالج جحده وبحده اي اذا انكره وهو صلة وقيل بتضمين جحدوا معنى التكذيب واما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم

لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق
هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة
فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه
لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله
كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك انك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت كان مدار الحمد
عنده الحيثية بمطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى
كما كذبه وكذبه وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول اكذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه
واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك افتتاح تسلية عليه السلام فان عموم البلية ربما
يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية
وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت وقد
وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كائنون من زمان قبل زمانك فصبروا
على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه فان ما مصدر من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم
وايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما ينالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الاذية لاستلزام
التكذيب اياه غالبا وان كان فيه تأكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا
غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوقع لا محالة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء
بشان النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد
الواقعة للرسل عليهم السلام الدالة على نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم
تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز
ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال
وقوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض
المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية واما كان فالمراد
منهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا الاية وفي محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد الى نبأ من
النبأ اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد
من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القران الكريم حسبما يفصح عنه
ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في محضر من قريش فقال يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فأبى الله ان يأتيهم بما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه اية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم
فنزلت وقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان
مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل
رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الى اخره شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول
والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا

فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السماء
تعرج به فيها فتاتيهم منها باية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم
حينئذ تفسيرية وتنوين اية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فعجل ذلك لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقا
والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض وتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت
في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على بالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه بحيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت
الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ذكر النفق والسلم مما لا يستطاع
ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعل بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا
معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم مع توجههم
الى تحصيله بل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه لكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي له
صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم
تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى اذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم والميل
الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه
واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الاول المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه السلام
من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب
الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي اذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى
لا يتصور منهم الايمان المترتب على السماع اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر دون
الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان
باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة
بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي هؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه
وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور ادخل في تحقيق المقام لانبائه عن كون رجوعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا
لولا نزل عليه اية من ربه حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القران الكريم وبيان ما يتعلق به ... اي هلا نزل عليه اية
ارادوا بها ... لعدم اعتدادهم بما شاهدوه من الايات التي تخر لها صم الجبال ... اجتراء على ...
انها ليست من قبيل الايات انما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف وما سياتي والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام مع الاشعار بالعلية
انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم ... وقوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل اية مع ان المراد بها امثال الخوارق
المذكورة لا اية ما من الايات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية موجبة لهلاكهم كانزال الملائكة او العذاب ونحو ذلك
تنوينها للتفخيم والتهويل كان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلية القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته
تعالى على تنزيلها مع انها ليست من قبيل الاتكال للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه
الاستدراك بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه
بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل اية من ذلك او اية اي اية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما في تنزيلها
قلع لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استئصال لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب
وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض
كلام مستانف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم
البالغة وزيادة من لتاكيد الاستغراق وفي الارض متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر
من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور

يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر
الا امم اي طوائف متخالفة وجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اي كل امة منها مثلكم
في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية
ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه وقال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه
ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القران على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء
مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القران شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح
جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط
بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره واياما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة
الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون
بيان لاحوال الامم المذكورة في الاخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها
بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدابكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء
من القرناء وقيل حشرها موتها ويأباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الايات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
اي اوردنا في القران جميع الامور المهمة وازاحة العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سمع تدبر
وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك
لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر وظلمات الجهل والعناد والتقليد خبر ثالث للمبتدا على انه عبارة
عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي او متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم
اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم
يفهمه بعبارة وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد عليه
باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشأ الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتاتى منهم
الايمان اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء
وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشأ الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له
دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب
اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل ارايتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف
حرف جيء به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ... على الاستخبار عن رؤيته قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها
اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة
اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارايتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم الهة كما تدعونها او ان كنتم قوما صادقين
فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الى اخره فان صدقهم اي صدق كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واذا جعل اخرا
ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمحل تحرير النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم
غيره تعالى عند اتيان ما ياتي لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء
جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشف اثر
دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استاثر الله تعالى
بعلمها فقد يفعله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يفعله كما في بعضها الاخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي
الذي من جملته الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط

الكشف منها مع تقاربهما وتأخر الكشف عنها لاظهار كمال العناية بشان الكشف الايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى
ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون
بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التكليفية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام
بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم
كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر
والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع
والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن
قست قلوبهم استدراك عما قبلها اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث
قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله والجملة استئناف لبيان
انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح
على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام
دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائرها وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كأنه قيل
ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا
فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم
فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال
فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة يستحق بها الحمد
واستيعاب تام من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم
وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان ان امرهم لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر
استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم
معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده
من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده
لانه في الاصل مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذاك
على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى
مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم
بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب وثم لاستبعاد صدودهم اي اعراضهم
عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص
العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاءة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان
وحيث تضمنت البغتة معنى الخفية قوبلت بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلائمه وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا
لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة او جهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها
اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم

عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم
الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين
الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام
بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كأنه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك
الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن فسر الهلاك بهلاك التعذيب والسخط ليتحقق الحصر باخراج غير الظالمين
لانه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد سها بتجديده ما عمل في الآية اذ لا يخرج النظم الكريم ورد
هل يهلك من افعالكم وما نرسل المرسلين كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل
عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه
العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم
ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار
دينيا كان او دنيويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والا لزم ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من
الرسالة واصلا وقوله تعالى فمن آمن واصلح تفريع لما يترتب عليه على ما قبلها من صولي والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل
او الآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الفعلين
السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء
دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء
الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار والا
في ذلك فان قولك زيد ما ضربت بعينه لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من آمن
ودخل في حكمه وقوله تعالى باياتنا اشارة الى ان ما ينطق الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار وتبليغ الاحكام آيات الله تعالى وان من آمن
فقد آمن بآيات الله تعالى ومن كذب فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان والتحذير عن تكذيبها ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا لاجل
ان يبشروا قومهم بما سيقع من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا او يتعاطون ما يستدعيها كما قلنا فمن اتى بما يقترحونه عليهم
مما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبيل التبشير والانذار في ضمن الآيات وعمل صالحا بحسب اصلاحه من اعمال داخل العمل
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا اي بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا
او آجلا او حقيقة العذاب حسب السلم لانطلاقه وتبا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق
والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شان ارسال الرسل وانزال الكتب
لاظهار تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن
مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال
ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبريا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي
خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما
ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي
بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة
حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر
قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب كما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على
تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد

على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه
بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن
قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال التي ينصر مثلا ينحل عند
التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه جعل النصر رشدكا الى ذلك وهو معنى قولنا فلان يعطي ويمنع ينحل
الى الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون
لي دخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق مع من يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها والتنفير
عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثبيت التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول
عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتعريف الآيات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة وقد بلغت مشاعرهم بالكلية التحقوا
بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي القام فابوا الا الاباء والتكبر وما يجمع منهم عظة ولا تذكر وما امر
بالانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التاثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي
سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام
كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر
راسا والقائلون القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون عمن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين
ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما اوحي او لما دل هو عليه من القرآن والمفعول
الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
المطلقة والتصرف الكلي لبيان مثالهم تحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا والظرف
متعلق بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا لا لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز
الخوف وتحقيق ان مناطه هو الخوف من الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف كان فانه قال المعترفين الجازمين به وغيرهم ممن تقدم ذكره من المنكرين له وعدم
الذي عليه يدور امر الانذار وانما الحال قيد لاخراج الحشر الذي لم يعتد بها عن حيز الاتعاظ المبني للاستراحة نحو الاتية حال لهم كما في قوله تعالى
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدارهم وهو فقدانهم ما علقوا به رجاءهم وذلك اما بولاية غيره سبحانه كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح ان ما قيل من ان
المراد بهم المفرطون من المؤمنين ليس كما ينبغي ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى
لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث
يؤدي الى طردهم روي ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب
وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم
معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن
ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا
يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا
نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا

هؤلاء وارواح جبابهم فجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا
منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا
فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود
في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا
ركبته فكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي
لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة
يريدون وجهه حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له وتقييده به لتاكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات
الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه
مسوغا للطرد من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي ما عليك
شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار
ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى
وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه
اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك تنزيل لجملتين
منزلة جملة واحدة لتاذية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى
للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم
حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب
النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشا عنه ما سبق من النهي
وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم فيه في امر الدنيا
من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم
قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم المقصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل
البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا
تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت
الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم
عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا
اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم وابطال
له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام للتقرير اي اليس الله
باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق
للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا هم الذين
نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص فيها تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل
وتاخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان كما ان مناط النهي عن الطرد ما سبق من المداومة
على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل تبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان
يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط
شيء اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى ونيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم لاظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد

عليهم ... فانهم ... وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسرها على تفسير الرحمة بطريق
الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن
لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اي
تدارك ما فرط منه وعزم على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف
وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر ما فيه من الكلام
اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتاء
الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم
يقصد بيانها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور كذلك نفصل الآيات
سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد والتاء للخطاب اي ولتستوضح انت سبيل المجرمين فتعاملهم
بما يليق بهم قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار
والتبشير بما يليق بهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا
اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه
من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وايذانا باختلاف القولين من حيث ان الاول
حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم
وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى
قد ضللت اذن استئناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى
وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام
والاستمرار كما مر مرارا اي ما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه اياه والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها
القرآن والوحي وقيل الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى
وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاده في نفسه مع تحقق ما يقتضي عدمه
من غاية وضوح البينة والضمير المجرور راجع الى البينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار
التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها
وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم
اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي
ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره
دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المشتملة على ما استعجلوه او ما لا يحكم
الا بما هو حق فحسب التأخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم
قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل من معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه
وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي
يستدعيه جزالة النظم وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم انتم به حيث اشركتم به تعالى
غيره وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسباقه ناطقان بان المراد هو تكذيبهم بآيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم سبحانه
في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد
بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي ان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره

وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى وقيل في تفسيره
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا وهو بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افادته
الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين
وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب وقوله تعالى
وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع
مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يتعلق علمها بفتح واما جمع مفتح بكسرها
وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى
خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم
لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص
به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات
اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على
اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها
فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة
دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف
على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال ظهور علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض
الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع
عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه
السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين
الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز اصلا وقيل التوفي استيفاء الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس
المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى ذلك
قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار
مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى
ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم
بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما تجرحون فيها
ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون
كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام
بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال ... الى كون البعث متعلقا
بالاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا
واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى
الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة والمحفوظ
محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جليلة لان المكلف اذا علم ان اعماله
تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه
وستره لم يحتشم احتشام من يعلم انه يعرض على احواله حتى اذا جاء احدكم الموت حتى هي التي يبتدأ بها الكلام وهي غاية

تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون أعمالكم مدة حياتكم حتى إذا انتهت مدة أحدكم
كائنا من كان وجاءه أسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض إليهم ذلك وهم ملك الموت وأعوانه وانتهى
هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا أو مضارعا بطرح إحدى التاءين وهم أي الرسل لا يفرطون أي بالتواني والتأخير
وقرئ بالتخفيف من الإفراط أي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقص والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما أمروا
به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه بأحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والإفراد أولا والجمع
آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع أي ثم ردوا بعد البعث بالحشر إلى الله أي إلى حكمه وجزائه في موقف الحساب
مولاهم أي مالكهم الذي يلي أمورهم على الإطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وأن الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي إلا
بالعدل وقرئ بالنصب على المدح ألا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لأحد غيره بوجه من الوجوه وهو أسرع الحاسبين يحاسب
جميع الخلائق في أسرع زمان وأقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الإلهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس
وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف في البر
والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الإنجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن أي من ينجيكم
منها حال كونكم داعين له أو من فاعله أي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية إما حال من فاعل تدعونه
أو مصدر مؤكد له أي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين أو تدعونه دعاء إعلان وإخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن أنجيتنا
حال من الفاعل أيضا على تقدير القول أي قائلين لئن أنجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين
أي الراسخين في الشكر المداومين عليه لأجل هذه النعمة أو جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن أنجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله
ينجيكم منها ومن كل كرب أمره عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للإيذان بأنه متعين عندهم كما سيأتي ثم أنتم
تشركون عطف على أنه تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه إلى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم أنتم تعودون بعد ما
هي النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا استئناف
مسوق لبيان أنه تعالى هو القادر على إلقائهم في المهالك إثر بيان أنه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لإشراكهم المذكور
على طريقة قوله عز وجل أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر إلى قوله تعالى أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث
على مضمونه الصريح لا علاقة به والمسارعة إلى بيان كون المبعوث مما يضرهم والتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به أيضا
أو بمحذوف وقع صفة لعذابا أي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط وأصحاب الفيل وأضرابهم أو من تحت أرجلكم
أي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم أكابركم وولاة أموركم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلاء وتنع الحلول دفع
فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح أو يلبسكم شيعا أي يخلطكم فرقا متحزبين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لإمام
فينشب القتال بينكم مختلطين في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض
عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات لتهويل الأمر والمبالغة في التحذير والبعض الأول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد
ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
بأس بعض هاتان أهون وعنه عليه السلام أنه قال سألت ربي أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته
أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال إلى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الأمر فيرجعوا
عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به أي بالعذاب الموعود أو القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك أي المعاندون منهم ولعل
إيرادهم بهذا العنوان للإيذان بكمال سوء حالهم فإن تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم
المجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور أي كذبوا
به والحال أنه الواقع لا محالة أو الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وأيا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل
لهم منبها على تولي أمرهم وعلى انكشاف ما هنالك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلي أمركم لأمنعكم من التكذيب

وأخبركم على التصديق بأنما أنذركم وقد خرجت عن العهدة حيث أخبرتكم بما سترونه لكل نبإ أي لكل شيء ينبأ به من الأنباء
التي من جملتها هذا الخبر أو لكل خبر من الأخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر أي وقت استقرار ووقوع البتة أو وقت استقرار
بوقوع مدلوله وسوف تعلمون أي حال ما سيكم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا أي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فأعرض عنهم بترك
مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للإعراض أي استمر على الإعراض إلى أن يخوضوا في غير آياتنا
والتذكير باعتبار كونها حديثا فإن وصف الحديث بمغايرتها مشير إلى اعتبارها بعنوان الحديثية على اعتبار كونها قرآنا وإما ينسينك
الشيطان بأن يشغلك فتنسى النهي عن مجالستهم ابتداء أو بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى أي بعد تذكر النهي
مع القوم الظالمين أي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بأنهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع
التصديق والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا
عنده وضعنهم في الآيات فأنزل الله كلما نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت أي ما على
المتقين قبائح أعمال الخائضين وأحوالهم من حسابهم أي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء أي شيء على أنه في محل الرفع
مبتدأ وما تميمية اسمها أو حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على أنه خبر للمبتدأ
أو لما الحجازية على رأي من لا يجيز إعمالها في الخبر المقدم مطلقا أو في محل النصب على رأي من يجوز إعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا أو حرف جر
ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق أي ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا
لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى إما النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المحذوف أي عليهم أن يذكروهم تذكيرا أو الرفع على أنه مبتدأ محذوف
الخبر أي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون أي يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول أي يذكرونهم رجاء أن يثبتوا
على تقواهم أو يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وأمروا بإقامة مراسمه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا
أو بنوا أمر دينهم على التقليد وتناولوا ما هو الحق بطريق الهزء وإنما يصدر عنه بطريق اللعب واللهو كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب
ونحو ذلك والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحياة الدنيا
واطمأنوا بها حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبدا وذكر به أي بالقرآن من يصلح للتذكير أن تبسل نفس بما كسبت أي مخافة
تبسل كقوله تعالى أن تضلوا الآية أو مخافة أن تبسل أو كراهة أن تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقرئ تبسل علمها
وأصل الإبسال المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت منه أو لأنه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام
ممنوع وقد جوز أن يكون الضمير المجرور في به مبهما إلى الإبسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له
كما في الإبهام أولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله عز وجل فقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء الآية على أنه بدل من ضميره والمعنى
وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استئناف مسوق للإخبار بذلك وقيل
في محل النصب على أنه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على أنه وصف لنفس والأظهر أنه حال من نفس فإنه في حيز النفي كأنه قيل أو
كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي لأنه في الأصل صفة له وقوله تعالى وإن تعدل الآية وقيل هو خبر
ليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان وإن تعدل أي وإن تفد تلك النفس كل عدل أي كل فداء على أنه مصدر
لا يؤخذ منها على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور لا إلى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فإنه المفدى لا المصدر كما هنا
أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافها بما في حيز الصلة أو من معنى البعد للإيذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء
والخبر قوله تعالى الذين أبسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت إثر تحذيرهم من الإبسال المذكور لبيان أنهم المبتلون بذلك أي
أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا الذين أسلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وقوله تعالى لهم شراب من حميم
استئناف آخر مبين لكيفية الإبسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين أبسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب
من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم وعذاب أليم بنار تشتعل بأبدانهم بما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم المستمر
في الدنيا وقد جوز أن يكون لهم شراب إلى آخره حالا من ضمير أبسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع أنهم معذبون

بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه الاقوى في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما سواه من
ومن سمعتا من المعاني البينة هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول
صفة او بدل منه ولهم شراب الى آخره خبره والجملة مسوقة لبيان تعقب الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان
بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها بشأن الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها
القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك
ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره
بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى ان الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى
رد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره
بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال
بعد اذ اهتدينا كما قيل ونرد الى الشرك بضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين
في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي نرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او
نعت لمصدر محذوف اي ردا مثل رد الذي استهوته الى آخره والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان طلبت
هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه الشيطان وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تعالى
حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري
ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة مسوقة لبيان حاله وقوله تعالى
يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى مبالغة كانه نفس الهدى ائتنا
على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان
المدعو ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدعى الى مرافقة الداعي وهو لا يجيبهم فقط قل ان هدى الله الذي هدانا
اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر
للاعتناء بشأن المأمور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى
مما يوجب الامتثال للاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين
لتعليل الامر وبيان ما اريد به من الامر لنسلم كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وقيل هي بمعنى الباء وقيل
ان اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلاة
واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجرد عن معنى الامر كتجرد
الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا بان اسلموا واقيموا الصلاة واتقوه لاجل ان نسلم ونقيم الصلاة
ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون جملة مبينة
موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض اي خلقهما وما فيهما وعدم التصريح بذلك لظهور
اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد اي قائما
بالحق او متلبسا بالحق او خلقا متلبسا به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض
ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد المكونات
في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن لحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق اي الواجب المعنى وانما قدم عليها اعتناء به
من حيث انه مدار الحصر وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول الكلام تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى امره المتعلق بكل شيء يريد
خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اي المشهود له بالحقية المعروف بها وقيل قوله مبتدا والحق صفة
ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال والمعنى انه الحق كائن حين يقول للشيء من الاشياء كن

كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه الحق وقوله الحق مبتدا
وخبر والفاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة
فيكون التكوين حشر الاجساد واحياؤها فالكل حق لا محالة وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم
مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية
والخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام معطوف على قل اندعو لا على اقيموا لكمال التباين اي المعنى
اي واذكر لهم بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت
قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها آزر بزنة آدم وعابر وفالغ
وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحاق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية
تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم
وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كانه قيل ... مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد آزر على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد
الى مفعولين هما اصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار
الوقوع وقرئ أأزر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا
ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى ألأجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما
آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله تعالى ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال
عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول
والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابراهيم هذه الاراءة من رؤية البصر المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه
وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى يفهم من قوله تعالى اني اراك وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك انتظم في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم
على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام
ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر زيد فيه
للمبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر وقيل هو مختص بملك الله عز سلطانه وقيل الاول هو الاظهر وقال
الراغب هو ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت
السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد
باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث
دلالتها على شؤونه تعالى ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كونه امرا بديعا فان الاراءة
البصرية المعتادة بمعزل من تلك الرتبة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى
وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة
عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك
التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه
الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل بها
وليكون الى آخره فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى

فلما جن عليه الليل عطف على الاول وسوق البيان عطف على قال ابراهيم داخل تحت الامر بذكره بالامر بذكره وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق والمعنى فان تعرفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفته سبحانه وتعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقتضي ان يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب التي هي تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور البحقيق انه كان قريبا من الغروب كما سيعرفه قيل كان ذلك الكوكب الزهرة وقيل المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين راى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول الخصم يحكيه على ما هو عليه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق عن اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل انه عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتها وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الى آخره تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال انت خبير بان ذلك مما لا يحتمله النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما راى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعيد بقليل وكان الكوكب قريبا منه والقمر في شرف الغروب اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي والتذكير لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى هذا اكبر تأكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتب هذا الحكم ونظيره على الافول دون البزوغ والظهور من ضرورة سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا للاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافية للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات اي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجزائها والارض التي تعيش فيها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله اي في شأنه تعالى ووحدانيته بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهته عز وجل مؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقكم

بالوجه الفقيد وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كالتعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار موضع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التأمل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كالتعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي بعد ما نفاه عنه بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الى آخره وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اأخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدا والواو كافية في الربط من غير حاجة الى العائد اي وكيف اخاف وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلان لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجيب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي الكلي فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريقين الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدا الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبر الموصول والامن فاعل الظرف لاعتماده على المبتدا ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدا والجملة خبر الموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدا ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبر الموصول اي اولئك

الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه
لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضيته الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر الاول
لوروده موردا لجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى
أتحاجوني الى قوله مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ
وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه
اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان
او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا
لتلك وبمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناها نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات
وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات
او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتأخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول
المشيئة محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية
فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب
وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين الخ ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض
عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون
العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له اسحق
ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه
على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما مر فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط
ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما
هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي أوتي ابراهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره
هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد والاحفاد وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيامة كل ذلك
لالزام من ينتمي الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان
الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس ان هؤلاء
الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما
اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب عليه السلام داود وسليمان
منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما ويتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المعطوف
من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط
عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي هديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك
اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين
جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وانما قدم جزاؤه عليه السلام مطلق الاحسان في مقابلة
بالاحسان والمكافأة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانبياء مما اختص
بابراهيم عليه السلام والاقرب ان المحسنين على عمومه وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما أوتي المذكورون من فنون
الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت للمصدر

محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة
للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه
والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي
المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها
وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس
قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل اي كل واحد من اولئك
المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به
للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
ولا اشتقاق له وقيل انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد
مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران بن اخي ابراهيم عليهم السلام وكلا
اي كل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض
كأختيها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا
من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم
عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم
من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف
يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء
المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم
واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل
والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد
بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث
بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة
اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم وبما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات
بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام
كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم
وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها
الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج من عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد
تحقيقه في سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن اعتقاد
حقيتها كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها واياما كان فتنكير قوما
للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي وما تقدم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف
وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما ليسوا بها بكافرين
بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الاوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف

المذكور اذ باهانهم بالقران والعمل الصالح يحصل لهم من ايمان الكفرة به والعمل باحكامه ما للانبياء والملائكة عليهم السلام
فانهم ليسوا من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة
الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده
واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن
اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف اقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على القران
او على التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة
ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم ان هو اي القران الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم
دون اخرين وما قدروا الله لما بين شان القران العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم ما اتاه وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر
يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى
حق قدره نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب موصوفه
اي ما عرفوه سبحانه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا
منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء نفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم
لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجليل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط والا فنفي
معرفة قدره سبحانه يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من ناجى مستقصرا لمعرفته وعبادته سبحانك
ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق
القران حين اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال
القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر روي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
انكار الرسول اليهم زيادة التقرير وتشديد التبكيت كذا التقييد بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد
ذلك اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او
بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التوراة فقط بل بانزال القران ايضا فان الاعتراف
بانزال القران ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا
بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه
القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة
القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد
الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها ومحل الكلام مسد الاكل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام
التوراة وقرئ الافعال الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل حال من فاعل تجعلونه
باضمار قد او بدونه على اختلاف الراي فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال
مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شنيع في نفسها
ومع ملاحظة كونه ماخذ العلوم ومعارفهم اشنع واعظم واما جعلها عبارة عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا

لما التبس عليهم وعلى ابائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
كما قالوا الان نعيم لذلك من القران الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق
بما فعلوا نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان لخلاف ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس مما وقع فيها من الامر والاشباه
الحال حتى تعلموا عن ذلك ايضا وبيانه فتكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا تستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ
ان تكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القران والاولى ان يحمل
ما عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان
مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومحققا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلم الكاتمون حتما واما قصد الخطاب لمن
من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا
بتعين الجواب للجحد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه
فلا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المتقدم او المتاخر او متعلق بمحذوف هو حال
من مفعول الاول او من فاعل يلعبون او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول القران
الكريم بعد تقرير انزال ما يشبهه من التوراة وتكذيب لكلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد جم المنافع مصدق
الذي بين يديه من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك
والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر اهل مكة
وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار سائر اهل الارض كافة
وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالاخرة
وما فيها من فنون العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنوا به
وهم على صلاتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين منها للايذان
بانافتها من بين سائر الطاعات لكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى
بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من تحليل البحيرة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم
وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي فيه وفي امثاله
كقولك ما افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى
ولم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام
اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل
مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى
الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي
المتسلط الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم
اي اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوها من العذاب اليوم اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعدها الى لا نهاية له
تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله
غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها
ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان
والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعدده او حال
من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم

ما خولناكم تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم
كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على انه
اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا
بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته
اثر تقرير دلائل التوحيد الفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما
كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت
اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى ومخرج الميت
كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من جنس
فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشأن هو الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته
الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة
على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح اي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب
على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل وانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل به على ان المراد بالجعل المستمر في الازمنة المتجددة
حسب تجددها لا الحصول الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف
الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل معطوفان
على محله والاحسن نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا
اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع
تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع
المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم
شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة
العامل بدل الاشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والمعنى جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم
فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة
لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر
واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة
قد فصلنا الآيات اي بينا الآيات المتلوة المذكورة التي هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة
لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه
للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظم قدرته ولطف صنعه وحكمته
اي انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي
كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب
وليس بواضح وقرئ فمستقر بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات
المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان

ان الذين

ثم

صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الالباب وسوانح الافكار يفقهون على يعلمون كما ورد في شأن النجوم
وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السماء او من جهة
السحاب ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفات الى التكلم اظهارا لكمال العناية
بشأن ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شأنها النمو من صنفي
النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ
بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما
يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج
منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها
بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الى آخره والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان
مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة
من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب ومبنى المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان
او ومن النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان
ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثمر لا ينتظر الطول وقيل متقاربة
والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات
كل شيء اي اخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه
كما قيل وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وصفت بعض القراء لا لذكر اسم الجنس كما تقدم وما اخر
لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص
لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال
ما عطف عليه كما اكتفي بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه والتقدير والزيتون مشتبها
وغير متشابه في الهيئة المقدرة والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضها
متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها
انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره
وينعه اي والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة
اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود
القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط
بديع تحار فيه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره
ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء
اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة
بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا
الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى
شركاء الجن وتقديم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة
ويحتمل ان يكون شركاء الجن بدلا من شركاء مفسرا له بعض القراء او بالحق او منصوبا بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى

وجعلوا لله شركاء كما قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن وهذه قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن
بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم
حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على احتمال الامرين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القبح والبطلان باعتبار
علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعل مخلوقه شريكا
وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى
وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرّقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرّفوا
اي زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله
بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه
من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي خرقوا
ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي
هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس
سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبّح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا
حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع
له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل
من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى الذات المقدسة اي تنزه بذاته
تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله تعالى وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة اي سبحانه والتعالي بمعنى التباعد
عما يصفون اي تباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال
يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدَع يطلق على المبتدِع نص عليه اهل اللغة كالصريع بمعنى المصرّع وقد جاء
بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله أمن ريحانة الداعي السميع
وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه
من بدع اذا كان على شكل عجيب فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم فلان ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول
هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد
عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح والجر على انه بدل من الاسم الجليل
او من الضمير المجرور في سبحانه على رأي من يجوّزه وارتفاعه على القراءة المشهورة على انه خبر مبتدأ محذوف او فاعل تعالى واظهاره
في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام بيانه او مبتدأ خبره قوله تعالى انى يكون له ولد وهو
على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة
حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد
بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب لاحد فيه ضرورة انتفاء الكفؤ اي من اين او كيف يكون له
ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير الله تعالى
والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للكون على هذا ويجوز
ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بيّن في موضعه ان ضمير الشان
لا يفسر الا بالجملة الصريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستأنفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة
لها اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف
يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه
ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون

من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي زعموه فيه من الاولاد والجملة استئناف
مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من
النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو
مبتدأ وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق
للعبادة خاصة مالككم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان وما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو
ما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي اخبار وقيل يقدر
لكل من الاخبار الثلاثة مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع
هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي وهو مع ما فصل من الصفات
الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه
الابصار البصر حاسة النظر وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي
لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك للمنكرين الرؤية
على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار اي
يحيط بها علما اذ لا تخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين بطريق
اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة
ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي
به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة هنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن ابتدائية
مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف
بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة
من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي
اي ومن لم يبصر الحق بعدما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه انما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عماه
او فعماه عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف
الآيات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه
وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام
للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا
وقيل اللام لام الامر وينصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد
بقولهم وهو امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بانه يأباه عطف ولنبينه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ
دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرّست بتشديد الراء مبالغة
في درست اي اشتد دروسها ودُرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا
صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس
اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات
او ذات دروس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للآيات
باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه
بهم لانهم المنتفعون به قال ابن عباس هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الآخرين
وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه السلام
بالثبات على ما هو عليه وعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام

عدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو
اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا
في الالوهية واعرض عن المشركين اي لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه
بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى
وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم
بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا
عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عُدُوًّا يقال عدى
عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى
وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة
عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم
وفسادهم المشبه بتزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير
بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك
بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة
مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت
به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر
في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها
لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر وقوله تعالى واقسموا بالله روي ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي
اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم
في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرامهم
غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوه منه من البينات التي تطحن
بها الارض وتسير بها الجبال قل انما الآيات اي كلها فدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اي امرها في حكمه
وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شؤونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا
ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على المنهج
واحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات
عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او انه قادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا مساس له بالمقام كيف لا وليس مرامهم
مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى يجاب بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر
مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمين اما خاصة بطريق التلوين
لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه صلى الله عليه وسلم من الهم بالدعاء

وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان جواب ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع
الانكار هو وقوع الشعور بل هو نفس الاشعار مع تحقق الشعور في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون
بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم
نزول الآيات وقيل لا مزيدة فتوجه الانكار الى الاشعار والشعور جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تمنوا مجيئها طمعا
في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كما يفهم ذلك
انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى
والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم
تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف
حسبما مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم
لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك
الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية
ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار
كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الآيات اول مرة اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
منفي بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه
من متمات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب
الافئدة والابصار معرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها
بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشأنهم بعدما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم
حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشير اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب
في نذرهم اي نمهلهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر
بالياء على اسناد الفعلين الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب على البناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات
ارشاد لهم الى حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امر ما بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ
وجه وآكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه هنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا
انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم
فأتوا بآبائنا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا بضمتين وقرئ بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي
صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تأتي بالله والملائكة
اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة لا فرادى بل بطريق
المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الانسب لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا
وصنفا صنفا فوجا فوجا وانتصابه على الحالية جميعا باعتبار الكل المجموعي المستلزم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه
مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابهما على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان قبلا بمعنى الجهة
كما في قولك لي قبل فلان حق ان انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان
وغلوهم في التمرد والطغيان وما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم
يعمهون وقوله عز وجل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروع
اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته الا في حال مشيئته تعالى

لايمانهم او من اعم العلل اى ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء
بيان ان المراد ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها
كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان شاء الله وهيهات ذلك وحاشاهم لما سبق من قوله تعالى ونقلب افئدتهم الآية كيف لا وقوله
عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه
سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى
الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم
ايمانهم فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها
طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم
عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة بيان لمنشأ
خطأ المقسمين ومناط اقسامهم وتقريرها على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية كذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم
لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش
له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء
عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما اخذهم ما قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك
عدوا والتقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلناه في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك
ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكائد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك
لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اي
المتمردين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن وقيل هي بمعنى اللام اي
الشياطين للانس والجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان
العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض كلام مستأنف
لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فان عدوا
كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي وسوس
شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر زخرف القول اي المموه منه المزين ظاهره الباطل
باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو
حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية
ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال
اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها
شرطا وكون مضمون الجزاء هو قوله تعالى ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض زخرف
الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون
صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته
فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكائد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم
البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف القول هو علة اخرى للايحاء معطوف على غرورا وما بينهما
اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم
ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداه من الامور الواجب الايمان
بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره
والآجلة مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما

وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات
الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات
لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي ولكون ذلك جعلنا
والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم
وليقترفوا اي ليكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام
مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين
فابتغي حكما غير الله يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك
حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه
السلام لا الى المشركين كما في قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا
وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما
اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها
ابلا والحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذي
انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي
نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي أغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي
انزل اليكم الكتاب وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص باسم الكتاب
مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام
فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون
لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل
تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين
يثقون بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التوراة والانجيل
باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز والتعبير عن
الفريقين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول
وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء
هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك
وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه
عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في انهم يعلمون ذلك لما لا يشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه
منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان
له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على
الوجوه لترتيب ما بعدها على نفس علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله
من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق
والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال او التمييز وقيل على العلة
لا مبدل لكلماته اما استئناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر
مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا
من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن

ان يعلم فيه خلل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوال الظاهرة وان طلبه خولا وتيانها او قد قيل المعنى لا احد يقدر على ان
يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب
بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكم لاستقلاله بما يوجبه من انزال الكتاب الكامل الفاصل
بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدل احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاطلاع التام بجميع المسموعات
والمعلومات عقبت ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون
القاصرة ان شيء من الجهل والكذب على الله سبحانه بالكلية بما يجالهم اياه موهوم وتحذير عن ان يركن اليهم والعمل بارائهم والمراد باكثر من
الناس وهم اكثرهم الكفار واهل الكتاب الارض ارضها اي ان يطعهم بان جعلتهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق
الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون
او جهالاتهم وارائهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كانه قيل كيف يضلون
فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضلال المتصدي
للارشاد انما يرشد غيره الى مسالك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه
اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او على
انهم على شيء واني لهم ذلك وهو مناط البطلان وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة محلها
النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس
فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بالفعل المقدر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم
المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا اقلاع عن [illegible] التفضيل في العلم كثرة واحاطة
اي لكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين
من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم
انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم بآياته اي التي من جملتها
الآيات الواردة في هذا الشان مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسمه تعالى
من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى آخره جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا منه
والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى آخره فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى
حرمت عليكم الميتة الى آخره لا تساويه نزولا وان تاخر في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول
على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون
الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس
من الشريعة المستندة الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا
ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
ان الذين يكسبون الاثم اي يكتسبون الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة
تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل
مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة
او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة [illegible]

وقيل حال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فانهم يوسوسون الى المشركين وقيل مردة
المجوس فانهم اوحوا الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال
وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى
اومن كان ميتا وقرئ ميّتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها
بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم
والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على جملة مستتبعة على شانها الذي دل عليه الكلام اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه
الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسبب ذلك النور والجملة
استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له
كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بها الظلمات اللفظ لا المعنى كما في قوله تعالى [illegible]
وهو اما صفة لمن اي مجرور بالكاف اي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف
وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به
من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل احد من
الممثلين بالحق من الالفاظ الواردة في المثلين بطريق التشبيه بما يشبهه معانيها فان الالفاظ المذكورة في معانيها الاصلية
بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل
واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة فشبهت الاوليان بالاخريين فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز كما
في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل قسم براسه لا قسم من باب الاستعارة حقيقة وان لم يسلك المتقدمون بعبارة
المتاخرين هو قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كمثل المثلين بنظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله
والناس لا كاد [illegible] بما يرى حقيقة الواقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله
عز وجل بطريق الخلق عند اتباع الشيطان او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية
الافتتان بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم
فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر وعمار رضي الله
عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها
ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو وما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل منه
لانه [illegible] فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعول اول والثاني ليمكروا فيها
انما [illegible] لا بد ان يكون مناط التشبيه عند ان يكون [illegible] ان المعرف الاشارة عن [illegible] النظم الكريم
او يجعل مقيا سا لنظائره باخراجه مخرج المعهود [illegible] الامر كذلك لا سبيل الى [illegible] كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون والكاف للمراد بهم اكابر مكة لان المعنى [illegible] كل قرية
مجرميها الى آخره فادنى الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد باعتبار الفريق المذكور ومحل
الكاف [illegible] المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف
لغو اي مثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابر المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين من
تزيين اعمالهم واصرارهم على الباطل ومجادلتهم الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي ما يحيق غائلة مكرهم الا بهم
وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار وروده الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا
بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا

كذلك وان ما ذكر من المكر الكلي العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اى اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول
صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله قال ابن عباس رضى الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل
فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتى بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصرى مثله وهذا كما ترى صريح فى انهم علقوا ايمانهم باتيان ما اوتى
الرسل عليهم السلام من الوحى والنبوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وما ارسل اليه ايانا حقيقة كما هو الظاهر لا على ما قيل ان المراد بما اوتى
ان يكون مما اوتى رسل الله على ان المراد مطلق الوحى ومخاطبة جبريل عليه السلام فى الجملة وان يصرف الرسالة عنه قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل
رسالته عن ظاهره بحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها فى موضعها
الذى هو الرسول لتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى لا اقتراح لكن ومن يكون ملك الآية اذ ليس عند الله
مما الى الرسول حتى ما جبريل بالله اجيا ما ما اى الرسل فيخبرنا بذلك معنى اذ الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر
اذا ما بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت فى ابى جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف
فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحى كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد
من القوم ان يخص بالرسالة والوحى كما اخبر الله تعالى عنهم فى قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان هذا لن
وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضى ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتى الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم
فى الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمه حتى فى قول اللعين حتى يأتينا وحى كما يأتيه آخره غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع
فانه مقرر على تقدير اتيان الوحى وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحى والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله
مثل ما اوتى رسل الله اما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك
لانى اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية
النازلة حيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها
حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان مجمل معنى قوله لو كانت النبوة حقا الى آخره لو كان ما تدعيه من النبوة حقا
لكنت انا النبى لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فلست بنبى وانت تعلم ان الايمان بكونها آية نازلة من الله تعالى ومثل ما اوتى منصوب على انه نعت لمصدر
محذوف والمعنى حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضيف الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث كان كلامهم المعرب
في منتهى الخبث اجيب عنه بجملة من انه لا اهل لها الا الحقيق باطل مستقبل ومن ذلك اى هو اعلم بما الموضع الذى يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة
ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما هو فضل نفسانى يخص الله تعالى به من يشاء من خلص عباده
رسالاته سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما امّلوه والسين
للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اى سيصيبهم مكان ما تمنوه
وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اى ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل
من عند الله وعذاب شديد فى الآخرة او فى الدنيا بما كانوا يمكرون اى بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان
هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اى يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام
فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل
فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اى شديد الضيق والاول مصدر
وصف به مبالغة كانما يصعد ما يصعد له خولكان على جعل الفعله فى السماء شبه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع عنه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه
كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك اى مثل ذلك
الجعل الذى هو جعل الصدر ضيقا حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اى العذاب او الخذلان على الذين لا يؤمنون وقال الزجاج

ارجس اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة على الذين لا يؤمنون اى عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله
تعالى معلل بما فى حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اى البيان الذى جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق
من التوفيق والخذلان صراط ربك اى طريقه الذى ارتضاه او عادته وطريقته التى اقتضتها حكمته وفى التعرض لعنوان الربوبية
ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق
مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما فى تضاعيفها
فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم
عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اى للمتذكرين دار السلامة
من كل المكاره وهى الجنة عند ربهم اى فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اى مولاهم ومحبهم
بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها متولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على انه مفعول به
او ظرف وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المتصل لمن يحشر من الثقلين اى واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا يا معشر
الجن اى ويوم يحشرهم نقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ونقول يا معشر الجن يكون من الاهوال والاسئلة ما لا يستطاع بيانه لفظاعته
لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم
اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اى الذين اطاعوهم
واتبعوا وساوسهم من الانس اما بيان لاولياؤهم اى اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلق بمحذوف وقع حالا من اوليائهم
اى كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وانتفع الجن بالانس
اى الجن من الانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول اغوائهم وقيل استمتاع الانس بهم
انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا
الذى اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة
عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا
على التكلم اصلا قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم
اى منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة
ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضى الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق فى علمه انهم يسلمون ويصدقون النبى
صلى الله عليه وسلم وهذا مبنى على ان الاستثناء ليس من المحكى وبمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير
فقد روى انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم
فى النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب على التعذيب فى الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء
قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم فى افعاله عليم باحوال الثقلين واعمالهم
وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اى مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولى بعض الظالمين من الانس
بعضا آخر منهم اى نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض فى العذاب كما كانوا كذلك فى الدنيا عند اقتراف
ما يؤدى اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس شروع
فى حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان
مآل امرهم الم يأتكم فى الدنيا رسل اى من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتى كل رسول كل واحد من الامم بل على ان يأتى
كل امة رسول خاص بها اى الم يأت كل امة من امتكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم لكن لا على
ان من جنس الفريقين بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كأنهما جنس
واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما هو اعم من رسل الرسل وقد ثبت ان الجن استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث
نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتى صفة اخرى

رسل محققة لما مر ان المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها
من القوارع لقاء يومكم هذا وهو يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان
الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال الخزنة
حيث قالوا قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث
قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم
في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجأهم في الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذمهم بذلك اي اغتروا
في الدنيا بالحياة الدنيئة واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترأوا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب
المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالآيات والنذر التي اتى
بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر
من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن
ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم
متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم على ان اسناده اليها لما انه لاهلها للقرية لقولهم بظلمهم
او كونه حالا من ربك اي من غير ظلم في مهلك كما هو مقيد باهلها ما خوذ في معنى الظلم وحقيقته لاستحالته في حقه تقدسه
بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك لان الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم
فعلوه من انواع الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى بديهة العقول بقبحه واعاقة جنابه اي
اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب
العذاب ولا اعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان
التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على نطق قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان
كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب
الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع
بدون انذار فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى فحوى الكلام
من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان
ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب
الاخروي ايضا كذلك فيحترزون عن الاخلال بموجب الانذار اشد احتراز وهذا الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك
اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور فمعزول من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم
ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة على ان الاعمال
درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم
او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدأ وخبر اي هو المعروف
بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم دخولا اوليا وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين
لا سيما الثاني لوقوعه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته من توهم
شمول الوعيد الآتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم
على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشأ يذهبكم

اي لا حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي
من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما
مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ انشاء كما انشأكم الى آخره
او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الى آخره والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة
ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي
لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع واشارة على بيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته
هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول وكان ايثار صيغة الفاعل
على المستقبل للايذان بكمال رسوخ الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على
الاتصاف على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق
بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالكم التي انتم
عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات
على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه
فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد لا يتأتى منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون
باسمها وخبرها خبرها والجملة في محل النصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون ايّنا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله
هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف
في المقال وحسن الادب وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه اي ان الشأن لا يفلح الظالمون وضع
الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا
شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركوا العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء
منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى الذي لآلهتهم تركوه معتلين بان الله
غني وما ذلك الا لحب آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالى
من الحرث والانعام بيانية وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له
اي عينوا لله تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتأخيره عن المجرورين لما مر مرارا من ان الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له فالمحل من ان الاول نصيبا
والثاني لله لا بيان قدمه اذ المعنى ومما جعلهم لله تعالى نصيبا دل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا لم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات
التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك
لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه تعالى
فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف
الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه
التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار
آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والمخصوص بالذم محذوف اي ساء الذي يحكمون حكمهم او ما قبله خبر محذوف لدلالة يحكمون عليه
وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير

من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد
المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء
للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم
ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان
يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه
اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما قالوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او ما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى
حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع اخر من انواع كفرهم هذه اشارة
الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله
المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها
الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام اي قالوا
مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه
انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا
للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحوها على الاصنام
فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت
لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا
افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان قالوه بمعنى افتروه على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او با
المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار متعلق
سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن اخر من فنون كفرهم ما في
بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله
تعالى ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على ما قل استعماله وهو
الحمل على اللفظ اولا ثم على المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير
له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي وان يولد ميتة فهم اي الذكور والاناث
فيه اي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة
بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل
المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان سيجزيهم وصفهم اي جزاء
وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم
بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد
وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم
متعلق بقتلوا على انه علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء
وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات
او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا وهو الذي انشا جنات معروشات

تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشاهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات
من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه
وغير المعروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشاهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون
الكاف اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل
ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي انشاهما وقوله تعالى متشابها
وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر
كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وفيه فائدة رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى واتوا
حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب
بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة
نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شانها بالتحريم والتحليل
وهو عطف على مفعول انشا ومن متعلقة به اي وانشا من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه
ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله اي ما احل لكم
من جملة ذلك فمن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في
التحليل والتحريم مقلدين اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك
منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه
ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم
كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بناصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الخ
معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة ياباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش
ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر
والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها على الله سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد
بتوجيه الانكار اليها مفصلة اثنين اي زوجين اثنين وقوله تعالى من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من
اي انشا من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر
وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله اي وانشا من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين
وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل
مع تاخرها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر
في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشاها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين
من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز
ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو موخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئوني بعلم تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني
بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني ملتبسين بعلم صادر عنه
ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضان اثنين اي وانشا
من الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل الزاما لهم في امر هذين النوعين ايضا آلذكرين منهما حرم

حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع
الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد
افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه
وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب
تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل الذكرين حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة
في التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء تكرير للالزام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل
الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل أكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اي حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما تعرفونه الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من كمال تبكيتهم ما لا يخفى
بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة
المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المفترى الآخر لا يقدح في اظلمية الكل لكون
بعضهم مشاركا لبعضهم [illegible] والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم عن
المعنى [illegible] ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل
افترى اي افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا
بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم
فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي يضلهم بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله
لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا فاذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة
فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم ببيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له
قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم في قوله تعالى لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع
جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك محرما صفة لمحذوف اي لا اجد
ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها على طاعم اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا
وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع
على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا حينئذ عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم
في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اي الخنزير رجس او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا
لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن
اضطر اي اصابته الضرورة الداعية الى اكل شيء من ذلك من الوجوه المضطر غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال لبيان انه لو وجد القيد
لتحقق الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من مضطر آخر فاكله فان حرمته
باعتبار كونه حق المضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها فان التجاوز عن القدر
الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه
والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غير هذه الاربعة وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين
والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا
عن الظلم [illegible] التحريم [illegible] كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال
ما في قولهم [illegible] فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر

ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط
الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا
وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية لاختلاطها
بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب
على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق
واكلهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا
كلما اتوا معصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد ذلك عليهم واكد بقوله تعالى
وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر
المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبوك فيما فصل في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء
قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية
عن القوم المجرمين فلا تغتروا بما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبوك فيما فصل
من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة
للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الى آخره لتضمنه التنبيه على نزول البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق
بهم البتة من غير صارف يرده عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار بوقوعه قبل وقوعه حسبما اخبر
كما يحكيه قوله تعالى عنه وقوله وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الآية لو شاء الله ما اشركنا
اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء ما فعلنا الاشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي
عنده تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به [illegible] كذلك
كذب الذين من قبلهم اي مثل ذلك التكذيب [illegible] كذب متقدموهم الرسل فانه صريح في [illegible]
عطف على الضمير المتصل [illegible] حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج
به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق
شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي
قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي اذا ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات
او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه
فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين هممهم الى سلوك
طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو
اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم [illegible] وقد قالوا ان [illegible]
[illegible] اصله هل ام [illegible] حذفت الالف لتقدير السكون في اللام [illegible]
وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم
الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء
بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وينصرون مذهبهم فان شهدوا بعد ما حضروا بان الله
حرم هذا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف بين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآياته تعالى وعدل عنها
فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول

الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم
فان من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى
لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي الجمع المذكور
بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه
بامر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوه بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقضي بحال بابائه على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب
عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الآية وتعال امر من التعالي والاصل فيه ان يقوله من كان
في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان العمدة في اصل الفعل من العدو ثم استعمل في اصابة كل ما يجتنب منه اتساعا
ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف
اي اقرأ الذي حرمه ربكم اي الآيات المشتملة عليه او مصدرية اي الآيات المشتملة على تحريمه او بحرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل
لان التلاوة من باب القول كانه قيل اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب لمقام الاعتناء
بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم
على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء ان في قوله تعالى ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق
بما حرم ولا ناهية كما يعرب عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا للتلاوة المحرمات
منطوقة كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمنع انتظام الاوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها
التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت به فان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كان الاوامر ذكرت
وقصد لوازمها فان عطف الامر على النهي الواقع بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل
واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد على الوجه المذكور كانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا انه
قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين المبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف
في قضاء حقوقهما ولذلك عقب النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر بهما كما في سائر المواضع وقيل ان ناصبة لمحلها
النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدل من ما حرم وقيل من عائده المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع
بتقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل الذي عليه التعويل هو الاول لا سيما لان ما بعد جملتها انشاء في اخراج المفسر
على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء
وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب التكليف المتعلق
بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا
في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استئناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه
وضمان منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا
الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الا انه جيء هاهنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك
ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان
كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها
وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها
جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذلك الوأد الخفي وقيل هاهنا
ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر ظاهر الاثم وباطنه فما سلف من قبيل الفصل بين المتحد والمجانس
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان

وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي
لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى
البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة
استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا للايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية
الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم
توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه
الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى
حتى يبلغ اشده فانه غاية لما فهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى
فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك
واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها اعتراض جيء به عقيب الامر
بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوها
فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد يحصل معنى لو في شيء من الاشياء
مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان
والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر من قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا
لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار
عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن
دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار رضي الله عنه والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله
الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في
السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء اي بضافته الى ضمير عليه السلام انما هي عليه السلام
من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي مختص بسلوكه عليه السلام متعلقة عليه السلام
ايضا مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي
الذي سلكته مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى
مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام داع الى الاتباع اذ بذلك تتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة
على الاستئناف وقرئ ان مخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف وقرئ صراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ هذا صراط
ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التاءين والباء
للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب
ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع
الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك
اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا
للوصية وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوفا على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما ان قوله تعالى
ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى او لم يهد الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به
فغير سديد لما في ذلك من عطف الكلام المتلقن كما اجمع عليه الجمهور على ما هو حق بجزالة النظم الكريم فتكلم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم
ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التوراة فان ايتاها
مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اي تماما لها على انه مفعول له بحذف الزوائد

على الذي أحسن أي على من أحسن القيام به كائناً من كان ويؤيده أنه قرئ على الذين أحسنوا أو تماماً على المحسنين أو على الذي
أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماماً على ما أحسنه موسى عليه السلام أي إجادة من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه
التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماماً أي تاماً كاملاً على
أحسن ما تكون عليه الكتب وتفصيلاً لكل شيء وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماماً ونصبهما إما على العلية أو على
الحالية أو على المصدرية كما أشير إليه وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني إسرائيل المدلول عليه بذكر موسى وإيتاء الكتاب أي لعلهم
بلقاء ربهم يؤمنون قدم عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا
بالثواب والعقاب وهذا الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن كتاب عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى
أنزلناه مبارك أي كثير المنافع ديناً ودنيا صفتان لكتاب قدم وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو خبران
آخران لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملاً على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى
فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلاً من جنابه عز وجل مستتبعاً للمنافع الدينية والدنيوية
موجب لاتباعه أي إيجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه أن تقولوا علة لأنزلناه المدلول عليه
بالمذكور لا لنفسه لاستلزامه الفصل حينئذ بين العامل والمعمول بأجنبي هو مبارك وصفاً كان أو خبراً أي أنزلناه كراهة أن تقولوا
يوم القيامة لو لم ننزله إنما أنزل الكتاب الناطق بتلك الأحكام القاطعة لكل الأمم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما
اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأنهما اللذان اشتهرا حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام لا سيما الأحكام
المذكورة وإن كنا إن هي المخففة من إن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف والمراد هم ذلك دفع ما يرد عليهم
نزوله عليهما كالأمم عموم أحكامهما لم نعلم بكلامهما القاهر أي إنه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا
حتى نتلقى منه تلك الأحكام القاهرة ونحافظ عليها وإن لم يكن منزلاً علينا وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين
لاشتمالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال القرآن لاشتماله أيضاً عليها لا على سائر الشرائع
والأحكام فقط أو تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالتاء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو أنا أنزل علينا الكتاب
كما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا
وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طالما ونحن أميون وقوله تعالى
فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة إما معلل أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ وإما شرط أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون
من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة أي بينة أي حجة واضحة لا
يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأياً ما كان ففيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن
في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع وهدى ورحمة
عطف على بينة وتنوينهما أيضاً تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة إيذاناً بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيهاً على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه
التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن أظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى
والرحمة موجب لغاية أظلمية من يكذبه أي وإذا كان الأمر كذلك فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق
الالتفات تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلة الحكم وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلاً للأمر
وتنبيهاً على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الإفراط في الظلم فكيف بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى إنكار أن يكون أحد
أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من
فلان فالمراد به حتماً بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وصدف عنها أي صرف
الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال سنجزي الذين يصدفون الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث
يفهم منه جزاء ضلالهم أيضاً ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب أي العذاب السيئ الشديد النكال بما كانوا
يصدفون أي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من علية

حسن

في حيز الصلة هل ينظرون استئناف مسوق لبيان أنه لا يتأتى منهم الإيمان بإنزال ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرعوون
عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن الإيمان عند إتيانها مما لا فائدة له أصلاً مبالغة في التبليغ والإنذار
وإزاحة العلل والأعذار أي ما ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى
ربنا وبقولهم أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك أو إلا أن تأتيهم ملائكة العذاب أو يأتي أمر ربك بالعذاب
والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي أو يأتي بعض آيات ربك أي غير ما ذكر كما اقترحوا
بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم
كما أن إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل
بالملائكة ملائكة الموت وبإتيانه سبحانه وتعالى إتيان كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي وببعض الآيات بعض آياته تعالى على أن المراد
به أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس
من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان
الأمور مما ينتظرونه كإتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعلق أمانيهم بإتيانها انتظام منهم له ظاهراً حمل الانتظار على التمثيل المبني
على تشبيه حالهم في الإصرار على الكفر والتمادي في العناد إلى أن تأتيهم تلك الأمور الهائلة التي لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة
بحال المنتظرين لها وأنت خبير بأن النظم الكريم بسباقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم
نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم إما بأن يكون عبارة عما اقترحوه أو عن عقوبات تترتب
على جناياتهم كإتيان ملائكة العذاب وإتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون وأما حمله على ذكر إتيان
ملك الموت وإتيان كل آيات القيامة وظهور أشراط الساعة مع شمول إتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا عهد
المقام على أن بعض أشراط الساعة ليس مما يسد باب الإيمان والطاعة فلم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا يوم يأتي بعض آيات ربك
على ما هو من مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام التي تلجئ إلى الاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول فيهم التقريب
دخول ما ينتظرونه في ذلك دخولاً أولياً يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ
يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف أي لا ينفع فيه نفساً من النفوس إيمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر
عياناً ومدار قبول الإيمان أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء لكون الإيمان
من باب المضاف إليه وقوله تعالى لم تكن آمنت من قبل أي من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفساً فصل بينهما بالفاعل لاشتماله
على ضمير الموصوف لا ضير فيه لأنه غير أجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيراً عطف على آمنت والمراد بالنفي
المفيد كفاية أحد النفيين في عدم النفع والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم تقدم إيمانها أو قدمته ولم تكسب فيه خيراً من ضرورة اشتراط
النفع بتحقق الأمرين أي الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معاً بمعنى أن النافع هو تحققهما والإيمان المؤخر لغو والتحصيل للحاصل إذ هو نافع
بحقه شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فإن ذلك لا ينفع العموم والخصوص من لم يؤمن قبلهما معاً وإنما ينفعانه
عند وقوعهما بعد الإتيان وقد استدل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن الأعمال وليس بناهض فإن مبناه صحة حمله على
الترديد المستلزم لعموم النفي المفيد منطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين معاً ومفهومه لاشتراط النفع بتحقق أحدهما بطريق منع الخلو
دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم يصدر عنها من قبل أحد الأمرين الإيمان المجرد والخير المكسوب فيتحقق النفع
بأيهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث وأيضاً من أن عدم الإيمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة
فيكون ذكره تكراراً بلا فائدة على أن الموجب للخلود في النار هو العدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعاً فيكون ذكره
بصدد بيان ما يوجب الخلود لغواً من الكلام مبني على توهم أن المقصود وصف النفس بالعدمين المذكورين بموجب إتيانها بما يوجب الخلود
فيها وعدم نفع الإيمان الحادث في إنجائها عنه وليس كذلك وإلا لكفى أن يقال لا ينفع نفساً إيمانها الحادث بل المقصود الأصلي
من وصفها بذينك العدمين في أثناء بيان عدم نفع الإيمان الحادث تحقيق أن موجب النفع أحد الأمرين إما الإيمان السابق أو الخير المكسوب فيه
بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يجعل كل من عدم الأول مستقلاً في إيجاب الخلود في النار

فيلغو ذكر عدم الكذب لكذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فلولا ذكر الشانى لغوا لما انه قياس مع الفارق ليفيد لا الخلو فيها
ومن لا يتصوف بتعدد العلل واما الخلاص منها مع دخول الجنة فلمراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا
وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما يوجبه صلاها على لانه اى ارث بل ورث ما يوجب النفع الزائد
ايضا ارشادا الى التحرى لاعلى وحثها على كمال الاولى وافتاء ما للكفرة عما طلبوا بما ليهم الغاية من اعمال البر التى عملوها فى الكفر من صلة
الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما هو من باب المكارم بيانا ان كل ذلك لغو بحت
لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة ان الايمان
بحادث كالا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم الاحادث الاحقة وذلك ان نقول المقصود وصف النفس باحد الامرين التعرض ما الكفر
فى ترددهم وتقريرهم كل واحد من الامرين الواجبين عليهم ان كان وجوب كل منهما منوطا بالاخر كما فى قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا
[illegible]

[illegible]

عفور رحيم اى لمن تاب منهم مع الكفر كل وصف بالغرض مع سابح فيها الا تخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد ومن قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية

من سورة الانعام يوما وليلة والله الموفق

سورة الاعراف مكية غير ثمانى آيات وسلهم عن القرية الى واذ نتقنا وهى مائتان وخمس وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المص اما مسرود على نمط التعديد بالخبر الجيم المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب
واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف التقدير هذا المص اى مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه
من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لامن حيث انه مسمى بالسورة واما صحة الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره فلما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار
فى حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف وهو انى عنه بتعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس الحروف

مراداً به السورة كتاب الى آخره او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلاً للحظوظ المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا الكتاب
وعلى الوجه الاول خبر بعد خبر جيء به اثر بيان كونه مترجماً باسم مبدع مبني عن غرابة في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فرداً من افراد
الكتب الالهية حائزاً للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبراً لالمص مبتدأ اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان الحمل غير ما
موضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب اذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها انزل اليك اي من
جهته تعالى بني الفعل للمفعول جرياً على سنن الكبرياء وايذاناً بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الانزال كما في
جل ذكره تبع ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة لمن انزل اليه وجعله خبراً له على معنى كتاب عظيم الشأن
انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر
بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه والتعبير عنه بالحرج ساقه عليه السلام عن الشك
والى حمل النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤه اياه عليه السلام وانما وقع من نسبته اليه ضمن النهي على طريقة التهييج والالهاب
المبالغة في التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلاً فكيف بمن يمكن ذلك منه وفي التنوين
التحقير المجازي وقوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق صدره او بمحذوف هو صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك
شك ما في حقيته او في كونه منزلاً اليك عنده تعالى فالفاء على الاول لترتب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء
الشك فيه بالكلية وحصول اليقين قطعاً واما على الثاني فهو لترتب ذكر على الاخبار بذلك لا على نفس منزلة وتوجيه النهي الى الحرج مع ان المراد
نفيه عليه السلام عما لما من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك كما ذكر فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي عنه عن المنهي لما فيه من المبالغة
في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لابتغائه عليه السلام فالنهي عن سببه نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة
كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب مراداً به النهي عن السبب فيكون المراد
نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام
بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فأمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة
فالفاء حينئذ لترتيب النهي على مضمون الجملة او الاخبار فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعاً وان كان ايجاب الثاني بواسطة
الاول وقوله تعالى لتنذر به اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده
ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلاً من عند الله تعالى موجب للانذار قطعاً وكذا انتفاء الخوف
منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وقد جيء به لا مبنياً على تفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير
مع ايهام لامكان صدوره عنه عليه السلام يشعر بان المنهي ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان
بان ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده واما على تفسير الثاني فانما يأتي التعليل بالانذار والتذكير للمؤمنين اذ ليس في شأنه خوف
حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب باضمار فعله معطوفاً على تنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيراً او الجر عطفاً
على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفاً على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص
الانذار بالكفرة اي لتنذر المشركين وذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستأنف خوطب
به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلاً اليهم
بواسطة انزاله عليه السلام اثر ذكر ما يصحح من الانذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على انه
لابتداء الغاية مجازاً او بمحذوف وقع حالاً من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد
لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما انزل عاماً للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمها حكمه بطريق الدلالة لا
العبارة فان اتباعها اتباع ما انزل الله تعالى اتباعاً له عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه اي من دون
ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي ولا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن والانس بان تقبلوا
منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او حال من اولياء قدم عليه لكونه نكرة
اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة من دونه تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء

كأنه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام ديناً وقوله تعالى
قليلا ما تذكرون بحذف احدى التاءين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ
يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلاً نصب بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او زمان كذلك وما مزيدة
لتأكيد القلة اي تذكراً قليلاً او زماناً قليلاً تذكرون لا كثيراً حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى
وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلاً ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات
على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
وانتصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلاً تذكركم لما على توجيه النهي الى المقيد
فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعاً وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين
وكم من قرية اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين
اوليائهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء كما في قولك والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى
كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باضمار فعل يفسره اهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها اهلاك اهلها كما في قوله
تعالى واسأل القرية اي اردنا اهلاكها فجاءها اي جاء اهلها بأسنا اي عذابنا بياتاً مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال
اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال
المعطوفة على اختها استثقالاً لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد
فارساً فانه فصيح وتخصيص هذين الوقتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع
عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان
بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم بربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم
بأسنا عذابنا وعاينوا امارته الا ان قالوا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه
تحسراً عليه وندامة وطمعاً في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي
خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعاً لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكراً حسبما
ترتب عليها وجوداً اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم والمراد بسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول
في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى الرسل
اليهم جميعاً ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء
من اعمالهم واحوالهم والجملة حال من فاعل لنقصن او عطف على ما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديئها وهو رفع على الابتداء
وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل
ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له
لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد
وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلاً مد البصر فيخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم
السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين
بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد
لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى ان جهنم لمحيطة بالكافرين
وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه

نار جهنم ولا يبعد ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان أي قبل التكليف يوم القيامة
أما المؤمن فيأتي الحكيم المنزه عن الجور فيكيف حكمته الكتب الأعمال ذكرت هناك وأما منكروه فلا يسلم حسنة أن رجحان بعض الأعمال على بعض خصوصا
راجعا إلى ذوات تلك الأعمال بل مستندا إلى إظهاره تعالى إياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن أجيب بكشف الحال وسد
ونظر جميع الأشياء بحقائقها على ما هي عليه وبأوصافها وأحوالها في أنفسها من الحسن والقبح وغير ذلك بتخلع عن الصور المستعارة التي بها تظهر
في الدنيا فلا يبقى لأحد ممن شاهدها شبهة في أنها هي التي كانت في الدنيا بعينها وأن كل آخذ منها قد لقي جزاءه بصورته الحقيقية المستتبعة
لصفة الأخطار بالأخلاف ذلك والله تعالى أعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للأحكام المترتبة على الوزن والموازين إما جمع ميزان أو جمع موزون
على أن المراد بالوزن وقوع رجحانها فإن رجحان أحدهما يستلزم رجحان الآخر أي فمن رجحت موازينه التي توزن بها صحائف أعماله أو أعماله
التي لها قدر ووزنه وعن الحسن البصري هو ميزان وضع له كفتان ولسان فأولئك إشارة إليه
باعتبار معناه كما أن جمع الموازين لذلك وإما إفراد الضمير فراجع إليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد
للإيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم إما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر أولئك أي أنهم الناس الذين بلغك أنهم مفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه
كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه أي موازين أعماله أو أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي أعماله السيئة
فأولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمع لما مر من البعد إشعارا ببعد منزلتهم في سوء الحال وهو مبتدأ خبره الذين خسروا أنفسهم
أي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وما قدمت إليها من الآيات البينة بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا
متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب وتقديمه عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا
أي فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الأرض خطاب
لأهل مكة باتباع ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة وذكرهم
ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالأمر والنهي إثر ترهيب أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا وأقدرناكم
على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما أو ما يتوصل به إلى ذلك
والوجه في قراءته إخلاص الياء وعن ابن عامر أنه همزه تشبيها بصحائف وجعل بمعنى الإنشاء والإبداع أي أنشأنا وأبدعنا
لمصالحكم ومنافعكم فيها أسبابا تعيشون بها وكل من الظرفين متعلق به أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر إذ لو تأخر لكان صفة وتقديمهما
على المفعول مع أن حقهما التأخر عنه لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند
كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الوروده فضل تمكن وأما تقديم اللام على في فلما أن المنفعة
ما الاعتناء بشأنه أتم والمسارعة إلى ذكره أهم هذا وقد قيل إن الجعل متعد إلى مفعولين ثانيهما أحد الظرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف الآخر
إما لغو متعلق بالجعل أو بالمحذوف أو واقع حالا من المفعول الأول كما مر آنفا خبرا بأنه لا يفيد فائدة يعتد بها في الإخبار بجعل المعايش حاصلة لهم أو حاصلة
في الأرض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون أي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وتقييد الكلام معين ما مر في تفسير قوله تعالى
قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة
وتأخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين في الأرض إما لأنها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة وإما للإيذان بأن كلا منهما نعمة مستقلة
مستوجبة للشكر على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعي ربما توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق
لإظهار كمال العناية بمضمونهما وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا
لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام
بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعا إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمط مصنوع على شاكلته فكأنهم الذين تعلق بهم خلقه وتصويره أي خلقنا أباكم آدم طينا
غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم ساريا إليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في أنه ورد بعد خلقه عليه السلام
وتسويته ونفخ الروح فيه أمرا منجزا غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فالمراد بما حكي بقوله تعالى

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لبيان
ما جرى بينهما من الأمور وقد بينا في سورة البقرة أن ذلك بعد ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالإخبار باستخلافه عليه
السلام حسبما نطق به قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله ما كنتم تكتمون فإن ذلك إما صريح في أن الأمر
به الأمر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما أن عدم ذكر الأمر المعلق عند حكاية
الأمر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله
قد ألقي إلى الملائكة عليهم السلام أولا جميع ما يتوقف عليه الأمر المنجز إجمالا بأن قيل مثلا إني خالق بشرا من كذا وجاعل إياه خليفة في الأرض
فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فسجدوا له من غير وجه فقالوا عند ذلك ما قالوا أو ألقي إليهم خبر
الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بأن قيل إثر نفخ الروح إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فأيده الله
تعالى بتعليم الأسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وإيذانا بوقته ولعله حكي بعض الأمور
المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر
السليمة أنه في سورة ص مسوق على نهج ما في سورة البقرة حيث قيل إذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله إذ يختصمون فما قبله ما كان لي من علم بالملأ الأعلى
الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور المفسرين والمراد باختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر
عنه عليه السلام من الإنباء بالأسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الأمر المعلق بما
من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد إبليس ولعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال
والأقوال إذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس وطرده من البين لما عرفت من أنه أحد المختصمين كما ليس قبل الخلق
ضرورة فإذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود بأحد الطريقين المذكورين والله تعالى أعلم فسجدوا أي الملائكة عليهم السلام بعد الأمر من غير
إلا إبليس استثناء متصل لأنه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء
واحد منهم أو لأن من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما في سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين أي ممن سجد لآدم كلام
مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم أنه لم يقع قط وقيل منقطع
فيكون متصلا بما بعده أي لكن إبليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه
قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة أخرى هي الإشعار بعدم تعلق
المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك ألا تسجد أي أن تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي
دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب منبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك إلى أن
لا تسجد إذ أمرتك ظرف لألا تسجد وفيه دلالة على أن مطلق الأمر للوجوب والفور في سورة الحجر يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين
وفي سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدمج في معصيته أنواعا من المعاصي
مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ
على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر وإشعارا بأن كل واحدة منها كافية
في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال
استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال أنا خير منه متجافيا عن تطبيق الجواب
على السؤال بأن يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا يستلزم المنع من السجود على زعمه وفيه إشعار بأن من شأنه أن
لا يسجد له بل ودونه حكمه ان نوزعه كما في سورة الحجر من قوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فيه أول
من أسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله
عليه ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدي أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ولذلك
أمر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض وأن له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون

والصفاء وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال
استئناف كما سلف الفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل
واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه في سكانها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لا
وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء
فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق
النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك ان تتكبر
فيها اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين
ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى
فاخرج تأكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي
من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك عن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش
نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وضعه الله الى الارض قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين
بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت
النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استئناف كما سلف
انك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح
في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق
كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء الخلائق [illegible]
من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول وعدم ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وص كما ترك ذكر
النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء العباد وتعريض للثواب [illegible] لا ريب ان الكلام المحكي عند صدوره عن المتكلم [illegible]
يقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة فالكلام الواحد المحكي
على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فما ان مضى لفظا
الفراغة وترتيب الاستنظار على ما حاق من اللعن والطرد على مع استنادي الخبر بمعاملة اكثر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه
في السورتين فما حكي هاهنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز لخلف مقام استنظاره [illegible]
الفراغة وترتيب الانظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار [illegible] الاخبار بالانظار على الاستنظار
الكلام في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حظه واما هاهنا فيقتضي مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار
سوق الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة اصلا ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام
على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده
افادة ابليس واما كيفية اداء عند النقل فليست بمراعاة وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها
وقد تراعى عند نقله كيف ما جرت [illegible] المتكلم اصلا لا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا ترى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن
الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حقا والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فما داماها
كلاما وما عدم مطابقته لمقتضى الحال فناشئ من الغفلة عما يجب تغييره مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي
فان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية في كل واحد من المقامين حقه كما في سورتي الحجر وص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا
لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي
جانبه الا ترى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن يفهم الاصل المعنى وحسب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التأكيد وسائر الخواص المزايا التي تقتضيها

المقام ومخاطبة باغنائه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر يبلغ هو مجرد عن الخواص مرتبة
اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص المزايا بالمرة فما ظنك بوجوب
مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر ترتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا
الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استئناف كما سلف فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى
اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى قال الاقسام بها واحد فلعل اللعين اقسم بها جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر
والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته
ترصدا بهم كما يفعل القطاع للسطو على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية
وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال
من اي وجه تيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت عن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة
ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم من جهة حسناتهم وعن شمائلهم من جهة سيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما
لم يقل ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف
المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه لما رأى منهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استئناف كما سلف مرارا اخرج
منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم السلام مذؤما اي مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول
او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاخرج ولاملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه
على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به اسكن انت وزوجك الجنة
هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح
العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك
كان جمعا مع الترتيب وتركه كما هنا من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر هاهنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف
والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه والتعليق الذي بها ما خبر كما
في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ياء الهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف
او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم بها كلاما خفيا متداركا كما سكر واصلها الا
الصوت الخفي كالهيمنة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة
او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة
قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما
لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوأتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا
ملكين اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة عليهم السلام
من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل
من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما اي اقسم لهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرج قسمه مخرج المبالغة

القسم بانه لكما لمن الناصحين وقاسمهما لاجل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك
من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم
كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا
طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب ابتدأ اي اخذا يخصفان يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق
الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما
مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي قال الم انهكما
عن تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من معنى البعد لانه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اي الم اقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق
النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول هنا وحكي في سورة طه ان هذا عدو
لك ولزوجك الآية روي انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد
ودرس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر
ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال اهبطوا
الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا كما في قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر هنا قبول توبتهما اكتفاء بذكره في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي
متعادين ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين وهو حين انقضاء آجالكم قال اعيد
الاستئناف للايذان ببعد اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت
علي بعد قوله تعالى قال أاسجد لمن خلقت طينا او لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى
سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا
الحديد يواري سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك روي ان العرب كانوا يطوفون
بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للايذان بان انكشاف العورة اول
ما اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا لباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا
ورياش الرجل اي تمول وقرئ ورياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت
الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره جملة ذلك خير او خبر وذلك صفة كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس
التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم كرر النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم
بهذا العنوان مما لا يخفى سره لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة
نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي
وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك هاهنا مبالغة في تحذيرهم ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله
اي جنوده وذريته استئناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية
ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا

الشياطين جعل قبيله من جملة جميع اولياء للذين لا يؤمنون اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم
وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة
جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف
المؤنث او المنقول من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا
عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها
بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء
فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا
عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم
فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون
على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره
عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه تعالى اليه تعالى اذا كان منكرا
فاسناد ما علم عدم صدوره عنه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوه اليه
تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلوة او في اي مسجد
حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان مصيركم
اليه بالآخرة كما بداكم اي انشاكم ابتداء تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة
عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى
بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده اي خذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون
فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم والفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة
عورتكم عند كل مسجد اي طواف وصلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة
وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت
ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان
كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم
والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان
شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل
الآيات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش
اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي
ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اي الظلم او الكبر افرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي
مؤكد معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه تعالى كقولهم والله امرنا بها ولكل امة من الامم المهلكة
اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم اي حل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة وقد اظهر الاجل مضافا اليه
لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم

وجاءهم بأن يحل بكل أحد من تلك الأمم أجلها الخاص بها وأن يجعل لكل أمة خاصة فالانتظار في ترتيب الأخبار لزيادة
التقرير والإشارة إلى العذر لإفادة أكمل التمييز أي إذا جاءها أجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الأجل ساعة أي شيئا
قليلا من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون أصلا وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له
ولا يستقدمون أي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على لا يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة
في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافرا مع ظهور أن لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوّفها إلى حضور الموت
إيذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة
منه وليس بذاك إذ تقدم بيان انتفاء الاستئخار إنما المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب وأما ما في قوله تعالى ما تسبق
من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير إهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فالأهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم خوطب به كافة الناس وتوجيهه إلى الكل
اهتماما بشأن ما في حيزه إما يأتينكم هي إن الشرطية ضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة
وفيه تنبيه على أن إرسال الرسل أمر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل أي كائنون من جنسكم وقوله تعالى
يقصون عليكم آياتي صفة أخرى لرسل أي يبينون لكم أحكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
جملة شرطية وقعت جوابا للشرط أي فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف عليهم الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي والذين كذبوا منكم بآياتنا وإيراد الاتقاء في الأول للإيذان بأن مدار الفلاح هو
عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وإدخال الفاء في الجزاء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا أو كذب بآياته أي تقوّل عليه ما لم يقله أو كذب ما قاله أي هو أظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا أولئك إشارة
إلى الموصول بحسب معناه كما أن إفراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بتماديهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون
بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار وقيل الكتاب اللوح أي مما أثبت لهم
وأيا ما كان فمن للابتداء متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم أي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة
العيون وعن ابن عباس كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى
حتى إذا جاءتهم رسلنا أي ملك الموت وأعوانه يتوفونهم أي حال كونهم متوفين لأرواحهم غاية لما قبله من نيلهم نصيبهم وحتى إن كانت هي التي
يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلابد أن يكون نصيبهم مما يتمتعون به إلى حين وفاتهم أي ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن يأتيهم
الموت فإذا جاءهم قالوا لهم أينما كنتم تدعون من دون الله أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة
بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كأنه قيل فماذا قالوا
عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا أي غابوا عنا لا ندري مكانهم وشهدوا على أنفسهم عطف على قالوا أي اعترفوا على أنفسهم
أنهم كانوا أي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة أصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعل المراد بوقت مجيء الرسل
وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي إلى انتهاء يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وإن كان حدوثهما في أوله
فقط أو قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته وإلا
فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الأمر بدخول النار وما جرى بين أهلها من التلاعن والتقاول إنما يكون بعد البعث لا محالة قال أي
عز وجل يوم القيامة بالذات أو بواسطة الملك ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم أي كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم من الجن
والإنس يعني كفار الأمم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت أمة من الأمم المذكورة النار لعنت
أختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا فيها جميعا أي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت أخراهم دخولا أو منزلة
وهم الأتباع لأولاهم أي لأجلهم إذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء أضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم
عذابا ضعفا أي مضاعفا من النار لأنهم ضلوا وأضلوا قال لكل ضعف أما القادة فلكفرهم وضلالهم وإضلالهم وأما

فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون أي ما لكم أو ما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت أولاهم أي مخاطبين لأخراهم
حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق
العذاب فذوقوا العذاب أي العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة إن الذين كذبوا بآياتنا
مع وضوحها واستكبروا عنها أي عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم أبواب السماء أي لا يقبل أدعيتهم ولا أعمالهم
ولا أرواحهم والتأنيث في تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتحتانية وقرئ على البناء للفاعل ونصب الأبواب
على أن الفعل للآيات وبالياء على أنه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو الجمل
في ثقب الإبرة وهو مثل في ضيق المسلك وفي كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج في سم الإبرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر
والجمل كالقفل والجمل كالشبر وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك أي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين أي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا
لهم من جهنم مهاد أي فراش من تحتهم والتنوين فيه للتفخيم ومن فوقهم غواش أي أغطية والتنوين بدل من الإعلال عند سيبويه
وللصرف عند غيره وقرئ غواش على إلغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان
عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على أنه أعظم الإجرام والجرائر والذين آمنوا أي بآياتنا أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه
الآيات دخولا أوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات أي الأعمال الصالحة التي شرعت بالآيات بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف
نفسا إلا وسعها اعتراض وسط بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة أولئك أصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي إلى النعيم
المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الإشارة مبتدأ وأصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول أو اسم الإشارة
بدل من المبتدأ الأول الذي هو الموصول والخبر أصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون
حال من أصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو خبر لأولئك على أنه جملة
وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد وعن
علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الأنهار زيادة في لذتهم
وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل ما في معنى الإضافة والعامل في المضاف إليه أو حال من فاعل نزعنا وجملة
مستأنفة للإخبار عن صفة أحوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا أي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي أي لهذا المطلب الأعلى
أو المطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا أن هدانا الله وفقنا له واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه
ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد أو لإرادة التعميم كما أشير إليه والجملة مستأنفة أو حالية وقرئ ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها
مبينة ومفسرة للأولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وتبجحا بأنهم ما جاءتهم الرسل عليهم السلام
والباء في قوله تعالى بالحق إما للتعدية فهي متعلقة بجاءت أو للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل أي والله لقد جاؤوا بالحق أو لقد
جاؤوا ملتبسين بالحق ونودوا أي نادتهم الملائكة عليهم السلام أن تلكم الجنة أن مفسرة لما في النداء من معنى القول أو مخففة من أن والضمير
للشأن محذوف ومعنى البعد في اسم الإشارة إما لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها من مكان بعيد وإما لرفع منزلتها وبعد منالها وإما للإشعار بأنها الجنة
التي وعدوها في الدنيا أورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة أي أعطيتموها بسبب أعمالكم أو بمقابلة أعمالكم والجملة حال من الجنة
والعامل معنى الإشارة على أن تلكم الجنة مبتدأ وخبر والجنة صفة والخبر أورثتموها ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة بأصحاب النار
وتحسيرا لهم لا لمجرد الإخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني إسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا
بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة فإنهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وإن لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم أي وجدناه حقا وقرئ
بكسر العين وهي لغة فيه فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم أي بين الفريقين أن لعنة الله على الظالمين بأن المخففة أو المفسرة
وقرئ بأن المشددة ونصب لعنة وقرئ بكسر الهمزة على إرادة القول أو إجراء أذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة

مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو
ابعد شيء منها والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين
وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف
اي على اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره
اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم
كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم
بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه
وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق
الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل
يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم
التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل
بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي اصحاب النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم
عليه من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم
ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب النار
يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم ما استفهامية للتوبيخ
والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم
المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة
او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة من تمام خطاب توجيه الى اولئك
المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اي قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل
الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان
المقالات وما يتفرع عليها من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة قال الله
تعالى او الملائكة اطلعهم على احوالهم وقرئ ادخلوا وادخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه
وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء
بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منعا كليا
فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا
ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم
ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا
في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يعتدوا له وقوله تعالى
وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي كما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن
على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين
بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون بآثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تأويله
اي ما ينتظرون لان الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيامة

يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاءوا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء
اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي
كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي رأس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون
اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام شروع في بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات
كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء
مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش
اي استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه
الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير
تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار
وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه
وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين
اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق
للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس
والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات
المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ
انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما حصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس
على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا
له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم ان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي عرفتم شؤونه الجليلة
تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به
في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود
الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم
اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا الى قصور
اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان
في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي
هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان
المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير
اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى بشره او بشرى وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات ومفعول مطلق
فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمع لانه بمعنى السحائب سقناه اي

السحاب او افراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله ومنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء
اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذا في قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء
وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل
انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس والبلد
الطيب اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه
في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير
والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي
لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكان الكاف للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف
الآيات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم
السلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انواره والمحرومين من مغانم آثاره وقد عقب ذلك
بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستئناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه هو جواب قسم محذوف اي والله لقد
ارسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون الجملة القسمية مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتأكيد
المقسم عليه ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليهما السلام قال ابن عباس بعث عليه السلام على رأس
اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الفا وخمسين سنة
وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان
بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليست من العبادة في شيء ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة استئناف مسوق
لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه
وقرئ بالنصب على الاستثناء بحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا او غير زيد ولكم
خبره او خبر محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف
عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف
عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف
الذين يملؤون صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال اي ذهاب عن طريق
الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استئناف كما سبق يا قوم ناداهم
باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصد عليه السلام نفي الضلال عن نفسه
ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول
من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة لها لا محالة
كأنه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده
التنوين من الفخامة الذاتية اي اني رسول اي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق
لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها او صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ
وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته
تعالى به عليه السلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالاته اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات
امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالاته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة

على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهته
تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد
عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اشعر به كلامهم من قولهم انا لنراك في ضلال مبين من تضليلهم اياه لانه بشر وقولهم لو شاء الله
لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة
من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك فانهم لاجل ذلك تعجبوا من
تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها اي ولتتقوا لعلكم
ترحمون بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للترحم بل هو منوط بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي
ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل فكذبوه فتمادوا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم
وما في تضاعيفه واستمروا على ذلك مدة متطاولة بعدما كرر عليه السلام عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به
قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات فنزل الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا بمجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين
قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى في الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف
اي استقروا معه في الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان او بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن
وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره
بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد
وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب
لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق
واخاهم معطوف على نوحا وعاد على الاول والاول هو الاولى واياما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر وكذا
الحال في قصة نوح ولوطا الى آخره فان قومه لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود
ولعل تقديم النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح
ابن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل
قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها
او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه
افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون
او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او المعطوف فقط وذلك لتعرف ان التوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه
السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن من حكاية غيره ولم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون
وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائره من سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم
قال الملأ الذين كفروا من قومه استئناف كما مر ووصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام
كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك في سفاهة اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة قالوه لما استحكم التقليد في اذهانهم من النقض الصحيح
قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمات الشنعاء الموجبة لتغليظ القول المشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء ما منها
ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد

والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربى استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة
اخرى لرسول والكلام في الضمائر الراجعة الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام
وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك اوثر الجملة الاسمية للدلالة على
الاستمرار اي ذلك دابي من قبل لا تحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام كالذي
في قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى نسبوا الى السفاهة
والكذب وفي اجابة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من نسبهم بالاعراض عن مقابلة تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالة الحمقاء المعربة عن غاية
الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدر المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم
خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر
ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر
كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم
ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان وزادكم في الخلق اي الابداع والتصوير او في الناس
بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين
فاذكروا آلاء الله اي نعمه التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير لتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر التخصيص لعلكم تفلحون
كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده اي لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عما عبد آباؤهم
انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومنزله او من السماء على التهكم واما القصد
والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون
ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به قال قد وقع عليكم
اي وجب وحق او نزل على ان المتوقع كالواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف
الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس
مع ما فيه من التشويق الى المؤخر لان فيه نوع طول لعطف قوله تعالى وغضب عليه فربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم والرجس
العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى
سميتموها اي سميتم بها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة
الاصنام اي اتجادلونني في اشياء سميتموها آلهة ليس فيها من معنى الالهية شيء لان المستحق للعبادة بالذات
ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان
والسر في ذلك ان ذلك خبر الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا
اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين
معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية
المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين
عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك للمسارعة
وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى والتصديق بآياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن
بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم
هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس

اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا
نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
قينتان لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم بالله عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي
ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك
قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء
الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله
تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم
اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت
السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا
هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله تعالى فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم
هودا وقد مر سر تقديم المجرور على المعطوف وثمود قبيلة من العرب سميت باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم
من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتأويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوهم صالح عليه السلام من نسبهم
كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة
لان يسأل ويقال فماذا قال لهم اجيب عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره
قد جاءتكم بينة اي آية معجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها
حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة وسائر الصفات الجارية مجرى الاسماء والبواد الحالة من الرخاء والشدة ولذلك
اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام
اول خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود من قوله
تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى اخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا
في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال
سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي
شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب
الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تملأ اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه فانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استئناف

مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك
كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وآية حال من الناقة والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف
بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تأكل
في ارض الله جواب للامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها
وقرئ تأكل بالرفع على انه في موضع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله علفتها
تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل
لانواع الاذية وتنكير السوء للمبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها اصلا لا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى فيأخذكم
عذاب اليم جواب للنهي روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها
ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين
قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها
قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر
وتنحتون الجبال اي الصخر وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب
فانتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال او انتصابها على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابها على المفعولية بيوتا
بيكون السهول للصيف والجبال للشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها ولا تعثوا
في الارض مفسدين فان حق آلاء الله تعالى ان تشكر ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالفساد قال الملأ الذين استكبروا
من قومه اي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الى آخره واللام في قوله تعالى
للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض
ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين
مع ان المحاورة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا
نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور
بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قالوا
ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم
فعقروا الناقة اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم كان فعل كلهم وفيه من التهويل
والتفظيع بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي
وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا
ان كنت من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فأخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما
قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم
او في مساكنهم جاثمين اي خامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة
قال ابو عبيد الجثوم للناس والطير كالبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون
عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا
والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا
غير مقصود بالذات وحيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة
فذكر كل منهما بما يليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم

رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني وذلك صيغة المضارع في قوله تعالى ولكن
لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم
عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكرا لاصرارهم على ما هم عليه روي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب
يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة
وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على الحكم
حسبما وقع فيما سبق ولحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض
بابل من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
وهي بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اي وارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم ولعل تقييد ارساله عليه السلام
بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه السلام
لقومه أتأتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي أتفعلون تلك الفعلة المتمادية في القبح المتمادية في الشر والسوء
ما سبقكم بها على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن
من احد مزيدة لتأكيد النفي وافادة معنى الاستغراق من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ
والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك
النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غيرهم لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه
مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا والجملة استئناف مقرر لما قبله من جهتهم لا انها في موقع الحال
فالمراد ما سبقكم بها احد قط لكمال قبحها وسوئها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق
كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا
فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فأخبثوا واستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي
اول من عمل به ذلك العمل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك انكم لتأتون الرجال خبر مستأنف
لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان
واللام مزيد تقبيح وتقريع كأن ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تأكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوها
مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال اي مشتهين وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون
الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة
المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم
قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الا
عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم
المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهتهم شيئا
من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامر معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا ومن معه من المؤمنين
من قريتكم اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرا
وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام
ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام
الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة
بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث
والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فأنجيناه واهله اي المؤمنين منهم الا امرأته استثناء من اهله

كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين أي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون
للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من استثنائها من حكم الإنجاء كأنه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين
وأمطرنا عليهم مطرا أي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل قال أبو عبيدة مطر في الرحمة وأمطر في العذاب
وقال الراغب مطر في الخير وأمطر في العذاب والصحيح أن أمطرنا بمعنى أرسلنا عليهم إرسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا
أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي
أن امرأته التفتت يوما فأصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا
من حالهم وتحذيرا من أعمالهم وإلى مدين أخاهم شعيبا عطف على قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا وما عطف عليه وقد مر وجه تقديم
المجرور على المفعول أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل
ابن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس
للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره مر تفسيره قد جاءتكم بينة أي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم أو بمحذوف هو صفة
لها مؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من تنكيرها بفخامة الإضافية أي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك أموركم ولم يذكر
معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر أكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي من محاربة عصاه عليه السلام التنين
حين دفع إليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد أن يكون له الدرع من أولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات
السبع لأن كل ذلك كان قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيء شعيب عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة
من ربي أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فأوفوا الكيل أي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده
قوله تعالى والميزان فإن المتبادر منه الآلة وإن جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الإضمار والفاء لترتيب الأمر
على مجيء البينة ويجوز أن يكون عاطفة على اعبدوا فإن عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا
يباشرونه ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوهم حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن أي شيء كان أي حقيرا كان فإنهم كانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه قال زهير أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما
باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الأرض أي بالكفر والحيف بعد إصلاحها بعد ما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم
بإجراء الشرائع أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كما في مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا في معاملتهم
ومتاجرتهم إن كنتم مؤمنين أي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها منعوه
وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن وقيل يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله أي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما
يصدونه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله أو بكل صراط على أنه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون
على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا أي وتطلبون
لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه أو وصفها للناس بأنها معوجة وهي أبعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم
بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الأمم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود وأضرابهم واعتبروا بهم
وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به من الشرائع والأحكام وطائفة لم يؤمنوا أي به ولم يفعلوا الائتمار فاصبروا حتى يحكم
الله بيننا أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين إذ لا معقب لحكمه
ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه

المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال الأشراف من قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء على الاتباع
من الكفار بل العرض من العود والاستكبار إلى أن قصدوا إخراجه عليه السلام فمن معه من المؤمنين وأجبروا على إكراههم عليه
بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك نسبة الإخراج إليه عليه السلام
أولا وإلى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على أصالته عليه السلام في الإخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فإنه متعلق
بالإخراج لا بالإيمان وتوسيط النداء باسمه العلم بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة من غاية الوقاحة والطغيان أي
لنخرجنك وأتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا عطف
على جواب القسم أي والله ليكونن أحد الأمرين البتة على أن المقصد الأصلي هو العود وإنما ذكر النفي والإجلاء لمحض القسر والإلجاء
كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الإخراج كأنهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وإنما قالوا له عليه السلام خطابا
العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك إنما هو بطريق التغليب لجماعته على الواحد وإنما قالوا لتعودن على طريقة ما قبله
لما أن مرادهم أن يعودوا بصدق الطاعة عند الإخراج باختيار أهون الشرين لا أن مرادهم بسائر وجوه الإكراه والتعذيب قال
استئناف كما سبق أي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في أيمانهم الفاجرة أولو كنا كارهين على أن الهمزة للإنكار الوقوع
ونفيه لا لإنكار الواقع واستقباحه كما في قوله تعالى أولو جئتكم بشيء مبين ويجوز أن يكون الاستفهام فيها على حاله قد مر مرارا
أن كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها
ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق مضمون الكلام السابق بالذات أو بالواسطة
من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر
بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره
أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة
لها عند تعددها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والأمر والنهي كما في
فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك أحسن إليه ولو أساء إليك ولا تهنه ولو أهانك لبقائها على حالها
فيما نحن فيه فيتوجه ما قصد بها فيما قبله عليه لكن الأصل في الكل هو الأول لأن كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس
الفعل المذكور قبلها والمقصود بيان تحققه على كل حال مفروض والله أن محله حال من ضميره أو ما يتعلق به وأنه في حيزه مسوق ليسوقه
من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما أن كلمة لو متعلقة بفعل مقدر بعد الهمزة المذكورة والمقصد بيان تحققه على كل حال هو عودهم لا العود أولا
وإن محله حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سلف وإن المقصود الأصلي إنكاره لا بيان مقارنته للحالة المذكورة وإنما قصد مقارنة
لغيرها ليتبع الدائرة وإن ما في حيزها لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الإشعار بأنه أمر مقرر إلا أنه أخرج مخرج الاستبعاد
مبالغة في الإنكار من جهة أن العود مما ينكر عند كون الكراهة أمرا مستبعدا فكيف عند كونها أمرا محققا معالما مع المخاطبين على معتقدهم الراسخ
من تبرئه العباد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة الإنسان للعود في الملة الكفرة ابتداء حتى يقال إنها معلوم لهم فكيف يكون مستبعدا عندهم
بل ما هي كراهة لهم بعد عيد الإخراج الذي جعل قرينا للعود في قوله تعالى وإنما لم يقل الآية فإنهم كانوا يستبعدون بنار ما يظنون أنهم يختارون
يختارون العود خشية الإخراج إذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو أشد منه والقطع والتقدير أنعود فيها لم نكن كارهين ولكنا
كارهين غير مبالين بالإكراه فالمحل المحل المحتمل النعت على الحال من ضمير الفعل المقدر حسبما أشير إليه وإنما عود فيها حال عدم الكراهة إنكارا لما
كلهم الشنيعة إطلاقا من العود على أي حال كانت غير أنه اكتفى بذكر الحالة التي هي أشد الأحوال منافاة للعود وأكثرها بعدا منه تنبيها
على أنها هي الواقعة في نفس الأمر وثقة بإغنائها عن ذكر ما عداها إغناء واضحا لأن العود الذي تعلق به الإنكار حين تحقق مع الكراهة على وجه كلامهم
فلأن يتحقق مع عدمها أولى أن يتعلق النفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري بما نحن فيه نزل منزلة صريح النفي والأمر في أن الأولوية
هناك معتبرة بالنسبة إلى النفي الإيجابي ولا بالمعنى الذي ذكر من شأن النفي عند الحالة المسكوت عنها أعني عدم النفي هو عدم الإعطاء لا ينبغي
أن يكون الأولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود بأنه بالذي هو العود لأن في معنى لا نعود وإنما اختلف الحال
على لسان مناط الأولوية هو الحكم الذي أريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الإعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور

وهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستثناء فخارج عنه وارد
على ابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لانه من تمامه كما هو صريح النفي واوضح ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف احكامهما التي من جملتها
ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الآخر على وجه كلية
الا ترى انك لو قلت مكان العود فيها الى آخره لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود
المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه ما يذكر بعده من القيد حسبما
ينفي واما همزة الاستفهام فانها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان الاستفهام على الانكار والنفي ليس الا وضعه لا لانه حرف النفي
حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث نفي بل هي ولا لا وضع له يستفاد من سياق الكلام فلا ما ذكر
ما يذكر بعد الفعل من القيد والعود اعني انكاره ونفيه حتما بكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المعتبر
نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغني عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكان
حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة يستلزم تحققه فيما
بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة يستلزم نفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لا الثاني فانه نفي العود في حالتيه مع الاقتصار
على ذكر ما يغني عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فالوجه استقامتهما جميعا عند ذكر الحالين
معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان
في حكم الملفوظ قلت وجهان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الآخر وثانيا ان بينهما متفقان في جميع الاحكام
كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في حالتين ومدلول الثاني ان الكون في حالتين منتف كلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في حالتي
مع ذكرهما معا وان الثاني مصحح لنفي العود في حالتيه مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار
على حال الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وانه
كما لمثله وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق اي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف
حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا اي ما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال
او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه
ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته
تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى واياما كان فليس المراد
بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء
التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به
خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له
عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين
اي احكم بيننا بحق الفاصل الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين
ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام باموره حسبما يأمرهم المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان
مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مدار قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعدما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام
ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا
ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف

والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام
ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة
هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم
بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كأن لم
يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا
لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة
الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام
عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام
كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه الى آخره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم قاله عليه السلام بعدما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا
على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى
لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بالامالة وما
ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد
النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب
من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير قد كما في هذه الآية او مقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام
والمعنى وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر
والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم
كقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة
التي اصابتهم لما ذكر الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
حتى عفوا اي كثروا عددا وعُددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف ابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ابتلاءهم كان من
الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير
ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل التعبير عن السراء بالمس للمشاكلة فاخذناهم اثر ذلك بغتة
فجأة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية
وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ وتمام الاهلاك ايام كاهلاك ثمود ولو
ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر هنا
انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروه
على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادة الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء
وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لما
انه مستلزم للثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الى آخره وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم
بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة افأمن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر
موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امنهم على طائفة ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم ما خص بهم لا
الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

ان كم

والآية معطوف على فأخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اى تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او أمن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى اى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اى يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون أفأمنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الأمن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اى الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقدير الشرطية اى أولم يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اى ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسببه كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعول ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله تعالى أولم يهد كأنه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية ونطبع او على منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق لو فهم لا يسمعون اى اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات تلك القرى جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيما بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اى بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوّز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث لم يبق منهم ديار اهلكهم ايضا بالخسف بها او الرجفة وبقاؤها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان اتى كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اى وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة الكثيرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما ورأوها فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على الفعل بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اى فعجزوا فلم يزحزحوا عنه فلم يجب واللام لتأكيد النفي اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك مستحيلا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان الحكي عنهم اما حال قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما أشير اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة الموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق الايمان والتكذيب به عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها او كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما أشير اليه آخرا تكذيبهم من قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثرا ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم

بعد مجيء رسلهم كما كانت قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ما ورد في سورة يونس من قوله تعالى بما كذبوا به من قبل لان ما هناك ليس بنص في الرجوع الى التصميم كذلك اى مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اى اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اى ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اى وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يوفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عاهدوا عليه عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود بأي معنى كان وان وجدنا اكثرهم اى اكثر الامم اى علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف اى ان الشأن وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اى ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اى ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اى بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل الى فرعون وهو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اى اشرافه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها اى كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اى ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين كما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب بسقوط الخافض اى فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اى اليك من رب العالمين على الوجه الذي قرر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب لسؤال ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عليه السلام في دعوى الرسالة كأن اصله حقيق علي ان لا اقول الى آخره كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الالباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب علي القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده

وانا اي بأن وقرئ حقيق ان لا اقول وهو لكذا قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين
وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام اثر ما بعث من جواب فرعون اثر ما ذكر هنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورات المحكية
بقوله تعالى فمن ربكما يا موسى وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوي هنا ذكره للايجاز ومن متعلقة بجئتكم على انها لابتداء الغاية
مجازا او بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين
بعد اضافته فيما مر الى العالمين لتأكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن
آبائهم وقد كان استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملونهم في الاعمال الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل
يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبلها من رسالته عليه السلام
قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقيل قال ان كنت
جئت بآية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فأحضرها حتى يثبت بها جملة المعروف بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهي الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب
وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون
يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اي من جيبه او من تحت
ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار تعجبا من امره وذلك ما يروى انه ارى
فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس
وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لانها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون اي الاشراف
منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول
معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اي من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما في ماذا في محل
النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كأنه لما سمع
ذلك سلم الى ان اخذه بالغيبة اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى
قالوا ارجه واخاه على الاول هو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه
ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لذكره لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى
اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجئهو من ارجأه وارجه وارسل في المدائن
حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم بأقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا
قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء
بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعدما
ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة
الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا
مدلين بما عندهم وواثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر
عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا نحن الغالبين لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم
في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم اي ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما
سد مسده حرف الايجاب كأنه قيل ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي
وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام
يا موسى اما ان تلقي ما تلقيه اولا واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام بالبدء
بالالقاء مراعاة للادب اظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقدم والتأخر لكن كانت رغبتهم في التقدم كما ينبئ عنه تغييرهم

للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بهم اي القوا ما تلقون فلما القوا سحروا
اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون
اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الآية وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب
كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف اي يقلبونه عن وجهه
المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملء الوادي
من الخشب والحبال رفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة فقالت
السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين
على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة
اذلاء مقهورين والاول هو الانسب لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كأنما القاهم
ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول
لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون
منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة
كما في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير اذن مني كما في قوله
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره
عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام
وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام ارأيتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأؤمنن بك
وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل وهاتان الشبهتان القاهما اللعين على
عوام القبط عند مشاهدتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها حتى لا يتبعوهم في الايمان
بنبوة موسى عليه السلام بناء على ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم
ومعلوم ان مفارقة الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم
لموسى عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق
الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم اجمعين تفضيحا
لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله قالوا
استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه
من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا
فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون
فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل قائلين
ربنا افرغ علينا صبرا اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعدما شاهدوا من امر موسى عليه السلام ما شاهدوا
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا
او جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه
اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن وآلهتك

ومعبودا لك وقيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ آلهتك
اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلموا انا على ما كنا عليه من القهر
والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا
لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا
استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا
اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى
وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل ان تأتينا اي بالرسالة
يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة
وساير ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع
الخدم والمهن كما قيل فيه ما لحقهم بواسطته عليه السلام فقيل لكره كذلك باب المقام قال اي موسى عليه السلام لما رأى شدة
جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله الى آخره عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم
باعادته ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال
وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي
ان مصرا انما فتح في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع جريا على سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب
اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنين
جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونها
بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر
وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحينئذ لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد
فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء في الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف بالتنوين ونقص من الثمرات
باصابة العاهات عن ابن عباس ان علي ان من زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم
واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم
وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه
الا يرى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون من اوائل سورة البقرة
وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه
اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابنا
الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة
الآيات وهم كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق
الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما
طائرهم عند الله استئناف مسوق من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه
اي ليس سبب طيرهم الا عند الله تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح اي ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة
لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ذلك
ما يقولون ما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون
ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض

ما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا
بعد ما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها
ما المزيدة للتأكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما نذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرار المتجانسين هذا رأي
السيد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي شيء تظهر لدينا
وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لجاراتهم على راي موسى عليه السلام واستهزائهم بها لا للاشعار بان عنوان كونها آية
لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وسموها سحرا ارشادا الى الحق بالسحر تسكيرا للابصار النظر الى الحرمان
راجع الى مهما وتذكير الاول لرعاية جانب اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه كما في قوله تعالى ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم
عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان
وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا
ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة
وهي خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم
وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط
الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن
انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم
عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع
القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف
آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض
لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة
يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم
الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا
في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعو به فيجيبك كما اجاب
في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب
منك بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي
اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اي الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه
او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم
لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام
والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال رب الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى الواضحة وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا
كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب
آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار
الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة
الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا

في اكنافها المشرقة والمغربة كيف شاؤوا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابو العاقلة وتمت كلمت ربك الحسنى وهي وعده تعالى اياهم بالنصرة والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الى الخبر وقيل كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الى آخره اي صنعه والعدول على كان زائدة كما ذكره ما موصولة والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة لشكره واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله عليه السلام وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوزنا بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر وروي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعدما اهلك الله تعالى فرعون فصامه شكرا لله عز وجل فاتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل قالوا عندما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم على اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جعلها لذلك لانه على الحق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس فيه شيء الى الحق فان المراد بما كانوا يعملون عبادتهم تلك وان كانت في نفسها حسنة لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاوثان والاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى الها لا انه لا يحصل الانكار بغيره تعالى وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة للنكرة انتصب حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المقابلة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تعالى الله عما يقولون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجاكم فيكون من كلام موسى اي اذكروا وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية يسومونكم سوء العذاب مستأنفة لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتمالها على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من ربكم فان البلاء والابتلاء كلاهما من الله سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالاتمام لانها عند الشهر وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلاثين ويعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون عند توجهه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك او لن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطي الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من ان اسالك شيئا بغير اذن منك تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استئناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك صفوة واثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهارون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع برسالاتي اي باسفار التوراة وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين اي على ما اعطيتك من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجد خضراء او ياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار القول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وهو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالات او للتوراة وامر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل

كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى خذوا بها واحسن صلة وقيل اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق [illegible] سأريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اتيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم على لغة من يقول اريته اي سأبين لكم ذلك وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التوراة من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا يتفكرون في آياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم فتكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فأبى الله الا احقاق الحق اذ ان الباطل [illegible] وانما الانسب ان يراد بدار الفاسقين الجبابرة والعمالقة المشهورين بالعتو والتكبر في الارض بارض المقدسة او جلالها بالشام اي ساكنهم ومنازلهم حسبما ينطق به قوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ان يكون قوله سأصرف عن آياتي الى آخره جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات الآيات المعجزات [illegible] عن مقاومتها ومعارضتها لما شاهدوا من وقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها بايدي موسى عليه السلام ومن بعده من انبياء بني اسرائيل او بايديهم على حكم التوراة حين الى اريحا ويوشع بن نون في خدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم انا عن الطمع في القرار وابطال شيء بالآيات واطفاء نورها بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها والاحساس بها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي ان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ الرشد وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه لهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف [illegible] الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف وقد قرن ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية ويجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله محله النصب اي صرفهم الله ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي لقائهم الدار الآخرة او لقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء محله الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملون من الكفر

والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنيهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها منهم بعلة العرس فبقيت في ايديهم واما لانهم ملكوها بعد الغرق فان ذلك من قبيل ما اورثه بنو اسرائيل من غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قوله حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء للاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اي جسدا ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكأنهم فعلوه واما لان المراد باتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه ألم يروا انه لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي ألم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير مواضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه للتشنيع وترتيب الاعراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وقوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول ان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه فكل ذلك اريد تقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام اوان رجوعه غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما خلفتموني من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما ينافيه من عبادة البقر حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قول هارون اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلافة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي اتركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه عليه السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه عليه السلام بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هارون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست المخاوف والشدائد فيه وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقرئ بالفتح زيادة للتخفيف وتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني

وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي
الاعداء اي فلا تفعل بي ما يشمتون بسببه بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بنسبة التقصير
وهذا نوع كون الخطاب محتمل او لا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
اعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله
ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه فلا تتم
شماتتهم ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران
ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والاخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما
قبله ان الذين اتخذوا العجل اي تواصلوا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه الذين اشربوه في قلوبهم كما ينبئ عنه كون
الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اي في الاخرة غضب
اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بالفعل
او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا هي ذلة
الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء
بلا مساس وقيل ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت ايراده انهم يحترسون مع مطابق
نعت حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون والغضب امرهم بقتل انفسهم اعتذر على ... ذلك حكاية
لما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل وانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب
وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسباقه نابيان عن ذلك نبوا ظاهرا وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه
فانهم شهداء انهم حكى عنهم بعد ذلك بالاقرار ايضا ليس يجزي الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة
وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافعال الاباء شهير معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا
الاية وقوله تعالى واذ انجيناكم الاية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد
بالموصول المتخذون حقيقة والضمير في ينالهم لاخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل
بين الشجرة ولحائها والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها اي من بعد عملها وامنوا
ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها
اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين
تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه او بتوبتهم وهذا صريح في ان ما حكي
عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من البلاغة ما لا يخفى حيث نزل الغضب منزلة الامر الناهي
والقول منزلة الامر والمغري عليه بالشدة والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن واسكت على ان الفاعل هو الله
او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلى بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة
بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون
او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء
التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل الى المجرور كما في قوله اخترتك
الناس اذ ذمت خلائقهم والحمل من كان يرجى عنده السؤال اي اخترتك من الناس سبعين رجلا مفعول لاختار وفي تقديمه اشعار
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعدما وقع من قومه ما وقع لا للميقات الكلامي الذي وقع قبل ذلك
قال السدي امره الله تعالى بان ياتيه في اناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار من قومه سبعين رجلا قال

محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا الى الله تعالى مما صنعوا ويسألوه التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط
ستة فزادوا اثنين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب الباقون وامرهم
ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه
يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما انكشف الغمام فلما اخذتهم الرجفة لما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما
انصرف اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا
وقيل ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الامر بقتل انفسهم من الله تعالى حتى نراه جهرة كما سمعوا انه تعالى على
كلامه فاخذتهم الرجفة فلما رأى موسى ذلك قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا
عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياي ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به عليه
السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعم مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انك حين
لا تهلكنا لم تكن من يرى اهلاكنا الآن بل حيث عفوت عنا فلا غرو في ان تعفو عن هذه الجريمة ايضا
وحمل الكلام على التمني قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتبينون المداخل والمخارج
انه للانكار ووقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك
استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة
الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك بغير القياس وقوله
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها اي تضل بسببها
من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا
اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله
من الولاية كانه قيل من شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه السلام على ان يقول ان هي الا فتنتك الى اخره جراءة عظيمة
فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة اثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي عين لنا واوجب وحقق واثبت
في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي الاخرة
اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة اي المثوبة الحسنى او الجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء
من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة
على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة
مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في مضمونها والمعنى انا جئناك تائبين فاعطنا ما هو
العظيم شأنه جنابك لا اعتذار عنا وعما وقع منا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم
الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف
عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء
موسى فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل لما جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم حين دعا عليه السلام دعاء التخفيف
والتيسير حسبما قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة عارية من المشقة والشدة فانه كان في قتل انفسهم من الشدة ما لا يخفى اجاب عليه
بان عذابي شأنه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي
ورحمتي وسعت كل شيء اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما دخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك
نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى
الذات واما العذاب فمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية ظهورها الا ترى الى قوله تعالى
فساكتبها اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء

فسأكتبها كتبة خاصة كأنه لما دعوت بقولك اكتب لنا في هذه الدنيا أي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين يتقون
أي الكفر والمعاصي إما ابتداءً أو بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا لقومك لأنهم غير متقين فكيف يطمع لهم من الرحمة وإن كانت مقارنة
للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكاة وفيه أيضاً تعريض بهم حيث كانت الزكاة شاقة عليهم لما فيهم من الشح وإنما لم يذكر بقية العبادات إما لإنافتها على سائر العبادات أو
اكتفاءً منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وإيرادها لما مر من التعريض والذين
هم بآياتنا جميعاً يؤمنون إيماناً مستمراً من غير إخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام
وما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع أن المراد به عين ما أريد بالموصول
الأول إما من أن تعلق يؤمنون بآياتنا عطفاً على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون لما أشير إليه من القصر بتقديم الجار والمجرور
أي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي يوحى إليه كتاباً مختصاً به النبي أي صاحب المعجزة
وقيل عنوان الرسالة بالنسبة إليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة إلى الأمة الأمي بضم الهمزة نسبة إلى الأم كأنه باق على حالته التي ولد عليها
من أمه أو إلى أمة العرب كما قال عليه السلام إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب أو إلى أم القرى وقرئ بفتح الهمزة أي الذي لم يمارس القراءة والكتابة
وقد جمع مع ذلك علوم الأولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الأول أو بدل الكل أو منصوب على المدح أو مرفوع عليه أي أعني الذين
أو هم الذين وإما جعله مبتدأ على أن خبره يأمرهم أو أولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوباً باسمه ونعوته بحيث لا يشكون
أنه هو ولذلك عدل عن أن يقال يجدون نعته أو وصفه مكتوباً عندهم زيد هذا لزيادة التقرير وأن شأنه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب
عنهم أصلاً في التوراة والإنجيل اللذين تعبد بهما بنو إسرائيل سابقاً ولاحقاً والظرفان متعلقان بيجدونه أو بمكتوباً وذكر الإنجيل
قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر عيسى عليه السلام والقرآن الكريم قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستأنف
لا محل له من الإعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض أحكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها إجمالاً فإن ما فيه من الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وإسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل محله النصب على أنه حال مقدرة
من مفعول يجدونه أو من النبي أو من المستكن في مكتوباً أو مفسر لمكتوباً أي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم
عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف
الشاقة التي هي مثل ثقل ما كتب عليهم حتى من أن التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء
الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء أنه كانت بنو إسرائيل إذا قاموا يصلون لبسوا
المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم
وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة المتبعين واغتنامهم
مغانم الرحمة الواسعة إثر بيان نعوته الجليلة والإشارة إلى إرشاده عليه السلام إياهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات
وتحريم الخبائث أي فالذين آمنوا برسالته وأطاعوه في أوامره ونواهيه وعزروه أي عظموه ووقروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه وقرئ بالتخفيف
وأصل العزر المنع ومنه التعزير ونصروه على أعدائه في الدين واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور
المنبئ عن كونه ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره أو مظهراً للحقائق كاشفاً عنها لمناسبة الاتباع ويجوز أن يكون معه متعلقاً باتبعوا أي اتبعوا القرآن المنزل
مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه أولئك إشارة إلى المذكورين من حيث
اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف
أي أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون أي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الأمم فيدخل فيهم
قوم موسى عليه السلام دخولاً أولياً حسبما ينبئ عنه إلحاقهم بهم من الصفة العائدة ويتحقق ما سأل التوفيق عليه
السلام ويتبين وجه الاتحاد وما قيل من أنه تعالى لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم
بآياته العظام التي أجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين
آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما آتاهم كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفاً لهم وترغيباً في إخلاص الإيمان والعمل الصالح قل
يا أيها الناس إني رسول الله إليكم لما حكى في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من أهلهما ونيلهم لسعادة الدارين

أمر عليه السلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائناً من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص
رسالة سائر الرسل بأقوامهم وإرسال موسى إلى فرعون وملئه بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك
العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية بإرساله بني إسرائيل من الأسر والقسر وأما العمل بأحكام التوراة فمختص ببني إسرائيل
جميعاً حال من الضمير في إليكم الذي له ملك السموات والأرض منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه صفة للجلالة
وإن حيل بينهما بما هو متعلق بما أضيف إليه فإنه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا إله إلا هو بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو
الإله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير ألوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الأمر على ما مهد
وتقرر من رسالته عليه السلام وإيراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال
ووصف الرسول بقوله النبي الأمي لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى
الذي يؤمن بالله وكلماته أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل أهل الكتابين على الامتثال بما أمروا به والتصريح
بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن تنبيهاً على أن المأمور
به الإيمان به عليه السلام من حيث إنزال القرآن عليه لا من حيثية أخرى أو على أن المراد بها عيسى عليه السلام تعريضاً باليهود وتنبيهاً على أن من
لم يؤمن به لم يعتد بإيمانه واتبعوه أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين أو حال من فاعليهما
أي رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب أو راجين له وفي تعليقه بهما إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر
على الغي والضلال ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمتبعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم أمة يهدون
أي الناس بالحق أي ملتبسين به أو يهدونهم بكلمة الحق وبه أي بالحق يعدلون في الأحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع
في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه أنه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا
في العتو والطغيان حتى اجترؤوا على قتل الأنبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك
الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه سنة ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون
القبلة وقد ذكر من النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا
قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى السلام
ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وأنت خبير بأن تخصيصهم بالهداية من بين قوم موسى عليه السلام مع أن منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد
وقطعناهم أي قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث
للحمل على الأمة أو القطعة أي صيرناهم اثنتي عشرة أمة أو قطعة متميزاً بعضها من بعض أو حال من مفعوله أي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى
أسباطاً بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة أسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى
أمماً على الأول بدل بعد بدل أو نعت لأسباطاً وعلى الثاني بدل من أسباطاً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه حين استولى
عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم والتعبير عنهم بالقوم لتحقيق استسقائهم إياه عليه السلام لقوله تعالى وإذ استسقى موسى لقومه
أن اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الإيحاء وقد مر بيان حال الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
قد حذف تعويلاً على كمال الظهور وإيذاناً بغاية مسارعته إلى الامتثال وإشعاراً بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيهاً على كمال سرعة الانبجاس
والانفجار كأنه حصل إثر الأمر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً
بعدد الأسباط وأما ما قيل من أن التقدير فإن ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم
كل أناس كل سبط عبر عنهم بذلك إيذاناً بكثرة كل واحد من الأسباط مشربهم أي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام أي جعلناه
بحيث يلقي عليهم ظله يسير بسيرهم ويسكن بإقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وأنزلنا عليهم المن والسلوى
أي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل

منه ما يكفيه كلوا أي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم أي مستلذاته وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن
والسلوى وما ظلمونا رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للإيجاز والإشعار
بأنه أمر محقق غني عن التصريح به أي فظلموا بأن كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي لا يتخطاهم
ضرره وتقديم المفعول لإفادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر وإذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وإيراد الفعل على البناء للمفعول
مع استناده إليه تعالى كما صرح به فيما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى وإذ قلنا لجريا على سنن الكبرياء والإيذان بالغنى عن التصريح به
لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد في التوبيخ أي اذكر لهم وقت قوله تعالى لأسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوبة
على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية وهي بيت المقدس وقيل أريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية
عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا إيذان بأن المأمور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والإقامة
ولذلك اكتفي عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها أي من مطاعمها وثمارها على أن من تبعيضية أو منها على أنها ابتدائية
حيث شئتم أي من نواحيها من غير أن يزاحمكم فيها أحد فإن الأكل المستمر على هذا الوجه لا يكون إلا رغدا واسعا وعطف كلوا
على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فإنه مقدم على الأكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة أي مسألتنا أو أمرك
حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب أي باب القرية سجدا أي متطامنين مخبتين أو ساجدين شكرا
على إخراجهم من التيه وتقديم الأمر بالدخول على الأمر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين
من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم إن كان المراد بالقرية أريحا فقد روي أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه السلام بمن بقي من بني إسرائيل
أو بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما في سورة المائدة وأما إن كان بيت المقدس فقد روي أنهم لم يدخلوه في حياة موسى
عليه السلام وقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون إليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم
خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا للإيذان
بأن ذلك استئناف مترتب على تقدير سؤال ناشئ من الإخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم
فبدل الذين ظلموا منهم بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روي أنهم دخلوه
زاحفين على أستاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بأمر الله عز وجل واستهزاء
بموسى عليه السلام وقوله تعالى غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا
على المغايرة من كل وجه فأرسلنا عليهم إثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد لأن الإرسال
من فوق فيكون كالإنزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون
ألفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به
ترتيب الإرسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما أن الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة وأما التعليل بالفسق
بعد الإشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى أعلم واسألهم عطف على المقدر في وإذ قيل أي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع
وتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى وإعلاما لهم بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها إلا من مارس كتبهم قد أحاط
به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا وليس ذلك بالتلقي من كتبهم لأنه عليه السلام بمعزل من ذلك فتعين أنه من جهة الوحي الصريح عن القرية أي
عن حالها وخبرها وما جرى على أهلها من الداهية الدهياء وهي أيلة قرية بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية
التي كانت حاضرة البحر أي قريبة منه مشرفة على شاطئه إذ يعدون في السبت أي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت وإذ
ظرف للمضاف المحذوف أو بدل منه وقيل ظرف لكانت أو حاضرة وليس بذاك إذ لا فائدة في تقييد الكون أو الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون
وأصله يعتدون ويعدون من الإعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة إذ تأتيهم
حيتانهم ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل والأول هو الأولى لأن السؤال عن عدوانهم أدخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء
لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى وإضافتها إليهم للإشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر أفراد الجنس من

الخارقة للعادة أو لأن المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وإن ذكر من الإتيان وعدمه لاعتياد أحوالهم عدم التعرض
لها يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتأتيهم أي تأتيهم يوم تعظيمهم لأمر السبت بالتجرد للعبادة وهو في الأصل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام
فيه ويؤيد الأول قراءة من قرأ يوم إسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف حال من حيتانهم أي تأتيهم
يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون أي لا يراعون أمر السبت لكن لا بالتجرد وعدم المراعاة مع تحقق يوم
السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا أي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من أسبت
ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما أمروا به يوم السبت لا تأتيهم
كما كانت تأتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما أن الإخبار بإتيانها يوم سبتهم
مظنة أن يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم أي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع
نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عداوتهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة بما كانوا
يفسقون أي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فإن فسقهم فيها لا يكون
سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم سبتهم فالجملة بعده
حينئذ استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان تارة وعدمه أخرى وإذ قالت عطف على إذ
بعد العظة والإنذارات أمة منهم أي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول
لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع وإما لزيادة الإعذار وعما فائدة الإنذار لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخترمهم
بالكلية ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا أو معذبهم في الآخرة
لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فإنهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة
وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وإنما قالوه
مبالغة في أن الوعظ لا ينجع فيهم أو ترهيبا للقوم أو سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم إنما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ
فإن بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به واعظيهم ردا عليهم
وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا أي الوعاظ معذرة إلى ربكم أي نعظهم معذرة إليه تعالى على أنه مفعول له وهو
الأنسب بظاهر قولهم لم تعظون أو نعتذر معذرة على أنه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي موعظتنا
معذرة إليه تعالى حتى لا ننسب إلى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم
يتقون عطف على معذرة أي ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في أن القائلين لم تعظون ليسوا من الفرقة
الهالكة وإلا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به أي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء وأعرضوا عنه إعراضا كليا
بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلا أنجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران وإخراج إنجائهم مخرج
الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لإهلاكهم لما أن ما في حيز الشرط شيئان النسيان والذكر كأنه قيل
فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين وإنما قدم الجواب بنجاتهم فلما مر أن المسارعة إلى بيان
نجاتهم من أول الأمر مع ما في المؤخر من نوع طول وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الأمر بعذاب بئيس أي شديد
وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين
ونقل حركتها إلى الفاء ككبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب وبئس كريس على قلب الهمزة ياء ثم إدغامها وتأخير التعليل للتهويل بما كانوا يفسقون
متعلق بأخذنا كالباء الأولى ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما أي أخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة
وهو الظلم والعدوان أيضا وإجراء الحكم على الموصول وإن أشعر بعلية ما في حيز الصلة لكنه صرح بالتعليل المذكور إيذانا بأن العلة هو الاستمرار
على الظلم والعدوان مع ما لما أخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه
بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه أي تمردوا وتكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين صاغرين أذلاء بعداء عن الناس والمراد بالأمر هو الأمر التكويني لا التكليفي وترتب المسخ على العتو على الانهماك

عما نهوا عنه للايذان بان ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب
البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فهو المعنى
بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا بان حرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها
المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت
فاتخذوا حياضا سهلة الورود وصعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم
الاحد وقيل اخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى
الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وتمولوا
وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا النصيحة وقالوا لم تعظون
وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح
الناسون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم
فعرفت القردة انسابها من الانس وهم لا يعرفونهم فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الا ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا
عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها
خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا الساعة
واذ تاذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسالهم وتاذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى اوعد وبمعنى عزم فان
العازم على الامر يحدث نفسه اجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي
واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب
وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمن عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا
يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب
يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر
من اقطارها بحيث لا يخلو قطر منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله
منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ومن يسير سيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف
اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر
والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التوراة من اسلافهم يقرءونها
ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي ياخذون حطام هذا الشيء
الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا
ويقولون سيغفر لنا ولا يواخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين الم يوخذ
عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا
والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه عطف على الم يوخذ من حيث المعنى فانه تقرير اي اخذ عليهم ذلك ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا
تعقلون فيعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون
بالكتاب اي يتمسكون في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا
بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك
وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة

بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر عطفا
على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط
اما الضمير المحذوف كما هو راي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو راي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى
فان الجنة هي الماوى اي ماواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه
وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط
عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة
لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما اتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق
للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني ادم المراد بهم الذين ولدهم كائنا
من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان
بالاعتناء بشان الماخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد
للاستفهام الاتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله
تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير للابتناء على التفصيل بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال وتنبيه
على ان المراد اخراجهم من اصلاب الاباء بعد ما استودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول
بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم
على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني ادم كذلك وتخصيصها
باليهود سلفا وخلفا مع ان ما ذكر من الحكاية شامل للكل كافة لتذكير الميثاق اشهدهم على انفسهم
اي اشهد كل واحدة من تلك الذريات الماخوذين من ظهور ابائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية
على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق
من غير ان يكون لاحد مدخل في شان من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استيناف مبني على سؤال
نشا من الكلام كانه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث
الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا مبدا الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الافاق والانفس المؤدية الى التوحيد
والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة
ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الافاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا تاما
وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون
هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا
بالتاء على توجيه الخطاب مصروفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب
لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله
من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا
عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق القوة القريبة
من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا
انما اشرك اباؤنا عطف على تقولوا او لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل من قبل زماننا

طلاق

ذرية من بعدهم لا نهتدي السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل {أفتهلكنا بما فعل المبطلون} من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي واتاخذنا فتهلكنا الى آخره فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدليل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقالة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهور آبائهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم التعرض لذلك في الحديثين الشريفين ليس بنافٍ له ... وما قالوا من ان هذا الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك مردود لكن لا لما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل لان قوله تعالى ان تقولوا ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يقولوا يوم القيمة بغفلتهم عنه وتقليدهم للآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر واما على تقدير كونه من كلامه تعالى فالعامل في ان تقولوا لا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا عليكم بذلك لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة الخ لانا نذكركم حينئذ {وكذلك} اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة {نفصل الآيات} المذكورة لا غير ذلك {ولعلهم يرجعون} وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدائية ويجوز ان تكون استئنافية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الى الحق {واتل عليهم} عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمط الانباء عن الحور بعد الكور والضلال بعد الهدى اي واتل على اليهود {نبأ الذي آتيناه آياتنا} اي خبره الذي له شأن خطير وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام التوبيخ لليهود بهناتهم {فانسلخ منها} اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر ببالها اصلا وخرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايثار ما كان للتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة عن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال {فأتبعه الشيطان} اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته {فكان من الغاوين} فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويروى انه كان موسى عليه السلام ... عليهم ... {ولو شئنا} كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية

ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه {لرفعناه} اي الى المنازل العالية للابرار العاملين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى {بها} اي بسبب تلك الآيات بان عمل بموجبها باختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله الا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسبما جرت به العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان سند ما يؤدي الى نقيضه اليه حيث قيل {ولكنه اخلد الى الارض} مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كما في لو رفعه مباشرة بسبب رفعناه بسبب تلك الآيات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه في كل من المقامين ما ذكر في الآخرة بل على شعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بخير فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات ومحض فضله لا دخل فيه لعمله حقيقة بل لا جمع افعاله وعباداته بمقابلة نعمه ومفضلاته وان نقيضه انما يترتب على اختيار على حب العبد لا بالارادة الذاتية وبخلافه في وجه ذكر الارادة مع المرسح في الآية المذكورة وهو سر جريان السنة القرآنية على اسناد الخير الى الله تعالى واقتصار الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة {واتبع هواه} معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى {فمثله كمثل الكلب} لانه اخس الحيوانات واسفلها وهذا مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل {ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث} اي يدلع لسانه لضعفه في ارذل احواله وهي حال دوام اللهث في حالتي التعب والراحة فكان حاصل فوز اي وانسحب جماع الذلة والسآمة على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الى آخره للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استمراره عليها وحالتي فعل الشرط محل النصب على الحالية اي لاهثا في الحالتين والتعبير عنهما بالحمل والترك مع ان ... باللهث والاعياء والنفس الشديد او هو حيث يكون الكروب وانما اللهث في الكلاب طبع لا تعب ... المتحرك ... بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد الا لمجاوزة الكروب للعناء والتعب ... مع ... تفضيل ... ليحمل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ... الى المعنى ... سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم ... حالتي الاطمئنان واضطرابه ... بعد الانسلاخ ... والاضطراب ... {ذلك} اشارة الى ما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك وذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة المنسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان بعد منزلته في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء {مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا} وهم اليهود حيث قرأوا في التوراة ما نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز ما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة {فاقصص القصص} المعهود مصدر بمعنى المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي واذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك {لعلهم يتفكرون} فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتحلية في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم {ساء مثلا} استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونها كحال الكلب المنسلخ وساء بمعنى بئس والفاعل مضمر فيها ومثلا مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى {القوم الذين كذبوا بآياتنا} وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما الى جهة المخصوص اي ساء مثلا مثل القوم الى آخره او الى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم على اعادة القوم موصوفا بالموصول مع ... الضمير ... ساء مثلهم للايذان بان مدار السوء في حيز الصلة وربط قوله تعالى {وانفسهم كانوا يظلمون} به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها

وبين ظلمهم لانفسهم خاصة منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها وما كان فيه يظلمون للحصر الى ان
كذبهم بالايات يستعقب للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي تصريح
النبي صلى الله عليه وسلم بان تحقق مضمون المثل على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد
الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقيب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط
العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى
اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة
بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية التي من شأنها الايصال اليها كما تحقق في تفسير قوله تعالى
هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر ليحتاج الى استلزام ما ذكر
للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء الذي هو الحسنة كأنه قيل من هداه الله فهو الفائز بنفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء
على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يخلق الله فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان
ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور
هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها للايذان بان الهداية
الهدى تعرف طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها
والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما او تأخيره عنهما
الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق
من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق
الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم من الايات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة
وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب على انه صفة
اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة
لسائر افراد الجنس فاقدة لكمالاتها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله ثم وصف لها بكمال الاغراق في القساوة
فانها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شأنهم
ان يفقهوا بها شيئا مما من شأنه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه
حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك
على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات
فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الايات التنزيلية
تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء
حالهم في اثبات كل صفة من تلك الصفات لهم ووصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون
بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام
في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شأنها
ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع
والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون
ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها
هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل

ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته
ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه عما يليق به من الامور
وما لا يليق اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها
عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق
الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه ونحو ذلك فالمراد
بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار
بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك
الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره
تعالى كما سموا اصنامهم الهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه
تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف ليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم
صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما ينبئ عنه
قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة
كأنه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين
فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان
اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار
مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ اي بعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة
كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون
فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الاية وعنه عليه السلام
ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون
وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح
والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهتدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه
الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام
على تكذيبها اي الذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك
شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط
او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ
اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه حيث يزعم ان ذلك
ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا
انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق
عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور
اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم
واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج
الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع انه
من الافعال [illegible] اعتناء بمضمون الكلام لاشتماله على تجديد القصد المؤكد واما ان ذلك للاشعار بمحض التقدير لا الى [illegible]
بوسط [illegible] ولا [illegible] على [illegible] الى ذلك الا الامر [illegible] في قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير

لانفسهم اما علي لهم الآية بل انما ايراده في امثال هذه المواد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ﴿ان كيدي متين﴾ تقرير للوعيد
وتأكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا
لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير
ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما ﴿اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة﴾ كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شأنه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات
التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وما اما استفهامية
انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة مصدر كالجلسة يراد بها الهيئة كالركبة
والجلسة بكسر التفعيل والتحير والجملة معلقة لفعل التفكر لانه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب بنزع الجار اي اكذبوا بها
ولم يتفكروا في اي شيء من جنون كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الهداة الهادية بما عليه انزلت من الآيات اي ليس بصاحبهم
شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله
تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت وقيل
ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام
عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لان ما كان
يأتي به خارق للعقول العادية لا يصدر الا عمن مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل صحيح او عمن له تأييد الهي
يخبره عن الامور الغيبية وليس عليه السلام من شأنه الاول فتعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا
ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتعرض لنفي الجنون
حينئذ للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى
﴿ان هو الا نذير مبين﴾ جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله
عز وجل ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى ﴿اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض﴾ استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس
الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شأنه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف
على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر استدلال في السموات
والارض من عظم الملك وكمال القدرة ﴿وما خلق الله من شيء﴾ اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصهما بكمال ظهور عظم الملك
او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى ﴿من شيء﴾ بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يتعلق به اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته وسائر شؤونه
التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لكونها متحدة في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل
واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى ﴿وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم﴾ عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشأن وخبرها
عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشأن والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشأن عسى ان يكون الشأن
قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمساق
الانكار والتوبيخ تأخيرهم للتفكر والتأمل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات
القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل ﴿فبأي حديث
بعده يؤمنون﴾ قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون
والضمير بعده للقرآن على حذف المضاف المفهوم من كذبوا او التذكير باعتبار كونها قرآنا او تأويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة المنبئ
اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احوال الرسول عليه السلام واحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه السواطع

ينظر

القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار
وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت
وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير للاجل والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون
امر الرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى ﴿من يضلل
الله فلا هادي له﴾ استئناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ﴿ويذرهم في طغيانهم﴾ بالياء والرفع على الاستئناف
اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله
لا يهده احد ويذرهم وقرئ بالجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى ﴿يعمهون﴾ اي يترددون ويتحيرون حال من
مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل ﴿
يسألونك عن الساعة﴾ استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها
اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة
ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ﴿ايان
مرساها﴾ بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها ظرف مستقر متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ والفعل المضارع دون الماضي كما في
حيث يعمل كلا ما فيه اشتقاق اي زمان منه لان معناها اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان البعض آو الى الكل متساند اليه ومحله
الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره
ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرسى السفينة ومحل الجملة الجر على البدلية من الساعة والتحقيق انها في محل
النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال
بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار
كونها محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب المتعلق بها حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فقيل امرا له عز وجل ﴿قل
انما علمها﴾ اي علمها بالاعتبار المذكور ﴿عند ربي﴾ ولم يقل انما علم وقت ارسائها عنده تعالى لعل التحليل النظم الكريم على حد
المقابلة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية
والارشاد ومعنى كون علمها عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى ﴿لا يجليها لوقتها
الا هو﴾ بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية
اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي
تسألونني عنه الا الذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها كما هو المسئول بل بان يظهرها
عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا
كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها
في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ﴿ثقلت في السموات والارض﴾ استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها
من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل
ثقل فيها لا يطيقها منها ومما فيها شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وما بعده من قوله تعالى ﴿لا تأتيكم الا بغتة﴾ فانه ايضا
استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة
تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ﴿يسألونك كأنك
حفي عنها﴾ استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسئول عنه
او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطئهم في اصل السؤال باعلام ان المسئول عنه ليس مما يعلمه غيره تعالى والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال
من الكاف حتى نهايتها اي بالغ في السؤال على زعمهم واستشعار لخطائهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها
اي بليغ العلم بها فعيل من حفي حقيقة كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لان من بالغ في السؤال عن

معقول

الموجبة لمستحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استئصاله والاحفاء في المسألة اي الالحاف
فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة
فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة
وتزوي عن غيرهم وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له
لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم
وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض
بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا فلا يعلمون شيئا
مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يزعمون ان العلم بذلك
من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين
وانما لم يخرجوا عن الناس لسؤالهم بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الناس حيث لم يعلموا اعلمهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام عالما بها
من علمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من
النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام متعلقة باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما
ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمني اياه فيمكنني منه ويقدرني عليه ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع
وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية
ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية من ترتيب
الاسباب ودفع الموانع وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فانه مما لا مدفع
منه ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف
على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق بالانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها
فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام
الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق
بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث
الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استئناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير
مبادي احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره
مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة
اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه
وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما
يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية وجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى
زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق به قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول الاول وهو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني
اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ... فلما تغشاها اي جامعها حملت
حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة
الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجا في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت
به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف فمارت من المور وهو
المجيء والذهاب ومن المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه بعض الحبالى من حملهن من الكرب

والاذى ولم يستثقلها كما يستثقلونه فمرت به اي فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت
اي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا يرتاب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور وانما يقابلها الكرب
الذي يعتري بعضهن من اوائل الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله اي آدم وحواء
عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص الدعاء به
اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف يدل عليه شاهد الجملة القسمية اي
دعواه تعالى ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا سويا مثلنا
لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين اي الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتب هذا الجواب على الشرط
المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما النوع ... من الجنس معتاد لها ذاتا وصفة وهو مستتبع لوجود او صلاح مستلزم
لصلاحهما فان ... للشكر ... مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة ...
يتناسل ... من ... الدعاء ... في مقام ... الاعتناء بشأن ما ... وانما ... لنكونن ...
فلا محذور ... الشكر ... المذكور ... فلما آتاهما صالحا لما آتاهما
ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا وقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد
حيث سموهم بعبد مناة وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم
وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا
اي شركة او ذوي شرك اي شركاء فان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للمضاف اليه ملابسة بالمضاف
ايضا باسناد الفعل اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه نوع مزية يقتضيها المقام كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء
منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم ... اقتضاه مقام الامتنان عليهم وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله
الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جناية آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان
من الجعل المذكور بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة ... الاولاد ...
في سلك نفسهما ... في ضمن شكرهما ... قيل ... ببيان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين
... بالذات ... التخلف ... اخلافهم ...
... فتعالى الله عما يشركون تنزيه
فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من
ان الفاعل غير آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم
اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش
والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية فطلبا من الله تعالى الولد فاعطاهما اربعة
بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء
اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهمهما
ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة
فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه باسم ابليس
واتباعه اياه في مثل هذا الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم
على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى
ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون
عطف على لا يخلق وايراد الضمير جمع العقلاء مع رجوعه الى ما المعبر به عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء

ويسمونها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لإبانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه
في حقها وإظهار غاية جهلهم فإن من أشرك بمن لا يقدر على خلق شيء بالخالق خالق جميع الأشياء مما لا يكاد يسوغه من له أدنى مسكة
وعدم التعرض لخالقها للإيذان بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا يستطيعون لهم أي لعبدتهم إذا حزبهم أمر مهم وخطب ملم
نصرا أي نصرا ما بجلب منفعة أو دفع مضرة ولا أنفسهم ينصرون إذا اعتراهم حادثة من الحوادث أي لا يدفعونها عن أنفسهم
وإيراد النصر لكونه هو الأليق بالمقام وهذا بيان لعجزهم عن إيصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية إلى عبدتهم وأنفسهم بيان لعجزهم عن إيصال
منفعة الوجود إليهم وإلى أنفسهم خلا أنهم وصفوا هنالك بالمخلوقية لكونهم أهلا لها وهنا لم يوصفوا بالمنصورية لأنهم ليسوا أهلا لها
وقوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر المنفي عنهم وأيسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والإرشاد
إلى طريق حصوله من غير أن يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت أي إن
تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به المطالب أو تنجون عن المكاره لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف
وقوله تعالى سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع أي مستو عليكم
في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى أم أنتم صامتون
جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لأنها في قوة أم صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم
المستمر وقيل إن الخطاب للمسلمين والمعنى وإن تدعوا المشركين إلى الهدى أي الإسلام لا يتبعوكم إلى آخره مما لا يساعده
النظم الكريم أصلا على أنه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
فإن استواء الدعاء وعدمه إنما هو بالنسبة إلى المشركين لا بالنسبة إلى الداعين فإنهم فائزون بفضل الدعوة إن الذين
تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم أي إن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة
عباد أمثالكم أي مماثلة لكم لا من كل وجه بل من حيث إنها مملوكة لله عز وجل مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها
بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما أظهر وأقوى من عجزهم إنما هو لاعترافهم بعجز أنفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما أو هو الذي يدعوهم
في طلب نفع إلى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم أي
فادعوهم في جلب نفع أو كشف ضر إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم قادرون على ما أنتم عاجزون عنه وقوله تعالى
ألهم أرجل يمشون بها إلخ تبكيت إثر تبكيت مؤكد لما يفيده الأمر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية
فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما تتصور إذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل
من الأفاعيل بالمرة كأنه قيل ألهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الإنكار إلى كل واحدة
من هذه الآلات الأربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع وإشعارا بأن انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة
على استحالة الاستجابة ووصف الأرجل بالمشي بها للإيذان بأن مدار الإنكار هو الوصف وإنما وجه إلى الأرجل لا إلى الوصف
بأن يقال أيمشون بأرجلهم لتحقيق أنها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الأرجل فهي ليست بأرجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده
من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة أم في قوله أم لهم أيد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والإلزام
وبل للإضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه إلى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الأخذ بقوة وقرئ يبطشون
بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وتأخيره عما قبله لما أن المشي حالهم في أنفسهم والبطش
حالهم بالنسبة إلى الغير وأما تقديمه على قوله تعالى أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها مع أن الكل سواء في أنها
بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل ولأن انتفاء المشي والبطش أظهر والتبكيت بذلك أقوى وأما تقديم الأعين
فلأنها أشهر من الآذان وأظهر عينا وأثرا هذا وقد قرئ إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية
عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم إلى آخره تقريرا لنفي المماثلة بإثبات
القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعدما بين أن شركاءهم لا يقدرون على شيء ما أصلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأن يناصبهم المحاجة ويكر عليهم بالتبكيت إثر التبكيت أي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم

بالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون أي فلا تمهلون ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فإني
لا أبالي بكم أصلا إن وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل
الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركائكم لأن وليي هو الله الذي نزل
الكتاب الناطق بأنه وليي وناصري وبأن شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون أي تعبدونهم من دونه
تعالى أو تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما أمرتكم به لا يستطيعون نصركم أي في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور ولا أنفسهم
ينصرون إذا نابتهم نائبة وإن تدعوهم إلى الهدى أي إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم على الإطلاق أو في خصوص الكيد المعهود
لا يسمعوا أي دعاءكم فضلا عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون بيان
لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون إليك حال من المفعول والجملة الاسمية
حال من فاعل ينظرون أي وترى الأصنام رأي العين يشبهون الناظرين إليك ويخيل إليك أنهم يبصرونك لما أنهم صنعوا لها أعينا مركبة بالجواهر
المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه والحال أنهم غير قادرين على الإبصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه
إلى المشركين لتوجيه الخطاب إلى كل واحد منهم لا إلى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على أن رؤية الأصنام على الهيئة المذكورة
لا تتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على أن التعليل
قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا أي ترى المشركين ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه وعن الحسن أن الخطاب في قوله تعالى
وإن تدعوهم للمؤمنين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام لا يسمعوا إليكم ثم خوطب
عليه السلام بطريق التجريد بأنك تراهم ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك حق الإبصار تنبيها على أن ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة
ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعدما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله أمر عليه الصلاة والسلام
بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو
ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها
قريبة من قبول الناس من غير نكير وأعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافأة قيل لما نزلت سأل رسول الله جبريل عليهما السلام فقال لا أدري
حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله تعالى نبيه بمكارم
الأخلاق وروي أنه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس وإغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه وإسناده إلى النزغ من قبيل جد جده أي
وإما يحملنك منه وسوسة ما على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب ونحوه فاستعذ بالله فالتجئ إليه تعالى من شره إنه سميع يسمع
استعاذتك قولا عليم يعلم تضرعك إليه قلبا في ضمن القول أو بدونه فيعصمك من شره وقد جوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء
الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير من العمل بموجبه وفي الأمر
بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره وتنبيه على أنه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه
صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها إن الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر
به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والإخلال بها ديدن الغاوين أي إن الذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها إذا مسهم
طائف من الشيطان أدنى لمة منه على أن تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم لتوقع بهم أو من طاف
به الخيال يطيف طيفا أي ألم وقرئ طيف على أنه مصدر أو تخفيف من طيف من الواوي أو اليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره فيما سلف تذكروا أي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فإذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطأ ومكايد
الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه وإخوانهم أي إخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية أنفسهم عن المضار يمدونهم
في الغي أي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الإمداد كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء
وهؤلاء يمدونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون أي لا يمسكون عن الإغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لا يرجعون

من الغي ولا يقصرون كالمبصرين ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم
من القرآن عند تراخي الوحي أو بآية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي هلا جمعتها من تلقاء نفسك
تقولا يرون بذلك أن سائر الآيات أيضا كذلك أو هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي
من غير أن يكون لي دخل ما في ذلك أصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى نفس
الفعل بالنسبة إلى مقابله الذي كلفوه إياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول
آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي منه تعالى وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من تشريفه والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا إشارة
إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إلي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب أو حجج بينة وبراهين نيرة
ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب
الإيمان بها وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للإيذان بأن كون
القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به إذ هم المقتبسون من أنواره
والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع
الجليلة التي ينطوي عليها القرآن أي إذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وأنصتوا أي اسكتوا
في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم
الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله
فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه في استماع المؤتم وقد روي أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام
والإنصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت وأما خارج الصلاة
فعامة العلماء على استحبابهما والآية إما من تمام القول المأمور به أو استئناف من جهته تعالى واذكر ربك في نفسك عام في الأذكار
عطف على قل وما عطف عليه بتجريد الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الأذكار كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب
إلى الإجابة تضرعا وخيفة أي متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول أي ومتكلما كلاما دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفكر
بالغدو والآصال متعلق باذكر أي اذكره في أوقات الغدوات والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل أي دخل في الأصيل
موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكره تعالى إن الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومعنى كونهم
عنده سبحانه وتعالى دنوهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما أمروا به ويسبحونه
أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر
المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله
أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا
وكان آدم شفيعا له يوم القيامة صدق رسول الله ع

سورة الأنفال مدنية ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل
الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة
وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن فيها روي أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا وقيل إن الشبان قد أبلوا يومئذ بلاء حسنا وقتلوا
سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا
لكم وفئة تنحازون إليها فقال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة

في الأجر ولا جبنا عن العدو ولكن كرهنا أن تعرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء أن ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والأسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال
الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت والأول هو الظاهر لأن السؤال
استعلام لحكم الأنفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما ينطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر وما استدل
عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الأنفال
غير منتهض فإن مبناها على أن حذف عن لا على الإيصال كما عرف بجواب قوله عز وجل قل الأنفال لله والرسول أي حكمها
مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا
فإن اختصاص حكم ما شرط لهم من الأنفال بالله والرسول لا ينافي إعطاءها إياهم بل يحققه لأنهم إنما يسألونها بموجب شرط
الرسول عليه السلام الصادر عنه بإذن الله تعالى لا بحكم سبق أيديهم إليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى أن الأنفال
بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل إليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق
بالتنفيل وادعاء أن ثبوته بطريق الفرار لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الأخير ولا مساغ للمصير إليه وادعى مجاهد وعكرمة والسدي
أن الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فأن لله خمسه وللرسول
إلا أن المراد بالأنفال فيما قالوا الغنائم مطلقا كما في قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية على أن الحق أنه لا نسخ حينئذ أيضا كما قاله
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بل بين في صدر السورة الكريمة إجمالا أن أمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية
قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم أعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنفال المشروطة يوم بدر للغانمين
للغنم مع بقاء استحقاق النفل في سائر الأنفال المشروطة يأباه بيان مقام الأحكام كما ينبئ عنه إظهار الأنفال في موقع الإضمار
على أن الجواب عن السؤال المعهود ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم أصلا وقد روي عن سعد بن أبي وقاص
أنه قال قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله تعالى قد شفى صدري
من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت
إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه فهذا
كما ترى يقتضي عدم وقوع التفصيل وما هذا إلا لكون سؤال السيف من سعد بموجب شرطه صلى الله عليه وسلم ووعده لا بطريق الهبة المحضة
وحمل ذلك من سعد على مراعاة الأدب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي
لاستحالة أن يعده عليه السلام بما لا يقدر على إنجازه وإعطاؤه عليه السلام بعد النزول ورمزه على قوله وقد صار لي ضرورة أن مناط
صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الأنفال لله تعالى والرسول والغرض أنه لا مانع من عطاء المسؤول لما هو مقتضى الآية عز وجل
فاتقوا الله أي إذا كان أمر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من التشاجر فيها والاختلاف الموجب لسخطه
أو فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا أوليا وإن كان السؤال طلبا للمشروط فلما كان فيه من محذور رعاية
وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وأصلحوا ذات بينكم أي ما بينكم من الحال بملابستها التي تنبئ عنها صاحبة له
كما جعلت الأسود المعروفة في الصدر ذات الصدور أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل
عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله تعالى من أيدينا فجعله لرسول
فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم
وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض وأطيعوا الله ورسوله بتسليم أمره ونهيه
وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح بحسب المقام وليندرج
الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة إن كنتم مؤمنين متعلق بالأوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أو هو المذكور
على الخلاف المشهور وأيا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به والتنشيط للمخاطبين وحثهم على المسارعة إلى الامتثال
والمراد بالإيمان كماله أي إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الأوامر واتقاء المعاصي وإصلاح

ذات البين بالعدل والإحسان {إنما المؤمنون} جملة مستأنفة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة
لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة أي إنما الكاملون في الإيمان المخلصون فيه
{الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} أي فزعت لمجرد ذكره من غير أن يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وأفعاله استعظاما
لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ
فرقت أي خافت {وإذا تليت عليهم آياته} أي آية كانت {زادتهم إيمانا} أي يقينا وطمأنينة نفس فإن تظاهر الأدلة
وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل إن نفس الإيمان لا تقبل الزيادة والنقصان وإنما
باعتبار زيادة المؤمن به فإنه كلما نزلت آية صدق بها المؤمن فزاد إيمانه عددا وأما نفس الإيمان فهو بحاله وقيل باعتبار أن
الأعمال تجعل من الإيمان فيزيد بزيادتها والأصوب أن نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين
يقين الآحاد وأرباب المكاشفات ويقين الأنبياء عليهم السلام مبني على ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه أدلة كثيرة {وعلى ربهم} مالكهم ومدبر أمورهم خاصة {يتوكلون} يفوضون
أمورهم لا إلى أحد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى {الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} مرفوع على أنه
للموصول الأول أو بدل منه أو بيان له أو منصوب على القطع المنبئ عن المدح وذكرها لأن شأنهم حسنة أعمال القلوب من الخشية
والإخلاص والتوكل ثم عقب بأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة {أولئك} إشارة إلى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث
إنهم متصفون بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عمن عداهم أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف {هم المؤمنون حقا} لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه ما فصل من أفاضل الأعمال
القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو مصدر مؤكد للجملة أي حق ذلك حقا كقولك
هو عبد الله حقا {لهم درجات} من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهي إما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد
مناقبهم كأنه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت أو خبر ثان لأولئك وقوله تعالى {عند ربهم} إما متعلق بمحذوف وقع
صفة لدرجات مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة عنده تعالى أو بما تعلق به الخبر أعني لهم من الاستقرار
وفي إضافة الظرف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وإيذان بأن ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات
{ومغفرة} لما فرط منهم {ورزق كريم} لا ينقضي أمده ولا ينتهي عدده وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة {كما أخرجك ربك من بيتك
بالحق} الكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهتهم لما رأيت كونه
حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق أو في محل النصب على أنه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الأنفال لله أي الأنفال ثبتت لله
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك في المدينة أو من المدينة إخراجا ملتبسا بالحق {وإن فريقا من المؤمنين
لكارهون} أي والحال أن فريقا منهم كارهون للخروج إما لنفرة الطبع عن القتال أو لعدم الاستعداد وذلك أن عير قريش أقبلت
من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء
على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت
عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها
العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل
ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع
العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وإنا أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد
إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل
صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال إن العير
قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر

وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا
فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى
عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة
الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله
وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك {يجادلونك في الحق} الذي هو تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير والجملة مستأنفة أو حال
أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك ويجوز أن يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى {بعد ما تبين} منصوب بيجادلونك وما
أي بعد تبين الحق لهم بإعلامك أنهم ينصرون أينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان
ذلك لكراهتهم القتال {كأنما يساقون إلى الموت} الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين
يساقون بالعنف والصغار إلى القتل {وهم ينظرون} حال من ضمير يساقون أي والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت ويشاهدونها
عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع إلا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي أنه ما كان فيهم إلا فارسان
{وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين} كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة
وقصور الرأي والخوف من الجزع وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات وإحدى الطائفتين
مفعول ثان ليعدكم أي اذكروا وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين وتذكير الوقت مع أن المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر
مرارا من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على ما وقع
من الحوادث بتفاصيلها فإذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى {أنها لكم} بدل اشتمال من إحدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد
أي يعدكم أن إحدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم {وتودون}
عطف على يعدكم داخل تحت الأمر بالذكر أي تحبون {أن غير ذات الشوكة تكون لكم} من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم
أبو جهل وهم ألف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير إذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ورئيسهم أبو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان
للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن ملاقاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا
شباها {ويريد الله} عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم أي اذكروا
وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين وودادتكم لأدناهما وإرادته تعالى لأعلاهما وذلك قوله تعالى {أن يحق الحق} أي يثبته
ويعليه {بكلماته} أي بآياته المنزلة في هذا الشأن أو بأوامره للملائكة بالإمداد وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في القليب ببدر
وقرئ بكلمته {ويقطع دابر الكافرين} أي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى أنتم تريدون سفساف الأمور والله عز وعلا يريد
معاليها وما يرجع إلى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى {ليحق الحق ويبطل الباطل} جملة مستأنفة
سيقت لبيان الحكمة الداعية إلى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها أي
لهذه الحكمة الباهرة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار إذ الأول لبيان تفاوت ما بين الإرادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية إلى ما ذكر ومعنى
إحقاق الحق إظهار حقيته لا جعله حقا بعد أن لم يكن كذلك وكذا إبطال الباطل {ولو كره المجرمون} أي المشركون ذلك أي إحقاق الحق

وابطال الباطل ﴿اذ تستغيثون ربكم﴾ بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تعالى
حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق
مستقبل لا ينتصب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل
لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه [illegible] وانتظارا الى زمان النزول صيغة الاستقبال في تستغيثون
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل معمول لمضمر مستأنف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال
دعوا الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك ﴿فاستجاب لكم﴾ عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت ان صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة ﴿اني ممدكم﴾ اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول ﴿بالف من الملائكة مردفين﴾ اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم
رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى هنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم
ملكا آخر او متبعين المؤمنين او متبعا بعضهم بعضا من ردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته
اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع
وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها ﴿وما جعله الله﴾ كلام مستأنف سيق
لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه
والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام مضافا الى [illegible] عن التصريح به كأنه قيل فامدكم بهم وما جعل
امدادكم بهم ﴿الا بشرى لكم﴾ وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى
لكم بانكم تنصرون ﴿ولتطمئن به﴾ اي بالامداد ﴿قلوبكم﴾ وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد
انتصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدها وانما قيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم
ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي ما جعله الله شيئا من الاشياء
الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر ﴿وما النصر﴾ اي حقيقة النصر على الاطلاق
﴿الا من عند الله﴾ اي الا كائنا من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جري
السنة الالهية ﴿ان الله عزيز﴾ لا يغالب في حكمه ولا ينازع في قضيته ﴿حكيم﴾ يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل
لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكمة ﴿اذ يغشيكم النعاس﴾ اي يجعله غاشيا لكم
ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون
او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية
والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس ﴿امنة منه﴾ على القراءتين الاوليين
منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر
لفعل آخر كذلك اي فتأمنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور لانه
بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلة بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ
امنة ﴿وينزل عليكم من السماء ماء﴾ تقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم

اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه
من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ﴿ليطهركم به﴾ اي من الحدث الاصغر والاكبر ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾
الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان ووسوس اليهم وقال
انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء
وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا
شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك
قوله تعالى ﴿وليربط على قلوبكم﴾ اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ﴿ويثبت به الاقدام﴾
ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم
في معارك الحروب ﴿اذ يوحي ربك الى الملائكة﴾ منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد
حسبما ينطق به الكاف لما ان المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه
عليه السلام ليس من النعم التي تعرف علمها عامة الامة كسائر النعم التي امروا بذكرها بطريق الشكر او بدل منصوب
بقوله تعالى ويثبت الاقدام فلا بد حينئذ من ارجاع الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت الاقدام بتقوية
قلوبكم حين الايحاء الى الملائكة امره بتثبيتهم اياكم [illegible] لا يخفى [illegible] المذكور بوقت مبهم عدم [illegible]
مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت ان المأمور به
ليس من النعم التي تعرف كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى
والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة ﴿اني معكم﴾ اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة
القول او اجراء الوحي مجراه والمراد بتوجيه الخطاب اليهم مع ان المتبوع غيرهم [illegible] انهم المباشرون للتثبيت صورة [illegible]
في ملابسة كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين [illegible] قوله تعالى ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ ترتيب بعدها على ما قبلها فان
امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفيته فقيل كان ذلك بتبشيرهم بالنصر وتكثير السواد وبما القي في
قلوبهم وتصحيح عزائمهم ونياتهم وتأكيد جدهم في القتال وقيل الامر بالتثبيت عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحرب
في معاناة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون
والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال آخرون المراد قتالهم اعداءهم ويأباه قوله تعالى
﴿سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ فانه تفسير لقوله تعالى اني معكم وقوله تعالى ﴿فاضربوا﴾ الى آخره تفسير لقوله تعالى فثبتوا تبيينا
لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين لاضربه
فوقعت رأسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك
فتقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف [illegible] المؤمنين [illegible] على الامداد
[illegible] الى آخره [illegible]
وذلك ان قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا [illegible] الملائكة [illegible] في قلوب الذين كفروا الرعب
فاضربوا الى آخره فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين
توهم وروده قبل القتال [illegible] السورة الكريمة انما نزلت بعد تمام القصة وقوله تعالى ﴿فوق الاعناق﴾ اي اعاليها التي
هي المذابح او الرؤوس ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ قيل المراد اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين
والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم
في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان [illegible] فاضربوا العضايد بالسيف [illegible]

بالضرب لمزيد الشدة والاعتناء بأمره ومنهم متعلق به أو بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك إشارة إلى ما أصابهم
من العقاب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد
ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء وقوله تعالى بأنهم شاقوا الله ورسوله خبره أي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم
بسبب مشاقتهم ومخالفتهم لمن لا سبيل إلى مخالفته أصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما أن كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الآخر
كما أن اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلا من المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر
وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة ولإظهار كمال شناعة ما اجترءوا عليه والإشعار
بعلة الحكم وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد أي شديد العقاب له
أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق
البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من شاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك
عقاب شديد فإذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد وأما أنه وعيد لهم بما أعد لهم في الآخرة بعدما حاق بهم في الدنيا كما قيل
فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فإنه مع كونه من المسوق للوعيد بما ذكر ناطق
بكون المراد بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم إشارة إلى نفس العقاب أو إلى ما يفيده الحكم من ثبوت
العقاب لهم أما على الأول فلأن الظاهر أن محل ذلكم النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وأن للكافرين إلخ
بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير
لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به وأما على الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن للكافرين
إلى آخره معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض
وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار إليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في إعراب الآية الكريمة وجوه أخر
مدار الكل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ بكسر إن على الاستئناف يا أيها الذين آمنوا
خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارا للاعتناء به ومبالغة
في حثهم على المحافظة عليه إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا إذا دب على إسته قليلا
قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل
فتحس حركته بالقياس في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم وأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف
لحاج والركاب تهملج ونصبه إما على أنه حال من مفعول لقيتم أي زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو حال منه
أي يزحفون زحفا وأما كونه حالا من فاعله أو منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى لتقييد
النهي عن الإدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي إلى الإدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه
وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا بعيد والمعنى
إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تكونوا
في العدد أو متساويين ومن يولهم يومئذ أي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء إلا متحرفا لقتال
أي إلا متوجها إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه
ثم يعطف عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكائدها أو متحيزا إلى فئة أي منحازا إلى جماعة
أخرى من المؤمنين لينضم إليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن سرية فروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا
ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية
فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه أنا فئتك ووزن متحيز
متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز وانتصابهما على الحالية وإلا لغو لا عمل لها أو على الاستثناء من المولين
أي ومن يولهم دبره إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا فقد باء أي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره وقوله تعالى

من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الإضافية أي بغضب كائن
منه تعالى ومأواه جهنم أي بدل ما أراد بفراره أن يأوي إليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير في إيقاع البواء
في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرار
من الزحف من أكبر الكبائر وهذا إذا لم يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل
بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع إلى بيان بعض أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير لما سبق منها والفاء جواب
شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير ذلك كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم
وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم ويجوز أن يكون المقدر إذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم
أي فاعلموا أو فأخبركم أنكم لم تقتلوهم وقيل المقدر إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على أحد التأويلين لما روي أنهم لما انصرفوا من المعركة
غانمين أقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت وأسرت وفعلت وتركت فنزلت روي أنه لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل
قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها
فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا
وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام من أفعاله
عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول لما أن المقصود الأصلي بيان حال الرمي نفيا وإثباتا إذ هو الذي ظهر منه ما ظهر [illegible]
[illegible] أي وما رميت أنت يا محمد رميا توصله إلى أعينهم ولم تقدر عليه ولكن الله رمى أي أوصلها إليها حتى انهزموا وقيل [illegible]
حين فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفعال البشرية ولكن الله فعلها أي خلقها حين باشرتها على نهج عادته تعالى في خلق أفعال
العباد على وجه غير معتاد ولذلك أثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فما أثبته تعالى له عليه السلام
كون الرمي من أفعاله [illegible] وقرئ ولكن الله بالتخفيف ورفع الجلالة في الموضعين وقوله تعالى وليبلي المؤمنين منه
أي ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا أي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره متعلق بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية أي
وللإحسان إليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا وإما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة أي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين
ويبلي إلى آخره وقوله تعالى إن الله سميع أي لدعائهم واستغاثتهم عليم أي بنياتهم وأحوالهم الداعية إلى الإجابة تعليل للحكم
ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن الله موهن كيد الكافرين بالإضافة معطوف عليه
أي المقصد إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقيل المشار إليه القتل أو الرمي والمبتدأ الأمر أي الأمر ذلكم أي القتل
فيكون قوله تعالى وأن الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب الكيد إن تستفتحوا خطاب
لأهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم
الحزبين أي إن تستنصروا لأعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهكم في المجيء أو فقد جاءكم الهلاك والذلة
فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وإن تنتهوا عما كنتم عليه من الحرب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم
فهو أي الانتهاء خير لكم أي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والأسر ومبنى اعتبار أصل الخيرية في المفضل عليه
هو التهكم وإن تعودوا أي إلى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية
لأن تأنيث الفئة غير حقيقي وللفصل أي لن تدفع أبدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا أي من الإغناء
أو من المضار ولو كثرت جملة حالية وقد مر تحقيقه وأن الله مع المؤمنين أي ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك
أي والأمر أن الله مع المؤمنين ويؤيده قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر
وإن تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما أنه مناط لنيل سعادة الدارين وإن تعودوا
إليه نعد إليكم بالإنكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإن الله مع الكاملين في الإيمان يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح إحدى التاءين وقرئ بإدغامها عنه أي لا تتولوا عن الرسول فإن المراد هو الأمر بطاعته
والنهي عن الإعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على أن طاعته تعالى في طاعته عليه السلام من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل

الضمير للجهاد وسلس للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا
كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تتولوا
عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير
للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي
كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون
حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه رأسا ان
شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اي ان شر من يدب على الارض
او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم
لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كأنهم فاقدون للجارحتين رأسا
وتقديم الصمم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه
ثم وصفوا بعدم التعقل بقوله تعالى الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور
ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه اما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك
يظهر كونهم شر البهائم حيث ابطلوا ما ميزوا به وفضلوا لاجله على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس
ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف القوى الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر
ولوقفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة
وخروجه عن الحكمة واليه اشار بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه
من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا
اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض قيل كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لو اسمعهم كلام قصي الى آخره
وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه
قاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا
تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك
استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية
التي هي مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حيوة القلب كما ان الجهل موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي انه عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء
فقال عليه السلام ما منعك عن اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واختلف
فقيل هذا من خصائصه عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك لامر لا يحتمل التأخير فللمصلي
ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه
على انه تعالى مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية
فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا ونحو ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المرّ بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء والجر اجراء للوصل مجرى الوقف وانه اي والله عز وجل اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب اعمالكم
فسارعوا الى طاعته تعالى وطاعة رسوله بالتوافي والاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تختص اصابتها
بمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل
في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة واحتاج الشرط متردد فلا يلحق النون لكن

لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل
المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء
الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان
الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا
اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد واثبات هذه الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف
والخوف مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب
للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم
الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل ووصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس
على الاول هو الظاهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت
قلتكم وذلتكم وسوء حالكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة
يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي
لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في المغانم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ رضي الله عنه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كانت في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية
من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تصدق به وتخونوا اماناتكم فيما
بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على جواب النهي بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم
حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه
يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب بوصف الايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة
عليه كما في الخطاب السابق ان تتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية
في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم
سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى
لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى اذكروا اذ انتم الى آخره مسوق لتذكير النعمة الخاصة
عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او ليثخنوك
بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك وليثبتوك بالتشديد من التثبيت او يقتلوك اي بسيوفهم
او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال

ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملتهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبا بمكرهم عند مكره واسناد امثاله الى الله تعالى انما يحسن للمشاكلة ولا يسوغ ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا اي حججنا التي نزلناها قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قائله النضر بن الحارث واسناده الى الكل لانه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برايه او قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم وقرعهم على العجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك حاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا لا فصل وفائدة التعريف الدلالة على ان المعلق كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان لموجب امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس فيهم اي ما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما فعلوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعونه موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف ياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكن مساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيبت قريش ببدر

قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبتها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز من التمييز وهو ابلغ ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وفي تلوين الخطاب زيادة ترغيب للمؤمنين في القتال لتحقيق مضمون قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بالتاء اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة والعائد محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائده المحذوف قصد به الاعتناء بشان التعميم وان لا يشذ عنه شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام والاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة عنوة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله خمسه والجملة خبر لما في قوله انما غنمتم وقرئ بالكسر والاول آكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرير الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس ونوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمته عند ابي حنيفة انه كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس ونوفل وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر

مثل خطأ الاخفش وابي العز ... الثلث وعند مالك رحمه الله الامر مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بينهم وان راى اعطاه
بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم ويتعلق بوا القائمين الآية الكريمة تعالى [illegible] سهم يصرف سهم الله الى الحج
لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول
عليه السلام [illegible] الخمس واما الاخماس الاربعة فلمن حضر الوقعة للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله وثلاثة عندهما قال
القرطبي [illegible] الخمس [illegible] ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه المذكور اي
اعلموا انه تعالى اعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد مجرد العلم بل العلم
المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم امنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا وقرئ عُبُدنا
اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل نزل عليهم [illegible] يوم الفرقان يوم بدر سمي
لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بامنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او
بالفرقان والمراد ما انزل عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال [illegible]
حقيقة [illegible] الاشياء [illegible] العلم [illegible] على الوجه المذكور من حيث الوحي [illegible] وان
الملائكة والفتح لما كان [illegible] يكون حصل بسببها [illegible] الى الجهات [illegible] والله على كل شيء قدير
يقدر على نصر القليل على الكثير [illegible] اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث
شط الوادي وكذا بالفتح الكسر وقرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة [illegible] كان القياس قلب الواو
[illegible] والركب اي العير
او قوادها اسفل منكم [illegible] نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف [illegible]
الدالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها [illegible] على ان لا يخلوا مراكزهم [illegible]
وكذا ذكر [illegible] الدنيا [illegible] الا [illegible] القصوى [illegible]
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم [illegible] ثم [illegible]
ليتحققوا ان النصر [illegible] من الله عز وجل [illegible] ولكن
جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه [illegible]
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة [illegible] ايمان من آمن [illegible] الهلاك [illegible]
للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة [illegible] وقرئ ليهلك بالفتح [illegible]
حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول
والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك [illegible]
[illegible] اصحابك [illegible] تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر
اي امر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا [illegible] الكل يطلبون
[illegible] معطوف على المضمر [illegible] قليلا حال [illegible] وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه
لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل
ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا
ويهابوا وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر [illegible] الكثير قليلا والقليل كثيرا [illegible] على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما [illegible]
[illegible] على الابصار [illegible] ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل [illegible]
[illegible] على الوجه المذكور [illegible] والى الله ترجع الامور [illegible]

لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين امنوا صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون
ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب
في القتال فاثبتوا اي للقائهم في موطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في مواطن القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرادكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء
عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه امر الثبات وما اندرج اولا ولا تنازعوا باختلاف الآراء
كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي او عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطفا على جواب النهي وقرئ بالجزم على العطف
فتفشلوا على النهي اي دولتكم وهو تمثيل فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه شبهت بها في هبوبها وجريانها
وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله
مع الصابرين بالنصر والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية
ومتبعة بمعنى انها من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعد ما امروا بالعودة من جانب الاعانة
عما تعلقوا بها من بيان المراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك
انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فنحروا الجزر وشربوا الخمور
الكريمة فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامروا بالتقوى والاخلاص حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده ويصدون
عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال كذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط
فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم مقدر بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين
الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي مجير لكم
وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى
الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى
الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اي تبرأ منهم واني
اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم
وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني جار لكم من كنانة
فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث
وانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا
يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله الا ما قال الحسن
اختاره ابن جرير والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين
او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم
المنافقون والمتعاطفان لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام ... غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى وردّ لمقالتهم
فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعد العقول ويحار في فهمه الباب الفحول
وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل
ضمير فاعله الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول وقد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول
حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميرهما وادبارهم اي استاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب

الحريق

على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون ذوقوا بشارة وبعدا الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حد البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة
الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم
اي ذلك العذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي محل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا
على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها
معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده
بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينين بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه ولو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى
بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان
ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم
وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين
بقبائح الاعمال وفظائع العذاب والنكال والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب
ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون
ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم
وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتأكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع
العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وما فعل
بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام بالصدق
فكذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب ... دأبهم مع ... عادتهم اياه كما هو
المعهود ... ما فعلوه على ما فعل بهم ... على ما يوجبه من الكفر والمعاصي ... بيان لكمال
الاخذ ان الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك اشارة الى ... استئناف
مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع ابتداء ... ما يقتضيه ... الى ان
ما حل بهم من العذاب والانتقام كما حل ... مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم ... تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته
على قوم قبل تغييرهم لحالهم ... السبب ... كما ... النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم ... عادته تعالى
على تغيير نعمته عند تغيير حالهم ... على كفرهم ... شرط ... وابعاد عن ...
... الكفر ... تقريب العذاب ... ذلك ... العذاب ... اعمالهم
السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك بان الله اي بسبب ان الله تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها
اي لم ينبغ ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعمها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا
ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية
صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب الكفرة حيث كانوا قبل البعثة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة
نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروا الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام
وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال وان لم
... وان الله سميع عليم عطف على ان الله لم يك داخل معه في حيز التعليل ...
سميع عليم بجميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال ...
بكسر الهمزة والجملة حينئذ مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو اللائق بمفهوم الدأب

وقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لتمامه وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير
في توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما نظيره في سورة آل عمران حيث ... الكلام بعض مع ما بينهما ...
واولئك ... على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا
وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير مضمون الاستئناف الاول ... بهم
دأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل العذاب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال
النعمة اخذا من منطوق قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغيير المذكور
كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغيير حالهم وقوله
فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغيير نعمته تعالى ... المستفاد منه ... في شأن ...
... احد ... في اضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم زيادة تقبيح لما فعلوه بها من التكذيب والا تعالى به
العظيم ... جاريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب الكلام في الفاء وقوله تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تعالى واغرقنا
آل فرعون على اهلكناهم مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل
اي كل من الفرق المذكورين او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم
بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم
ان شر الدواب بعدما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى
عند الله اي في حكمه وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل
من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله
فهم لا يؤمنون حكم مرتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف
اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا او داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم
بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد
واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لما نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم
عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت
داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته
منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة او في كل مرة يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها
عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها
بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد
هي المرات الواقعة اثر المعاهدة ... النقض الواقع بالمحاربة كسفع السلاح ونحوه خارجا عن البيان ... ذلك من المحاربة
فلا يتحقق لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى من النقض فيؤول الكلام الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من
النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد كما لا يخفى يستلزم
خروج بعضهم لنقض ... وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون
بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي اذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم اي ففرق عن مناصبتك تفريقا
عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب بان تفعل بهم من النكال والتعذيب ما يوجب ان ... من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة
والمعنى انهم بصدد الحرب ... ومن قرأ بالذال المعجمة فلعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد
من ورائهم ... المعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوه مما نزل
بالناقضين فيرتدعون عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان

احکام انما معنی بالفعل وحرف مستقبل للعلم ای واما تعلمن من قوم من المعاهدین نقض عهد فیما سلکا بالاح لک منهم
من دلائل الغدر ومخایل الشر فانبذ الیهم ای فاطرح الیهم عهدهم علی سواء علی طریق مستو مقصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا
مکشوفا بانک قد قطعت ما بینک وبینهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم علی توهم بقاء العهد کیلا یکون من جهتک شائبة خیانة اصلا
فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ ای فانبذ الیهم ثابتا علی سواء وقیل علی استواء فی العلم بنقض العهد بحیث یستوی فی العلم
وانتم او مستوین فیه انتم وهم فهو علی الاول حال من المنبوذ الیهم وعلی الثانی کما بان ان الله لا یحب الخائنین تعلیل للامر
بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهی عن المناجزة التی هی خیانة فیکون تحذیرا للرسول صلی الله علیه وسلم منها واما باعتبار استتباعه
القتال بالآخرة فیکون حثا له علیه السلام علی النبذ اولا وعلی قتالهم ثانیا کانه قیل واما تعلمن من قوم خیانة فانبذ الیهم ثم قاتلهم ان الله
لا یحب الخائنین وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا یحسبن الذین کفروا ای انفسهم فحذف للتکرار وقوله تعالی سبقوا ای فاتوا وافلتوا
من ان یظفر بهم مفعولا ان یحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار علی دفع ما
اتاهم مع ان معاودة المؤمنین بل الغلبة علیهم ایضا مما یتعلق امانیهم الباطلة ان ذلک مما لا یکاد یرجی لهم حسبانهم امالهم
یکن ان یدور فی خلدهم حسبان انتفاض نشط وقیل الفعل مسند الی احد او الی من خلفهم والمفعول الاول محذوف لتناوله الیهم ایضا
وقیل الی الفاعل المحذوف من سبقوا ای مع ما فی حیزه ساد مسد المفعولین والتقدیر ولا یحسبن الذین کفروا ان سبقوا وحذف
ان کما قری انهم سبقوا ونظیره فی الحذف قوله تعالی ومن آیاته یریکم البرق خوفا وقوله تعالی افغیر الله تامرونی اعبد قاله الزجاج
وقری بالتاء علی خطاب الرسول صلی الله علیه وسلم وهی قراءة واضحة وقری لا تحسب الذین بکسر الباء وفتحها علی حذف نون الخفة
وقوله تعالی انهم لا یعجزون ای لا یفوتون ولا یجدون طالبهم عاجزا عن ادراکهم تعلیل للنهی علی طریقة الاستئناف وقری بفتح
الهمزة علی حذف لام التعلیل وقیل الفعل واقع علیه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنی سابقین ای مفلتین هاربین علی قراءة الفتح
لا راحة فیما یحذر من عاقبة النبذ لما انه ایقاظ للعدو وتمکین لهم من الهرب والخلاص ای المؤمنین ونفی لقدرتهم علی المقاتلة
والمقابلة علی ابلغ وجه وآکده کما استتر وقیل نزلت فیمن افلت من قتل المشرکین وقری لا یعجزون بکسر النون ولا یعجزون بالتشدید
واعدوا لهم توجیه للخطاب الی کافة المؤمنین لما ان المامور به من وظائف الکل کما ان الامر جهة فیما سبق الی الرسول صلی الله علیه وسلم
لکونه فی حیزه من وظائفه علیه السلام ای اعدوا لقتال الذین نبذ الیهم العهد وهیئوا لحرابهم او لقتال الکفار علی الاطلاق وهو الانسب
بسیاق النظم الکریم ما استطعتم من قوة من کل ما یتقوی به فی الحرب کائنا ما کان وعن عقبة بن عامر سمعته علیه السلام یقول علی المنبر
الا ان القوة الرمی قالها ثلاثا ولعل تخصیصه علیه السلام ایاه بالذکر لانافته علی نظائره من القوی ومن رباط الخیل اسم للخیل التی
تربط فی سبیل الله تعالی فعال بمعنی مفعول او مصدر سمیت به یقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربیط
کفصیل وفصال او جمع ربط ککعب وکعاب وکلب وکلاب وقری ربط الخیل بضم الباء وسکونها جمع رباط وعطفها علی القوة مع کونها
من جملتها للایذان بفضلها علی بقیة افرادها کعطف جبریل ومیکائیل علی الملائکة علیهم السلام ترهبون به ای تخوفون وقری ترهبون
بالتشدید وقری تخزون به والضمیر لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب علی الحالیة من فاعل اعدوا ای مرهبین به
او من الموصول او من عائده المحذوف ای اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوکم وهم کفار مکة خصوا بذلک من
الکفار مع کون الکل کذلک لغایة عتوهم ومجاوزتهم الحد فی العداوة وآخرین من دونهم من غیرهم من الکفرة وقیل الیهود
وقیل المنافقون وقیل الفرس لا تعلمونهم ای لا تعرفونهم باعیانهم او لا تعلمونهم کما هم علیه من العداوة وهو اللائق بقوله تعالی
الله یعلمهم ای لا غیره فان اعیانهم معلومة لغیره تعالی وما تنفقوا من شیء لاعداد العتاد جل او قل فی سبیل الله الذی
اوضحه الجهاد یوف الیکم ای جزاؤه کاملة وانتم لا تظلمون بترک الاثابة او بنقص ثوابه والتعبیر عن ترکها بالظلم
مع ان الاعمال غیر موجبة للثواب حتی یکون ترک ترتیبه علیها ظلما لبیان کمال نزاهته سبحانه عن ذلک بتصویره بصورة ما یستحیل
صدوره عنه تعالی من القبائح وابراز الاثابة فی معرض الامور الواجبة علیه تعالی کما فی نظیر قوله تعالی فاستجاب لهم ربهم انی لا اضیع
عمل عامل منکم وان جنحوا الجنوح المیل ومنه الجناح ویعدی باللام وبالی ای مالوا للسلم ای الصلح بوقوع الرهبة علیهم
بمشاهدة ما بکم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها ای للسلم والتانیث لحملها علی نقیضها قال السلم تاخذ منها

ما رضیت والحرب یکفیک من انفاسها جرع وقری فاجنح بضم النون وتوکل علی الله ولا تخف ان یظهروا لک
السلم وجوانحهم مطویة علی المکر والکید انه تعالی هو السمیع فیسمع ما یقولون من مقالات الخداع العلیم فیعلم
نیاتهم فیواخذهم بما یستحقونه ویرد کیدهم فی نحرهم والآیة خاصة بالیهود وقیل عامة نسخها آیة السیف وان یریدوا ان یخدعوک
باظهار السلم وابطال الحراب فان حسبک الله ای فاعلم ان محسبک الله من شرورهم وناصرک علیهم هو الذی ایدک بنصره
تعلیل لکفایته تعالی ایاه علیه السلام بطریق الاستئناف فان تاییده تعالی ایاه علیه السلام فیما سلف علی ما ذکر من الوجه البعید
من الوقوع من دلائل تاییده تعالی فیما سیأتی ای هو الذی ایدک بامداده من عنده بلا واسطة کقوله تعالی وما النصر الا من عند
الله او بالملائکة مع خرقه للعادات وبالمؤمنین من المهاجرین والانصار والف بین قلوبهم مع ما کان بینهم قبل ذلک
من العصبیة والضغینة والتهالک علی الانتقام بحیث لا یکاد یاتلف فیهم قلبان حتی صاروا بتوفیقه تعالی کنفس واحدة وهذا من اجل
معجزاته علیه السلام لو انفقت ما فی الارض جمیعا ای لتالیف ما بینهم ما الفت بین قلوبهم استئناف مقرر لما قبله ومبین
لعظم المطلب وصعوبة الماخذ ای بلغ ما بینهم من التعادی الی حد لو انفق منفق فی اصلاح ذات البین جمیع ما فی الارض من الاموال والذخائر
لم یقدر علی التالیف والاصلاح وذکر القلوب للاشعار بان التالیف بینها لا یتسنی وان امکن التالیف ظاهرا ولکن الله
الف بینهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزیز کامل القدرة والغلبة لا یستعصی علیه شیء مما یریده حکیم یعلم
کیفیة تسخیر ما یریده وقیل الآیة فی الاوس والخزرج کان بینهم احن لا امد لها ووقائع افنت سادتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم
فانسی الله عز وجل جمیع ذلک والف بینهم بالاسلام حتی تصافوا واصبحوا یرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا
یا ایها النبی شروع فی بیان کفایته تعالی ایاه علیه السلام فی جمیع اموره او فی امور المؤمنین او فی الالقاء الی بعضهم من الکفرة کافة
اثر بیان کفایته تعالی ایاه علیه السلام فی مادة خاصة وتصدیر الجملة بحرف النداء والتنبیه للتنبیه علی مزید الاعتناء بمضمونها وایراده علیه السلام
بعنوان النبوة للاشعار بعلیتها للحکم حسبک الله ای کافیک فی جمیع امورک او فیما بینک وبین الکفرة من الحراب ومن
اتبعک من المؤمنین فی محل النصب علی انه مفعول معه ای کفاک وکفی اتباعک ناصرا کما فی قول من قال فحسبک والضحاک
سیف مهند وقیل فی موضع الجر عطفا علی الضمیر کما هو رای الکوفیین ای کافیک وکافیهم او فی محل الرفع عطفا علی اسم الله تعالی
ای کفاک الله والمؤمنون والآیة نزلت بالبیداء فی غزوة بدر قبل القتال وقیل اسلم مع النبی صلی الله علیه وسلم ثلاثة وثلاثون
رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضی الله عنه فنزلت ولذلک قال ابن عباس رضی الله عنهما نزلت فی اسلام عمر یا ایها النبی
بعد ما بین کفایته ایاهم بالنصر والامداد امر علیه السلام بترتیب مبادی نصره وامداده وتکریر الخطاب علی الوجه المذکور لاظهار
کمال الاعتناء بشان المامور به حرض المؤمنین علی القتال ای بالغ فی حثهم علیه وترغیبهم فیه بکل ما امکن من الامور المرغبة
التی اعظمها تذکیر وعده تعالی بالنصر وحکایة کفایته تعالی او کفایتهم واصل التحریض الحرض وهو ان ینهکه المرض حتی یشفی علی
الموت وقال الراغب کانه فی الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خیر فیه ولا یعتد به قلت فالاوجه حینئذ ان یحمل الحرض عبارة عن ضعف
القلب الذی هو من باب ینهکه المرض وقیل معنی حرضهم سمهم حرضا بان تقول لهم انی اراک فی هذا الامر حرضا ای مرضا
لیهیجه الی الاقدام وقری حرص بالصاد المهملة من الحرص ان یکن منکم عشرون صابرون یغلبوا مائتین وعد کریم منه
تعالی بتغلیب کل جماعة من المؤمنین علی عشرة امثالهم بطریق الاستئناف بعد الامر بتحریضهم وقوله تعالی وان یکن منکم مائة
یغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لکون کل منهما عدة ما بعد الواحد علی العشرة لزیادة التقریر المفیدة لزیادة
الاطمینان علی انه قد یجری بین الجمعین القلیلین ما لا یجری بین الکثیرین مع ان ما بین کل من الجمعین القلیلین
والکثیرین علی نسبة واحدة فبین ان ذلک لا تفاوت فیه الصابرین وقوله تعالی من الذین کفروا بیان للالف
الموعود ... الاثنین ... وقد ترک ذکره ... هاهنا کما ترک القید بالصبر هناک مع کونه معتبرا حتما تعویلا علی ذکره هناک
بانهم قوم لا یفقهون متعلق بیغلبوا ای بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالی وبالیوم الآخر لا یقاتلون احتسابا وامتثالا
بامر الله تعالی واعلاء لکلمته وابتغاء لرضوانه کما یفعله المؤمنون وانما یقاتلون للحمیة الجاهلیة واتباع خطوات الشیطان واثارة نائرة البغی
والعدوان فلا یستحقون الا القهر والخذلان واما من لا یؤمن بالله والیوم الآخر لا یوقن بالمعاد فالسعادة عنده لیست

الا نعمة الحياة الدنيوية فضنوا بها ولا يعرضونها للزوال فمراد الحرب اقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيغلب واما
من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحياة الفانية وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على القتال
بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباتهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت
الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم
ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل
التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاستعداد الى الحال لا الضعف في الدين
كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح في الرأي والعقل وبالضم في البدن
وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث تحقق الفعل لا علمه تعالى مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل
ولذا قال تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ يكن بالياء فيما سبق للغزاة
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف
وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر هنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر بعده تعالى والله مع الصابرين فانه
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض هنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض
هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام
عما ترك في المقام الآخر ما كان لنبي
وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما ذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء
ان يكون له اسرى وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر
ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي
الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم
الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب
نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد
بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ
الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء
مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فروي انه
فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو
نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى
سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي او ان الفدية
التي اخذوها ستحل لهم فلا يصح ان يعد من تلك الموانع ما سيأتي فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة لا ترفع
حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت فكلوا الفاء لترتيب ما بعدها على سبب

اي قد اباح لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه وكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية
فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم
من اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم
فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
اي في ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل وهي نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي
ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال
العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله
خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة
وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول بما في قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض
التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق
الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رأيت
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم
وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا
اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم
بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال
على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا
ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم
على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة
خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ
بقوله تعالى واولو الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا
كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو
تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا
امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة
والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا
حتى في التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير
في الدارين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق
للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه
فلا تكرار لان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد تحريكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم
فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم
الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات تشريف لهم ورفع لمحلهم

واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى احق منهم فى التوريث من الاجانب فى كتاب الله اى فى حكمه او فى اللوح او فى القرآن واستدل به
على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شىء عليم ومن جملته ما فى تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه برىء من النفاق واعطى عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم بحقيقة الحال

سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة
والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضى بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار
بالقاصى استقلالها فلا الفاظ بحكم ترك التسمية فى نزولها ترفع الاشكال الذى فى مقام المقصد بالشروع تبيانا من كرامة
مشفوعا بصفة الرحمة كما روى عن ابن عيينة لا لاشتباه فى استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما لا لما وقع من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين من الاختلاف فى ذلك على ان ذلك يفضى الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما هو مذهب
الحنفية ان مناط اثباتها فى المصاحف وتركها انما هو رأى من يتصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب فى ان الصحيح من المذهب ان البسملة آية فذة
من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأى احد فى الاثبات والترك وانما المتبع فى ذلك هو الوحى والتوقيف ولا مرية فى عدم نزولها ههنا
والا امتنع ان يقع فى الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين واما لما ذكرنا لا سبيل الى الاول لما انه صلى الله عليه وسلم بين حاله
الى ان التحق بالرفيق الاعلى او لان الاستقلال من كثرة الآيات وطول السورة فيأتى نزولها لمحض عليه السلام تعين الثانى لان عدم النزول الدافع
فى موضع البيان بيان للعدم براءة خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب اى اسمعوا براءة ومن فى قوله عز وجل من الله ورسوله
ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مفيدة لزيادة فخامتها اى هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين
وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر فى قوله تعالى ان الله برىء من المشركين اكتفاء بما فى حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن
تطويل ونسبة المعاهدة الى المخاطبين خيرا الى الذين الى العزة الذى يبعضه الانظم مولاه لان البراءة امر حادث والعهد المحكم المخاطبين
وانتسابها لا عن ان ابتداءها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصد بالذات والعمدة فى الاخبار شيئا آخر
وراء صفتها فان حق الصفات بل علم المخاطب بثبوتها لموصوفها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هى له ان تكون صفات
كما حقق فى موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل فى تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه الفتح فى لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد
الموثق بالايمان روى انه كان بين المسلمين وبين مشركى العرب عهد فنكثوا الا ناسا منهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم
فنكثوا الا بنى ضمرة وبنى كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا وانما نسبت البراءة الى الله ورسوله
مع شمولها للمسلمين والمشركين فى مخاطبتهم وجوبا بموجبها ونسبت المعاهدة الى المسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم
لانباء عن تحتمها وتحتمها من غير توقف على رأى المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة
وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمه ومصالحه واحكامه المترتبة عليها آثارها من غير توقف على شىء
اصلا واشتراك المسلمين فى حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم دخل فى اتمامها او فى ترتب
الاحكام عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحصل فى نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجه يعتبره
الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه تعالى فى شأنها هو الاذن فيها وانما الذى باشرها هو المسلمون ولا يخفى ان البراءة
انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان فى ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية
الذل والهوان ونهاية الخزى والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وارجاعه عليه
السلام اليه اخراجه عن شائبة لشأنه الرفيع واجلال قدره المنيع فى كل ما يأتى صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية
كأن يقال قد برئ الله ورسوله من الذين الخ للدلالة على دوام مضمونها واستمراره والتوسل الى بيانها بالتفخيم كما اشير اليه فسيحوا
امر للسيح الذى هو الذهاب فى الارض خطاب للمشركين على طريقة الالتفات موجب للتخفيف من الادلاء على كمال التوسعة والترفيه

ما ليس بيسير او نظارة وزيادة قوله عز وجل فى الارض لقصد التعميم لاقطارها غير دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم
وشأنهم للاستعداد للحرب والتحصن والاهل والمال وتحصيل المهرب عند ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وامر الكفار بالفرار عن المسلمين وحث لهم على حصول
المقصود وفى الكلام ايضا المبالغة فى الاعلام بالامهال حسبما لا جعلهم فى غفلة عنهم فاعتذارهم بعدم الاطلاع وانهم لا يتسنى اعادة
ذلك المعنى بطريق الاخبار كأن يقال مثلا فلكم ان تسيحوا ونحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث بهم وباستعدادهم كأن ذلك
امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يتبعه على ما ذكر من البراءة المذكورة مترتب على ان الاول البراءة تجلى متعلقة على
ان من نبه الغير بالبراءة على الاول كما فى قوله تعالى فسيروا فى الارض فانظروا الى العزة كما قيل براءة موجبة لعلمكم
ما تسعوا فى تحصيل العدة والاستعداد والجوانى اعناق المعانى من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم سياحتكم فى اقطار الارض فى العرض والطول
وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزى الله اى لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة
وتهويل امر الاخزاء وسلاسل الاذلال مخزى الكافرين اى مذلكم ومذلهم فى الدنيا بالقتل والاسر وفى الآخرة بالعذاب
وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هى كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه
المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هى الاشهر الحرم التى علق القتال بانسلاخها وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وعلى هذا جعلت حرما لتحريم القتال فيها والتغليب فى الحجة والمحرم على
وقيل من عشر ذى القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان فيهم ثم صار فى العام القابل فى ذى الحجة
وذلك قوله عليه السلام الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روى انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضى الله عنه على موسم
سنة تسع ثم اتبعه عليا رضى الله عنه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابى بكر فقال عليه السلام لا يؤدى
عنى الا رجل منى وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا على سمع ابو بكر رضى الله عنهما الرغاء
فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضى الله عنه
وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا
فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس
مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده واذان من الله ورسوله اى اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع
براءة والجملة معطوفة على مثلها واما قوله الى الناس اى كافة فلان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين
بل يتناول العامة الكفرة والمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى
انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع
فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اى بان الله فحذف الباء تخفيفا كما فى ذلك لان الاذان فى معنى القول
برىء من المشركين اى المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن فى برىء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اى برىء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الكفر والغدر
التفات من الغيبة الى الخطاب زيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذكورة بالوعيد الشديد المؤذن
بمزيد نكالهم فهو اى المتاب خير لكم فى الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء
فاعلموا انكم غير معجزى الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما يليق ممن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين
استدراك من النبذ الذى اخر فيه القتال اربعة اشهر كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ثم لم ينكثوا
عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين فى المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر فى ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله
الا انه لا يستحق بالجملة مؤذنا باعلام تلك البراءة كأنه قيل فاعلموا واستثناء من المشركين الاول ورده الثانى
على العموم مع كونها عبارة عن جملة استثناء من الكل يأباه تقي الكلام على العموم مع كونها عبارة عن جملة استثناء من

ی ابانه بقاء الاول کذلک وهل هو استدراک من المقدر فی فسیحوا ای فقولوا لهم سیحوا الا الذین عاهدتم منهم ثم لم ینقصوکم شیئا
من شروط المیثاق ولم یقتلوا منکم احدا ولم یضروکم قط وقرئ بالمعجمة ای لم ینقضوا عهدکم شیئا من النقض وکلمة ثم للدلالة علی ثباتهم علی عهدهم
مع تمادی المدة ولم یظاهروا ای لم یعاونوا علیکم احدا من اعدائکم کما عدت بنو بکر علی خزاعة عیبة رسول الله صلی الله علیه وسلم
فظاهرتهم قریش بالسلاح فاتموا الیهم عهدهم ای ادوه الیهم کاملا الی مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضی الاجل المضروب
للناکثین ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضی الله عنهما بقی لحی من کنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم الیهم عهدهم ان الله یحب
المتقین تعلیل لوجوب الامتثال وتنبیه علی ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوی وان التسویة بین الوفی والغادر منافیة لذلک وان کان
المعاهد مشرکا فاذا انسلخ ای انقضی مستعار من الانسلاخ الواقع بین الحیوان وجلده والاغلب اسناده الی الجلد والمعنی اذا
الاشهر الحرم وانفصلت کما کانت مشتملة علیه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانکشف عنه انکشاف الحجاب عما وراءه کما ذکره ابو الهیثم
من انه یقال اهللنا شهر کذا ای دخلنا فیه ولبسناه فنحن نزداد کل لیلة لباسا الی مضی نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتی نسلخه عن انفسنا
کله وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله کفی قاتلا سلخی الشهور واهلالی وتحقیقه ان الزمان محیط بما فیه من الزمانیات مشتمل علیه اشتمال الجلد
علی الحیوان وکذا کل جزء من اجزائه الممتدة من الایام والشهور والسنین فاذا مضی فکانه انسلخ عما فیه وفیه مزید لطف لما فیه من التلویح
بان تلک الاشهر کانت حرزا لاولئک المعاهدین عن غوائل ایدی المسلمین فنیط قتالهم بزوالها والمراد بها ما مر من الاشهر الاربعة
فقط ووضع المظهر موضع المضمر لیکون ذریعة الی وصفها بالحرمة تاکیدا لما ینبئ عنه اباحة السیاحة من حرمة التعرض لهم مع ما فیه من
الاعتناء بشانها او هی مع ما فهم من قوله تعالی فاتموا الیهم عهدهم الی مدتهم من مدة بقیت لغیر الناکثین فعلی الاول یکون المراد
بالمشرکین فی قوله تعالی فاقتلوا المشرکین الناکثین خاصة فلا یکون قتال الباقین مفهوما من عبارة النص بل من دلالته علی
سفرها من البتة الا انه یکون الانسلاخ وما نیط به من القتال حینئذ شیئا فشیئا لا دفعة واحدة کانه قیل فاذا تم میقات کل طائفة منهم
وحملها علی الاشهر المعهودة الدائرة فی کل سنة لا یساعده النظم الکریم واما ... نسخ حرمة القتال فیها ولیس مما نزل بعد ما نیط بها
فلا اعتداد به لان نسخه لقوله تعالی وقاتلوهم حتی لا تکون فتنة کما هو فانه رجم بالغیب لانه ان ارید به ما نزل فی الانفال فانه نزل عقیب
غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذین کفروا ای فی قوله تعالی قل للذین کفروا الی آخره ابو سفیان واصحابه وقد اسلم فی اواسط رمضان
عام الفتح سنة ثمان والتوبة انما نزلت فی شوال سنة تسع وان ارید ما فی سورة البقرة فانه ایضا نزل قبل الفتح کما یعرب عنه
ما سلف من قوله واخرجوهم من حیث اخرجوکم ای من مکة وقد فعل ذلک یوم الفتح فکیف ینسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع علی
کافة ... من غیر حاجة الی کون سنده منقولا الینا وقد صح ان النبی صلی الله علیه وسلم حاصر الطائف لعشر بقین من المحرم
حیث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم ای ایسروهم والاخیذ الاسیر واحصروهم ای قیدوهم او امنعوهم من التقلب
فی البلاد قال ابن عباس رضی الله عنهما حیلوا بینهم وبین المسجد الحرام واقعدوا لهم کل مرصد ای کل ممر ومجاز یجتازون منه
فی اسفارهم وانتصابه علی الظرفیة ای ارصدوهم وارقبوهم حتی لا یمروا به وفائدته علی التفسیر الثانی دفع احتمال ان یراد بالحصر المحاصرة
المعهودة فان تابوا عن الشرک بالایمان حسبما اضطروا الیه بما ذکر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزکوة تصدیقا
لتوبتهم وایمانهم واکتفی بذکرهما عن ذکر بقیة العبادات لکونهما رئیسی العبادات البدنیة والمالیة فخلوا سبیلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم
بشیء مما ذکر ان الله غفور رحیم یغفر لهم ما سلف من الکفر والغدر ویثیبهم بایمانهم وطاعاتهم وهو تعلیل للامر بتخلیة السبیل
وان احد شروع فی بیان حکم المتصدین لمبادی التوبة من سماع کلام الله تعالی والوقوف علی شعائر الدین اثر بیان حکم التائبین عن الکفر
والمصرین علیه وهو مرتفع بشرط مضمر یفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا علی الفعل من المشرکین استجارک بعد انقضاء الاجل
المضروب ای سالک ان تؤمنه وتکون له جارا فاجره ای فامنه حتی یسمع کلام الله ویتدبره ویطلع علی حقیقة ما تدعو الیه واقتصر
علی ذکر السماع لعدم الحاجة الی شیء آخر فی الفهم لکونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتی ... للغایة والتعلیل ... لا یجوز ان یکون
استجارک لانه یؤدی الی ... فی المفسر وذلک لا یکاد یرتکب لغیر ضرورة الشعر کما فی قوله فلا والله لا یلفی اناس فتی حتاک
یا ابن ابی یزید کذا قیل الان تعلق ... بسماع کلام الله تعالی باحد الوجهین ... الاستجارة بذلک بل فی معناه من امور الدین
وما روی عن علی رضی الله عنه انه اتاه رجل من المشرکین فقال ان اراد رجل منا ان یاتی محمدا بعد انقضاء الاجل یسمع کلام الله تعالی

او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالی یقول وان احد من المشرکین استجارک فاجره الی آخره فالمراد بما فیه من الحاجة هی الحاجة المتعلقة
بالدین لا ما یعمها وغیرها من الحاجات الدنیویة کما ینبئ عنه قوله ان اتی محمدا فان من یاتیه علیه السلام انما یاتیه للامور المتعلقة
بالدین ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم یؤمن مأمنه ای مسکنه الذی یامن فیه وهو دار قومه ذلک ای ما ذکر من الامر
بالاجارة وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم قوم لا یعلمون ما الاسلام وما حقیقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان
حتی یفهموا الحق ولا یبقی لهم معذرة اصلا کیف یکون للمشرکین عهد شروع فی تحقیق حقیة ما سبق من البراءة واحکامها
المتفرعة علیها وتبیین الحکمة الداعیة الی ذلک والمراد بالمشرکین الناکثون لان البراءة انما هی فی شانهم والاستفهام انکاری
لا بمعنی انکار الوقوع کما فی قوله تعالی کیف تکفرون بالله الی آخره بل بمعنی انکار الوقوع ویکون من الکون التام ای کیف یحدث
عهد معتد به عند الله وعند رسوله للمشرکین متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو تاخر لکان صفة له او بیکون
عند من جعل الافعال الناقصة تعمل فی الظرف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد اعتد به ... او بیکون کما جوز ان یکون الخبر
للمشرکین وعند کما ذکر او متعلق بالاستقرار الذی تعلق به للمشرکین وجوز ان یکون الخبر عند الله وللمشرکین اما حال من عهد او
متعلق بیکون او بالاستقرار الذی تعلق به الخبر ولا یبالی بتقدیم معمول الخبر علی الاسم لکونه حرف جر وکیف علی الوجهین الاخیرین نصب
علی التشبیه بالظرف او بالحال کما فی صورة الکون التام ومدار الانکار لیس ثبوت العهد نفسه ... من المبالغة ما لیس فی انکار ثبوته
لان ثبوت ... فرع ثبوت العهد ... فاستلزام ... الاصل یوجب انتفاء الفرع ... فی توجیه الانکار الی کیفیة ثبوت العهد من المبالغة ... توجیهه
الی ثبوته لان کل موجود یجب ان یکون وجوده علی حال من الاحوال قطعا فاذا انتفی جمیع احوال وجوده فقد انتفی وجوده علی الطریق البرهانی
ای علی ای حال او فی ای حال یوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله یستحق ان یراعی حقوقه ویحافظ علیه الی تمام المدة
ولا یتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واذا لم یوجد لهم عهد فلا من عذاب الآخرة ... فلا سبیل الی اعتباره اصلا اذ لا ... اذا ... العهد ...
الامن قطعا وان کان مرعیا عند الله وعند رسوله کعهد غیر الناکثین وتکریر کلمة عند للایذان بعدم الاعتداد به عند کل منهما علی حدة
الا الذین استدراک من النفی المفهوم من الاستفهام ای لکن الذین عاهدتم عند المسجد الحرام وهم
المستثنون فیما سلف والتعرض لکون المعاهدة عند المسجد الحرام لزیادة بیان اصحابها والاشعار بسبب ... ومحل الرفع علی انه
خبره ... فما استقاموا لکم فاستقیموا لهم وما تحتمل الشرطیة ... وما مصدریة منصوبة المحل علی الظرفیة بعد ... المضاف
ای فاستقیموا لهم مدة استقامتهم لکم واما ... منصوبة المحل علی الظرفیة الزمانیة ای ای زمان استقاموا لکم فاستقیموا لهم ... والعائد محذوف
ای ای زمان استقاموا لکم فیه فاستقیموا لهم فیه ... ومحل الرفع علی البدل من المشرکین
والمراد بهم الجنس المعهود ... الامر بالاستقامة ... العهد ... الی ... الاستقامة ... عبارة
عن مراعاة حقوق العهد بعد انقضاء العهد لا استقامة ... فان ما سلف ... فاتموا الیهم عهدهم الی مدتهم خلا انه صرح
ههنا بالمقید ... مع کونه ... الامام ... ان الله یحب المتقین تعلیل للامر
بالاستقامة ... ان القیام بموجب العهد من احکام التقوی کیف تکریر لاستنکار ما مر من ان یکون للمشرکین عهد مع مراعاة
عند الله وعند رسوله صلی الله علیه وسلم ... لاستبعاد ثباتهم علی العهد ... لما ذکر بصدد التعلیل لاستبعاد
عدم ثباتهم علی العهد ... اعید ... الاستنکار ... العهد ... الموجبة لها ... فی البین ... والتعجب
وحذف الفعل المستنکر ... فی البین ... تکریر ... کما فی قوله وخبرتمانی انما الموت بالقری
فکیف وهاتا هضبة وقلیب وان یظهروا علیکم ای کیف یکون لهم عهد معتد به عند الله تعالی وعند رسوله وان یظهروا علیکم
ای وحالهم انهم ان یظفروا بکم لا یرقبوا فیکم ای لا یراعوا فی شانکم واصل الرقوب النظر بطریق الحفظ والرعایة ومنه الرقیب
ثم استعمل فی مطلق الرعایة والمراد ... کالمراعاة ... الرقوب من المبالغة ما لیس فی نفسها الا ولا ذمة ای حلفا وقیل قرابة
ولا عهدا او حقا ... علی ... لا یخفی ... المواثیق ... یوجب مراعاة حقوق العهد ... المتعاهدین
مراعاة الاخری ... کیف تراعی ... علی ... وقیل ... لا تعرف ... ولا ذبابا
وقیل الال من اسماء الله عز وجل ... وقیل الجوار ... والحلف ... اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ... کان

متعلق بعدم رعاية العهد بالظفر حال الرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة نياتهم الخبيثة بطريق الاستئناف وبين أنهم في حالة العجز أيضا
ليسوا من الوفاء في شيء وأن ما يظهرونه من الأمن للمعاهدة نفاق فقيل يرضونكم بأفواههم حيث يظهرون لكم المصافاة ويعدونكم
بالإيمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالأيمان الفاجرة ويعتذرون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الإرضاء إلى الأفواه للإيذان
بأن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم وتأبى قلوبهم ما يفيده كلامهم وأكثرهم فاسقون
خارجون عن الطاعة فإن مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليس لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة ولا يتسترون كما يتعاطى
بعضهم من التحامي عن الغدر والتعفف عما يجر أحدوثة السوء اشتروا بآيات الله بالآيات الآمرة بالإيفاء بالعهود والاستقامة في كل أمر
أو بجميع الآيات ويدخل فيها ما ذكر دخولا أوليا أي تركوها وأخذوا بدلها ثمنا قليلا أي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو أهواؤهم وشهواتهم
التي اتبعوها أو ما أطعمهم أبو سفيان من الطعام وصرفهم إلى الأعراب فصدوا أي عدلوا ونكبوا من صد صدودا أو صرفوا غيرهم
من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله أي الدين الحق الذي لا محيد عنه والإضافة للتشريف أو سبيل بيت الله
الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه إنهم ساء ما كانوا يعملون أي بئس ما كانوا يعملونه أو عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف
وقد جوز أن يكون كلمة ساء على أصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح أو متعدية والمفعول محذوف أي ساءهم الذي يعملونه أو عملهم وقوله عز
وعلا لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الإطلاق فلا تكرار وقيل الأول في الناقضين والثاني في
المذكورين من بعد وأحد منهم وإنما قيل في مؤمن تعميما لعدم الرعاية ودليلا على ما خصهم به من أنهم لم يشعروا بما حصل من الذم والتسجيل عليهم
بما دون غيره وأولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة
فإن تابوا أي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للإيذان بأن تقريعهم بما هم عليه من مساوي أعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة أي التزموهما وعزموا على إقامتهما فإخوانكم أي فهم إخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق بإخوانكم
لما فيه من معنى الفعل أي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الإخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف
بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما أن الأولى سيقت إثر الأمر بالقتل ونظائره وحسن أن يكون جوابها تخلية السبيل وذلك
وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء وأشباهه فلا بد من أن يكون جوابها حكما منافيا له ونفصل الآيات أي نبينها والمراد بها إما ما مر من الآيات
المتعلقة بأحوال المشركين من الناكثين وغيرهم وأحكامهم حالتي الكفر والإيمان وإما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا أوليا
لقوم يعلمون أي يفهمون الأحكام أو لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الأحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها
وإن نكثوا عطف على قوله تعالى فإن تابوا أي وإن لم يفعلوا ذلك بل نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم الموثق بها وأظهروا ما في ضمائرهم
من الشر وأخرجوه من القوة إلى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية أو ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا أنهم ارتدوا
بعد الإيمان كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الأحكام فقاتلوا أئمة الكفر أي فقاتلوهم وإنما أوثر عليه
الكريم للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رئاسة وتقدم في الكفر أحقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بالأئمة رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر
إما لأهمية قتلهم أو للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها أو للدلالة على استئصالهم فإن قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ بتحقيق الهمزتين
على الأصل والأصح إخراج الثانية بين بين وأما التصريح بالياء فلحن على أنه قرئ إنهم لا أيمان لهم أي على الحقيقة حيث لا يراعونها
ولا يعدون نقضها محذورا وإن أجروها على ألسنتهم وإنما علق النفي بها لا بالنكث لما سلف ولا بالعهد المؤكد بها لأنها العمدة في المواثيق وجملة
تعليل للأمر بالقتال لا لما علق به من النكث والطعن لأن حالهم أن لا أيمان لهم عند الطعن كما لم يكن ذلك قبله وحمله على معنى عدم بقاء الأيمان
والطعن أي لا حاجة إلى تأخير القتال وجعلها تعليلا لمضمون الشرط كما قيل إن نكثوا وطعنوا فلا أيمان لهم صحيحة لا تكونوا على استمرار
القتال المأمور المستفاد من سياق الكلام كما قيل فقاتلوهم إلى أن يؤمنوا إنهم لا أيمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ لا إيمان لهم على أنه مصدر
بمعنى إعطاء الأمان أي لا سبيل إلى أن تعطوهم الأمان بعد ذلك أبدا وأما العكس كما قيل فلا وجه له لإشعاره بأنهم يتمكنون على طريقة أن يكون إعطاء الأمان
من قبلهم وذلك باطل أو بمعنى الإسلام فيكون تعليلا للأمر بالقتال وفيه إشكال لاستحالته لأنه إن حمل على نفي الإسلام مطلقا فهو بمعزل
عن العلية للقتال أو للأمر به كما قيل النكث والطعن وإن حمل على نفيه فيما سلف فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال كما ينبغي فالوجه أن يجعل تعليلا
لما ذكر من مضمون الشرط كما قيل إن نكثوا وطعنوا فهو الإظهار منهم لأنه لا إسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض أيمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم

ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا أي قاتلوهم إرادة أن ينتهوا أي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر
العظائم التي ارتكبوها لا إيصال الأذية بهم كما هو ديدن المؤذين ألا تقاتلون الهمزة الداخلة على لا النافية للإنكار والتوبيخ
دل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها كأنه أمر لا يمكن أن يعترف به طوعا لكمال شناعته فيلجؤون إلى ذلك
ولا يقدرون على الإقرار فيختارون المقاتلة قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر
على خزاعة وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا فالتنكر
نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا بإخراجه من المدينة وهم بدءوكم بالمعاداة والمقاتلة
أول مرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها إلى المقاتلة
أو بدءوا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأن إعانة بني بكر عليهم قتال معهم أتخشونهم أي أتخشون أن ينالكم منهم مكروه
حتى تتركوا قتالهم وبخهم أولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق أن من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بأن
لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله أحق أن تخشوه بمخالفة أمره وترك قتال أعدائه إن كنتم مؤمنين فإن قضية
الإيمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للأمر بالقتال بعد التوبيخ على تركه
ووعد بنصرهم وتعذيب أعدائهم وإخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم قتلا وأسرا وينصركم عليهم أي يجعلكم جميعا غالبين
عليهم أجمعين ولذلك أخر عن التعذيب والإخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال عليه السلام
أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكائد ولقد أنجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على أجمل
ما يكون فكان إخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض
أهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث أسلم أناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ بالنصب بإضمار أن
ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر بحسب المعنى فإن القتال كما هو سبب لغلبة المؤمنين وإذلال الكافرين سبب لتدبرهم في أمرهم وتوبتهم من الكفر
والمعاصي ولا إشكال في وجه السببية والله تعالى أعلم والله إيثار إظهار الجلالة على الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة
عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يأمر إلا بما فيه حكمة ومصلحة أم حسبتم أم منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال من التوبيخ
لهم على الحث المذكور أي بل أحسبتم أن تتركوا على ما أنتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب لمن شق عليهم القتال
من المؤمنين أو المنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم
بالطريق البرهاني إذ لو شمله لوجد لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا أي أم حسبتم أن تتركوا والحال أنه لم يتبين الخلص
من المجاهدين منكم من غيرهم وفي لما من التوقع منبئة على أن ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى
أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما أن ذلك بمعزل من الاندراج
تحت إرادة أكرم الأكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة أي بطانة وصاحب سر وهو الذي يطلعه على ما في ضميره من الأسرار يجعله من الولوج وهو الدخول من دون الله متعلق بالاتخاذ
إن أبقي على حاله ومفعوله الثاني إن جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون أي بجميع أعمالكم وقرئ على الغيبة وهو مزيح لما
يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم إلى آخره والجملة حال متداخلة من فاعل يعلم أو من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال
أنه يعلم جميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان للمشركين أي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز
كما في قوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي ما وقع وما تحقق لهم أن يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله
أي المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامرها أو لأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله
بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
الذي هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على أنه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللائق دون
نفي الوجود شاهدين على أنفسهم بالكفر أي بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة

صريحة على انفسهم بالكفر اى بان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن او حال من الضمير في يعمروا اى محال ان يكون ما سموه عمارة عمارة
مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين
متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين لا يستدعى انتفاء احدهما
لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روى ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق على رضي الله عنه يوبخ
العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم
محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال
البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم
وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي
الاول من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استتباع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما خلا
ان اريد جميع المساجد وادراج المسجد الحرام فيه وكذا غير مخالفة لمعنى الحال فان الايجاب ليس كالسلب ... بالافراد ايضا والمراد ههنا
قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اى انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده
واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلاة وآتى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان
بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمتي الشهادة علم للكل اى انما يعمرها من جمع هذه الكمالات
العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر
ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش في امور الدين
الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور
المخوفة فليس من الابواب والاعمال حتى يكون محلا للتكليف وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من المطالب العلية ابراز اهتدائهم مع ما بهم
من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم
بقطعهم انهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف
للمؤمنين وردعهم عن الاغترار بحالهم والاتكال على عملهم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اى
في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد
من تقدير مضاف في احد الجانبين اى اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن
وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المناسب لما سبق من ذكر الاعمال في جانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة
ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله سبحانه
على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس بمشعر
بالحرمان ايضا اما على الاول فمدار التوبيخ للمشركين ومدار الانكار تشبيههم انفسهم من حيث اتصافهم بصفتهم المذكورة مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك
بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه صفتهم المذكورة في حد ذاتها مع الاغماض عن مقارنتها للشرك بالايمان والجهاد
واما اعتبار مقارنتها للكفر فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد
على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا عهد به في النظم التنزيلي ولا عبرة بذلك لما لا ...
الى تقرير الانكار وتأكيده ... ولا شك في ظهور بطلان تشبيه المعدوم بالموجود والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيله او جعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما محبطتان

عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون
عند الله اى لا يساوى الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين والوصفين
الآخرين لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه المعنى ههنا والانكار
فيما سلف الى الاستواء السلبي انما هو للمفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين اعني الافضلية دون التساوي انما
لانه في الرد عليهم فان نفي التساوي انما ينفي الافضلية بالطريق الادعائي والكناية يستلزم تقرير الانكار المذكور وتأكيده واما عنوان الجملة الرابطة
هو العمدة كما قيل استئناف مبين حال كونهم ... والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك
ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما
موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف
لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد
لانه اعتبر بطريق التدارك امر اعظم فيما سلف اى هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اى اعلى رتبة
واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اى المنعوتون
بتلك النعوت الفاضلة والاشارة بما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق
كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمؤثري السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا
قال للعباس رضي الله عنهما بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقى حاج
بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى النعمان
بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقى الحاج وقال آخر لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد
ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية
والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه
مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به
معه لا محالة وذكر الاسباب الرجحان ومبادي الافضلية ايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى
على هذا التقدير وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح
من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا والظلم عموما لقصر قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق
او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها
اى في تلك الجنات نعيم مقيم دائم لا نفاد له وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للمبشر به وتربية له خالدين فيها اى في الجنات ابدا
تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلتها
والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة
فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم
فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا
وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه
فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اى اختاروه
على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام
بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم منكم اى واحد منكم كما يشير اليه افراد الضمير في الفعل مراعاة للفظ الموصول للايذان باستقلال
كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لا ان المراد فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اى اولئك المتولون

هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وأمر له صلى الله عليه وسلم بأن يثبت
المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيما يجري مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع
علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم لم يذكر الأبناء والأزواج
فيما سلف لأن الموالاة للآباء والأزواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم أي أقرباؤكم مأخوذ من العشرة أي الصحبة وقيل من العشرة فإنها
جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم وأموال اقترفتموها أي اكتسبتموها وإنما وصفت بذلك إيماء إلى عزتها عندهم
لحصولها بكد اليمين وتجارة أي أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في أيام الموسم
ومساكن ترضونها أي منازل تعجبكم الإقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما ذكر
من زينة الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وأنها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل من أن يرجح حبها على
محبة الله عز وجل كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم أحب إليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لأثره
الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله
نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها بشأنه وتنبيها على أنه مما يجب أن يحب فضلا عن أن يكره وإيذانا بأن
محبته راجعة إلى محبتهما فإن الجهاد عبارة عن قتال الأعداء لأجل عداوتهم لهما فمن يحبهما يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا أي انتظروا
حتى يأتي الله بأمره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة أو آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أي القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا أوليا أي لا يرشدهم إلى ما هو
خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة
في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين
عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في أحدهما أي وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للإيماء إلى ما وقع فيه
من قلة الثبات من أول الأمر وقيل المراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم
أي ونصركم يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على أنه لم يكن في المعطوف عليه
كثرة ولا إعجاب إذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوف فيما أضيف إليه المعطوف ومنهم من نصبه بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة
والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا العشرة الآلاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والأنصار والألفان
من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل
من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الأنصاري لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم
المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون على الغنائم فنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فرجعوا فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب
فانهزموا وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم شيئا والإغناء إعطاء ما يدفع به الحاجة أي لم يعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا
من الإغناء وضاقت عليكم الأرض بما رحبت أي برحبها وسعتها على أن ما مصدرية والباء بمعنى مع أي لا تجدون فيها مفرا تطمئن
إليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي أنه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين ويقول
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وفي نسبته عليه الصلاة والسلام ذلك بضعة عشر مرة قال العباس كنت أكف البغلة لئلا تسرع به نحو
وناهيك بهذه الواقعة شهادة صدق على أنه صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأربطهم جأشا فما كان ذلك
إلا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار
فخذا فخذا ثم نادى أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم أنزل الله
سكينته على رسوله أي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن إليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب وأما مطلق السكينة فقد كانت
حاصلة له عليه السلام قبل ذلك أيضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت
أي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أو على الكل وهو الأنسب بالأظهر في تحقق أصل السكينة

في الثبات من قبل والتعرض لوصف الإيمان للإشعار بعلية الإنزال وأنزل جنودا لم تروها أي بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضا
وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي عليه السلام إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فأخذ كفا من تراب
فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا
في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا وفي قتالهم أيضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا إلا يوم بدر
وإنما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك وإلقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني
رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه
فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي وذلك أي ما فعل بهم
مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء أي يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه وهو الإسلام
والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي أن ناسا منهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبايعوه على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ
ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام إن عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم
وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري
والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام إنا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء
أنهم قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة أو هم ذوو نجس لخبث باطنهم
أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون
وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كأنه قيل المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد
الحرام تفريع على نجاستهم وإنما نهى عن القرب للمبالغة في المنع عن دخول الحرم ونهي المشركين وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا
وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فإن تقييد النهي بذلك يدل على
اختصاص المنهي عنه بوقت من أوقات العام أي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم
ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد
عنده وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم
من ذلك وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وإن خفتم عيلة أي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع
ما كانوا يجلبونه إليكم من الأرزاق والمكاسب وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعاقبة أو حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
أو من تفضله بوجه آخر فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به
فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض إن شاء إن يغنيكم مشيئته
التابعة للحكمة الداعية إليها وإنما قيده بذلك لينقطع الآمال إلى الله تعالى ولأن الإغناء ليس مطردا بحسب الأفراد والأحوال والأوقات إن الله عليم
بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله أمر بقتال أهل الكتابين إثر أمرهم بقتال المشركين ومنعهم من أن
يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من العاقبة المرجوة من انقطاع تلك المكاسب بعض طرق الإغناء الموعود على وجه
الكلي وإرشاد لهم إلى سلوك ما استنجزوا به الوعد والتعرض لعنوان الصلة للإيذان بأن ما ذكر في حيز الصلة علة للأمر بالقتال وأنهم
بسبب ذلك في سلك المشركين فإن اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من أن يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فإن علمهم في أحوال الآخرة كلا علم فإيمانهم
المبني عليه ليس بإيمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا أو غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون
اتباعه أي يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الأديان وهو دين الإسلام
وقيل دين الله من الذين أوتوا الكتاب من التوراة والإنجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا أي يقبلوا

ان يعطوا الجزية اي تقرر عليهم ان يعطوها مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليس [illegible] وهم صاغرون اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع الكفار اما المجوس فقد اتفق الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة ويسقط بالموت والاسلام ومقدارها على المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة وعند الشافعي رضي الله عنه يؤخذ من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتاب بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف وعلى انه لالتقاء الساكنين او حمل الابن وصفا على ان الخبر محذوف وهو مستغنى عنه قيل هو قول اقدمهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قاله بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنهما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فاذن في قومه ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما كان عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي هذا الا لانه ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين قولهم [illegible] على جهة [illegible] بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم هم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القولين [illegible] مع اتحاد المقول له [illegible] اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله [illegible] والابطال [illegible] قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله احبارهم [illegible] وهو العالم [illegible] ورهبانهم [illegible] اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرمه [illegible]

وهو المسيح ما كانوا يعبدونهم قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان ذلك على دين [illegible] فرقة من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال فذلك عبادتهم وسأل الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم ولم يكونوا يقبلون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لان تخصيص النصارى به عليه السلام امر حيث والاتباع على ربوبيته منافية للربوبية لان ذلك كان [illegible] وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابيهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم لا يقدح في ذلك كون [illegible] الاحبار والرهبان بطريق الالزام فان تخصيص العبادة به تعالى لا يحصل الا بالتخصيص [illegible] ايضا وحيث لم يخصوا [illegible] لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله الاطفاء عبارة عن ازالة لهب النار الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها مطلقا لكن لما كان الغرض من اطفاء النار لا يراد بها الا نورها كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والمراد [illegible] ازالة نوره والمراد بنور الله سبحانه حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك يريد اهل الكتاب ابطال القرآن وتكذيبه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] حالهم [illegible] بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ويأبى الله الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لانه في معنى النفي كما اشير اليه وقد وقع مقابلا لقوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه [illegible] فضلا عن الاطفاء [illegible] مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل لزيادة الاعتناء بشأنه والاشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوا اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد وقد مر ذلك مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخها او بحسب الغلبة والحجة [illegible] ولو كره المشركون كما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بطريق الرشوة في تغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنه ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشا [illegible] عنه بتعففهم [illegible] الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ويحفظونها سواء كان ذلك بالدفن او بوجه

والموصول عبارة إما عن الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها بعد وصفهم بما سبق من أخذ
البرشا وأكل الأموال بالباطل وإما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين كما أشير إليه عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله
فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهما سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم فالمراد بالإنفاق
في سبيل الله الزكاة لما روي أنه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تعالى لم يفرض
الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم ولقوله عليه السلام ما أدي زكاته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد عليه مع عدم الإنفاق
فيما أمر الله بالإنفاق فيه وأما قوله عليه السلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم تؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب أليم
خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز أن يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب أليم أو بمضمر
يدل عليه ذلك أي يعذبون أو باذكر يحمى عليها في نار جهنم أي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل
الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى التذكير كما
رفعت القصة إلى الأمير فإن طرحت القصة قلت رفع إلى الأمير وإنما قيل عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال
علي رضي الله عنه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للأموال والكنوز
فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب كذلك بل أولى
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن جمعهم وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسية التي
هي الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على إرادة
القول لأنفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه
وقرئ بضم النون إن عدة الشهور أي عددها عند الله أي في حكمه وهو معمول لها لأنها مصدر اثنا عشر خبر لإن شهرا
تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية إذ عليها يدور فلك الأحكام الشرعية في كتاب الله
في اللوح المحفوظ أو فيما أثبته وأوجبه من حكمه وهو صفة لاثنا عشر أي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله عز وعلا يوم خلق السموات
والأرض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار أو بالكتاب على أنه مصدر والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله
الأجرام والحركات والأزمنة منها أي من تلك الشهور الاثني عشر أربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا
منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجع أمر الأشهر الحرم إلى ما كان
من الحل والحرمة وعاد الحج إلى ذي الحجة بعد ما كانوا أزالوه عن محله بالنسيء الذي أحدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت
حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك أي تحريم الأشهر الأربعة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد
لتفخيم المشار إليه الدين القيم المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت وراثة منهما وكانوا يعظمون
الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى إنه لو لقي رجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثوا النسيء
فغيروا فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأن الظلم مؤول بارتكاب
المعاصي فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا
ويؤيد الأول أنه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
أي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا أن الله مع المتقين أي معكم بالنصر
والإمداد فيما تباشرونه من القتال وإنما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليها وإيذانا بأنه المدار في النصر وقيل هي
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم إنما النسيء هو مصدر نسأه إذا أخره وقرئ النسي بقلب الهمزة ياء
ونسيئا وقرئ بحذفها والآية بيان لما كانوا يفعلونه فإنهم كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه

شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة أي تأخير حرمة شهر إلى آخر
زيادة في الكفر لأنه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم إلى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم
وقرئ على البناء للفاعل من الإفعال على أن الفعل لله سبحانه أي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه وأسبابه وهو المعنى على
القراءة الأولى أيضا وقيل المفعول محذوف أي يضل به الذين كفروا أتباعهم والموصول عبارة عن أتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد ونضل بنون العظمة
يحلونه أي الشهر المؤخر عاما من الأعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه أي يحافظون على حرمته
كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار إحلالهم له في العام الماضي أو لإسنادهم له إلى آلهتهم كما سيجيء عاما آخر إذا لم يتعلق به
غرض من أغراضهم قال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة كان إذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم
فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول إن صفر العام حرام فإذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأسنة
والأزجة وإن قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا وأول من فعل ذلك جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية
كان يقوم على جمل في الموسم فينادي بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في العام القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم
المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما أول من سن النسيء عمرو بن
لحي بن قمعة بن خندف والجملة تفسير للضلال أو حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا أي ليوافقوا عدة ما حرم الله
من الأشهر الأربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني أو بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الأشهر المعينة زين لهم
سوء أعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل أعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا
فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة إلى المطلوب البتة وإنما يهديهم إلى ما يوصل إليه عند سلوكه وهم
قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا أيها الذين آمنوا رجوع إلى حث المؤمنين وتحريضهم على قتال الكفرة
إثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الإنكار والتوبيخ إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
أي تباطأتم وتقاعستم وأصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك أي أي شيء حصل أو حاصل لكم تتثاقلون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم
انفروا أي اخرجوا إلى الغزو في سبيل الله متثاقلين على أن الفعل ماض لفظا مضارع معنى كأنه قيل متثاقلين فالعامل في الظرف الاستقرار
المقدر في لكم أو معنى الفعل المدلول عليه بذلك وكذا إذا عمل فيه الحال أي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الإنكاري
التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ إما هو أو الأول إلى الأرض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والإخلاد أي اثاقلتم مائلين إلى الدنيا
وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه أو إلى الإقامة بأرضكم
ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد أدركت ثمار المدينة وطابت
ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة إلا ورى بغيرها إلا في غزوة تبوك فإنه
عليه السلام بين لهم المقصد ليستعدوا لها أرضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة أي بدل الآخرة ونعيمها الدائم
فما متاع الحياة الدنيا أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أي فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة أي في جنب الآخرة إلا قليل
أي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة
الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها إلا تنفروا أي إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه يعذبكم أي الله عز وجل
عذابا أليما أي يهلككم بسبب فظيع كالقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد إهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لتأكيد
الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال أي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا
ليسوا من أولادكم ولا أرحامكم كأهل اليمن وأبناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا أي لا يقدح
تثاقلكم في نصرة دينه أصلا فإنه الغني عن كل شيء في كل أمر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل وعده العصمة والنصرة وكان
وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على إهلاككم والإتيان بقوم آخرين إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه
فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة أشد من هذه المرة فحذف الجزاء وأقيم سببه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب له النصرة حتى

القراءة

في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره إذ أخرجه الذين كفروا أي تسببوا لخروجه حيث أذن له عليه السلام في ذلك حين هموا بإخراجه
ثاني اثنين حال من ضميره عليه السلام أي يكون ثانيا على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب أي أحد اثنين من غير اعتبار
كونه عليه السلام ثانيا فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور
أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وحاصله
أنه ثانيهما … كما ذكر في الأخبار محل يستغنى عنه إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه
بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان أو ظرف
لثاني إذ يقول لصاحبه أي الصديق لا تحزن إن الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة
من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد ما هو … في الأمر المباشر روي أن المشركين طلعوا فوق الغار
فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت نسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله تعالى بأبصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى
ومن ثمة قالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله سبحانه وتعالى فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن عندها القلوب
عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة خوف أصلا أو على صاحبه وهو الأنسب … وأما النبي عليه السلام فكان
على طمأنينة من أمره وأيده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والأحزاب وحنين وقيل هم الملائكة
أنزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم … وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك أو دعوة
الكفر فإن ذلك تحقق بمجرد الإنجاء والقتل والأسر ونحو ذلك وكلمة الله أي التوحيد أو دعوة الإسلام هي العليا
لا يدانيها شيء وتغيير الأسلوب للدلالة على أنها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل
وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للأمر بالنفور بعد التوبيخ على تركه
والإنكار على المسامحة فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين أي على أي حال كان من يسر أو عسر حاصلين بأي سبب
كان من الصحة والمرض والغنى والفقر وقلة العيال وكثرتهم أو غير ذلك مما ينتظم مساعدة الأسباب وعدمها بعد الإمكان والقدرة
في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا
وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الأمرين المتقابلين بالإرادة من غير مقارنة للباقي عن ابن أم مكتوم أنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال عليه الصلاة والسلام نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نسخ بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله أي بما أمكن لكم منهما
كليهما أو أحدهما على الكفاية … حتى أن من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه حالا على حاله
إلى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو إيجاب للقسم الأول فقط ذلكم أي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الإشارة من معنى البعد
لما مر … بعد منزلته في الشرف خير لكم أي خير عظيم في نفسه أو خير مما يبتغى به من راحة الدعة والسعة … المتبع …
إن كنتم تعلمون أي تعلمون الخير علمتم أنه خير أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ لا احتمال لغير الصدق في إخبار الله تعالى فبادروا إليه لو كان
صرف للخطاب عنهم وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة
هممهم وسائر رذائلهم أي لو كان ما دعوا إليه عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا أي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ
قريب المنال وسفرا قاصدا أي متوسطا بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الأمرين
يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون أي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله إما متعلق بسيحلفون أو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين
أي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا أي سيحلفون قائلين والله لو استطعنا إلخ أي لو كان لنا استطاعة
من جهة العدة أو من جهة الصحة أو من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل على التقديرين لخرجنا معكم ساد مسد

جوابي القسم والشرط جميعا أما على الثاني فظاهر وأما على الأول فلأن قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لأنه بيان لقوله تعالى
سيحلفون بالله وتصديق له والإخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما أخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون أنفسهم بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع أو حال من فاعله أي مهلكين أنفسهم أو من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة
الإخبار عنهم كأنه قيل نهلك أنفسنا أي لخرجنا معكم مهلكين أنفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لأفعلن والله يعلم إنهم لكاذبون
في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في أنه
سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه حين أذن لطائفة من المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة وإذنه إياهم معتمدا على أيمانهم
ومواثيقهم … من ترك الأولى والأفضل الذي هو التأني والتوقف إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم أذنت لهم
أي لأي سبب أذنت لهم في التخلف حين استأذنوك واعتلوا بعللهم بيان لما أشير إليه بالعفو من ترك الأولى وإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون أموره عليه السلام
منوطة بأسباب قوية موجبة لها أو مصححة وأن ما زعموه في معرض التعلل والاعتذار ليس منها إلا أنه … سببا للإذن وقيل هو
… وكلتا اللامين متعلقة بالإذن لاختلافهما في المعنى فإن الأولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الإنكار
إلى الإذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه حتى يتبين لك الذين صدقوا
أي فيما أخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن أو من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين
في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الأولى الأفضل وتخصيص له عليه السلام فإن كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام أو بمعنى
إلى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم أذنت لاستلزامه أن يكون إذنه عليه السلام لهم معللا أو مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام
إليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كأنه قيل لم سارعت إلى الإذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الأمر كما هو قضية الحزم عن
قتادة وعمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الأسارى فعاتبه
الله تعالى كما تسمعون وتغيير الأسلوب بأن عبر عن الفريق الأول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني
باسم الفاعل المفيد للدوام للإيذان بأن ما ظهر من الأولين صدق حادث في أمر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وأن ما صدر من الآخرين
وإن كان كذبا حادثا متعلقا بأمر خاص لكنه أمر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق
بالكذب بالعلم لما اشتهر من أن مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه إنما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان
محتملا احتمالا عقليا وأما كذبه فأمر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا
وإسناده إلى ضميره عليه السلام لا إلى المعلومين … الفعل المعلوم مع إسناد التبين إلى الأولين … أن المقصود منها علمه عليه السلام بهم
ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الأولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وإسناد التبين
إلى الأولين وتعليق العلم بالآخرين مع أن مدار الإسناد والتعلق أولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما أشير إليه لما أن المقصد العلم بكلي الفريقين
باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما ذاتيهما أو باعتبار قيامهما بموصوفيهما وفي تصدير
الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من إدارة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على أولي الألباب
قال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد أخطأ وأساء الأدب وبئس ما فعل فيما قال وكتب من زعم أن الكلام كناية
عن الجناية وأن معناه أخطأت وبئسما فعلت … على الفرح بالجناية … الباب بسبب أن العفو
مستلزم لخطأ قبل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المبالغة ويسوغ إنشاء الاستقباح
بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح إلى رتبة يتعجب منها ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق
به قوله تعالى لو خرجوا فيكم الآية وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الأولى تأخير الإذن حتى يظهر كذبهم آثر
ذي أثير ويفتضحوا على رؤوس الأشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الأمن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بأنهم غروه عليه السلام
وأرضوه بالأكاذيب على أنه لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين إذ لم يكونوا على أمن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور أمرهم وقد كان لا يستأذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على أنه كان ينبغي أن يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يأذن لهم أي ليس من عادة المؤمنين

ان يستاذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والمخلصون منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان
يستاذنوك في التخلف وحيث استاذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مصححا للتاني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستاذن
فيه محذوف متعلق به كراهة ان يجاهدوا اي كراهة ان يجاهدوا وقيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستاذنك المؤمنون في التخلف كراهة
الجهاد فهو المعنى الذي يقصد به تمييز المؤمن من المنافق سواء كان في نفسه امرا خفيا لا يعلم بادي الامر كما ان اموالهم لما كانت
منه عن ذلك جعل امر اظهاره امرا وقيل هو الجهاد اي لا يستاذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان
في الجهاد انما يكون لكراهته ولا يخفى ان الاستيذان للنبي لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل وهو صلى الله عليه وسلم موجه فالاستيذان لعلة الكراهة
مما لا يتاتى بحسب الظاهر من الاستيذان العقلاء رغبة وهو صلى الله عليه وسلم فالذي نفي من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم استاذنوا
في الجهاد لكراهتهم له بل انما استاذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل
الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستاذنك
اي في التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين
للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ يستعد المؤمن بهما لاستبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم
بالحيوة الفانية والمتاع القليل وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم
حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر
[illegible] ولو ارادوا الخروج قيل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل
بحيث لا يمكن الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة
والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما في العدة من حال واعتذرك عدة الامر
الذي عدوا اي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعده بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك
عما فهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج
فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما
احسن الى زيد ولكن اساء اليه [illegible] يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الآية [illegible] والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له
عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي سنبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له
وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول
بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام لهم بالقعود والمراد بالقاعدين المعذورون او غيرهم واياما كان فغير خال عن الذم
لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهة الله تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي بخروجهم شيئا من الاشياء
الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس كذلك ولاوضعوا خلالكم اي لسعوا بينكم بالنمائم
والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم
والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ لاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون
ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او مستانف وفيكم سماعون لهم
اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من
لاشتمالها على ضميريهما او مستانفة [illegible] فيما بين المؤمنين من الجهاد واخلالا
عظيما [illegible] لذلك لم يقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان المخلصين
القاعدين [illegible] مستتبعا للخلل كلي كره انبعاثهم فلم يتبين اجتماعهم فاختفى فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع
لاحالة [illegible] خروجهم لتبين المنافقين انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا
على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة والله عليم بالظالمين
علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما ياتي منهم فيما سياتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد

في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك
وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك
ايضا بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الامور
تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول
قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتاييد
الالهي وظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والآية لتسلية
الرسول عليه السلام والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم
تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن ايذانا بان ما فات ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود
ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة وهي العصيان والاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت او لا توقعني في المعصية والمخالفة او لا تلقني
في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مشتهر بالنساء فلا تفتني
ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها واكمل افرادها
الغني عن الوصف بالكمال الحقيق بان يسمى فتنة سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك
بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة من القعود بالاذن المبني على الاعذار الكاذبة
وفي افراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه وتقديم الظرف [illegible] انهم وقعوا فيما حسبوا انهم ينجون منه
زعما منهم ان الفتنة هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة [illegible]
في دركات الردى اسفل سافلين [illegible] وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل
تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار ومحيطة بهم الآن تنزيلا لما سيقع
منزلة الواقع او وضعا لاسبابها موضعها فان مبادي احاطتها بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع
ومن جملتها ما فروا منه ووقعوا فيه من الفتنة [illegible] الاعمال والاخلاق هي النار بعينها
لا ستظهر ذلك في النشاة الآخرة [illegible] والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار
المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين [illegible] المنافقين
اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم
لك وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد اخذنا امرنا اي
تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق
قولا وفعلا من قبل اي من قبل اصابة المصيبة [illegible] ويشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة
حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر او بما اصابه عليه السلام والجملة حال من الضمير في يتولوا [illegible]
[illegible] الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم [illegible] قل ان يصيبك
[illegible] للايذان بان [illegible] بانهم في الاول مضطرون وفي الثاني مختارون قل بيانا لبطلان
[illegible] من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا [illegible] يقال صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اي ما اختصنا باثباته وتقديره من المصلحة الدنيوية والاخروية [illegible]
الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله تعالى
[illegible] بعد ترتيب المبادي العادية [illegible] على ان حق المؤمنين ان يتوكلوا على الله وتقديم الظرف
على الفعل لافادة القصر [illegible] على استيجابه تعالى للتوكل عليه [illegible]

الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امر الاول فلكل
التزامه صلى الله عليه وسلم بذكره فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول
بالثاني وان كان امرا ثانيا واما على الوجه الاول فلمجرد ابراز كمال العناية بمضمونه والاشعار بما بينه وبين امر الاول من الفرق
والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اي ما تنتظرون بنا الا احدى
الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول
وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى
السوأيين من العواقب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله
وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم
في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الحال اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم
والمعنى نفقتكم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا
بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا اهل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول الجد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل
ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد
انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالياء التحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول
نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على ان الفاعل هو الله تعالى ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى اي لا يأتونها
في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى
طوعا اي من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة او هو فرض على تقدير التوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم
ووبال عليهم حسبما ينطق به قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها
من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل
الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم اي لمن جملة المسلمين وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل
بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا
من المسلمين وان التجاءهم الى الايمان انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا امرا ما يلجأ اليه مكانا حصينا يلجأون اليه من رأس جبل
او قلعة او جزيرة واختار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام فان معنى قولك
لو تحسن الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يترتب على وجود الاحسان
لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل
هو متعد من غار اذا دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا
اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ مندخلا
ومنه قول الشاعر من الانفعال لولوا اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم يجمحون
اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشتمال على عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون
ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شأنها وقسمتها
فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة
واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط واذا ناب مناب فاء الجزاء قيل انها نزلت في ابي الجواظ
المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة حرقوص بن زهير التميمي
رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال

ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم الرسول
عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه
وقالوا حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا
الى الله راغبون في ان يوسع علينا من فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات
شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف وردا لمقالتهم الباطلة في ذلك وحسما لاطماعهم الفارغة المبنية
على زعمهم الفاسد ما انهم بمعزل من الاستحقاق اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة
بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا يتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فما لكم لا علاقة بينكم وبينها حتى تقولون فيها ما تقولون وما سوغهم
ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من لا شيء له والمسكين من له شيء لا يكفيه وقد روي عن ابي حنيفة وقيل على العكس ولكل وجه يدل عليه
والعاملين عليها اي الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم
ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم
من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خاص ماله وقد عد
منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقد سقط سهمهم بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله
عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم
وقيل بان تبتاع منها الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح لما تكنه الاختصاص كالذين
من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة
لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا والغارمين اي الذين تحملوا الدين في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم
وكذلك عند الشافعي رحمه الله من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء نائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء
الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين لانه ابلغ في بيان استحقاقهما
من ايرادهما بعنوان غير مصحح لما تكنه الاختصاص فحسب تلك الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم
لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله تعالى عنهم وعند الشافعي رحمه الله
لا يجوز الا ان يصرف الى ثلاثة من كل الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة وقيل حال من
الضمير المستكن في للفقراء اي ثابتة لهم حال كونها فريضة وقرئ بالرفع على تلك فريضة
والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها
ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في جماعة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك
فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون
هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق وانما قالوه لانه صلى الله
عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق
في انه للدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وما يجب سماعه وقبوله
لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن
خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له
وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان
التسليم وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية ورحمة عطف على اذن
خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم
في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين
بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انه علة لفعل دل عليه اذن خير

أي أذن لكم رحمة ﴿والذين يؤذون رسول الله﴾ بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد
على الاستمرار على ما هم عليه إشعار بقبول توبتهم كما يفصح عنه قوله تعالى فإن يتوبوا يك خيرا لهم ﴿لهم﴾ بما تجرؤوا على أذيته عليه
السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول ﴿عذاب أليم﴾ وهذا اعتراض مسوق من جهته عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب في الكلام
بإثبات العذاب الأليم لهم وجعل الحكم خبر الموصول لا يخفى من المبالغة وإيراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم
والتنبيه على أن أذيته راجعة إلى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب ﴿يحلفون بالله لكم﴾ الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن
ثم يأتون معتذرين إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالأيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم أي يحلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل عنهم مما يورث أذاة النبي صلى الله عليه وسلم
وأما التخلف عن الجهاد فيدخل في هذا الاعتذار ﴿ليرضوكم﴾ بذلك وإفراد إرضائهم بالتعليل مع أن عمدة أغراضهم إرضاء الرسول عليه السلام
وقد قبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم لما أن ذلك بمعزل من أن يكون وسيلة إلى إرضائه عليه السلام وإنه عليه السلام إنما لم يكذبهم
رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما أشير إليه ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ أي أحق بالإرضاء ولا يتأتى ذلك إلا بالطاعة
والمتابعة وإيفاء حقوقه عليه السلام في باب الإجلال والإعظام مشهدا ومغيبا وأما الأيمان الفاجرة فإنما يرضى بها من يغتر بها
في الأخبار إلى أن يمحص الحق من الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون أي يحلفون لكم لإرضائكم والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالإرضاء
منكم أي يرضون لما بينهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وإفراد الضمير في يرضوه إما للإيذان بأن رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه
وإرضاؤه عليه السلام إرضاء له تعالى لقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وإما لأنه يستعار له اسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد
المتعدد بتأويل المذكور كأنه قيل والله ورسوله فيه خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق أي كأن ذلك لا يقال إلى جانب
الاستعارة بعد التأويل المذكور لا يقول الاستخدام فيصح التأويل إلا أن الضمير لا يتعرض للذات يرجع إليه من غير
وصف من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المتعرض لها اسم الإشارة وإما لأن قال الرسول الكلام جملتان حذف خبر الأولى
لدلالة الثانية عليه كما في قول من قال نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف أو أن الله تعالى المذكور
خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه أي إن كانوا مؤمنين
فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فإنهما أحق بالإرضاء ﴿ألم يعلموا﴾ أي أولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة
مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فنون القوارع والإنذارات ﴿أنه﴾ أي الشأن ﴿من يحادد الله ورسوله﴾ المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة
من العدو فإن كل واحد مباشر كل من الأفعال المذكورة في حد غير حد صاحبه ومن شق غير شقه ﴿فأن له نار جهنم﴾
على أن خبره محذوف أي فحق أن له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة في محل الرفع على أنها خبر لمن
مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا أو عطف عليه بتقدير أنه تكرير الأولى تأكيدا لطول العهد من باب التأكيد اللفظي المانع للأولى
من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون أنني إذا قلت أما بعد أني خطيبها وقد جوز أن يكون معطوفا
على أنه وجواب الشرط محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له إلخ ورد بأن ذلك إنما يجوز
عند كون فعل الشرط ماضيا أو مضارعا مجزوما بلم ﴿خالدا فيها﴾ حال مقدرة من الضمير المجرور إن اعتبر الظرف مبتدأ الاستقرار
وإن اعتبر مطلق الاستقرار فالأمر ظاهر ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من العذاب الخالد وما فيه من معنى البعد لبيان بعد درجته في الهول والفظاعة
﴿الخزي العظيم﴾ الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الأشهاد بظهور ما
كانوا يخفونه والجملة تذييل لما سبق ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم﴾ في شأنهم فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم ﴿سورة تنبئهم
بما في قلوبهم﴾ من الأسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئهم إياهم بما في قلوبهم مع أنه
معلوم لهم وأن المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على أسرارهم لا اطلاع أنفسهم عليها أنها تذيع ما كانوا يخفونه من أسرارهم فتنتشر
فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها أو المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم
كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضمائر الأول للمؤمنين
والثالث للمنافقين ولا يساعده النظم الكريم إذ المعنى أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب

المنافقين وتهتك عليهم أستارهم قال أبو مسلم كان إظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فإنهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول إنه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل ﴿قل استهزئوا﴾ أي افعلوا الاستهزاء وهو
أمر تهديد ﴿إن الله مخرج﴾ أي من القوة إلى الفعل أو من الكمون إلى البروز ﴿ما تحذرون﴾ أي ما تحذرونه من إنزال السورة ومن مخازيكم
ومساويكم المستكنة في قلوبكم التي تحذرون إظهارها على ما أسس التأكيد إذ التأكيد من ذلك للرد على ترددهم في وقوع المحذور وليس حذرهم
بطريق الحقيقة ﴿ولئن سألتهم﴾ عما قالوا ﴿ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ روي أنه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه
ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصورها
هيهات هيهات فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء
من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ﴿قل﴾ غير ملتفت إلى اعتذارهم ناعيا
عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء منهم موبخا لهم على أخطائهم موقع الاستهزاء ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾
حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك إلا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته ﴿لا تعتذروا﴾ لا تشتغلوا بالاعتذار
وهو عبارة عن محو أثر الذنب فإنه معلوم الكذب بين البطلان ﴿قد كفرتم﴾ أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن
﴿بعد إيمانكم﴾ بعد إظهاركم له ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ لتوبتهم وإخلاصهم وتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء وقرئ إن يعف بإسناد
الفعل إلى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا إلى الظرف بتذكير الفعل وبتأنيثه أيضا ذهابا إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم
طائفة ﴿نعذب﴾ بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا إلى ما بعده ﴿طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾
مصرين على الإجرام وهم غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن إسحاق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الأشجعي
لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم إني لا أزال أسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك
لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره ﴿المنافقون والمنافقات﴾
التعرض لأحوال الإناث للإيذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق ﴿بعضهم من بعض﴾ أي متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان
كأبعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم
وقوله تعالى ﴿يأمرون بالمنكر﴾ أي بالكفر والمعاصي ﴿وينهون عن المعروف﴾ أي عن الإيمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق
ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين أو خبر ثان ﴿ويقبضون أيديهم﴾ أي عن المبرات والإنفاق في سبيل الله فإن قبض اليد
كناية عن الشح ﴿نسوا الله﴾ أغفلوا ذكره ﴿فنسيهم﴾ فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ﴿إن المنافقين
هم الفاسقون﴾ الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والإظهار في موقع الإضمار لزيادة
التقرير كما في قوله تعالى ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار﴾ أي المجاهرين ﴿نار جهنم خالدين فيها﴾ مقدرين الخلود فيها
﴿هي حسبهم﴾ عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها وعذابها ﴿ولعنهم الله﴾ أي أبعدهم من رحمته وأهانهم وفي إظهار الاسم الجليل
من الإيذان بشدة السخط ما لا يخفى ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ أي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع أبدا أو لهم عذاب مقيم
معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية أبدية لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول
العذاب إن اطلع على أسرارهم ﴿كالذين من قبلكم﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية أي أنتم مثل الذين
من قبلكم من الأمم المهلكة أو في حيز النصب بفعل مقدر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا﴾
تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿فاستمتعوا﴾ أي تمتعوا وإيثار صيغة الاستفعال للمبالغة في صيغة الفعل من الاستزادة والاستدامة
في التمتع ﴿بخلاقهم﴾ بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع﴾ الكاف
في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتاعا كاستمتاع ﴿الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة السريعة الفناية والتهائهم بها عن النظر في العواقب والدلالة الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين لمشابهتهم إياهم واقتفائهم
أثرهم ﴿وخضتم﴾ أي دخلتم في الباطل ﴿كالذي خاضوا﴾ أي كالذين بإسقاط النون أو كالفوج الذي أو كالخوض الذي خاضوه
﴿أولئك﴾ إشارة إلى المتصفين بالأوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا إلى الفريق الأخير فقط فإن ذلك يقتضي أن يكون

حبوط اعمال المشبهين خسرانهم مفهوم من حبطنا لا دين جاه موذي الى خلوص الخطاب عن افادة اذا الى يرجيند اولئكم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم
ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر التعبير عنهم باسم الاشارة فانها لفظاعتها عن البيان بل اعمالهم التي كانوا استحقوا بها
اجرا وحسنا لو قارنها الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في
الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس يترتب عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك
اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانهم
ذهب رؤس اموالهم اي اعمالهم فما ربحت تجارتهم ولم ينفعهم بعد ولا نشأ ذهبت فما لا ينفعهم ولا ينفعهم لكن خسرانا واراد باسم الاشارة في الموضعين
للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران الم يأتهم اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شان
وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب
والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك ايثارا لما كان عليه النظم الكريم من الكناية في بيان
السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام
مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا
انفسهم من غير تعرض للظلم على الفاعل والمفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا
والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية
على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك وان نسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من
نسيان الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة
وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات
الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله
اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد
اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم مبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق الى اهلها اي مستحقيها
من اهل الطاعة واهل المعصية او وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من وعيدهم متضمن لوعدهم
متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمة الآخرة
اثر ذكر رحمة الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض للوصف
من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل
والكمال جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بالحاله ومساكن طيبة اي وعد بعضهم او الكل
منهم منازل يستطيبها النفس او تطيب فيها العيش وفي الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اي
ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك عن ابن عمر رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة
آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد عن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة وسرتها وعدن

على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس
ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب
العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة
في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير وعدم ما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه
اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه ينال كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق
في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط
احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة
الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والنجح هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها
مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ولنعم ما قال من قال والله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى
علينا ويأتي رزقها رغدا ما كان من حق حر ان يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف
والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح
ومأواهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف
يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد
منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله
ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على
عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت وايثار صيغة الاستقبال على عنوان لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا
مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها
اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها
وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم
يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي ما انكروا وما عابوا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه
وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من
اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او وما انكروا ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم
فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض
الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من الكفر والاعراض
عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات
والآخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما يتمنونه
عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة
فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها

المدينة فنزل واديا وانقطع من الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه
الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا
حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء
ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني
فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان
رضي الله عنه وقيل نزلت في نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة
اي وهم قوم عادتهم الاعراض وحالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا
راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه اي الى يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة وقيل فاورثهم البخل نفاقا
متمكنا في قلوبهم [illegible] قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما
كانوا يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل عن المزية فان سببية الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب تقتضي ان يسند الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين
لاعقاب البخل النفاق [illegible] على الترتيب المفروض [illegible] ترتب الاعقاب على افعالهم المحكية عنهم من
بالصدقة والصلاح والبخل والتولي والاعراض منها ما لا دخل له في الترتيب المذكور كالمعاهدة [illegible] ذلك من الابهام [illegible]
له دخل في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء على الخطاب للمؤمنين
فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي ما اسروه في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن
وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وتقديم السر على النجوى للتنبيه على سعة علمه سبحانه وانه يستوي لديه عالم الغيب والشهادة وان الله
علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموضعين لالقاء الروعة وتربية المهابة
وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم
الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم
من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم اي يعيبون
المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي
ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر فقال ابو عقيل بت ليلتي اجر بالجرير
على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا
ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي يلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد
في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اي يهزؤون بهم والمراد بهم الفريق الثاني
سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اي ثابت لهم عذاب اليم
التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم
وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلوة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر
وبترك [illegible] جلية الامر كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار بيان لاستواء [illegible] روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان
من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام [illegible] الاصل

الاعداد حدود ومعينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها
اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد
غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع
ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق
في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية
الشرع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل الى البغية فمتحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يتقبلوها فوقعوا فيما وقعوا والجملة تذييل مؤكد
لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي
صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال والممنوع هو الاستغفار
لهم بعد تبين حالهم كما يشير اليه قوله عز وجل ما كان للنبي الآية فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود
عند استئذانهم او خلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم
وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن
ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة
من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام او على انه حال العامل
احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله لا لايثار الدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق مع
رجحان منه من غير ان يبلغ الآخر مرتبة الكراهية وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد
في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي
هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او
تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال
الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم
التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها
بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو
اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على
ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاقبة امرهم واجلاء من الضحك القليل والبكاء
الطويل المؤدي اليه ما لهم من السيئات التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا
يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا
واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادة الاول
وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز
ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون
من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي
جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتي
على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي ان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اي الى المنافقين من المتخلفين

فی المدینة فان کلف بعضهم انما کان العذر عائق مع الاسلام والی من بقی من المنافقین المتخلفین ان ذهب بعضهم بالموت او بالغیبة

عن البلد او بان لم یستأذن البعض عن قتادة انهم کانوا اثنی عشر رجلا قیل منهم قیل فاستأذنوک للخروج معک الی غزوة اخری

بعد غزوتک هذه فقل اخراجا لهم عن دیوان الغزاة وابعادا لهم عن محفل صحبتک لن تخرجوا معی ابدا ولن تقاتلوا معی عدوا

من الاعداء اخبار فی معنی النهی للمبالغة وقد وقع کذلک انکم تعلیل لما سلف ای لانکم رضیتم بالقعود ای عن الغزو وفرحتم

بذلک اول مرة هی غزوة تبوک فاقعدوا الفاء لتفریع الامر بالقعود بطریق العقوبة علی ما صدر منهم من الرضی بالقعود ای اذا رضیتم

بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفین ای المتخلفین الذین دیدنهم القعود والتخلف دائما وقیل [illegible] علی القعود فکان

[illegible] الذم فی قرن الخالفین عقوبة لهم ای عقوبة وذکر اسم التفضیل المضاف الی المؤنث [illegible] الاکثر الذی

علی [illegible] لا یقول [illegible] کبری امرأة او اولی مرة ولا تصل علی احد منهم مات صفة لاحد وانما جیء بصیغة الماضی

علی تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهی ای لا تدع واستغفر لهم ابدا ولا تقم علی قبره ای لا تقف علیه للدفن او للزیارة والدعاء

روی انه صلی الله علیه وسلم کان [illegible] علی قبور المنافقین [illegible] فلما مرض [illegible] عبد الله بن ابی بن سلول بعث الی رسول الله صلی

الله علیه وسلم [illegible] الیه فقال یا رسول الله [illegible]

[illegible]

[illegible] فقال له عمر رضی الله عنه [illegible] رسول الله صلی الله علیه وسلم [illegible]

[illegible] فقام علی قبره حتی [illegible]

[illegible] رسول الله صلی الله علیه وسلم بعد ذلک علی منافق ولا قام علی قبره [illegible] عن التکفین [illegible]

[illegible] العباس رضی الله عنه حین [illegible] انهم کفروا بالله

ورسوله تعلیل للنهی علی [illegible] الاستغفار [illegible] الوقوف علی قبره [illegible]

[illegible] وماتوا وهم فاسقون ای متمردون علی الکفر خارجون عن حدوده [illegible] الفسق ولا تعجبک

اموالهم واولادهم [illegible] بالاجتناب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فی الدنیا [illegible]

[illegible] وتزهق انفسهم وهم کافرون [illegible]

فی الدنیا واذا انزلت سورة من القرآن [illegible] ان آمنوا بالله [illegible]

[illegible] وجاهدوا مع رسوله [illegible] استأذنک اولوا الطول منهم

ای ذوو الفضل والسعة [illegible] وقالوا [illegible]

ذرنا نکن مع القاعدین ای الذین قعدوا عن الغزو [illegible] رضوا [illegible]

[illegible] بان یکونوا مع الخوالف [illegible]

وطبع علی قلوبهم فهم [illegible] لا یفقهون [illegible]

[illegible] لکن الرسول والذین آمنوا معه جاهدوا [illegible]

[illegible]

[illegible]

واولئک لهم الخیرات [illegible] واولئک هم المفلحون ای الفائزون [illegible]

لا عن خارج بعضها من [illegible] باسم الاشارة [illegible] عداء الهم اسباب [illegible]

مغلص ای بیان الخبر [illegible] جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها ذلک الفوز العظیم [illegible]

اشارة الی ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذکورة من نیل الکرامة العظمی الفوز العظیم الذی لا فوز وراءه وجاء

المعذرون من الاعراب [illegible] شروع فی بیان احوال منافقی الاعراب [illegible] المدینة والمعذرون من عذر

فی الامر اذا قصر فیه [illegible] المعذرون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عز وجل [illegible] عبد الله [illegible]

[illegible] الکذب [illegible] المعذرون [illegible]

[illegible]

فی العذر وقعد الذین کذبوا الله ورسوله [illegible]

[illegible] سیصیب الذین کفروا منهم [illegible]

بالقتل والاسر فی الدنیا والنار فی الآخرة لیس علی الضعفاء ولا علی المرضی [illegible] ولا علی الذین لا یجدون

ما ینفقون [illegible] حرج ای اثم فی التخلف اذا نصحوا لله ورسوله [illegible]

[illegible]

[illegible] ما علی المحسنین من سبیل

[illegible]

غفور رحیم [illegible] ولا علی الذین اذا ما اتوک

لتحملهم عطف علی المحسنین [illegible]

معقل بن یسار [illegible] عبد الله بن کعب [illegible] عبد الله بن مغفل [illegible] رسول الله

صلی الله علیه وسلم [illegible]

لا اجد ما احملکم علیه [illegible]

حال من الکاف [illegible]

من [illegible]

اذا [illegible] تولوا واعینهم تفیض [illegible] من الدمع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حزنا الا یجدوا ما ینفقون

[illegible]

[illegible] انما السبیل علی الذین یستأذنونک وهم اغنیاء

[illegible] رضوا [illegible]

بان یکونوا مع الخوالف [illegible] وطبع الله علی قلوبهم [illegible]

[illegible] لا یعلمون [illegible]

[illegible] یعتذرون الیکم

[illegible]

[illegible] رسول الله صلی الله علیه وسلم [illegible]

[illegible] اذا رجعتم من الغزو [illegible] الیهم [illegible] الی المدینة [illegible]

الاعتذار عند الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص الخطاب برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاجل ايضا لما ان الجواب وظيفته عليه السلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين حين الرجوع
لهم لا تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله كلوا واشربوا فانه لا يكون الا اعتذارا باعذاركم من المعاذير الكاذبة اذا التعرض
لعنوان كذبها فلا بناء عليه وقوله تعالى لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم في ذلك ابدا افاده استئناف تعليلي للنهي مبني على سؤال من قبلهم
متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم اذ يكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر
وقوله عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق كما اشتروه
من الشر والفساد واضمروه في ضمائركم واسماه للابرار في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة
في حسم اطماعهم من التصديق ايضا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق
الرسول ايضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي
اتتوبون الى الله تعالى عما انتم فيه من النفاق ام تثبتون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على العطف على ما علم من كراهة
ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون
يوم القيامة الى عالم الغيب والشهادة تجريد الخطاب بتكرير الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه
بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم
بين يديه بما كنتم تعملون اي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد
اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة ترتيب المجازاة به وايثارها عليها للايذان بانهم كانوا في غفلة منها
الى الآخرة فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم والايذان بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون
بالله لكم هكذا المعاذير الكاذبة لتقرير المقاولة والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الا
يجدون ما ينفقون او بيان له اذا انقلبتم اي انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة
معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من قوله لا تعتذروا
الآية بل هو امر مبتدأ لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم فاعرضوا
عنهم لكن لا اعراض رضى كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض
عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء
ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي
الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي كفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم ذلك جزاء
نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء او معمول للجملة السابقة فانها معنى المجازاة قطعا كانه
قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر
المحلوف لظهوره اي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما ارادوا
وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر
لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة الموجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول
الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضى
عمن لا يرضى عنه الله سبحانه مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى
قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم
ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي فحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب لئلا يلزم كون
الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من سكن البوادي ولهذا
نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي اي من جيل العرب وان سكن البوادي ثم يحذف الياء في الجمع فيقال المجوس

اليهودي ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم
وتوحشهم ونشئهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان
الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر الا يعلموا اي احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والله عليم
باحوال كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس
الاعراب الى فريقين وعدم انحصارهم في الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب المصرين على الكفر والنفاق
بعد بيان ما يعمهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من التبعيض حالا مما سبق ذهب الذي يضيع الاتصال باهل
ومن تناولهم الاعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن الى آخره فان ذلك
ليس استدراكا لما قبله اذ ليس من جنس الاعراب الذي يحب بعض افراده من يتخذ ما ينفق من المال اي يعد ما يصرفه
في سبيل الله ويتصدق به مغرما اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون مغنما وانما ينفقه
رعاية للمصلحة وياتي صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة
اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دواير الدهر
ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى
غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه
ذام لها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة
يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم اي العذاب كما قيل له سيئة والله سميع
بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى
ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار
ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات اي ذرائع اليها والايذان بانهما كالاختصاص جعل كأنه نفس القربات والجمع
باعتبار انواع القربات وافرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل
اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له
ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان
بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذ
ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من
اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه
وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ما فيه من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه
كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرف التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على شأن النفقة من بيان كونها قربة لانها اعظم القصد وصلوات الرسول من ذرائعها
وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته اياهم تفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد لاولئك
عقيب الدعاء عليهم والسين لتحقيق ذلك وتقريره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقيق الوعد على نهج الاستئناف
التحقيقي قيل هم عبد الله ذو البجادين وقومه وقيل هم بنو مقرن من مزينة وقيل هم اسلم وغفار وجهينة روى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون
من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين اسلموا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين به والمراد كل خصلة حسنة
والمتبعون من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية

رضي الله عنهم خبر للمبتدأ اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب
واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك
الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة وممن حولكم من الاعراب
شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون هم
جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى
مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدأ المذكور
فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيم مقامه وهو مبتدأ خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا
وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه
اذا درب وضري حتى لان عمله ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول
النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين
للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم
بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى حيث يخفى عليك حالهم
مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع ان المتعلق حالهم مبالغة في ذلك
فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم
بعد هذا البيان على انه عليه السلم يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عادة من المبالغة ولا غرو في
نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه
من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر وقوله عز شأنه
سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علمه الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني
اما القتل واما عذاب القبر والاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب
ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى
فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيامة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير الاسلوب باسناد عذابهم
الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم
وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم واخرون بيان لحال طائفة
من المسلمين ضعفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم اخرون اعترفوا بذنوبهم التي
هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يحملوا ما صدر
عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد احكامه وادمن مزاولته من المنافقين الذين اعتذروا بانواع الاعذار من المعاذير المؤكدة بالايمان
الفاجرة حسبما هو ديدنهم المألوف هم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال عليه السلم
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة
وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وندمهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف الانسب بالخلط لاستدعائه وجود
تزاوج المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما ان تبديل الواو بالباء في قوله تعالى واخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن
يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والاخر
بكونه مخلوطا به وفي تلك الدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الاخر مرة
بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا واخرا من التخلف عن ... والاثم ... كما في قولهم ...

يعني شاء ربهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات
التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب اي ايجاب
خذ من اموالهم صدقة روي انهم اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام
ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عليه السلم اخذ منهم الثلث وترك
لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار
التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة
والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال
من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا
على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعل الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة
للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ الموجب لدخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم
اي اعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن اليها
نفوسهم وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف
بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم
عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقررة لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء
والضمير اما للتائبين والمراد تحقيق ما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتطمين لقلوبهم ببيان ان الله يقبل توبتهم
وصدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي الم يعلموا انك لست بقابل ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة
عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار
بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف
او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي الذي هو قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بهما من التطهير والتزكية
وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي
الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب
بيعلموا كل واحدة منهما سادة مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا
كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة اليوم والانتظام
في سلك المؤمنين التي هي سبب القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل
الصالح الذي من جملته التوبة والاداء وتثبيت على ما هم عليه اي قل لهم بعدما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤن من الاعمال ظاهره
ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب
والسين للتأكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون
في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم
ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح
والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة
في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة
غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب
سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم
ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بالسر اقدم

سنه بالعلم به فكيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه
وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة وانما الانذار بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن
الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه في حالته الثانية
فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة المجازاة
بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة
ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجأته وارجيته اي اخرته ومنه
المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شأنهم قال ابن عباس هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه ولم يشدوا انفسهم على السواري ولم يظهروا الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم فكانوا من اصحابه فهجروهم والناس في شأنهم على اختلاف
فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل
ان اصروا على النفاق وليس ذلك لان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب
على الحالية اي هم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته والجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم
فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم
وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر
لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين
للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعل عليه السلام
حسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا نرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا
اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قال لرسول الله عليه الصلوة والسلام يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن ولى هاربا الى الشام ثم ارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف
والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون
في مسجد قباء مجتمعين فيغص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا او انتظارا او ترقبا لمن حارب الله ورسوله
وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل
ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببناء
هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه ابدا في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء
فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اي والله لمسجد على ان مسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله
من اول يوم اي من ايام وجوده متعلق باسس وقوله تعالى احق ان تقوم فيه اي للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال
جملة مستأنفة مبينة لاحقيته للقيام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته من حيث المحل او صفة اخرى للمسجد او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال
ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاقه القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به لا استحقاق مسجد الضرار وانما عبر بصيغة التفضيل لمشاكلة

وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المآل الى ما يكون باعتبار زعم الباني ومن شايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سيأتي
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين اي
يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه
السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع
الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام
في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم
فحموا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل ونصب ما بعده وعلى بنائه للمفعول ورفعه وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس
واساس بالفتح والكسر جمع اس وقرئ آساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد
قباء والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي أبعد ما علم حالهم من اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين
على ان الالف للالحاق دون التأنيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما وصفا واضافة
على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع
المشرف على السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اي بغير موجب فجرى وجوه الاعراب
على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره به في النار ووضع بمقابلة الرضوان
تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار
ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لانفسهم او الواضعين للاشياء
في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق لا
لا يزال بنيانهم الذي بنوا اي بناؤهم مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعلية للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة
واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة
اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم
ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ
به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه وسنت في امرهم حسب ضعف قلوبهم ادى في اعتقادهم انحياز امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا
من امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف
وتقوى وصار دائما بحيث انهم لا يدرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركهم على ما كانوا عليه سالمين ام يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة
حسرة وندامة وقال السدي وحبيب المبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التاءين
اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاؤها بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال
ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها
واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار
وقرئ يقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى بناء الفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ
على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا
الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب اي الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا
على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد لوح في ذلك

على وجه لازمه عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى
على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر ل
على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه
قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال وثوقهم بوعده على ان الاستعارة
موقوفة على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط الدلالة للنظم الكريم على ما ذكر
ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك لكون العوض
الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله
ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما وذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم
بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون
بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع
بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم
بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احد ايضا كما اذا وجدت المضاربة فانه يتحقق بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية
للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول لما ان الشهادة عريقة في الباب وايذانا
بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا
اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون في معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت له والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان
صفة له وقوله تعالى في التوراة والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التوراة والانجيل كما هو مثبت في القرآن ن
ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة ... اي لا احد اوفى بعهده منه فان اخلاف الميعاد
مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون
احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من
اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف
وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله
اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد
ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لان ذلك من قبل الله تعالى لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى
الذي بايعتم به زيادة تقرير لبيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى وعن الحسن
رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط
لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال
فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من
كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم
واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون
ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني
لقوله تعالى فاستبشروا وتقرير لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما دل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح
ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله
تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون

لهذه الصفات الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك
والملكوت وقيل هم السائحون للجهاد او طلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة وقوله تعالى والحافظون لحدود الله
اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليها ... وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت
المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان
بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب الجليل ما كان للنبي والذين آمنوا
اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي ن
ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها ... والكلام في مثله
ونظائره روي انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي
فاذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه السلام والمؤمنين انهم
اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله
واغفر لابي اي بان توفقه للايمان ... كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع
ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة
استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم
عليه السلام اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره
والا لما وعدها اياه كما ستعرفه وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي
لابراهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا او بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه
بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره
ان ابراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان
يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار
قبل التبين فليس لغيره ان يتأسى به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم
فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في قوله تعالى الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك ... وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال ويجري عليهم
احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات
الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به كما يشير اليه للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك
وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء
التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل بمعرفته فبين لهم ذلك كما فعل ههنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك
له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم
بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصرة ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم
متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه
والمهاجرين والانصار وقيل هو حث على التوبة ... وقيل المراد ... من ذنب لا وهو محتاج
الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ثم الخلوا بامر من امره
في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيين حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد

الثغر

ومن ازاد تزودوا الشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا
عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
الشديدة وصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل تلك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة
الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان
لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءه وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان
او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ تزيغ بالتاء وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة
واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم
رؤف رحيم استئناف تعليلي فان صفة الرافة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني
عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا اي
وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم تقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم
بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لقوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض فانه غاية للتخليف ولا يناسب
الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم
عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء
لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي علموا انه لا ملجا من سخطه تعالى الا الى
ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم
لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام
عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب
فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عليه السلام قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري
ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام لما راى سواده كن ابا ذر فقال
الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق عليه السلام منهم الثلاثة
قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له
ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عليه السلام معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس
ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله
حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر
يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلى علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب
الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا
وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى

عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا
او في كل شان من الشئون فيدخل ما ذكر دخولا اوليا وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق بالاشارة
الى الايمان وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة
واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال
والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظما اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ولا مخمصة اي مجاعة ما لا يستباح عنه المحرمات من انتهائها فان الظما
والنصب اليسيرين حيث لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو منه ما فوقهما اولى فاحقها الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا بجواز ان يراد بها نفي المرتبة
وكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وعليه فان الظما اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة والنفي المذكور متوسط كلمة لا
ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة الا عند ذلك في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا
يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا ومكانا يدوسه ولا ينالون من عدو نيلا مصدر
كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال منهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة
مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى والسوق للتعميم اي كون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباقي فان العنوان
كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر
مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المآخذ للحكم واما جنس المحسنين
وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر
من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون
اي لا يجاوزون في سيرهم واديا وهو في الاصل كل منعرج من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع
في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن
ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا
لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي جماعة كثيرة
منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم
وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد
كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان
عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر
لم يفد ذلك وقيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا
ولينذروا للباقين بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر الباقون قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته الاقربين
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب
من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه
المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة فذكر

وجه دخوله مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا * واذا ما انزلت سورة * من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من
يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين ليضعفهم ويصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم
على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الى آخره وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين
حسبما نطق قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا جواب
من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لما لهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها
وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما
الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة
للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة
او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وما ذكر الذنوب الذي
بين يدي رب العزة فيؤدي الى التوبة الى الله تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة
لايمان الثابت عليهم بما فهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم
يذكرون والمعنى او لا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر
والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اي لا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك
من قوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي
كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم
هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين لننصرف فانهم لا يصبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا
يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الحذر اي تباعد
الفرصة فان المرء اذا كان اسماء ما يتشاور اصحابه كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا واذا ما انزلت في عيب
المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم الى بعض والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا
جميعا عن محل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية
او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول
رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي من اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق
شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم
في ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة
على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك وتوجيه الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله
فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استئناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب
العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر
ما نزل من الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وسورة
قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو
اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق
الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها
الاخبار بها لا جعلها عنوانا للموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح

الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك
اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضورها باعتبار تلك الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها
كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الى آخره واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها
بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ
خبره قوله تعالى آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل
والمقصود بيان بعضيتها منه ووصفها بما اشتهر اتصاف الكل به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم
وان لم ينزل الكل حينئذ واما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انزاله جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور
فان واحدا من الكتاب كما سمي بهذا الاسم ودام القرآن في عهد النبوة ولا تحقق المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن
باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن الذي نزل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع ما نزل في كل عصر الا ترى الى ما
عن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير
له الى احد قدمه في اللحد فان المعتبر ان مشتمل القرآن وكذا الوقت يحافظون على السعادة التي هي انما المجموع الذي نزل حينئذ من غير
تحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا نزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم اي ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة
ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وحمل الكتاب
عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكرها بعنوانها السورة عند بيان اسمها
او الامر بذكرها او بقراءتها مبني على ان حمل المشار اليه على كل واحد منها لا جميعها من حيث جمع لانه عين السورة فلا تكون الاضافة بيانية
ولا التخصيص الوصف المتضايف فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بالمضاف اليه من صفات الكمال الذي يتصف كل منها بالكمال
من المبالغة ليس بيان اتصاف الكل في تلك المثابة من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه
على بعضه ايضا مما لا ريب فيه وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين وكذا من نعوت الكمال لا لانه اتصاف كل سورة
منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح الشيء بكونه بعضا من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منسوب كله داخل تحت حكمه
لما تسنى ذلك فيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لوقوعه في غير محله
والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون
الى آخره لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطئهم واظهار بطلان
زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وهو على التوسع المشهور في الظروف او بالمصدر
اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقدم معموله عليه وقيل متعلق بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث
ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما به لكونه مدارا للانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل
فمراعاة الاصل يوقع اخلالا بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان
ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة التي هي الضمير او على ان كان تامة وان اوحينا متعلق بعجب على حذف حرف التعليل
اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدل من عجب لا على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان
كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس بمطرد واما العجب فاصل فيما ليس له الا على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه
من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افناء رجالهم من حيث المال
لا من حيث النسب كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول
فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملكا كما قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك
اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلان مناط

الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية
وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشان في نهاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل حظوظها الدنية فلا دخل له في ذلك قطعا فضلا عن الاخلال به غالبا
قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ما ان انذر الناس ان مفسرة
لجواز كون صلتها امرا كما في قوله وان اقم وجهك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان لجامع وقوع الامر والنهي صلة
حسب وقوع الفعل مجردا عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة
في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا لقصور في دلالة الانشاء على المصدر او مفعول اوحينا لانه في معنى
القول وقد جوز كونها مخففة من الثقيلة على حذف ضمير الشان والقول اي الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد
جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق
وبشر الذين امنوا بما اوحيناه وصدقوا ان لهم اي بان لهم قدم صدق اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها
بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام
المحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها والتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق
لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم هنا بعنوان الكفر لما لا يخفى ذكر سببه ترك العاطف لجريانه
مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل تركوه على التردد
والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التاكيد ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القران الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ ما هذا الا سحر مبين وفيه اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر
ولكنهم سموه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم
المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وحقيقة تعجب مما انكروه والتنبيه على ما
يدل عليها من شئون الخلق والقدر واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكر لاعترافهم به من غير نكير لقوله
تعالى من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير
وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام
اي ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين
لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التاني في الاحوال
والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استاثر بعلمه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات
لما اشتهر من الاذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الاثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط
بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه عليه استيلاؤه
عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهو استيلاء له ملكه وسلطانه
بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هذه الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه
المحمود والمراد هنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الجارية فيها
على طرائق شتى وانحاء لا تكاد تحصى من المناسبة الباقية الى الذوات والصفات والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات
الذي من جملته امر البعث والوحي فرد من جملته شعبة من دوحته ويهيئ اسبابه كل يوم حدوثه وبقائه في اوقاتها المعينة ويرتبها
على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا ثانيا
لان او مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشا من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال ف

ايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه بالتقدير والتدبير
ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم
من امر الله وهذا نحو قوله تعالى يدبر الامر وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى
الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك
عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت
بما ذكر من نعوت الكمال التي مدارها استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا
بعد بيان ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى آخره لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه
اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وامنوا بما انزله اليكم افلا تذكرون
اي تعلمون ان الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا
مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا معنى اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العباده
العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث والفعل مقدر اي وعد الله وعدا وما كان فدليل
على ان المراد بالرجع هو الرجوع لان بالموت ينعزل من الوعد كما ينعزل عن الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل
عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه فان غاية البدء والاعادة
هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة وسيئة وقرئ بالفتح اي لانه وجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا
بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل
او متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة
شراب وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه وليجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير
الاسناد وجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للاشارة
بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق والاعادة وانما يحيق بهم ذلك الكفرة على موجب احكامهم
وان المقصود الاصلي من ذلك فيه الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته
وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد
التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حيث دبر امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال
الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها
حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن
لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام في الشمس
والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيا منازل
او قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة
وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير
مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون
مقام الشمس في كل منزل منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان والبطين
والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل
والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر
والرشاء وهو بطن الحوت لتعلموا بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما تلك المنازل عدد السنين

التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به
شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات
المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة
المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد احصاء ماله كمية بتكرير امثاله
من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل
اضيف اليها العد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة
تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المبني على ذلك الاعتبار من حيث تحققها في انفسها تعلق الحساب
واما الذي يتعلق به العد فطائفة منها يتعلق بها حكم ذلك كل واحد من تلك الطوائف من حيث المذكور اي عدة يحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد
منها عدة ايام قد تحصل كل منها طائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب من حيث انها فرد من تلك الطوائف المعدودة من غير ان يعتبر معها
غير ذلك وتقديم العد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق
الحساب تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة
البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بانه سبحانه جعلهما على تلك الاحوال والهيئات
ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس حادث لان المراد بجعله نورا انما هو جعله
متصفا بالنور عند وجود شرائط الاتصاف به الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء
من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك كما اشير اليه من حصول العلم باحوال السنين والاوقات المنوط
بها امور معاملاتهم وعباداتهم يفصل الآيات اي الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات ويدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل
الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها
جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه آخر
اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السماوات او سكون الارض او في تفاوتهما
في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما بحسب الامكنة
اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الشتوية اقصر من ايام البلاد البعيدة ولياليها واما في انفسهما
فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف
المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملتها ما انكروه من ارسال
الرسول وانزال الكتاب وتبيين البعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم
الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون
لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا
وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني
ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل
وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب
او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول والى الاشارة بقوله عز وجل ورضوا بالحياة الدنيا فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس
اي رضوها بدلا من الآخرة ولا يخافون الثاني والى الاشارة بقوله تعالى واطمأنوا بها اي سكنوا اليها سكون من لا براح له
منها آمنين من عوارض المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون
حسن لقائنا بالبعث للاحياء بالحياة الابدية ورضوا بدلا منها بما فيها من فنون الآفات السنية بالحياة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها
اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم واشار الى كلا
المنشأين من تحرز الجهل والاستئناس الى آلاء الله تمام الغفلة ودوام المعتاد المألوف وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كما ترضى بالحياة الدنيا

فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر
كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن آياتنا المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير
الى بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستدلال بها المفصلة معانيها الدالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان
ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحياة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم
فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عن استمرار الغفلة ودوامها
وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب او اتماما
من ان العطف لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم
الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل
في الآجل والاعداد له ومحل الموصول النصب على انه اسم ان اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم اي مسكنهم ومقرهم الذي
لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا به من الحياة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه
من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة في محل الرفع
على انها خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ ان الذين آمنوا اي فعلوا
الايمان او آمنوا بما يجب ان يؤمن به من الآيات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ما ذكر اندراجا اوليا وعملوا الصالحات
اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم اي يرشدهم الى مقاصدهم
ومشارب النعيم واشعار بعلية الهداية بايمانهم اي بسبب ايمانهم الى مآربهم ومقاصدهم وهي الجنة وانما لم تذكر تعويلا على
ظهورها وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما اوثر اليه من عالم الشهادة ما لحق من التلويح والتصريح
وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي
كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان
المجرد عنها ولا ما هو اعم منها الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي
الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو
ليس كذلك يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها عليه ولا للمعتزلة قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم
مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ومن حمل على ظاهره يلزمه
دخول في الآية من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او ترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي بين ايديهم كقوله
سبحانه قد جعل ربك تحتك سريا الانهار تجري من تحتهم وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم
على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ربهم بنور ايمانهم على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم
الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بسبب السعادة كحكم الوصول اليها او يهديهم لادراك الحقائق كما قال صلى الله
عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي
فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى
سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو منصوب بفعل مقدر لا يجوز اظهاره ومعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما عاينوا
فيها من عجائب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب
العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة
اي يحيي بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى
سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين
اي ان يقولوا ذلك نعته سبحانه عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترتب
حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان
ليست جنسية على الاطلاق وعدم كون ترتب الوقوع ايضا كذلك بان كان نواحين دخولهم الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه
بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم الله تعالى بذلك فحمدوه تعالى واثنوا عليه بالصفات
الاكرام اي دعاؤهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الى اخره اذ لا تكليف في الجنة اي عبادتهم
الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة ولو يعجل الله للناس هم الذين
لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا
من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج
اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي ووضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار
الاستعجال من جانب المستعجل كاعتبار التعجيل في جانب المشبه واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والمعنى ولو يعجل
الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي
اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما اسند اليه في ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان
بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء
الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه
ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه اعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم مترتبا عليه في الوجود كما في قوله
عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعة الرسول عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود
او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر كبعض كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله
ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرايت امرا فظيعا او نحو ذلك كما في قوله تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة فان الجواب الاستئصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا
في الدلالة على الشدة والفظاعة بحسب وقعه في معرض الآتي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر حتى يترتب عليه ظاهر
بل هو اما نفسه او جزئي منه كما يرشد اليه ما ذكر من تعريفه على البعض اذ ليس التعجيل مفهوما مما ليس مفهوم تعجيل الشر من الشدة والفظاعة فلا يكون مرتبا
عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما
كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزئي من جزئياتها
غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وبعث
في ترتيب التالي على ارادة المقدم بما يدل على نفسه من الدلالة على المبالغة ما لا يخفى المنبئ عن الدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية
على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على الشدة في الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل
لكن لا نفعل ذلك لما لا يقتضيه الحكمة فنذرهم امهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع
على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان
بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي جنس الضر من مرض وفقر ونحوهما من الشدائد
اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون
للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال ما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات
بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على ان المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا عاجزا
على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه ودعانا لكشفه مر اي مضى واستمر على طريقته التي
كان عليها قبل مس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كأن لم يدعنا اي كأنه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر شبيها بمن لم يدعنا

الضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدرية
وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه فخامة لا يكاد يدرك كنهها
الا انه عين ذلك قيل هو مسلك لا يجمل مكان نعت لاجل اي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي الموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة
وانهم لما ان الله اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها فما استعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فقد اسرفوا الى الاشياء
وهي راس مالهم فقد اسرفوا في الشرف فاسند التزيين اما الى الله سبحانه على طريقة التخلية والخذلان او الى الشيطان بالوسوسة
والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وعلى الآية الكريمة بما قبلهما من حيث كل
انهما للتسوية على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي
الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة
الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب
والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان
الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالآيات
البينة الدالة على صدقهم او متلبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون عطفا على ظلموا وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا
على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب
حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له
بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي
اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة عطف
على ظلموا لانه اخبار بحدوث التكذيب وهذا بالاصرار عليه على انه عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى
مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد
الذي هو الاستئصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك
المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا
بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعريض
لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفية اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك
اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم بمثل هلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها
وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فيه استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية
بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة
بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفية
الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثارها فضلا
عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه ولكون كلمة كيف
منسدة دالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما تراه حتى يكون حسن الفعل مرة وقبحه اخرى واذا تتلى
الالتفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف
من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي
حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب
عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله
عليه وسلم مباشرة للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا

ووضع الموصول موضع الضمير لاشعار بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء
لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وما لهم في ذلك اي الذي حملوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو ذكر اذا ما جعلوه
ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت
بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله
بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنه وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به
قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي اي من جهة نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور
بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضايعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح
عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر الا ما يوحى
من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر النظم
كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه
لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القرآن كلامه
عليه السلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه السلام على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته
تعالى بالميل الى شيء مما ذكر من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة او يوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار
بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته
عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه لاستتباع كل مقترح على التبديل والاتيان بقرآن آخر
من جهة الوحي بغيره ولذلك ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ما لا يستسهل ان ابدله بالاستناد الى جهة الوحي ان اتبع الا ما يوحى الي عن غير
صنع مني لا استبداد بغيره من قبلي لا نزيد التعليل المذكور الا ان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما وهم فان استناد ما بدل
الا ان نزل حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا بحسب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية لا انه ليس معصية الاقتراح
انما المعصية ما ذكر في التعليل الآتي الاعم من الآيتين الكريمتين ما نص على ان مرجم الاتيان بغير القرآن او تبديله بطريق الافتراء
وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك قوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى اثر بيان
بطلان ما اقترحوه الاتيان به وبيان عجائبه ولانه انما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشأنه
وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما سلف وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه
ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما هو في مفعول المشيئة يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن فعلا
غريبا كما في قوله ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء الله عدم تلاوتي له لان المستلزم للجزاء اعني عدم تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم
انما هو مشيئته تعالى له لا مشيئة غيره القرآن والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى ليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا اباني
عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل لو لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
اي لا اعلمكم به بواسطتي والكلام مع عدم التلاوة والادراء منتف فينطبق على المقدم اعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى انها تستلزم لعدم
مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائها حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام
للقرآن بمشيئته تعالى وامره وانما قيدنا الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم
تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء اي اسناد عدم الادراء اليه تعالى المنبئ عن استناد الادراء اليه تعالى ايذانا بان لا دخل
له عليه السلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطاته وارضاته في اعطيته وارضيته
او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي لا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤنني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ ولادراكم بلام الجواب اي لو
شاء الله ما تلوته عليكم انا ولا علمكم به على لسان غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه ولو لم ارسل انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن علي

على من شاء يخصني بهذه الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئته عز وجل وامره حسبما تبين آنفا
لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام فيما سبق بسبب عدم مشيئته تعالى اياها بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه عليه السلام
في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام بالوحي وعمرا نصب على التشبيه بالظرف اي زمانا طويلا والمعنى
فيما بينكم وهو مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا من قبله اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى
شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون اي الا تلاحظون
ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه
ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تأمل في امره صلى الله عليه وسلم وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون
ولا مراجعة لهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته
كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل منطيق رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشفا عن اسرار الغيب
من وراء استار الكون ناطقا باخبار ما قد كان وما سيكون مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمنا عليها في احكامها المجملة والمفصلة
لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى وهذا الذي انعقد عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بالجواب فيما سلف على تجرد
امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية مستتبعة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي
من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا
على المطلوب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء
عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا لوم
ولا حق تعالى فيه شائبة شبهة فضلا عما كذب افتراء الا تلاحظون فلا تعقلون ان من هذا شأنه المطرد في هذه المدة البعيدة يستحيل ان يفتري على الله عز وجل
ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري معناه النفي اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب لنفي
الا ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل
واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام صريحا مع كونه
افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي
مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه او كذب بآياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم له على انه من جهته عليه السلام والفاء
لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء باضافة الولد والشريك اي اذا كان الامر كذلك
فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول انه من عند الله او يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذلك من كذب بآياته تعالى
كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشأن وفي ابهامه اولا وتفسيره بالجملة الواقعة خبرا له من التفخيم ما لا يخفى المغنية عن ذكره
وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر
فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن هذا اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور
ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية
لجناية اخرى لهم ناشئة عنها جنايتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله
النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما ينبئ
عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي ليس من شأنه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم
نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضرر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضرر فحيث لم يقدر
الاصنام على الضرر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات
واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة
يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا الا

صنام

واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم
كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة
على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل
فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم اى اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم
عند الله تعالى اذ لو كان لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئون
بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى
وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة
بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا
للجمهور وشقاقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له
اى وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل
الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليه السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن
ابراهيم عليه السلام الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم
من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا ان كلا منهما
احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء
المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوثه
ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير القضاء بينهم او بتأخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون بتمييز المحق من المبطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون
حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون
اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها كأنهم لفرط العتو والعناد وتمادي الغي في المكابرة والعناد
لم يعدوا البينات النازلة عليه عليه السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد نزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطر
الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني
فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة به
تعالى لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين اى لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات
واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى
واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اى خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء
بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل
القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك
قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كما قيل فاجأوا
وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اى اعجل عقوبة اى عذابه اسرع
وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم
يكتبون ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الحكيم
وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي وفي الجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره تعالى غير داخل في الكلام الملقن لقوله على
ولو جعلت مثله ذا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وقرئ يمكرون
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم السيد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي

يسيركم

يسيركم كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى مبنية على ما مر من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء
اى يمكنكم من السير ويمكنكم منه ويهيئ لكم اسبابه في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وجل بشر
تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اى السفن فانه جمع فلك كأسد جمع اسد ... وحتى غاية للتسيير ليست
اداركوهم فيها بل مضمون الجملة الشرطية كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اى
السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوئ حالهم
ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب
للكل ومنه المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه اى او كذي ظلمات يغشاه
موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير
المنصوب للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيء الريح اخرى عادة بل
اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك الاول اظهر لاستلزامه لتلاقي الريح من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح الاولى لا يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك
دون الريح الاولى مع انه يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان المهول بيان استيلائها على فرحه عليهم
حال ما جاءتهم اكثر ريح عاصف اى ذات عصف وقيل العصف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد تذكر وجاءهم الموج
في الفلك من كل مكان اى من امكنة مجيء الموج عادة ولا يعد مجيئه من جميع الجوانب الفضاء او لا يجب ان يكون مجيئه من جهة الريح
فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اى هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك اصله احاطة العدو بالحي او سد
عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان
كأنه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل بالعبادة
ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونوا مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اى قائلين والله
لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن ابدا بعد ذلك من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤلة وقيل الجملة مفعول
دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة
في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم
مما شهدوه من الكرب والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اى فاجأوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك
متجاوزين عما كانوا عليه من قبل من قولهم بغي الجرح اذا ترامى الى الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة
المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي اذ معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون
ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما جعله للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة
وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى
اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك الباغين لتشديد التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه
وهو مبتدأ وقوله تعالى على انفسكم خبره اى عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا
بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف
اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين بالحياة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي
لانه مؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال
تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى زمن متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مفعول به
للبغي اى تبغون متاع الحيوة الدنيا لا انه لا يدل على البغي معنى الطلب حمل المصدر ايضا بمعناه كما نحمل بحرا له الكريم
لان الاستئناف بيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسد لا افساد المفرط اللائق بحالهم فان مناسبته بين البغي بمعنى الطلب
ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه
ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم بل العامل فيه نفس البغي مدلول عليه بالمصدر اى تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الخبر

متاعاً وقيل على أنه مفعول صريح للمصدر وعلى أنفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالأنفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير
إنما بغيكم على أبناء جنسكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ظاهر الفساد أو نحو ذلك وفيه من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون النهي
بمعنى الطلب بغير وجه ونصبه على العلة أي إنما بغيكم على أبناء جنسكم لأجل متاع الحياة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه
في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل هو الأول وقرئ متاع بالرفع على أنه الخبر والظرف صلة للمصدر أو خبر لمبتدأ
محذوف أي هو متاع الحياة الدنيا كما في قوله عز وجل إلا ساعة من نهار بلاغ أي هذا بلاغ فالمراد بأنفسهم على الوجه الأول أبناء جنسهم
ولما عبر عنهم بذلك هز الشفقة عليهم وحثاً لهم على ترك إيثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لأن كون بغيهم وبالاً
عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعاً مقصود الإفادة على أن
كونه وبالاً عليهم قادح في كونه متاعاً فضلاً عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق وأما كون البغي على أبناء الجنس
معلوم الثبوت عندهم ومقتضياً لمبادي التمتع من أخذ المال والاستيلاء على الناس ونحو ذلك وأما على الوجهين الأخيرين فلا موجب
للعدول عن حقيقته فإن المبتدأ إما نفس البغي والضمير العائد إليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالاً عليكم في صريح كون الظرف
صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعاً الحياة الدنيا بنصب متاعاً فلما مر وأما نصب الحياة فعلى أنه بدل من متاعاً بدل اشتمال وقيل مفعول
لمتاعاً إذا لم يكن انتصابه على المصدرية لأن المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكر ولا تعن ماكراً ولا تبغ ولا تعن باغياً
ولا تنكث ولا تعن ناكثاً وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم
إلا بأنفسهم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة
وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي
ثم إلينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم ترجعون إلينا وإنما غير السبك إلى الجملة
الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب
كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة أبية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض
فإنما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي مثلاً سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور
تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وإن برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة المنهمكون من حيث اشتماله على
التشفي من الأعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بمتع في الحقيقة بل هو هلاك من حيث لا يحتسبون وإنما يظهر لهم ذلك عند إبرازه بما كانوا عليه
من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على تلك النشأة وهو المراد بالنبأ المذكور والله تعالى أعلم إنما مثل الحياة الدنيا
كلام مستأنف مسوق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشأن
البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الأمثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب إقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الأرض
من أنواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجأة وذهابها حطاماً لم يبق لها أثر أصلاً بعد ما كانت غضة طرية قد التف بعضها
ببعض وزينت الأرض بألوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا أنها تسلم من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف
في قوله عز وجل كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض بل ما يفهم من الكلام فإنه من التشبيه المركب مما يأكل الناس
والأنعام من البقول والزروع والحشيش حتى إذا أخذت الأرض زخرفها جعلت الأرض في تزينها بما عليها آخذة زخرفها
على طريقة التمثيل بالعروس التي قد أخذت من ألوان الثياب الزين فتزينت بها وازينت أصله تزينت فأدغم وقرئ على الأصل
وقرئ وأزينت كأغيلت من غير إعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن أهلها أنهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها أتاها أمرنا جواب إذا أي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات العاهات ليلاً أو نهاراً
فجعلناها أي زرعها وما عليها حصيداً أي شبيهاً بما حصد من أصله كأن لم تغن كأنه لم يغن زرعها والمضاف
محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالأمس أي فيما قبل بزمان قريب فإن الأمس مثل في ذلك كأنه قيل لم تغن آنفاً كذلك
أي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات أي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآية المنبهة على أحوال الحياة الدنيا

أي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لأنهم المنتفعون بها ويجوز
أن يراد بالآيات ما ذكر في أثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي إيجاداً وإعداماً فإنها
آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على أحوال الحياة الدنيا حالاً ومآلاً والله يدعو إلى دار السلام ترغيب للناس في الحياة
الأخروية إثر ترغيبهم عن الحياة الدنيوية الفانية أي يدعو الناس جميعاً إلى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وإنما ذكرت
بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضاً للآفات أو إلى دار الله تعالى وتخصيص الإضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم
للتنبيه على ذلك أو إلى دار يسلم الله أو الملائكة فيها على من دخلها أو يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته إلى صراط
مستقيم موصل إليها وهو الإسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن من أصر
على الضلالة لم يرد الله رشده للذين أحسنوا أي أعمالهم أي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي
وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك الحسنى أي المثوبة الحسنى
وزيادة أي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلاً لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها
إلى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم أي لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة أي أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن
وسوء الحال والتنكير للتحقير أي شيء منهما وتخلية سبعة لبيان أمنهم من المكاره إثر بيان فوزهم بالمطالب فإن الأصل الأول لإذكار
ما يتقدم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم وللتشويق إلى المؤخر
فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولأن في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين أولئك إشارة إلى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم أي أولئك الموصوفون بما ذكر
من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون من المكاره أصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين
كسبوا السيئات أي الكفر والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها أي جزاء الذين كسبوا السيئات
أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك حيث لم يقل وللذين كسبوا السيئات السوأى لمراعاة ما بين
الفريقين من كمال التنافي والتباين وإيراد الكسب للإيذان بأن ذلك إنما هو من سوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على أنفسهم والموصول معطوف
على الموصول الأول كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على أن المراد بالزيادة الفضل
وترهقهم ذلة أي ذل وهوان عظيم وفي إسناد الرهق إلى أنفسهم دون وجوههم إيذان بأنها محيطة بهم غاشية لهم جميعاً وقرئ يرهقهم بالياء
ما لهم من الله من عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخط الله تعالى وعذابه أو ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة
في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة أو حال من ضمير ترهقهم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلماً
حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأنه العامل في قطعاً وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة ومعنى الفعل في
من الليل وقرئ قطعاً بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال افتحي الباب فانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلماً صفة له
أو حالاً منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها حال من ضمير ترهقهم أولئك أي الموصوفون بما ذكر من الصفات
الذميمة أصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة سياقها وسباقها لم يكن فيها تمسك للوعيدية
ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من أحوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض أحوالهم المحكية سابقاً
للإيذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئاً واحداً كما في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله
ويوم منصوب على المفعولية بمضمر أي أنذرهم أو ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله تعالى
جميعاً ومن إفراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى ثم نقول للذين أشركوا أي نقول للمشركين من بينهم ولأن توبيخهم وتهديدهم على رؤوس
الأشهاد أفظع والإخبار بحشر الكل في تهويل اليوم أدخل وتخصيص وصف إشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما ارتكبوه من السيئات لابتناء التوبيخ
والتقريع عليه مع ما فيه من الإيذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفاً

مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما سوى الفارسي اي الزموا حتى تنظروا
ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المستتر فيه من عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع
فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه ككلمته وكالمته وهو معطوف على نقول
وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزيل ومباديه عقيب الخطاب
من غير مهلة ايذانا بكمال فساده من بين الفريقين من العلاقة والصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم
في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء مثل الملائكة والمسيح فحينئذ انقطعت عرى اطماعهم
وحصل لهم اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب الا ان هذه المرتبة
من اليقين حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزيل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم
كما في قوله تعالى اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقوله تعالى وقال شركاؤهم حال بتقدير كلمة قد
يشترط فيها بدونه عند غير الاخفش كما في التفسير الاول ... اي غاية المباعدة وليس من التزيل بهذا المعنى لا
يلزم المكان ... الاول من التكرار ... عاقبتها الى غير الريب فان المباعدة بعد المحاذاة
وانما قطع الاقران والعلاقة ليس كذلك بل ... حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاذاة
انقطاعها كما اشير اليه فلا اعتداد بما تقدم من التعذر لاستماع ... ما ذكر من النكتة لو سلم ما خبر جميع مراتبه من المحاذاة فراغا
كما قد اسند ... عليها ويجوز ان يكون حالا على هذا التقدير ايضا المراد بالشركاء مثل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من ذوي العلم
معه بانه لا رجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم انهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم
الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك انهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شيء
فيشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين
اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور ولا اخذكم الغفلة عنها الغفلة عنها عن عدم الارتضاء الا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر
وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل من ارتضائهم باشراكهم ما لا يخفى وان لم يكونوا يجبرونهم على ذلك ان المخففة
من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش اي في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو اي تختبر
وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه مستتبعا لآثاره من نفع او ضر
وخيره وشره واما علمت من حاله من حين الموت الى البلاء بالعذاب اي البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه بدل اشتمال
معاملة من يبلوها ويتعرف احوال الناس من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس
عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار
او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله
وجل هنالك تبلوا الى اخره اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق
صفة له اي ربهم الثابت ربوبيته المتحقق الالوهية تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب الاستفهام
على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به
غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق
الا الضلال الذي لا يختاره احد وحيث ثبت ان عبادته سبحانه حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على الضلال من الاعتقاد
هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا
بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال والضياع وهذا انسب
بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الاخير فانى تصرفون استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه
من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال

وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني فالمراد وانكار ثبوت الا كما على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد
عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل
الذي يسعهم ضلالا وشقاء في الاخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته
وانما يقع عنده وتوجه القسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال
او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا الى اقصى حدوده انهم
لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها الوعد بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد
وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى
وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعل الاعادة لتحققها وصحوح
مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما ليستلزم
الاعتراف بها الاعتراف بهما وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك
فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لان المقول
المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى قل من رب
السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة
من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم امره صلى الله عليه وسلم بان يتكلم بما ذكر انما هو تعبيد لكلمة انهم لا يخرجون
على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا للمكابرة ولجاجا فقد روا عادة المجيب الجواب لما عرض محذوفه لخبر كما في الجواب السابق لمزيد
التأكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الانسب بالمقام اي كيف
تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم عقب
الزام وافحام اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدي الى الحق اي بوجه من الوجوه فان ادنى
مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدة الى ما فيه صلاح امرهم واما تعيين طريق الهداية بحقيقية نصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر
والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية
وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الانفصال
ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة
والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهداية والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر
افمن يهدي الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين
وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن ان يهدي غيره وفيه من المبالغة
ما لا يخفى واما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو
عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق
من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبي عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم
الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك محض للانكاري كما في قوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
الى آخره ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما تقدمها في الذكر لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان
السؤال بكلمة اي لاخرت حتما اي في قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن والتقدير المخل بالمعنى الى الجواب كالمهم وقال رسول
صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي
والمعنى افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهتدي ام من لا يهدي احق كقوله واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام
للالزام وان متع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم

من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل او الا ان يحوله الله تعالى
من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء آلهة
والاستفهام للانكار والتوبيخ وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم
الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان دل السبك ما لا
السابق انما يظهر في حق من يحكم ولو بحسب الصحيح فحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين حيث شركوهم
دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلنا حكمهم بانه
تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله
من حيث لا يحسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الحم القويم
بحجة من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم ببطلان حكمهم وعدم ما يهمهم من ذلك لعدم استعدادهم لطريق العلم
اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا
مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من الحكم
الباطل فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه
من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتعاقب ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون
العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل لهم التبكيت والالزام بما ذكر من البرهان المزبور
وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما نحن فيه من فحوى الكلام عرفا سيكون اولئك اسوأ حالا
من غيرهم اذ المعتبر الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعناد او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا
فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر على ما
ارتضاه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة
كما سيأتي هذا هو حاصل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام
انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فاول من الضمير الى الحق انتهى ان الظن لا يغني من الحق من العلم
يعني بالاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف في
بيان شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون
وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا
اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان
ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي ما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع
التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم
سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا
دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ
بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الى آخره وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت
من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثان داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه
فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر آخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية
الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اي بل يقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة للانكار
الواقع واستبعاد قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثله في البلاغة
وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة

اي بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم
في المهمات والملمات والمدارة الذين تلجؤون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء
وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء
للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم ابهام امكان معارضته بالاجابة اليه
ان كنتم صادقين اي في انه افتراه فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فالمراد
بما لم يحيطوا بعلمه كله لا ما عاقه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه لا يناسب تنزيه ساحة التنزيل عن مقالهم الباطلة اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير
ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصفناه ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق
والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم
العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان تعليق الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له ولما يأتهم تأويله
عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه الرائعة المنبئة عن علو شأنه والتعبير
باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين
انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا
نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة
بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا
والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا بعد ذلك ايضا
على ما هم عليه او لا فلا تعرض له هنا الا استشهادا عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر من علم
البديهة كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وقد تلونا ما يتعلق بالتحدي الوارد في سورة البقرة نبذة ما ليس فيه ها هنا وانما
يدل عليه ما سلف من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الى آخره وقوله تعالى كذلك الى آخره وصف لحالهم المحكي وبيان لانه
من البعث اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب
او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين
من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء
الظالمين في زمرتهم دخولا اوليا وعيدا لهم وقوله عز وجل ومنهم الى آخره وصف لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اخبر فيه بتنويعهم
الى المؤمن وغير المؤمن بعد تنويع امتناع الايمان لشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر قبل ذلك حسبما افاده
قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيته بعد ما عجزوا
في المعارضة وزاروا اقوامهم فما فتتال دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد
بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون
الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير
الى انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة
بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون
والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة
بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سيأتي بل يموت على كفره
معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين
اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد
او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الآخر من المعاندين والشاكين وان كذبوك اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه

حسبما اخبر عنهم بعدم الزامهم بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء
المعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وحينئذ يحمل المضاف اليه باعتبار الاتحاد اكتفى ولمراعاة كمال المقابلة انتم
بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون
بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما يأتي محافظة
على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء
الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام
الانكاري والفاء عاطفة وليس المجموع فيما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع هو رأي سيبويه والجمهور على ان محل تقدم الهمزة
على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار مترتب عليه حسبما تقتضيه المعاني لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور
لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة واما كان في العطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه
من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر يفهمه سياق النظم كانه قيل أيستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار
لاستماعهم فانه امر محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه كانه قيل
وضع المظهر موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم
العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك
ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي اعقيب ذلك انت تهديهم او اتجعل تهدي العمي تربية لانكارهم وابرازا له
لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود
من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق
فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الموضعين محذوف لدلالة ما قبله عليه وكل منهما معطوف على جملة
مقدرة مقابلة لها في الحزوى(?) كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون
افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع والمانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذا
السر يدور ما في لو وان الوصليتين من التأكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم
اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم
مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولية والاخروية
من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير
اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اي لكنهم بعدم
استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون يبخسون
ما يحقق(?) من مبادي كمالاتهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يكن ... حصر الظلم على انفسهم لان انما يتعلق الظلم
والتقصير بفعلهم من النقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير
الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه
لمجرد الاهتمام مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على رأي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصر المظلومية دون قصر الظالمية
عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لان اقبح الامرين عند العقلاء ان يكون الفعل اشد ما يكون عند العقل ونزيهة الطبع
واوجههما حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصرها عليهم يستلزم ما قصد ظاهر الحال من قصرها عليهم ضرورة انه اما
لم يظلم احد من الناس الا انفسهم يلزم ان لا يظلمهم الا انفسهم اذ ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه المفروض ان لا يظلم احد الا

فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة الاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع
يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى انه لو كان كذلك لما اعتبر دلالته على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص وسياق
الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة
شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للعذاب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية
الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي ذكرهم او انذرهم يوم نحشرهم كأن لم يلبثوا
اي كأنهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من
ساعات الليل والجملة في حيز النصب على الحال من ضمير المفعول اي نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك
القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمباهجها لا يخلو عن نضارة ... منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او من
لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة اليه تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم
وانكارهم بقولهم ااذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور
فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول
العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول خروجهم
اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف بشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة
للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل
حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول او التعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمارهم لما في حيز الصلة والاشعار بعلية ما اصابهم
والمراد بلقاء الله تعالى اما مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم
الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين وما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وكانوا ...
فالحقها الهلاك والضلال اي فضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة
لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهر لك في حياتك بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من العذاب وتعجيله
فرادى والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار
غب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا
مرجعهم اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف
لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها
معاقبتهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد التشديد وقرئ ثمة
اي هنالك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم
فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين
وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج
اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان لقوله عز وجل
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار
حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه آت والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم
حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا عجلة
ان كنتم صادقين ولما كان ذلك من الاستعجال لكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر
على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز
وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع فللاشعار باهمية المقام هناك والمعنى اني لا املك شيئا من شؤوني ... ان ذلك

اقرب حضوره لا فكيف املك لكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود (الا ما شاء الله) استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرؤ عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك مسدد على بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعله عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العبد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب مما لا وجه له لوجود التعسف ظاهرا وقوله تعالى (لكل امة اجل) بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضايا من الاطلاق المشعر بكون المعذبين امرا متوقفا على شيء من مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة من الامم المهلكة اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله (اذا جاء اجلهم) ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه وان جعل عبارة عن جميع مدة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمع كما قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها (فلا يستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له (ولا يستقدمون) اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان نفي التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بذلك مزيد فائدة وتقديم بيان نفي الاستئخار على بيان نفي الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان نفي السبق كما ذكر هناك (قل) لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة (ارأيتم) اي اخبروني (ان اتاكم عذابه) الذي تستعجلون به (بياتا) اي وقت بيات واشتغال بالنوم (او نهارا) اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما هو سائر الامم المهلكة وقوله عز وجل (ماذا يستعجل منه) جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني (المجرمون) وضع موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن ان يستعجله والجملة الشرطية متعلقة بارأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء تستعجلون منه تعالى وليس المراد استعجال العذاب بعد اتيانه بل المراد المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه والتنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من يلزمه الذي يتقاضاه حقه ارأيت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل (اثم اذا ما وقع آمنتم به) انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المأمور به اي بعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا لتأخيره الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وماذا يستعجل منه متعلق بارأيتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه والشرط اعتراض مقرر لمضمون الاستعجال قبل الجواب وقوله تعالى اثم اذا ما وقع الى آخره

والاستفهام كالاول اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وجيء بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان وقوله تعالى (الآن) استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتأمل والتدبر في شأنه ولا لشيء آخر مما يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال على وجه الاستهزاء وقرئ الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى (وقد كنتم به تستعجلون) اي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى (ثم قيل) الى آخره تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والتخليد وهو عطف على ما قدر قبل الآن (للذين ظلموا) اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع المضمر لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون) اليوم (الا بما كنتم تكسبون) في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال (ويستنبئونك) اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء او الانكار (احق هو) احق خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير مرتفع به سادا مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ الحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل أهو الحق لا الباطل او هو الذي سميتموه الحق (قل) لهم غير ملتفت الى استهزائهم معرضا عما قصدوا او بانيا للامر على (اي وربي) اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه (انه) اي العذاب الموعود (لحق) ثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التأكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله (وما انتم بمعجزين) اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور (ولو ان لكل نفس ظلمت) بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يؤذن به الصفة فعلا (ما في الارض) اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة وان كثرت (لافتدت به) اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه (واسروا) اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكورها على اناثها (الندامة) على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا (لما رأوا العذاب) اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يطيقوا ابتنيفا فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسروها منهم خوفا من توبيخهم وقيل الاسرار من ان يعيرهم هناك بشيء غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اي اخلصوها لان اسرار الشيء اخلاصه او لان سر الشيء خالصه حيث يخفى ويصان وفيه تهكم بهم وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره حين عيل صبرهم وتجلدهم (وقضي بينهم) اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم اذ الظلم يحتمل ما كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد الباطل وعوامل اهل كل منها بما يليق (بالقسط) بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير تعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا (وهم) اي الظالمين (لا يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه للضرورة (الا ان لله ما في السموات والارض) اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء وهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا (الا ان وعد الله) اظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو بمعنى الموعود اي جميع ما وعد كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي يستعجلونه اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر

نفسي وانه لحق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على
تقريرها المضمون وما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون لقصور عقولهم
واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون
في الآخرة بالبعث والحشر فيجازيكم على اعمالكم ... الى سوء واتبع ... عن اول
الضلال ما هم عليه من العقائد الفاسدة وسوء عاقبتهم وانذارهم ... ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي الوعظ
والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب كلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم
او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسنها
وسيئها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك
والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق
والانفس وفي تحقيقه رحمة للمؤمنين حيث نجاهم من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات
الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل توسيط الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ان ... ما في القرآن
العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة والجنس ... ولا اخلاق ذو
اولا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم
الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير
ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء
آخر ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ... اسم الاشارة للدلالة على ما ذكر من فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا او فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وروي
فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد
عليه اي واذكر من فضل الله ورحمته هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فلتفرحوا ايها المؤمنون هو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون
قل أرأيتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بأرأيتم واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم
وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل منها او ما يتوقف عليه وجوده وتقابه بسبب ما فيها من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين فجعلتم
منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي جعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه
انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور الجهل
فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير للتأكيد لا مر بالاستخبار اي اخبروني آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم ممتثلون بامره تعالى
ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون عليه
واظهار الاسم الجليل وتقديم الجار والمجرور على الفعل للدلالة على كمال قبح افترائهم والتأكيد للتبكيت مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما بعده من التوبيخ على الافتراء
وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل أعلى الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب كلام مسوق من جهته تعالى لبيان هول ما سيلقونه غدا واظهار التعقيل الماضي او الاسم الموصول في موقع الاضمار لقطع
احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما فعلوا وكونه
كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيامة ظرف لنفس الظن اي اي
ظن ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق بما يصنع بهم
وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له وما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة
المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم ما سيقع يوم القيامة أيحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون او يجازون جزاء يسيرا

ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ
على لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم القيامة وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكأنه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه
على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين
لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة
فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد فصل عليهم بيان ما
يوم القيامة فلا ينفعون ابدا فيما يفعلون فيتبدل لا يستجمع النعمة وما تكون في شأن اي في امر من شأنه اي قصدت قصده
مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشأن اذ هي معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل
والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والى قوله تعالى من قرآن مزيدة لتأكيد النفي
او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو رأس الكل وقد روعي
في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا
استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه
حافظين له اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث بالافعال ان ثقة
الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا وقرئ الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ الى تغيير المضارع معنى الماضي
وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي
من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتأكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي
في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فيهما احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها
والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه
مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء لكن جميع الاشياء في كتاب مبين
فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب
مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على جهة التبشير والوعد لما هو نتيجة الاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر
قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا
في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيامة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التمهيد والوعيد
وتصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه
كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه
يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف
والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان
دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى
وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات
فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا
اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول
الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين
الى كل خير المنجيين عن كل شر ومحله النصب او الرفع على المدح او على انه صفة مادحة للاولياء ولا يقدح في ذلك توسيط الخبر والمراد

المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من التوقي عن الشرك التي تعضدها الاولى ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه مدار اطلاق الاسم عليه هكذا كان حال كل من دخل معه
عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل جلالا لكم فان شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب درجات
استعداداتهم الفائضة عليهم حسب جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم
الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعدادهم وعلو همتهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
فذلك امر الولاية الكاملة المذكورة فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون وعرفت هل من هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان
وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه لا كالة وقيل من هم الذين يذكر الله تعالى برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم وقيل من هم
المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا
شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا
في الله على غير ارحام ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس فان ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان
والتقوى والامارات الخاصة بها حقيقة لا تخصيص للذكر لظهورها وقربها من افهام الناس فقد ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين وغيرهم من الحاضرين فتخصيصه بالذكر هناك من احكامهما
فلعل الحاضرين اذ ذاك كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا
مفتقرين الى التأليف بين قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة تأكيدا بينهم من الاخوة الدينية
بيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن حال من تمسك بها ليرعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر
من انه يغبطهم الانبياء فمبني على حسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي هذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا
هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لهم اياه يأباه
وقوله عز وعلا لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة تفسير لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار العبد الاخير منهم
الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والسعي عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل يخل بذلك وتحصيل
انما يتعلق بالمقدور وهذا الاستبشار لا يحصل الا باعلام وجود سببه والعبد الذي ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله لا علوم
لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان
ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول بعد ما وليا حسبما شرح
بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستأنفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء
ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن
حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتعجيل الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين شارحي الخلاص
عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاول وتأكيد الايذان بانتفاء الخوف والحزن لا تعاينهم عما
ينهاهم من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان
وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي
لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة اي عاجلة وآجلة ومن البشرى المنجزة اي حال كونهم في الحياة الدنيا ومن البشرى
العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس له قال
عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وجعل البشرى مصدرا والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا ففي الآيات الواقعة
للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه

عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالكرامة وما يرون
من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة
والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شأن
التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها
البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا وحيث امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد
بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم تخلف مبناه دينية بل على ثبوتها ودوامها فيما سيأتي لو عدم تحقيق انه تعالى لهم البشرى فيه
ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتان
الجملتان اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وقيل والثاني اعتراض
ولا يحزنك قولهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له
عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان اولياءه في امن من كل محذور وفوز بكل مطلوب وقرئ لا يحزنك من احزن
وهو في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك
وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التأثير
نهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة وقد وجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي
عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لانه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام
في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك قوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستئناف اي الغلبة والقهر لله جميعا
اي في ملكه وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي
من جملة البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون
عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان
بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات
اولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة به تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم
تمهيد لما لحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما
نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبعون الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان
سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله
ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون
من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم
وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما
الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الى آخره وقرئ تدعون بالتاء على الاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل
واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك
كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن
ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم
شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة
ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص
العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فمفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه
او محذوف مدلول عليه بالمفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل

مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله الآية فحذف من كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار
مجازي كما في نهاره صائم ان في ذلك اي جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد
منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها
المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتناء فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة
لمصلحة الكل لانهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه
تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شيء وهو علة لتنزيهه سبحانه اذ اتخاذ الولد
من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه
وقوله تعالى ان عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل وضع لسلطانه تحقيق سلطانه ايهم من البرهان
الساطع عن المعارض فمن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده
على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل
ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد لما في قوله تعالى اتقولون
على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد
لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل توسيط للمقال وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبيين
سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء باثبات الولد له
سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما في ذلك
من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسب مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف
سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون
من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة
عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيلقون الشقاء
المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فأين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقيل انه افتراؤهم
ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به تعززا له ثم عليه
ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك عندهم اجراء لحكم ما يؤدي اليه من
كما لا وجه له قطعا مما ذكر ولا يبعد ان يقال ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والآية اما مسوقة من جهته تعالى لتحقيق عدم
افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يفصح عنه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله
عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما
يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين
هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما متعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم
لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا انك تتلوه موافقا لما عندهم
من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد فليس ذلك الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه فوزة
واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم
وبأقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتمال واما كون العامل اتل فلا لان المراد بعض نبأه عليه السلام لا كل ما جرى
بينه وبين قومه عليه السلام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعله لمكان
فلان اي لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله
فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم الحاضرة ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي

على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب الا انه
لترتب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتب نفس الاجماع عليه وهو جواب بسبب جملة معترضة والاجماع العزم قيل هو متعد
وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا
وتفرقته انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو
بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة
التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك
وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على اي وجه يمكنكم
ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا عليكم او ستر بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه
لسد باب تدارك الخلاص بالهرب ونحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة
بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا ثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته وكلمة ثم للتراخي في الرتبة وفي الامر موضع
زيادة تقرير لمقتضى مقام الامر بالاظهار الذي يستدعيه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بالامر ما يعتريهم من جهته من
الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة اذا تخلصتم
باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يلائم قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي ولا تمهلون كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه
فان توسيط الحصول بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا
بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم العطف لترتيب ما بعده على ما سبق فالمراد
به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي فان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحتها او لم تتولوا بها
الى ما حملها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم واجابتكم من الاحاطة بكم ما لي على تحقيق لانبائكم
المبين مدد من عند الله العزيز فما سألتكم مقابلة وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم
اياي بالطمع والسؤال او الثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرني توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي
ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وهو دليل على القدر لجوابه بسببه الشرط لاعلام
سفهون الجزاء لانتفاء المعنى ان توليتم فلا ضير علي اذ ليس معي ما يتضرر بالفوات منه وقوله عز وجل ان اجري الا على الله ينتظم
المعنيين جميعا خلا انه على الاول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى
يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المسلمين له كل
من اتباعي في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحق ان ليس لهم
سبب على التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم هم
خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع
في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة
لاظهار كمال العناية بشأن المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو
من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه
وسلم وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا
ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى جميع تلك الاقوام قومها
اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاؤوهم
اي جاء كل رسول قومه المخصوص به بالبينات اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على
انه للتعدية والمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤوا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة فحسب بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الله

الحكم فإن ما عاقبة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي فيما بين ضميري جاؤوهم كما أشير إليه ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ بيان لاستمرار
عدم إيمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار إيمانهم لما مر في مثله من هذه السورة الكريمة غير مرة أي فما صح وما استقام لقوم من تلك
الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم إن كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما
حكي في قوم نوح فالمراد بعدم إيمانهم المذكور ههنا إصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما أشير إليه في قوله عز وجل ﴿بما كذبوا به من قبل﴾
تكذيبهم من حين مجيء الرسل إلى زمان الإصرار والعناد وإنما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالأول حيث جعل صلة للموصول إيذانا بأنه
بين بنفسه غني عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت مضطرة
إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الإيمان والتكذيب سلبا وإيجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها
كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكي جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل إلى آخر
وبما أشير إليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا
أممهم إليها أثرا ذي أثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية
بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم من بقايا عاد وعاد
من بقايا قوم نوح عليه السلام فكذبوها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب
وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حين لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد
به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب هو التكذيب
الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب
وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا
بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف مع أن الباء للسببية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل
ولا يخفى أن ذلك يؤدي إلى محافظة المحذور من جعل ما المصدرية مع جعل الأسماء كما هو رأي الأخفش وابن السراج ليرجع الضمير
في رجاعه إلى الحق بادعاء أنه مركوز في الأذهان ولا يخفى ما فيه من التعسف ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الطبع المحكم ﴿نطبع﴾ بنون العظمة
وقرئ بالياء على أن الضمير لله سبحانه ﴿على قلوب المعتدين﴾ المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتمنعين عن قبول
الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي إسناد الطبع دلالة على أن الأفعال
واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ﴿ثم بعثنا﴾ عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا وهو عطف قصة على قصة ﴿من بعدهم﴾
أي من بعد أولئك الرسل عليهم السلام ﴿موسى وهارون﴾ خصصنا بالذكر مع انتظامهما في سلك الرسل لإبراز خبرهما فيما سلف
إشارة إجمالية من أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وأتى في ذلك نوع تفصيل إذ ان لخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في
عليه السلام ﴿إلى فرعون وملئه﴾ أي أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لأصالتهم في إقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل إليهم في النوازل
والملمات ﴿بآياتنا﴾ أي البينات وهي الآيات المفصلات في الأعراف ﴿فاستكبروا﴾ الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء
فصيحة أي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين إلى آخره ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فإن الإجرام
مأخوذ من عظم الذنب ومنه الجرم أي الجثة فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار
على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز وعلا ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ فإنه صريح
في أن المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي هو معجزة العصا واليد البيضاء حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك أول
ما ظهر عليه السلام من الآيات العظام والفاء فيه فصيحة معربة عما صرح به في مواضع أخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم
إلى قوله تعالى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط
عتوهم وعنادهم ﴿إن هذا لسحر مبين﴾ ظاهر كونه سحرا أو فائق في بابه واضح فيما بين أقرانه ﴿قال موسى﴾ استئناف
مبني على سؤال ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الإنكاري التوبيخي ﴿أتقولون﴾

للحق الذي هو أبعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت ﴿لما جاءكم﴾ أي حين مجيئه إياكم ووقوفكم عليه أو من أول الأمر من غير
تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه إيذانا بأنه مما لا ينبغي أن يتفوه به
أي تقولون له ما تقولون من أنه سحر يعني أنه مما لا يمكن أن يقوله قائل ويتكلم به متكلم أو القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة
وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم إلى آخره فيستغنى عن المفعول أي أتعيبونه
وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل ﴿أسحر هذا﴾ إنكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لهم وتوبيخ لهم على ذلك
إثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل أما على الأول فظاهر وأما على الثاني فوجه إيثار إنكار كونه سحرا على إنكار كونه معيبا حسبما يقتضيه
ظاهر الإنكار السابق التقريع بإلزامهم خصوصا إعادته بعد التعبية للإنكار السابق على أن ليس فيه شائبة عيب وأما في هذا
من معنى القرب زيادة تعيين المشار إليه واستحضاره فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا
أي أسحر هذا الذي أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للإيذان بأنه مصب
الإنكار ولما استلزم كونه سحرا كون من أتى به ساحرا أكد الإنكار السابق بما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ﴿ولا يفلح الساحرون﴾
وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قولك جاء زيد والشمس طالعة أي
أتقولون للحق إنه سحر والحال أنه لا يفلح فاعله أي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيد
من عند الله العزيز الحكيم الفائز بكل مطلب الناجي عن كل محذور وقوله تعالى أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها أكدت بها
الإنكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر إلى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر إلى صدوره عنه عليه السلام وأما تجويز كون الكل
مقول القول على أن المعنى أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم أصلا أما أولا فلأنهم قالوا
هو الحكم بأنه سحر من غير أن يكون فيه دلالة على تعسف في المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به
أصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن مثله وأما ثانيا فلأن التعرض لعدم إفلاح السحرة على الإطلاق من وظائف من يتمسك بالحق
المبين دون الكفرة المتشبثين بذيل بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لكان تخصيص عدم الإفلاح بمن
زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون من السحرة وأما ثالثا فلأن قوله عز وجل ﴿قالوا أجئتنا﴾ إلى آخره مسوق على أنه عليه السلام
ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الإتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي
هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على أنه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال
موسى إلى آخره حسبما أشير إليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة ﴿أجئتنا لتلفتنا﴾
أي لتصرفنا فإن الفتل واللفت أخوان ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ أي من عبادة الأصنام ولا ريب في أن ذلك إنما يتسنى
من جهة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح إذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم
إلى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في أنه لا علاقة بين قولهم أجئتنا إلى آخره وبين إنكاره عليه السلام لما حكي عنهم حتى يكون جوابا
﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ يكون بالياء لكون التأنيث غير حقيقي ﴿في الأرض﴾ أي أرض
مصر متعلقة بتكون أو بالكبرياء أو بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا أو بمحذوف وقع حالا من الكبرياء أو من الضمير في لكما لتحمله إياه ﴿وما نحن
لكما بمؤمنين﴾ أي مصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام
واستلزام التصديق لأحدهما التصديق للآخر وأما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة أسند إلى موسى عليه السلام خاصة
﴿وقال فرعون﴾ توحيد الفعل لأن الأمر من وظائف فرعون أي قال لملئه يأمرهم بترتيب مبادي الإلزام عليهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس
عن الإلزام بالقول ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾ متقن للسحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار ﴿فلما جاء السحرة﴾ عطف على مقدر يستدعيه المقام
قد حذف إيذانا بسرعة امتثالهم بأمر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام أي فأتوا به فلما جاؤوا ﴿قال لهم موسى﴾ لكن لا في ابتداء
مجيئهم بل بعدما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في سورة الأعراف من قولهم إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ونحو ذلك ﴿ألقوا
ما أنتم ملقون﴾ أي ما تريدون إلقاءه كائنا ما كان من أصناف السحر ﴿فلما ألقوا﴾ ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم
﴿قال لهم موسى﴾ غير مكترث بهم وبما صنعوا ﴿ما جئتم به السحر﴾ ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبرها أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه

الله سبحانه او من جنس السحر يريهم ان حاله بين لا عجابه كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاب به وقرئ آلسحر على الاستفهام
فما استفهامية اي اي شيء جئتم به او هو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يسعد له حال ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ولا
على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا
او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق
فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم والمراد
بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته وادامته اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه
الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله اي لكل اعتراض تذييلي مقرر له ومبني على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لالقاء الروعة
وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة
وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر فصل في مواقع اخرى اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الى آخره وانما لم
يتعرض له تعويلا على ذلك واشعارا بالانجاز وايذانا بانه امر لا يحتمل الخلف ان الله سيبطله لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما
مستمرا من قبل كما في قوله عز وجل فما اتبعوا امر فرعون وما في قوله تعالى فوعظته فلم يتعظ وصحبته فلم ينزجر والسحر لكن لا اسلام باشي
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه ان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام في
تلك الآيات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته
آسية وخازنه وامرأته وماشطته وقيل بعيد على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون
والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء او لانه مقام بيان علوه في الفساد وعلوه في الشر والتسلط على الغير او لان المراد به آله كما
يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال
في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه
يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وباياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم
مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه
المشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين
له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا
فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو
كانوا على الحق لما اصيبوا او قوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وسوء صحبتهم
بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه
على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة
فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوؤ للقوم
واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان
بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال

وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا
كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون
غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت والعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا او استعطافا
المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اي امحقها والطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها
واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب
للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به
بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الدعوة
الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما
كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الجهلة
في تعلق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية
اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من جوز الذي هو المرادف لجاوز لا من
جوز الذي يقتضيه نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والمعنى جوزنا بني اسرائيل في البحر وفي النظم الكريم
عن الاخبار بانفصالهم عن البحر وبقائهم الى ما الهيم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهب وذهب به
فاتبعهم يقال تبعه حتى اتبعه اذا كان سبقه فلحقه اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع
الجمعان بغيا وعدوا اي ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان وقرئ عدوا وذلك ان موسى عليه السلام
خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله
يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه
والجمه قال آمنت انه اي بانه وقرئ انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به
بنو اسرائيل لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني
اسرائيل تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء باتباع من كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة
وانا من المسلمين اي الذين اسلموا نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس
وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني حال
الحالة اتصال ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله سبحانه سالكا سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول
المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعدما فات ما فات واتى ما هو آت وقوله عز وجل الآن مقول لقول مقدر معطوف على قال
اي فقيل الآن اي قوله تعالى اتؤمن الآن حين لا ما جرى من استجابة الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار والتوبيخ على ما خزه
وتوبيخه بالعصيان والافساد وغير ذلك في حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة
الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روي من ان جبريل عليه السلام دس في فيه عند ذلك حال البحر وسده به فانما كد غير ذلك القول
بالرد الفعلي ولا ينافيه تعقيبه بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال النبي عليه السلام لو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه
في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان
كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يصح في شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة
في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة اليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال
البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان
الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وعلا وقد عصيت قبل حال من فاعل

السكين

الفصل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الإيمان إلى هذا الآن ببيان أنه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة إليه ولا
والتردد في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في الجملة بل كان ذلك على طريقة الاستعصاء والاستكبار
وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال أي كنت من الغالين في الضلال والإضلال عن الإيمان فعد من المفسدين
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع إلى نفسه والساري
إلى غيره من الظلم والتعدي وصد بني إسرائيل عن الإيمان والأول عبارة عن عصيانه الخاص فاليوم ننجيك أي نخرجك مما وقع فيه قومك
من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك بنجوة ملوحا بأن مراده بالإيمان هو النجاة كما مر وتهكما به أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك
بنو إسرائيل وقرئ ننحيك من الإنحاء ونحيك بالحاء المهملة أي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب أي
ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك ففيه تخييب له وحسم لطمعه بالمرة أو عاريا عن اللباس أو كاملا سويا
أو بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء بدنك كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروعك كأنه
كان مظاهرا فيها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه
لا يهلك حتى روي أنهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك
من الأمم إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم
الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا أي لمن خلفك من الجبابرة
وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لمن خلقك آية كسائر الآيات فإن إفراده سبحانه إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه
لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وإرادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة أيضا فإن تعليل تنجيته
بما ذكر أذان بأنها ليست لإعزازه أو لفائدة أخرى عائدة إليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤوس الأشهاد وزيادة تفظيع
حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الأسواق ويدار برأسه في البلاد واللام الأولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية أي كائنة
لمن خلفك وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا
لمضمون الكلام المحكي ولقد بوأنا بني إسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء على وجه الإجمال وإخلالهم
بشكرها وآخذوها أي أسكناهم وأنزلناهم بعد ما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم مبوأ صدق أي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام
ومصر ملكوا بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما ينطق به قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات أي اللذائذ فما اختلفوا في أمور دينهم حتى جاءهم العلم أي إلا بعد ما جاءهم العلم بقراءة
التوراة وعلمهم بأحكامها أو في أمر محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما علموا صدق نبوته بتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين هم الذين كانوا
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالإثابة والتعذيب فإن كنت
في شك أي شك يسير على سبيل الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لإمكان شيء منهما كيف لا وقد يكون
كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما أنزلنا إليك
من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فإن ذلك محقق عندهم
ثابت في كتبهم حسبما ألقينا إليك والمراد إلزام الحجة على الإيجاب والإسجال عليهم ما لم يكن إليه حاجة أصلا أو وصف أهل الكتاب
بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام أو تهييجه صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام
ولذلك قال عليه السلام لا أشك ولا أسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وأضرابهم
والخطاب للنبي عليه السلام والمراد أمته أو لكل من يسمع أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على أن من خالجته
شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم فاسأل الذين يقرؤون الكتب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه
ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة ... ولما في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه

من لا يتصور إمكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لأطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين أنفسا
وأعمالا إن الذين حقت عليهم شروع في بيان إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال أي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة
المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن
جهنم الآية لا يؤمنون إذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه أي لا يؤمنون إيمانا نافعا واقعا في أوانه فيندرج فيهم المؤمن
عند معاينة العذاب كفرعون وأما عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لدى العقول
لأن سبب إيمانهم هو تعلق إرادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه تعالى مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على سوء استعدادهم
لذلك حتى يروا العذاب الأليم كدأب آل فرعون وأضرابهم فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة إيمان من حقت عليهم
كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم تحق عليه الكلمة لاهتدائهم
إلى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك أي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
إيمانها إلى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها إيمانها بأن يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها إلا قوم يونس
استثناء منقطع أي لكن قوم يونس لما آمنوا أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا بعدما أظلهم وكاد يحل بهم ويجوز أن يكون متصلا لكون الجملة في معنى النفي كما ينبئ عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا إذ المراد بالقرى أهاليها كأنه
قيل ما آمنت طائفة من الأمم العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافا لبيان نفع إيمانهم ويؤيده
قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم إلى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي أن يونس عليه السلام
بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة
وقال لهم يونس عليه السلام أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا
يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم
وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر
وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده إلى صاحبه وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين
لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم
منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض تحقيق لدوران إيمان الكل وجودا
وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا إثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون
مفعولها مضمون الجزاء وأن لا يكون في تعلقها غرابة كما هو المشهور أي لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن كلهم بحيث
لا يشذ عنهم أحد جميعا مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها أساس التكوين والتشريع
وفيه دلالة على أن من شاء الله تعالى إيمانه يؤمن لا محالة أفأنت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع
في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل أربك لا يشاء ذلك فأنت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الإنكار
متوجها إلى ترتيب الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز أن يكون الفاء لترتيب الإنكار على عدم مشيئته تعالى بناء على أن الهمزة
متأخرة في الاعتبار وإنما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وأما ما كان فالمشيئة على الإطلاق إذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم
الإلجاء خاصة في إنكار ترتيبه عليه أو ترتيب الإنكار عليه وإيلاء الاسم حرف الاستفهام إيذان بأن الإكراه أمر ممكن لكن الشأن
في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه
إيذان باعتبار الإلجاء في المشيئة كما أشير إليه وما كان لنفس بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران
الكلي عليها وجودا وعدما أي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى أنها تؤمن أن تؤمن إلا بإذن الله أي بتسهيله
ومنحه الألطاف أو خصصت النفس بمن ذكر لم يجعل من قبيل وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله لأن الاستثناء مفرغ من أعم
الأحوال أي ما كان لنفس أن تؤمن في حال من الأحوال إلا حال كونها ملابسة بإذنه تعالى فلا بد من كون الإيمان مما يؤول إليه حالها كما أن

الموت حال لكل نفس يجب لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان المؤمنين ممن علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال
ومن فيها حي يستثنى بذلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح
المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه او العذاب او الخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي
الكفر وبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او يتهورون بعذاب النكال
والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فيأذن لهم ويجعل الى آخره قل مخاطبا لاولئك بعدما بين لهم
اي ملكوت السموات والارض وما فيهما من عجائب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لكم انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة
انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام في قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة
على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل اسما واحدا مركبا قد علق بالاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز
ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض
وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالياء الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات
والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا ينفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه وما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية في موضع النصب
على المصدرية اي اي غناء تغني الى آخره فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركو مكة وامثالهم الا مثل ايام الذين
خلوا اي الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم
ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى
المبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال
الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك
ونظائره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله تعالى كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول
اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننج المؤمنين
اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع
واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل
لجهة المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأنه ان
ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به
ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد
وللايذان بالمخالفة من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن له الايجاد والاعدام
دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا حقيته
وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم لا يخفى من التهديد مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بانهم بمعزل من
العقل في ذلك الشك فانه لا سبيل الى القطع بعدمها لما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا ازول عنه ابدا
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف
بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون من
باب الحذف كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر
ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول

الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة
في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال
حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكن
منهم اعتقادا ولا عملا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على جملة
من النهي والنهي والاول هو الاولى لان ما بعده من قوله الى آخر الآيتين مسوق لاظهار بعضها من بعض كما ترى لا وجه لادراج الكل تحت
وهو تأكيد بمعنى المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله
استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعا او رفعا
او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن البيان فان فعلت اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني عنه
بالفعل تنويها لشأنه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذن
من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب
النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك الا هو وحده فيثبت عدم كشف
الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه
ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير
فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق
التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع
المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم
الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمسهم لا بطريق القصد الاولي او اريد معنى الفعلين
في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة ليدل
بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ
عنه ترك الاستثناء اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير تعويلا على كونه من باب
وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يابائه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وجل
وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به مقرر لمضمونه والكل من الآخرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة
بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها
ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والعمل بما فيه
فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال
مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء
الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا
او عملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه
عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين الرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والحمد لله سبحانه ومن

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما اشير اليه
في سورة يونس او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب

مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني او لمبتدأ محذوف على الوجوه الاخر
احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت
من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او النسخ بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها
او على جميع ما يشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم
الشرعي خاصة اما عن الفساد والمنع من الفساد اخذا من قولهم احكم الدابة اذا وضع عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام لا يكاد يليق
بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجه المذكور الى آيات الكتاب دون نفس الكتاب
على الوجه الثالث لما لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا
من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي فالتفسير بجعلها آية
آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الذاتية لها فلا يناسب عطفه على الوصف بكلمة التراخي واما المعاني الاول فعلى ان كلا منها لازم
زمانا حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك والفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل لا انها حيث كانت من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكامها المخصوصة ثانيا اعتدادها بها
مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتها عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض من حيث الفصل
الاي [?] ما به استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او تفريقها في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد بها التنجيم بالفعل
فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها
حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت
بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته
من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة للفعلين على تنازعهما للمفعول
ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على المنهج المعهود في اسناد
الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة الدالة على فخامتها وكونها على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه الا تعبدوا
الا الله مفعول له حذف منه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف
حرف الجر مع ان المصدرية كأنه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته
فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل
من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه اي من جهته تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة
غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر من شئون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك
من قبل الله تعالى اورد ما نظم في سلك الغاية الامر بالتوحيد وترك الاشراك به سبحانه ومتمماته اعني الاستغفار والتوبة
ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه مرشحا بالمؤيد من الوعد والوعيد بلا ايذان بان التوحيد
في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر او ايذانا بالخطاب بغير الكتاب مع ما في ذلك من تحقيق نفع الانذار ما علمكم برسالته صلى الله
عليه وسلم كما ان في ذلك الذكر لانفكاك احدهما عن الآخر وعدم رعاية في سوق الخطاب تقديم الانذار على البشارة كما وقع في الكتاب
من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى الا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما
قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على تخصيصه تعالى بالعبادة كأنه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على تركه
عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم منه نذير وبشير او انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وابشركم بثوابه
على تقدير تركه لكم وتوحيدكم وما يشبه اليه واكد ذلك الخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على جهة الانذار والبشارة من شرع في ذكر ما هو حكاية
على وجه تفصيل ما اجمل في وصف البشير الذي قبل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على الا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين
فعلى الاول ان مصدرية والمراد كون فصلها امرا ونهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا او ما هو
دلالة على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف

بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر
والنهي صلة حسبما ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه
عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم
من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او استغفروا من الشرك وتوبوا من المعاصي
وعلى الثاني ان مفسرة اي وقيل انما تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين
وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع واتيان الفضل قوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم
وانتصابه على انه مصدر محذوف منه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا
من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا رضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات
الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع المذكور مجرى التأبيد عادة
او لا يهلككم هلاك الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذا تكملة
لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمه من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب
انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما متع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر متاعا فقيل ويعط كل فاضل
جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة
ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا
على سنن تقدم الرحمة على الغضب ولان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة
ذكره وقرئ تولوا من ولى فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف
بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم لكونه كذلك في نفسه او وصف بما يكون فيه
كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض او يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط الذي اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة
العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف
منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب
وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم محرري الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان
يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام
تمادوا على ما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه
الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض
عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري لكن حيث لم يصلح التولي
سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه اي من الله احتاج الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع
رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق ولا يخفى ان ما ساق
الذهن الى توسيط الارادة من ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كما ساقه الى توسيط الضرب بين الامر وبين الانفلاق
بل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايذانا
بان ظهوره مغن عن ذكره او لتذهب نفس السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور فيدخل فيه ما ذكر من نبوهم عن الحق
الذي ألقي اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها
وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه
وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وكأنما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف

عن حضور مجلسه ﷺ والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء
من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن
تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كاثني الهش من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياض
وادهام وقرئ تثنوي بوزن ترعوي ألا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون
الى فراشهم ويتدثرون ثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني
ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط
سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه
وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكأن علمه بما يسرونه اقدم منه بالعلن ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه
الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ المعظم
باشتغال المحاسبة به ما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه
اولى منه بما يعلنونه غرضهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه
علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة وانما ذكر تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان
واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزهين عن اقتضاء الكتم المبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه
ذلك المسلك مع انه وقع التعبير عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس اي صيغة التفعيل وكلمة الصدور بلام الاستغراق المعبر
عن الضمائر بعنوان صاحبتها من الزاعة لا يصفها الا صفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة
في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق
بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد
وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها في الاصلاب
ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة
بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشأها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية
المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله حيث كانت من اماكنها يسوق اليها ويعلم
موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة
ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بأماكنها في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل
من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين اي ثابت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام
او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدأ فطرتها
الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
السماء في اليومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في
كونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله
ومن يولهم يومئذ دبره اي ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض لا يتصور ذلك حين لا ارض
ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك
بالعدد المعين فامر استأثر بعلمه العليم الخبير جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجزاء مختلفة

الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا
على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث
في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق
السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع
في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب
والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم
فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف
من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع
الملك الخلاق والتدبر في آياته المبثوثة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك
مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل
الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق
فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم
باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية ايذانا بان المراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط
الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة والاكمل الاسباب الراغبة موجب للعمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن
سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما
الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع
البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب لا يخافه من لم يرغب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقائضها والله تعالى اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على وجه قضية الابتلاء لترتب الجزاء المتفرع
على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن
الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة
الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن
لانه ينبئ في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل
هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائم التعبير بالسحر فانه يطلق على شيء موجود ظاهر الاصل لا في الحقيقة والبعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية
الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكأنه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة
من مقدماته وقضية فرد من تتماته لا يتلقونه الا بالرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديقهم بما هو من تتماته
واما من حيث ان البعث خلق جديد فكأنه قيل هو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لحكمة بالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة
اخرى ويبلوهم عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل اي الرسول
على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انكم بمعنى علكم اي لئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء
والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك لا تبتوا القول بانكاره او على انه بجاراتهم في الكلام على نهج المنصف تسليا لهم وارشادا
الى التأمل في امر البعث حيث قرع اسماعهم بت القول بخلاف العقول والقواعد فاباهم من انكار البعث ولكون ذلك ادعى لهم الى التأمل والتدبر
وما قعدوه فالزمهم الله الى ما يكون ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف
عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب
الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان

العذاب قبل ليقولن ما يحبسه أي أي شيء يمنعه من المجيء فكأنه يريده فيمنعه مانع وإنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء كقوله تعالى
ما كانوا به يستهزئون ومرادهم إنكار المجيء والحبس رأسا لا الاعتراف به والاستفسار عن الحابس ألا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا
محبوسا عنهم على معنى أنه لا يرفعه رافع أبدا إذا أريد به عذاب الآخرة أو لا يدفعه عنهم دافع بل هو واقع بهم إن أريد به عذاب الدنيا ويوم
منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل البصريون على جواز تقدم خبر ليس على ليس إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه ورد
بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبأنه قد تقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل
فلا تنهر فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال أبو حيان
وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر
فيأبى فما يزداد إلا لجاجة وكنت أبيا في الخنى لست أقدم وحاق بهم أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزئون أي العذاب الذي كانوا
يستعجلون به استهزاء والتعبير عنه بالموصول للتهويل وإشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله وإحاطته والتعبير عنهما بالماضي
لوروده على عادة الله تعالى في إخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر وتقرر
وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة أي أعطيناه نوعا من نعمة من صحة وأمن وجدة وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها
ثم نزعناها منه أي سلبناه إياها وإيراد النزع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها إنه ليئوس شديد القنوط من روح الله
قطوع رجاءه من عودها وأمثالها عاجلا وآجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف
من النعم وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيره عن وصفهم باليأس مع تقدمه
عليه لرعاية الفواصل على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن إفاضة أمثاله في العاجل وإيصال أجره في الآجل من باب الكفران
للنعم السالفة أيضا ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجد بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة
والنعماء بالذوق المؤذن بلذتها وكونها مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها
وإسناد الأول إلى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى إنما هو إيصال الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون
وأنه إنما يريد بعباده اليسر دون العسر وإنما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كأنما يلاقيهم بغير أثر وأما نزع الرحمة فإنما صدر
بمقتضى الحكمة الداعية إلى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني أي المصائب
التي ساءتني ولن يعتريني بعد أمثالها فإن الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش إنه لفرح
بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الأربع موطئة
للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط إلا الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء سابقا ولاحقا إيمانا بالله واستسلاما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا على آلائه السالفة والآنفة واللام في الإنسان إما للاستغراق والجنس فالاستثناء متصل وإما للعهد فمنقطع أولئك
إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بتلك
الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وإن جلت وأجر ثواب لأعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث
إن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الإجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا
والمعنى أن إذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر لا يهتدي إلى سنن الصواب بل يحيد كما بين عنه إلى مهاوي
الضلال فما يظهر منه حسن عمل إلا من الصابرين الصالحين أو من حيث إن إنكارهم البعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه
قيل إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان تحملهم على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك من الآيات الدالة على حقية نبوتك المنادية
بكونها من عند الله عز وجل لمن له أذن واعية وضائق به صدرك أي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم في أثناء الدعوة والمحاجة
أن يقولوا لأن يقولوا متعامين عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على أحد ممن له أدنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا
أنزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه أو جاء معه ملك يصدقه قال عبد الله بن أمية المخزومي وروي عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا
يا محمد بالملك يشهد بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين
بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوبهم متن المكابرة من كل صعب وذلول مسارعين

إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء أو تثبيتا بحراسة حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات
الساطعة عليهم وتبليغها إليهم فحمل على الحذر منه بما فعل من الإشفاق فقيل إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك
غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ أحوالك وأحوالهم فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه فاعل بهم
ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في أقصى غاية من إصابة المحز أم يقولون افتراه إضراب بأم المنقطعة عن ذكر تركه عليه السلام
بعض ما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم
وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه
وسلم والبارز لما يوحى أي بل أيقولون افتراه وليس من عند الله قل إن كان الأمر كما تقولون فأتوا أنتم أيضا بعشر
سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور أي أمثاله وتوحيده إما باعتبار مماثلة كل واحدة منها أو لأن المطابقة ليست بشرط حتى يوصف
المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا أو للإيماء إلى أن وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية إلى مرتبة الإعجاز
فكأن الجميع واحد مفتريات صفة أخرى لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لأنها الصفة المقصودة بالتكليف إذ بها يظهر عجزهم
وقعودهم عن المعارضة وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وإنما ذكر على نهج المساهلة وإرخاء العنان
ولأنه لو عكس الترتيب لربما توهم أن المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند أنفسكم
إن صح أني اختلقته من عندي فإنكم أقدر على ذلك مني لأنكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والأشعار وحفظتم الوقائع
وزاولتم أساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون
أنها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارسكم الذين تلجئون إلى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق
بادعوا أي متجاوزين الله تعالى إن كنتم صادقين في أني افتريته فإن ذلك يستلزم إمكان الإتيان بمثله وهو أيضا يستلزم قدرتكم عليه
والجواب محذوف دل عليه المذكور فإن لم يستجيبوا لكم أي فإن لم يفعلوا ما كلفتموه من الإتيان بمثله كقوله تعالى فإن لم تفعلوا والخطاب
بالاستجابة إما له صلى الله عليه وسلم على كل أمر من أمره كان أمرهم بالإتيان بمثله قائلا لهم إلى مريده وجمع الضمير في لكم للرسول
عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وإن شئت حرمت النساء سواكم أو له وللمؤمنين لأنهم أتباع له عليه السلام في الأمر بالتحدي وفيه
تنبيه لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وإرشاد إلى أن ذلك
مما يفيد الرسوخ في الإيمان والطمأنينة والإيقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا أي اعلموا حق ظهور عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم
عليها علما يقينا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للإشعار بحط
تلك المراتب بل لارتفاع هذه المرتبة ويتضح منه إيراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فإن تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع
لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك أو اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم أنما أنزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به
بحيث لا يحوم حوله العقول والأفهام مستبدا بخصائص الإعجاز من حسن النظم الرائق والإخبار بالغيب وأن لا إله إلا هو أي واعلموا
أيضا أن لا شريك له في الألوهية وأحكامها لا يقدر على ما يقدر عليه أحد فهل أنتم مسلمون أي مخلصون في الإسلام أو ثابتون عليه
من باب التثبيت والترقي إلى معارج اليقين ويجوز أن يكون خطاب الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وإخلالا تحت الأمر
بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من لجأتم إليهم وعجزوا عن معاونتكم ومعاضدتكم إلى المعارضة والمظاهرة فاعلموا
أن ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر وإيراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة
آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث إنه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم
كأنه قيل فإن لم يستجيبوا لكم عند التجائكم إليهم بعدما اضطررتم إلى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل أو من حيث إن من سميتموهم
أقوى منهم في اعتقادهم فإذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم كان ذلك قبل ظهور عجز أنفسهم لكون عجزهم أظهر وأوضح واعلموا أيضا أن
آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الألوهية وأحكامها فهل أنتم داخلون في الإسلام إذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وبطلان
ما كنتم فيه من الشرك فضلا عن الإذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا أو ثبوتا أو منقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله
تعالى تاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر

وأقنطها من أن يجزيهم آثمهم من تاب الله عن سلطانه فهذا الأول أنسب لما سلف من قوله وضائق به صدرك لما يجيء منه
فلا بد من مرتبة منه وأشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أي ما يزينها ويحسنها من الصحة
والأمن والسعة في الرزق وكثرة الأولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالإرادة ما يحصل عند مباشرة الأعمال لا مجرد الإرادة القلبية
نوف إليهم أعمالهم فيها وإدخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة أصلا وليس المراد
بأعمالهم أعمالهم كلهم فإنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل أحد ينال ما يهواه فإن ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أي لا كل أعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الأجر المذكور بطريق الأجر
من أعمال البر وقد أطلقت وأريد بها ثمراتها أي نوصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرئ توف على الإسناد إلى الله عز
وجل ويوف إليهم على البناء للمفعول ونوف أعمالهم وقرئ بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وإن أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها أي في الحياة الدنيا لا يبخسون أي لا ينقصون وإنما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص
الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيما أوتوه كما عبر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاء الحقوق مع أن أعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك
بناء للأمر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الأعمال ومبالغة في نفي النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم
أصلا والمعنى أنهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات أعمالهم وأجورها نقصا كليا مطلقا ولا يحرمونها حرمانا كليا وأما في الآخرة فلهم الحرمان
المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى أولئك إلى آخره فإنه إشارة إلى المذكورين باعتبار إرادتهم الحياة الدنيا أو باعتبار
توفيتهم أجورهم من غير بخس أو باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في سوء الحال أي أولئك المريدون للحياة الدنيا
وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار لأن هممهم كانت مصروفة إلى الدنيا وأعمالهم
مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة إلا النار وعذابها المخلد
وحبط ما صنعوا فيها أي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة أو حبط ما صنعوه
في الدنيا من أعمال البر إذ شرط الاعتداد بها الإخلاص وباطل أي في نفسه ما كانوا يعملون أي في أثناء تحصيل المطالب الدنيوية
ولأجل أن الأول من شأنه استتباع الثواب والأجر وأن عدمه لعدم مقارنته للإيمان والنية الصحيحة وأن الثاني ليس له جهة صالحة قط
علق بالأول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا بالاسمية
الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الأول إيماء إلى أن صدور أعمال البر منهم وإن كان لغرض فاسد
ليس في الاستمرار والدوام كصدور الأعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيوية وقرئ بطل على الفعل أي ظهر بطلانه حيث علم هناك أن ذلك
وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته أو انقطع أثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ باطلا ما كانوا يعملون على أن ما إبهامية
أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن أنس رضي الله عنه أن المراد بقوله تعالى من كان يريد إلى آخره اليهود والنصارى
إن أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وأنت خبير بأن ذلك مما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم أهل الرياء ممن يعمل أعمال البر
لا لوجه الله تعالى فمعنى هذا الأمر من يعتد به قوله تعالى ليس لهم إلا النار أنه ليس لهم بسبب أعمالهم الريائية إلا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم
الكريم أن المراد مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا أوليا فإنه عز وعلا لما أمرهم صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بأن يزدادوا علما ويقينا بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على شيء أصلا وهيجهم على الثبات على الإسلام والرسوخ
فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة
لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل عن الدلالة عليه لعدم ذلك
ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والإسلام فقيل أفمن كان على بينة من ربه أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية
ما رغب في الثبات عليه من الإسلام وهو القرآن باعتباره أو ببيانه أو بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع إليها في قوله تعالى ويتلوه أي يتبعه
شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الإعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب وكلاهما
وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير خارج عنه على التقدير الأول كون الكلام إشارة إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الإعجاز منه أي من القرآن غير خارج عنه أو من جهة
الله تعالى فإن كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإن ذلك أيضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفمن كل من اتصف بهذه الصفة
الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل أنتم مسلمون دخولا أوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وأضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير منه لله عز وجل أو البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والأولى هو الأول لما أن المراد بتلو الشاهد للبرهان
إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى بعبارة بحيث لا تفارقه في مشهد من المشاهد فإن القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي
يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد وعطف كتاب موسى في قوله عز وعلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه
في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول
لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في شاهد للتفخيم إماما أي مؤتما به في الدين ومقتدى في الرخص
لهذا الوصف يعني جامع الكتاب لا يخفى من تفخيم شأن التلو ورحمة أي نعمة عظيمة على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه
الموافقة للقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب أولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة أي الكون على بينة من الله
ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من مطالب الدين من غير عثور على دقائق الحقائق
يؤمنون به أي يصدقونه حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة
من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا
ليس لهم في الآخرة إلا النار وفي جعلها موعدا إشعار بأن له فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب فلا تك في مرية منه أي شك من أمر
القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به إنه الحق من ربك الذي يربيك في دينك
ودنياك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم وإما لعنادهم واستكبارهم ثم إن قوله تعالى
أفمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لإغناء الحال عن ذكره وتقديره أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم
وبينت مصيرهم ومآلهم يعني أن بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وإيراد الفاء بعد الهمزة لإنكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم
وعدم مبالاتهم كأنه قيل أبعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما ترى يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل والآجل
كما في قوله تعالى أفاتخذتم من دونه أولياء أي أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء وقوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك
من ربك الحق كمن هو أعمى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى يفترون عليه كذبا وهذا وإن كان سبكه على إنكار أن يكون
أظلم منهم من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا إنكار المساواة ونفيها وإفادة أنهم أظلم من كل ظالم كما ينبئ
عنه سياق قوله عز وعلا لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد حتما أنه أكرم من كل كريم
وأفضل من كل فاضل أولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الآية جعلت الغيبة عن إسنادهم
إلى أعمالهم والاكتفاء بإسناده إليهم حسبما يعرضون لأن عرضهم من حيث هم كذلك العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ فإن عرض
العامل بعمله أفظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وإما إلى بطلان رأيهم في اتخاذهم أربابا من دون الله عز وجل ويقول الأشهاد
عند العرض من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه
كأن ذلك أمر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وإنما المحتاج إلى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم
ويجوز أن يكون المراد بالأشهاد الحضار جميع أهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل فقولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذم لهم
لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله تعالى ويقول الأشهاد وظنه لما بعده من قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور وكذا يجوز
أن يكون هذا على الوجه الأول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم حينئذ لظهور ظلمهم وذلك بالخزي على رؤوس الأشهاد
الذين يصدون أي كل من يقدرون على صده يصدون عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا

اى يصفونها بذلك وهو بعيد عن شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال ابغيك خيرا او شرا اى طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم
بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون اى يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها
ويبغون ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتاكيد كفرهم واختصاصهم كان كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم او
مع ما وصف من حالهم الموجبة للتدمير اولئك لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك في الارض
مع سعتها وان يهربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع
اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله فيكون ذلك بيانا لحال
آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تاخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم
للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني
بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب
وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر
سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز وجل وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه
الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم في الآخرة هم الاخسرون
وهذا مذهب سيبويه والثاني ان جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور
خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون وايا ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر حيث انهم اظلم من كل
وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير
فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتحقق بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بمماثلة منهم بمن هو في اعلى
مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم
من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا
ومآلا فقيل ان الذين آمنوا اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله
وانما تحصيل ذلك بسماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي ذلك من الآيات في الانفس والآفاق فعملوا الايمان كما في تعليل منع وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت
كانجد واتهم دخل في تهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان تباين
حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال
والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع اي كحال هؤلاء فهو انهم كذواتهم والكلام ان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى
وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع يكن الا داخلا في المقام والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة
السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو
في قوله تعالى والاصم وفي قوله تعالى والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وايا ما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل هي التي يدور عليها امر التمثيل من الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب
من تشبيه الفريق الاول من مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها
بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وان ما يرجع اليه التركيب هنالك كون الاعمى ظهره
من استعمال النور ... لكل من ابصارهم واسماعهم فما ذكر كما ينبئ المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما ذكر فلا يكون
ليست مشتملة لجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم
في الآخر فان اعتبار ذلك يفضي الى كون التمثيل بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في

في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة من فقد مشعري السمع والبصر فتخبط مسلكه فوقع في مهاوي
الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة
فتشبه بهيئة من له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام
انكاري مقرر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الآية مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا
تذكرون اي أتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار
واردا على المعطوف فقط او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجبه من المثل المضروب كما في قوله
تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان انكار الانقلاب بعد تحقق موجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم او افلا تفعلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح
ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء وما بين فاتحة
السورة الكريمة الى هذا المقام انما هي آيات محكمة الآيات مفصلتها نازلة في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير
من جهته تعالى وفي تضاعيف ذلك ما له دخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من شواهد الحق الدالة
على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول عليه السلام عما عراه من ضيق الصدر العارض من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن
سحرا او افترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع سبك شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر
قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتاكد ذلك بطريقين احدهما ان امرهم من التوحيد وفروعه
مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك بما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام ويتسلى بما
من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف قد
ابدا لا ... كما في سورة الاعراف لسلامة الجمع ... واللام الابتدائية قد لا تنافي التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع
بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام
على رأس اربعين من عمره ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث
وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة فمكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار
حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا ترى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا بل لانهم لم يغتنموا مغتنم البشارة عليه السلام مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان
الانذار اعلام المحذور لا مجرد التخويف والازعاج بل التحرز منه فيتعلق صفته بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان
ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان معنى ... اخواله عليه السلام
كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ثم لعل ذلك في صدر الشيء لئلا تفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس منه او هي مفسرة
متعلقة او بنذير او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتحقيق للانذار والمراد
يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة في معناها ما قاله عليه السلام
في اثناء الدعوة على ما عرفت لا انها مما صدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم ملك المدة المتطاولة على ما ينطق به قوله تعالى
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر يعني جوابهم المتعرض للاول
المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعدما بلغ التي بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم
من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق له لانهم ملؤوا بكفايات الامور او لانهم ملؤوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملؤوا باحلام وآراء
صائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت
الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بادعاء النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان ذلك محسوس ولكن لا نراه كذا الحالي قولهم وما

وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي فالفعلان من رؤية العين وتوارد الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الانسب فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي بالاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فما سلكوا وتعرضوا من اول الامر الى المتبعين فكان قولهم وما نراك جوابا عما يرد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث ان له لا لا نبوة واختصاص امر له عن غيره وطلب ذكر غير ان هو الا اراذلنا اي اخساؤنا واداننا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالاكلب والكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأه ابو عمرو بها نصبا على الظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم هنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق عنادا لهم السابق اللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعاكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة آرائهم المذكورة ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده نبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوحد الضمير في قوله تعالى فعميت عليكم حينئذ ظاهر اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لان خفاءها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر ابتداء ومعنى عميت اخفيت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ ابو عمرو باختلاس حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي الى آخره لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفصل بين افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا يناله الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبهتهم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة ويا قوم لا اسألكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسبته اليهم بالمال لا يخفى من المزية وما انا

بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كأنه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوا ربهم لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا الانكار يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة المؤمنين وما قالوا ان ايمانهم مبني على ظاهر الرأي بل الذي يرجح عند السائل كانهم قالوا انهم يتبعونك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه بتعسف لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم الغضب كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعمهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تسفهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول غضبه عني ان طردتهم فان ذلك امر لا يكون لطردهم ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لاسيما عند ذوي ملاحظة من زاد الله تعالى من تدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى افلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعيت النبوة عندي خزائن الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل من ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي ولا ادعي وفي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي الحالي لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة كما تقولون للذين تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتستهينهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم للنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وانما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم لما فعلوا ذلك اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خير الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يتمسك به الكفرة ولا مما يتوهم صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من حيث ان كلا من النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات ان العثور على مكان ذلك اغتنام منهم بما لسنتهم من ذاك الاراذل فاجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من موجبات النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما قصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهدى بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس على بينة ظاهرة اني اذا اي اذ قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل ان قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان نفي تلك الاقوال بمعزل عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيت بانواعه فان اكثار الجدال تحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت كثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله لما تحيروا عليه السلام وابرز لهم حجبات

واضح الدلائل وحجج تتلقاها العقول بالقبول والقمتهم الحجر ورد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا
من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت
من الصادقين فيما تقول قال انما يأتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما دخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله
الذي كفرتم به وعصيتموه وانما يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق مشيته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه امر خارج عن دائرة
القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب او المدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة
جامعة لكل ما يدور عليه الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموقع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم
شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله ان كان
الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون
من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط
الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
حسبما عبر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم الحجج والتبكيت لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق
النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى السبيل المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند
ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة
بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة
في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقق ذلك
وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمها رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق
بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء اذ عليهم من اول الامر وتنجيزا لحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب
بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس
رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان
افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اثمه ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسره الاولون باثامي
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ومعناه بل يقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا
لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامع الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة
وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام
من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانهم وهذا الاستثناء
على طريقة قوله تعالى الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب
والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا
وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها
وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب
اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام للعهد فيحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق
وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره تعالى ومن شأنه كيت وكيت اسمه كذا وكذا وروي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت
من خشب الساج وجعلها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى
جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى
الطير وقيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع

وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا
من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض
التراب عن رأسه قد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا ولكني مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال
حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني في دفع
ما يوجب بسبقه الكلمة عليهم فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم
الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره
واخذ يصنع الفلك اي اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الكلمة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله
وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمل السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا
من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية يهماء في ابعد موضع من الماء في وقت عزته شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون
يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من
المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع
ما فيه من تحمل المشاق التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر
منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا
او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض للجمع في قوله تعالى فانا نسخر
منكم فالكلام من المجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام لكن
تصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحسنة وانما اظهره جزاء ما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة متجددة حسب
تجدد مرورهم به ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل وقال ان تسخروا منا بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف
فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي تستجهلونا فيما نحن بصدده من التأهب
والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الحين وتسخروا منا لاجل ذلك فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان
والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا كما
عز وجل كما تسخرون اي مثل سخريتكم في التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عنكم لا في الكيفية والاحوال التي لا تليق
صلى الله عليه وسلم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الآخرة ولعل مراده معاملتكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا يساعده لا ما قاله ولا
يناسب ملاءمة السخرية او المجرى مجراها فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل
عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون
وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة
المشاق والمعاناة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في عمل السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد
استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشرته ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب وعداء العلم بعد
استجهالهم وسخريتهم ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم
في السياق لتخصيصه بالمؤجل وارادة الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية
وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه او سخروا منه جواب كلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه
وجعل هو الجواب وسخروا منه بدلا من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في اذاه عليه السلام وتحمله لاذيتهم
لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها
والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء

اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق
العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام
يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لابد منه في الارض
زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل
اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى
الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله
اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر فانما دخل
باختياره فخف فيه معنى الحمل او لانهما انما تحمل بمباشرة البشر وهم انما دخلوا الفلك بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين
او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل
ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام
فيما سبق نافعا لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم
وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز وجل وما
آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا
انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون
بعضهم رجال وبعضهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ
عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج
او ادخلها الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كانه قيل فماذا فعل فقيل وقال اركبوا فيها والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه
واستعماله هنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام حمل الوحوش ونظائرها
في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب
العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركب الفرس
وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركب في السفينة وعليه الآية
الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله
اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على ان كلا منهما
اسم زمان او مصدر كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول
ان يكون بسم الله مجريها واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورين على انهما صفتان لله عز وجل ومجراها
بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه
الطامة والداهية العامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على
رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال
وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فلعل الجريان انما هو قبل ان
يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى
بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابناه وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته

وكان ربيبه ما قال من انه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله
تعالى عليهم اجل وارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ
حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من نجاته يأس بعد وكان في معزل اي مكان
عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد
عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الا انه
لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول
نصا في كونه داخلا فيه بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من الياء
وقرئ بكسرها اقتصارا عليه من ياء الاضافة في قولك يا بني او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا
قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام
حال الحرض دون التعريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين
وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب كونه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر
قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى
منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء
الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما يطابق كلامه
ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه فيفيد النفي المؤكد اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم
اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيها داع ولا مجيب اي احد من الناس
ليدل على نفي كون الجبل عاصما بالوجه البرهاني وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة
التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل
اذا جاء امرنا تفخيما لشأنه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب
المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم
من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير والاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها
على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل
بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل
لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة او بين ابنه وبين الجبل لقوله
فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان اريد
منه بين الملتجئ الى الموج وهذه لا دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان
دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس
كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعدما
عبر عنه بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلع
السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد
الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت اي استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام
او بآمد روي انه عليه السلام ركب في الفلك عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا وصار سنة وقيل بعدا
للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك
فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى امائل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب

ونادى نوح ربه أي أراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني إنجاءهم في ضمن الأمر
بحملهم في الفلك أو النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الإجمال وإن وعدك الحق أي وعدك ذلك أو إن كل وعد تعده حق
لا يتطرق إليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا أوليا وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلمهم وأعدلهم أو أنت أكثر حكمة من ذوي الحكم
على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء أيوب عليه السلام إذ نادى ربه أني مسني الضر
وأنت أرحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام تذكرة لما وعد جل ذكره مبنيا على كون كنعان من أهله نفى أولا
كونه منهم بقوله تعالى إنه ليس من أهلك أي ليس منهم أصلا لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر
أو ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس من الذين وعد بإنجائهم ثم علل عدم
كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله تعالى إنه عمل غير صالح أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول
الخنساء فإنما هي إقبال وإدبار وإيثار غير صالح على فاسد إما لأن الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون
نصا فيما هو من قبيل الفساد المحض كالكفر والمظالم وإما للتلويح بأن نجاة من نجا من أهله لصلاحهم … وقرئ إنه عمل غير صالح أي عمل عملا
ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي
عن سؤال الإنجاء إلا أنه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا أوليا فقيل فلا تسألن أي إذا وقفت على جلية الحال فلا
تسألن ما ليس لك به علم أي مطلبا لا تعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول
للسؤال أو طلبا لا تعلم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل ما علم من
شأنه الحال ويجوز أن يكون المعنى ليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال ما علم فساده
بالطريق الأولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في أن نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا
عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بإنجاء أهله وهو منهم كما قيل فإن النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة إذ عدم العلم داع إلى الاستفسار
عنه لا إلى تركه بل هو دعاء منه لإنجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريبه إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريبها إليه
أو بإنجائه في قلة الجبل وإباؤه … الدعاء فإنه مخصوص بالإنجاء في الفلك وقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله تعالى إياه برحمته وقد وعد بإنجاء أهله ولم يكن
تجاهره بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام أن يدعوه إلى الفلك أو يدعو ربه لإنجائه واعتزاله عليه السلام وقصده الالتجاء
إلى الجبل ليس بنص في الإصرار على الكفر لظهور جواز ذلك لكيلا يختص الناجي بالفلك زعما منه أن الجبل أيضا يجري مجراه أو لكراهته
الاجتماع في الفلك بل قوله سآوي إلى جبل يعصمني من الماء بعدما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في إيمانه
حيث لم يقل أكون معهم أو سآوي إليهم فإن إفراده نفسه بسبب العصمة المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله
عنهم واستثناره بعض ما أمره به نوح عليه السلام إلا أنه عليه السلام لو تأمل شأنه حق التأمل واعتزاله عنهم واستثناره بعض ما أمره بعض
عن أحواله كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله لذلك قيل إني أعظك أن تكون من الجاهلين
فعبر عن ترك الأولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب إني أعوذ بك أن أسألك أي
أطلب منك من بعد ما ليس لي به علم أي مطلوبا لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة أو طلبا لا أعلم أنه صواب أو غير صواب على أنه
توبة منه عليه السلام مما وقع منه … أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة وإظهار الرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى
وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك أن أسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا لا محيص منه إلا بالعوذ بالله تعالى
وإن قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك وإلا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي أكن
من الخاسرين أعمالا بسبب ذلك فإن الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء
والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي … شأنه أنه عمل غير صالح والتضرع إلى الله تعالى في أمره معاملة غير … خسران
مبين … ذكره هذه الآية … الأمر الوارد على الأرض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الأمر واستواء الفلك على الجودي
والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أنه … من المغرقين حسبما وقع في الخارج … الدعاء بالإنجاء

لا بعد

لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم في الأمور الدينية
إلا بعد البعض فيتساءلون بما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الأمر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو أول القصة كان حقها أن يقال وإذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما في موضع من تفسير … للدلالة على كمال سوء حال اليهود … تعداد
المشية وتعداد التقريع عليهم كل نوع نوع على حدة فقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية لتقريعهم على الاستهزاء
وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى وإذ قتلتم نفسا إلى آخره للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الأمور العظيمة ولو قصت
القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن أن المجموع تقريع واحد وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة
أصلا وذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية إلى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع أيضا بل لأن
ذكر هذا النداء كما ترى مستتبع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها إلى ذكر قبولها في ضمن الأمر
الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاقد آخذ بعضها
بحجزة بعض بحيث لا يكاد تفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وأن ذلك إنما يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام
الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر ما قبل هذا النداء وذلك إنما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن
موقع الإيجاز البليغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الأمر إلى أن يرد قوله إنه ليس من أهلك إلى آخره لئلا يتوهم أنه عليه السلام
معترض على هلاكه من أول الأمر وذكر الأمر الوارد على الأرض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الإرادة الربانية الأزلية بما ذكر من الغيض
والإقلاع وبين نوع أمر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك
على الجودي فقضت العصا … هذه المرتبة ومن ذلك أي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته
فذكر بعده توبته عليه السلام وقبولها بقوله قيل يا نوح اهبط أي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره
كائنة منا أو بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك أي خيرات نامية مستتبعة لما يقوم
معايشهم من أنواع الأرزاق وقرئ بركة وهذا إعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
أنواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى أمم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الأمم المؤمنة المتسلسلة
منهم إلى يوم القيامة وأمم سنمتعهم أي وممن معك أمم سنمتعهم على أنه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه لأن إيراد الأمم المباركة عليهم المتشعبة
منهم يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما عليه مباركا عليه بل منهم أمم ممتعون في الدنيا
معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وإنما يفهم ذلك من كونهم مع نوح
عليه السلام ومن كون ذرياتهم كذلك لأنه النص ويجوز أن يكون من بيانية أي على أمم هم الذين معك وإنما سموا أمما لأنهم أمم
متحزبة وجماعات متفرقة أو لأن جميع الأمم إنما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالأمم المشار إليهم في قوله تعالى وأمم سنمتعهم بعض الأمم
المتشعبة منهم وهي الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيامة بعد الأمم المؤمنة الناشئة منهم سكت عن التعرض له لأنه يدل عليه
مع ذلك قوله تعالى لأنه المذكور على خبره المحذوف فالأنسب من المذكورة بأنه المحذوف تتعلقه ابتدائية فتأمل ثم يمسهم منا في الآخرة
أو في الدنيا أيضا منا عذاب أليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع
والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وما فيها
بتقضيها في حكم البعيد للدلالة على بعد منزلتها أي تلك القصة من أنباء الغيب أي من جنسها أي ليست من قبيل سائر
الأنباء بل نوع متفرد منها … نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك أو هو الخبر ومن أنباء
متعلق به والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة أو حال من أنباء أي موحاة إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك خبر آخر
أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا أي من قبل إيحائنا إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي
أو من قبل هذا الوقت أو حال من الهاء في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه
السلام لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف بواحد منهم فاصبر متفرع على الإيحاء والعلم المستفاد منه

المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي إذ قد أوحينا إليك وعلمتها فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة
وأذية قومك كما صبر نوح على ما سمعه من أنواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر إلى ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك
إن العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه وذلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للأمر بالصبر فإن كون العاقبة الحسنى للمتقين مما يقوي رجاء المتقي والمؤمنون كلهم متقون كما سيأتي
السلام ويهون عليه الخطوب بسبب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير أن يراد بالتقوى الدرجة الأولى منها أي التوقي من العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى ويجوز أن يراد الدرجة الثالثة منها وهي أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه
وهي التقوى الحقيقي المطلق بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فإن التقوى بهذا المعنى مشتمل على الصبر المذكور كما قيل فاصبر فإن العاقبة للصابرين
وإلى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى أخاهم أي وأرسلنا
إلى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب كقولهم يا أخا العرب … على المتقدم … للتحرز عن الإضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل
المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا قد مر في سورة الأعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لأخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فإنه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل
منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه قال لما كان ذكر إرساله عليه السلام إليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم
إليه أجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله أي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من إله غيره فإنه استئناف يجري
مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم من إله سواه وغير بالرفع
صفة لإله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه إن أنتم ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء له أو بقولكم إن الله أمرنا بعبادتها إلا مفترون
على الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني خاطب كل نبي قومه إزاحة لما عسى يتوهمونه …
للنصيحة فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وإيراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من جناب الله
تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى إلا بالجريان على موجب أمره الغالب … عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الأجر أفلا تعقلون أي
عن هذه النصيحة إلا تتفكرون فيها فلا تعقلون أو أتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا أصلا فإن … لا يخفى على أحد من العقلاء
ويا قوم استغفروا ربكم أي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالإيمان والطاعة ثم توبوا إليه أي توسلوا إليه بالتوبة والتائب
من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء أي المطر عليكم مدرارا أي كثير الدر ويزدكم قوة
مضافة ومنضمة إلى قوتكم أي يضاعفها لكم وإنما رغبهم بكثرة المطر لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر
وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل على الإيمان والتوبة ولا تتولوا أي لا تعرضوا
عما دعوتكم إليه مجرمين مصرين على ما أنتم عليه من الإجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة أي بحجة تدل على صحة دعواك إنما قالوه لفرط
عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الغاية … وما نحن بتاركي آلهتنا أي بتاركي عبادتها عن قولك أي صادرين
عنه أي صادرين تركها عن ذلك بإسناد حال الوصف إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية لا يفيده
اللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الأعراف أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين أي بمصدقين
في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما أمرهم به من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى
إن نقول إلا اعتراك أي ما نقول إلا قولنا اعتراك أي أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك إياها وصدك عن عبادتها
وحطك لها عن رتبة الألوهية والمعبودية بأنه من قولك ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كأنهم لم يبالغوا
كأنهم … نسبة ذلك إلى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول إلا لغو لأن الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن
بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فإن اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوه وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعدم
… فضلا عن التصديق … بمقتضاه يعنون أنا لا نعتقد كلامك … الصدق والكذب من الهذيان …
عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه لقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد إلى سبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث أخبروا أولا بعدم
مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وإن لم تكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال لقوله عليه السلام

بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع إمكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له بقولهم وما نحن لك
بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يحتمل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة بالمرة حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله أنى يؤفكون قال إني
أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه أي من إشراككم من دونه أي من غير أن ينزل به سلطانا كما قال في سورة
الأعراف أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أو مما تشركون من آلهة غير الله أجاب به عن مقالتهم الحمقاء
المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر أو ينفع وأنها بمعزل عن ذلك لما كان … وقع أو لأنه عليه السلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الإلهية
إنما وقع في ضمن الأمر بعبادة الله تعالى واختصاصها به وقد شق عليهم ذلك غاية ما يورث شيئا حتى زعموا أنها تصيبه عليه السلام بسوء
مجازاة لصنيعه بما صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث أخبر براءته عنها بالجملة الاسمية المصدرة وأشهد الله تعالى على ذلك وأمرهم
بأن يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم وأمرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما … بقولهم بعض آلهتنا
والتعاون في إيصال الكيد إليه عليه السلام ونهاهم عن الإنظار والإمهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون أي إن صح ما لوحتم
به من كون آلهتكم مما يقدر على إضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فإني بريء منها فكونوا أنتم معها جميعا وباشروا كيدي
ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالمعنى ترتيب الأمر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من أعظم المعجزات فإنه عليه السلام
كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقر آلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي
المعاداة والمضارة وحثهم على التصدي لأسباب المغالبة والمعارضة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا
بينا كيف لا وقد التجأ إلى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال إني توكلت على الله ربي وربكم يعني أنكم وإن بذلتم في مضارتي
مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فإني متوكل على الله تعالى وإنما جيء بلفظ الماضي لكونه أدل على الإنشاء المناسب للمقام
وهو … بكلائي وحفظي من غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر إلا بإرادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة
إلا هو آخذ بناصيتها أي إلا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فإن الأخذ بالناصية تمثيل لذلك إن ربي
على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على إضراره أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي إذ لا يضيع عنده
معتصم ولا يفوته ظالم والاقتصار على إضافة الرب إلى نفسه إما بطريق الاكتفاء لظهور المراد وإما لأن ما ذكر من كونه تعالى على الحق إنما يظهر أثره
إليه عليه السلام فإن تولوا أي تتولوا بحذف إحدى التاءين أي إن تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والإعراض فقد أبلغتكم ما أرسلت
به إليكم أي لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأبيتم إلا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم
استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم وأموالهم قوما آخرين أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كأنه قيل فإن تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي إضافة الرب
إليه عليه السلام رمز إلى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم
ويستخلف أسقط منه النون إن ربي على كل شيء حفيظ أي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول
على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء أمرنا أي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالأمر مضافا إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله
بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل أو ورود أمرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا أربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة
منا وهي الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق والهداية إليه ونجيناهم من عذاب غليظ أي كانت تلك النجاة نجاة من عذاب غليظ
وهي السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطعهم إربا إربا وقيل أريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب
أغلظ منه وأشد وهذه التنجية وإن لم تكن مقيدة بمجيء الأمر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم
فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم جحدوا
بآيات ربهم كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم
وإظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق
بين أحد من رسله ويجوز أن يراد بالرسل … هود وغيره من الأنبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جمع الآيات
وما تأخر من قوله تعالى واتبعوا أمر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسل فكأنه قيل عصوا

كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع
للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء عنيد فعيل من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان واطاعوا
من دعاهم الى الكفر الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية
للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وان ذهبوا الى كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا
ذلك لعنة جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها
وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال اتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة اذ ليس فيها اختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة
الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم حملا على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا
دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد
للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء
الى ان الاستحقاق للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله
تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم
من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود والكلام في الاخبار بارساله اليهم
لانه يقال ماذا قال لهم حين ارسل اليهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وقيل ذلك بقوله ما لكم من اله
غيره ثم زيد فيما يحثهم على الايمان والتوحيد ويحملهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها
لا غيره فان خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر ان خلقه عليه السلام لم تكن مقصورة
على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذريته الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشاء
مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء للجميع من الارض فتدبر واستعمركم من العمر اي عمركم واستبقاكم
فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان
داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل
ان ربي قريب اي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم
الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر العلة المتأخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا
في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه
قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او من هذا الوقت كأنهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك
ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ مرجوا بالمد والهمز اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي عبدوه والعدول
الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة
مريب اي موقع في الريبة من ارابه اي اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايا ما كان فالاسناد
مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة
من ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه من جهته رحمة هي النبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك
اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار
لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ان عصيته اي بالمسامحة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد واحق عليه اللوم
نصرته او على ما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي لما هي عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا الى ان نعبد واذ لم يكن فيه الا الخسران

حتى يزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعرضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون
غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم
من الانكار على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله
الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق
نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو اخرت لكانت
صفة لها ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية فذروها خلوها وشأنها تأكل
في ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لزيادة استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها
ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة وذكر السوء اي لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طالبوه
ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء تخترج جوفاء وبراء فقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت
ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم
ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا
حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق
عليهم ذلك فعقروها عقرها قدار بن سالف وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا
اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها
فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد ما فيه من معنى البعد للتفخيم وعد غير مكذوب
اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كأن الواعد قال له اني بك فان وفى به
صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل
نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين
الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر
العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب
المضاف البناء من المضاف اليه وهو في المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بنجاة الاولياء
لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرا اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها
صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت
عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي في بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين
موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى
ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار
وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأنهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم
والجملة في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه

ابو بكر منادى فى النجم و قرا حفص منادى فى الفرقان و العنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق اجرائهم تقبيحا لهم و تعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد و الهلاك فى قوله تعالى الا بعدا لثمود و قرا الكسائى بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبرئيل و ملكان عليهم السلام و قيل هم جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل عليهم السلام و قال الكلبى كانوا تسعة و عن محمد بن كعب جبرئيل و معه سبعة و عن السدى احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم و عن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا عليهم السلام انما اسند اليهم مطلق المجئ بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط و انما جاؤه لاجل البشرى و لما كان المقصود فى السورة الكريمة ذكر صنيع الامم الخالية مع الرسل المرسلة اليهم و لحوق العذاب بسبب ذلك لم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن لحقهم العذاب بل الحق بقوم لوط منهم خاصة فغير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا و الى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل و الى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اى متلبسين بها قيل هى مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الآية و قوله تعالى و بشرناه بغلام حليم و قوله و بشروه بغلام عليم و بالبشارة بعدم الضرر لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع و جاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتى و قيل هى البشارة بهلاك قوم لوط و يأباه مجادلته عليه السلام فيهم الا ان يراد انها ابشر بالولد و سيعرف سر تفرع المجادلة على ذلك فلما كان الاخبار عنهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بهم فقالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اى سلمنا او نسلم عليك سلاما و يجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اى عليكم سلام او سلام عليكم حياهم بتحية احسن من تحيتهم و قرأ حمزة و الكسائى سلم قال سلاما و عنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اى ابراهيم ان جاء بعجل اى فى المجئ به او ما ابطأ مجيئه بعجل حنيذ اى مشوى بالرضف فى الاخدود و قيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اى انكرهم يقال نكره و انكره و استنكره بمعنى و انما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف و لم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير و قيل انهم كانوا ينكتون بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم و لا تصل اليه ايديهم و هذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور و اما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم و انما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون و اوجس منهم اى احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره ينالهم او لتعذيب قومه و انما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم و تحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف قالوه بمجرد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالة له منه لا بعد اظهاره عليه السلام له كما قال تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون لم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استئناف فى معنى التعليل للنهى المذكور كان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنه من الخوف اى ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة لا اليك لكن كان فى قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح فى انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام و قد ادرج الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما يقتضيه المقام و الجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه و هى قائمة تسمع مقالهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الخبث او بهما جميعا و قيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم و قيل ضحكت حاضت و منه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها و هو بعيد و قرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اى عقبناه سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا و من وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اى و وهبنا من وراء اسحق يعقوب و قرئ بالرفع على الابتداء و خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود و كلا الاسمين داخل فى البشارة كيحيى او واقع فى الحكاية بعد ان ولدت بذلك و توجيه البشارة اليها مع ان الاصل فى ذلك ابراهيم عليه السلام و قد وجهت اليه حيث قيل و بشرناه بغلام حليم و بشروه بغلام عليم للايذان بان البشر يكون منها و لكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف وقع جوابا عن سؤال من سأل و قال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزى ثم شاع فى كل امر فظيع و الالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يا لهفا و يا عجبا و قرأ الحسن على الاصل و امالها ابو عمرو و عاصم فى رواية و معناه يا ويلتى احضرى فهذا اوان حضورك و قيل هى الف الندبة و يوقف عليها بهاء السكت أألد و انا عجوز بنت تسعين او تسع و تسعين سنة و هذا الذى هو بعلى

اى زوجى و اصل البعل القائم بالامر شيخا و كان ابن مائة و عشرين سنة و نصبه على الحال و العامل معنى الاشارة و قرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ او هو خبر بعد خبر او هو الخبر و بعلى بدل من اسم الاشارة او بيان له و كلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير فى أألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد و تعليله اى أألد و كلانا على حالة منافية لذلك و انما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام و لان البشارة متوجهة اليها صريحا و لان العكس فى البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام و فيه ما لا يخفى من المحذور و اقتصارها فى الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستتبع و اما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اى ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده و هذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقى و مقصدها استعظام نعمة الله عز و جل عليها فى ضمن الاستعجاب العادى لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته تعالى قالوا اتعجبين من امر الله اى قدرته و حكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة فى بيت النبوة و مهبط الوحى و الآيات و مظهر المعجزات و الامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر و لا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية و لطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما اهل بيت النبوة التى ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس ان تسبح الله تعالى و تحمده و تمجده و الى ذلك اشار بقوله تعالى رحمة الله التى وسعت كل شئ و استتبعت كل خير و انما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها و بركاته اى خيراته النامية المتكاثرة فى كل باب التى من جملتها هبة الاولاد و قيل الرحمة النبوة و البركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم و كلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن و صرف الخطاب من صيغة الواحدة الى الجمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا لكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها و الجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل اياك و التعجب فان الله تعالى قادر على كل شئ و انتم اهل بيت النبوة و الكرامة و الزلفى خصكم بالطاف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شئ و بركاته اى خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير و الاحسان الى عباده و الجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله و بركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى ما اوجس منهم من الخيفة و اطمأن قلبه بعرفانهم و عرفان سبب مجيئهم و الفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انقضائها بما ليس اجنبيا من كل وجه له دخل تام فى الاسباب و تأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان ما حقه التقديم متى اخر تبقى النفس مستشرفة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن و جاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف و مجئ البشرى لمجادلته المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا فى قوم لوط اى جادل رسلنا فى شأنهم عدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او لطعن يجادلنا فى ظاهره و اما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمهما فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة طمأنينة قلبه بسلامته و سلامة اهله كافة و مجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه و اهله الا امرأته و ترتيب الكلام انه لما علم عليه السلام انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط حصل ذهاب الروع عن نفسه لكن لم يقدر على مجادلتهم فى شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شرف اتيانهم و قومه يكلفونه فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه و على كافة من الى من حولهم قوم لوط و لا ريب فى تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف و اما الذى هو عليه السلام بعده النهى عن الخوف فهو خوفه على قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فافهم و الله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب و التأسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى و المقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر منه من المجادلة يا ابراهيم اى قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اى الشأن قد جاء امر ربك اى قدره الجارى على وفق قضائه الازلى الذى هو عبارة عن الارادة الازلية و العناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء فى اوقاتها و هو المعبر عنه بالقدر و انهم آتيهم عذاب غير مردود

لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرها ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط عليهم السلام وبين القريتين
اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه فيعجز
عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم
لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا
يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم
قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال
فيه وصل ضائق عرفه اي احداث وذكر الذرع مثل ومؤنث اكا قدر البدن مجازا اي ان من ضاق قدره من احتمال ما وقع والذرع
اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مصدر بمعنى ضيق الذرع في قوله تعالى وضاق بهم ذرعا قصر ما كان يمتد بها وبسطها
ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مد يده لا يتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت
طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون
اليه اي يسرعون كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال منهم وكذا قوله ومن قبل اي من قبل ذلك الوقت
كانوا يعملون السيئات اي جاءوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات الفواحش فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها
ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل
ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه
من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل
وانما كان بعد ارادته وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان
مبالغة في التواضع لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه
على مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب لقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل
اخزاؤه او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن الباطل القبيح
قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول الكلام لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري وانك لتعلم ما نريد
من اتيان الذكران وما يبس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لو قويت بنفسي على دفعكم
وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او كلم به الموتى او آوي الى ركن شديد عطف على ان لي بكم قوة لما فيه
من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او آويت الى ناصر عزيز يمنعني منكم شبهه بركن الجبل في الشدة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد روي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا
الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام رب العزة جل
جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم
فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة
فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار
المؤذن به والامر الثاني من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف او لا ينظر الى
احد ما وراءه من اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما نزل بقومهم
من العذاب فيرقوا لهم الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك
وقرئ بالرفع على البدل من احد فالا لتقابل ينبغي ان يحمل على الحلف لئلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان

فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مأمور بالاسراء بها والرفع كونه مأمورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها
معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما روي انه عليه السلام لما سرى بها تبعتهم
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام من غير امر بذلك وموجب النصب
انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام
بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي توجه الامر على العموم فيكون الاسراء بها مأمورا
قطعا وفي حمل الاستثناء في احدى القراءتين على الاستثناء منه في الاخرى على التضييع مع انه لا يخلو من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه
من المناقضة فالاوجه حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان من
قرأه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل لا يجدون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو
امطار الحجر وان لم يصبها الخسف العكسي ولذلك قال تعالى مصيبها وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي
هو ضمير الشأن ولا يخفى ما فيه من تعظيم شأن ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد
عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تأكيد للتعليل فان
قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد
اسرع من ذلك فقالوا ذلك انما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون
ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي
عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول
للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان كان العكس ادخل في تهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم
سافلها اشد عليهم من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسند الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتعظيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا
عليها على اهل المدائن او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل
من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم
به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب او نضد في الارسال بعضه بعضا كقطر
الامطار مسومة معلمة للعذاب او معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك
في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره سبحانه وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب
ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة
يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد
او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها
بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اي اولاد
مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم شعيبا
وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم
صالحا اي ارسلنا الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل
قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره
تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترك ما تعاطوه
من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي يتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس اي لكم

اراكم بخير اى بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على الناس
شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقب بعلة اخرى على قوله عز وجل واني اخاف
عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله
من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي
وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه كما اذا احاط
بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال
والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه
لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس
بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم اى شيئا من اشيائهم وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار
والامر بايفائه اهتماما بشأنه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان
الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض
مفسدين فان العثي يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كأخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى
افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج
ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم
ومصالح دينكم بقيت الله اى ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء
منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كما قال تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها
باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله عز وعلا والباقيات
الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها
وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك جهدا او ما انا بحافظ يستبقي عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من
التصنع قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا به امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى
وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام وقصدوا بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الآمر
بذلك حتى ادعوا ان لا آمر به من العقل ايضا اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء
اصلاتك التي هي من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تأمرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مأمورا
مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان
يعلمهم انه مأمور بتبليغه اليهم وتخصيصهم اسناد الامر الى الصلاة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا
اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء
جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اى او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء
والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرك اى اصلاتك تأمرك ان نفعل نحن في اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على
ما على قول يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان
ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم اما لو قيل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام
اياهم وامره بذلك والمعنى اصلاتك تأمرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى اصلاتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك
ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلاة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام الامر
بما يدل على ذلك ويوهمه اى ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اى وان نفعل نحن في اموالنا عند المعاملة
ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه

بضدهما كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكر على معنى انك لانت
الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلاة الدين كما قيل قال يا قوم ارأيتم
ان كنت على بينة اى حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه
غير مستند الى سند من ربي ومالك امري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينة والحجة لاعتبار حال
المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكر في نظائره ورزقني منه من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر
بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى
الكلام اى اتقولون في شأني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل
ما لا ينبغي ان يعتد به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امركم به من التوحيد وترك عبادة
الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به العقل ويقتضيه الحكمة وانما امرني به صلاتي التي هي من احكام الوسوسة
والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك امري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني ذلك رزقا
حسنا اتقولون في شأني وشأن افعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق والسياق والنظم الكريم
واما ما قيل من ان المحذوف أيصح ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالف امره ونهيه فبمعزل من ذلك انما يناسب ذلك ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلاة الدين على معنى
ودينك يأمرك ان تكلفنا بترك عبادة الاوثان وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا في ذلك ليس عصيانا وهذا مما لا ينبغي
ان يصدر عنك فانك المشتهر بالحلم الفاضل والرشد الكامل فينا كما كان قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مستدلا على ذلك
النمط فاجيبوا اما جوابه عليه السلام على الوجه ان يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني ان كنت من عند الله
عز وجل مالا حلالا استغني به عن العائل ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما اريد ان اخالفكم
من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى اقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اى ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم
بالنصيحة والموعظة ما استطعت اى مقدار ما استطعته من الاصلاح وللتقييد للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح الجملي لا عن ارادة
ما ليس في وسعه وما توفيقي اى كوني موفقا لتحقيق ما انحوه من اصلاحكم الا بالله اى بتأييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق
مستند اليه تعالى وانما انا من مبادئه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة اليه من استبداده
بذلك عليه توكلت اى في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
بمعزل من رتبة الاستمداد به والاستعانة اليه واليه انيب اى ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا لاصابة
الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم والانابة اى عليه اقبل بشراشر نفسي
في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى
ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب
الله عز وجل والاستعانة في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله
تعالى للجزاء الكامل فلان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء وما فيه ويا قوم لا يجرمنكم
اى لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلها ان احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر
ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اى لا يكسبنكم معاداتكم لي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود
من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اى كاسبا وهو منقول
من جرم المتعدي لمفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا
واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح وادخل في الفصاحة وقرأ ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع
الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة

نهى للكفرة عن مساءته عليه السلام على ألطف أسلوب أبدعه كما في المائدة عند قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط
منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم
بل اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرته كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر
والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم ما أصابهم وإفراد البعيد مع جمع مذكره لأن المراد وما إهلاكهم أو ما هم بشيء بعيد ولأن المقصود
إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما أو لأنهم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولأنه يستوي في ذلك كونه على زنة
المصادر كالنهيق والشهيق ولما أنذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه من الطغيان بالحمل على الإنابة
والتوبة واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه قد مر تفسيره في أول السورة إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب
ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه
وأبلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك إلى سبيل الاستكبار
كما هو ديدن المفحم المحجوج تقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف
من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادعوا أن في تضاعيف ذلك ما يستبعدونه مما حسبوه أقصى ما يكون من المنافع والعقاد وجعل ذلك
من النجدة ... لذلك قالوا وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع
والإيقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لخوف منهم لرجمناك فإن الرهط من
الثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة ... ما لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله عز وجل وما أنت علينا بعزيز
مكرم محترم حتى تمنع من رجمك وإنما نكف عنك للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا
وإيلاء الضمير حرف النفي وإن لم يكن الخبر فعليا غير خال من الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك
كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظمتهم هذه عائدا إلى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة
الربانيتين حسبما وجه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وبتقيصته قصد طلب الموهن منه والتوكل عليه والإنابة إليه إسقاطه
كلا من درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله فإن الاستهانة بمن لا يتعزز
عز وجل استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز وجل إلا اشتراك
في أصل العزة لتشنيع التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز
عليكم من الله فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة أصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يعتد
الإباءة وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر من تغيير النسب كالإمسي نسبة إلى الأمس إن ربي
بما تعملون من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها فكيف
الإنكار والتكذيب ثم إنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوة ... مراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم
الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جناب القوي فكيف تراعون جانب من هو أدنى الأذلة ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام إصرارهم على الكفر
وأنهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا على العظيمة التي هي الاستهانة به عليه السلام والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة
التهديد اعملوا على مكانتكم أي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وإنما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا
أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف فيما بينهم لا عزة له أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة
والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما أنتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وإيقاع ما في نيتكم وفي إخراج
أمنيتكم من القوة إلى الفعل إني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بأنواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم
عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم إني عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه وصف العذاب بالإخزاء تعريضا بما أوعدوه عليه السلام به من الرجم فإنه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث
لا يكون إلا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على أنه قسيمه بل حيث أوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف

تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته إلى الضعف والهوان
وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لأن كذب الكاذب ليس بمترتب كإتيان
العذاب بل إنما المترتب ظهور الكذب السابق المستمر ومن إما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب
يخزيه وأينا كاذب وإما موصولة أي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما أقول لكم إني
معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم إظهار منه عليه السلام
لكمال الوثوق بأمره ولما جاء أمرنا أي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أو وقته فإن الارتقاب
مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الإيمان الذي وفقناهم له أو برحمة كائنة منا لهم وإنما ذكر
بالواو كما في قصة هود عليه السلام لما أنه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي
صالح ولوط عليهما السلام فإنه قد سبق هناك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله إن موعدهم الصبح وأخذت
الذين ظلموا عدل إليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارا بأن ما أخذهم إنما أخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه
الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الأعراف فأخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فأخذتهم الرجفة أي
الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي إليها كما مر فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين
لازمين لأماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك
جعل مجيئه بعد ذلك أمرا مسلم الوقوع غنيا عن الإخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام وإهلاك الكفرة جوابا له
ومقصودا بالإفادة وإنما قدم تنجيته عليه السلام إيذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر أثره بموجب
جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا أي لم يقيموا فيها متصرفين في أطرافها متقلبين في أكنافها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
العدول عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدل على طغيانهم الذي أداهم إلى هذه المرتبة وليكون أنسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم
أعني ثمود وإنما شبه هلاكهم بهلاكهم لأنهما أهلكا بنوع من العذاب هو الصيحة غير أن هؤلاء صيح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم
وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مختص بالمكسور
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
ونقص الثمرات والأنفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها إظلال الجبل وليس كذلك فإنه لقبول أحكام التوراة حين أباه
بنو إسرائيل والباء متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول أرسلنا أو نعت لمصدره المؤكد أي أرسلناه حال كونه ملتبسا بآياتنا أو إرسالا
إرسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها أو هو العصا والإفراد بالذكر لإظهار شرفها لكونها أبهرها
أو المراد بالآيات ما عداها أو هما عبارتان عن شيء واحد أي أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته
واضحا في نفسه أو موضحا إياها من أبان لازما ومتعديا أو هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز أن يكون المراد ما بينه
عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الأولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة
عن التوراة وإدراجها في جملة الآيات يرده قوله عز وجل إلى فرعون وملئه فإن نزولها إنما كان بعد مهلك فرعون وقومه
قاطبة ليعمل بها بنو إسرائيل فيما يأتون وما يذرون وأما فرعون وقومه فإنما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك
العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر وتخصيص ملئه بالذكر مع
عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لأصالتهم في الرأي وتدبير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وإنما لم يصرح بكفر فرعون
بآيات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والإضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملئه فقيل فاتبعوا أمر فرعون أي
بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للإيذان بوضوح حاله فكأن كفره وأمر ملئه بذلك أمر محقق الوجود غير محتاج إلى الذكر
صريحا وإنما المحتاج إلى ذلك بيان حال ملئه المترددين بين هاد إلى الحق وداع إلى الضلال فنعي عليهم سوء اختيارهم وإيراد الفاء في اتباعهم
المترتب على أمر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للإشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعتهم إلى الكفر وإن أمرهم
فكأن ذلك كله لم يتراخ عن الإرسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع إثر ذلك اتباعهم ويجوز أن يراد بأمر فرعون

شأنه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفائدة في ذلك وعظهم فلم يتعظوا وصحبتهم ثم تبين
فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فاعل وترك الا
لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون حكم الفساد والاضلال الضلال
فاتبعوه لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودة العاقبة فهو على الاول
بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم
يوم القيامة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار
وهم يتبعونه او تصريح بعدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الوارد الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود
اي بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين
اتبعوا امر فرعون في هذه اي الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيامة ويوم القيامة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف
قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا ودائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع
وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حيث كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع
ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا
يلائم المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منهما معينة
وكونه لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك
منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا
وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف
ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثرت صيغة المضارع
حكاية للحال الماضية او للدلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين
مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي يدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا
وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله تعالى اخذ ربك وقرئ
اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها وقرئ اذ اخذ
وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا
بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير
ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر حيث يستدل بما حاق بهم من
الشدة بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس شيء مما اشتد
الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي
التي اقترفتها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة
يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس
عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيامة ملاحظا عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه
اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم
مشهودا لفات الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنوان
الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله
نحو قوله تعالى ان يأتيهم الله او يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل لان المقام مقام تهويل شأن اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل

لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي
ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك
اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
في آخر منها والمأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا
ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو وجبت له
الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار
فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده
واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما
وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بمن استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة
كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله تعالى خالدين فيها
حال مقدرة ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد
ونفي الانقطاع تمثيلا على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات
التأبيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق
فالمراد سموات الآخرة وارضها كما دل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة
الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلوم بحكم العقل و
تعلق المشيئة بعدم الخلود معلوم بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها اذ لا امكان
لتلك المشيئة لا زمان لها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق
مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال ان ربك فعال لما يريد يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه
فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن الحكمة الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول عن الاضمار الى الاظهار
لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب
وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت خبير بان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب
المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مغاير لعذاب النار فلا يصح ادعاؤها من الاستثناء
وذلك ان يقول انهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام
الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوا من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي
ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفى ببيان المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل
تعريفهم انهم انما يكونون بعذاب النار ولا يحسبون بها هذه المرتبة كافة في تحقيق الاستثناء وقيل المعنى سوى ما وقع
وقيل المعنى من على ارادة معنى الوصف فالمعنى ان الذين شقوا في النار معذبين بالخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة
المؤمنين واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر ههنا ان
لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفيرا وشهيقا لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريق
التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدر من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكأنه
قيل يعطيهم عطاء واما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده
الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نص على ... من العقول المعدة
وقيل الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة قطعا مجذوذ على جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبر الله تعالى

بالذي ... لا اصل انار ويجوز ان يتعلق بكلي النعيمين او بالاول فعلى ما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية
في شك بعد ما انزل عليك من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة
هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان سياق النظم الكريم في الشروع في التفصيل لبيان
غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فصل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع ثم سيق نبأ بشأنها اطال
وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم الخالية مع رسلهم المبعوثة اليهم ما تتذكر به ... رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر
هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم الذين قصصنا عليك قصصهم من قبل
اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى
المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة من قبل عليه وقد بلغك ما حل بآبائهم
فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم من جزائهم
وجزائهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تاخر العذاب
عنهم مع تحقق موجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له
لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتامل ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة
فاختلف فيه اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن ولم
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة على
الحكم الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميز به
من المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس
لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية
منه اغنى عن ذكره مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين
وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي جزاء اعمالهم اللام الاولى موطئة
للقسم والثانية جواب القسم المحذوف وما مزيدة بين الجارة او الموصولة او الموصوفة واصلها لمن فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع
ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين
اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله تعالى اكلا لما وقرئ ان وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه
من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل احوال الفريقين مما يستوجب كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء
اللائق به يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم
الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل اشار الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين
وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وانه لولا سبق كلمة القضاء
بتاخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل احد من المؤمنين
والكافرين يرى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين
ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما سبق من قوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات
النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك
اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعنى المعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل
القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقاء
والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم

وذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك
وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل
بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا
اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وقيل
من ان ذلك لما وقع في النهي من حيث انهم جماعة فطلبة الرخصة في استتباع اتباعهم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم في ظلمهم
جاء وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار
هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي نفسه بشراشره على مؤانستهم
ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف
ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه لطلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم
والتشديد فيه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط
والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء
اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم
اولياء حتى يصدق مع ان يكون لكل ولي بل لمكان ذلكم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير
بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم
ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء
بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفي النهار
اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات قريبة من النهار فانه
من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتهما صلاة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات
التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة
الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او يمنعن
من اقترافها كقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى
للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة وعما نهيت عنه من الطغيان والركون
الى الذين ظلموا فيكون في الاتباع مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم
من الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع
اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بالاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة
حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع
صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة
فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان
من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل
او اولو فضل وخير وسموا بها لان الرجل يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم
ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره
اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم

الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوهم عن الفساد على ان من للبيان لا للتبعيض لان
جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم
كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل الاستثناء
من النفي اللازم للتحضيض فكأنه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية واتبع الذين ظلموا
بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساعدون فلما لهم فيه
من حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام حينئذ
وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الى آخره فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم
والتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استثناء مترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم
نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف
على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم
وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء اترفوا فيكون
الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة
ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها وعلم من ذلك حال غيرها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله تعالى بظلم اي ملتبسا به
هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران
عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده
بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته على تقيد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد
بالظلم الشرك اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وانت خبير بان مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد
دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الشرك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه
حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم
متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق
ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله
تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا
عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي ولما ذكر
من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للترحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة
واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اي وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما
اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اي كل نبأ فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل
بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف لكلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص
من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدة التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام
وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة وتماديهم في الضلال وما لقي الرسل منهم
من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي
الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما وصف به بالقياس الى غيره

وتقديم الظرف على ما هو فيه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقتصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لبيان
كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تأخير ما حقه التقديم تشوق النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الوروده فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم
الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون اي ينزل بكم
نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من
رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي ترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تأخير الامر بالتوكل
عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ يعملون على تغليب المخاطب اي انت
وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد
من صدق كل احد من الانبياء المعدودين فيها وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب
عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من بان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما
الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه
من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب
عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا
انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال
لما سلف ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر
من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتبادر
الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف من ان ذلك اسم جنس يقع على الكل
والبعض كالكتاب لا لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروءا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه من البدائع
خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك اشتقاقا
من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية احسن
القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية ... ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المغزى
على نهج ... بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة مبني على كونها في ضمنها مقصوصا
والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو وانما لم يظهر سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود وان حسنت
لانه اقتصر على ابداع الطرائق الرائقة الرائعة وابداع الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين
وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق الشمال من اليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد به
المجموع او يقال نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به
المفعول كالخلق والصيد ونصبه على المفعولية وحسنها لتضمنها الحكم والعبر التي لا تحصى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن
الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبرها والمعنى وان الشأن كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم
وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص
على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان الوقت مشتمل على القصص حيث اشتمل عليه اقتصاصا للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه
عن سبب آخر غير التعريف ومنع الصرف وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لتخالف المشهور

لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فقد روي عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض عن حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤيته دون راء فيكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا بعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كانه سئل فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بامره الاتم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لصغر السن وهو ايضا استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك ومن معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربة والقربى وحقيقتها ارتسام الصور المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا لك كيدا منصوب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضرة لانه كيد اي فيحتالوا لك لاجل اهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته هنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينة بنو يعقوب من بنت خالته ليا ودان ونفتالي وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة واما بنيامين الذي هو من الكواكب الاحد عشر وهو الذي هو شقيق يوسف عليه السلام امهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس داخلا تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معهم عند اقتصاص الرؤيا او لم يكن معهم في السجود ذكر والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه استئناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبه عليه السلام على ان لرؤياه شانا عظيما سيتبعه منافع وقدم الاشتغال الى ان يحول الاخوة بينه وبين ظهور آثارها حسدا او [illegible] وضرها

شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك بجملتها على وفقه يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينت فمقصود المراد به بيان المعاني المحققة من الصورة المرئية في عالم المثال وهي وقعت صورة واشباحا من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم عنت لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام انه تعالى يحققها ويظهر نفس يوسف عليه السلام بما اخبره على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقتها اول الامر فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا احدوثة على حدثا ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آيلا الى ما ذكره المعبر بصدد التعبير وراجعا اليه فكانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبير رؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما سيبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف ذلك يعقوب عليه السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو نفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال ووفور تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى على التمييز الواقع بين الصور المتعاكسة احد ذينك العالمين وبين الكائنات الفائضة على وفقها في العالم الآخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من يتصف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة بها يظهر آثاره ويجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي وللاشارة الى كونه ذريعة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصيرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من العدة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدر اي يتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه مثل ما وقع في المشبه به من كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وذكر [illegible] الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي للرؤيا والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية المضمنة لتربيته لتحقق وقوع ما ذكر من الامور المذكورة وقيل في تفسير الآية الكريمة اي كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف عزة وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك والاعظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حسبما جعلهم في الدنيا انبياء ملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فانه والله اعلم لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اجمعهم فان بنيامين

ايضاً حصة من القصة او بنوا علاته العشرة دون ما سلف اذ عليهم يدور رحاها آيات علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة
الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سأل عن قصتهم وعرفها او للطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الذين يمرون
عليها المنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
او المراد بالقصة نفس المقصوص اعني نبوته صلى الله عليه وسلم لمن سأل من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع
من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة
على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم على بعض الوجوه من كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لاشتمال كل
لتعدد جهة الاعجاز لفظاً ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي
اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحاً بان مدار المحبة اخوته
ليوسف من الطرفين الا يرى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا
منا وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف
جاز الامران والواو للحال واللام لام الابتداء اي يوسف لتحقيق مضمون الجملة وتأكيده ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على حل العقد
احقاء بالمحبة والعصبة العشرة من الرجال فصاعداً سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة
مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته
مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه
فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضاً من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله
بعض منهم مخاطباً للباقين بقضية الصيغة فكأنهم رضوا بذلك كما روي ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا
فجعلوا كأنهم القائلون وادرج تحت القول المسند الى الجمع او قاله كل واحد منهم مخاطباً للبقية ليدل على مسارعتهم الى ذلك القول
وتنكير ارضاً واخلاؤه من الوصف للابهام اي ارضاً منكورة مجهولة بعيدة من العمران لذلك نصب نصب الظروف المبهمة يخل لكم
جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته لا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله
عليهم وتكونوا بالجزم عطفاً على يخل او بالنصب باضمار ان اي ومع قوله وتكتموا الحق ان اريد بذكر الوجه ... للمبالغة
في حملهم على القبول فان اعتبار الرشاد ... من بعده اي من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره
قتلاً او طرحاً قوماً صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في اموركم
باستقامتها بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأياً وهو الذي قال فلن ابرح الارض الى آخره وقيل روبيل وهو
استئناف مبني على سؤال من سأل فقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي القطع ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف
اظهر في مقام الاضمار استجلاباً لشفقتهم عليه او استعظاماً لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى
واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه في غيابة الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن اعين الناظرين وعن ظهره الجب البئر الذي لم تطو
بعد لانها ارض جبت جباً من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين كأن لتلك الجب غيابات او اراد
الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف
على الضياع بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض والسيارة في الجب فيها والتعرض للبعض لتحقيق ما هو المقصود
كلامه موافقة لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة سيارة
كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك ليعرف
تعليقهم بوجه الميل الى رأيه حذراً من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال
سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك او لا فاجيب بطريق الاستئناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيحكي من قوله
ان يجعلوه في غيابة الجب فصل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكاً لسلسلة النسب بينهم وبينه وتذكيراً لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك
الى استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا ما لك اي اي شيء لك لا تأمنا اي لا تجعلنا

على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة
والمقة وقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غداً الى الصحراء
يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والانتضال ونظائرهما مما يعد من
التأهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقاً لما رامه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم
حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع
ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم بصنوف التأكيد من ايراد
الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالاً في تحصيل مقصدهم قال استئناف مبني على
من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان
تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن الم
القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب المفوت لاستمرار مصاحبته
ومواصلة يوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام وكان يحذره فقال ذلك
وقد لقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفاً وعاصم وابن عامر وحمزة درجاً
واصل اشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جانب قال الاصمعي الا بالعكس هو الاظهر لفظاً ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور
العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله تعالى انا اذا لخاسرون جواب مجزئ
عن الجزاء اي لهالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً او مستحقون للهلاك لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسارة والدمار
ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل انهم لم يعدوا عليه حفظه ولم يفرطوا في شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها
وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم يأتون به
عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم واصل ذلك
الاجماع للافعال التي تترتب الدواعي الى فعلها في غيابة الجب قيل هو بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من
منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان اخذه بعد ذلك وانما نقل من نهاية بيت المقدس وجواب لما محذوف
ويحتمل انهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف اذاناً بظهوره واشعاراً
بان تفصيله بما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني الا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا
يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر
كوكباً تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى الصخرة فقام عليها وهو يبكي فناداه وظنوا
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين
القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب
في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيراً له بما يؤول اليه امره وازالة
لوحشته وايناساً له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركاً قال الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف
لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات
المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية اي لهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره
فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم
لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة

التي اوردوه وهم لا يشعرون بذلك يحسبون انه مرتهق مستوحش لا انيس له وقيل بتنبئهم الموحى على انه وعد لهم
وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى
اي عشوا من البكاء يبكون متباكين اي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي
وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما يتمتع به من الثياب والازواد وغيرها فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه
التفقد والتعهد حيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل ولم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ
الملتزم كما اذا لم يتركوه ولم يغيبوا عنه فكأنهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في ما منا ومجمعنا بمرأى
منا الا ان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث تتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان
ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك
صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه
المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي
متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شي من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى او لو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى او لو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب
على الظرفية كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاؤا على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال
على المجرور فما ادام الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب او بمعنى ذي كذب
اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بالمهملة اي كدر
وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كأنه دم قد اثر في قميصه روي انهم
ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وكان (بر)
في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الحكاية كأنه قيل فماذا قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم
اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شي في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كأن التسويل
تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا
من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه
الى الخلق الا فقد قال عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا
قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا
والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون
وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى
فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وتعيين المستعان عليه احتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء به يأباه تكذيبه
عليه السلام لهم في ذلك ولا تساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشي بما ليس فيه كما اشير وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف
في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير عنه بلبس النسب للمجي لمكاسبه قال كنعان لسن من جانب المصري من
ليلي مكانه يوسف في اثاره على المرور والاتيان او نحوهما ايا اي كونه عليه السلام الكرامة الزلفى عند ملك مقتدر والنفار من
الجب كان نتيجة الامام فان المتبادر من اسناد المجي الى الشي مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير
من جهة مدين الى مصر وقعه عباسير هم المتاد وسواله تعينه بقوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقيل انه كان في قرية بعيدة

من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر مستتبع الارسال كما لم يذكر مستتبع المجي الى الجب للايذان بان ذلك معهود
لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب ليخرج الماء فتعلق بها يوسف فخرج قال استئناف مبني على سؤال
تقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كأنه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي مكان وجد سبباها من الماء وقيل
اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة واماله حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وروي يا بشري
بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه من بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له
في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم
يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة
نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال تبضع اي تقطع للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما
صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد
واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه
مقدارا اثر بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن قيل عن ابن عباس انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها
كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البائعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك
باعوه بما ذكر من الثمن البخس بسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به او غير واثق بامره مخافة ان يظهر له مستحق فينتزعه منه
فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شرائه خشية ان يلحقهم
الافتضاح فيما ذهب من انه ابق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما ان اخذهم اياه ما كان بطريق الالتقاط وان لا جبار
والاقتسار وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف واما ان جعلت موصولة فمتعلق بمحذوف يبينه الزاهدين اي شي زهدوا فيه فقيل زهدوا فيه
لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير بيان
لكونه من مصر لترتيب ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ
الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان
الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة بقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد (بين)
فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل
ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ
وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين
سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول
والآخر لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا
في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك
قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدر
وذلك اشارة الى ما فهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد للتفخيم اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا
له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل
كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي لم نمكنكم فيها او مكنا لهم في الارض الى آخره والمعنى كما جعلنا له مثوى
كريما في منزل العزيز او مكانا عاليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولنعلمه
عن جملة وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كأنه كان في قلب العزيز لانه الذي ولي التقاطه المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل
الاحاديث اي لنوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي فجعلناه
معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كأنه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض جعلنا قلوب اهلها

كانه محال محبة ليترتب عليها ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه من تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة وفوّض
ذلك الى الرياسة العظمى لعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لفعل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة
البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي عليه مدار هذه الامور انما هو التمكين في جانب العز
واما التمكين في جانب الناس كانه ما ادى الى ذلك الا بواسطة استمراره على ذلك التمكين فان [illegible] ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله كذلك
مكنا ليوسف على ان يكون عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة ان عزيزها لا يمكن اخر
بشيئه كما في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا فان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعينه لا الى جعل آخر يقصد به التشبيه فانك
تقر لذلك لا على تحامية شأن المشار اليه انما لا يكاد يذكر في لغة العرب لا في غيرها ومن ذلك لم يسلك لا اجعل وبهذا ينبغي ان يحمل المقام
وانما التمكين معنى جعله مكانا يتحدى في ارض مصر الامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه بل
عادله ولم نعده عليه السلام في تعاطيه قضاياه لعل بموجب الرؤيا المسمعة عليه احاديث جل نوعها عنده [illegible] ولانه ما وقع من المدة
في اثر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا [illegible] الآن يراد بتعليم تأويل الاحاديث [illegible] غوامض اسرار الكتب الالهية
سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ كما له في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء
فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك الكتب والاحكام [illegible] لك المعنى الا ان كل شيء يخفى في ضمن الحوادث
والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متأخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا
يمتنع بل انما امره لشيء اذا اراده ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤنه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او مستول على امر يوسف لا يكله
الى غيره وقد اراد به من الغبطة ما اراد ودبره فلم يكن الا ما اراده الله له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا ان لهم ذلك ان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله
ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين ثلاثين الى اربعين وقيل من سن الاربعين وقيل من سن البلوغ الحلم والاول
هو الاظهر لقوله تعالى آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفهما او نبوة وعلما اي تفقها في الدين وتكبيرهما
للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فيما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه [illegible] عبارة عن النبوة والحكم بين الناس
اغرب لكمال [illegible] جعل ايتاء ما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من
يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد بعض اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان الشدائد ومن فسر العلم بعلم تأويل الاحاديث
والاصحاب الآن نخص بعلم تأويل رؤيا الملك فان ذلك كان عند تناهي ايام البلاء فضح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء لما روي ما عاناه
السجن فقد لبث عليه السلام بعد عبر في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه تعالى انما آتاه
ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل
العزيز بعدما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر
ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء
ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء
السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور تأمل للنسب بفنائه والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء
ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب وغيرها مما يكون من احد الجانبين
الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كانها
صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما
تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن
حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب
الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعليها فان مطالبة الدائن انما هي لمماطلة المديون وهكذا الطبيب وكذا
من جانب الداين كأداء الطبيب [illegible] جعل كانها صادرة عن الجانب المقابل [illegible] قبل عليه السلام منزلته [illegible]

عن مجالها بنزله صدر عنه سببها فيما الى هي تلك الافعال في الصيغة على ذلك روعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع
على صاحب السبب ففعل ويجوز ان يراد بصيغة المبالغة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز
ان يكون من الرويد وهو الرفق والتحمل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع
لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة
على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما
قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها
مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل
التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء
اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اي لك اقول هذا كما في سقيا لك وقرئ هئت على صيغة الفعل
بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه
على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهد بما اراه الله تعالى
من البرهان النير ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب
الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشأن
وفي ايراده وصفه موضوعا على شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريرها في الذهن فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشأن الخطير هذا وهو
ربي اي سيدي العزيز احسن مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق
العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبران واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هكذا فكيف
اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض
لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله
انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته
والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا
وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله ولقد همت به مخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما
جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مبادئها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها
هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب
والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر وهم بها اي مال الى مخالطتها بمقتضى الطبيعة
البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا ترى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال
كراهته ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه
في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما ينبئ عنه اشعاره باختلافهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة
او هم كل منهما بالآخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه
اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تنجلي هناك
حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر
ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه
في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية
بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات

صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك
من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور
على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اي جماعة من النساء
وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه
غير حقيقي كتانيث اللمة التي هي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث في المدينة ظرف لقال
اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امراة العزيز اي الملك يردن قطفير واضافتها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن
باسمها او باسمه لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل ... مرادهن تفضيح العزيز
بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن تراود فتاها اي تطالبه بمواقعتها وتتمحل في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل
تطلب الفاحشة وايثار صيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان
والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي
وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة
لابانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها
من النساء او لها زوج دني قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر
فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا اي
شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه
فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول
الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله وايا ما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها
العقلية كاحوالها العملية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث ان الاية يصير الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمة
تسلل الى تمهيد العذر من قبلها بشرح ذلك المقام واستجاب جعل التمييز منقولا عن الفاعل اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه
انا لنراها اي نعلمها علما مما خالطه شبهة والجملة لما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد
والصواب او سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد ممن له نظر او مظهر لامرها بين الناس والجملة مقررة لمضمون الجملتين
السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطأ عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان
ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن
وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منهن كمكر الماكر او لان ظاهر العذل او حمل
استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك ليرين يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين
امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت وهيأت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وقيل
مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا وقيل متكأ طعاما
من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن
المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همزة وقرئ متكاء باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح
وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج ... او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه
... وآتت كل واحدة منهن سكينا ليستعملنه في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم
والفواكه ونحوها ومن متكأ غرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين
واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى ان قولها اخرج عليهن اي ابرز لهن لم يكن عقيب
ترتب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج
عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجاة رؤيتهن كأنها تفوتت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه

مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فيما لا فساد فيه
مفعول من الافعال اكبرنه اعظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان
يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام
على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد
حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك لم يشعرن به وقلن
حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجيبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج
فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التبري في باب الاستثناء ... الا انه يكون موجبا للتنزيه وضع موضع معنى
حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدليل على وضعه
موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف اللام الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الالف ...
الاسم فيدل على تنزيله منزلة عدم التنوين لمراعاة اصله كما في قوله جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها منقلب الالف
الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية
وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اي لطاعة الله او جانب المعصية لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال
ما عمل ليس هي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشري اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن
فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول من ان
لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب
الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج في الحسن
والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي
عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث ... الى العزيز وصغرن قدره بكونه من المماليك
او بالعنوان الذي وصفنه به فيما سبق بقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي
صورتن في انفسكن ولمتنني فيه ... لكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن
لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتهيئة ما هيأت لهن من المتكأ والسكاكين وبدؤهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت
ذلك بالامر بالخروج عليهن ما ذكر من المقال تحقيق لعذرها ... وما قيل في تعليل الملكية بالجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق
والعصمة البالغة من خواص الملكية فهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما ينافي مشيئة ... بعدما
اقامت عليهن الحجة واوضحت لهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن بحقيقة سرها فقالت ولقد راودته
عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم اي امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة
وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الرأي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام ما يستحق به ... معاذ الله
من الهم وغيره ... فقلن او لا بما لم يسمعنه من احد ... ثم زادت على ذلك ... على ...
وما بين ... زادت عليه ... مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره
اي آمر به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير او ما امري اياه اي موجب امري ومقتضاه
فالضمير ليوسف عبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها واقتضاء للامتثال لامرها ليسجنن بالنون الثقيلة آثرت
بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ابهاما ... على عدم امتثاله لامرها كانه لا مدخل لها فيه فعل وليكونا بالخفيفة من
من الصاغرين اي الاذلاء ... وقرئ ليكونن بالتثقيل لكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام
الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتبعت الوعيد ... على ... التاكيد ... يوسف ... نهاية ...

المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية او قد نص ائمة العربية على ان لو لا في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها من حيث المعنى لا من حيث
الصنعة مجرى التقديم بحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يحسن ما ذكر اصلا وقد جوز
ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه
لهم بها كما همت به لكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه المتفرع عليها انتفى الهم رأسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بانه حل
سراويله وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له ثم رأى ان مثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انمله
وقيل ضربه على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع
فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان
ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى
لولا ان رأى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه
لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنا لانه مفرط القبح وفيه آية بينة على انه
عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه
بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق
من مضمون الجملة بطريق التحقيق المخلصين هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين
اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان
لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به
وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع
فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور كما ذكر او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق اليها
مع ان مرادها مجرد منع يوسف لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه
الى الباب وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد
كما ان الشق عرضا هو القط وقيل في وصف علي كرم الله تعالى وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة
مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك
لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح والفيا سيدها اي صادفا زوجها اذ لم يملك يوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما
قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة لدى الباب اي البراني كما روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب قالت استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز لدى الباب
فقيل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن
او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك وذلك لعدم ادائها الى الحالة التي شهد فيها
الفعل حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة جمعت فيما عرضت بها بين تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه
في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا
عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائه حسبما يقتضيه قانون الاياله وفي ابهام المريد تهويل لشأن
المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم
الغيرة والحمية قال استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني بالمواتاة لا اني اردت

قوله

بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسندت اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين
وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها
قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض
اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله تعالى الشهادة على لسان من هو
من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى لنزاهته وهو الاظهر فانه روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم
عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها
او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل اي ان تعتد
باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في وكذبت
وهي ان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة على ذلك اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار
فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان الانشاءات وهو من الكاذبين
وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء
للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال مجرى الظاهر بان يقع القد من قبل بدافعها له عليه السلام عن نفسها عند ارادة المخالطة
والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة على مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين اي التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب اذ لا يمكن
بين طرفيها ايضا ملازمة حتى تكون الشرطية بعد جعل الشاهد لكونها من قبيل الاقوال المتعلقة بالقول اي الشهادة فاتي بتسميتها شهادة
مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتهما مؤداها بل لانها شهادة على الصدق حكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد
الصبي فظاهر اذ هو حينئذ من قبيل علائم النبوة والمعجزة بعينه وتقع الشرطية لا ذاك لان ذلك حاصل من العلائم ايضا واما على تقدير كونه
غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له اما بالمشاهدة او باخبار من يوثق به فعدم تعرضه لتعيين احد الطرفين ووجود مقدم الشرطية
الاولى من ضرورة الجزم بانتفاء التالي ووقوع تالي الثانية وفي ذلك اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق ما يؤمن بها من الجرح
والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقته فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها
بما يستحيل وجوده من عدم القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود
وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وقد قيل قال الامرأة زوجها فخذني فلعلك تدفعين ذلك فكانت تصدنه في ذلك فقالت ان لم يكن زوج
فقد بدت حكمة نفسي وقبل الرجل فاذن لا زوج لها فهو نكاح او تعلق الشيء معزز بحجر له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا
عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر كانه
لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي
اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك الخ لا من حيث صدور تلك الارادة عنه والاسناد عنها بل مع قطع
النظر عن ذلك ليشتمل قوله تعالى من كيدكن اي من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن على الافادة وتدبير العقوبة
ان لم يكن بحيث يمنع على الاصابة ايضا الا انها لما صدر بحضور اياه فاد الحكم المذكور من كيدكن افادة ظاهرة فيقال يعم الخطاب للتنبيه على ان
ذلك خلق لهن عريق لا تختص بها هند ام العذر وحدها بحيث تنفس كل خائنة منهن ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك
سوءا فقط يعدل عن البحث عما اصل وقع فيه النزاع من ارادة السوء من اي البحث عنه بحجة من شيعة حمله للسوء او للامر المعبر
عنه بمعاينة يوسف عليه السلام اباه بالجبر فان الكيد يتمكن ان يعتبر مع ذلك حيثيات اخر من قبيلها كما اشير اليه ان كيدكن عظيم
فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان
كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه
حرف النداء لقربه وكمال فطنته للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر

الاما لي م

في امرها على خفية ولا خيفة من احد فيضيق عليه الحبل ويعتري العذل ويتعجل له ويرشدن لرأيه سوء فتنتها ولما كان هذا الابراق والارعاد
مظنة لسؤال سائل يقول فماذا صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذي اوعدتني بالالقاء فيه وقرئ بفتح
السين على المصدر احب الي اي آثر عندي لان مشقته قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي
تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منهما بصورتها الحقيقية فصيغة التفضيل ليست
على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عنه
خوفا من … الاقتصار على ذكر السجن من حيث ان … اسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة … في مطاوعتها
وخوفه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف اي وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي بان تثبتني على ما انا عليه
من العصمة والعفة اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن بمقتضى الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله
تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم مبالغة في استدعاء
لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة
وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن … الصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من الصبابة
وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه
من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الى آخره فان فيه استدعاء لصرف الكيد
لديهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن
حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه
المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف عليه السلام بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي
الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وما كان ينبغي لهم ان يصدوا او الرأي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم
بداء اي رأي او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها
وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها … قالت له ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم
باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق … عند … عن … وتعاودها
… خطاب بعضهم
الوزير من … العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب العزيز ومن عنده من اصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى
انقطاع قالة الناس هذا بادي الرأي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم …
حين بلغه … ودخل معه اي مصحوبا به السجن فتيان من فتيان الملك واحدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة
من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز
فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فجرب
بدابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق ان دخلا معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس
حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لايهام العكس
ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ وتكون الجملة حالا من فاعل دخل … قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا
بعدما دخلا السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي ارى نفسي والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر
اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر … عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الآخر وهو الخباز
اني اراني احمل فوق رأسي خبزا اخر المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تأكل الطير منه اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني
على السؤال نبئنا بتأويله ساولوا ما ذكر من الرؤيين او ما رؤي … اجرى الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة
الى متعدد … اسم الاشارة مع انه لا حاجة

اليه بعد … المرجع … ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يقتضي تأويله باحد
الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه باعتبار الذي جرى عليه الكلام فانه اذا قالاه معا او
احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالحق المذكور ليس عبارتهما ولا عن احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع على ان
كل منهما انما يتأول مستفسر المارة وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام
من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلا حسنا او من العلماء
لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه
عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت
يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكن
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة
عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني ارى فوق رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا
سباع الطير تنهش منها قال لا يأتيكما طعام ترزقانه في منامكما حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتأويله استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل
ان يأتيكما واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنسبة الى ما رؤي
في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل
فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به المآل يجوز ان يراد به الآيل فيكون المعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق
للواقع وكان عليه السلام يقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما
من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه ثم الى ما سواه
من رؤييهما المتعلقتين بشأن الطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما
بتأويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر
في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما
دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام بالاحسان وسمياه من المحسنين
قد علا ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين رأى عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج … من … الى الحق
الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة بامره وتوقفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه
وتخلص البيان … قال تأويل ما قصصتما علي طرف الشمام حيث رأيتماه في المنام والى ما يأكل جليل وحقير من الامور المستقبلة
وان لم يكن بسبب مقدمات المنام حتى ان الطعام الموظف الذي يأكل كل يوم اخبركما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة
والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة
الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حوله ادراك العقول …
بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام
واجتنابه عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله … استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا
للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره … لان ذكر بعد التعليل
ليس بطائل … التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه … قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني
تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى

بسلب الايمان وتخصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر
وهم بالآخرة هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
يعني انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قال
عليه السلام ترغيبا لصاحبيه الى الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه
لان التخلية مقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا
ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك
مع كونه من حجاب التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا حيث عبر عن ذلك
العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجب الشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار
من تأييده شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع المضمر الراجع الى الناس لزيادة التوضيح والبيان ولقطع توهم رجوعه
الى المجموع المذموم بعدم اختصاص غير الشاكر بهم من قبيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها
على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين
ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والآفاق
وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت له ولا يستعملونها فيما ذكر
من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية العقلية والنقلية يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة وانما خاطبهما
العنونة في دار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا ويقبلا مقالته قد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما
حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما يعن له غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله
خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب
بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه
اي من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم
لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان
حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة
من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات
اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى
في هذا الشأن فقيل امر على ألسنة الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقضي به قضية العقل ايضا ذلك
اي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان
ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان
العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه
بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا
بذلك الى ابهام مرجع جواب مشافهته بالسوء فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة
وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاث فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج فتعود الى ما كنت عليه وتصير كما يسقي ربه على
المنزل اي يسقي ما يروى واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال
الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتصلب قضي اي تم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده قطعا لا مآلا الذي
هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها ولا يقال استفتى
في الحادثة اي طلب بيان حكمها ولا يقال استفتى في حكمها كذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا

ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما
تأويله بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلبه تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون
في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام
وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال مآله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما ما حكي من
رؤياهما فوارد على حسب ما في قولهما نبئنا بتأويله لا لان الامر انتهى به حيث كانا حاملين من سم الملك ثم لم يستفسراه فيه ولا تأملا
صورتها فما صورة لما له عاقبة فيها وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا للتعبير وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا
فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي لجحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال
اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى
قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو الاوفق بما عليه النظم الكريم على ان الظان الذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه انما ذكر بوصف
النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقق ما وصاه به
لكن ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية
المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه والتعبير بالظن
ومبنى معناه والتعبير لاجتهاد والحكم بعقابه الامر اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصف لي
بعضي للشاهد تهما فأنساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء حقيقة
لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر يوسف
عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخباره فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث في السجن سبع سنين روي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء
عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان اني ارى اي رأيت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية سبع
بقرات سمان جمع سمين وسمينة كالكرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع
لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف جمع عجفاء والقياس عجف
لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف لان التمييز موضوع
لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فيجريان مجرى الفارس
والراكب مجرى الاسماء روي انه رأى سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر
يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات
يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير
بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية
المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهي المجاوزة تقول عبرت النهر اذا
جاوزته وعبرتها اولتها اي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
كما اشير اليه اللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها
ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه
قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير
لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة
بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتني بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان
كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف

والسنابل السبع المخضرة والاخر اليابسات فقال حسن موقع الاضغاث مع السنابل فعده من شان التنزيل * وما نحن بتاويل الاحلام
اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة
ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك
من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التاويل المنبي عن التصرف والتكلف
في ذلك لما بين الآل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي
وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلم وما شاهده منه [illegible] يا الملك واشكال تاويلها
على الملأ بعد امة اي مدة طويلة وقرى امة بكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره
في الصلة وقيل معطوف على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب
كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري انه لم يذكر بعد امة انه علم بهذه الجملة [illegible]
نظمه مع نجا المعلوم في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها
وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما يلحق من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل
فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب
براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك
وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث ان التكلم لو وقع في عالم الشهادة لما امكن
وحكمها حيث طابق تعبيره عليه السلم الفضل عن ذلك لا افتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه او لا نبئنا بتاويله في قوله افتنا مع انه المستفتي
وحده اشعارا بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس
اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن خارج البلد كما قيل منهم ذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون
فضلك ومكانك مع ما انت من الحال في محل [illegible] وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن
على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولعل [illegible] او لانهم لم يعلموا قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
قال يوسف عليه السلام في التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دابا قرى بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل اذا جد
وتعب فيه انتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلم البقرات السمان والسنابل
الخضر بسنين مخصبة والعجاف اليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي
هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم على ما يتضاعف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا
تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا
فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وما ولا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا
مما تاكلون في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما
من قوله تزرعون سبع سنين بعد تمام امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف
على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك اي من بعد
السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد
اي سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلم بذلك كان
لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام
في لهن ترشيح لذلك فكانها اخرى السنابل من الحبوب شيئا قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل الا انه في الحقيقة تقديم للناس فيهن
الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال
المدخرة عام لم تعرف هذه بالتجربة شيئا عن الدول الاصلي لها من عام القحط سنها من اول الامر على حسب الحال غني عن السوابق فيه
يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع

من الطلقات وفيه يعصرون اي من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر
العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه
الحبوب اذ المذكورات تتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة بشارة له وهي
الذي وعد عليه السلم ان يسقي ربه خمرا [illegible] الناس من الزرع والضرع [illegible] يعصرون يحلبون الضروع وتكريره اما للاشعار باختلاف اوقات
ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر او عنوانا فالغيث والغيوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام
تنافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام كذا وكذا لا بيان انه يقع ذلك
المقدم المقصور على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى غيثهم وعصرهم في ذلك العام وتكرير الظرف لمراعاة العواصل
في الاول لرعاية حاله وقرى يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا كذلك
يقال فيه تعالى الناس وفيه يغاثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اذا عصرت
بمعنى مطرت معدية بعدية وانما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة
من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا باقوال امرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه
ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبي السجن لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلم في العلم بوقوعها احد ولو برؤيا تدل عليها المنام وقال
الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف
الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي
فتش عن شانهن وانما لم يقل فاساله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال
مما يهيج الانسان على الاهتمام بالبحث للتفصي عما توجه اليه اما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع
ما لقي منها من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة
واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع
الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء
قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى نسب اليهن الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شانكن وهو الامر الذي يحق ان يخاطب المرء
صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن
حاش لله تنزيها له وتعجيبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امراة العزيز
وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وتبين وظهر بعد خفاء
قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر
من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة
قال حصحص في مقام الصفا ثفناته وتابلى بوازم صما والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك تجرد ظهوره
بشهادتهن بل ظهر نزاهته عليه السلام لما احاطت به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا ما وقع في المجلس حضور العزيز
ولا البحث عن حال نفسها وما صدر عنها في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلم في محل النزاع وخيانتها
فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي
وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فما هي الا خصف بل ترى فوق ما شهدن به من تزاهته حسما لمادة الخصام
من شانها بها الفصل ما تسند بحقا وانما صدق عليه السلم لمعتذر المعتد قبل الخروج ليظهر براءته عما قرف به اسماع العزيز قبل ان يحل
ما عقده كما عرفته وله عليه السلم ما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم

اي العزيز انّي لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل لما ذكر من نقض ابرامه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشر للخروج من السجن قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك ما يوهم الاقتصار على رأيه واما اكون ذلك سالما تحصن بتصحيح امره عند الملك مخلا لامضاء قضائه فلا ثبوت له عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب اي وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم اوقاع الفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربما بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يعنيه قوله تعالى الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل انه من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت ما فعلت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به فلما كلمه وفي حذف الاتيان به ايذان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرائيم وميشا وقيل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين جميعا بطريق انه انسب لكونه من فروع تلك الرؤيا لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل ولم يذكر اجابة الملك اليه ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور

بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرئ نشاء بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من يصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس الولاية فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم التي كانت لهم حالة مفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاله عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك حيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من انهم سألوه حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به ليعلموا صدقهم وقيل لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز لا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال ألا ترون اني اوفي الكيل اتمه وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية لم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الاتيان مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام قالوا

سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا
لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او القادرون عليه لا نتعايا به قال يوسف لفتيانه غلمانه الكيالين
جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام
وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق
ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك ولكي يعرفوها
ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم
في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم
فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز الشيء من اقوى الدواعي الى الرجوع وقيل لما فعله عليه السلام لعلمه
من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فالكلام حينئذ متعلق بكل واحد من التعليل المذكور وما علله بجعل المذكور للرجوع حسبما
ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فاذا رجعوا حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا [illegible] ذلك حالا
بال اصلا فان مثل البضاعة [illegible] بطريق التفضل [illegible] كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك دليلا
على التفضل [illegible] كما سيجيء فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي
فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار [illegible] وبنيه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين
الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده
الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او نكتل نفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله
فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز او الحالية على القراءة الاولى [illegible] تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين
فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما راى فيه من المصلحة
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة
الى الراء كما قيل في قيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح
يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه
الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان
رجلا من آل يعقوب اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف
غايته كانهم قالوا كيف لا هذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعدما من علينا من المنن العظام هل من مزيد
على هذا فنطلبه لم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا او التقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء
في استجلاب المزيد كما اشير اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة المبني للمفعول للايذان
بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب
اليهم الطعام عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه ذلك الفضل اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا
فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته لذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائدا
على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي المحمل باعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فما فيه استئناف وقع تعليلا
لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي
نطلب من مهماتنا والجملة الواقعة بعده موضحة وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم
قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتال لانفسنا كيل بعير
فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة
ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك اي اي شيء تبغي شاهدا على

على صدق فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما ما فيه فالمعنى
ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة
اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما
وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله تعالى ونمير
اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل ما نستأنفه من نمير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك اهون شيء
بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدأ اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا وشبه ذلك
بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر
ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق ابلج وان قوله ونمير [illegible] في جملة على معنى
ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك واما ما ينبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب فما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجملة الخ
تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل
قال لن ارسله معكم بعدما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي الا ان تعطوني عهدا [illegible] لتأتنني به والا ان
تهلكوا واحدا منكم لعله العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو مستثنى من اعم الاحوال ولعله من العلل الا
الاحوال الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره [illegible] عليك لما فعلت والا فعلت ما اريد منك الا فعلك وقد جوز
الاول لما [illegible] على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال المنفية
الشاملة للاحوال على سبيل البدل كما في قولك لا ازمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده هو مقارنته على سبيل البدل
لما هو من الاحوال المستثناة لما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووجوده من غير اخلال به كما في قولك لا اخرج
العام الا الحصر فان مرادك بما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لكلها الا الاول
على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فالمعنى الى التأويل
المذكور فلما اتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اي على ما قلنا في اثناء طلب الموثق
وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل
مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا
مصر من باب واحد وادخلوا منها من غير ذلك خاف عليهم اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا
تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا
مظنة لان يطمح اليهم طرف كل طامح واصابة العين بقدر العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان النبي عليه السلام يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله
اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهم السلام
رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب
متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلاثة ابواب بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال
وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما للنهي اظهارا لكمال العناية به وايذانا بان
المراد بالامر المذكور لا يحصل بتحقق شيء آخر وما اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اي شيئا
مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة
عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم الا لله لا يشاركه احد ولا
يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه
دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف

فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء بسببه فلله دره من شأن التنزيل عزه والمعنيين فيه جل
فيهم بنوه دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين
بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم من الأبواب المتفرقة من البلد قيل كانت لها أربعة أبواب
فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني عنهم فيما سيأتي عنه ودفع ما فيه
عنهم عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم وجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين
جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حالة
مع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي قاطعا من الله من جهته من شيء أي شيئا مما قضاه عليهم
مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عم وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله وليس المراد
بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب
لزيادة النفور بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونها متوقعة في بادي الرأي كما في قولك نقدت ان يعطيني حتى عند دخول
الأجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الأجل للاعطاء مع كونه متوقعا بموجب ذلك لا بيان
سببيته لعدم الاعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب
عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ذكره عم في خلال وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل
ولما فعلوا ما وصاهم به لم يغن ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عم فتحققوا ما قال فيكون من باب التوبيخ فما الا حاجة
استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحزازة كائنة في نفس يعقوب قضاها أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطر غير معتقد
ان للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وجعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب
وهو وقوع حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة
العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه
لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل
في رأيه عند تخلف الأثر او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بان واللام
وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عم وعلو رتبته وفخامة علمه ما لا يخفى
ولكن أكثر الناس لا يعلمون أسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع
انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه بنيامين
أي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون
ذلك عندي فأكرمهم واضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
بقي اخوكم فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه
ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عم وقام اليه وعانقه وتعرف اليه عند
ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس أي فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا
بخير ولا تعلمهم بما أعلمتك قال ابن عباس رضي وغيره وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن
بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك
يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك
سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية أي المشربة قيل كانت مشربة جعلها صاعا كال
وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه
المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل أخيه بنيامين قرئ وجعل

وجعل على حذف جواب لما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن نادى مناد أيتها العير وهي الإبل التي عليها الأحمال
لانها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل
به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا
وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فأدركوا ونودوا انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بأمر يوسف فلعله أريد بالسرقة
أخذهم له من أبيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والأول هو الأظهر الأوفق للسباق
وقرأ اليماني سارقون بلا لام قالوا أي الإخوة وأقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه
لمباينته لحالهم ماذا تفقدون أي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع
عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من أفقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول
عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم بانهم لم يسرقوا منهم شيئا فضلا ان يكونوا
هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن
المجازفة ونسبة البراء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد
صواع الملك ولم يقولوا سرقتم او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها
من الصياغة ثم قالوا ترغيبا لما تلقوه من قبلهم وازاحة للاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه
مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له علاوة بحصول الوعيد لهم بامتناع وجود النظر وعونهم على الاخفى من أخذ
من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل أؤديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل
من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم
لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد
في الارض أي لنسرق فانه من أعظم أنواع الفساد او لنفسد فيها أي افساد كان فضلا عما نسبتمونا اليه
من السرقة ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي
يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد ومفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة
صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في
الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكأنهم قالوا ان صدر
عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما علمه
وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة
لئلا تتناول زرعا وطعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر عنا افساد وما كنا سارقين
أي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم المشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا
بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا أي أصحاب يوسف
فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف أي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ان كنتم كاذبين لا في دعوى البراءة عن السرقة
فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد أي أخذ من
وجد الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم
المبني على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد بيده
مال غيره كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه
تقرير لذلك الحكم أي فأخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية خبره
على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثاني للجزاء الذي وضع موضعه كذلك
أي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة ولقد قالوا ذلك ثقة بكمال نزاهتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ

يوسف عليه السلام بعدما رجعوا اليه للتفتيش او عنهم اي اوعية الاخوة التي فتشت قبل تفتيش وعاء اخيه نفيا للتهمة ويروى
انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا
ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه قصدا
الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي
يعقبه وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وكما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء
المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم بواسطة المستفتين على ذلك الجواب المعني بقوله عز وعلا كدنا ليوسف صنعنا ودبرنا لاجل
تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كالتي في قوله فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على الاكثر
الاستعمال ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لانه تفسير وبيان له كانه قيل
لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله
قتادة الا لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب
فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله الا حال مشيئته التي هي عبارة عنه
ذلك ارادته المودية الى جعلها ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح ربما لكن لا على ان تكون
القصر مستفادا من تقديم الجار والمجرور بل بواسطة النسبة اليه من معاطفا على مثل الكيد كالاكيد اذ لا معنى لتعليل يوسف
لاخذه اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في جزاء السارق اصلا بل النسبة
الى المعنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا ولم نكتف ببعض ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك بل الاحال مشيئة
بالجاء ما يجري مجرى الجزاء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من قال
كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح من تعليمنا دون بعض من ذلك فقط لانه على كل
حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن ياخذ اخاه لعلة من العلل وسبب من الاسباب
الا لعلة مشيئته او الا بسبب مشيئته او ما كان فهو منفصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما
عند رضاه وافتائه ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معناه الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت
تدري ان المراد منه ما علمت فغيره محل بالاتصال والارادة مطلق المشيئة لا يلزم منه ما يحدث بنفسي الى كون الاستثناء
من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه ولم يعلق المشيئة بالمحل المذكور او ذاك وارادة عجزه
مطلقا يؤدي الى خلاف المراد فان الاستثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه بما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور وقد
وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات اي رتبا عالية كثيرة من العلم وانتصابها
على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه
الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة وجملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شاوه وهو علم لا زيادة عليه ان
جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف ما عبر عنه بالشرطية او الظرفية من ارشاده عليه السلام الى الصواع في رحل اخيه
وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه حاتم من قبله والمعنى ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم من الكيد
بان لم يحمل يوسف فقط لانه لم يكن يتمكن من اخذ اخيه بذلك فقولي نرفع درجات الى قوله عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع
المذكور لا يوجب تمام مراده الا بمن ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد
منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات
العالية وعلم ان ما اراده واراده علمه لا يتم بما انه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن
على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجوده علما والتعبير
بوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وجل

وجل وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك
التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل
ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي يصدر عن اخوته اذ لم يكن يتمكن من
اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات
العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء
رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان
اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث
نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجة ويجوز كون التعليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل
اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجة اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون
بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف وما جرى عليه من جهة عمته حيث كانت تحضنه فلما
شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام
فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من اخذها فوجدت محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ
في صباه صنما لابي امه فكسره فالقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه
فاسرها يوسف اي اكن الحزازة التي حصلت مما قالوا في نفسه لا انه اسر بالبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسرت
لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استئناف
مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال
انتم شر مكانا اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة
المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب فان الامر ليس كما تصفون
من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك
من علم قالوا عندما شاهدوا المخايل اخذ بنيامين متطلعين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار
بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه
وهو علالته يتسلى به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اي
نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا
من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير
مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء
ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق
الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محل غير السرقة انا
اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك بهذا المعنى هو الذي
اريد بالكلام في اثناء الجواب وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله
في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا من يوسف واجابته
لهم اشد يأس لان صيغة الاستفعال انما جاءت لهذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه
الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله
انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى النجوى او متناجين

او فوج نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي
كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او
رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم
ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا
له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم
السابق في شان يوسف ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر
في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف او ان تفريطكم الكائن او كائنا في
شان يوسف وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان
يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع
عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر
من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه
بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح
الارض متفرع على ذكره وذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله فلن ابرح الان بحالكم اي فلن افارق ارض مصر جاريا على
قضية الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب
عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم
كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت
كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب عم اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن
غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب عليه السلام
وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ
سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب
اي لباطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق
او انا نلاقي هذا الامر او انك ستصاب به كما اصبت بيوسف واسال القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم
المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسالهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم
وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عم وقيل من صنعاء وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب عم وهو
استيناف مبني على سؤال نشا مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا
له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب
ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء
البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت
لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني
الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة
اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفي تعال فهذا اوانك وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث
مصيبة اخويه لان رزءه كان قاعدة الارزاء عنده وان تقادم عهده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان
واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله

وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا يرى الى يعقوب عم حين اصابه ما اصابه
لم يسترجع بل قال يا اسفى والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه
وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبا بنبا يقين ونظائرها
وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي
بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب عم من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما
وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله
تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه
قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود
والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي عليه السلام انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح
فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها
في جوفه قالوا تالله تفتؤا اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله
ابرح قاعدا لعدم الالتباس لان الاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي البتة حتى تكون حرضا
مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع
والنعت منه بالكسر ككتف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو
بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء
فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا
لديه في دفعه وقرئ حزني بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي
ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من حياة يوسف ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راى ملك الموت عم في المنام فساله
عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عم انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي فتعرفوا وتطلبوا
من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان
غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تياسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته
التي يحيي بها العباد ومنه ارشدهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه
بقوله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من
الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم
الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المنيع
مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة
الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف
مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرافة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا
برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب لان نظرهم الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او
بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ادلالا والتصدق فوق ما يعطيهم الثمن بناء على

التصدق على نبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال
رقة القلب وانكسرت على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على
المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال يجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع
الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل
علمتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك
او جاهلون عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون
هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على حرجهم وقطعهم عن الاعراض عن جميع المطالب والتحقق في طلب
جنابا حين لم يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتجسس منه ومن اخيه فلما رأيتم قد تشفقوا
من ذلك قال لهم ذلك وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وفيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله
وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي
عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت
لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قراه
لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت
يوسف استفهام تقرير ولذلك اكده بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه
بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ ائنك او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب
قال انا يوسف جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه
وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه بعده قوله قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا
من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد
الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم رد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم
ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يتق الله في جميع احواله او يق نفسه عما يوجب سخط
الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان انا كنا لخاطئين
لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب
اي لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالة كما ان التجليد ازالة الجلد
والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجه وقوله عز وعلا
اليوم متعلق بتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام
او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة

ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبرئيل
بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر بصيرا او يأت الي
بصيرا ويشهده قوله واتوني باهلكم اجمعين اي ابي وغيره ممن يشمله لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل يحمل القميص
يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة
ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرئ ولما
انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح
يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل
فساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب
لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب
قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا
القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح
الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي
يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس
ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال
هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك
اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
وهذا اشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى
ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبرئيل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم
انما صدر قبل استنبائهم وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام
الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى
اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي
راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام
وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هو ابنك فلما لقيه قال السلام
عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكني
خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف
ومائتي الف آوى اليه ابويه اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة
الى التأويل وعشر آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكان عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فيها
اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط ومن المكاره قاطبة والمشيئة متعلقة بالدخول على الامن
ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته

سجداً تحية له فإنه كان السجود عندهم جارياً مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات
الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك إلا انحناء دون تعفير الجباه وبابه الخرور وقيل خروا
لأجله سجداً لله شكراً ويرده قوله تعالى وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي التي رأيتها وقصصتها عليك من قبل
في زمن الصبا قد جعلها ربي حقاً صدقاً واقعاً بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام
كما في قوله أليس أول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لأن الترتيب
الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله
وقد أحسن بي المشهور استعمال الإحسان بإلى وقد يستعمل بالباء أيضاً كما في قوله عز اسمه وبالوالدين إحساناً وقيل
مضمن معنى لطف وهو الإحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى إن ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أي لطف
بي محسناً إلي غير هذا الإحسان إذ أخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذاراً عن تثريب
إخوته لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجداً واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو أي
البادية من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد بيننا بالإغواء وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على
الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان إن ربي
لطيف لما يشاء أي لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى
تدبيره سهل إنه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي أن يوسف أخذ
بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي
على ثماني مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله قال جبريل الله تعالى أمرني بذلك
لقولك أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة
ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً
وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب
قد آتيتني من الملك أي بعضاً منه عظيماً وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث أي بعضاً من ذلك
كذلك إن أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام
فالتبعيض ظاهر وأما إن أريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم إيتاء الملك عليه في الذكر لأنه بمقام
تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وإن كان ذلك أيضاً
نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لأن التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية
للتمكين فإن حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه وإنما الواقع هنا مجرد الإخبار في الذكر والعطف بحرف الواو
ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والأرض مبدعهما وخالقهما نصب على أنه صفة لرب أو
منادى آخر ووصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله أنت وليي مالك أموري في
الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما وإذ قد أتممت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلماً وألحقني بالصالحين
من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فأتمم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيباً طاهراً فتخاصم
أهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا أن يصنعوا له تابوتاً من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل
ليمر عليه ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعاً واحداً في التبرك به وولد له أفرائيم وميشا وولد لأفرائيم نون ولنون يوشع
فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا
دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف
وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من الدلالة على بعد منزلته أو كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول

للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من أنباء الغيب الذي لا يحوم حوله أحد وقوله نوحيه إليك
خبر بعد خبر أو حال من الضمير في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسماً موصولاً ومن أنباء الغيب صلته ويكون الخبر
نوحيه إليك وما كنت لديهم يريد إخوة يوسف عليه السلام إذ أجمعوا أمرهم وهو جعلهم إياه في غيابة الجب وهم
يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طراً وتحيط بما لديهم
خبراً وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل سائر المشاهد أيضاً وإنما تخصيصه
بالذكر لكونه مطلع القصة وأخفى أحوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن المراد إلزام المكذبين والمعنى أن ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا سبيل إلى معرفتك
إياه سوى ذلك إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضاً
ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه كما هو فتبلغه إليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون في ذلك
فيدفع شكهم وفيه أيضاً إيذان بأن ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما
هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور والمشاهدة وإذ ليس ذلك بالحضور فهو
بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي
إذ قضينا إلى موسى الأمر وما أكثر الناس يريد به العموم أو أهل مكة ولو حرصت أي على إيمانهم وبالغت
في إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد روي أن اليهود
وقريشاً لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي
صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم عليه أي على الإنباء أو على القرآن من أجر من جعل كما
يفعله حملة الأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا أن ذلك مختص بهم وكأين
من آية أي كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه و
قدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والأرض أي كائنة فيهما من الأجرام الفلكية
وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض من العجائب الفائتة للحصر يمرون
عليها أي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى
ويطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار
الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها وما
يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون بعبادتهم لغيره أو باتخاذهم
الأحبار والرهبان أرباباً أو بقولهم باتخاذه تعالى ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً أو بالنور والظلمة
وهي جملة حالية أي لا يؤمن أكثرهم إلا في حال شركهم قيل نزلت الآية في أهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل
الكتاب أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أي عقوبة تغشاهم وتشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة
فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون بإتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة
إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص فسرها بقوله أدعو إلى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء
وهو حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الإشارة أنا تأكيد للمستكن في أدعو وعلى بصيرة
لأنه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما أنا من المشركين
مؤكد لما سبق من الدعوة إلى الله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً رد لقولهم لو شاء الله لأنزل
ملائكة نوحي إليهم كما أوحينا إليك وقرئ بالياء من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم
الجهل والجفاء والقسوة أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين
بالرسل والآيات فيحذروا التكذيب ولدار الآخرة أي الساعة أو الحياة الآخرة خير للذين

اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون فيستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء على
أنه عطف على قل حتى إذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تماديهم
فيما هم فيه من الدعة والرخاء فإن من قبلهم قد أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو من إيمانهم
لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم
بأنهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاؤهم فإنه يوصف بالصدق والكذب والمعنى أن مدة التكذيب و
العداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا
أن لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا أنهم قد أخلفوا
ما وعدهم الله من النصر فإن صح ذلك عنه فلعله أراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث
النفس وإنما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك
من آحاد الأمة فما ظنك بالأنبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله سبحانه
منزلتهم وقيل الضمير للمرسل إليهم وقيل الأول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد أي ظن الرسل
أن القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على أن الضمير للرسل أي ظنوا أنهم
كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرا أو على أن الأول لقومهم فنجي من نشاء هم
الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجى ولا يرد بأسنا
عن القوم المجرمين إذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشيئة لقد كان في قصصهم أي في قصص
الأنبياء وأممهم ويؤيده قراءة من قرأ بكسر القاف أو قصص يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب
لذوي العقول المبرأة عن شوائب أحكام الحس ما كان أي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة
واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ولكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء
مما يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات
أو بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم
يؤمنون أي يصدقونه لأنهم المنتفعون به وأما غيرهم
فلا يهتدون بهديه ولا ينتفعون بجدواه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة
يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها
أهله وما ملكت يمينه هون الله
عليه سكرات الموت وأعطاه
القوة أن لا يحسد
مسلما

سورة الرعد خمس وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم للسورة ومحلها الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة مسماة
بهذا الاسم وهو أظهر من الرفع على الابتداء إذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر وقوله تعالى تلك على الوجه الأول مبتدأ
مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان أو بدل من الأول أشير إليه إذا تعذر الحكاية وأما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ واذكر
فتلك مستقلة كما إذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد أو بمعنى أنا الله أعلم وأرى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير
قوله تعالى آيات الكتاب أي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب
فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس من أن الباء من مطلق الكتاب المستغني عن النعت
وينظر ما أريد من وصف الآيات بصفة أضيفت إليه من نعوت الكمال بخلاف ما إذا جعل عبارة عن السورة فإنها ليست بتلك المثابة
من الشهرة في الاتصاف بذلك المغني عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها
وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي أنزل إليك من ربك أي الكتاب المذكور بكماله أو السورة
وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بأن يخص الحقية به لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على أن ما عداه ليس بحق أصلا
على أن حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا وفي التعرض بالموصول وإسناد الإنزال إليه بصيغة المبني
للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا إلى ضميره عليه الصلاة والسلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشريف المنزل إليه
والإيماء إلى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم إيمانهم متعلق بعنوان
حقيته لأنه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما مر ولأنه وارد على طريقة الوصف دون الإخبار الله الذي رفع السموات
أي خلقهن مرتفعات على ما ترى مستحقا من كبر النفس وصغر البعوض لا أنه رفعها بعد أن لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر لقوله وهو الذي مد الأرض
بغير عمد أي بغير دعائم جمع عماد كإهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم أي بسند يقال عمدت الحائط أي دعمته وقرئ عمد على أنه جمع عمود بمعنى
كرسل ورسول وإيراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لأن المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استئناف واستشهاد على ما ذكر
من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد حتى يحتاج إلى ما لا يدل على غير مرئية من قدرة الله سبحانه ثم استوى أي استولى على العرش
بالحفظ والتدبير أو استوى أمره وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف أي أنه كان على العرش المراد به القصد إلى إيجاد
العرش وخلقه فلا حاجة إلى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما أريد منهما من الحركات وغيرها
كل من الشمس والقمر يجري حسبما أريد منهما لأجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالشمس في السنة والقمر في الشهر فإن كلا منهما يجري
كل يوم على أربعين من المدارات اليومية ولكل منهما حركة خاصة بها ويخرج جميع ما أريد منهما من القوة إلى الفعل ويتقاعد عنده ذلك بالكلية
بحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير يقضي ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة الأمر أمر الخلق كله وأمر ملكوته
وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته أي يبينها مفصلة ومن ذلك ما ذكر من الأفعال العجيبة وما يتلوها من الأوضاع
الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار العجيبة السفلية على موجب التدبير والقضاء فالجملتان حالان من ضمير استوى وقوله وسخر
الشمس والقمر من تتمة الاستواء وأما مفسران له أو الأولى حال منه والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضمائر الأفعال المذكورة وقوله كل يجري لأجل مسمى
من تتمة التسخير أو خبران بعد خبر أنه خبر بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيمه كما في قول الفرزدق إن الذي سمك
السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بلقائه للجزاء توقنون
فإن من تدبر فيها حق التدبر أيقن أن من قدر على إبداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وأن لهذه التدبيرات المتقنة عواقب
وغايات لا بد من وصولها وقد نطقت ألسنة الأنبياء عليهم السلام أن ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب أعمالهم فإذن لا بد من الإيمان
بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية فيما مر أردفه بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الأرض أي بسطها طولا وعرضا قال الأصم
إن المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه فقيل لا تعجل بعد مداها وسعة أقدارها وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت في أحيازها
من الرسو وهو ثبات الأجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والجمع لجمع فاعل على فواعل كفوارس

ورواسي الكواكب ونواكس فانه صفات العقلاء اما في غيرهم فلا ترى الا فواعل كما في قوله تعالى اياما معدودة وقوله الحج اشهر
معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردا صفة لجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر جمع الكثرة اعني جبالا انتظاما لها في سلك جموع
القلة ويجعل كل منها منزلة مفرد كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعه كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار
انتظام جمع القلة للافراد واشتمال جمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كان طوائف جمع طائفة لا الى
الى جبل بوصف المذكور بالغاية عدد الآحاد التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير
عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد بها جريها فيها من المياه وضمها
مع الجبال في جملة واحدة اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وسببا لتفاعدها اخرى بالجبال عن كونها حافظة للارض عن الاضطراب مثبتة
ثبات الاقدام وتعلق الحيوان بتفرعه على مكره وعليه في معيشته بالماء والكلأ ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله تعالى
جعل فيها زوجين اثنين اي صنفين وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان
اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك شفعية عبارة اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين
اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز
ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة
نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني
على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل لان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعدم ذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما لكن
تعلقه بالآثار العلوية ظاهر باعتبار ان ظلمة الليل في الارض فان الليل انما هو ظلها وما فوق موقع ظلها لا ليل فيه اصلا ولان الليل والنهار لهما
تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انها قد اعتبرا ازواجا متقابلا مثلها وقرئ يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر
من مد الارض وايقاعها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه
لآيات باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فهي على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك الافاعيل منوطة
بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فهي مجردة لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم
بان يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعله على ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه الحميد المجيد
وفي الارض قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف من طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة
وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقة وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات
من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه
مع كونه عمدة المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها سائر ازواج وتأخر قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها
وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان جمع قنو وهي النخلة لها رأسان واصلها واحد وقرئ بضم
على لغة بني تميم وقيس وقرئ وجنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فيحصل عدم انتظام قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات
في هذا السلك مع ان كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات مجعول الحكيم جلت قدرته جزء الارض وما فيها
لا تمام الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ زرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع
والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة للفظ الاول او في مقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف
في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع اتحاد اسباب النبات بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض
آخر منها في الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل وعلى بناء المفعول فرفعا لاكل
من النحاة الدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال
القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة
لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة
المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال وان كانت في الآيات انفسها الا انها

قد جرت عليها اشارتها بالغة في كونها آية فهي مجردة مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه الاحوال الكلية للآثار
افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة واحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فهي على معناها حيث كانت
دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض العقل ولذلك لم يتعرض لغير تعقيلها لتعقيل الاكل
الظاهر لكل عاقل مع وذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر اصلا وفيه
تعريض بان المشركين غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب لا عجب حقيق بان يقتصر عليه التعجب قولهم
بعد مشاهدة ما عدد من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير أإذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري
المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدل من قولهم على انه بمعنى المقول او في محل النصب على انه مفعوله
معه فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى أإنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نعاد
وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أإنا لتأكيد الانكار وليس مدار انكارهم
كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير
ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم والمآل وان تعجب فقد تعجب في موضع التعجب وقيل ان تعجب من انكارهم
البعث فعجب قولهم الدال عليه فتأمل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من فعلها
فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون شيء عليه والانسب بقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة الاول
وقوله عجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا وجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بوصف مقدر
كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا اما عجب وعلى الاول ان تعجب فهذا لهم هذا العجب لا عجب فوقه
اولئك مبتدأ والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث بعدما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم
الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك
مبتدأ خبره قوله تعالى الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيامة واولئك
الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بالمنكري البعث
خاصة بل الجميع المدلول عليه بقوله تعالى واولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال
وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة حالية
ان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين باذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت
العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بفتح الثاء وضمها العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال
للقصاص وقرئ المثلات بفتحتين اتباعا للفاء للعين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف
المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها
النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها
وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعن علي لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنا لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول
ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات قالوا لولا انزل عليه
آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا فاي آية رئيت عليه الصلاة والسلام غنية عن لاولي الالباب
انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك
وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا يدان بالعيان
الهدى اي يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يحسب حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر
على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يحزنك عنادهم وانكارهم للآيات المرة عليك ما زاد انذارهم بما في عقبه ما يدل على كمال علمه

وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على أن تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات
إنما هو للحكم الداعية إلى ذلك إظهارا لكمال قدرته على هدايتهم بكل ما يبدي لا أمر يتعلق بهدايته مستندا لما يعد لحكم استأثر بعلمها
الله يعلم ما تحمل كل أنثى أي تحمله فما موصولة أريد بها ما في بطنها من حين العلوق إلى زمن الولادة لا بعد كمال الخلق فقط والعلم
متعلق به أحوال أي شيء تحمل وعلى أي حال هو من الأحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم أو حملها فهي مصدرية
وما تغيض الأرحام وما تزداد أي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في أقل مدة الحمل والمولود في أكثرها
وفيما بينهما قال الضحاك ولدت لسنتين وهرم بن حيان في أربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى أن شريكا كان
رابع أربعة أو يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ازداد كل
أو لازمان قد أسندا إلى الأرحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الأشياء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه عنه كقوله
إنا كل شيء خلقناه بقدر فإن كل حادث من الأعيان والأعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص
لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فإن تحقق الأشياء في أنفسها في أي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد
لذلك علم بالنسبة إليه عز وجل عالم الغيب أي الغائب عن الحس والشهادة أي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل أريد
بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم
الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه أنه عالم
بجميع أحوال الإنسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين أنه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الأفعال والأقوال
وأنه لا فرق بالنسبة إليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من أسر القول في نفسه ومن جهر به أي أظهره لغيره ومن هو مستخف
مبالغ في الاختفاء كأنه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل أحد بالنهار من سرب سروبا أي برز
وهو عطف على من هو مستخف أو على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله فإن هاتي لا تخون نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كأنه قيل سواء منكم إنسان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء إن استند إلى من أسر ومن جهر إلى المستخفي والسارب يكون في حكمه
أمره وما جهر به أو إلى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الأخيرين وتقديم الإسرار والاستخفاء لأنهما كمال علمه تعالى فكأن المعاني الحكمية
منه بالظاهر والإلحاق نسبة الكل سواء في علمه تعالى له أي لكل من أسر وجهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة
من عقبه مبالغة عقبه إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف
والتاء للمبالغة أو المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من إحدى القافين من بين يديه ومن خلفه
من جميع جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر يحفظونه من أمر الله من بأسه حين أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له يحفظه من المضار
أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأعمال الصالحة والملكات
التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى أضدادها وإذا أراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له
فلا رد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء الذي أراده الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير ما
وفيه دلالة على أن خلاف مراده تعالى محال وإيذان بأنهم بما باشروه من إنكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة
واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر وجه تقديم الخوف على الطمع
ظاهر لأن المخوف عليه النفس أو الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف لبعض من المطر لكن بحاجته غير الطامع كالمسافر
وفي جريانه الآن يكلف أثر السمن إن الخوف عتيد والمطموع مترتب فانتصابهما على المصدر أي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا
أو على الحالية من البرق أو المخاطبين إما بإضمار ذوي أي بجعل المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل مبالغة أو على العلية بتقدير المضاف أي إرادة خوف وطمع أو
أو تأويل الإخافة والإطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل أو يجعل المعلل إراءته التي تتضمنها الإراءة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي
في يفاع ممتنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على أن لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا أي أحللت بيوتي حذارا فالفعل
الدال ما وقع في معرض العلة لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع

ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقال وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة
كرام ويسبح الرعد أي سامعوه من العباد الراجين للمطر متلبسين بحمده أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وإسناده إلى الرعد
لحمله إياهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستتبع لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله
وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة أي ويسبح الملائكة من خيفته من هيبته وإجلاله جل
جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي
يريكم البرق قد التفت إلى الغيبة إيذانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب إعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي
يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويتعقلها العقلاء المؤمنون
أو الرعد أو الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم أي الكفرة الذين حكيت هناتهم
مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم يجادلون في الله أي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب استهزاء
واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق أو على قوله الله يعلم ما تحمل الخ وأما العطف على قوله تعالى ويقول
الذين كفروا الخ كما قيل فلا مجال له لأن قوله تعالى الله يعلم إلى العزة استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ومعارضة من آجال العذاب أو إنكار البعث ومطلع
لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الجملة حالية أي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال فقد أريد به ما أصاب أربد بن ربيعة أخا لبيد فإنه قيل بعث عامر
ابن الطفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلاه فدخلا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الأصحاب رضي الله عنهم
فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجمل الناس وقد كان أوصى إلى أربد أنه إذا رأى أكلم محمدا عليه الصلاة والسلام فدر من خلفه واضربه بالسيف
فجعل يكلمه عليه الصلاة والسلام فدار أربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ إليه فرأى
النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أربد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل
في بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول
واللات لئن أصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برمحي فأرسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبته غدة
عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره وقيل أريد به ما روي
عن الحسن أنه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عن رب محمد ما
هو ومم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس أم من حديد أم من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا
أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إليه فرجعوا إليه فما زاد إلا مقالته الأولى وأخبث فرجعوا إليه عليه الصلاة والسلام
وأخبروه بما صنع فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إليه فبينا هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر
فجاءوا يسعون ليخبروه عليه الصلاة والسلام بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو شديد المحال أي المماحلة والمكايدة والمماكرة لأعدائه من محل بفلان إذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيل
وقيل هو فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال
ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فت الله عضده وهو ساعده أشد له دعوة الحق أي الدعوة التي هي الحق الواقعة محلها
المجابة عند وقوعها والإضافة للإيذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة
الحق وقيل دعوة الله سبحانه أي الدعوة إلى الله كما في قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله والمعنى
وصف الحقية لرد من سمى الاستجابة الآتي هو الأول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وعلى كلتي الحالتين ما فيه حيث إن هلاك أربد وعامر
بمحال من الله تعالى وإجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما كان الآية نزلت في شأنهما أو من حيث إنه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذير لهم بإجابة دعوته عليهم والذين يدعون أي الأصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد
من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلى الماء أي إلا استجابة كاستجابة الماء

لمن بسط كفيه الى الماء من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني
للمفعول ويحتاج الى الضابط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم شيئا
فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف
اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الآنية ونحوه فاه وما هو اي الماء ببالغه
بالغ فيه اذ لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن استطاعة ما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم
في دعائهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم بحال عطشان لم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه
في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه نافع بخلاف الصنم والمراد نفي الاستجابة اصلا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم حيث لا يستجيبون لهم
من الاستجابة الا استجابة كاستجابة هذه الصورة الى الميت فحاصله الاستجابة طمعا فيه من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين
وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي في ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا
ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملائكة والثقلين طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد
طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله تعالى وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤوا
او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد وظلالهم اي ويسجد له تعالى ظلال من له ظل منهم على الا
حسب تصرفه على مشيئته تعالى وارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال
وتخصيص الوقتين بالذكر مع انقيادها وتحققه في جميع الاوقات لوضوح ظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة والآصال جمع اصيل
وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل وقد قيل ان المراد
حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى كرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
ولا بعد في ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري
ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حال الفزع والشدة بالله سبحانه
لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حال الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقق انقياد الكل في الابداع
والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع ان غيرهم ايضا كذلك لان العمدة
انقيادهم وانقياد غيرهم دليل انقيادهم على انه يجوز ان يكون ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات والارض فانه تحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما
سوى الله سبحانه وتعالى قل الله امره بالجواب عنهم اشعارا بانه متعين للجواب فهو والخصم في تقريره سواء اذ لا يتمكن غيرهم الا ان يجيب
امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم ثم بكتهم بما يلزمهم من الحجة التي الحجروا بها بتلقينهم ذلك ليلجئوا الى الجواب رأسا بالالزام فانهم لا يتمالكون
اذ ذاك ان يقدروا على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة للانكار الواقع كما في قوله اتعبدون ما تنحتون لا للانكار الوقوعي
كما في قوله اصطفى البنات والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي لا رب سواه فاتخذتم من دونه اولياء
عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم ودفع الضر عنه على ان الهمزة
للانكار متوجها الى المعطوف معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون او الى المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتيب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب
عليه نقيضه والمعنى بعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة وحال انه يقتضيه العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه كما في
كان من حق نفسه عن امر المحدة وترك المساواة ووصف الاولياء بعدم المالكية للنفع والضر في تشنيع الانكار وتأكيده بكلمة الاتخاذ
هاهنا بالحد في الجملة على تعلقه بكم حدود فان كلا منهما على الاتخاذ المذكور وتأكيد انكاره قل تصويرا لارائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي
الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني عبارة
الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان
ودرى بالاعيان والتناول السلم الكريم على ان الكفر وما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه محض الضلال والخطا البحت الذي لا يخفى بطلانه على احد
والهم ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا ويسر لهم ذلك بيسر يصلح ان يكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكذلك قيل ام جعلوا لله
اي بل اجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة للانكار الوقوعي لا للانكار الواقعي مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي تنتهي اليه الانكار ولما

فتشابه الخلق عليهم فهو واقع لا يتعلق الانكار به فالمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك
وقالوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء هو بمعزل من ذلك
بالمرة وفيه لا يخفى من التعريض كما كرره فيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كانوا لا خالق سواه
فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك
وبعد ما مثل المشرك والمشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو الاثر العظيم في فيضان جناب القدس
على طوائف الخلق بحسب تفاوت الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة واحتظاء على الالسنة ذكرا وتلاوة وفي سائر ما نصنع وكونه ممدا للحياة
الروحانية المتلذة من الكمالات المرضية لما انزل من السماء الساري في اودية ما بسيلها مجاوزا لها في ذلك سيلا ما مقدارا
بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها ليس فيها حسبما هو معلوم مما ينفع ان من كونه حلية تحلى النفوس وتصل الى السعادة الابدية وما
يتمتع به في المعاش من الذهب والفضة وسائر الفلزات التي تتخذ منها انواع الالات والادوات التي يتمتع بها ويطويه ومثل الباطل الذي ابتلي
الكفرة لقصور نظرهم بالنظر فيما من غير ادخاله فيما واخلاله بصفاتهما من الزبد الرابي ووقوعه مضمحلا سريعا فقيل انزل من السماء
اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الا
لا يستوعبه الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية فالوا جعله باعلى حكم
يعني فعل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعل على افعلة يجوز ان يجمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها
مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر واسناد السيل اليها لانها المقر والجريان
ووضوح المماثلة بينها وبين ما يشابهها من السيل فيها كما اشير اليه بقدرها اي سالت بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع
الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم
لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستعد لكثرة الموارد فان ورد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من مورد السيل الجاري في الوادي الكبير وان اريد
بالاودية ما يسيل فيها فان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته انفا وان اريد بعضها سيلها بطريق
الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر او لا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثاء ورغوة وانما وصف
ذلك بعد لهم رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان
يقال فاحتمل السيل فوقه زبدا لان بيان الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي
الطوفي بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر
مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالتاء ابتغاء حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذ من الذهب والفضة
او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد وغيرهما من الفلزات زبد خبث مثله اي مثل ما ذكر
من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية على تجرد كونه مبتدأ ما يشتمل الا تبعيضه معترض عن كونه بعضا
كاقيس لا خلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول التعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء لاظهار التهاون به
كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة
وحصول الزبد كما اشير اليه عدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان العنوان انزال الماء من السماء كذلك فيما
فصل فيما سلف لما اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل اي
مثل ذلك الحق ومثل الباطل وحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل بعد تحقيق التمثيل بيتخ الاثار
في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه واحسنها حسبما اشير الى مواقعها عاد الى كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح
بالمماثلة بين الذاهب والباقي بما يعرض من التمثيل من حيث على ما يتبع الحق لثبات الزبد عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما
فيذهب جفاء اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض
اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنوات والآبار واما الفلز فيصاغ بعضه انواع الحلي ويتخذ
من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاع مدة طويلة والمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء

في دعوى المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء
وبين ذكرهما فإن المعتبر إنما هو بقاء الحق بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله أي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الأمثال
في كل باب إظهارا لكمال اللطف والعناية في الإرشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل إما
باعتبار ابتنائه على التمثيل الأول وجعل ذلك إشارة إليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا أكمل بيان شرع في بيان حال أهل كل منهما
تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم إذ دعاهم إلى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الأمثال فإنه
ألطف ذريعة إلى تفهيم القلوب الغبية وأقوى وسيلة إلى تسخير النفوس الأبية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وإبراز
لأوابد المعاني في هيئة المأنوس فأي دعوة أولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له
وعاندوا الحق الجلي لو أن لهم ما في الأرض من أصناف الأموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في أقطارها أو جهة ما غير مستوفى
بحسب الأزمان ومثله معه لافتدوا به أي بما في الأرض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقونه ما لا يحيط به
البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره [illegible] مع صنع السوء وقعت مقابلة للحسنى الواقعة [illegible] لمراعاة حسن
المقابلة فصار كما قيل للذين لم يستجيبوا له السوءى كما وهم فإن الشرطية وإن دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من إفهام ما في لفظ السوءى
مع ما في اللام الداخلة على الموصول [illegible] وحصول المرام وإنما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب من قوله تعالى أولئك لهم سوء
وحيث كان اسم الإشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة الأولى كان خبرها أعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول
في الحقيقة وبيانا لإبهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه أولا ولذلك ترك العطف فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا لهم سوء الحساب وذلك
في قوة أن يقال للذين لم يستجيبوا السوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على أتم وجه وأكمله [illegible] ومأواهم
أي مرجعهم جهنم وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد أي المستقر والمخصوص بالذم محذوف [illegible] في قوله للذين استجابوا
لربهم متعلق بقوله يضرب الله الأمثال أي الأمثال [illegible] والحسنى صفة لمصدر [illegible] استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف
على الموصول الأول وقوله لو أن لهم إلى آخره كلام مستأنف مسوق لبيان ما أعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين المستجيبين
والكافرين المعاندين أي هما مثلا الفريقين [illegible] عنوان الاستجابة [illegible] إن الأمثال [illegible]
[illegible] يضرب الله [illegible] للذين آمنوا [illegible] على أن بعض الأمثال
المضروبة [illegible] المثل الآخر [illegible] ليس مثل [illegible] الحق والباطل [illegible]
كذلك يضرب الله الأمثال [illegible] فقال أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك من القرآن
الذي مثل [illegible] المنزل من السماء والإبريز الخالص [illegible] الحق الذي لا حق وراءه [illegible] الأمثال [illegible]
كمن هو أعمى عمى القلب لا يشاهده وهو على علم ولا يهتدي [illegible] أصحاب العقول [illegible] في ظلمات الجهل وغيابات الضلال
[illegible] من الأمثال أي كمن لا يعلم ذلك [illegible] حاله [illegible] الأعمى [illegible]
[illegible] على [illegible] حال كل منهما [illegible] من الأمثال [illegible] حال كل من الفريقين [illegible]
فقيل إنما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت التام أولو الألباب أي العقول الخالصة المبرأة عن
الألف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه
ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد [illegible]
[illegible] المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء [illegible]
من غير تفريق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الحيوان [illegible] ويخشون ربهم خشية جلال
وعيد [illegible] ويخافون سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا [illegible]
والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الأفعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب
الخلق [illegible] إلى جانب النفس زينة وعجبا [illegible] الصبر [illegible] ذكر من الصلات الثلاث واللاحقة
[illegible] ودلالة على وجوب [illegible] فإن ذلك [illegible] في نفس الصلات [illegible]

أو في إظهار أحكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فإنها وإن استدعت الصبر على أنفسها حيث لا مشقة على النفس
في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن إظهار أحكامها وإجراءها على موجبها غير خال عن الاحتياج إليه وأقاموا الصلاة
المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك
الزكاة أو عند إيتائه وإعطائه من نفسه المروءة من أخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كذلك أو الأول في التطوع والثاني في الفرض
ويدرءون بالحسنة السيئة أي يجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لإظهار كمال العناية بالحسنة أولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية أعني قوله تعالى لهم عقبى الدار أي عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون
مآل أهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وأيا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض
ما في حيز الصلات ليس من العزائم التي يخل إخلالها بالوصول إلى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبوه
بتلك الصفات إن جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لأولي الألباب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلة المذكورة مدخل
في التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم
وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر والمعنى أنه يلحق بهم من صلح
من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وأن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام
السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أي بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعب
المعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الآن وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما أنه من [illegible] وحلالي كل منها وعز
[illegible] ملاك الأمر كل منها وأن شيئا منها لا يعتد به إلا بأن يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار أي
فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين
والذين ينقضون عهد الله أريد بهم من يقابل الأولين ويعادلهم في العنوان بمقابلة صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما
أوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان بجميع الأنبياء المجتمعين على الحق حيث يؤمنون
ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وإنما لم
ينف الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلأنه إنما اعتبر حقيقة في الحسنات
المعدودة ليقع معتدا بها فلا وجه لنفيه عمن هو بمعزل منها بالكلية كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة عمن لا يحوم حول أصل الإيمان
بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وإن أريد بالإنفاق التطوع فهو مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى بوصله وأما درء السيئة بالحسنة
فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق لحق أن من لم يتأثر بإحسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الأمر وسائر الفساد وإصابتها بحكم قوله عز وعلا
ويفسدون في الأرض أي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الإساءة بالإحسان على أن ذلك يشعر بأنه دخلا
في الإفضاء إلى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى أولئك أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك
اللعنة أي الإبعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار أي سوء عاقبة الدنيا وعذاب جهنم فإنها دارهم
لأن ترتب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا ريب في أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فإن زيادة السيئة [illegible] فيما
وقع الكلام فيه بالجنس وكذا الإعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة وأما ما اعتبر في
تحت الصلات السابقة من الإخلال ببعض حقوق المذكورة فلا يضر ذلك لأن اعتباره من حيث إنه يستتبع الإخلال بالعزائم [illegible]

وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والإيذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الكثرة الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك لا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يغيظ بقدره المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحياة وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحياة الدنيا وما يتبعها من النعم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشروا في جنب ما اعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما انزل عليه عليه الصلاة والسلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا يقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول لذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا تنجع فيه الالطاف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفي تعدية ما لا يوصف من اناب اي اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ارادة المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعى الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية سبق الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لكون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحوها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنياويات وهذا اظهر من سائر المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة الطمأنينة كذلك من لم يشاهدها القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيامة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالطمأنينة دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانابة الى ان تمامه يتعلق بما مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل او قوله تعالى طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرئ طيبى والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك ويدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالرفع والنصب واللام في لهم للبيان كما في سقيا لك كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بالمعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المفعول من قبيل الابهام ثم التفسير كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى وروده وحسن تقبلها له عند وروده عليها وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت بهم نعمته

والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه الصلاة والسلام بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه الصلاة والسلام حيث امر بها مع تنزهه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم فاصل ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من السياق والمقصود اما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال بانزاله وتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احييت بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار وذلك انما ذكره الانذار والتخويف لا لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها بحمل ما لا يعقل المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان تقديم ما حقه التأخير يبقي النفس مشوقة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع اذ المراد استعظام متعلقا بالجمادات وظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه الصلاة والسلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم في زعمهم على الخوارق بسطا لظهورها مبالغة ببيان اشتماله عليها واحقيته بان يكون مصدرا لكل خارق ابدا ركاكة رأيهم في شأن القرآن كأنه قيل لو ان ظهر امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهره هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اي له الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوه اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنه الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اي لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل لا لعدم قابليته لذلك بل لان الامر كله لله وحده فالاضراب ليس متوجها الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كونه على ما كان لما يقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه معناه ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن وتخفيف ان لهدى الناس جميعا بالهداية لظهور امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوف جميعا او اعلموا ان الامر لله جميعا فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول على معنى التعجب لا الانكار الواقع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قوله تعالى افلم يخافوا حتى عصيتم ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوه من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني ان قرآنا فعل به ما فصل من استتباع الايمان مرادا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالانكار حينئذ متوجه الى اشتغالهم مع كونهم في الغاية على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوه وان لم يشأ لم يأت حسبما تستدعيه الحكمة من غير ان يكون لاحد

عليه بحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اى ألم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه ولم يقنطوا من ايمانهم حتى حين اظهروا تحسرهم فانهم لا يمكن منهم الى المطلوبين
او علموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اى الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على العمد ن
انكار الواقع كما فى قوله تعالى افلا تسمعون فلا تبصرون لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله متعلق بمحذوف
اى افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك او بآمنوا اى افلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية بعدم تحقق مقدمها المفهوم من مكابرتهم حسبما حكى لوقوع ما وصف
المذكور من دواعى انكارها بهم قيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير عنا جبال مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع فقد سخرت لداود عليه السلام فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما
سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به جليا او قصيا ممن مات من آبائنا
فنزلت ومعنى قطعت الارض شققت قطعا بالسير لا ما حكى عنه الاعمش من اسناد الافعال المذكورة الى القرآن كما اجمع اليه
الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو الجملة الدالة على الجواب والتقدير لو ان قرآنا سيرت به الجبال
او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير فى كلم بالموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا
من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اى بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادى فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر
بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما فى صيغة الصنع من الايذان برسوخهم فى ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم و
ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر
الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذى اثر او تحل تلك القارعة قريبا اى مكانا قريبا زيا
من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو والجيش اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه
استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى يأتى وعد الله اى موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم
عند ذلك من العذاب فى غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اى
الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم فى ديارهم فالاصابة والحلول من احوالهم ويجوز على هذا
ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله بالحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد
استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فامليت للذين كفروا اى تركتهم ملاوة من الزمان فى امن ودعة كما يملى للبهيمة فى المرعى
وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقى من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك
ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامليت للذين فعلوه بهم والعدول الى الصلة وصف الكفر ليس لان الممل لهم
غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اى امليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب
اى عقابى اياهم وفيه من الدلالة على تناهى كيفيته فى الشدة والفظاعة ما لا يخفى افمن هو قائم اى رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت
بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شىء من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اى كمن ليس كذلك انكارا لان يكون
والفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غب ما علم مما فصل من احواله تعالى بالمستهزئين من الامهال المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله له
وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتى وعد الله كأنه قيل الامر كذلك افمن هذا شأنه كمن ليس فى عداد
الاشياء حتى يشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعنى توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعنى كون الامر كما ذكر كما فى قولك اتعلم الحق
فلا تعمل به لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر الامر فلا تعمل به وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جىء بها للدلالة على الخبر او حالية اى
افمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريك له احدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اى افمن هو قائم على كل نفس لم
يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان
بعد الابهام بايراد الموصول ... على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اى سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اى بل اتنبئون الله بما لا يعلم فى الارض اى بشركاء مستحقين للعبادة

لا يعلمهم الله تعالى وهو الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجى كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التى وردت
عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا
وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
اى سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اى صدوا الناس او من صد صدودا ومن
يضلل الله اى يخلق فيه الضلال لسوء اختياره او يخذله فما له من هاد موفق للهدى لهم عذاب شاق فى الحيوة الدنيا
بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة
وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن للابتداء او صلة للوقاية ومن الثانية مزيدة للتأكيد مثل الجنة
اى صفتها العجيبة الشأن التى هى فى الغرابة كالمثل التى وعد المتقون عن الكفر والمعاصى وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم
مثل الجنة وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من العائد المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اى وعدها وهو خبر
عند غيره كقولك شأن زيد انه ان تأته يعطك او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى الى آخره اكلها دائم لا ينقطع
وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصى اى مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون
بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود فى التوراة والانجيل ومن الاحزاب اى من احزابهم وهم كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفى نجران واتباعهما من ينكر
وهو الشرائع الحادثة او نسخ لما يوافق ما حرفوه والا فهم غير منكرين له ولا فرحين اذ ذلك انما هو خبايا ايديهم وانما وافق
كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون بكونه مصداقا لكتبهم فى الجملة فيكون
ومن الاحزاب جميعهم بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به
اى شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اى قل لهم انما
امرت فيما انزل الى بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف
اى وانا لا اشرك به اليه اى الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس
لا الى غيره او لا الى شىء آخر مما لا يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه اى الى الله وحده مآب
مرجعى للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امره عليه الصلاة والسلام بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم
ثم شرع فى رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة مبينا للحكمة فى ذلك فقيل وكذلك انزلناه اى
وانزاله ذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزال ما انزل اليك محله النصب على المصدرية اى مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول
مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم فى القضايا والواقعات
بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لثبوت وجوب اتباعه وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان
العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه
والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما تفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الى آخره يأباه التعرض لاتباع اهوائهم
وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتابا فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك اليها
من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل بعدما جاءك من العلم العظيم الشأن الفائض
من ذلك الحكم العربى او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية
المهابة ... من ولى يلى امرك وينصرك على من يبغيك

العرب

الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف
حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال ذلك من العوارض التي
لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد
ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه
صلى الله عليه وسلم بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون لهذا الرسول يأكل الطعام الى آخره وما كان لرسول منهم وما صح
وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي باية مما اقترح عليه وحكم مما التمس الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل حكم ومصالح
الى جلبها ودرء الكاسات لاستنزال الايات العظام والاتيان بما قد شاؤوا وتحقيق مضمون الجملة ما الى العلة لكل اجل
اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم
في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال
المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يستصوب نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه
المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم
الكتبة كل قول وعمل لا يتعلق به جزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم
الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون
يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك
مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو
مكتوب كما هو وإما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثم الحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم
اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار
غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة
باتمها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها
اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نرك فعلى ذلك ما عليك الا تبليغ الرسالة فلا يهمنك ما وراء ذلك نحن
نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه الصلاة والسلام بطلوع تباشير الظفر فقال
اولم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أأنكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا الى ذلك ولم يروا
انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها
بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك شيئا ولو غير سلطا الم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله
ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء الحثيث والاستيلاء العظيم من الفخامة
ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعز والاقبال
وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة
وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدم وقوله تعالى لا معقب لحكمه
اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اي بلا
والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو
سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بافانين العذاب بعد ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى قال ابن عباس
سريع الانتقام وقد مكر الكفار الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ثم صرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله
المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر وحيث كان جميع ما يأتون
وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته

عصيانا وثوابا وعقابا للماكرين بهم وهو لكل نفس جزاء ما كسبت فظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله
حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او ان لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك
ليس مكرا منهم بالاضافة بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضي
بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما كسبت لمن عقبى الدار اي العاقبة المحمودة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين للتأكيد ووقوع
علمهم حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد
ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر
ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه الصلاة
والسلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى بالذي يستحق العبادة فانه قد نحى كتابه
بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع الآيات وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر
وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول ومبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول
ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله تعالى اعلم

سورة ابراهيم احدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر مر الكلام في محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كون الر مبتدأ او لمبتدأ مضمر على تقدير
كونه خبرا لمبتدأ محذوف ومسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له
وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة
عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج به الناس من الظلمات من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة
الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه للاتباع على ان
اقبالهم الى الحق كالنصح غيره وهو تعالى يهدي اليه من اناب استعير الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود
الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون
الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك الباء متعلق بتخرج
او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه
وايصاله الى مرضاة الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل
كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والمبدل منه لا يستلزم انه ليس مقصودا في الكلام كما هو مستحق
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى
لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه لما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز
الحميد لانه يجري مجرى الاعلام الغالبة باختصاصه بالمعبود بالحق كالنجم للثريا وقرئ بالرفع على هو الله العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط
الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي
على القراءتين بيان لفخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس فانه طريقه عز وجل والرفع على الابتداء وجعل الموصول خبرا ابلغ في العقول
عن هذه النكتة وهو له عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو
النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات فسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولون
ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحياة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة
فان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي الحياة الآخرة الابدية
ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل صفة جميل لزوم

الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصده المنقول من صد صدودا اذا تنكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده
مندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اى يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى يطلبون لها عوجا اى
زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل
الموصول الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فعبر كل وصف من اوصافهم بآياتها سبب من المعاني المعتبرة
فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفصح عن اختيار العاجلة بازاء كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه
بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك في ضلال
وعلى الاول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اى اولئك الموصوفون بالقبائح
المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بريئة في ضلال عن طريق
الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية
دهيا ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال
محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اى في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول
ملتبسا الا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم او لا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولسن بفتحتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة
ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف
لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان
بعض ذلك بالاعجاز دون غيره مسلمة لقدح القادحين واتفاق الجميع امر قريب من الالجاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة
اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة
من معرفة توافق الكل وتخالفه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا واحدا
وفيه من التعذر ما لا يخفى ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات
نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب
كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم
وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب في رجعه الى قوم كل نبي كما قيل وما ارسلنا من رسول الا بلغة قوم محمد عليه الصلاة والسلام
ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اى يخلق فيه الضلال لمباشرته اسبابه المؤدية اليه
او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال
الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المستتبع للصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لما يستحقها والحذف
للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية
اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى
بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تعليق الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى
وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان مفوض الى الرسل انما هو
تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك الى الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع
في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية باياتنا اى ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها
لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اى اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان
صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد هلاك فرعون من الظلمات

من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر
ما امروا به وذكرهم بايام الله اى بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط
بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات او بايامه المنطوية على ذلك
كما ينبئ به قوله تعالى اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها والاشعار
بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد
وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها اى انذرهم وقائعه التي دهمت الامم
الدارجة ورد بانه ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك
ان في ذلك اى التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانيته تعالى
وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الآيات سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء بمعنى ظرفية التذكير لها
لكونها مناطا لتحققها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء بمعنى الظرفية ظاهرا وعلى الثاني بعض كل واحدة من تلك النعماء والبلاء
والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كله في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على البلاء
شكور للنعماء وقيل لكل مؤمن والتعبير عنه بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اى لكل من يليق بكمال الصبر والشكر
والايمان وتصير امره اليها لا لمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدي الى تلك المرتبة
فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقهما وتخصيص الآيات
بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر
اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام
لما امر به من التذكير بالاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت
مع ان المقصود ذكر ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اى اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف
وقع حالا منها ان جعلت اسما اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون
اى اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة
الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء
سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة
بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن
مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن
عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اى يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال
من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اى فيما ذكر من افعالهم الفظيعة
بلاء من ربكم اى ابتلاء منه لا ان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يحمل على التجريدية ونسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار
والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو لا ينافي التلويح بالتعرض
لوصف الربوبية على الاول لكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تأذن ربكم
من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اى اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اى آذن ايذانا بليغا
لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اى
اذكروا نعمة الله تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكيرا بما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم
ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بذكر الاوقات.

بكرها وقع فيها من الحوادث مفصلاً إذ هي محيطة بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني
إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وإهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء التي لا تحصى بالإيمان والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة إلى نعمة
ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه إن عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد
فما ظنك بأكرم الأكرمين ويجوز أن يكون المذكور تعليلاً للجواب المحذوف أي لأعذبنكم واللامان موطئتان للقسم وكل
من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة مفعول لتأذن لأنه ضرب من القول أو القول مقدر بعده كأنه قيل وإذ تأذن ربكم
فقال لئن شكرتم الخ وقال موسى إن تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها أنتم يا بني إسرائيل ومن في الأرض من الخلائق جميعاً فإن
الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من أياديه وإن لم يحمده أحد أو محمود يحمده الملائكة
بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان مقابلاً للنعمة وغيرها من الفضائل كان أدل على كمال استحقاقه تعليل لما حذف من جواب
إن أي إن تكفروا لم يرجع وباله إلا عليكم فإن الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام إنما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد
ومخايل الإصرار على الكفر والفساد وعلم أنه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب أو ما عاين [illegible] كما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقاً
لمضمونه وتحذيراً لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الأمم الخالية فقال ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما أصاب
كل واحد من حزبي المؤمنين والكفرة فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا إلى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطاباً للكفرة في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم فتخصيص تذكير موسى عليه السلام بما أصاب بني إسرائيل من السراء والضراء والأيام بالأيام الجارية عليهم فقط دون ما أصاب
من قبلهم أيضاً لا يظهر حسنه ووجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما أصاب أولئك المعدودين أن آثارهم
قائمة نصب أعينهم في الحق قبل مقولاً قوم نوح بدل من الموصول أو عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود
والذين من بعدهم أي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم إلا الله اعتراض
أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم إلى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون
علم الأنساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبئهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات
الباهرة فبين كل رسول لأمته طريق الحق وهداهم إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور فردوا أيديهم في أفواههم مشيرين بذلك
إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا إعلاماً منهم بتناهيهم [illegible] والمحافظة عليها وانقطاعهم عن التصديق والإيمان
بإعلام أن لا جواب لهم سواه وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به أي على زعمكم وهي البينات التي أظهروها حجة على صحة رسالاتهم لقوله تعالى
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ومرادهم الكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم أو عضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل كقوله
تعالى عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها عليها تعجباً منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك أو إسكاتاً للأنبياء وأمراً لهم بإطباق الأفواه أو ردوها
في أفواه الأنبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم حقيقة أو تمثيلاً وجعلوا أيدي الأنبياء في أفواههم تعجباً من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم
بقولهم أفي الله شك وقيل الأيدي بمعنى الأيادي أي ردوا أياديهم التي هي أعظم نصائحهم وشرائعهم التي هي من النعم الدينية في أفواههم لأنهم لما كذبوها
ولم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه وإنا لفي شك عظيم مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله والتوحيد فلا ينافي
ذلك كفرهم القطعي بما أرسل به الرسل من البينات فإنهم كفروا بها قطعاً حيث لم يعدوها ولم يجعلوها من جنس المعجزات
ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالإدغام مريب موقع في الريبة من أرابه أو ذي ريبة من أراب الرجل
وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل فماذا قالت لهم رسلهم
فأجيب بأنهم قالوا منكرين عليهم متعجبين من مقالتهم الحمقاء أفي الله شك بإدخال الهمزة على الظرف للإيذان بأن مدار الإنكار
ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلاً متفادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أأنتم في شك مريب
من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحات عن شائبة الشك وتسجيلاً عليهم بسخافة العقول أي أفي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان
وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الأقصى الدعوة إلى الإيمان
والتوحيد وكان إظهار البينات وسيلة إلى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة إنا كفرنا بما أرسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية

القصوى ثم عقبوا ذلك الإنكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السماوات والأرض أي مبدعهما وما فيهما
من المصنوعات على نظام أنيق شاهد بتحقق ما أنتم فيه في شك وهو صفة للاسم الجليل أو بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده
على الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الظرف خبره يفضي إلى الفصل بين الموصوف والصفة بالأجنبي أعني المبتدأ والفاعل ليس بأجنبي
من رافعه وقد جوز ذلك أيضاً يدعوكم إلى الإيمان بإرسالنا إياكم لا أنا ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا
ليغفر لكم بسببه أو يدعوكم لأجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من ذنوبكم أي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام
يجب ما قبله هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لأن المغفرة حيث جاءت في خطاب
الكفرة مرتبة على محض الإيمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم
بدلاً من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى أعماركم على تقدير الإيمان قالوا استئناف كما سبق
إن أنتم أي ما أنتم إلا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملاً على المعنى كقوله تعالى
أبشر يهدوننا أو كلام مستأنف أي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والإرشاد أن تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه
عما كان يعبد آباؤنا أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه فأتونا أي إن لم يكن الأمر كما قلنا وكنتم
رسلاً من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعونه من النبوة
حتى نترك ما لم نزل نعبده أباً عن جد ولقد كانوا رأوا منهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم إنما يقولون ما يقولون
من العظائم مكابرة وعناداً وإراءة لمن وراءهم أن ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة
معهم أول مقالتهم وإنما جعل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد إلزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله سبحانه فإن ذلك عام وإن
تعقبه إن نحن إلا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون أن ذلك عطية من الله تعالى
يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية تقتضيه تواضعاً وهضماً للنفس أي ما نحن من الملائكة بل نحن بشر
مثلكم في الصورة أو في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى من بالفضائل والكمالات والاستعداد على من يشاء [illegible]
الأعلى باستحقاقها ملكات الفضائل والكمالات والاستعداد التي اصطفاهم للنبوة وما كان وما صح وما استقام
لنا أن نأتيكم بسلطان أي بحجة من الحجج فضلاً عن السلطان المبين بشيء من الأشياء وسبب من الأسباب إلا بإذن الله فإنه أمر يتعلق
بمشيئته تعالى إن شاء كان وإلا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقاً فليتوكل المؤمنون أمر منهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا
حمل أنفسهم عليه ... إلى قوله تعالى وما لنا أي أي عذر لنا أن لا نتوكل على الله أي في أن لا نتوكل عليه لإظهار
النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا أي والحال أنه قد فعل بنا ما يوجب التوكل عليه
حيث هدانا سبلنا أي أرشد كلاً منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت أذية الكفار
مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التأكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد
واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه
من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم
ويجوز أن يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين من العاتين العالين
في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي نعت مقالاتهم الشنيعة أو جميعهم كقوم شعيب وأضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم
لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا الآيات التي لا تحصى حتى اجترؤوا على مثل
تلك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الإمكان فحلفوا على أن يكون أحد الأمرين والعود بمعنى مطلق الصيرورة أو باعتبار تغليب المؤمنين
على الرسل وقد مر في الأعراف بيان ذلك في الكشف فأوحى إليهم أي إلى الرسل ربهم مالك أمرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم
من العتو إلى غاية لا مطمع بعدها في إيمانهم لنهلكن الظالمين على إضمار القول أو على إجراء الإيحاء مجراه لكونه ضرباً منه ولنسكننكم
الأرض أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من أرضنا كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
ومغاربها من بعدهم أي من بعد إهلاكهم وفي لنهلكن ولنسكننكم باعتبار الإيحاء كقولهم حلف ليخرجن بعداً ذلك

اشاره الى الوحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامى
موقفى وهو الموقف الذى يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف
وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا اى استنصروا الله
على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة اى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر
عطفا على لنهلكن الظالمين اى اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اى خسر وهلك كل جبار عنيد متعظم متكبر
المتصف المتقون اى فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سالوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق
الحرمان دون الحرمان عن المطلوب وذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب
كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم تصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد
وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان غب الطلب وفى اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اى بين يديه
فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر
جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح
ودم مختلط به يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره
وتخصيصه بالذكر من بين عذابها دل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استيناف مبنى على السؤال
كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اى يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اى لا يقارب
ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتى جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على
تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب فى الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفى ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله فى جوفه وعبر عنه بالاساغة لما
انها المعهودة فى الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اى اسبابه من الشدائد من كل مكان
وتحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اى والحال انه ليس بميت حقيقة
كما هو الظاهر من مجىء اسبابه لا من جميع الجهات حتى لم يبالهم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ
يستقبل فى كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما فى عذاب الدنيا وقيل هو الخلود فى النار
وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح استفتاح البعثة استفتاح اهل مكة فى سنيهم التى ارسلها الله تعالى عليهم بدعوة صلى الله عليه وسلم
وخيبتهم فى ذلك فقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اى صفتهم وحالهم العجيبة الشان التى هى كالمثل الى
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او هو مستأنف على تقدير سؤال من قال ما بال
اعمالهم التى عملوها فى وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك من
مكارم الاخلاق حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به فى يوم
عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساهرة وانما السكون لريحها شبهت صنائعهم المعدودة
لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه الى الله تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استعيرت مسوق لبيان اعمالهم
للاصنام او مبتدأ خبره محذوف كما مر اى فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل
اعمالهم كيت وكيت وهذا رد بها صنائعهم او اعمالهم للاصنام وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وما ذكر فى خبره لا يقدرون
اى يوم القيامة مما كسبوا من تلك الاعمال على شىء ما اى لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد
المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم
وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شىء
هو الضلال البعيد من طريق الحق الصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته
وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد

مسد مفعوليها اى الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسا بالحكمة والوجه الصحيح الذى يحق ان يخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض
ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اى يخلق بدلكم خلقا آخر لا علاقة بينكم وبينهم رتب تعالى على ذلك
على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام
العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اى اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر
او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه
وبرزوا لله جميعا اى يبرزون يوم القيامة وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه كما فى قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
او لانه لا مضى ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون
عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع
ضعيف والمراد ضعف الرأى وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم
واستغووهم انا كنا فى الدنيا لكم تبعا اى فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب فى جمع غائب او مصدر نعت به
مبالغة او على اضمار اى ذوى تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد
التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شىء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اى بعض الشىء الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اى بعض شىء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز
ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار قالوا اى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اى للايمان
ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا
ام صبرنا على ذلك اى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم
وانما اسندوا ما ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم الشامل للمخاطبين ايضا مبالغة فى النهى عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به
لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم انى لم اخنه وقد روى انهم يقولون
تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان
عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى فى ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب
من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب ومحل الجملة مفسرة لاجمال ما فيها
فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذى اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما
يحاجه الاتباع والمستكبرين لما قضى الامر اى احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا
فى محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اى وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث
ووعدتكم اى وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله
فاخلفتكم اى موعدى على حذف المفعول الثانى اى نقضته وجعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك
وما كان لى عليكم من سلطان اى تسلط او حجة تدل على صدقى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن
من باب السلطان لكنه ابرزه فى معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة فى نفى السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لى
عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى فاسرعتم اجابتى فلا تلومونى
بوعدى اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما دل عليه العطف بالفاء وقرئ بالياء على طريقة الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم
فى الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لى باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا
ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه الملامة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه
دلالة على استقلال العبد فى افعاله كما زعمت المعتزلة لكفى فى ذلك ان يكون لقدرته التى عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه

الكليه

فانه سبحانه حينئذ انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وهل من انه يستدعي ان تعالى فلا تلوموني
ولوموا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه بنى على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق ومسلك الجبرية ما انا بمصرخكم
اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان
عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية
فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ
بمصرخي بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي بمعنى برئت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون
بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم لو كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب
فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل برئت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم
بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحانه ان تحركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الا
والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل
ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام
من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد لطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله باذن
متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق كلمة طيبة منصوب بمضمر اي
جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها
لانه تعالى صيرها مثلها بالتخارج وهو تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز
ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل
وقد اخر عنها ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئ بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه
في الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقية على قوله تعالى
وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها
تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا
او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني
بصورة المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء الى الله او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة
اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود
الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض
لكون عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي
ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم
كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة وعند سؤال القبر روي انه عليه الصلوة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه
في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد
صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت اه مثل
ايتاء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا
محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رايت يزيد بن هارون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني

في قبري ملكان فظان غلاظ فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء وقلت المثلي يقال هذا وقد علمت
الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت الله المؤمنين عليه
حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه واما
باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار
على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين امنوا حينئذ المخلصون
في الايمان الراسخون فيه لا الاتقياء كما ينبئ عنه السباق وتقسيم كون كلمة التوحيد او كلمة الايمان لا عن ايقان داخلة تحت [illegible]
من الشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية
لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأي التثبيت
والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من حيثية العلم غير ما هو مبدأ صدور الاخر الم تر تعجيب لرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا
نعمة الله اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا
مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله عنهما
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كانهما تليا ولانه سبحانه
من ربه عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض
لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي
لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي
داخلين فيها مقاسين لحرها او استئناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم
للهلاك بالقتل والاسر كما يلوح به قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار لا التفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص
بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا
عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معها في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس
كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا
عن سبيله القويم الذي هو التوحيد وهو قوعهم في ورطة الكفر والضلال وتغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر
كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بالله تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره
بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضي العجب لو سيق النظم
على ترتيب الوجود لربما فهم التعجب من مجموع الجنايات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وليس ما كان ضلالهم
حقيقة لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض ادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا
لاولئك الضالين المضلين ووعيدا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال
احقاء بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان
ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة
الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم التي هي احقه بدخولها مآل له
حسبما توحي [illegible] سبحانه واحلوا قومهم دار البوار فهو تعليل للامر بالتمتع وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قيل لهم
تصريحا لحالهم وتقريعا تحجبهم الى ذلك ايذانا بانهم لفرط انهماكهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون
بذلك من قبل امر الشهوة ومذعنون لحكمه منقادون لامره [illegible] مطاع [illegible] قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ
تعليلا للامر وهو جواب شرط يجب عليه الكلام كانه قيل ان دمتم على ما انتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه الوعيد ما لا في الامر

قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالإضافة إليه تنويهاً لهم وتنبيهاً على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك
العاطف بين الأمرين للإيذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديداً وتشريفاً والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب أي قل
لهم أقيموا وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم أي يداوموا على ذلك فإذا كان المطاع وهم الرسول صلى الله عليه
وسلم فإنه يسارعهم إلى الامتثال بأوامره وقد جوزوا أن يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الأمر عنهما وإنما حسن ذلك
في قوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه ومن جعله جواباً لأقيموا وأنفقوا محذوفاً ههنا وليس كذلك
سراً وعلانية منتصبان على المصدرية من الأمر المقدر لأمر جواب الأمر المذكور أي إنفاق سر وعلانية والأحب في الأفعال
إخفاء المتطوع به وإعلان الواجب المراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا
والركون إليها كما هو صنيع الكفرة من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره أو يفدي به نفسه المقصود
عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد إذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه
ربما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل أو يسامحه بما يفتدي به نفسه من قبل أن يأتي
يوم لا انتفاع فيه بما يتعاطى من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالإنفاق لوجه الله سبحانه والظاهر
أن من متعلقة بأنفقوا وتذكير إتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث إن كلاً منهما داع إلى الاستعداد للتدارك
النفس بمعاوضة وتبرعاً وانقطاع آثار البيع والخلال أو قبح الربا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعي إلى الإتيان بما هو من
وجوه فوائده من الإنفاق في سبيل الله عز وجل أو من حيث إن ادخار المال وترك إنفاقه إنما يقع غالباً للتجارة والمهاداة فحيث لا يمكن
ذلك في الآخرة فلا داعي إلى [illegible] الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع إلى المال وكونها مجبولة على حبه المضنة به فلا
أن يكون تأكيد المضمون الأمر بإقامة الصلاة أيضاً من حيث إن تركها كثيراً ما يكون للاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى وإذا رأوا
تجارة أو لهواً انفضوا إليها وقرئ بالفتح فيهما على إرادة النفي العام وهو لا ينافي الرفع على ذلك [illegible] وهو في جواب هل
بيع أو خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السماوات وما فيها من الأجرام العلوية والأرض وما فيها من أنواع المخلوقات
لما ذكر أحوال الكافرين لنعم الله تعالى وأمر المؤمنين بإقامة مراسم الطاعة شكراً لها شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام المثابرة
على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثاً للمؤمنين عليها وتقريعاً للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي
وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الأفاعيل العظيمة من خلق هذه الأجرام العظام وإنزال الأمطار وإخراج
الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وأنزل من السماء أي السحاب فإن كل ما علاك
سماء أو من الفلك فإن المطر منه يبتدئ إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه ظواهر النصوص أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة
من أعماق الأرض إلى الجو فينعقد سحاباً ماطراً ماء أي نوعاً منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب إما باعتبار
كونه مبدأ النزول أو لتشويقه كما في قولك أعطاه السلطان من خزانته مالاً أو لما مر مراراً من التشويق إلى المؤخر فأخرج به بذلك
من الثمرات المتنوعة الغاية للحصر أو لأنه جمع الجموع يتعاور بعضها موضع بعض أو لأنه أريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك أدركت ثمرة
بستان فلان رزقاً لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن للتبيين كقولك أنفقت
من الدراهم ألفاً ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولاً ورزقاً حالاً منه أو مصدراً من أخرج لأنه بمعنى رزق أو للتبعيض بدليل قوله تعالى
فأخرجنا به ثمرات كأنه قيل أنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر
كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمراً وخروج الثمرات وإن كان بمشيئة عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بإفاضة صورها وكيفياتها
على المادة الممتزجة من الماء والتراب وأودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على إيجاد
الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب كذلك لما أن في إنشائها متدرجة من حال إلى حال وطوراً إلى طور من صنائع وحكم يجدد فيها لأولي
الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ليس ذلك في إيجادها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقاً إن أريد به المرزوق ومفعول له إن أريد
المصدر كأنه قيل رزقاً إياكم وسخر لكم الفلك بأن أقدركم على صنعتها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جرياً
تابعاً لإرادتكم بأمره بمشيئته التي يناط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على أن ذلك ليس بمزاولة الأعمال واستعمال الآلات

كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر لكم الأنهار إن أريد بها المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام كما يومي إليه ذكرها عند
تسخير الفلك فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما أشبه ذلك وإن أريد بها
نفس الأنهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين دائمين في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه
لا يفتران بها صلاح المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها وكرر
وتعداد أنواع النعم الفائضة عليهم إبراز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويهاً لشأنها وتنبيهاً على رفعة مكانها وتنصيصاً على كون
كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصرف المتعلق بما ذكر من الفلك والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير
من الإشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر
عن تسخير ما تقدم من الأمور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السماوات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الأرض المستدعي
لذكر إنزال الماء منها إليها الموجب لذكر إخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والأنهار أو للتفادي عن توهم
كون الكل أعني خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما وقع في قصة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه أي
أعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد أو آتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ويتسنى به انتظام أحوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان
الاستعداد أو كل ما سألتموه على أن من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل
فتحنا عليهم أبواب كل شيء ومن للأصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما بقي على ما ألقي وقرئ بتنوين كل على أن
ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية أي آتاكم من كل غير سائليه وإن تعدوا نعمة الله التي أنعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا
بحصرها ولو إجمالاً فإنها غير متناهية وأصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد وضع حصاة ليحفظ بها فعلم أن
عدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلاً عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس إن كان في أقصى مراتب الفقر
والإفلاس ممنواً بأصناف البلايا مبتلى بأنواع الرزايا فهو بحيث لو تأمله ألفيه متقلباً في نعم لا تحصى ومنن لا تعد
كأنه قد أعطي كل ساعة وآن من السماء ماء وحيطة الإمكان وإن كان في ريب من ذلك فقدر أنه ملك ملك أقطار العالم
ودانت له كافة الأمم وأذعنت لطاعته السراة فخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع
ما في الدنيا من أصناف الأموال من غير نديد يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر أن جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ولآلئ
ثم قدر أنه قد وقع من قصد شرب أو مطعوم في حالة تقف الحلقوم فهل يشتري إنجاءه بكل المال بجميع ما ملك الأول
لقمة نحلة عن رداه أو شربة ترده من ظماه أم يختار الهلاك فيذهب الأموال والأملاك بغير بدل يتسلى عليه ولا نفع يعود
إليه لا بل يبذل لذلك كل ما حوته يداه كائناً ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فإذن تلك اللقمة والشربة خير من الدنيا
بما رحبت مع أنها طرف الثمام بالنسبة إلى ما لا يحصى من الليالي والأيام أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج
ولا خرج منه ما دخل والحشرجة جارية ودنا الموت من كل جارحة أما يسعى بذلك كله بمقابلة نفس واحد [illegible]
حاله فإذن هو خير من أموال الدنيا كلها ومطالبها برمتها مع أنه قد أتيح له كل آن من آنات الليالي والأيام حال
اليقظة والمنام هو أمر لظهوره وجلائه بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء إن رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف
على كل جليل منها ودقيق فاعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة
والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الإلهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار إلا
في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس تعالى شأنه وتقدس في كل آن
يمضي وكل آت يأتي من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته [illegible] والنفسانية
ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير وهو سبحانه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جناب
المبدأ الأول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الأصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه
ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارئ لأن الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وأنت خبير بأن ما يتوقف عليه

وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان وجودها في انفسها في كل آن من آنات وجوده نعم غير محصورة لا عدا ولا حدا وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه المترتبة المتصورة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه في كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شأنك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا دخولا اوليا واذ قال ابراهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام المعصوم من ذكره تذكيرا لما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم مكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى آمنا اي ذا امن او آمنا اهله بحيث لا يخاف فيه وقد مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سأل اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما معا وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني لاستدامة الاختصاص على ذلك لانه المقصود الاصلي ولان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية وقد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وانما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ واجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت ليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من مواقع نعي على قريش عبادة الاصنام على ان فما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى

وغرتهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتنائه به ورغبة في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعض مني قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعد يقضي الفرق بينه وبين غيره ربنا آثر عليه السلام ضمير الجماعة لان ما سبق من دعائه ذكر ذريته الا ان اعادة في قوله رب انهن الى آخره بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤول اني اسكنت من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل عليه السلام كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مبادي المعيشة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في كل عصر او منع الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه وانما سماه بيتا ولم يكن بعد مبنيا وانما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذه ذات اليمين وذات الشمال باعتبار ما يؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه تنزيل الى عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هو باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كيفية تعدده وقد ذكرناه في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلاة متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلاة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم ذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسؤوله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدتهم ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وانما لم يقل لهم ولحجت اليهود والنصارى فهو مناسب للمقام اذ المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادؤر او على انه اسم فاعل من أفدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة وقرئ افدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع والنزوع واول آثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلاة من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلاة واداء سائر مراسم العبودية وفي اللام ليقيموا الامر والمراد ادامة اقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا تناقض فيه اذ التوفيق من الله وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام ذكر كون الوادي غير ذي زرع بيانا لكمال افتقارهم الى المسؤول وذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشارة الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وعرض كون ذلك الاسكان مع كمال

اعواز مرافق المعاش لمجرد اقامة الصلوة واداء حقوق البيت بعيد جمع مبادي اجابة السؤال لذلك ثنى الدعاء عليه السلام
بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء
او لا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي
على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما نخفي اقدم منه بما نعلن ولان مرتبة السر والخفاء
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية
ومقصوده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار
العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة
والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض
وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان
من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض
تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع
صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما وتقديم الارض
على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات لتربية المهابة
المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس
بشأن يختص او من يتعلق بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل
وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله تعالى وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيدت الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له
اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي ومالك امري
لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله
باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل المستمر بعلة على
التذييل للجملة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعاء
وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة ونعمة الولد راجعة الى المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة
مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من الذكور من
ييسر لتماس الولاد حالا للاشعار بانه المتصدي لذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد الا كما في قوله ربنا اني
فان اسكانه مع عدم تحققه بلا طلبته لمن اسكنه ما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص بالدعاء بعض
ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيما للصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك
جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ
بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام
ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة وحمله على سام وسبأ في لغة تمام في شأن مريم يتفضل الله عز وجل وللمؤمنين
كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين
على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تحوله وقيل اسند قيام اهله
مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس صادرا عنه على الترتيب
المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا لا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امر البلد وارشاد الناس الى الالتجاء
الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد

تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب
الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهي عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتسلية وذلك
لما انه في النهي والايذان بان ذلك الحسبان من قبيل حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فذكره لو كان
لكان للعقلاء عما وجبه من اعمالهم الحسنة فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين
او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يوهم امهالهم لعلل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا
بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة من عد مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا
واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما تؤذن به التعرض لحكم التأخير المنهي عنه وكذا قوله تعالى فاسقوا الآية او جنس الظالمين
وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم ممتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاء وهو استئناف
وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما يستحقونه من العذاب الاليم
ان تأخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل لانه انما يؤخرهم بما علموا اما ترى من التأخير انما هو لحكمة وقرئ
بالنون وايقاع التأخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون له
لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان
بان المؤخر ليس من جملة العذاب وعنوانه ولو سلم انما يؤخر عذابهم الى الآخرة لما فهم ذلك ليوم تشخص فيه الابصار ترتفع
ابصار اهل الموقف فتدخل فيه زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار
عدم قرارها في اماكنها باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بمعنى الصعود من شخص من بلده الى بلد وسائر ارتفاع
مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون
هيئة حيث كان ادامة النظر هنا بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤسهم اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء
قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها يقال اقنع رأسه اي طأطأه ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان تدل عليه الابصار
من اصحابها والثانية حال متداخلة من المستكن في الاول او مستأنفة غير صفة فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم
حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف ولا ترجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف
مجازيا او هو نفسه لكن قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم
فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص
الابصار وتأخره عما هو من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لبيان هذا المعنى
وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق
قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي فيه وباعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو ايضا حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص
ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعلامه ان تأخيرهم لماذا وامره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب
والعدول الى من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء
فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان
يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم
الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وياباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم
للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان التقول من شدة انما هو لظلمهم واشارة على صيغة الفاعل حسبما ذكر او للايذان بان الظلم
في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل على تقدير كون المراد
بالناس ما يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يتناول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم

من الامم الخالية فان اسناد العذاب يعمهم كما يشعر به وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا
الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اى الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا
على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم فى انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به اى نتدارك ما
فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل وجمع الرسل اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه الصلوة
والسلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكى كلام ظالمى الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع
اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اى فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا فى الدنيا ولم تكونوا
اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او با
الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير
وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة
الخطاب فى جواب القسم لمراعاة حال الخطاب فى اقسمتم كما فى قوله حلف بالله ليخرجن وهو اوفق فى التوبيخ من ان يقال ما لنا على حكاية
المقسم ذكر البيهقى عن محمد بن كعب القرظى رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى فى اربع منها فاذا كانت الخامسة
لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى
ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم
اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون
بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ
بك وبكنفك نعوذ عز جارك وجل ثناؤك لا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاقامة واما استعماله بفى حيث قيل فى مساكن
الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذى حقه التعدية بفى اى السكون واللبث اى قررتم فى مساكنهم
مطمئنين سائرين سيرتهم فى الظلم بالكفر والمعاصى غير محدثين انفسكم بما لقيه الاولون بسبب اجترائهم على الله تعالى وفى ايقاع الظلم على انفسهم
بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال
والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما لكل ظالم والخطاب وما يليه باعتبار حال اواخرهم
وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده
من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دل عليه الكلام اى فعلنا العجيب بهم كما فى قوله تعالى
ليسجننه وقرئ نبين وضربنا لكم الامثال اى بينا لكم فى القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء
عليهم السلام وعلى تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا
بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر
والمعاصى او بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث فى موضع الحال من ضمير اقسمتم اى اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم
فى مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم
حال من الضمير الاول فى فعلنا بهم او من الثانى او منهما جميعا وما بينهما من قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اى فعلنا بهم
ما فعلنا والحال انهم قد مكروا فى ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذى استفرغوا فى عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود
لا بعد علمهم فالمراد بيان تناهيهم فى استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكرهم المذكور فى ترتيب مبادى البقاء ومدافعة اسباب الزوال
فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى وعند الله مكرهم اى جزاء مكرهم الذى فعلوه على ان المكر
مضاف الى فاعله او الذى يمكرهم به على انه مضاف الى مفعوله وتسمية ذلك مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا او ذكرا او لكونه فى صورة المكر فى الاتيان
من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير فى مكروا

اى مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان
مكرهم فى العظم والشدة لتزول منه الجبال اى وان كان مكرهم فى غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه معدا لازالة
الجبال عن مقارها لكونه مثلا فى ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذى
يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذفت تلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليها دلالة واضحة فان الشىء اذا تحقق
عند وجود المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان الوصلية من التأكيد المعنوى والجواب محذوف دل عليه
ما سبق من قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيدها كما فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضى الله عنه
وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير فى مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال
على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدى الرسل السالفة عليهم السلام التى هى بمنزلة الجبال الراسية فى الرسوخ
واما كونها عبارة عن امر النبى صلى الله عليه وسلم وامر القرآن العظيم كما قيل فلا يحمل له اذ المذكورون هم المهلكون لا المشركون
من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هى مخففة من الثقيلة والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال الراسخة ثباتا وتمكنا من الآيات
والشرائع والمعجزات والجملة كما هى حال من ضمير مكروا اى مكروا مكرهم المعهود وان الشأن كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه
لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالتها وقد قرأ الكسائى لتزول بفتح
اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى عند الله تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم
بحيث تزول منه الجبال اى فى غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كان مكرهم هو الذى يستعظم
الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغير ذلك من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا
الى آخره حالا من القول المقدر اى فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما فيه من السكون فى مساكن
المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اى لم يقتصروا على مجرد الاقسام الذى تجاوبه بل اجترءوا على مثل هذه
العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكر فيما قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان
عدم تفاوت الحال فى تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما سلف على تقدير كون ان وصلية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة
عن امر النبى صلى الله عليه وسلم اى قد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه ما هو كالجبال من الشرائع والآيات التى هى فى القوة كالجبال وعلى تقدير
كونها مخففة من الثقيلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح
ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شأن الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام هو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكر
من قبل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما عنى بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله تعالى
كتب الله لاغلبن انا ورسلى كما قيل فانه لا احتمال له بالعذاب الاخروى بل ما سلف آنفا من عدم تعذيب الظالمين فى قوله
انما يؤخرهم الآية كما ينبئ عنه الفاء الداخلة على النهى الذى اريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى واليقين بانجاز
المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم الخالية بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعدما وعدهم
بذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم فكأنه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما
يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم فى احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا
رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يدافع
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهى المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكر من تعذيبهم خاصة لم يذيل
بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر
عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهى المذكور اى ينجزه يوم الخ او معطوف عليه نحو اذكر
يوم تبدل الارض غير الارض او للانتقام وهو يوم القيامة اتم الوعد واليه لكن لا على انه مذكر كل شىء بعنوان الخصوص والتعيين مع عموم
اسبابه للاوقات كلها للافصاح بما هو المقصود من تعذيب الكفرة المدخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل هل الترجم

او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الى آخره وهو ايضا في الوجه الثالث من ابطال الاعذار ولا يجوز
ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية
فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها
وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال
والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي
تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض
وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار
كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا والسموات اي وتبدل السموات
غير السموات حسبما عرفت من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا وكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلائق
او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون
انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك وجعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وعطف
على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو
لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام
في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان
لواحد غلاب لا يغالب ولا يعارض كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا
والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار اما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا
فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه منجزه يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم تبدل
الارض او يوم اذ ينجز وعده مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين
اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها باشكال تناسبها في الصورة
الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالسلاسل من المجرمين في الاصفاد في القيود او الاغلال
وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر
محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او ... والقطران ما يتحلب
من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وقد تصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع
فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته
واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره
فكل ما نشاهد من منهما اسماء مسميات الآخرة فبكرم العظيم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس
من الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب اليها الآلام والغموم بل ان يكون القطران المذكور عين ما لابسوه في الدنيا وجعلوه
شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد
العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطر آن اي نحاس مذاب بالغ حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط
بها ان الا تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة
واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره
كما ان الفؤاد امس الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني
عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخصيصها لتشاعر قواعد انكشاف الكرب احيانا ويتضاعف عليهم الخزي على رؤس الاشهاد وقرئ
تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال كما

قاله ابو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من انواع الكفر
والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل و
يحلق قوله وترى المجرمين الى آخره اعتراضا بين المتعلق والمتعلق اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية
ما كسبت من خير او شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يأتي عن قرب
او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله تعالى ولا تحسبن
الله غافلا الى هنا بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون
العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين
كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ
اي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا به او هذا ابلاغ لهم ليفهموا ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول
الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه فحذره واستعد له
وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرها مما سبق انما هو اله واحد
لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى وليذكر اولوا
الالباب اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم
من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب
تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكر من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليهما على ما سبق
للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة
امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود
مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى آمين عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه
اي تلك السورة العظيمة الشان آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك
اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكمال لا على جعله
عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغني عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها
من جملتها اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن اي قرآن عظيم الشان
مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام والقصد تفخيم شأنه العظيم
مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقتين احداهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثانية كونه
ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن ادراك البيان واخرت هذه الطريقة لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب
بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح لئلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به
من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سنذكره هناك
والمراد بكون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن توجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ بتشريع سائر
فيقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددة ومخففة على كلا فتح الراء وضمها

ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه ان يدخل
على الماضي ودخوله على المضارع في قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود
الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه مذعنين لامره وفيه ايذان
بان كفرهم انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند
رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم
القيامة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم
وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار
فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه
حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة
فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة
التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول
رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار
براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وفيه اشارة الى ان ذلك الامر من الوضوح بحيث
لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه معنا النحو فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام كل آن من آنات اليوم الآخرة ان ذلك
من الظهور بحيث لا يشتبه على احد لو جيء بالكلام على صيغة ومع ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها ما يقل بالنسبة الى حسراتهم
الكثيرة وهذا اسلوب الاهم المقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا
وإذ هاتى بالاشعار بان من شأن العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يقارن
ضده فكيف اذا كان مستحق الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم
مرجو الوجود بلا تعين او قليل الوقوع بل ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بما يقطع بوقوعه
قليل الندم في كونه مما يجتنب عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح
بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن
وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متغايران ذاتا ومعنى فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن فهم المقام حقه
ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك بل خلهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه
فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استمتاع ليتقضى حظهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون
مترتبا على تخليتهم وشأنهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع المفضيان
الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا الخير فالافعال
الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرف من تعلق الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها
غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بترك النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح
مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامره عليه الصلاة والسلام بتركه ليستوفوا حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون
فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من حيث موقع كونه عندا
ايجاد وعيد وتهديد اثر تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النصح لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق
الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقريره والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان
سر تأخير عذابهم الى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي وما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل
ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل بآخرين الا ولها في ذلك الشأن كتاب اي اجل مقدر مكتوب

في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف
بالتقدم والتأخر فلما سبق اخبر الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة
كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه
ونهلكها قبل بلوغه معلوم لا نغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى
في حال من الاحوال الا وقد كان في حقها كتابا اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية
المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية
لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه على
المختار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء
الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللاشعار
بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط فان ذلك بحرفيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع الهلاك لا لاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه
السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين
ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة
وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها اي لا تجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان
واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخلف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان
كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المستقبل فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه
الى الماضي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه السبق كما ان ايراده بعنوان
الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستأخرون اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما
واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار
حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم
تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار
ان المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية
الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيامة حسبما اشير اليه بيانه واذهم
اذ ذاك وبالامر بتركهم وشأنهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها علم الله تعالى
بان منهم من يخرج منهم الى يوم القيامة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب
وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك
لمجنون كقول فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادة
انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عند ما تدعي انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل
لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله
تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله وايراد الفعل
على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل لو ما
كلو عند تركيبها مع ما يفيد ما تفيده عند تركيبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض فلا انه عند ارادته
لا يليها الا فعل ظاهرا او مضمرا او عند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهرا او مقدرا عند البصريين والمراد هنا هو المعنى الثاني اي هلا تأتينا

بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الإنذار كقوله تعالى لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يعاقبوننا
على التكذيب كما أتت الأمم المكذبة لرسلهم إن كنت من الصادقين في دعواك فإن قدرة الله تعالى على ذلك مما لا
ريب فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فإنا لا نصدقك بدون ذلك أو إن كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت
أممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الإنزال وقرئ بالتاء مضارعا من التنزل
على صيغة البناء للمفعول من التنزيل بحذف إحدى التاءين وماضيا منه ومن التنزيل من الثلاثي وهو كلام سوق الى النبي عليه
الصلاة والسلام جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب
عن أولها أعني قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله فإنه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا
بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن أول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة
اقتضائه للجواب لكون أحد الجوابين متصلا بالسؤال في العكس لزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول
عن تطبيقه لنظام كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يعلل بأنهم بهم للإنذار بأنهم قد أخطأوا في التعيين كما أخطأوا في الاقتراح
وأن الملائكة لعلو رتبتهم أعلى من أن ينسب إليهم مطلق الإتيان الشامل للانتقال من أحد الأمكنة المتساوية إلى الآخر منها بل من
الأسفل إلى الأعلى وأن يكون مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت حدس البشر وإنما الذي من شأنهم النزول
من مقاماتهم العالية وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب رب الجليل إلا بالحق أي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل
مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل
لأجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فإن ذلك من باب
التنزيل بالوحي الذي لا يكاد ينفتح على غير الأنبياء الكرام من أفراد كمل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللئام وإنما الذي
يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضرابهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا
بالمرة وما كانوا إذا منظرين جزاء الشرط مقدر وقد أخبر بانتفاء مقدمه بأنهم ليتعين مطلوبهم كما في قوله تعالى وإذا
لا يلبثون خلافك إلا قليلا قال صاحب النظم لفظة إذن مركبة من إذ وهو اسم بمعنى الحين تقول أتيتك إذ جئتني أي حين جئتني
ثم ضم إليها أن فصار إذ أن ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة إذن دليل على إضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ كان
ما طلبوه أي التنزيل والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الأمم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم
القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم
لتعلق العلم والإرادة بازديادهم عذابا وبإيمان بعض ذراريهم وأما نظم إيمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم
في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه إعجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل
للحكمة من أنهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار وأنه لا حكمة في أن تأتيكم بصورة يشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا أو إن
الملائكة لا تكون إلا بالحق وحصول الفائدة بإنزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنه لو أنزل إليهم الملائكة لبقوا مصرين
على كفرهم فيصير إنزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع إخلال كل من ذلك بقطعة الباقي لا يلزم من فرضه وقوع شيء من ذلك
تعجيل العذاب الذي يفيده قوله وما كانوا إذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لإتيان الملائكة لأجل الشهادة وأما على تقدير
كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى إنا ما ننزل الملائكة للتعذيب إلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه لو نزلنا
حسبما اقترحوه أكان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة أوجبه تأخر عذابهم إلى يوم القيامة لا رضا بهم بل لشدة إحاطتهم من قبل وحيث كان
في نسبة تنزيلهم للتعذيب إلى عدم موافقة الحكمة نوع إيهام لعدم استحقاقهم للتعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر إلى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل
لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لشدة عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب وأيد
إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له أي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا
نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول إيماء إلى أنه أمر
لا مصدر له وفعل لا فاعل له وإنا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا أوليا فيكون وعيدا

للمستهزئين وأما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ عن جميع
ما يقدح فيه من الطعن والمجادلة في حقيته ويجوز أن يراد حفظه بالإعجاز والملائم للمنزل من عنده تعالى إذ لو كان من عند
غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة
شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقيل الضمير المجرور للرسول
صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جوابا عن أول كلامهم الباطل لما ذكر آنفا
وللارتباط بما يعقبه من قوله تعالى ولقد أرسلنا أي رسلا وإنما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بأرسلنا
أو بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف أي رسلا كائنة من قبلك في شيع الأولين أي فرقهم وأحزابهم جمع شيعة وهي
الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه إذا تبعه وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفته عند الفراء ومن حذف
الموصوف عند البصريين أي شيع الأمم الأولين ومعنى إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي
ويذر من أمور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي إتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي إتيان كل رسول لكل واحد
من تلك الشيع جميعا أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فإن ما لا تدخل إلا
على مضارع إلا وهو بمعنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال أي ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها إلا كانوا
به يستهزئون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم إذا كان المراد بالإتيان
حدوثه أو في محل الرفع على أنها صفة رسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي إلا رسول كانوا به يستهزئون وأما الجر على أنها صفة
باعتبار اللفظ فيفضي إلى زيادة من الاستغراقية في الإثبات ويجوز أن يكون منصوبا على الوصفية بأن يقدر الموصوف منصوبا على
أن يكون المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هذه عادة الجهال مع الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل
كذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحي مقرونا بالاستهزاء أي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب
أولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤوا به من الكتب نسلكه أي الذكر في قلوب المجرمين أي أهل مكة أو جنس المجرمين
فيدخلون فيه دخولا أوليا ومحله النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أو حال منه أي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك أو نسلك السلك
حال كونه مثله أي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فإنهم من أهل الخذلان ليس لهم استعداد لقبول الحق وصيغة المضارع
لكون المشبه مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الأمم السالفة أو للدلالة على استحضار الصورة والسلك إدخال الشيء في آخر
كسلك الخيط في الإبرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به أي بالذكر حال من ضمير نسلكه أي غير مؤمن أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها
وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين الثاني لأن لا يجعل الضمير المجرور أيضا له على أن الباء للملابسة أي نسلك الاستهزاء في قلوبهم
حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال إما مقدرة أو مقارنة للإذان بأن كفرهم مقارن للإلقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
وقد خلت سنة الأولين أي وقد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف
جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء أي بابا ما لا بابا
من أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة أو بغيرها ويرون فيها
من العجائب عيانا كما يفيده الظلول أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين
طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق إنما سكرت أبصارنا أي سدت من الإحساس
من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أي حارت بل نحن قوم مسحورون
قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على أنهم يبتون القول بذلك
وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيلوه لهم بنوع من السحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيراده بعد سكر الأبصار
لبيان إنكارهم لغير ما يرونه فإن عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار
فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الأبصار ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات أي

البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما دل عليه الرصد والتجربة مع ما تعق عليه الجمهور من بساطة السماء
وجعل ان جعل بمعنى خلق والابداع ومبدأ نظائره فالجار متعلق وان جعل بمعنى التصيير فمفعول ثان له متعلق بمحذوف اى جعلنا
كائنة فى السماء وزيناها اى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها بمعنى النظر
ظاهرا وللمفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فى ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار
وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمى بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها
الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف
على ما فيها فى الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد النبى صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا
شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اى فتبعه ولحقه
شهاب لهب محرق وهى شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لانها شبهها بالبرق مبين ظاهر للمبصرين
قال معمر قلت لابن شهاب الزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم وان النجوم تنقض يرمى الشيطان فيقتله او يخبله لما يعود
الى استراق السمع ويعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام
قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ
ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث شاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس فى البوادى قال القرطبى واختلفوا
فى ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض
مددناها بسطناها وهو النصب على الحذف على شريطة التفسير ولم تقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعنى قوله
تعالى ولقد جعلنا ولموافقة ما بعده اعنى قوله تعالى والقينا فيها رواسى اى جبالا ثوابت قد مر بيانه فى اول الرعد
وانبتنا فيها اى فى الارض او فيها وفى رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة وانما وصفه بتقدير او بمعنى يوزن
من كواكب الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب كانه يوزن او يقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون
من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهى بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة
التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم وتحقيق ان الله تعالى هو الذى يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها
معايش لمن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفى ومن مزيدة للتاكيد وشيء فى محل الرفع على الابتداء اى ما من شيء
من الاشياء الممكنة مدخل فيها ما ذكرناه اولا وثانيا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده
او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزائن جمع الخزانة وهى ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب فى العرف على ما للملوك والسلاطين
من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة فى كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة
عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلق الارادة بوجودها
وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة فى الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اى نوجد
وما نكون شيئا من تلك الاشياء الملتبسة من الاشياء الا بقدر معلوم اى الا ملتبسا بقدر معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المشية التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه
مع استواء الكل فى الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضى اختصاص كل من ذلك بما اختص به والبيان بعدم تكون
الاشياء على وجه الكثرة حسبما فى خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اى ننزله وما ننزله او حال مما سبق اى عندنا خزائن
كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثانى لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل
من العالم العلوى الى العالم السفلى كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل

وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق
وترشيح ما لحق اى ارسلنا الرياح لواقح اى حوامل شبهت الريح التى تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم
ما لا يكون كذلك او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اى المهلكات وقرئ
وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اى جعلناه
لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا وما انتم له بخازنين نفى
عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه فى السحاب وانزاله وما انتم على ذلك
بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه فى الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء
تقتضى الغور وانا لنحن نحيى بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل
الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل كما فى قوله تعالى ان هذا
لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اى الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك
عند انقضاء زمان الملك المجازى الحاكمون فى الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصورى والملك المجازى وفيه تنبيه على ان المتاخر
ليس بوارث للمتقدم كما يرى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستأخرين
من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر فى ذلك
لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفى تكرير قوله تعالى ولقد علمنا
ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة
حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب
لما سبق ولما يلحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اى للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولى له
لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيى العظام وهى رميم اى هو يحشرهم لا غير وفى الالتفات والتعرض لعنوان
الربوبية اشعار بعلة الحكم وفى الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن فى افعاله
متسع علمه بحقائق الاشياء على ما هى عليه الائق بالافعال على ما ينبغى عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان
باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اى هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا
على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه فى سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت
اذا نقر قيل اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمأ من طين
تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اى من صلصال كائن من حمأ مسنون اى مصور من سنة الوجه
وهى صورته او مصبوب من سن الماء صبه او مفرغ على هيئة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة فى القوالب وقيل منتن فهو صفة
حال لحمأ وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمأ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس فى حال كونه صلصالا بل فى
كونه حمأ كانه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن
الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد
واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بامره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع
للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين
الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا امتناع فى خلق الحياة فى الاجرام البسيطة
كما لا امتناع فى خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فى اجزائها الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فى اجزائها
الجزء الارضى وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الاولى التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك
نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل فى ذكر ما وقع فيه من الحوادث والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء

الى كماله الآن به شيئا فشيئا مع الاقتصار على الاصل اي ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت
قوله تعالى للملائكة اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف
يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا وقيل ليس في ايثار العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون ما قيل لهم اني
خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا باديا البشرة
بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن
من حما مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية
لوصف الطين من التغير والاسوداد وما ادرجه عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته ايثار
الاكتفاء بما شرح هاهنا فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاءه بتعديل طباعه
ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة
ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له
امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما او سجدوا لله تعالى
على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى
لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ
منهم احد اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا
فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب التنزيل على اكمل احوال الشيء
ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكل
فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء فمثل اكد بتاكيد مبالغة في التعميم هذا واما ان
هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد
فصلناه بفضل الله عز وجل عن عهدته في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف
من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف
مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل
به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار
مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استئناف مبني على سؤال من
قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك او اي غرض لك كما في قوله تعالى ما منعك
الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد
تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة
من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد
اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي جسم كثيف خلقته
من صلصال من حما مسنون اقتصر هاهنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه
مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه هاهنا فاقتصر على حكاية تعرضه
لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل أأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس
استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كا

كأنه قال لم امنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله
على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها
التكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته
لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى
هبوط اي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان
احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ضير في اطراده على رأي من لا يستشهد لما يقتضيه من الحكم
البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب جلاله
عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من
جهته تعالى وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار
بتأخر عقابه وجزائه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك
اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هناك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما حد
لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض او حيث امكن كون آخر اللعن مع الموت كسائر من حرم
عفو الله الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني والفاء
متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد به
ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة
الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا
لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس
الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء لربط ما فيه
من الاهلية المقررة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتأخير
الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل وسلطه في ذلك سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن
والانس من الثقلين لا يلايم مقام الاستنظار مع تحققه ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اقتضائه السؤال الى البعث
كما عرفته في سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكر هاهنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب
النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة
ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عنه بالكلية فضلا عن الارتقاء
الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي علم
انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات
لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين يتحقق به وبيوم الدين لما ذكر في الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لانتسابه
تعالى بعلمه فقط ولا استحالة في هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد وموت اللعين في اوله وبعثه في اواسطه ومعاقبته في بقيته ويروى
ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت المدينة اريد
امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب
سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق
الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا
اسحاق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع
واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين

والآخرين من الثقلين أضعافاً مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفاً قد امتلأوا غيظاً وغضباً وليكن مع
كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روح اللعين بسبعين ألف كلاب من كلاليبها وناد مالكاً ليفتح أبواب
النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليها أهل السموات والأرضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي إلى إبليس فيقول
يا خبيث لأذيقنك الموت كم من عمر أدركت وقرون أضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين إلى المشرق
فإذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب فإذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنبذه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الأرض
ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا
كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب صارت الأرض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه
بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب إلى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم إلى عدوكما كيف يذوق الموت
فيطلعان فينظران إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أتممت علينا نعمتك قال رب بما أغويتني الباء
للقسم وما مصدرية والجواب لأزينن لهم أي أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الأرض أي الدنيا التي
هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض وإقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي إقسامه بهذا فإنه فرع من فروعها
وأثر من آثارها فلعله أقسم بهما جميعاً فحكى تارة قسمه بهذا وأخرى بذاك أو للسببية وقوله لأزينن جواب قسم محذوف والمعنى
بسبب تسببك لإغوائي أقسم لأزينن لهم المعاصي وتسويل الأباطيل والمعتزلة أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي والتسبب له بأمره إياه بالسجود
لآدم عليه السلام واعتذروا عن إمهال الله تعالى له وتسليطه على إغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم منه ومن تبعه أنهم يموتون على الكفر
ويصيرون إلى النار أمهلوا أو لم يمهلوا وأن في إمهاله تعريضاً لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولأغوينهم أجمعين لأحملنهم على الغواية
إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام أي الذين
أخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي أي حق علي أن أراعيه وهو تخلص المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه
طريق يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال والأظهر أن ذلك لما وقع في عبارة إبليس حيث قال لأقعدن لهم صراطك
المستقيم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف إن عبادي وهم المشار إليهم بالمخلصين
ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالإغواء إلا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقاً لما قاله اللعين
تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الإغواء عنهم وأن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق
اتباعهم له بسوء اختيارهم وإن جهنم لموعدهم أي موعد المتبعين أو الغاوين والأول أنسب وأدخل في الزجر عن اتباعه
وفيه دلالة على أن جهنم مكان الوعد وأن الموعود مما لا يوصف في الفظاعة أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل
الموعد إن جعل مصدراً على تقدير المضاف ومعنى الإضافة إن جعل اسم مكان لها سبعة أبواب يدخلونها لكثرتهم
أو سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية
لكل باب منهم من الأتباع أو الغواة جزء مقسوم ضرب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فأعلاها للموحدين
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس
أن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية
للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ جز
وبحذف الهمزة وإلقاء حركتها إلى ما قبلها مع التشديد أي للوقف ثم أجري الوصل مجراه ومنهم حال من جزء أو من ضميره في الظرف لا في مقسوم
لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها إن المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة في جنات
وعيون أي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين أو لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على إرادة القول أي أمر الله تعالى لهم بالدخول وقرئ أدخلوها
أمر منه تعالى للملائكة بإدخالهم وقرأ الحسن أدخلوها مبنياً للمفعول على صيغة الماضي من الإدخال بسلام ملتبسين بسلام أي
سالمين أو مسلماً عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل أي حقد كان في الدنيا

وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إخواناً حال من الضمير
في قوله تعالى في جنات أو من فاعل ادخلوها أو من الضمير في آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذلك قوله
على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لإخواناً أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وكون الثاني حالاً من المستكن في الأول
وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم لا يمسهم فيها نصب أي تعب بأن لا يكون لهم فيها
ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل أصلاً أو بأن لا يعتريهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة
لكمال قوتهم وهو استئناف أو حال بعد حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين أبد الآباد لأن تمام النعمة بالخلود نبئ
عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة إشعار بأن ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصفه تعالى ذاته بها وبالرحمة
على وجه القصر دون التعذيب إيذان بأنهما مما يقتضيهما الذات وأن العذاب إنما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على
نبئ عبادي أي وأخبرهم بما جرى على إبراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه
السلام مع أهله المؤمنين أي أخبرهم بما ذكر في تضاعيف تنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بأن عذابه هو العذاب الأليم عن ضيف
إبراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب سبعة معه عليهم السلام وقيل جبريل
وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا أحد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل
أنهم كانوا اثني عشر ملكاً عليهم السلام وإنما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لأنهم لم يكونوا مرسلين إلى إبراهيم عليه السلام بل إلى قوم لوط
حسبما يذكره إذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ أي واذكر وقت دخولهم عليه أو خبر مقدر مضاف إلى ضيف
أي خبر ضيف إبراهيم حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر في الأصل فقالوا عند ذلك سلاماً أي نسلم سلاماً
أو سلمنا أو سلمت سلاماً قال إنا منكم وجلون أي خائفون فإن الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين
امتنعوا من أكل ما قربه إليهم من العجل الحنيذ لما أن المعتاد عندهم أنهم إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير لا عند
ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير إذن
ولا بغير وقت إذ لو كان كذلك لأجابوا بما أجابوا به ولم يتصد عليه السلام لتقريب الطعام إليهم وإنما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر في
هذا الموضع الآخر ألا يرى إلى أنه لم يذكر هنا رده عليه السلام لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله
أخافه ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله إنا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فإن المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف
ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله في عافية وسلامة زماناً طويلاً بغلام هو إسحاق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها
بإسحاق ولم يتعرض هنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم إذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال
أبشرتموني بذلك على أن مسني الكبر وأثر في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال
فبم تبشرون أي بأي أعجوبة تبشرونني أو بأي شيء تبشرونني فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء أو بأي
طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على إدغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق أي بما يكون لا محالة
أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فإنه تعالى
قادر على أن يخلق بشراً بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته
تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه
قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون أن يقولوا من الممترين أو نحوه قال ومن يقنط استفهام إنكاري أي لا يقنط من رحمة
ربه لكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه
أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وإنما الذي أقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة
ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح والمقاولة من الملائكة مع إبراهيم عليهم السلام جاءت بالبشارة
أيضاً حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك اكتفاء بما ذكر هنا قال أي إبراهيم

عليه السلام وتوسيطه بين قوليه من قوله فما خطبكم اى امركم وشأنكم الخطير الذى لاجله ارسلتم سوى البشارة
ايها المرسلون صرح فى ان مجيئهم لمقالة مطوية لهم الى البشارة لكانهما كما فى قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا
الذى كرمت على الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبنى على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط
قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثانى بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان
خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر
لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى ما قيل انه عليه السلام علم ان كمال المقصود ليس
البشارة بسبب انهم كانوا ذوى عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد فى زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه
فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن
وصفوا بالاجرام وجئ بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير فى مجرمين اى الى قوم اجرموا
جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجى
الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اى آل لوط واله اجمعين اى مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم
اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين او تعليلا فان من
من تعلق بهم النجاة منجى من شمول العذاب مقطوع بانه وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى الاول قوله تعالى
الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا
وقرئ لمنجوهم بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع
اختصاصه بذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم
له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع فى بيان كيفية اهلاك المجرمين
وتنجية آل لوط حسبما اجمل فى الاستثناء وفصل فى التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به
من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكى عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون
انما قاله بعد اللتيا والتى حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما شاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد
من قومه الاعادى ما يذرع عنه خشيته فى خلاصهم انكارا لخذلانهم له وتركهم نصرته فى مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم لم يكونوا مباشرين
لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد حسبما فصل فى سورة هود لا انه عليه السلام قاله عند ابتداء
ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكى بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى بالعذاب
الذى كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك
المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكر بل جئناك بما يسرك وتقر به عينك بل هى
اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذى
كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر
بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان
كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعى ثقة بمراعاته
فى مواقع اخر ونسبة المجئ بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا لانه مرسل عليهم حسبما كان يوعدهم
واتيناك بالحق اى باليقين الذى لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفى الامتراء عنه والمراد بالحق
الاخبار بمجئ العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له اى اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اى المطابق للواقع انما
فى ذلك الخبر او فى كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه على الاول تأكيدا اثر تأكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع فى ترتيب
مبادى النجاة اى اذهب بهم فى الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى بمعنى السير فى الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
بطائفة منه او من آخره قال افتحى الباب وانظرى ايها القوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شئ صالح

واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه
المقصود بالامر للمبالغة فى ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر
والالتفات المنهى عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اى منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيق او فيصيبه
ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهى
عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع فى السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات
لا يستدعى عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر فى مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث
امركم الله تعالى بالمضى اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضى الى ما ذكر على الوصول اليه
واللحوق به للايذان بأهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بين ما سلف من الغابرين وقضينا اى اوحينا اليه مقضيا
ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة
على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التى هى مدار ثبوت الحكم اى دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول مكان صيغة المضارع لكونها
ادخل فى الدلالة على الوقوع وفى لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه
اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
بمعنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع فى حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول
وما ترتب عليه اى جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اى مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم
قال ان هؤلاء ضيفى الضيف حيث كان مصدرا فى الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة
بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم فى زى الضيف والتأكيد ليس لانكارهم ذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بهم وتشمره
لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اى عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لى عندكم قدر
وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا
الله فى مباشرتكم لما يسوءنى ولا تخزون اى لا تذلونى ولا تهينونى بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان
التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيرا فى جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار
قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم
بعد النهى المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزى وامرهم بتقوى الله فى ذلك وانما لم يصرح بالنهى عن نفس تلك الفاحشة لانه
كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى فى ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين
بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اى عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر اى الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام
ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزى انما جاءك من قبلك
لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى لك لما اعتراك تلك الحالة ولما رأى انهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتى يعنى نساء
القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اى فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم
مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك فى سورة هود ان كنتم فاعلين اى قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك
قسم من الله تعالى بحياة النبى صلى الله عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليه السلام والتقدير لعمرك قسمى وهى لغة فى العمر يختص بالقسم
ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفى سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب
يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اى الصيحة العظيمة الهائلة
وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالى المدينة او عالى قراهم وهو
المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو ادخل فى الهول والفظاعة من العكس وامطرنا عليهم فى

في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود
ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس
ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية
عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم
واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق والاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة
كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن كان
اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله اليهم
لظالمين متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب اي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها
يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق
ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب
واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه
من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا
وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا
كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء
صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص
بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا
لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية
فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم
وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم
ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان يكل
جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر
بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن
جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما
وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد
الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة واما تكرر قراءتها في غير الصلاة كما قيل فمما لا يكون مدارا للتسمية لانها تثنى
بما يقرأ بعدها في الصلاة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق

وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو
ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد
وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كأنها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه
مثنى عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض على الاول وللبيان على الثاني والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف
الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح
ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم
اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك
اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل انهم المتمتعون به وايا ما كان فمعناه لا تكن ممن يحزن عليهم واخفض جناحك
للمؤمنين اي تواضع لهم وارفق بهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي المنذر
المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الى آخره اي انزلنا عليك كما
انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق
للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول بعضهم سورة آل عمران
لي وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك الى اداء ما هو المراد بالكلام
من التسلية عقيب ذلك بانه جعل المقام عن التشبيه لقدوة النبي عليه السلام لم يوجد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله تعالى
وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير
بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان تشبيه العذاب المنذر بالانذار يكون تحقق الوقوع معلوم الحال عند المنذر او
يحقق مادة التشبيه وهي تأكيد معنى الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم توجه الانذار اليهم وعدم سبق وعد ووعيد فيهم
غير محقق ولا يساعد ذلك تنزيل المتوقع منزلة الواقع لموقع جليل من الاعجاز فانه انما يصار اليه ما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود وتجريد العذاب المذكور بهم مع شركتهم للعذاب في الاقتسام المتفرع على الموافقة
والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف اشكال بل الاولى تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص غير مخصص وقيل المراد
مفعول اول لانذر اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات فيرجع ما فيه من الاشتراك كما في عدم كون
العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا مقصورا على المذكورين لا موجودا او متوقعا انه لا داعي الى تخصيص صنف المقتسمين واخراج المعضين
من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن
بذلك وقيل هو الانسب للتعضية الا ان الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن مما يحق ان يشبه به عذاب غيرهم
ولا بخصوص صاحبهم بل عاما لكل المقتسمين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا
قبل هلاك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقدم المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون
هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر وفيه مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه الصلاة
والسلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى
قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف ما لم يجز عند البصريين فلا بد من الذهاب الى مسلك الكوفيين في

الى جعله مفعولا غير صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا
صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت تدري ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق القرآن العظيم صالح
لان يقع مشبها بها للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور بعيد حيث لم تكن صلته للمقتسمين حينئذ ان جعلناه مفعولا اول للنذير او لما
هو عليه من الانذار لا يكون للتعرض بعنوان التعضية خير الصلة لا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور خير المفعول الثاني فائدة لما ان ذلك ليس
للاشعار بعلية الصلة للحكم اثباتا للموصول الموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم
في السبب فان المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب
لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مصححة لوجه الشبه ووقوع احدهما في جانب والآخر في جانب اتفاقي لا تعلق له مطلق الاتفاق
على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اولا لان العنوان التعضية ذلك
وانما يدل عليه التقاسم المأخوذ في جعل الموصول مبتدأ على ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل اذا عرفت
فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة ان يتعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة
لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من روائع النظم الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين عليهم وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة
بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله
الذين آتيناهم الكتاب الى آخره للتنبيه على ان الايتاء من الثاني فان الاول على وجه التكرمة والاجتباء فشتان بينه وبين ايتائه لا يقدح
ذلك في وجه شبها به فانه مع ذلك انما يسلم عندهم وتقدم وجوده على المشبه انما لا لمزيته عليه الى ذاته كما في الصلوات الخليلية
فان المشبه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام والآل اكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك
للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في السابقة اشعار بفضل المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية
ما تعلق الاول مما تعلق الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما يغنيهم من الانزال المذكور اذ انما
بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بالكل حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة الاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط
قوله تعالى لا تمدن الى آخره لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم ولقد بين ولا عطفه في رفعة شأنه
بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها
بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم واظهار
قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم ثم رجع الى الكلام في شأنه على وجه يدرج فيه
ترح شبهة المنكرين ويستتبع من العناد ببيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فاحفظ والله عنده علم الكتاب هذا
وقد حمل المعنى قل اني انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستأتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما
موصولة والمراد بالمثل المستفاد من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل ذلك
القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتاب اي موافقا لذلك فلا نسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك
تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى
الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي
الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات
للتنصيص على كمال قبح ما فعلوا بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضه على الاول
ودالة على النقصان **فوربك لنسألنهم اجمعين** اي لنسألن يوم القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع
عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ويجزيهم بذلك جزاء موفورا وفيه
من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه
السلام اظهار للطف به عليه السلام **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله

الابانة

الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني
السبع والقرآن العظيم **واعرض عن المشركين** اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد للانتقام منهم
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث
بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به
فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح
رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله الها آخر** وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون**
عاقبة ما يأتون ويذرون **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك
وتحلية الجملة بالتأكيد لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه
من اقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك** فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد
وكن من الساجدين اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق المبين وعنه عليه
السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة **واعبد ربك** دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان
السالف لتأكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة **حتى يأتيك اليقين** اي الموت
فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة
ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله** اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم
والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم
المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال
قربه من الوقوع واتصاله به وبه يكمل حسن التفريع في قوله عز وجل **فلا تستعجلوه** فان النهي عن استعجال الشيء وان صح
تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكن ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال اصلا لا بما دونه
من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما دل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء
لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول
فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجال الكفرة له بطريق الجد واستعجالهم
له بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك داعية
تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت
فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا
قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم
فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب للكل لا لما توهم من ان التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل من ان يحتمه
بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد باتيانه ما هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامتناع
النهي عنه لما ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة وما ذكر لو توقف انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد

ولا يختلف ذلك باستعجال المستعجل كائنا من كان بل هو دلالة واضحة على عدم اللوم لان المراد بامر الله اما هو الساعة او عقوبة
استعجال صدور استعجالهما المؤمنين ثم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن
الذي يقتضي الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما يستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل
الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان الهتهم يحجزونه عن انجاز وعده او يشفعون لهم وقد قالوا في بعض شفعائنا
يحمل العذاب فلا اصنام يحملها عن شفعائهم بشفاعتهم وذلك فيقبل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزه وتعاظم
بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة
الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب
وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة
ينزل الملائكة بيان لتحتم التوحيد حسبما علم منها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه
شيء في شيء وايذانا بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا به دعوة الناس مع الاشارة الى ما به يعلم التشريع وكيفية
القاء الوحي والى ما هو طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك او هو مع ما فيه ازاحة الاستبعاد من اختصاصه عليه السلام بذلك
واظهار لبطلان رايهم في الاستعجال والتكذيب واثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل
عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا وهو من معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف
احدى التائين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل بالروح اي بالوحي الذي من جملته القران على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب
الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح من امره
بيان للروح الذي اريد به الوحي فان امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدا منه او صفة له على راي من جوز حذف الموصول
مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره او الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره
على من يشاء من عباده ان ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تاهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين
بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للامر
كما يشعر به الباء في المبدل منه وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا
او مفسرة على ان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا اي اعلموا من الاعلام
او مصدرية لجواز كون صلتها انشائيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة يونس ومحلها الجر على البدلية ايضا والانذار
الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس
اي اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضع الايذان بشهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة
الانذارية بضمير الشان التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقررها في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانما خص ذلك بالمحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف
المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله تعالى فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات
والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له
في الالوهية فاتقوني في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد ما جرد الدليل
السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه اللائق
والنمط الفائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود
او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما بين على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما
من خلائقه مبتدئا بفعله المتعلق بالانسان فقال خلق الانسان اي النوع غير الفرد الاول منه من نطفة جماد
لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر

قال من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد مساوي الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم
فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز
وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان لما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك
وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدا وهو ما يدفا به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول
او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها
وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى
ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق
فان الدفء والمنافع يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل
منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل
ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار الماكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها
ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون
تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف
من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية والاكناف بها وبتجاوب ثغائها
ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الى اربابها
وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه
في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملاء البطون
مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل احمالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر والشام
ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم
الى الحمولة اشد والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل
الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة
الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه
بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم الدال على كون الانعام مدار النعم الى الجملة الفعلية المفيدة
للتجدد والحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست بعامة حسب عموم الاولى وحسب تعلقها في الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة
فان النعم السابقة فانها حسب الماشية خاصة بالابل وحسب التعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين
غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات
ان ربكم لرؤوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له
من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها
بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول
وتاخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز
ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق
في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
والتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه
بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون

هذا اخبار بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمه الباطنة الظاهرة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه
جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه
كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة
وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه
اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم
الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة
والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة
عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل
ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب منار وعلم مستقل يهتدى بأنواره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل
عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك
الادلة المنصوبة التي هي معالم الهدى المنجية عن مهاوي الضلالة ومهاوي الردى الا ترى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعالى جناب
الذات عن ان يحوم حول شانه توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس
ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال
بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما هو
بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم بما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين مرره على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق
ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غب بيان ما يعدل له ايا تعدل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس ومن سبيل
القصد وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون
وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر
جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وفي
نفس السبيل المستقيم القصد منها راجع لها بتقدير المضاف اي من جنسها لما عرفت ان تعديل السبيل وتقويمها ابداعها ابتداء على
الاستقامة والعدالة لا تعديلها بعد انحرافها واما ما كان عليه النظم الكريم بتغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك
انما يكون مما يقتضي الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفين لكن عدل عنه النظم الكريم تعاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه
وليس المراد ههنا بيان قصد السبيل بمجرد اعلام انه مستقيم حتى يقتضي اسناده انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه
لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد انما هو نصب الادلة للهداية الى الحق ولا امكان
لاسناد مثله الى الله تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها عليه حتى يعرف كما لا اسناد منه تعالى الى غيره لكنه يتعذر ولا يتوهم
متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائر الا هو ثم تغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة اعتراضية جيء بها لبيان
الحاجة الى التعديل والتقويم واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب
الادلة لتسلكها الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد هذا هو الهداية المعتبرة الدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة
للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعيه تسوية المحسن والمسيء والمطيع
والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية
اليه مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي
عليه يدور فلك التكليف انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها يناط الجزاء هذا هو
الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايراد حرف

الاستعلاء على ادواة الالتفات لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى علوا
كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة
الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل الى الله تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم اجمعين الاول اثبت خبرا انه
حق في نفسه ولكنه بمعزل عن تلك التوجيه لتوسيطه بين ما سيق لادلة التوحيد وبين الحق وما يليق الطريق المسمى للتوحيد على وجه اجمالي
ونقل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي الى البعث للمخاطبين على التامل مما سبق وحثا
على حسن التلقي لما يلحق بتبع ذلك كما دل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل بقدرته القاهرة من السماء
اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا من التشويق الا خبارا بانه
انزل من السماء شيئا وهو الماء لا انه انزل من السماء الشيء الفلاني ان عند ما جزء منه القديم حتى اذا من تبع قيل له شيئا
اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدا وهو خبره
والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية ليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يصير الاعتذار
بانه لا بأس لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف
الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء والاظهر ان الظرف فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين او توسيط الصفة
منها بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة النظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت
من الارض سواء كان له ساق او لا والتبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به
المطر الذي ينبت الكلأ الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت
اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة
عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها عادة جارية على مر الدهور
وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر من ان في تقديم ما حقه التاخير والتعرض للاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم
الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم
النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع
المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء الانعام
بغير صنع من البشر للاشارة الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر حيوانه اكمل من اهتمامه
بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني
لا انساني وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت بالتشديد مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات
ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر
في ان الحبة او النواة تقع في الارض فتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض
وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام
مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد
واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في صفات
الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر
سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم
ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط
صلاحه بهما من المكونات التي من جملتها ما يحصل من اجل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم ليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من التصرف فيها كيف شاؤوا
كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصرفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخيرا لهم وتصرف

من فهمهم حسب استعداداتهم وفي التعبير عن ذلك التسخير بما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة إلى المخاطبين
وإيثار صيغة الماضي للدلالة على أن ذلك أمر واحد مستمر وإن تجددت آثاره والنجوم مسخرات بأمره مبتدأ وخبر أي سائر النجوم
في حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى أو لما خلق له بإرادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع
النجوم إليهم في الظهور بمثابة قرينيها الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها إليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته
من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ
برفع الشمس والقمر أيضا وقرئ بنصب النجوم على أنه مفعول أول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له أي وجعل النجوم
مسخرات بأمره أو على أنه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أي نفعكم بها حال كونها
مسخرات لله تعالى الذي خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلق له بإيجاده وتقديره أو لحكمه أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع أي أنواعا
من التسخير وفي ذلك إيذان بالجواب عما عسى يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها بأن ذلك إن سلم
فلا ريب في أنها أيضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا
للدور والتسلسل فيناسب ما ذكر أولا على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وأنت تدري أن ليس الأمر كذلك فليس ما نحن
الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون وقال ولئن
سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله وإنما ذلك أدلة التوحيد من حيث إن من هذا شأنه
لا يتوهم أن يشاركه شيء في شيء فضلا عن أن يشاركه في الألوهية إن في ذلك أي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا
ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم
القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية أظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة إلى التأمل والتفكر ويجوز أن يكون المراد
لقوم يعقلون ذلك فالمشار إليه حينئذ عجائب الله في خلقه ودقائق العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لفهمها إلا المهرة
من أساطين علماء الحكمة ولا ريب في أن احتياجها إلى التفكر أكثر وما ذرأ عطف على قوله والنجوم رفعا ونصبا على أنه مفعول
لجعل أي ما خلق لكم في الأرض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا ألوانه أي أصنافه فإن اختلافها غالبا يكون
باختلاف اللون مسخر لله تعالى أو لما خلق له من الخواص والأحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلف الألوان أي الأصناف لتتمتعوا من ذلك
بأي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بذكر الخلق لهم منفي عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني
لزوما عقليا لجواز كون ما ذكر حالا لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر أي خلق وأنبت على أن قوله مختلفا ألوانه
حال من مفعوله إن في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على أن من هذا شأنه واحد لا ند له
لقوم يذكرون فإن ذلك غير محتاج إلا إلى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية وأما ما يقال من أن اختلافها في الطباع
والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم فمداره ما أخطأ من حسبانه ذكره دليلا على إثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة
الحال فإن إيراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث إن ذلك من المقدمات المسلمة
حقيق بالاستدلال على ما يعقبه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة أن يشاركه شيء في الألوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد
النعم المتعلقة بالبحر إثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا أي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد
لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل ووصفه بالطراوة للإيذان
بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة إلى أكله كيلا يسرع إليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ أكله وللإيذان بكمال قدرته تعالى في خلقه
عذبا طريا في ماء زعاق ومن إطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري إلى أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن مبنى الأيمان
العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق ولذلك لو أمر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالأمر كما أن
تسمية الكافر دابة حيث قال إن شر الدواب عند الله الذين كفروا لا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية
كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم أو لكون لبسهن لأجلهم وترى
الفلك السفن مواخر فيه جوار فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء

وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء
ودفع توهم كونه باستخراج الحلية أو على علة محذوفة أي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الأنباري أو متعلق بفعل محذوف أي
فعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون أي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون
بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث إن فيها قطعا لمسافة طويلة مع أحمال ثقيلة في مدة قليلة
من غير مزاولة أسباب السفر بل من غير حركة أصلا مع أنها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء
والشكر للإيذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا وألقى في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه
في أول سورة الرعد أن تميد بكم كراهة أن تميل بكم وتضطرب لما أنه فإن الأرض قبل أن يخلق فيها الجبال كانت
كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو تتحرك بأدنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت
جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر
أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال وأنهارا أي وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل وسبلا لعلكم تهتدون
بها إلى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك وقد نقل أن جماعة يشمون التراب
ويتعرفون الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا
والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الأول بطريق حذف الواو من النجوم
للتخفيف ولعل الضمير لقريش فإنهم كانوا كثيري الترداد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب
وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم
أفمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الأفاعيل البديعة أو يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا أصلا وهو تبكيت للكفرة
وإبطال لإشراكهم وعبادتهم للأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء
ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الإنكار إلى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الأمور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة
كذلك فيما بينهم حسبما يعترفون به ما نقلوا من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه أعظمها وأظهرها واستتباعه
إياها أو لكون كل منها خلقا مخصوصا أي أبعد ظهور اختصاصه تعالى ببدائع الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته وتفرده بالألوهية واستبداده
باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية إشراككم وعبادتكم إياها وإن كان على تشبيه غير الخالق بالخالق
لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين أجري عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينها وبين
جزئيها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث إن ذلك ليس مجرد رفع الأصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية إلى مرتبة
الجمادات ولا ريب في أنه أقبح من الأول والمراد بمن لا يخلق كل ما هو كذلك كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة أو العقلاء
خاصة ويعرف حال غيرهم بدلالة النص فإن من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وإنما كان دخول
الأصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة إما بطريق الاندراج تحت الموصول العام وإما بطريق الانفهام بدلالة النص على انطباقه
لا بانتهاء المراد بالموصول خاصة أفلا تذكرون أي ألا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فإنه لوضوحه بحيث لا يفتقر إلى شيء
سوى التذكر وإن تعدوا نعمة الله تذكير إجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر إيراده عقيب ما كمله تعالى على طريقة قوله تعالى
ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصلها عنها بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة إلى إلزام الحجة وإلقام الحجر إثر تفصيل ما فصل من الأفاعيل التي
أدلة الوحدانية مع ما فيه من سبق تعقيبه ولا لتها عليها وإن لم يكن متعرضا على حسبه بحيث ضرورة ظهور دلالتها عليها حيث الإنعام
لكنها حيث كانت مستتبعة للحجة الأولى استغني عن التصريح بها ثم بين لها بطريق الإجمال أي إن تعدوا النعم الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما
يعبر عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالا فضلا عن القيام بشكرها
وقد مر تحقيقه في سورة إبراهيم بتفضيل الله سبحانه إن الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والإخلال بالقيام
بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من أصناف
الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأيما نعمة والجملة تعليل للحكم بعدم الإحصاء وتقديم وصف المغفرة على الرحمة

لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والأعمال وما تعلنون أي تظهرونه منها أي
العائد لمراعاة الفواصل أي يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الإلهية ما لا يخفى
وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على أبلغ وجه كأن علمه تعالى
بالسر أقدم منه بالعلن أو لأن كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين
يدعون شروع في تحقيق كون الأصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب وتجريد أوصافها وأحوالها
المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الأحوال وإن كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وأنهم لا يعرفون ذلك
إلا بالتصريح أي الآلهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب
لا يخلقون شيئا من الأشياء أصلا أي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وإن تلازما
في الصدق أثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون أي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لأنها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها
إلى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللإيذان بعدم الافتقار
إلى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز أن يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين
الأول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم وأعجز عنهم وإيذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث أشركوا بخالقهم مخلوقهم ولا يجعل الأول أيضا
عبارة عن ذلك كما فعل لما أن القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلا ولما أن إثباته
لهم غير مستدع لنفي الخلق عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقيل أموات وهو خبر ثان للموصول لا لمبتدأ
محذوف وحيث كان بعض الأموات مما تعتريه الحياة سابقا أو لاحقا كأجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز
من ذلك فقيل غير أحياء أي لا يعتريها الحياة أصلا فهي أموات على الإطلاق وأما قوله تعالى وما يشعرون أيان يبعثون أي
أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لأن شعور الجماد بالأمور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بما لا يعلمه
إلا العليم الخبير وفيه إيذان بأن البعث من لوازم التكليف وأن معرفة وقته مما لا بد منه في الألوهية إلهكم إله واحد لا يشاركه
شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة عقيب إقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة وأحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث
وما يتبعه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها أو للآيات الدالة عليها وهم مستكبرون
عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها والفاء للإيذان بأن إصرارهم على الإنكار واستمرارهم على الاستكبار وقع
نتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الإلهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك
إصرارهم على ما ذكر من الإنكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للإشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فإن الكفر
بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع إلى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي إلى قصر النظر على العاجل والإعراض
عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لإنكارها وإنكار مدلولها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام وتصديقه وأما الإيمان بها
وبما فيها فيدعو لا محالة إلى التأمل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدة وخضوعا لأمر الله تعالى لا جرم أي حقا
وقد مر تحقيقه في سورة هود أن الله يعلم ما يسرون من إنكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن
أساطير الأولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك إنه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد أي
لا يحب المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليها أو لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر وإذا قيل لهم
أي لأولئك المستكبرين وهو بيان لإضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا أنزل ربكم القائل الوافدون عليهم أو المسلمون
أو بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أي أي شيء أنزل أو الذي أنزله قالوا أساطير الأولين أي
ما تدعون نزوله أو المنزل على طريق السخرية أحاديث الأولين وأباطيلهم وليس من الإنزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق
بقالوا أي قالوا ما قالوا ليحملوا أوزارهم الخاصة بهم وهي أوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة أصابتهم الدنيا
كما يكفر بها أوزار المؤمنين يوم القيامة ظرف ليحملوا ومن أوزار الذين يضلونهم وبعض أوزار من ضل بإضلالهم

وهو وزر الإضلال لأنهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الأمر من غير أن يكون
غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الإضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل
أي يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وأما حمله على معنى غير عالمين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزار الضلال
والإضلال على أن يكون العامل في الحال ليحملوا فما لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
من حيث إن حمل ما ذكر من أوزار الضلال والإضلال من قبيل إتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده أن الحمل
المذكور إنما هو يوم القيامة والعذاب المذكور إنما هو العذاب الدنيوي كما ستعرفه أو حال من المفعول أي يضلون من
لا يعلم أنهم ضلال وفائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذي لب وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة والتنبيه
على أن جهلهم ذلك لا يكون عذرا إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل للتحقيق بالاتباع ألا ساء
ما يزرون أي بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم إلى أنفسهم كدأب من
قبلهم من الأمم الخالية الذين أصابهم ما أصابهم من العذاب العاجل أي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فأتى الله
أي أمره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الأساطين التي تعمده وأتاها
فضعضعت كأنه فخر عليهم السقف من فوقهم أي سقط عليهم سقف بنيانهم إذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد
شبهت حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي أرادوا بها الإيقاع برسل الله سبحانه وفي إبطاله تعالى
تلك الحيل والمكايد وجعله إياها أسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى ذلك من قبل أساطينه بأن ضعضعت
فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين وأتاهم العذاب أي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون
بإتيانه منه بل يتوقعون إتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى أن هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم أساطير الأولين
سيأتيهم من العذاب مثل ما أتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيامة يخزيهم فإنه عطف
على مقدر يستدعيه الكلام أي هذا الذي فهم من التمثيل من عذابهم أو ما هو عم منه وما ذكر من عذاب أولئك جزاؤهم
في الدنيا ويوم القيامة يخزيهم أي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الأشهاد وأصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للدلالة على ما بين الجزاءين
من التفاوت مع ما دل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيامة كما هو المتبادر من تقديم
الظرف على الفعل بل لأن الإخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بأن لهم جزاء أخرويا فتبقى النفس مترقبة إلى وروده سائلة عنه بأنه ماذا
مع حسبانها أنه الآخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بأن المقصود بالذكر إخزاؤهم لا كونه يوم القيامة والضمير إما للمفترين في حق القرآن
الكريم أو لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما أشير إليه وتخصيصهم بإيراد السبب كما سيقف عليه ويقول لهم تفضيحا
وتوبيخا فهو بيان للإخزاء أين شركائي أضافهم إليه سبحانه حكاية لإضافتهم الكاذبة تقريعا وتوبيخا مع الاستهزاء بهم
الذين كنتم تشاقون فيهم أي تخاصمون الأنبياء والمؤمنين في شأنهم بأنهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام
استحضارها للشفاعة أو المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بأنه يجوز
أن يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها أو بأنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب بل يكفي في ذلك
عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون به من عنوان الآلهة فليس هناك شركاء ولا أماكنها على أن قوله
ليتفقدوها ليس بسديد فإنه قد تبين عندهم الأمر حينئذ وظهر لهم بطلان ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون أي
تشاقونني على أن مشاقة الأنبياء والمؤمنين لا سيما في شأن يتعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين أوتوا العلم من أهل الموقف
وهم الأنبياء والمؤمنون الذين أوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم
يقولون توبيخا لهم وإظهارا للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما أوعدوهم به وإيثار صيغة الماضي للدلالة على
التحقق كما هو المعتاد في أخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف إن الخزي الفضيحة
والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى إعمال المصدر المعرف باللام أو بالاستقرار في الظرف وفيه
فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف إلا أنه مغتفر في الظرف وإيراده للإشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء

العذاب على الكافرين بالله تعالى وبآياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام
في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول محل الجر على انه نعت للكافرين
او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمروا على الكفر الى حين الموت دون من آمن منهم
ولو في آخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم اي حال كونهم مستمرين على الكفر
فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول
الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركائي وما بينهما اعتراض جيء به تحقيقا لما حاق
بهم من الخزي على رؤوس الاشهاد اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين
ما كنا نعمل في الدنيا من سوء من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه
بالسوء اعتذارا لكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به
الكلام الدال عليه على التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء
لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم اثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ان
الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها
اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة
وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا
عاملين ذلك في اعتقادنا وزعمنا محافظة على ان لا كذب ثم يرده ان ما ذكر في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف
كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب
مطابق للسؤال سبكا وللواقع نفسا لا كما فعله الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذي
ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير هربا من انكار النزول روي ان احياء
العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف
وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه
الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الآخرة اي مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير
على الاطلاق فيجوز اسناد الخير الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اي دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا
كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب
او بدل من خيرا او تفسير اي انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع فالوقف تام ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ
خبره محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك
تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤون الظرف الاول خبر
والثاني حال منه والعامل ما في الاول او متعلق اي حاصل لهم فيها ما يشاؤون من انواع المشتهيات وفي تقديمه احتراز عن توهم
تعلقه بالمشتهاة اولا كما ان في تاخيره التقديم يرغب النفس الى ما يحكى عنده وعليها مفصل يكن كذلك مثل
الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا
ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين
اي طاهرين من دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم
وفيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض

ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم سلام عليكم
قال القرطبي رحمه الله اذا استنقعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك
السلام وبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم
لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس البشارة به
في ابتداء بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد
بالتوفي الحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان منهم وبين انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر
بل لمباشرتهم الاسباب الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او
يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعارا بان اتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم
وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائم
العطف باو لانها ليست لمنافاة العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم
بل لان قوله تعالى فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الآية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي
كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم
الله بما سيحل بهم من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر
ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته
مقصورة عليهم مع استلزام ما ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع او اختصاصه عليه من حيث الصدور وقد حققه في سورة يونس
فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا
اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئة
وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزئون من العذاب
وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز
الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول
لما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرها
وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع
فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقوله الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما
من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم
عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره
ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا ابانة طريق الحق واظهار
احكام الوحي الذي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤوا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك
من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها مدار امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق
مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له
وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين كما قالوا للتعليل كما فعل كذلك فعل اسلافهم
وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحصيل مضمونها واجراؤه جبرا على الناس قسرا والجاء
والمراد كله حمل على الاذعان ثم في ذلك نور وان ما تنطق به حقيقة للناس عليهم اقناعه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الى آخر

على الاستمرار الالزام الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى
بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال
الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان تكون ان مفسرة لما في البعث
من معنى القول وان مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة
فمنهم اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم
من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت
عليه الضلالة اي ثبتت ووجبت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق لعدم الاستعداد للاشعار بان
ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ولم يكن كل من مشيئة الله تعالى وحدها الا سببا حصل منهم من التوجه الى الحق
وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده فسيروا في الارض فانظروا
في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون
في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب
للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب
والتعليل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة
على هداهم اي ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه
الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليهم الضلالة وللاشعار بعلة الحكم
ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من حقت عليهم وقرئ
لا يهدى على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون
يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون
العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في المنصورين لان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا ان المراد نفي
طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم
مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اي بلى
يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله سبحانه او لفعله المحذوف اي وعد ذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا
عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدر اي حق حقا ولكن
اكثر الناس لجهلهم بشؤون الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر
التكوين الغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول
بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل
عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت الشامل للمؤمنين والكافرين لان التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال
يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك ويحصل لهم بمشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها
الحقيقية الذي يختلفون فيه من الحق الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم
الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم
لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما
غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة
ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث انما كان ليظهر لهم انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر
لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك
واظهارا لكذبك ولان تكرار الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها وانما لم يذكر ما هو الاصل في البعث باعتبار انه غاية الحكمة الذي هو الغاية

القصوى للخلق المغيا معرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم
الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي
هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب
الكافرين فليس من هذا القبيل انما الذي يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم لعدم تحققه سوى البتة عند قوله تعالى حتى يتبين لك
الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا
انما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا
مبتدأ وقوله تعالى لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية
اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه
ظرف لقولنا اي وقت ارادتنا لوجوده ان نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام
اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك فهو
يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او
انه ما يشبه الخطاب وقوله تعالى في قوله تعالى وليس يلزم منه الخطاب واسباب التكوين كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة الخطاب في كلمة كن اختصاصه بالقول على ان
ذلك انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور
المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجاد شيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي
هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب
وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول وتشبيها له بجواب الامر والذين هاجروا في الله اي في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه
ولوجهه من بعد ما ظلموا والظاهر الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا
الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قاله
وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من انها نزلت
في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبر وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام
فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله
عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فمما لا يناسب ما حكي عن الاصم من كون
كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية ويحتمل تعلقه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين اي كون
نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يليق بعظم شأن النزل ولا تنسا الجليل وقرئ
لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لنسكننهم في الدنيا منزلة حسنة هي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق
والغرب كافة ولاجر الآخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان
اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل
لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين
اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد ولما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من اذية
الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين اليه
تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل عليه
وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء
مبنيا للمفعول رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو مبني قولهم لو شاء الله لانزل ملائكة اي جرت
السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس

ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب إليهم فاسألوا أهل الذكر
أي أهل الكتاب من علماء الأحبار أو كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك إن كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه
دلالة على أنه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا إلى الملائكة أو إلى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه
نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لأنها أعم من الرسالة وإشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب
متعلق بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر أو بأرسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه
أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط أو على نية التقديم قبل أداة الاستثناء أي وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر
إلا رجالا عند من يجوز تأخر صلة ما قبل إلا إلى ما بعدها أو ما وقع صفة لما قبل إلا أي إلا رجالا ملتبسين بالبينات أو بنوحي على المفعولية
من القائم مقام الفاعل أي يوحى إليهم على أن قوله تعالى فاسألوا اعتراض أو بقوله لا تعلمون على أن الشرط للتبكيت كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي
وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن وإنما سمي به لأنه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيه
أهل مكة دخولا أوليا ما نزل إليهم في ذلك من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم
الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد وروده أولا على صيغة الإفعال ولما أن
التبيين أعم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الإطلاق سواء كان في الأحكام الشرعية أو غيرها
ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون إشارة إلى ذلك أي إرادة أن يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي
إلى مثل ما أصاب الأولين من العذاب أفأمن الذين مكروا السيئات هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا
صد أصحابه عن الإيمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الأنبياء عليهم السلام ولا من يعم الفريقين لما أن المراد تحذيرهم عن إصابة
مثل ما أصاب أولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف أي المكرات السيئات التي قصت عنهم أو مفعول به
للمذكور على تضمينه معنى العمل أي عملوا السيئات وقوله تعالى أن يخسف الله بهم الأرض مفعول لأمن أو السيئات صفة لما هو المفعول أي
أفأمن الماكرون العقوبات السيئات وقوله أن يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي أنزلنا
إليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته أنباء الأمم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات
أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون على توجيه الإنكار إلى المعطوف فقط أو أتفكروا فأمنوا على توجيهه إلى المعطوفين على أن الأمن بعد التفكر
مما لا يكاد يفعله أحد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة أي أمكروا فأمن الذين مكروا الخ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بإتيانه أي حال غفلتهم أو من مأمنهم أو من حيث يرجون إتيان ما يشتهون كما حكي عما سلف من الماكرين أو يأخذهم في تقلبهم
أي في حال تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين ممتنعين أو فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير …
الأخذ أو لترتيب عدم الإعجاز عليه لا للدلالة على شدته وفظاعته حسبما قال صلى الله عليه وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته والإتيان
بالجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا لنفي الدوام أو يأخذهم على تخوف أي مخافة وحذر عن الهلاك بالعذاب بأن يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن إصابة العذاب فيهما بالأخذ وعن حالة
الغفلة المنبئة عن السكون بالإتيان وقيل التخوف التنقص قال الهيثم تخوف الرجل … أي يأخذهم
على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الأحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على إهلاكهم بأي وجه كان لا الحصر فيها
فإن ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها أولم يروا استفهام إنكاري وارد على صيغة الخطاب
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم ينظروا ولم يروا متوجهين إلى ما خلق الله من شيء أي من كل شيء يتفيأ ظلاله
أي ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه إرادة الخالق تعالى فإن التفيؤ مطاوع الإفاءة وقرئ بالتاء عن اليمين والشمائل أي ألم يروا
الأشياء التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها استعيرا لهما من يمين الإنسان وشماله سجدا لله
حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال المراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لإرادته تعالى في الامتداد والتقلص
وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون أي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وإيراد
الصيغة الخاصة بالعقلاء لما أن الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب تابعة لحركة الشمس انحدارا أو باختلاف مشارقها

ومغاربها وأما الحيوان فظله يتحرك بحركته وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب منه تظهر
آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع
الغربي من الأرض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال وأصحابها من الأجرام السفلية
ع — الثابتة في أحيازها وخرورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أو لا فقيل ولله يسجد أي
وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا أو اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والإفراد إلا أن الأنسب بحال المخاطبين قصر الإفراد كما يؤذن
به آية قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الأرض كائنا ما كان من دابة بيان لما في الأرض وتقديمه
لقلة الملابسة من المبين والبيان فصل والإفراد مع أن المراد الجمع لإفادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الأخفش هو كقولك ما أتاني
من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما وإجلالا أو على أن يراد بما في السموات
الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم وهم أي الملائكة مع علو شأنهم لا — يستكبرون
عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة حال من ضمير الفاعل في يسجد مسندا إلى الملائكة أو استئناف أخبر عنهم بذلك يخافون
ربهم أي مالك أمرهم وفيه تربية للمهابة وإشعار بعلة الحكم من فوقهم أي يخافونه جل وعلا خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من خاف
الله تعالى لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون أي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإيراد الفعل مبنيا للمفعول
جري على سنن الجلالة وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة إسناده إلى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون
بين الخوف والرجاء وبعدما بين أن جميع الموجودات يخضعون له الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور
منهم عدم الانقياد أصلا لله عز وجل أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الإشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله
ولله يسجد وإظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للإيذان بأنه متعين للألوهية وإنما المنهي عنه هو الإشراك به لا أن المنهي عنه
مطلق اتخاذ إلهين بحيث يحصل الامتثال برفض أيهما كان أي قال لجميع المكلفين لا تتخذوا إلهين اثنين وإنما ذكر العدد مع أن صيغة التثنية
مغنية عن ذلك دلالة على أن مساق النهي هي الاثنينية وأنها منافية للألوهية كما أن وصف الإله بالوحدة في قوله تعالى إنما هو إله واحد
للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية وأنها من لوازم الألوهية أما الألوهية فأمر مسلم الثبوت له سبحانه وإليه أشير حيث أسند إليه القول
ونقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على رأي من يكتفي في تحقيق الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه
فإياي فارهبون التفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل أي إن كنتم راهبين شيئا
فإياي ارهبوا فارهبون لا غير فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض وله ما في السموات والأرض خلقا وملكا تقرير
لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله وله الدين
أي الطاعة والانقياد واصبا أي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر أن الإله الحق هو الحقيق بأن يرهب منه وأصبا من الوصب أي وله
الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون الهمزة للإنكار والفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم أي أعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات بالسجود له تعالى وكون ذلك كله له
ونهيه عن اتخاذ الأنداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم
أي أي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة أية نعمة كانت فمن الله فهي من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار
الإخبار دون الحصول فإن ملابسة النعم بهم سبب للإخبار بأنها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم إذا مسكم الضر مساسا يسيرا فإليه
تجأرون تتضرعون في كشفه لا إلى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يراوح من صلوات المليك طورا
سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها إلى ما قبلها وفي ذكر المس المنبئ عن أدنى إصابة وإيراده بالجملة الفعلية
المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساواة ما يطلق عليه اسم الجنس مع إيراد النعمة
بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بالباء المصاحبة وإيرادها منكرة المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل إيراد إذا
دون إن للتوسل به إلى تحقق وقوع الجواب ثم إذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر

ووقوع الكشف بعد برهة مديدة ولعل الدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه
اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبه على ذلك في البعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق
الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
فمن تبعيضية والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط
وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد
فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذة شديدة حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون
لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك عند كشفه ويجعلون
لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم
على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها الفاعل من العلم المسكن وصيغة
جمع العقلاء لكونها عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه
نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا
بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى
ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك
او تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين وما مرفوع المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره
والجملة حالية وسبحانه اعتراض حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهونه من البنين يؤدي الى جعل الجعل
بمعنى يعم الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة
والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوش وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم
من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شانها ايمسكه
على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظها وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء
حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله سبحانه المتعالي عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين
فمدار الخطأ جهلهم بذلك وسبحانه ويجوز ان يكون مدار التعكيس كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت
قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد
البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم
بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب
الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن كل صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال
القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم
وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة
اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع
البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون عن ذلك الاجل اي لا يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور

الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له اصلا قد نظم في سمط
من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر تفسيره في سورة يونس ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم
ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون
ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا
من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوء وانهم مفرطون اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء
وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات
وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكون ان حينئذ من عوالم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما ناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان
اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيامة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر
اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين لهم الشيطان اعمالهم وهو
وليهم اليوم لا انهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك
الكتاب اي القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس
الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اي للهداية والرحمة
لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما
في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء
كرر ما سبق تاكيدا للمضمون وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد اي نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المفعول لما مر من التشويق
الى المؤخر فاحيا به الارض بما انبت فيها من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه
ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه
وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة
عظيمة واي عبرة تحار في دركها العقول ويهيم فيها الباب الفحول نسقيكم استئناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي
بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق
وتانيثه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمعا جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة
بعض الانهضام وكثيفة يبقى في المعاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما
في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا
اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي
على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد
والرطوبة على مزاجها فتندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضرع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية
البيض فيطيب ويصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعدادها ومجاريها والاسباب المولدة
لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته فمن الاولى تبعيضية
لان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك

سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقدمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه
التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لاسيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر
كالذي نحن فيه فان بين صفتي المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا بحيث لا تتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر
كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا من شائبة الدم
والفرث من الاوصاف بحيث لم يختلط بهما مع العدن العاشر الحاجز من بغي احدهما عليه لونها يكتنفه له سائغا للشاربين سهل المرور
في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما دل عليه الاسقاء
من مطلق الطعام المستلزم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرها
وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استئناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته
تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس السكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم
ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب
والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف
في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة
لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتأنيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا
مع افنانها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرش الناس اي يرفعه من كرم او سقف قيل المراد به ما يرفعه
الناس منه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت
سبل ربك اي مسالكه التي يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل
او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله تعالى
وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها
من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مما يشرب احتج به وبقوله تعالى كلي من زعم ان النحل
تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيئه ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة
على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر
واحمر حسب اختلاف سن النحل والفصل او الكل اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر
الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالبعضية ويجوز كونه للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء
لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن ان في ذلك الذي ذكر من عجائب آثار قدرة الله تعالى لآية
عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها
حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه والله
خلقكم لما ذكر من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته
فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي
الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكثير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا وشبابا وكهولا
ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة
على ما نقل عن قتادة وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف

بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم
بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا
ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم
برادي رزقهم الذي رزقناهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك
والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة
على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بذلك مع انهم
انفسهم هم امثالهم في البشرية والمخلوقية فما عذرهم في سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يكون
لله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية المعبودية الخاصة به تعالى لذاته لمخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وفي الكلام
من ضرب كمال قبح فعل المشركين وتقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية افبنعمة الله
يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله
او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر اي
داخلة في المعنى على الفعل اي ايشركون فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم
واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الاعمون لذلك فيجحدون
نعم الله فهو رد على زعم المفضلين او على تعليم المؤمنين بذلك اي ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك مع ان
الفضل ليس الا بيدهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعم الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم الجأ الا نسيئة لا له على الاقرار
على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انهم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون
فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتأنسوا
بها وتعموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر
موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازدواج هو التوالد وحفدة جمع حافد
وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد
وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل الاولاد من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف
الوصف وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر
بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبكم بنين وحفدة ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج مما في الآخرة افبالباطل يؤمنون وهو ان
الاصنام تنفعهم او ان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي ايكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون
بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط
دائرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل
والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون
من دون الله تعالى عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات
مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصبه على انه بدل منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز
كونه تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها من الادراك لها
فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس

فلا تضربوا لله الأمثال التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي أي لا تشركوا به شيئاً والتعبير عن ذلك بضرب المثل
للقصد إلى النهي عن الإشراك به تعالى في شأن من الشؤون فإن ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة أي لا تشبهوا بشأنه شأناً
والأمثال مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون واضرب لهم
مثلاً أصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به بمعزل من
أن يملك لهم من أقطار السماوات والأرض شيئاً من رزق فضلاً عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الأزواج والأولاد إن الله
يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه أي أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وأنه في غاية العظم والقبح وأنتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما فعلتموه أو أنه تعالى يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الأمر والنهي ويجوز أن يراد
فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم
كيف تضرب الأمثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلاً أي ذكر وأورد شيئاً يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما أشركوا به
وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جلياً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء بدل من مثلاً وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته
العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلاً ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبداً لله سبحانه وتعالى
وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي إبهام المثل أولاً ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة
والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبداً أي رزقناه بطريق الملك والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حالي ضرب
الرزق منا من جنابنا الكبير المتعال رزقاً حسناً حلالاً طيباً أو مستحسناً عند الناس مرضياً فهو ينفق منه تفضلاً
وإحساناً والفاء لترتيب الإنفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فأنفق وإيثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية
الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجددي سراً وجهراً أي حال السر والجهر أو إنفاق سر وإنفاق جهر والمراد بيان
عموم إنفاقه للأوقات وشمول إنعامه لمن يجتنب عن قبوله جهراً والإشارة إلى إضافة نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر
على الجهر للإيذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحراً مالكاً للأموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي
تحقيق الحق بأن الأحرار أيضاً تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وأن مالكيتهم لما يملكونه ليست إلا بأن رزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم
مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فإن العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك
فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للإيذان بأن المراد مما ذكر من اتصف بالأوصاف المذكورة من
المذكورين لا فردان معينان منهما أي هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع أن الفريقين سيان في البشرية
والمخلوقية لله سبحانه وأن ما ينفقه الأحرار ليس مما لهم دخل في إيجاده ولا في تملكه بل هو مما أعطاه الله تعالى إياهم فحيث لم يستو الفريقان
فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل أذل منه وهو الأصنام الحمد لله أي كله له لأنه مولى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره وإن ظهر
على أيدي بعض الوسائط فضلاً عن استحقاق العبادة وفيه إرشاد إلى ما هو الحق من أن ما يظهر على يد من ينفق مما ذكر راجع إليه سبحانه كما لوح به
قوله تعالى رزقناه بل أكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لأجلها وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك
وإنما لا يعملون بموجبه عناداً كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون وضرب الله مثلاً أي مثلاً آخر يدل
على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح وأظهر وأبدعه بما أبهم أولاً لتتشوف النفس إلى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده فضل تمكن
رجلين أحدهما أبكم وهو من ولد أخرس لا يقدر على شيء من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحدس أو فراسة لقلة فهمه وسوء إدراكه
وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي أمره وهذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقاً
وقوله تعالى أينما يوجهه أي حيثما يرسله مولاه في أمر بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ
على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الأوصاف
المذكورة ومن يأمر بالعدل أي ومن هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل
وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لما أنهما
في جانب مقابلهما فإن محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق الأمور ومحصل هذين استحقاق كمال الأمر المستتبع لحيازة المحاسن بجمعها

وتغيير الأسلوب حيث لم يقل وآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينين
واعلم أن كلاً من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد أن يقال إن الله تعالى
ضرب مثلاً بخلق الفريقين على ما هما عليه وكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه
وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لأحد غيره استقلالاً ولا اشتراكاً
غيب السماوات والأرض أي الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم إليها لا مشاهدة ولا استدلالاً
ومعنى الإضافة إليهما التعلق بهما إما باعتبار الوقوع فيهما حالاً أو مآلاً وإما باعتبار الغيبة عن أهلهما والمراد بيان الاختصاص به
تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وإن كان الأمر كذلك في نفس الأمر وفيه إشعار
بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السماوات والأرض وما أمر
الساعة التي هي أعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن أهلهما أو ظهور آثارها فيهما عند وقوعها
فإن وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وإن كان انتهاء الغيوب التي نصبت عليها الأدلة أي ما شأنها في سرعة المجيء
إلا كلمح البصر أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها أو هو أي بل أمرها فيما ذكر أقرب من ذلك وأسرع
زماناً بأن يقع في بعض من زمانه فإن ذلك وإن قصر حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام
إلى أبعاض هي أزمنة أيضاً بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة أو ما أمرها إلا كالشيء الذي يستقرب
ويقال هو كلمح البصر أو هو أقرب إذا بولغ في استقرابه فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة بالإتيان إن الله
على كل شيء قدير ومن جملة الأشياء أن يحيي بها أسرع ما يكون فهو قادر على ذلك وما أمر إقامة الساعة التي كنهها
من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي إماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكوان أجمعين وقد أنكرها المنكرون
وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الإمكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي إلا كلمح البصر أو هو أقرب على ما مر من الوجهين إن الله على كل شيء
قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السماوات والأرض عبارة عن يوم القيامة بعينه لأن علمه بخصوصه غائب عن أهلهما فوضع
الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله أخرجكم من بطون أمهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً منتظم معه
في سلك أدلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والأمهات
بضم الهمزة وقرئ بكسرها أيضاً جمع الأم زيدت الهاء فيه كما زيدت في أهراق من أراق وشذت زيادتها في الواحد قال
أمهتي خندف والياس أبي لا تعلمون شيئاً في موقع الحال أي غير عالمين شيئاً أصلاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة
عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل
لا يظهر قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها
بأفئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية
والأفئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور
على المنصوبات لما مر من الإيذان من أول الأمر بكون المجعول نافعاً لهم وتشويق النفس إلى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم
تشكرون كي تعرفوا ما أنعم به عليكم طوراً غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما أنه طريق تلقي الوحي أو لأن إدراكه أقدم
من إدراك البصر وإفراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل ألم يروا وقرئ بالتاء إلى الطير جمع طائر أي ألم ينظروا إليها
مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث إن معنى التسخير جعل الشيء
منقاداً لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع هاهنا تسخير الهواء للطير ليطير فيه كيف يشاء
فكأن مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى
في جو السماء أي الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو وإضافته إلى السماء لما أنه جانبها من الناظر ولإظهار
كمال القدرة ما يمسكهن في الجو عند قبض الأجنحة وبسطها ووقوفهن إلا الله عز وجل بقدرته الواسعة فإن ثقل جسدها
ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو إما حال من الضمير المستكن في مسخرات أو من الطير وإما مستأنف

ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل ذنبها
من لحمه بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها بخرق ما تحتها من الهوا الرقيق القوام وتخرقه بتحريكها من الهوا
لانها لا تطاقة بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به
والله جعل لكم معطوف على نظيره وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم
لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك
المجعول المبهم بجملة وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون
اليه من غير ان ينتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا
اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم
وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن اصوافها
واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضمير للانعام على وجه التنويع اي جعل لكم من اصواف الضان واوبار الابل
واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت اصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث ومتاعا اي شيئا يتمتع به فنون التمتع
الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى فانه في معرض البلى والفناء وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل
مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها
امتن سبحانه بذلك لما ان مساكن العرب في غاية الحرارة وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران
والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم
من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الاخر ولان وقايته هي الاهم
عندهم لما مر انفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم باسكم اي الباس الذي يصل اليكم من بعضكم في الحرب من الضرب
والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل
لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الى اخره ثم بما يعم من لا
يقدر على ذلك ولا ياويه الا الظلال حيث قال وجعل مما خلق ظلالا الاية ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الى اخره ثم بما لا غنى
في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة
ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة الانفسية والافاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما انتم
به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ
تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات
وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات
والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته
بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمة الله استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام
ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث عبدوا
غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون
ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم الاستبعاد والاستنكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة
والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل احد
منهم فان بعضهم ليسوا كذلك كما يعرب عنه قوله سبحانه واكثرهم الكافرون اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر
المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان
العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم
بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان

على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلي هو عند ما يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء
عليهم السلام والظم ولا هم يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الاخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب
الظرف بمحذوف تقديره اذكروا وخوفهم يوم نبعث الى اخره او يوم نبعث يحيق بهم ما لا يوصف وكذا قوله تعالى واذا
راى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون
كقوله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم واذا راى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين
شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك اي نعبدهم
او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون
فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لانهم كانوا
اخرين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا
راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء الله تنزيها لله سبحانه من الشرك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لكن
لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا
ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز
الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم
ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام
والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب
امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد
الى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم اي زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور
ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا للمعذرة وفي قوله
تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم يكون بمحضر منهم وجئنا بك ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشانه عليه السلام
وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية
الحقيق بان يخص باسم الجنس سواء استينافا او حالا بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملته
احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته احوال هذه الاية الكريمة من بعث الشهداء
وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كاللقاء بكسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه
نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا
على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطؤوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء كونه تبيانا فان المبالغة
باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ونسبه سبحانه وتعالى
من نعما وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم اثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين
خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يامر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار
صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو
راس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة
المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط
بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية
التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان

بالامر على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله
كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما به
وينهى عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار آثار
القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من
القوتين المذكورتين الشهوة والغضب وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك
قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء
يعظكم بالامر والنهي وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك وأوفوا
بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم رسوله عليه السلام ولا تنقضوا الايمان اي التي يحلفون بها عند المعاهدة ٩١
بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك
ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي
كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان
لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن ٩٢
فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا مشابهين بامرأة
شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما دخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة
هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم
كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى
من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا
ولو شاء الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل
يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره التجربي اليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره
الى تحصيلها ولتسألن جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى الوجه من الكسب الذي عليه يدور امر الهدى
والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه
فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم
كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم
غيركم عن سبيل الله الذي هو الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب
عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تأخذوا بمقابلة عهده وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم او آياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود
والايمان ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد
من حطام الدنيا انما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي
ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تذييل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستئناف اي ما تتمتعون
من نعيم الدنيا بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد ينقضي ويفنى وان جم عدده وطال امده وما عند الله من خزائن رحمته
الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهر واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها
فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين

بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة
في الحمل على الثبات في الدين والالتفات لما تقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض
لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء
بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا
من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار
بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد
لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه
بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن
والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل
او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات
دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه
من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل مثلها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن دائرة الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة
في مقام الترغيب جدا من عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح
غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص وفعالهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور
من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيده به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب
او تخفيف العذاب كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك
الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر
واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم الليل بخلاف الفاجر
فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه ولنجزينهم في الآخرة اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار وجمع الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد
فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة
وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه
بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص من شوب الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته عبر بها
عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله
عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان لمة ذلك قال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة
القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي سائر الاعمال الصالحة اهم
فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام فيما عدا
القراءة من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة
ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء عن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلاة والسلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه
جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشأن او للشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين ٩٩
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم
ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان ايثار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار
التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه

إنما سلطانه أي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه
حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وقد أفصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه أي يتخذونه وليا
ويستجيبون دعوته ويطيعونه فإن المعتبر هو المقول من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون أو بسبب الشيطان
مشركون فإن الذي حملهم على الإشراك به سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة بخارج من
على الله تعالى وبين التولي للشيطان وإن كان منهما واسطة المفهوم وأن من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا
يدري ثم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وإيثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الأولى لما مر من إفادة الاستمرار
التجددي كما أن اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مقيدة
لعدم دخول غير المشركين من أولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الأولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الأولى فيما سلف لرعاية
المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها وإذا بدلنا
آية مكان آية أي إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بأن نسخناها بها والله أعلم بما ينزل أولا
وآخرا وأن كلا من ذلك نزلت حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فإن كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في
وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الأمور الداعية إلى ذلك وما الشرائع إلا مصالح للعباد في المعاش والمعاد
تدور حسبما تدور المصالح والجملة إما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر
إلى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض أو حالية وقرئ بالتخفيف من الإنزال قالوا
أي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ إنما أنت مفتر أي متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم هاهنا
للإيذان بأن ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وأنه وليهم بل أكثرهم لا يعلمون أي لا يعقلون شيئا أصلا أو لا يعلمون أن في
النسخ حكما بالغة وإسناد هذا الحكم إلى الأكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكره عنادا قل نزله أي القرآن المدلول عليه بالآية روح
القدس يعني جبريل عليه السلام أي الروح المطهر من الأدناس البشرية وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كإضافة حاتم إلى الجود
حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدريج في الإنزال مما تقتضيه الحكمة
البالغة من ربك في إضافة الرب إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق إفاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس
في إضافته إلى نا المتكلم المبني على التلقين المحض بالحق أي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها إنشاء
ونسخا وفيه دلالة على أن النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه تعالى فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية
المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الإفعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما
معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم
أنهم يقولون غب ما نقل عنهم من المقالات الشنعاء إنما يعلمه أي القرآن بشر على طريق البت مع ظهور أنه نزله روح القدس
عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددي
في متعلقه فإنهم مستمرون على التفوه بتلك العظيمة يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف
بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم
وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وإنما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه مع كونه أدخل في ظهور كذبهم للإيذان بأن مدار خطئهم
ليس بنسبته عليه السلام إلى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الأولين والآخرين لسان الذي
يلحدون إليه أعجمي الإلحاد الإمالة من ألحد القبر إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان
في قوله وألحد في دينه أي لغة الرجل الذي يميلون إليه القول عن الاستقامة أعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وتعريف اللسان وهذا القرآن
الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فإن
زعمتم أن بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي أعجز جميع أهل الدنيا والتشبث في أثناء الطعن بأمثال هذه الخرافات الركيكة دليل
على كمال عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله أي لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء

وأخرى أساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى سبيل النجاة هداية موصلة إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك
لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب أليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الافتراء والتعلم من البشر بعدما أميط شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
رد لقولهم إنما أنت مفتر وقلب للأمر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده بتحقيق أنه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وإنما وسط
بينهما قوله ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الأول والمعنى والله تعالى أعلم أن المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول
إنها افتراء أو معلمة من البشر أي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لأن حقيقته الكذب والحكم بأن ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه
كذبا وافتراء كالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو
عبارة عنه أعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى إنما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لأنه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه
وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة وأولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان
بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بأمثال هاتيك
الأباطيل والسر في ذلك أن الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الأمر بخلق الله تعالى أو بوقوع ما لم يقع
كذلك مدافعة لله سبحانه وتعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا أو الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من
مروءة أو دين وقيل الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر من كفر بالله أي تلفظ بكلمة الكفر من بعد إيمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من
كفر بآيات الله بعدما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي
عليه أو هو خبر لهما معا أو النصب على الذم إلا من أكره على ذلك بأمر يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم
الغضب والعذاب أو الذم لأن الكفر لغة يعم القول كما أشير إليه في قوله تعالى وقلبه مطمئن بالإيمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر
الواقع بالإكراه لا نفس الإكراه لأن مقارنة اطمئنان القلب بالإيمان للإكراه لا تجدي نفعا وإنما المجدي مقارنته للكفر الواقع به أي إلا
من كفر بإكراه أو إلا من أكره فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وإنما لم يصرح به إيماء إلى أنه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل
على أن الإيمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا أي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
عظيم لا يكتنه كنهه من الله إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم الغضب ولهم عذاب عظيم إذ لا جرم أعظم من جرمهم
والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما أن الإفراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي أن قريشا أكرهوا عمارا
وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فأباه أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلوها وقتلوا
ياسرا وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجئ وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه
إعزازا للدين كما فعله أبواه وروي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول
في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد عليه الصلاة والسلام قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد ثلاثا فأعاد جوابه
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو إلى
المذكور بأنهم بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا آثروها على الآخرة وأن الله لا يهدي إلى الإيمان وإلى ما يوجب الثبات عليه
هداية قسر وإلجاء القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي إليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا أحد الأمرين إما إيثار
الحياة الدنيا على الآخرة وإما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بأن آثروا الآخرة على الدنيا أو بأن هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان
ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والأول مما لا يدخل تحت الوقوع وإليه أشير بقوله تعالى أولئك أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه وأولئك هم الغافلون أي الكاملون في الغفلة
إذ لا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى ما أفضى إلى العذاب
المخلد ثم إن ربك للذين هاجروا إلى دار الإسلام وهم عمار وأصحابه رضي الله عنهم أي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر أعمالهم

ان لفظ فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لهما وتكون انّ
تأكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب
والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان
قلوبهم بالايمان وقرئ على البناء للفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا
في سبيل الله تعالى وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر
بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل
رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية المضاف الى ضميره صلى الله عليه
وسلم مع ظهور الاثر في الفريق المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة
والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعا له يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او بإضمار اذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم
الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى
كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين
الاعمال وآثارها والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والوفاء وان كانتا في يوم واحد وهم
لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها
مثل صنعوا اعمالا وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى اثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية
مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل مخل بتجاوب اطراف النظم وتجاوبها
ولان تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة
على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا
لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا
كانت آمنة ذات امن من كل خوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج يأتيها رزقها اقواتها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها
عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت
اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة
الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة
فاذاقها الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له
اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد
فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير عزة غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت
لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة
فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي
للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر البشع
الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومى اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة
بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم
فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينه وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا
عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف اصله لباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو
الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة
الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوا من كفران
النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم

اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه
في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب
المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران
نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم
في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يشير اليه قوله سبحانه وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار بسيرتهم كافة محاذية لحال اهل
تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس
من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول تحار في ادراك سمو
رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله
لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه الصلوة والسلام بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب
شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم
وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم
ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير
من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالعذاب
ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل عن التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي
الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا
فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى
واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم
البحائر ونحوها واشكروا نعمت الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما
ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم
الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد تهددت مباديه بعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي
يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه
التصدي للاستصلاح بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار
كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل ان كنتم
اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر
والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر آخر ولا عاد
اي متجاوز قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء
الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شأن ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة
في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا
عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز
ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا
من السنتكم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا

ولا تحرموا لمجرد وصف ألسنتكم الكذب بتصويره له بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كأن ألسنتهم لكونها منشأ الكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فإن قرار الحل والحرمة ليس إلا لأمر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة إسناد للتحليل والتحريم إلى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام لام إن الذين يفترون على الله الكذب في أمر من الأمور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الآخرة عذاب أليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك أي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا أو بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا أوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة أي بسبب جهالة أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك أي من بعد ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة وأصلحوا أي أصلحوا أعمالهم أو دخلوا في الصلاح إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيبهم على ما تركوا فعلا وتركا وتكرير قوله تعالى إن ربك لتأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام مع ظهور الأثر في التائبين للإيماء إلى أن إفاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من أتباعه كما أشير إليه إن إبراهيم كان أمة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد إلا متفرقة في أمة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس أهل التوحيد وقدوة أصحاب التحقيق جادل أهل الشرك فألقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وأبطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة أو لأنه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده أو اقتدى به فإن الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى إني جاعلك للناس إماما وإيراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحل الله تعالى للإيذان بأن حقية دين الإسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما بأمره حنيفا مائلا عن كل باطل إلى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لرد ما على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة أبينا إبراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم أنه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إذ به ينتظم أمر إيراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لأنعمه صفة ثالثة له وإنما أوثر صيغة جمع القلة للإيذان بأنه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بأنعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم موصل إليه سبحانه وهو ملة الإسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع إرشاد الخلق أيضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى إنه ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم وآل

إلى الكلام لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه السلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين أصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم أوحينا إليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك أن اتبع ملة إبراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء عليهم السلام من أمللت الكتاب إذا أمليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه أن الوضع الإلهي مهما نسب إلى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب إلى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد مضافة إلى الله سبحانه ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الإسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الأصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الأعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للإيذان بأن هذه النعمة أجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تأكيد نزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله تعالى إنما جعل السبت أي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بإبطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الآية فإن اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم عليه السلام كان محافظا عليه أي ليس السبت من شعائر إبراهيم وشعائر ملته التي أمرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة وإيراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبرياء وإيذانا بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الإسناد إلى الغير وقرئ على البناء للفاعل وإنما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعبر عنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للإيذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي إلى العذاب وكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع إشارة إلى ما جاء به والمختار العكس لكن لا باعتبار شمول العلة لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال من تحقق الاختلاف من طرف المخالف وتحقيق ذلك أن موسى عليه السلام أمر اليهود أن يجعلوا في الأسبوع يوما واحدا للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السماوات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى قردة دون أولئك المطيعين وإن ربك ليحكم بينهم أي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي يفصل بينهما بعد ذلك الاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب إثر ما إلى أن أوقع في الدنيا مسخ أحد الفريقين وإنجاء الآخر بالنسبة إلى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به وهو الذي يستدعيه الإعجاز التنزيلي وهو محمل المعنى إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه أي أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى وكان حتما عليهم أن يتفقوا على تحريمه حسبما أمر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالإحلال تارة والتحريم أخرى ووجه إيراده ههنا بأنه أريد إنذار المشركين من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بأنعم الله تعالى ولا ريب في أن كلمة بينهم تحكم بأن المراد بالحكم هو الفصل بين الفريقين عند الاختلاف وأن تسليط حديث المسخ للإنذار المذكور بين حكاية أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام وبين أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة إليها من قبيل الفصل بين الشجرة ولحائها فتأمل ادع أي من بعثت إليهم كافة وحذف المفعول للتعميم أو أنزل ادع منزلة الفعل اللازم كما في قولهم يعطي ويمنع أي يفعل الإعطاء والمنع فحذفه للقصد إلى إيجاد نفس الفعل إشعارا بأن عموم الدعوة غني عن البيان وإنما المقصود الأمر بإيجادها على وجه مخصوص إلى سبيل ربك إلى الإسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء إلى كماله اللائق شيئا فشيئا مع إضافة الرب إلى ضمير النبي عليه السلام في مقام الأمر بدعوة الأمة على الوجه الحكيم وتكميلهم بأحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على إظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والإيماء إلى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة بالمقالة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة أي الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز أن يكون المراد بهما القرآن المجيد فإنه جامع لكلا الوصفين وجادلهم أي ناظر معانديهم

بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشغبهم وإطفاءً للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله الذي أمرك بدعوة الخلق إليه وأعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو أعلم بالمهتدين إليه وذلك هو تعليل لما من الأمرين والمعنى والله تعالى أعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فإنه تعالى هو أعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير أمره إلى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرع لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فإنه كافٍ في هداية المهتدين وإزالة عذر الضالين أو ما عليك إلا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالأحسن وأما حصول الهداية أو الضلال والمجازاة عليهما فإلى الله سبحانه إذ هو أعلم من يبقى على الضلال ومن يهتدي إليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما أن مساق الكلام لهم وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها وإعراض عن الحق وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو أعلم للتأكيد والإشعار بتباين حال المعلومين وما لهما من الثواب والعقاب وبعد ما أمره عليه السلام بما يخص من شأنه الدعوة وما أمره من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال وإن عاقبتم أي إن أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي إن أكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به أي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أو على نهج المشاكلة والمعنى إيجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدال إلى القتال وأدى النزاع إلى القراع فإن الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبلة المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الأولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وأرتجت دونهم أبواب المباحثة والمحاورة وقيل إنه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله عنه يوم أحد قد مثل به قال لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده وقرئ إن عقبتم فعقبوا أي وإن قصصتم بالانتصار فقصوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والأمر وإن دل على إباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وإن عاقبتم حث على العفو تعريضاً وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم أي عن المعاقبة بالمثل لهو أي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وإنما قيل للصابرين مدحاً لهم وثناءً عليهم بالصبر أو وصفاً لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة تجوزاً نظراً إلى مطلق الصبر المدلول بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم في جنس الصابرين دخولاً أولياً ثم أمر صلى الله عليه وسلم صريحاً بما ندب إليه غيره تعريضاً من الصبر لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشئونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر أي على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذية وعاينت من إعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك إلا بالله استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي وما صبرك ملابساً ومصحوباً بشيء من الأشياء إلا بالله أي بذكره والاستغراق في مراقبة شئونه والتبتل إليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه أو إلا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل إلا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم أي على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والأول هو الأنسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل أي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الأول تخفيف ضيق كهين من هين أي في أمر ضيق مما يمكرون أي من مكرهم بك فيما يستقبل فالأول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع أن انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الأول لزيادة التأكيد وإظهار كمال العناية بشأن التسلية وإلا فهل يخطر ببال من توجه إلى الله سبحانه بشراشر نفسه منزهاً عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته أو محذور فيكف عن الخوف من وقوعه إن الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الأمر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين إنما هي من حيث أنهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه إن الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه المجانبة

من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بكليته نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولاية الله تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومعنى إن الله ولي الذين صلوا إلى الله بالكلية وتبرءوا عن كل ما يشغل سرهم عنه لم يخطر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور فضلاً عن الحزن بفواته أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بالصبر المأمور به حسبما أشير إليه فيحصل التقريب وهم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر إن العاقبة للمتقين حمل أحد التفسيرين كما هو في متعارف الأفهام التوقي عن المعاصي لا يكون مدار الشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار إليه ورديفيه وإنما مداره المعنى المذكور ولكن قيل إن الله مع الذين صبروا وإنما أوثر عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على أنه من خصائص أجل النعوت الجليلة ورواد فيها كأن قوله تعالى والذين هم محسنون للإشعار بأن مرتبة الإحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل فاصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقد نبه على أن كلا من الصبر والتقوى من قبيل الإحسان في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير أن يكون أحدهما تتمة للأخرى وإيراد الأولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أن إيراد الثانية اسمية لإفادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية مقدمة على التحلية والمراد بالموصولين إما جنس المتقين المحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولاً أولياً وإما هو عليه السلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحاً لهم وثناءً عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز إلى أن صنيعه عليه السلام مستتبع لاقتداء الأمة به كقول ابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس عن هرم بن حيان أنه قيل له حين الاحتضار أوص قال إنما الوصية من المال وأوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

سورة بني إسرائيل مائة وإحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عيناً وجنساً لا شخصاً لم تكن إضافته من قبيل ما في زيد المعارك وحاتم طي وانتصابه بفعل متروك الإظهار تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومنه فرس سبوح أي واسع الجري ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث إضافة التنزه إلى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته وتعالى والإسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لإفادة قلة زمان الإسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الأجزاء دلالة على البعضية من حيث الأفراد فإن قولك سرت ليلا كما يفيد بعضيته زمان سيرك من الليل يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له وقرئ من الليل أي بعضه وإيثار لفظ العبد للإيذان بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات الدانية حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه وإضافة التنزه أو الإسراء إلى الموصول المذكور للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فإن ذلك من أدلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدأ الإسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فإنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به أو لأن الحرم كله مسجد فإنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج إلى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية أن يكذبه القوم فقال عليه السلام

وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عليه السلام بحديث الاسرى فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم
فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه
فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف
بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا
فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية
فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا
الا سحر مبين واختلف في وقته فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا
في انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها
واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه الصيغة بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب
فان الروحاني ليس بمحل الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت قريش واحالوه والاستحالة
مدفوعة فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها
الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها
في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي
به لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط
الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام لنريه غاية للاسرى من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة
شهر لا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام
والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله عليه السلام بلا اذن البصير
بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسرى المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع
منزلته والا فلا احاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب
اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا
العروج النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه فهمه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسرى الى قبول السامعين
اي آتيناه التوراة بعد ما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه
ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب
لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم
في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النهي ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا
بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض النحاة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه السلام كان
عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على
وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا اي انهينا واحكمنا
الى بني اسرائيل او اوحينا اليهم في الكتاب اي التوراة فان الانزال والوحي الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مفسدتين
والعمل من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والاخرى قتل زكريا

ن

ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه ولتغلبن الناس بالظلم والعدوان
وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب عليها
بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم بختنصر
من اهل نينوى وجنوده وقيل بختنصر عامل لهراسب وجالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء
والمعنى واحد وقرئ وجوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الدار فقتلوا علماءهم وكبارهم
واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل ولذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما جرت به السنة الالهية
وكان ذلك وعدا مفعولا لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين
فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني اسرائيل اساراهم
واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى
في قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر وقيل
بقتل داود عليه السلام لجالوت وامددناكم باموال كثيرة بعد ما نهبت اموالكم وبنين بعد ما سبيت اولادكم وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز
ان احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير على الوجه اللائق ولا سيما على الوجه الذي يكون الاعمال
حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق او تركتم
التي الذي او فعلتم الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله تعالى وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها
فاذا جاء وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة ليسوؤا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم
ليسوؤا والمعنى ليسوؤا وجوهكم فيجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وليسوء على
الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة في قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون
المحققة ليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطفا على ليسوؤا متعلق بما تعلق به كما دخلوه اول مرة اي
في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بان سلط الله
عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد
دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام
فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم
احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم
الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة
ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية
عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل
بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذمهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا
القرآن الذي آتيناك يهدي للتي للطريقة التي هي اقوم اي اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد
وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحال والخصلة ونحوها مما يعبر عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها
لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص
بالمؤمنين حسبما ويبشر المؤمنين بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ ويبشر بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت
ان لهم اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان
به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اي اعددنا لهم

فما لقوا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ فى الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع
والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد مجازا مطلق الاخبار المستعمل للاخبار
بالخبر السار وبالخبر الضار جميعا فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز ان يكون البشارة بمعناها والمراد تبشير المؤمنين
ببشارتين بثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهدى اثر بيان الهادى واظهار لما بينهما
من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكى عنه حاله فى بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو
الانسان الى الخير الذى لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذى لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اى بعض منه وهو الكافر
يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة
له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى ان اللائق بحاله
وكان الانسان اى من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره
او الى المجازاة بسبيل العذاب وهو آت لا محالة ففيه نوع تهكم به على تقدير حمل الدعاء على اعمالهم تحمل العجولية على اللج والتمادى فى استجلاب العذاب
بسلوك الاعمال اى على الثانى ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو فى بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو الله تعالى بالشر على نفسه واهله
وماله كدعائه بالخير وكان الانسان بحسب جبلته عجولا لا يضجر لا يتانى الى ان يزول عنه ما يعتريه روى انه عليه السلام دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن
بالليل فرحمته فارخت من كتافه فهرب فلما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يدها فرفعت يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام
سألت الله تعالى ان يجعل دعائى على من لا يستحق من اهلى رحمة له اى دعوا بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متأن فى
الامور حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع
فى بيان بعض ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الافاقية التى كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه
ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية
لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودى اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور
ولهذا ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار كانت من شهر وصاحبها من شهر آخر والترتيب عليه آية النهار عليها بلا واسطة اى جعلناهما
بذواتهما آيتين وليس المراد انهما بعد كونهما آيتين لان علينا احكامها حكمنا الليل والنهار آيتين
الملوين بهيآتهما وتعاقبهما واختلافهما فى الطول والقصر على وتيرة عجيبة تحار فى فهمها العقول آيتين لان على ان لها صانعا حكيما قادرا عليما
وتبيان لما يهدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل الاضافة اما تبيانية فى اضافة العدد الى المعدود اى محونا الآية
التى هى الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الاولى وكونها جعلناها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل ابدعناها على ذلك كما فى قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى انشأهما كذلك الفا تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين
بل هما من جملة ذلك الجعل ومتممانه وجعلنا آية النهار اى الآية التى هى النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء
وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور مظلما فى نفسه
كما ذكروا ما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو فالفاء للتعقيب وجعل الشمس مضيئة او ابداعها مضيئة بالذات
اشعة يظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بما دل عليه جعلنا آية النهار كما اشير اليه اى جعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم فى بياض النهار
فضلا من ربكم اى رزقا اذ لا يتسنى ذلك فى الليل وفى التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد فى تحصيل الرزق اثر سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا
بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعنى محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم
المذكور اى لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما حركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما
عدد السنين التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اى الحساب المتعلق بما فى ضمنها من الاوقات اى
الاشهر والليالى والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب لما انها تعلق
العدد بها انما هو باعتبار تحصلها بتحصل كل واحد من اجزائها المذكورة اعنى جملة تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة
بعدها اى بعينها من غير ان يعتبر فى ذلك تحصل شيء معين بحقيقة ما مر فى سورة يونس من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير
امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله
من غير ان يتحصل منه شيء كذلك ولما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص حكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب
بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب الاعداد من العشرات والمآت والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصيل المعدود وتقديم العدد على الحساب
مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب فى تضاعيف السنين من الاوقات
او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصيل شيء آخر حسبما ذكر
نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم فى مقام الامتنان
والله سبحانه اعلم وكل شيء تفتقرون اليه فى المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية
والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اى بيناه فى القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتى هى اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طائره
اى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له فى القسمة الازلية الواقعة حسب
استحقاقه فى العلم الازلى من قولهم طار له سهم كذا فى عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اى الزمناه عمله بحيث لا يفارقه
ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقرئ بالياء
مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما فى قراءة يخرج من الخروج يوم القيامة والبعث للحساب
كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف الراجع
الى الطائر وعلى الاخيرتين حال من المستكن فى الفعل من ضمير الطائر يلقاه اى يلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا
وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثانى حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اى يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة
ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت
طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة اقرأ كتابك اى نقول له ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم
من لم يكن فى الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث فى جوهر روحه
امرا مخصوصا الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقتها عن البدن قامت قيامته
لان النفس كانت ساكنة مستقرة فى الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطاء وينكشف الاحوال
ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله فى مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك
والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى
او ضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبنى على تأويل النفس تذكير
بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم
من اهتدى فانما يهتدى لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اى
من اهتدى بهدايته وعمل بما فى تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد
ومن ضل عن الطريقة التى يهديه اليها فانما يضل عليها اى فانما وبال ضلاله عليها لا على غيره ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة
العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اى لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص
النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان
الزمناه طائره فى عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو فى الحقيقة
انتفاع بحسنته وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذى يصل الى من يشفع جزاء شفاعته

لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال معقود على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال
وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم
الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان
المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكمة البالغة
او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا
يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال
كما قال الشيخ ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده واياما كان فالبعث
غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد
تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف اخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية
بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية
المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا تقارنه الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اي اذا دنا وقت تعلق ارادتنا
باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او بنوع ما ذكرنا شاملا من مطلق
العذاب اعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين امرنا بواسطة الرسول
المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبارتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم ائمة الفسق ورؤساء الضلال وما وقع من سواهم باتباعهم
ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به لما ان المراد به هو الحق وان الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن
لما هي اقوم واما لان المراد وجهنا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها
القول اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف
هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم النعم المبطرة وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو
بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فأمر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة
امّرنا وآمرنا من الافعال والتفعيل وقد جاء من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث
على الاهتداء ... ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله تعالى وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا
بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا اي كثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم
وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد اكد ذلك صلى الله عليه وسلم لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة
او مائة وعشرون من بعد نوح من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم
وعدم نظم قومه عليه السلام في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام رمز الى ذكرهم وكفى بربك اي كفى ربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي
الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما
صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها
سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كالاعمال البرية او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الآخرة فالمراد
بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد
معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مع المضارع لا اقتصارا على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة
الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى من كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد بالعاجلة كقوله
عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الحق والاستمرار
من جملة ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي ما نشاء تعجيله له من نعيمها
لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ

لربّك على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر
من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل
لما يطلبه بتمامه واما ما يرى من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل
سؤل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له
مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصلاها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استئناف
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة ومن اراد الآخرة الدار الآخرة
وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما يخترعون
بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة
الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة
وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمع لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع
على وجه الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا
مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين
عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط نمد اي نزيده مرة بعد مرة
بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحد منهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها
بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما يلحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله
هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات
المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم
كونه افراد الفريق الاخير وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من معطاه الواسع الذي
لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض
التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه واشعارا بعليته للحكم
محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر
وهذا في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم
الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية
العطاء بالنسبة الى الفريقين استحضارا لمراتب احد العطاءين والاستدلال بها على مراتب الآخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم
على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وضالع وظليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك فعرف
ذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله
وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وفي اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وحيث
ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم
بها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الاخير ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى
كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان
عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض
فآخرنا منه او وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول مع شمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا
لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم

نبه تعالى فضلا عن ابهام اختصاصا لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اى عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اى جامعا على الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اى امر امرا مقطوعا به وقرئ واوصى ربك ووصى ربك ان لا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اى لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين اى وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف رعاية الاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا يسوغ ان يجعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف الدية ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اى لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وفيه الكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اى لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤونتهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما لانه اللغة وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما اى لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اى قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وديدن الدعاء وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك كأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل واجعل لذله جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما يفعله الفرخ فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى رحمة مثل رحمتهما او مثل تربيتهما على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كانه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اى لاجل تربيتهما لقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الى منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروى ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير ولا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع مثلها فاستنشده فانشد الشيخ فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا ساهرا اتململ كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للاوابين اى الرجاعين عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه اندراجا اوليا وآت ذا القربى اى ذا القرابة منك حقه توصية بالاقارب اثر التوصية بالوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة اى وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات البذر كيفما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسب الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط وكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اى كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الاصدقاء والاتباع لهم لانهم كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي او المقارنة اى قرناءهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اى مبالغا في كفران نعمة ربه تعالى لان شأنه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران النعمة مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اى ان عراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اى لفقد رزق من ربك اقيم المسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر كسعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في التصوير بابشع الصور ولما كان قبح الاسراف في آخره بين قبحه في اثره فقيل فتقعد ملوما اى فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس من عندهم بك اذا احتجت وندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وقيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه الصلاة والسلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت وقيل ان الشيء في خلال ما في آخره كذا قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشد يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فكانوا جميعا اخماسا مائة فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اى يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما تعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها

كل البسط الا لمصلحتك كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز
ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا
لقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عن ذلك
نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضامن لرزقهم تعليل للنهي المذكور بابطال موجبه
في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث
على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير
ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي في
نفسه منكر عظيم والخطأ الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب
وبكسر الخاء والمد وبفتحها مع المد وبفتحها وكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مبادئه القريبة والبعيدة فضلا عن مباشرته
وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق لتحريم العمل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي
عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه يضيع الانساب فان من لم يثبت له نسب كان ميتا حكما
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال
امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع
رجع اليه وقال عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال عليه السلام اياكم والزنا فان فيه ست خصال
ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب والخلود
في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين بسبب من الاسباب الا ملتبسين بالحق
ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتلا او يبيح القتل
حتى انه يعتبر اباحة لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يغني قول الولي انا امرته فذلك ان لم يكن الامر
ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل بالمؤاخذة
بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف وقرئ لا تسرف في القتل اي لا يسرف الولي في القتل بان يتجاوز
الحد المشروع بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما تفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل
في مادة الدية وقرئ فلا يسرف بالرفع مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب
القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراءه ولا يستوجب عليه الخروج من دائرة امر الله او للمقتول ظلما على معنى
انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر على كل حال لان الضمير لا يسرف للقاتل الاول
واعضده قراءة فلا تسرف خطابا للقاتل والضمير في انه للتعليل عائد الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضها
للهلاك العاجل او الآجل لا الاسراف ومجاوزة الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك الى التوسل الى الاستيلاء
عليه الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد ما جرى بينكم وبين ربكم او
بين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي
كايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود
كان مسؤولا اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى ذلك يوم مشهود اي مشهود فيه
ونظيره في قوله تعالى منه آيات محكمات الكتاب المحكم على ان اصله المحكم فانه بحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في المحكم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان

تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا
تبخسوه اذا كلتم اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف انما يكون وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة
الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية وزنوا بالقسطاس المستقيم هو الميزان صغيرا
كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعرب في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم
اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فكثيرا
ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتعديلهما
في قوله تعالى اوفوا الكيل والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا لانه موجب
الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تاويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع
من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد
الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي
وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول
الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة
من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة
على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ذم المنازل
بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير
يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا وقيل الجار والمجرور
في محل الرفع وهو المسند ومسؤولا متعلقا بالجار والمجرور لا لبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما تقدم معاد لكن
النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير
ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤولا مسندا الى المصدر المدلول عليه
بالفعل وان يكون عنه على المصدر وهو السؤال عنه في محل النصب سأل ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب قال لا يرتفع بما بعده
فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون
اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤولا او مسؤولا صاحبه ولا تمش في الارض التقييد بها لزيادة التقرير
والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا بكسر الراء وقرئ مرحا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل
المرح وقرئ بكسرها انك لن تخرق الارض تعليل للنهي بسكم بطلان ما ادان به ذلك ففيه تهكم مع الارض بكسر عليها اي
لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان
تتكبر عليها او التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه
كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ما ذكر من الامور التي هي الخصال الخمس والعشرون كان سيئه الذي نهي عنه وهي
اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغوضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة
على ان جميع الاشياء واقعة بارادته تعالى وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر
للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها
ابتداء الى البعض المذكور ليس لما ذكر حمله بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك
ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور
المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمول على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او محمول على موصوف مذكر اي امرا مكروها او
مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية وتجويز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ شانه ذلك

ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعض منه او من جنسه من الحكمة التي هي علم
او معرفة للحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآيات
الثماني عشرة كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي
عشر آيات في التوراة ومن متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف
في الصلة اي كائنا من الحكمة او ابدال من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره ممن يتصور صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه
لم تنفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد
مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة
الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها
في التنور افأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء
جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص
واثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد بالتعرض
لعنوان الربوبية تشديد النكير وتأكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى هي وصفهم
لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى
مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث
لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه سبحانه من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وهو الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي ثم انكم تضيفون اليه
ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف
الحيوان فيا لها من ضلالة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه
من التقرير في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه
والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم مساويهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان
يراد بهذا القرآن نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة وصرفنا بمعنى التصريف جعله مكانا له اي اوقعنا
فيه التصريف كقوله يخرج لي في عراقيبها نصلي وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم الى الله سبحانه البنات لان ابطالها مما اكثر
القرآن من ابطالها وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر
المؤدي الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه آلهة كما يقولون
اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من جهة النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي
كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء لها اي لطلبوا
الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض
على طريقة قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء
السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه رأسا اي تنزه بذاته تنزها
حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كما في قوله تعالى
والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه
من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته
واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه سبحانه له وان يكون
معه آلهة ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من

من شانه ذلك تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ يسبح
من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما نطق بلسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء
من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته
من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما
قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للتسلسل ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم
ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه
من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم
اي لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك
من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول
على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها
معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من
ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا
مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل
امرأة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت
هذه وانا اخاف ان تراك قال عليه السلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله
الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قوله تعالى وعدا مأتيا او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا
في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا بحيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان
ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه على كنهه ويعرفوا انه
من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي
صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال
اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها
وتنبيها على ان حالهم هذه ابلغ من حالهم السابقة لما كانوا قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف
مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا
وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا
ونفروا نفورا او ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن
روي انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه
بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به
العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي
المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم
او الاول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم
ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل
من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون
مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون

باللغو والهذيان الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الا
اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج الحجج فلا يستطيعون سبيلا الى طعن
يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار
للبعث بعدما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامرين من الظهور بحيث لا يقدر
المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام اي المحطمة لا يظهر
وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث
او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله
بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحليته بان واللام لتأكيد الانكار
لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون وبناء
على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل
في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضة ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث
بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير
لفظه او حال على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا اخر مما يكبر
في صدوركم اي يعظم عندكم عن قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة
فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد
وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال
يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحيوة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها
المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رءوسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى
هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان
تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى الاعادة
اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا
في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق
او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر المستكن في عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير
المصدر كما في قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به عن
فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتي وبان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى
على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عندما ترون من
من الامور الهائلة ان لبثتم اي في القبور او في الدنيا الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي
المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم لقوله تعالى ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة
والمشادة والمناقشة وذلك يؤدي الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاي ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم
بالتوفيق او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر هذه التفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها
ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك

عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة
والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذا
المشركين المؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك
اعلم بمن في السموات والارض وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا ابعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من
الصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرؤ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع
وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك بايتاء الزبور لا بايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله
عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطور في الزبور وان المراد بعبادي الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي
الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او المصدر
بمعناه كالقبول واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على انه
جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي
اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة
القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه
او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون
عذابه بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا
بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لان المقام مقام التحذير من العذاب
وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق
من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار
الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل
وان كان بمعنى المستقبل ما ليس في غيره من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة
ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على الاسناد المجازي عذابا شديدا
لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب
عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك
الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته
واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم
في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان
فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب
حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى
فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع
النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات
قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت
وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير

بان نعم القرية لا يساعده السباق والسياق وما منعنا ان نرسل بالآيات اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى
وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها بشيء
من الاشياء الا تكذيب الاولين بها من حيث انها نظائرهم وعدم ارسالها كان لسبقه على الحكم بانه لا مانع عن ذلك
او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم لعلم الله تعالى باستلزامه لتكذيب الآخرين
بحكم الاشتراك في العتو والعناد واقتضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات
لتعين التكذيب المستتبع للاستئصال المخالف لما جرى قلم القضاء من تأخير عقوبتهم الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان
بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما يتوهم من عدم ارادة الله تعالى
عليه السلام بالمعجزات وتواتر في ايثار الارسال على الايتاء وتعيين الاستعارة ابتداء الايات الى التنزيل لا ان كمال التقدير
هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاتيان الى آخر جريمتهم ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف
على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة
فكذبوها وآتينا ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها
مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد اي نفسها بصيرة ويجوز الرفع على انها
خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم
للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما ليس لغيرهم حيث يشاهدون آثار هلاكهم
ورودا وصدورا او لانها حيث انها حيوان اخرج من الحجر واضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات
المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت عليهم بما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا تحمل
البتة حينئذ من الاعراب نحو ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته بحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها
الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن
عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من احوالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب ونحوه وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية سيقت عليه تكلمها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا
خارقة للعادات منزلة من جناب الله تعالى لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الآخرين
بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما
ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤيا او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا
لعلها رؤيا اي ما جعلنا الرؤيا التي اريناك كما مر كونها آية عظيمة اية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة
افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها على الاسناد المجازي
او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر
وقطع الحديد المحماة فلا تضرها وثمة هو من المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون في كل شجر نارا وقرئ
بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك وبنظائره من الآيات فان الكل للتخويف وايثار
صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا ما اقترحوه
من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا
الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم
الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لما ان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت
بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس

في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك من تبليغ الرسالة الا ترى ان
الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة
باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونها منتظرا لتحقق وقوعها مستنبطا منه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته تعالى في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه عليه السلام في المنام من مصارعهم
لما روي انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت
به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عليه السلام انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عنه
بانه لو كانت الرؤيا وحيا بانه يجوز ان يكون الوحي باسلاكهم كذا الرؤيا واعتباره ذكر الرؤيا وتعيين المصارع وافتتان بعد الهجرة وانت خبير بانه
يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقيل
الرؤيا ما رآه عليه السلام في وقعة بدر من قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم الآية ولا ريب في ان تلك
الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة
من غير تردد وتحقيق مضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وتعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام ابتغاء الوسيلة ورجاء
الرحمة ومخافة العذاب من حال ابليس حال من عاداهم ويخالف الامر اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما
له لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير لعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عليه السلام الا ابليس وكان داخلا
في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال اي عندما وبخ بقوله تعالى يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك
الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر أأسجد وانا مخلوق من العنصر العالي
لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول
اي اسجد له وهو طين والتعبير عنه عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه
المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء
بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى
قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب
لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني
بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي
اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارأيتك اتأملت كان المتكلم به يخاطب نفسه استحضارا ومخاطبة عقيبه لئن اخرتن حيا الى يوم
القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته اي لاستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها
به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب له بقياس جبلة الملائكة عليهم السلام او استنباطا
من قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب
اي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرده وتخليته وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم
فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي فره وينتصب على انه
مصدر مؤكد كما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اي استخف
من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة اي الصياح بخيلك
ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة
خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو
من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم

وادخل عليه فعل يعني فاعل كصحب اي بعضهم من حدث وحدث وندس وندس ونظائرها اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ
رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكان مغوارا وقع على قوم فصوت بهم
صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خياله ورجاله حتى استأصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم
على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم
بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة
والاتكال على كرامة الاباء وتأخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات
الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو
تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة للتحكم في
ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى
بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف
الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للايذان بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر
مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله
من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهو تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد
وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم
ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان
المراد بالرحمة الدنيوية النعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون
اي ذهب عن خواطركم كل من تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم
وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المتصل
فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق
من الاعراض افأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم ان يخسف بكم جانب البر
الذي هو مأمنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجانب والجوانب بالنسبة الى قدرته سبحانه
وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا
لكم وكيلا يحفظكم من ذلك ويصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثر كلمة في على كلمة الى
المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسند الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق
الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم
وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد
كأنها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح
بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا
ودركا للثأر من جهتنا كقوله تعالى فسواها ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي
بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة
ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل
من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما
حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم
من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما

ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة
عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم
عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى
جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد
ههنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة
القربة عند الله سبحانه ان قيل اي حاجة الى التعسف في التفضيل بعد بيان ان المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم السلام
من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم فلا بد من بعض منه البتة اذ ليس من الافراد العاجزة
للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات مما هو المتنازع فيه فضلا عن ان يفضل على كل اي جنس ما عنه قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعوا نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل
عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعوا بقلب الالف واوا على لغة من يقول افعو في افعى وقد جوز
كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
الرفع وهو يكفي بتقديره كما في يدعى كل اناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع
في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنا
فمن اوتي من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا
له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل واشعارا
بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي
اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المذكور يقرؤون كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات
المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر
فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين
في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اولاه من
التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف
الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني
وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما
واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة
حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع ان الذي يقتضيه حسن المقابلة حسبما نطق به سورة
الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب
اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر
تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة
فاذا قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حين قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة وقالوا
لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا فان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
اي ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا

لتفتري علينا غيره لتقول علينا غير الذي أوحينا إليك مما اقترحه ثقيف أو قريش حسبما نقل وإذا لاتخذوك خليلا أي ولو اتبعت
أهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا أن ثبتناك على الحق بعصمتنا إياك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا
من الركون الذي هو أدنى ميل أي لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في أنه عليه السلام ما هم بإجابتهم
مع قوة الداعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته إذا لو قاربت أن تركن إليهم أدنى ركنة لأذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير
خطير وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت
إضافة موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وإن كادوا الكلام كما في الأول أي كاد أهل مكة ليستفزونك أي ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم من الأرض أي الأرض التي أنت فيها وهي أرض مكة ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ
لا يلبثوا بالنصب بإعمال إذن على أن الجملة معطوفة على جملة كاد وإن يستفزونك خلافك أي بعدك قال خلت الديار خلافهم
فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا أي لو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك إلا قليلا إلا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام
مقام الأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل
منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر أي سن الله تعالى سنة وهي أن
يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى الرسل لأنها سنت لأجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل
ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تغييرا أقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام أتاني جبريل عليه السلام
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لأن من نظر إليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها وأصله من دلكت الشمس إذا
غربت وقيل أصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون إلى غسق الليل إلى اجتماع ظلمته
وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد إقامتها فيما بين الوقتين على جهة الاستمرار بل إقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل
عليه السلام كما أن أعداد ركعات كل صلوة موكول إلى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في أوقات الصلوة من غير فصل
بينها لأن الإنسان فيما بين هذه الأوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف أول وقت العشاء والفجر فإنه باشتغاله فيما بينهما بالنوم
ينقطع أحدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الأوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه
ومنتهاه واستدل به على امتداده إلى غروب الشفق وقرآن الفجر أي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول أقم أو
على الإغراء قاله الزجاج وإنما سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية لكن لا دلالة عليه لجواز
كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة
ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر إن قرآن الفجر أظهر في مقام الإضمار لمزيد الاهتمام
كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو أخو الموت
أو يشهده كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير لأنه على تفسير الدلوك بالزوال جامع للصلوات الخمس وعلى تفسيره
بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل منصوب على الإغراء أي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري حرفا ولا يجدي تقدير
كون معناها التبعيض فإن ذلك أمر معنوي ليست اسما بالإجماع ولا كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو نصب على الظرفية بمضمر أي قم بعض الليل
فتهجد به أي أزل الهجود أي النوم فإن صيغة التفعل للإزالة كالتحرج والتحنث والتأثم نظائرها والضمير المجرور للقرآن
من حيث هو ولا يبعد احتماله للفجر أو للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل أي تهجد في ذلك البعض على أن الباء بمعنى في وقيل منصوب
بتهجد أي تهجد القرآن بعض الليل على طريقة إياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون
العلة سوا الوجه في ما آخر ذكر صلوة الفجر مع عدم تقدمه في قيامه أي تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له

صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فإنه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه
زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الأمة فإن تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها إما على
تقدير فعل أو جعل تهجد بمعناه أو جعل فاء بمعنى تهجدا فإن ذلك عبادة زائدة وإما على الحال من الضمير الراجع إلى القرآن أي حال كونها
صلوة نافلة وإما على المفعول له لتهجد إذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض أي صل في ذلك البعض نافلة لك عسى أن يبعثك
ربك الذي يملكك كما كان الآن يبعثك من بعد الموت الأكبر لما بعثك من النوم الذي هو الموت الأصغر بالصلوة والعبادة
مقاما نصب على الظرفية على إضمار فيقيمك أو تضمين البعث معنى الإقامة ولا بد من أن يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى
الاستقرار ويجوز أن يكون حالا بتقدير مضاف أي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل
وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن حذيفة رضي
الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم فيه نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب أدخلني أي القبر مدخل صدق
أي إدخالا مرضيا وأخرجني أي منه عند البعث مخرج صدق أي إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو متصل بقوله عسى أن يبعثك من البعث
القرآن لاقا المعهود إلى الكرامة ونحوها وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة ويعضده ترتيب الأمر والكون الإدخال هو المقصد وقيل إدخاله عليه
السلام مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه
منه مؤديا حقه وقيل إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني
فأخرج خروجا كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف أي لم يدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا ناصرا للإسلام ومظهرا له على الكفر فاستجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس
ألا إن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض وقل جاء الحق أي الإسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق
الباطل أي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه إذا خرج إن الباطل كان زهوقا كان زهوقا
أي شأنه أن يكون مضمحلا غير ثابت عقبه بإجابة الدعاء بسلطان النصر الذي لقنه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه عليه السلام دخل مكة يوم
الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى
جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن وقرئ ننزل من الإنزال ما هو
شفاء لما في الصدور من أدواء الريب وأسقام الأوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما فيه أي ما يقوم في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فإنه قدم على المبين اعتناء فإن كل القرآن كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله أو التبعيض لكن لا على معنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى أنا ننزل منه في كل نوبة ما تقتضي الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب
موافقة لأحوالهم الداعية إلى نزوله موقع الدواء الصالح لإزالة المرض الحاصل حين الحاجة إليه بخلاف من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض
منه شفاء لكن لا في كل حين بل عند نزوله لتحقق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يباعده قوله سبحانه
ولا يزيد الظالمين إلا خسارا أي لا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين الأشياء في غير مواضعها مع أنه
في نفسه شفاء من الأسقام إلا خسارا أي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كاملا فإن ما بهم من الكفر والضلال حقيق بأن تعرضوا للهلاك
لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادئ الإسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث إنهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة
تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض وما بالكفرة
من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك وإسناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع أنهم هم المزدادون في ذلك لسوء صنيعهم
باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من أمره من حيث كونه مدار الشفاء والهلاك وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة
أعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى بجانبه أي تباعد عن طاعتنا بجانبه أي لوى بالجانب أي لوى عن الشيء
عطفه وتولى بوجهه فهو تأكيد للإعراض أو عبارة عن الاستكبار لأنه من ديدن المستكبرين وإذا مسه الشر من فقر أو مرض

او ما نزل به من النوازل في اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر
كان يؤسا شديد الياس من روح الله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شان بعض آخر منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء على القلب
كما يقال راء في رأى او على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم ممن هو على هداكم ومن هو على خلافكم يعمل على شاكلته طريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي براكم على هذه الطبائع المتخالفة اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح
الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة قل الروح اظهر في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء به من امر ربي كلمة من
بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية
من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا تكاد تحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم
من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام نحن
بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به المعاش والمعاد وهو بالاضافة
الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان وهو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني
من غير تحصيل مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه ومآله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس المراد بالامر
هو سبحانه امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون بل ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر
او من عالم الخلق وفيه دلالة على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هو العلم الاجمالي المندرج تحت الاستثناء في قوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته واما حمل ما ذكر على السؤال
عن قدمه وحدوثه وحمل الجواب على انه حادث اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملائمته لحال السائلين لا عدم
التعرض لبيان قلة علمهم فانما سألوا عنه مما يفي علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك
وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وسلبناك علمه حتى كان ذاهبا ... ولم يكن
اثر شيئا مذكورا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام
المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة المراد من الذهاب المحو
من المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة
وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا
نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد لك
به اي بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة
على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا تقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا
كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفطنون لفخامة شأنه
الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المتصف بما لا يدركه العقول
من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا ان

غير مقتدر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا
وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان
وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولا هي لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير
وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك
سواء كان بالتصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتناولوا على تلفيق كلام واحد تتلاحق فيه الافكار وتتعاضد
الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي لحقق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن
بعضهم ظهيرا للبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى
عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد فرغ عن قرره ومحله النصب على الحالية حسبما عطف
عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم
تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا على معنى ان الاتيان بمثله
اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان صعوبة الاسترداد بعد الذهاب ليست من الاتيان بمثله حالا
بل لان الجملة القسمية مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء
مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة
من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الاظهار على الاضمار
تاكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي كانه قيل لم
يرض اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر
ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات
الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر
وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او
تكون لك جنة اي بستان تستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا
والمراد اما اجراء الانهار خلالها لسقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهو حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر
محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي بالله والملائكة قبيلا
اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا بما تدعيه شاهدا على صحته وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة
قبيلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف
من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرج
ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل منها علينا كتابا فيه
تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من تلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك
حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى وانا انظر حتى تأتيها وتأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول
وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات
ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة
شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلب
ذلك وتنبيها على بطلانه ما قالوه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي
في السماء ونحوه رسولا مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله تعالى على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها وقوله

بشرا خبر كنت ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله
اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا
بالقرآن ونبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا اذ ذاك وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم
ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم ومنع بعضا
آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم
من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو الذي يجب
الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا ونحو ذلك يتشبثون به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى
من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ... يعكسون
الامر ويجعلون ما نفاه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا لما هو المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض
بدلا من البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا الى السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق
مفاوضة الملك كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يبنى التكوين والتشريع وانما بعث
الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني
ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب ... ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالى
ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من جانبنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة
في البعثة ولم يرفعوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم
ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما قيل لا يساعده
قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما ذكر بينا تحقيقا للمفارقة والابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز
انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل
للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدأ ... تفصيل ما اشار اليه الكلام
من مجازاة العباد واشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتد الى ما يؤدي اليه
من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم
او ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من ... في مقابلة الافراد نظرا الى لفظها ... طريق الحق ... وتعدد سبل
الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم
الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه
قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر
يوم القيامة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي
انه قيل عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال
من الضمير المجرور في الحال الاولى وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤوفي القوى والحواس ... كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا
ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم
ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة مستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكار
الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك
العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك

مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له
والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد
من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستأنفين اولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر
عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق
السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو يوم القيامة فابى الظالمون
وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن
رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك
المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد
الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان
بينات
قتورا مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات
واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث
الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن مرسلة اذ ذاك وان لا تعلق لها بفرعون وانما ... عن صفوان
ابن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه السلام ولا يساعده النظم ... عليه السلام ذلك لما انه
المبهم ... وتقبيله لما انه كان في التوراة مسطورا وقد علم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل
وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ... وقرئ
رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وهو الخطاب للنبي عليه السلام اي فسألهم عن ذلك ... لتزداد يقينا وطمأنينة
او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا او سأل على القراءة المذكورة ... على تقدير كون
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء فصيحة فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الآيات التي اظهرها
الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بانه لا يقدر على ايجاد مثل تلك الآيات
العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا
واستيقنتها انفسهم ... على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة
التكلم اي لقد علمت بيقين ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف تتوهم انه حول سحر واني لاظنك يا فرعون
مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر ... اي هالكا ... وقد قارع عليه السلام ظنه بظنه ...
وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يخفهم
ويزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا
فحاق به مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد
ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة او قيام القيامة جئنا بكم لفيفا
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل
اي ما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل
على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخرا وما ارسلناك الا مبشرا

للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام اثر تحقيق حقية انزال القرآن وقرآنا منصوب
بفعل يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه
ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل
للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء
الذين قرؤوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم سجدا
تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ هو اقصى
عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا
من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمانا من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا
عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان هذا
ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثاني
لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة
الهين وهو يدعو آلها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما
عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما
استغناء عنه او للتحرز عن التصريح اما عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم
وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه
يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك
بحيث يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ
بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا قصدا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك
بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي
ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا
والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
كما يزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن
له شريك في الملك اي الالوهية كما تقوله الثنوية القائلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع من الذل ليعتز
به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من له هذه النعوت دون
من عداه لانه هو الكامل القادر على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور
في ذلك روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والحمد لله سبحانه وتعالى

سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل
الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع
المنزل حينئذ كما هو المراد في وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا
وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام
الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق
عيسى عليه السلام واخر المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقدم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا
من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى
لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه
بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج في
المنتصب كالعود والحائط والعوج في غيره عوجا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار
والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السالفة يشهد بصحتها مهيمنا عليها وتنتهي الاستقامة فيكون
تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصفة لا انه نفي عنه العوج مع كونه
من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية
فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين اجزاء المعطوف عليه المعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل او بجعل وضمير
كما في الفعلين المعطوف عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة
الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا بأسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله
بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر
بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين اي المصدقين به الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه
وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول
الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم مقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى
ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي في ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين
وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقدم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس الشديد للايذان بكمال فظاعة
حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي ينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هذه العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون
الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في
المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور
تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن
الوعيد بعموم الانذار هناك للمؤمنين ايضا لحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله
تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يقتضي حمل النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز
ان يكون الفعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه السلام ما لهم به اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع
على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او مستانفة لبيان حالهم في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا
لا لاخلالهم بطريق العلم مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة
او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات
بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه
الآيات وهو الانسب بقوله تعالى كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه

والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا او كلمة نصب على التمييز وقيل ضميرهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة
تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ
كلمة بالرفع تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والاسناد للخروج اليها مع ان الخارج
هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشان الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد
يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمائر لهم ولآبائهم شبه حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان
بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل
على طريقة التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم غما
على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ ان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع لجعله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل
باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم
على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى
ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه
اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل
ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع والاخراج لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها
اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب الآخرة
من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا
من زينة الحياة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة
كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا
فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن والمسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم
المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهام مرفوع
بالابتداء واحسن خبره والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري
مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب على انه بدل من مفعول لنبلوهم
والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن
عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان تكون للاعراب لان ذكر شرطي جواز
البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شانها وجعلها ذريعة
الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله
الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن
فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة
او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض
وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظارة وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض
جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة
والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في انا جعلنا من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب
فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب
ام حسبت خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبانه وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث

لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها
لحكمة ابتلاء الناس ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف
او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة
بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي
او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم
وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة اطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله
على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا او لمحذوف هو اذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف واوثر الاظهار
على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه
بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا تناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف بجعلهم يتخذونه مأوى
فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا او بمحذوف
وقع حالا من مفعوله الثاني قدم عليه لكونه نكرة ولو اخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة
والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة
احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق
بهيئ لاختلاف معنييهما وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير
ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده يقتضي كمال عناية المتكلم به واعتنائه لا محالة
وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على رحمة وتعليقه بآتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤول
مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي
انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان
بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا
لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير
على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا
كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما يترتب عليه من التقلب ذات اليمين وذات الشمال
والبعث وغير ذلك ايثار رحمته لديه حافة عن اقصارهم بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان
لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا لابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر
او معدودة على انه بمعنى المفعول وصف لسنين وفي ذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو اللائق بمقام
انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من
تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فغاية البعث
ليس الا حصول العلم مجازا من الاظهار والتمييز حملا على المعنى والتوجه غاية للبعث لكونه من العلم الحالي الذي يتعلق الجزاء
كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما الا الحقيقي
العلم الحقيقي متعلقه قطعا فان تحول القضايا يترتب عليه تحزبهم الى متبع ومنقلب كما اداه له الايام بين الناس من عليه
تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه يعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز اما بعد الآن من ثبت عليه معلوم
الى المحصي غيرهم حتى يعلق بها العلم او الاظهار والتمييز على شيء من ذلك في سلك الغاية وانما الذي يترتب عليه تفرقهم
الى مقر بعد الى العلم الاحصاء شيء بل حمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم

عبارة عن الاختبار مجازاً بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر على المختبر
قطعاً بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم
معاملة من يختبرهم أي الحزبين أي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي أحصى أي أضبط لما
لبثوا أي للبثهم أمداً أي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم
وأديانهم فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر
ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي إلى التعارف أو
من تصور التمثيل أن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم إلى آخره حسبما وقع في قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه
حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان من غيره إذ ربما يتوهم منه استلزام الانتفاء
لتحقق المراد وهو المحذور فيصار إلى حمل إرادة العلم عبارة عن الاختبار خبيراً اخترناه وقرئ ليُعلم مبنياً للمفعول
ومبنياً للفاعل من الإعلام على أن المفعول الأول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط إن حمل العلم
عرفانياً وفي موقع المفعولين إن حمل يقينياً أي ليعلم الله الناس أي الحزبين أحصى إلى آخره وروى عطاء عن ابن عباس رضي
الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والأول هو الأظهر
فإن اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والأمد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور
حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى إحصاء الأمد ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه لا يسمى إحصاء بل ضبطها
من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها من تلك الحيثية إلى مراتب الأعداد على ما يرشدك
إليه كون المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالأمد معناه الوضعي بتقدير المضاف أي لزمان لبثهم وبدونه أيضاً
فإن اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له أمد لا محالة لكن ليس
المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات
وهو آن انبعاثهم من نومهم فإن معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على أحد ولا تسمى إحصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة
بسبب عروض تلك الكمية لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه إلى السنين ووصوله إلى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في
الأول والفرق بين الاعتبارين أن ما تعلق به الإحصاء في الصورة الأولى نفس المدة المنقسمة إلى السنين فهو مجموع ثلاثمائة وتسع سنين
وفي الصورة الأخرى منتهى تلك المدة المنقسمة أعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة وتعلق الإحصاء بالأمد بالمعنى الأول ظاهر وأما تعلقه
بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في لما لبثوا مصدرية ويجوز أن
تكون موصولة حذف عائدها من الصلة أي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه بالسنين عدداً فالأمد بمعناه الوضعي على ما حقق
قبل واللام مزيدة والموصول مفعول له أو انتصابه على التمييز وأما جعل أحصى اسم تفضيل لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات
الكريمة نحو أيهم أحسن عملاً أيهم أقرب لكم نفعاً إلى غير ذلك مما لا يحصى ولأن كونه فعلاً ماضياً يشعر بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء
المتقدم على البعث لا بالإحصاء المتأخر عنه وليس كذلك فمع ما فيه من بناء أفعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي
قياساً مطلقاً عند ابن عصفور وما ليست همزته للنقل ولا ريب في أن همزة هذا من ذاك القبيل وامتناع عمله في غير التمييز من المعمول
وأما أن التمييز يجب كونه فاعلاً في المعنى فلما فيه من أن تقال لهم احفظ لهذا الشعر وزناً وتقطيعاً وقيل إن العامل
فعل محذوف يدل عليه المذكور أي يحصي لما لبثوا أمداً كما في قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث لزوم المحذور
مدفوع بما أشير إليه من أن المراد بالعلم للمطابق وقع ما فيه من الاعتناء ويحمل من السداد لا مع وإن يكون المقصود بالاختبار
إظهار العجز الحزبين وتمييزه عن الأدنى مع تحقق أصل الإحصاء فيهما ومن البين أن لا تحقق له أصلاً وإن المقصود بالاختبار إظهار
عجز الكل عنه أساساً وهو محض قطعاً ووهم أن إيذانه بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار
حال الحكاية والله تعالى أعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى أم حسبت إلى آخره أي
نخبرك بتفاصيل أخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم أي خبرهم الذي له شأن وخطر بالحق

ملتبساً به أو صفة لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أي نقص
قصصاً ملتبساً بالحق أو نقصه ملتبسين به أو نقص نبأهم ملتبساً به أو نبأهم الملتبس به روي حسبما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار أنه مرج
أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتواً كبيراً دقيانوس
فإنه غلا فيه غلواً شديداً فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان
يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان فمن رغب في الحياة الدنيا يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحياة الأبدية قتله
وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وأبوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا
إلى الله عز وجل واشتغلوا بالدعاء فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل و
عبادة الأوثان فقالوا إن لنا إلهاً ملأ السموات والأرض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه أحداً ولن نقر بما تدعونا إليه أبداً
فاقض ما أنت قاض فأمر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم من عنده وخرج هو إلى مدينة نينوى لبعض شأنه وأمهلهم إلى
رجوعه ليتأملوا في أمرهم فإن تبعوه وإلا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمعوا الفرار بدينهم إلى الكهف الحصين فأخذ
كل منهم من بيت أبيه شيئاً فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل وأطراف النهار ويبتهلون
إلى الله تعالى بالأنين والجؤار وفوضوا أمر نفقتهم إلى يمليخا فكان إذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة
ويشتري ما يهمهم ويتحسس ما فيها من الأخبار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار المدينة فطلبهم وأحضر آباءهم فاعتذروا
بأنهم عصوهم ونهبوا أموالهم فرجع يمليخا إلى أصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا إلى الله عز وجل وخروا
سجداً ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم فبينما هم كذلك إذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم فخرج
في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرعاً قال قائل منهم أليس لو كنت
قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً وليكن كهفهم قبراً لهم ففعل وكان من شأنهم
ما قص الله عز وعلا منهم إنهم فتية استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي
آمنوا بربهم أوثر الالتفات للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم
هدى بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة إلى ما عليه سبك النظم سباقاً
وسياقاً من التكلم وربطنا على قلوبهم أي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم والإخوان واجترأوا
على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم
لإظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال أكبرهم إني لأجد في نفسي شيئاً إن ربي رب السموات
والأرض فقالوا نحن أيضاً كذلك نجد في أنفسنا فقاموا جميعاً فقالوا ربنا رب السموات والأرض ضمنوا دعواهم ما يحققها ويقتضيها
فإن ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما أي مقتضاه وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك
عبادة الأصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء إلخ منقطعاً عما قبله صادراً عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو
لن نعبد أبداً من دونه إلهاً معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن أن يقال رباً للتنصيص على رد المخالفين
حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة وللإشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية وللإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الألوهية
لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا إذاً شططاً أي قولاً ذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط أو قولاً هو عين الشطط على أنه وصف
بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بألوهية
المعبود والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذاً جواب وجزاء أي لو دعونا من دونه إلهاً والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفرطاً في الظلم
هؤلاء مبتدأ وفي اسم الإشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو إخبار في معنى الإنكار
لولا يأتون تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز أي هلا يأتون عليهم أي على ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان
بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم وإلقام حجر فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه تعالى
عن ذلك علواً كبيراً والمعنى أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم على إنكار الأظلم من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها كما حقق في

وإذ اعتزلتموهم أي فارقتموهم في الاعتقاد وأردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير المنصوب
وما موصولة أو مصدرية أي إذ اعتزلتموهم ومعبوديهم إلا الله أو وعبادتهم إلا عبادة الله على التقديرين فالاستثناء متصل
على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان ويجوز كون ما نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية
بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه فأووا إلى الكهف قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت فافعل كذا وقيل هو
دليل على جوابه أي إذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا وإذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف
ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك أمركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم ويسهل لكم من أمركم الذي
أنتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الجملتين لما مر
مرارا من الإيذان من أول الأمر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق إلى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما أووا إلى الكهف
ولم يصرح به إيذانا بعدم الحاجة إليه لظهور جريانهم على موجب الأمر به لكونه صادرا عن رأي صائب تعويلا على ما سلف من قوله تعالى إذ
أوى الفتية إلى الكهف وما في من إضافة الكهف إليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس المراد
الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس إذا طلعت تزاور أي تتزاور وتتنحى بحذف إحدى
التائين وقرئ بإدغام التاء في الزاي تزّاور وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي أووا إليه فالإضافة
لأدنى ملابسة ذات اليمين أي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره أي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها
فيؤذيهم وإذا غربت أي تراها عند غروبها تقرضهم أي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال أي جهة
ذات شمال الكهف أي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم
في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك أمرا بديعا أي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع أنهم في متسع من الكهف معرض
لإصابتها لولا أن صرفتها عنهم يد التقدير ذلك أي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم
في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قول ابن
وجيا ونبيس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش أقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان
ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر
فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا تقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب إلى جانب الغرب كان
أكثر لذلك أو قع التزاور حتى كفهم القرض على أنفسهم ذلك حينئذ إشارة إلى إيوائهم كهفا شأنه ما ذكر والجملة إشارة إلى حفظ الله سبحانه
إياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة أو إلى اطلاعه سبحانه رسوله عليه السلام على أخبارهم فلا عن إرادة تضاعيف القصة
من يهد الله إلى الحق بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب الفلاح والمراد إما الثناء عليهم والشهادة لهم بإصابة المطلوب والإخبار
بتحقيق ما أملوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق والتنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها
ومن يضلل أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه فلن تجد له أبدا وإن بالغت في التتبع والاستقصاء وليا ناصرا مرشدا
يهديه إلى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده وإمكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها أيضا
والخطاب فيه كما سبق أيقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة
تقلبهم لا طلاوته قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود أي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره سابقا من الضرب على آذانهم
ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية أي جهة تلي أيمانهم وذات الشمال أي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الأرض
ما يليها من أبدانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل كل تسع سنين
وقرئ يقلبهم على الإسناد إلى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل ينبئ عنه وتحسبهم أي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه
مرارا فلم يرجع فأنطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فإني أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم
إذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أو زرعه أو غنمه واختلف في لونه فقيل كان أنمر وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل كان
اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تقوة وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم

وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام
وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقا والذراع من المرفق إلى رأس الإصبع الوسطى بالوصيد أي موضع الباب من الكهف
لو اطلعت عليهم أي لو عاينتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم
فرارا
بما شاهدت منهم وهو إما نصب على المصدرية من معنى ما قبله إذ التولية والفرار من واد واحد أو على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل أي
فارا أو بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في ولها فإنما هي إقبال وإدبار أو على أنه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين أي خوفا
يملأ الصدر رعبا وهو إما مفعول ثان أو تمييز وذلك لما ألبسهم الله عز وجل من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم كالمستيقظ الذي
أن يتكلم وقيل لطول أظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما أو بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم أحدا فإن الظاهر أن ذلك
من اختلاف أحوالهم في أنفسهم وقيل لعظم أجرامهم ولعل تأخيره عما من ذكر التولية لما أن استقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع
ولو روعي ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم ترتب المجموع من حيث هو مجموع عليه والإشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية
أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
منه من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله تعالى ريحا فأحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبإبدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم
أي كما أنمناهم وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم أي ليسأل بعضهم
بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث إن الحكاية المترتبة عليه الاقتصار
على ما ذكره لاستتباعه لسائر آثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم أي في منامكم
لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا أي بعضهم لبثنا يوما أو بعض يوم قيل إنما قالوه لأنهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على
الغالب فلم يعزوا إلى الكذب قالوا أي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الأدلة أو بإلهام من الله سبحانه ربكم أعلم بما لبثتم
أي أنتم لا تعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بأجمل ما يكون من مراعاة حسن الأدب وبه يتحقق التحزب
إلى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالين ولا يساعده النظم الكريم فإن الاستئناف في الحكاية والخطاب
في المحكي يقضي بأن الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة وإلا لقيل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه
إلى المدينة قالوه إعراضا عن التعمق في البحث وإقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير
مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبإدغام
القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون الراء مع الإدغام وحملهم لها دليل على أن التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر أيها
أي أهلها أزكى أحل وأطيب أو أكثر وأرخص طعاما فليأتكم برزق منه أي من ذلك الأزكى طعاما وليتلطف وليتكلف
اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوع أخباركم أي
لا يفعلن ما يؤدي إلى ذلك فالنهي على الأول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للأمر بالتلطف إنهم تعليل لما سبق من الأمر والنهي أي للمبالغ
في التلطف وعدم الإشعار لأنهم إن يظهروا عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها يرجموكم
إن ثبتم على ما أنتم عليه أو يعيدوكم في ملتهم أي يصيروكم إليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا
وقيل كانوا أولا على دينهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم
على احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي إليه وضمير الخطاب في المواضع الأربعة للمبالغة في حمل المبعوث
على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فإن إمحاض النصح أدخل في القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه أكثر وأوفر
ولن تفلحوا إذن أي إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد
في التحذير ما لا يخفى وكذلك أي وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من ازدياد يقينهم مراتب اليقين أعثرنا أي أطلعنا الناس
عليهم ليعلموا أي الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة أن وعد الله أي وعده بالبعث أو موعوده الذي هو

البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه
او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت
بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها
ثلثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور
فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية
بذكرها لا لقوله ليعلموا لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول
ببعث الارواح دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا روي ان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته
في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم
فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل
المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم
ان آباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل
منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون
بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء
في قوله عز وجل فقالوا فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فتوفاهم الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم اي على باب كهفهم
بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم لما رأوا عدم
اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب
او من كلام الله سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم
حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فالظرف حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون
لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد
كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع
ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع سيقولون
الضمير في الافعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه السلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها
الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قاله السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا وقيل قاله اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله العاقب منهم وكان نسطوريا
رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه وظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين
جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا
اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق
التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة
وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا يرجى آخر كلامهم قل تحقيقا للحق ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم
ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس
رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من اولئك القليل ولو كانت هي واو الحال لما احتاج
الى الاستشهاد بالواو وكان المسلمون اسوة له في العلم وعن علي كرم الله وجهه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا

ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره
والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كلبهم قطمير فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله
اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي
من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل
بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه
لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة
القول الثالث وتخصيص عدم العلم بالاول من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية منطويا على شيء على الكل مع كون الآخر خلافا
ووضوح سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى حينئذ اذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا
بطريق الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان علم النبي من الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال
وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية لا لتصديق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي
ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد
دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه صلى الله عليه وسلم
فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول العبارة هو الغد وما بعده
يفهم بطريق دلالة النص ... ان بعده ليس معناه في مناط النهي فان وسعة المجال في مثل العذر فقيل الا ان يشاء الله استثناء
مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان تقول ان شاء الله او في وقت
من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشروطا باذنه فان النسيان ايضا بمشيئته تعالى ولا سبيل لتعليقه بفاعل لعدم
استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاته استثناء اعتراضا بالنهي وجعل الاستثناء جاريا مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله
تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اي اذا فرط منك
نسيان لذكره ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح
ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال النخعي اي تدارك الترك وتخلص عن الاثم واما الاستثناء
المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه
او واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل
على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ
اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك
حيث آتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على آذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي
جملة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم
فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة شمسية والله تعالى ذكر
السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وتسعا عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ
على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل
الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها اللازم
لاختصاصها العلمي دون التكوين فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شانه سبحانه بالمبصرات
والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير
والكبير والجلي والخفي والهاء تعظيما للجلالة محله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة
الامر الانشائي فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد

مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة وفعل تعجب امر ابصاره تعالى لان الذي يجب ان يتعجب منه شأن المبصر ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة النهي للحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل اشتمال القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها نسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره عليه السلام بالمداومة على درسه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد ابد الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند المام ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان دخول اللام عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة كانوا سبعمائة رجل وقيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله عليه السلام نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو ولا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا اي تطلب مجالس الاشراف والاغنياء اصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها ومن ضمير العينين واسناد الارادة اليه مجازي توجيه للملازم كما في قوله لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخريين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا لم يسمها بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي الوحي الذي هو الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن الترديد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين اي عقيب تحقق ان ذلك حق لا ريب فيه او ان ذلك من جهة ربكم من شاء ان يؤمن فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل وقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتعليل لما يفيده الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاكتراث والاهتمام وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم

ذلك انا اعتدنا للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين آمنوا في محل التعليل للحث على الايمان المفهوم من التخيير كانه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي حالي الفريقين اي ان الذين آمنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي ان الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مارق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر على ما هو شأن المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اي الارائك مرتفقا اي متكأ واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من ان للاولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه البر وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومسلم وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي الله عنها اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها شيئا كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار تأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو اي القائل يحاوره اي صاحبه المؤمن او الكافر والعكس يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا واولادا وذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي عددها ووصفها وثناها ووحدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة

وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخوله جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال
اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه اي تفنى هذه ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته لعله انما قاله بمقابلة موعظة
صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سيأتي لكن
بالبعث عند قيامها كما تقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا
وعاقبة ومدار هذا الطمع اليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان
ذلك استدراج قال له صاحبه استئناف كالسابق وهو يحاوره جملة حالية كما فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه
كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة أكفرت حيث قلت ما قلت فانه بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصلك من تراب
فان خلق آدم عليه السلام متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه
بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب
خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي به تحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق
واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية
ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب الى آخره لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشان
وهو مبتدأ خبره الله ربي والجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه
بالنون وكلمن يطرح انا ذكر انا اي لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك
بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند دخولها والتعبير عن الظرف
على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما
موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها انما
ان شاء الله ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته
واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
انا اما مؤكد للمتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية او بين الحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا للاغير لان شرط
كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ اقل بالرفع خبر انا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفي قوله تعالى
وولدا تعريض لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك وهو جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا ارجو
من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك
ويرسل عليها حسبانا وهو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب
حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة اي الصواعق من السماء فتصبح
صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح
عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع
له اي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلكت امواله المعهودة من جنتيه وما معهما من احاطة
العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف
بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال
ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته
عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا تنالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن
ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع [illegible]
وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها

وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهي من منتهاها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي
لانها حيث هلكت وهي مسندة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى
عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك
وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله
وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان
منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر
عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا
وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمنع او لا يعبد غيره
كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه
على اسلوب قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية ونصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم
مثل الحياة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة
صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استئناف لبيان المثل اي هي كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا
لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به فاشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء
في النبات حتى روي ورف فعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض ايثاره عليه للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين
موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفه هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ
تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما
تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال
المال والبنون زينة الحياة الدنيا بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا
واعز نفرا اثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وفي قوله تعالى وامددناكم
باموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة
وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء
النفس والبنين لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون
بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع كونها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة
والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحياة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها
التي شأنها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اي مما نعت
شأنه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقام
اثبات الخيرية لها بمقابلة ما من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ
الباقي اسم لها لا وصف لذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها عند ربك اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه
آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة
ثوابا عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين
فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها

وتسييرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او تسيير اجزائها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ نسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروزها فلذهاب الجبال عنها فكانت الجبال تحول بينه وبين ان ينظر الى ما كان خلفها فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ما تركه السيل الغادر وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى صفا اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جلالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان يكون هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع اختصاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقناكم اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال والانصار لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد بذكرها تذكير وقتها واورد فيه وفيما عطف عليه صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد به انه وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا او في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين المهالك مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا اهوال ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك مال هذا الكتاب اي اي شيء له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب او استئناف مبني على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى تتعجبوا منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهار المعدلة القيم الازلي واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بذكر قصته تشنيع الكفرة المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه الى آخره فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته اي اولاده واتباعه جعلوا ذرية

مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اي والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اي الواضعين للشيء في غير موضعه بدلا من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذرا من تفكيك الضمير ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ويمكن ان يرجع الضمير الثاني الى الظالمين ويلتزم التفكيك بناء على عود المعنى فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا يصح التولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له دخلا في خلق المشهود فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور مقتضيا لنفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم وانما وضع موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم والايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يتعلق ذلك بهم بارادته عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم وتعيينهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كخادم وخدم من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول اي الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اي نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باجابتهم على طريقة الاستغاثة اذ معلوم ان لا طريق لهم الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم اي بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا كوثب يثب وثبا او وبق يبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي ايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذا رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته هذا المثل ان جعلنا مثل الحياة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي

يتأتى منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين
يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز المعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس اي اهل مكة الذين حكيت
اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اي القرآن العظيم
الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها
مجادلتهم بالحق بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين اي الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقدير اتيانها فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال او يأتيهم العذاب اي عذاب الآخرة قبلا اي انواعا جمع قبيل
كما في قراءة قبلا بضم القاف ومع الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا فقال لقيته مقبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير
او العذاب والمعنى انه لا يمنعهم القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان ... لم يكن مثل هذه الحكاية لعدم امتناع الناس من الايمان
وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم
مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اي بالجدال الحق اي ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه
من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا
آياتي التي من جملتها القرآن وما انذروا اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا
استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها ولم
يتذكر بها ... السبك ... ولا للوضع ... نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان المتبادر العرفي انه
اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا اخرج
عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه
مفعول له دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم اي جعلنا فيها
وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن ابدا اي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف
واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كأنه قال عليه السلام
ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الى آخره وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواضع
الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر
بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك
ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية
او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخر العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اي لو
يؤاخذهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة
بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة
على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه الجواب وايثار صيغة
الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع
موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيامة والجملة
معطوفة على مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا اي الموعد من دونه موئلا منجى وملجأ يقال وأل اي نجا ووأل
اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابهم وهي مبتدأ على تقدير المضاف اي اهل تلك القرى خبره قوله تعالى
اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش ما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم
او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين

الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي عينا لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا
لا يحيدون عنه وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ مهلكهم بفتح
الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحها وكسر اللام واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه وهو
يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سماه فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا
ولعل المراد بذكره عقيب بيان ان لكل امة موعدا ذكر ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح
من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه
حتى ابلغ فان ذلك غاية يستدعي ذا غاية هي السير ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح سيري حتى ابلغ فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير المجرور المجرور بالمجرور مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح
التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل
مما يلي ... افريقية وقرئ بكسر الميم كالمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب
والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك
القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطب خطبة بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس
قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم الى الله عز وجل فاوحى الله اليه اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام
افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك
احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي
يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم
منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقيل
خذ نونا ميتا فحيث يحيا فهو ثمة فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما
اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب
اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى عليهما السلام ان يأمره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين
وعند الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش
وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش
فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النقب وقيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق
عليه وهو معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ
فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع
بعد ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة
الى السفر بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم يصبه الجوع والتعب قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار
ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه عليهما
السلام ارأيت اذ أوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الالتجاء اليها مع ان المذكور فيما سبق بلوغ
مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر
فان الالتجاء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام
تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان
المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه
وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما دل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت
وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المأمور بايتائه للتنبيه على ان

على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل بل ان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغذاء من حيث انه غذاء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره ثانيا على طريق الابدال المبني على تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وقرئ اذكره على المصدر للمبالغة فان ما رآه من الحوت عند قوله وبحال كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود مشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام الفها وقل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف اخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي تعجبت عجبا وقيل انه كلام موسى عليه السلام وليس بذاك قال اي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اي نبغيه ونطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استئذان منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني او ارشدا او اصابة خير وقرئ رشدا بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي اخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كانه لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به اعلاما بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفت ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد الاستئذان وانما لم يصرح به بل عطفه على ما فهم من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من اداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل وقيل انهما مرت بهما سفينة فكلماهم ان يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تقديمه لما ان المركب في تلك المواضع مما لا يركب الا بالدخول فيها لا لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها اي خرقها بعد ما لججوا اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ لتغرق من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اي اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم والاصل امر

تخفف قال الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بالوعد قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته وهو وصيته ان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة من الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلام ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لغرابتها ووقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرط وقع منه عن الاكد عند مشاهدة خارق اخر او يسارع الى المناقشة كما في المرة الاولى فكان المقصود افادته ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل وبه ورشان ان يرتاب اما قتل الغلام فمن القتل الصحيح الاعم على اوضح فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤكد لها لان كون القتل ابيح من مبادي ما يعده عن المؤمن العاقل مدة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات اولى لا اعتراض عليه اذ حقيق موجبا كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيادة لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب العجائب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة لاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل كان سمكه مائتي ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك

على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر
اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما قال الموعد سأنبئك السين
للتأكيد لعدم تراخي التنبئة بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا المآل مرجع الشيء اي ماله والمراد به هنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ
دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز
وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به
عليه السلام وعتاب اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب لان عمل الوكلاء
على الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان
رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي يأخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ كذلك
غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل
بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشأنها اذ هي المحتاجة الى التأويل للايذان بان الاقوى في المدارية
هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التأخير فصلا بين السفينة وضميرها
مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره او بكفره اشعارا بعدم
الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره
وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا
كقوله لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على وصول الخير اليهما زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية
انه من الاثم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد واقرب رحما بضم الحاء
على التمييز مثل زكوة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها
بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حسون
وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن
لا يؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه
في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر امورك
في اضافة الرب الى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه
ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رأيهما ويستخرجا
كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة
من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة من
وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك
قوله عز وعلا وما فعلته عن امري اي عن رأيي واجتهادي وانما فعلته بامر الله عز وجل ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع اي لم تستطع فحذف التاء تخفيفا عليه صبرا
من الامور التي رأيت اي ماله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى التأويل نفسه فيكون تأويل بمعناه وعلى كل حال هو

واقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا

تنبيه

لكل ما تقدم وفي جعل الفصل عين ما ذكر من التكرير تشديد للعقاب اختلفوا في حياة الخضر عليه السلام فقيل انه
حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب
من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه مات
لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم
على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لعاش بعده وروي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني
قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسألونك عن ذي القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله
قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر
ابن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله
ابن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قتبان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن غوث بن زيد بن كهلان بن سبا بن
يعرب بن قحطان ثم قال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن
النعمان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين
هو ابو كرب سمي بن عمير بن افريقيس الحميري وانه بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال
قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد
وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن
وذي جدن قال الامام الرازي الاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو
الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ روي انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب
وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد
بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا
وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام
ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات
انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة
فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس
فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فأيقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال
ابن كثير وهذا غريب وابعد منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان
بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما ستذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد
بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه انما يتأتى في حق الثاني واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه
وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره متناول للتمكين الديني الكامل بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل
شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا
يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا
ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله
سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير
وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع
ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له ووصاه بوصايا وقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك
سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام بذلك فكان السحاب يحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم
وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه

سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في راسه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذوابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب لشجاعته هذا وذو القرنين الثاني هو الاسكندر قال ابن كثير انه الاسكندر ابن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن هيطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونة بن شرخون بن رومة بن ثونط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما بيناه لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المعتد في بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت محفوفة بالشعائر الدينية بينهما مسافة سبعة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة اهلها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول من بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من عجائب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب ساتلو عليكم اي ساذكر منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهته عز وجل قيل اتلو اي ساتلو في شانه ذكرا من جهته تعالى اي قرآنا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما عداها روي انه عليه السلام لما سألوه عن الروح وعن اصحاب الكهف قال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف قوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعلكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم اصليته كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والراي حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية رضي الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ

امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله عنهم بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون مراد ابن عباس قطعية في ماء ووراءه حمأة ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله عز وجل بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلتها الرفع على الابتداء او الخبر واما النصب على المفعولية اي اما تفعل تعذيبهم او اما تفعل تعذيبك او اما تفعل تعذيبك كذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره مختارا الشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر اي يجزى بها جزاء او بالحال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه سقط لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدا والحسنى بدل والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نامر به يسرا اي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه الواحدة ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذ هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او ستر لهم مثل الستر الكائن لكم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتامل ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع

بينهم والحجز في قوله تعالى فراق بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون دون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام
فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه
فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك
لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام
ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون
فهم ذو القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا
انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة
لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب
واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقرئ
بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اي جعلا
من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة
والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال
وسائر الاسباب خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون
البناء والعمل وبالآلات لابد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من المال او على عدم قبول خرجهم
اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال
العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم
اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف وغرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي
رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك
الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب
ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز وجل حتى اذا ساوى
بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين جنبي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان
ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد
المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل
للعملة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني
قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانهم يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ
واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى جعل فما اسطاعوا بحذف التاء
تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة
اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه
وينقبوه فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته
وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان
تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله

والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخر مربوطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك
فرجة اصلا قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفصل
للتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر عظيم
عبر عنه بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق
عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو
يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ ليس عنده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول
عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع
متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة الى التمكن المذكور دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي مدكوكا مستويا بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته
عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة
واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل
وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا محقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم
اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة
الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد
روي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة
والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله عليهم طيرا فتلقيهم
في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل
الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها
داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها
في النشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا
لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها
ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة
لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب
عن ذكري عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري
على وجه يليق بشاني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول
صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة
السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في
الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات
واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية مما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي وحسب
بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قولك
اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى
افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة
شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي اولياء معبودين
ينصرونهم من باسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناش من التعامي والتصام
وادخل عليها همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليه بما يفيد لا لاخذ بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار

والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصامم على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكر من جناياتهم افعالهم الاختيارية الحادثة
لحسبانهم المحض تفرعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جحده لاشتغالهم عن تصاممهم عن كلام الله عز وجل بخصوص الانكار بحسبانهم
المتأخر عن ذلك بضعف لا يخفى وما في حيز المصدر ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى احسبوا انهم
يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة
لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اى افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في تسليم
نفس الاتخاذ واعتداده في الجملة نوع مساهلة وقرئ افحسب الذين كفروا اى أفكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل
فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اى هيأناها للكافرين
المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اى شيئا
يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم
اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر
جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس
رضي الله عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيين اول الامر للايذان
بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار
ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها
غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك الاعمال اى
ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتاب
قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال حينئذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل
الرهبانية الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعل ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا
على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الخ لانه يأباه ان صدره ليس مما يتبين خسران الاعمال وضلال السعي
كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انبائها بما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوقوع
في ترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر
بقضية نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي اى يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا
في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اى بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون في ذلك انهم ينتفعون بآثاره او من المضاف اليه
لكونه في محل الرفع كما في قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اى بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور
في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم اولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى
مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق على المخاطبين غير داخل تحت الامر
اى اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا
ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه
فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اى لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال
وقرئ بالياء يوم القيمة وزنا اى فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث
كان هو الاهدار آمن عواقب جميعها الاعمال الصالحة عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزيه الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع
لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير
او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا نضع لهم الميزان قطعا

ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك اى الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم
جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره او جزاؤهم خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم
خبر وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنهما قوله تعالى واتخذوا
آياتي ورسلي هزوا اى مهزوا بهما فانهم لم يقنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان
الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اى
بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر
الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات
الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار
وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر
الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة
فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق
بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس فالخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل
فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم
على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل
بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود
والصغر اى لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه
ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول تأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة
قل لو كان البحر اى جنس البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها
ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد
وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة
الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار
البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه
وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة
عليها اى لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا
وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة
على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى
انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له في الخلق
ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد
بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمنين الاستمرار والاستدامة على رجاء
اللقاء اى فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو
كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية
لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير رضي الله عنه
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه

قرأه بصدق نية قاله وروي انه عليه السلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه
الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ
عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الى آخره كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والحمد لله سبحانه على نعمه العظام

سورة مريم ثمان وتسعون آية مكية

كهيعص بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف
ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت
اسماء للسور او سردت على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق الكاف المذكورة ان يوقف
عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحلها الرفع اما
على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر
صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك اي المسمى به ذكر رحمة الى آخره فان
ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه
ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط
التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة
مرادا به السورة ذكر رحمة الخ او اسم اشارة اشير به الى تلك الحروف لانها لحضورها الاولة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة ربك وقيل هو
مبتدأ قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام
تكميل له عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى عبده مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر
اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله عز وعلا زكريا
بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله لا على الوجه الاول
لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء
دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي
لا يليق تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان
سنه ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران قال جملة
مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب رب اني وهن العظم مني اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد
فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ بكسر الهاء وبضمها
ايضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة
بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل
الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل
شيب رأسي فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل
النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين ولم اكن بدعائك رب شقيا
اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم

اذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب
الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعدما عوده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره
والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان
وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه
وصفاته واني خفت الموالي عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام
من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى
من ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي
من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ ورائي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا
وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين
اي درجوا قداما ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا اي لا تلد من حين شبابها
فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم
عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدى في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله
في اول سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا
اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل
او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف
القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح
في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه
قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك للاكتفاء بذكرها ههنا
فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم
جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء
لا نورث ما تركناه صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا ويرث من آل يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل
خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي يرث منهم الملك قيل يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب
اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث ولده حبورته
ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب بالتصغير فقيل انما
الوارث عليه السلام لانه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني به وارث وقيل من
للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء واجعله رب رضيا مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب
بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه يا زكريا على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله
قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو
المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما تقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا
مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول
دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليه السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام تأكيد

للوعد وتشريف له عليه السلام في تحصيله حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله
يحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه للمسمى لا محالة وقيل سميا
شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه
السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى
مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به
لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله بدعوته قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال رب
ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز
عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه موقوف على ذلك
انى يكون لي غلام كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان
صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى
وكانت امرأتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد
اي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل
والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وهو اليبس واصله عتوو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء
فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احداهما بالسكون وكسرت العين اتباعا
لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية هنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه
وانما المذكور هنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته
لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدة
الشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهار انه من محض
لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب فيزداد المؤمنون
ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث
كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى
كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة
عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو علي هين
جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك
الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حينئذ حال من ربك
واياما كان فهي عبارة عن تنجيزه كما ستعرفه او اعتراض على كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا
على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لكم مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى
ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار
الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان
بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى
له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك استئناف مقرر لمضمونه
والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على الجملة الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور واياما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء

بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب مع الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام
اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق
لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف
واما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه تعالى مع صعوبته في نفسه
وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم
المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك
آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج
القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك
الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك
على نعت مفهوم من بشر به يحيى المذكور ادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى كان
حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به وتشبيه يحيى المذكور بحال الخلق والتصوير المنطبق قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
توفية لمقام الامتنان حقه فكأنه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا
صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل
لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق
بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه
الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل عمران
الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة
اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه
السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية
وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما
بورود الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح
ثلاث ليال مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق
الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج
على قومه من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج
عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فأوحى اليهم اي اومأ اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض ان في قوله تعالى
ان سبحوا اما مفسرة لأوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا ظرفان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد
بهما صلاة الفجر وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك يا يحيى
استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة بقوة
اي بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلاث سنين
وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا
عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكاة اي طهارة من الذنوب
او صدقة تصدق بها على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف

على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه
من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا
من هول القيامة وعذاب النار واذكر فى الكتاب كلام مستانف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة مريم
اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هى التى صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر
قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اى اذكر للناس مريم اى نباها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى
اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نباها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعد بطريق
الاستيناف داخل فى حيز الظرف متمم للنبا وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نباها فان الظرف مشتمل على نباها
وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما فى قولك اكرمتك اذ لم تكرمنى اى ان لم تكرمنى فهو
بدل الاشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما فى ضمنه من معنى
الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل فى الجار والمجرور وهو المستوى بآخره عنه اى اعتزلت وانفردت منهم
واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت فى مشرفة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط
او بشىء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت
عادت الى المسجد فبينما هى فى مغتسلها اتاها الملك عليه السلام فى صورة آدمى شاب امرد وضىء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا اى جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لانه سبب لما فيه روح
العباد الذى هو عدة المقربين فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوى الخلق
كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك
لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته
واما ما قيل من ان ذلك لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته للمقام يأباه آثار الغذرة الخارقة للعادة
قوله تعالى قالت انى اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة
المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها
من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة فى العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة
مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا اى تتقى الله تعالى وتبالى بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق
عليه اى فانى عائذة به او فتتعظ بتعوذى او فلا تتعرض لى قال انما انا رسول ربك يريد عليه السلام لست ممن يتوقع
منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذى استعذت به لاهب لك غلاما اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع
ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها
والاشعار بعلية الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفى بعض المصاحف امرنى ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب
او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام كما وصفت ولم يمسسنى بشر
اى والحال انه لم يباشرنى بالنكاح رجل انما قيل بشر مبالغة فى بيان تنزهها من مبادى الولادة ولم اك بغيا عطف على لم
داخل معه فى حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اى لم اكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول بمعنى
الفاعل اصلها بغوى فادغمت الواو بعد قلبها ياء فى الياء وكسرت الغين للياء ولذلك لم تلحقها التاء او فعيل بمعنى الفاعل نحو كما قال ان
نهوه عن المنكر انما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اى يبغيها الرجال للفجور بها قال اى الملك مقررا
لمقالته ومحققا لها كذلك اى الامر كما قلت وقوله تعالى قال ربك الى آخره استيناف مقرر له اى قال ربك
الذى ارسلنى اليك هو اى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا على خاصة هين
وان كان مستحيلا عادة لما انى لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف
اى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون بها على كمال قدرتنا فعلنا ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اى لنبين به عظم

ولنجعله آية الى آخره والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا
عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلى او قدر
وسطر فى اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام
فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وقيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت وقيل نفخ من بعيد فوصل الريح اليها فحملت
فى الحال وقيل ان النفخة كانت فى فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر
وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
اى فاعتزلت وهو فى بطنها كما فى قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور فى حيز النصب على الحالية اى فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اى فالجاها وهو فى الاصل منقول من
جاء لكنه استعمل فى غيره كما فى اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج الى جذع
النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان كالمتعالم
عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت
يا ليتنى مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اى هذا الوقت الذى لقيت فيه ما لقيت
وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا
من وقوع الناس فى المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روى عن عمر رضى الله عنه انه اخذ
تبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة لم اكن شيئا وعن بلال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اى شيئا تافها شانه
ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر وهما لغتان فى ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح
مصدر سمى به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسات اللبن اذا صببت عليه الماء فاستهلك فيه وقرئ نسيا منسيا
لا يخطر ببال احد من الناس وصف للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا للسين فناداها اى جبريل عليه السلام من تحتها
قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اى من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها
من تحتها بفتح الميم ان لا تحزنى اى لا تحزنى على ان ان مفسرة او بان لا تحزنى على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل
ربك تحتك اى بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجرى جرى وان امرته بالامساك امسك سريا اى نهرا
صغيرا حسبما روى مرفوعا قال ابن عباس رضى الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى
وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا راس لها
ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك راسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول
هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اى سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام
والتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل
وتكميل التسلية وهزى من الهز وهو تحريك الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع
لقوله تعالى اليك اى الى جهتك والباء فى قوله تعالى بجذع النخلة صلة للتأكيد كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اى افعلى الهز به او هزى الثمرة
به وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اى هزى اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اى تسقط النخلة
عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التاءين
وتساقط بطرح الثانية ويساقط بادغامها فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء
فى الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى البواقى تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له
وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اى رطبا مجنيا اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع
فكلى واشربى اى من ذلك الرطب وذلك السرى او من الرطب وعصيره وقرى عينا وطيبى نفسا وارفضى عنها ما احزنك واهمك

فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات
النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ قري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقها
من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة
من يقول لبات بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا
وقد قرئ كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة
واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر فان العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل
ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى
عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن فاتت قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من نفاسها تحمله اي
حاملة له قالوا مؤنبين لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئا فريا اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه او
جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب يا اخت هرون استئناف لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ وعنوا هرون النبي عليه السلام
وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم
شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شبهوها به ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا
وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر انها بينت
حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به
قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وكان لايقاع مضمون الجملة في زمان
ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن
فيه وهي تامة وانه كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كانه قيل فماذا كان
بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام اني عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك اولا في شئ تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل
كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي انه عليه السلام
كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار اليهم بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم
حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير
بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقله واستنباه
طفلا اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني بالصلوة اي امرني بها امرا مؤكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به
مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة ولم يجعلني جبارا
شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد
والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام
على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة
على علو مرتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى
وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر
مؤكد لقال اني عبد الله وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو قول الحق
الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق
فان القول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه
وقرئ تمترون بالخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه

وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان تعلق ارادته
بكونه حصل بلا تاخر فمن هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربي وربكم
فاعبدوه من تمام كلام عيسى وهو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف
اللام اي لانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا اي الذي
ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها
تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة
في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت
اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم
المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء
وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام
والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وسائر ارابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى
اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يوم ياتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منها بعد ان كانوا
في الدنيا صما وعميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوء بصرهم ويصدع قلوبهم وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم والجار والمجرور
على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث
اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة
اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون
فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم
واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة
اي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون
في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل
انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي
الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب
اي في السورة او في القرآن ابرهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام
فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة
ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره
نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل
هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من ابرهيم وما بينهما
اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا او بتعلق الذكر بالاوقات مع ان المقصود ذكر ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا
اي كان جامعا بين الامرين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء عوض عن الاضافة
ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك له وجؤارك اليه وخضوعك
بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ذكرك وحالك اوليا ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني
عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه مع استجلابه
بخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف عقل كل عاقل عالم
وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام

الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا
مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بإيصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان
أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر
ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة
والاستعطاف حيث قال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم
الفائق وإن كان كذلك بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني أهدك صراطا
سويا أي مستقيما موصلا إلى أسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستكرهها
كل عاقل ببيان أنه مع عراه عن النفع مستجلب لضر عظيم فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الآمر فقال يا أبت لا تعبد الشيطان
فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله إن الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي
وتأكيد له ببيان أنه مستعص على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن تسترد
النعم وينتقم منه والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لأنه ملاكها أو لأنه نتيجة
معاداته لآدم وذريته فتذكيره داع لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه
وقوله يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان من استيلائه بما أتى
به وهو من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية
وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان
وليا أي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وإبراز الاعتناء بأمره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام
كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده أراغب أنت عن آلهتي
يا إبراهيم أي معرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر
من العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لأرجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير
أي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني أي فاحذرني واتركني
مليا أي زمانا طويلا أو مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة
السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي أي أستدعيه أن يغفر لك بأن
يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله واغفر لأبي بقوله تعالى إنه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى
للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فإنه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا
وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى أنه عليه السلام قال لعمه أبي طالب
لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في أن هذا الوعد
من إبراهيم عليه السلام وكذا قوله لأستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لأبي الآية إنما كان قبل انقطاع رجائه
عن إيمانه لعدم تبين أمره لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما فصل في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى
إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لأن ذلك كان قبل ورود النهي أو لموعدة وعدها إياه كما قيل لما أن النهي
إنما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الأمر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبيين فلم يتناوله النهي أصلا وإن الموعدة المحظور لا ترفع حظره
بل لأن المراد بما فيه أسوة حسنة ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجو إيمانه لا ما
وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يرتاب فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه
قطعا وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس الاستغفار بقوله واغفر لأبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه السلام
عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع منها لوروده على منهج التأكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب البراءة

على تبين الأمر كما حقق في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى إنه كان بي حفيا أي بليغا في البر والألطاف تعليل لمضمون ما قبله
وأعتزلكم أي أتباعد عنكم وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي وأدعو
ربي أعبده وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضا بقوله
رب هب لي من الصالحين حسبما يشهد به السباق والسياق عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا أي خائبا ضائع السعي وفيه
تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق من أن
الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة إلى الشام وهبنا له إسحق ويعقوب بدل من فارقهم من أقربائه الكفرة لكن
لا عقيب المهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذ إسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم إثر دعائه بقوله رب هب لي
من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله هنا لبيان كمال عظم النعم التي أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء
فإنهما شجرتا الأنبياء ولهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي أنه عليه السلام لما قصد الشام أتى أولا حران
وتزوج بسارة وولدت له إسحق وولد لإسحق يعقوب والأول هو الأقرب الأظهر وكلا أي كل واحد منهما أو منهم وهو مفعول أول لقوله تعالى
جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم أي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا
لهم من رحمتنا هي النبوة وقد ذكر جعلهم أنبياء للإيذان بأنها من باب الرحمة وقيل هي المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق
وقيل هو الكتاب والأظهر أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أوتوه مما لم يؤت أحد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا
تفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام
ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار
وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر إسمعيل لئلا يفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام
إنه كان مخلصا موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على أن الله
تعالى أخلصه وكان رسولا نبيا أرسله الله تعالى إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه أخص وأعلى وناديناه من جانب
الطور الأيمن الطور جبل بين مصر ومدين والأيمن صفة للجانب أي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين أي التي تلي يمين موسى عليه
السلام أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله
عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا أي مناجيا حال من أحد الضميرين في ناديناه أو قربناه وقيل
مرتفعا لما روي أنه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا أي من أجل رحمتنا ورأفتنا له أو بعض
رحمتنا أخاه أي معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي لا نفسه لأنه كان أكبر منه
عليهما السلام وهو على الأول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه
واذكر في الكتاب إسمعيل فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلا وقوله تعالى إنه كان
صادق الوعد تعليل لموجب الأمر وإيراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك أنه وعد الصبر من نفسه على الذبح بقوله ستجدني
إن شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على أن الرسول لا يجب أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم
عليه السلام كانوا على شريعته وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن
هو أقرب الناس إليه قال تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقصدا إلى تكميل الكل
بتكميلهم لأنهم قدوة يؤتسى بهم وقيل أهله أمته فإن الأنبياء عليهم السلام آباء الأمم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بنعوت
الجلال التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب إدريس هو سبط شيث وجد أبي نوح فإن نوحا
ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليهم السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه
في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
إنه كان صديقا ملازما للصدق في جميع أحواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه

مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه
وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها
وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت قال ان عبدي ادريس قد سألني ان
اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى فرفعه الى السماء أولئك اشارة الى المذكورين
في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم
صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى
من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية
سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان
منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي ومن
من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك
ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو
الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين وباكين
عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي
فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر لمجانسة الياء وقرئ
يتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجوده بما يليق بآيتها فههنا
يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني
من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان
اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون
اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات
من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بني الشديد
والمركب المنظور والملبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا
يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة
وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها والآية في حق الكفرة الا من تاب وآمن وعمل صالحا استثناء منقطع او متصل فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح
يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم
او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل
البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي او تلك جنات
او مبتدأ خبره التي وعد الرحمن وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما انه علم فيه لمعنى
اعلام المعاني العدن ومن هذا ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة المعرفة وما لا يجوز ابدال النكرة من المعرفة الا موصوفة
التي وعد الرحمن عباده وصفها بذلك
الا ان يقال ان الموصوف على خلاف الظاهر ... بالغيب متعلق بمضمر هو حال من المضاف او من عباده
اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم غير حاضرة او وهم غائبون عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار

هو سبب لوعد اي عدا اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كما قيل ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة
دخولا اوليا او ما كان من شانه ان يرجع اليه ما قيل ماتيا اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى
فاعل وقيل ماتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله لا يسمعون فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وفيه تنبيه
على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها الا سلاما استثناء
منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما
فيجب ان يكون اللغو السلام على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي
تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو
رتبتها التي نورث اي نورثها من عبادنا من كان تقيا اي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث
مال مورثه ونمتعه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع
ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف وذي
القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون
ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك ونزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل
من مطاوع التنزل كما يطلق المنزل على الانزال والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل
بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك اي ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان
ولا من زمان الى زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك كما يقول المعترض عدم النزول انما كان لعدم
الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن ذلك لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال
مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها
وحاضرها وما وجدناه من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان تاركا لاعمال
العاملين ولا ما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان
من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل
من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه فان كونه تعالى ربا للسموات
والارض وما بينهما موجب لعبادته ... اي فاذ عرفت ذلك فاعبده ... واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وتعيير الكفرة فانه يراقبك ويلطف بك في الدنيا
والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بعلى لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه
من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل تعلم له سميا اي مثلا يستحق ان يسمى الها
في الاسم والتقرير ان يراد به مسمى الرب الذي يستحق ان يسمى بالاسم ... رب السموات والارض وما بينهما والمراد
بالانكار النفي ... اي لا تعلم له سميا يستحق العبادة حتى تقع في تكليف العبادة
تخصيصا لما يليق باستقلاله عز وجل ... وقيل المراد هل تعلم احدا سمي الله
الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم الها اصلا وقيل هل تعلم له مسمى في الآية المراد بالتسمية على معنى
المثل ... ما يسمى به غير الله تعالى بالحق

من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول
فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف
فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد
ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون
ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا
يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر
فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار
التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها
وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية
مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع
من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسام باسمه عز سلطانه مضافا الى ضميره عليه السلام رفعا لمنزلته لنحشرنهم
لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كأنه
امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول
معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم
لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي
اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال
الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث
من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى
ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وكسرت الجيم اتباعا
لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه
من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية
على ما هو المعتاد في مواقف التقاول او لان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اتباعا لما بهم
او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان ايهم اشد
على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان
وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب
او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم
الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء
على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى
للبيان متعلقة بمحذوف كأنه سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة ومعنى وقرئ بضم الصاد وان منكم
التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم
اي ما منكم احد الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر

انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز
على الصراط الممدود عليها كان اي ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته
وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه
الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتشديد ونجي على البناء للمفعول وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ننجيهم ونذر الظالمين
بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وفيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها وان المؤمنين يفارقون الفجرة
بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيآتهم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية الى آخره حكاية لما قالوا عند سماع الآيات
الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اي اذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين
وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او ظاهرات
الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا قال الذين كفروا اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين
بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى
للذين آمنوا للتبليغ كما في قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اي الفريقين
اي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا انحن ام انتم خير مقاما اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل واحسن
نديا اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك
لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده
اذ هو المعيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس
العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود
واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب لو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد
والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم والاثاث
متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة
ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع
فانه عبارة عن المحاسن المجموعة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع
بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه
كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم
ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن
اي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكن من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب
الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله
عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية للمد الممتد
لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود
بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم

من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال قوله تعالى فسيعلمون جواب
الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر
من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اي فئة
وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفا كلا فلم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان
منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر
حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه
بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقدير الاستيناف والعطف كلام مستانف
وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اي الطاعات التي تبقى
ويدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم ثوابا اي عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية
التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى وخير مردا اي مرجعا
وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم
افرايت الذي كفر باياتنا اي بآياتنا التي من جملتها ايات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال
فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك
وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فساوتى مالا وولدا
فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان يرى ويقضى منها العجب ومن فرق
بين الم تر وارايت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا
بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارايت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد
خلط شيئا وغابت عنه شيئا كانه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت
فرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من شاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا كلامه باليمين الفاجرة والله
لاوتين في الاخرة مالا وولدا اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم
وقد قيل ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما
وانت خبير بان المشهور استعمال ارايت في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر
بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد في جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب قوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء
واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اي قد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير حتى ادعى
ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل
العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله تعالى بالثواب عليهما كالعهد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه
وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقالته كما ان كلامه مع خباب كان كذلك قوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطئه
سنكتب ما يقول اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار
الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة
على رؤوس الاشهاد باحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا
مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه

واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول اي مسمى ما يقول
ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه
ما اتيناه ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه
ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه والاول هو الاولى فان ما بايدينا بمعنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما
يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور
القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما
قاله بطريق الاستهزاء وعلق اداءه بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون
ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا
لهم عزا اي ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار
لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الالهة عبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا
او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم
ضدا على الاول يكون الالهة التي كانوا يرجون ان يكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او يكونون عونا عليهم آلة لعذابهم حيث
تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه
وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للالهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد
لوحدة المعنى الذي عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح
الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد
اصابن او على معنى كل هذا الراي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الايات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة
الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم
على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك
منهم باضلال الشياطين عليهم اما بتسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم او بتقييضهم لهم وليس المراد بتعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم
كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من اثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه
اما حال مقدرة من الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم
اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج
فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن اخرهم وتطهر الارض من فسادهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها
مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا
تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين
منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة
والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن اي الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه
كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد
الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يحيط به نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم
خوطب النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الى اخره وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة
والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور
الدالة على هوله وضمير الجمع عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة
واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث مبني ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ

عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء
والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امره بذلك من قولهم عهد الامير
الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة
على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملكون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام
فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك
المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة
بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم
شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع
والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي
اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السموات صفة
لادا او استئناف لبيان عظم شانه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك
الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض
اي وتكاد تنشق الارض وتخر الجبال اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد
هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول
منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث
لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة الغضب واسباب
السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام
المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام
متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف اي الموجب لذلك
ان دعوا وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما
ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا
والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه
على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدأ النعم ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه
ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا ان كل من في السموات والارض اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا آتي الرحمن عبدا
الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد
يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده بمقدار
وكلهم آتيه يوم القيامة فردا اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم
كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فاني يتوهم احتمال ان يتخذ منهم ولدا
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم
الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض
لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام احببت فلانا
فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان
السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين جاء الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم
على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة

من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه اي القرآن
بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على او على اصلها لتضمين التيسير معنى الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر
ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين
لتبشر به المتقين اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا
وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اي قرونا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين
وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اي صوتا
خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية
واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه مائة وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحدها ابو عمرو
وورش لاستعلائها وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل
وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية
وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله
اخلاق الملاعين ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأها بصيغة الامر
من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع والها ضمير الارض على انه خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن اباه كتابتهما على صورة
الحرف كما ابى التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه اما على ان اصله
طأ فقلبت همزته هاء كما في اراقة او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما في مرتقى بيت الامر والحق بها هاء السكت واما على انه اكتفي في التلفظ بشطري
الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين كانهما اسماهما الدالان عليهما وهذا مبني على ان يحمل قول من قال واكتفي بشطري الكلمتين
وعبر عنهما باسميهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا عبارة عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفي بذكرهما
عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يقال طا وها بغير الف في الموضعين لان الشطرين من حيث هما مسميان للاسمين
جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفي في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين
وعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين
يعني طا على تقديري كونه امرا او كونه حرف نداء وها على تقديري كونها كناية عن الارض او كونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين
في التلفظ باسميهما فبين البطلان لتعذر طا وها على ما ذكر من التقادير اسمين للحرفين المذكورين بل الاول امرا وحرف نداء والثاني
ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما لا يخفى وما سلف انه من الفواتح اما مسرودة
على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى فانه استئناف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى
ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط
التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا
به بعد ذلك او لتعب عليه السلام مما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما روي انه عليه السلام كان يقوم الليل حتى ترم قدماه

فقال له جبريل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على رياضات
الشدائد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك شقي حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب
كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا واما اسم للقران محله الرفع على انه مبتدا ما بعده خبره والقران ظاهر اوقع موقع العائد
الى المبتدا كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه ما بعده جوابه وعلى كلا
الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدا يبقى حينئذ بلا عائد
ولا قائم مقامه فان القران صادق على السورة الكريمة لا محالة اما بطريق الاتحاد وبان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض
او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا
اما بحسب الحقيقة كما اريد بمعنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال
ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه اما باعتبار الاتحاد
واما باعتبار الاندراج فلان مآله ان هذه السورة الكريمة ما انزلنا القران المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها
مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له
لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا
لما انه يجب ان يكون بين العلتين ملابسة السببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور فانك التاديب في مقام الشفقة
الازجار الغير كيف لا والتعب في الاول مسبب عن الاشفاق والتاديب الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ان الشقاء والتذكرة
من التنافي ولا يجدي ان يراد بالتعب الجملة الجامع للتذكرة من التنافي لظهور ان لا طائل تحتها بما ذكر من السببية والمسببية فما غير
ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا لتكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب لا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى
ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين اذ قد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الا
المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القران لتتعب بتبليغه لكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة
عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شانه ان يخشى الله عز وجل ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن
علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد
لمضمر مستانف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لانه تعالى انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب
بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص او منصوب بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيل الله تعالى وهو جدير
بان يتعلق بحسنه ويخاف نظاره بما يطلق التنزيل عن معقولة ثم قد يتعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد نظاره كما في
قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا او لتشقى
بنفسه لاستحالته بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القران ولا مساغ له الا بان يكون قيدا
لانزلنا بعد تقييده بالعلة الاولى وقد عرفت حاله لما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدا محذوف من قوله تعالى ممن خلق
الارض والسموات العلى متعلق بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل
الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات
بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عندهم ووصف السموات
بالعلى وهو جمع العليا مؤنث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل
عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى رعايته حق رعايته والاستنزال الى الاستنزال المستمر عن رتبة الغفلة والطغيان
واستمالتهم الى خشية المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة
ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدا ليكون في صورة

متعلق من متعلقاته وقرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول فما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي
وحده مذهب الكوفيين وايا ما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار
رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة
الى ان تنزيل القران ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القران او رفع على الابتداء واللام للعهد
والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون
معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا ستره به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى
قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدا محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء
على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك
يراد به ملكه وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها له ما في السموات وما في الارض
سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب واكثريا كالطير
له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت الثرى
ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه تحت الارضين السبع وعن السدي
ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته
وشمول قدرته لجميع الكائنات اي ان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته
الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته نفسك وما ستسره فيما
سياتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد
للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض اخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة
عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال
موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق للحق
وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل
والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى له الاسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية
اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآيات
وهل اتاك حديث موسى استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه ينتهي مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء
كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما الهكم
الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة
والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لتسليته عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى
اذ راى نارا ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين راى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي
انه عليه السلام استاذن شعيبا عليه السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى
وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ راى نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا
مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر
بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال فان شئت حرمت النساء سواكم
اني آنست نارا اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمامور به لعلي
آتيكم منها بقبس اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس

او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف المضاف اي ذا هداية او على
انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وصلا او يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغموسة بالدين في عامة احوالهم لا يشغلهم
عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الآية
وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند
الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل
قد حذف ثقة بما دل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم
او رجاء ان آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون فلما اتاها اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء حفت بها من اسفلها الى اعلاها
نار بيضاء تتقد كاضوأ ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها
قالوا النار اربعة اصناف صنف يأكل لا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار
جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع
لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار جهنم
روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى اي نودي فقيل يا موسى اني انا ربك او عومل النداء معاملة
الفعل لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال
عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى
باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم
وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة فاخلع نعليك امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون
يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل
والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك بالواد المقدس
تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي
طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر
لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى وانا اخترتك اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ انا اخترناك
بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر وما تعلق به على ما قبلها فان اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع
والامر به واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك
كما قيل لكن لا على انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا
بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور به على ما قبلها فان
اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم الصلاة خصت الصلاة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها
في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري
اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلاة او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس قيل لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان
اذكرك بالمدح والثناء او لاوقات ذكري اي مواقيت الصلوات او لذكر صلاتك لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها
اذا ذكرها ان الله تعالى يقول اقم الصلاة لذكري وقرئ للذكرى بالف التأنيث وللذكر معرفا ولذكر بالتنكير وقوله تعالى
ان الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلاة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق
متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اي لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت

او اكاد اظهرها باتيانها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد
يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية
اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه بالذكر مع ان الغاية لاتيانها انما هو جزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا
فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب
بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى
في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وحينئذ تحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخيرين لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع
على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه
بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة
والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع
البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ قوي ويجوز ان يراد بالنهي مطلق الحمل فلا يصدنك عنها
اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب
وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر
بقي النفس مشوقة اليه فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب
الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان
النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية من اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية حيث
كان صد الكافر حينئذ سببا للانصداد عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب
واراده النهي عن السبب على انه يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه كما في قوله لا ارينك
هنا فان المراد نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اي ميل نفسه الى اللذات الحسية الفانية فتردى
اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلف عليه السلام من الامور المتعلقة
بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق
بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا
وقيل تلك موصول اي ما التي هي بيمينك وايا ما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب
وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل
المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع
واهش بها اي اخبط بها الورق واسقطه على غنمي وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر
لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا عليها ولي فيها
مآرب اخرى اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس
والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء
وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن
واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا
ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة
عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه

الغرض الذي فهم من سؤال العليم الخبير قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال
القها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لمزيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا هي
روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا
اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل هو العلة التي لا امر بعدها وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي
ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وهو كما ترى ما صنعه لحية دخبران عدمن كونه كوحمله
قال استئناف كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما
رآه كذلك خاف ونفر ولعله مما يلحق البشر عند مشاهدة الاهوال المخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار
بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقق المأمور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل
الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه
السلام وايذان بكونها مسخرة له ليكون على طمأنينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ
الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها
ويأخذ بلحيتها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة انتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاد
بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها سائرة كما كانت
من قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر عليه السلام بذلك بعد
اخذ الحية وانقلابها عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار
من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب للامر وقوله تعالى
بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح
كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر آية اخرى اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج
على انها بدل من الحال الاولى او من الضمير في بيضاء او من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك
وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك
بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول اي لنريك الكبرى كائنة من آياتنا
فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله
تخرج او بما قدر من خذ ودونك كما قيل بكل من ذلك فيؤدي الى قصر آية العصا عن وصفها بالكبر فتدبر اذهب الى فرعون
تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات وفصله عما قبله من الاوامر لما انها باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر
حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عليه السلام
حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر عليه السلام بما امر به من الخطب
الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما
بشؤون الحق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط
وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع
وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها
وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة
من لساني روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ
لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة

فوضعها في فيه ولعل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي
ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل
احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل
عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى يفقهوا قولي
جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ذكر ازالة العقدة بقيتها في الجملة اما قوله تعالى
هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان افصحيته عليهما السلام لا تستدعي بقاءها اصلا لا
عدم البقاء لما ان الافصحية وجب ... في العصا في الموصول العصا وذلك مناف لعقده رأسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين
فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها لا يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار
بعضها من الكثرة وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان
المحلول اذا كان متعلقا بشيء متصلا به كما يتعلق الحل بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتدائه منه
واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل
او ملجأ اعتصم برأيه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا
كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هارون اعتناء بشأن الوزارة
ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه
وزيرا وهارون عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هارون او عطف بيان آخر وقيل هما
وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية
ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ ومن اهلي خبرا عنه اشدد به ازري واشركه في امري كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم
قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما
فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر
ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب
او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة
الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد
يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات
والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك
من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما جعل
ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا
وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هارون نعم الردء في اداء ما امرت
به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز
والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام وتقديرها حتما
فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترتبا بعد كتيسير الامر وشد الازر باعتبار قوله سنشد عضدك باخيك وقوله
يا موسى تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستأنف مسوق
لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه
وطلب فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا مرة اخرى
اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر عن هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرة الواحدة ثم اطلق على كل فعلة

من الغفلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افرادها وان تجدده فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا
لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها هنا الوقت الممتد الذي
وقع فيه ما سنذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء
على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما
الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر
ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون اوقع عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما
لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المقام لان الاخيرين لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في المنام اي قوله تعالى
ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف منها الباء اي بان اقذفيه والقذف يقال للالقاء وللوضع
الوضع والمال في قوله تعالى فاقذفيه في اليم ما لا لقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف
بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر
كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان
هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له جواب للامر
بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره ولا تؤدي الى المحنة فان الامر
بما هو سبب للهلاك صورة من طرحه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري
وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل
من البحر حيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع
الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا
هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة مني كلمة من
متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد
يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله
ولتصنع على عيني متعلق بالقيت معطوف على علة مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او متعلق بفعل
مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتداة اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها
وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف عن امري اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به
وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى
ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان
متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم فان جميع ذلك من المنن الالهية لا تعلق لشيء منها
بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت
فتقول اي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين
لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روي انه فشا الخبر بمصر ان
آل فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت
ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامها فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف
عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فجئناك اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اي لا يطرأ عليها الحزن
بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت
بفقد اشفاقها وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك من الغم اي غم قتله خوفا
من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء او فتونا

من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو
اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان سعيد بن جبير سأل عنه
ابن عباس رضي الله عنهم فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر
وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه
فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله
عليه السلام الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع
بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه في تضاعيف تلك السنين العشر
من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحدة منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر ثم جئت
اي الى المكان الذي آنست فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار في كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق
وتفرق الغنم في الليلة المظلمة وغير ذلك على قدر اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما
جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة
يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك
لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك تمهيدا لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة
اثر تأكيد الوثوق عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه
وترشيحه لبعض امور الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظائره السابقة لتمهيد افراد لفظ النفس اللائق بالمقام
فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك
اي اليه واخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي اي بمعجزاتي التي اريتكها
من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب
العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام
بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد البيضاء فان بياضها في نفسه وشعاعها آيتان ثم رجوعها
الى حالتها الاولى آية اخرى ثم ان الآيات لا للتعدد اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة
واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري
اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع
على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا بذكري العون والتأييد واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى
ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هارون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه
اوحي الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى
فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانها دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا
من ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليهما قبل تمام الدعوة وقيل فقولا انا رسولا ربك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم
بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وتبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح لعله يتذكر بان يتأمل فيبصر الحق فيرغب فيما رغبتماه فيه
او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير المثنى في فقولا له قولا لينا اي راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة لعل للتوقع
والامر مباشرة من جوا ... الطمع ان يثمر عملهما ولا تخيب سعيهما ... فائدة ارسالهما اليه مع العلم بحاله
الزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب ايذانا باصالته
في كل قول وعمل وتبعية هارون عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر او لان هارون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليه
السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين

لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهما في الوجود فكيف باجتماعهما في الخطاب انا نخاف ان يفرط علينا
اى يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ
يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب
او ان يطغى اى يزداد طغيانا الى ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة او
مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استئناف مبنى على السؤال الذى ينساق اليه الكلام
من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة
على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق
الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين
انني معكما تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اى
ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شئ على معنى
انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم الحفظ والنصرة على اتمها فأتياه امر باتيانه الذى هو عبارة
عن الوصول اليه بعدما امرا بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك
امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى
فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال
اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اى
بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار
من الامور الشاقة ويقتلون ذكورهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين
ذكر المجيء بآية على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه
بعنوان التكاليف الشاقة كما سوى رسالة عادة وليس مما يشق عليه كل المشقة ولأن في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخيره ذلك
عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك يدل على ان تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان
فكلا قد جئناك بآية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية
من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لما ذكر
من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى
او لو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات والسلام المستتبع
لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفي
في اثنائهما من اللطف وحث بالايمان انا قد اوحي الينا من جهة ربنا ان العذاب الدنيوي والاخروي على من كذب اى
بآياته تعالى وتولى اى اعرض عن قبولها وفيه من التلطف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال اى فرعون
بعدما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من
البحث لا حاجة الى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضفه الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى
قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته
تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار هنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود
والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اى اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذى ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام
مع توجيه الخطاب اليهما لانه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه
فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث كما عرفته
قال اى موسى عليه السلام مجيبا له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول

والموصول صفة واياما كان فلم يرد بالضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه
كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اى هو ربنا الذى اعطى كل شئ من الاشياء خلقه اى صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص
والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شئ تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة
الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او للمضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اى كل شئ خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه
وانعامه او للاختصار لكونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اى اعطى كل شئ خلقه تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى اى الى طريق الانتفاع
والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية
والحيوانية ولما كان الخلق الذى هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة
في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع
الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق
بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين
ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان
خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات موهما ان ذلك مما يهمه ويشغله عما هو بصدده
عسى ان يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم
من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من ان سؤاله
عن حال من خلا من القرون عن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فان معناه انه من الغيوب
التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسئول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة
لاجيب بان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام على الآيتين في كتاب اى في اللوح
المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى
لا يضل ربي ولا ينسى اى لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه شئ بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته
في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم ابتداء او بقاء واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم
فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق
حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شئونه تعالى ثم تخلص الى ما فيه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات
الذى جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اى جعلها لكم كالمهد تتمهدونها
او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اى جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم
وسلك لكم فيها سبلا اى حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم
وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء ماء هو المطر فاخرجنا به اى بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية
وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن
تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى
امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما هنا
فمحكي عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات
لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا
اى كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اى متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي
فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم
فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم مما لا يليق لكونه طعاما لهم قوله تعالى

كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم
اى معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة اذنين فى ذلك ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الكمال والتنكير فى قوله تعالى لايات للتفخيم كما وكيفا اى لايات كثيرة
جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى فى ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولى النهى
جمع نهية سمى بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمى بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك لذوى العقول
الناهية عن الاباطيل التى من جملتها ما يدعيه الطاغية وتخصيص كونها ايات بهم مع انها ايات للعالمين باعتبار
انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اى فى ضمن خلق ابيكم ادم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه
عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء
اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة
من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ياخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود فيبددها
على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء واشار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار
المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئات السابقة ورد الارواح اليها
وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة فى الاصل
اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر فى المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية
لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلائل شؤونه تعالى الداعية الى قبول الحق والانقياد له
وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل
امر الايات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه فى المكابرة والعناد اى وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه اياتنا
حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى
بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها اية بينة لقوم يعقلون حسبما بين
فى تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك باياتى وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روى انه عليه السلام
لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو
فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك
الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروى انها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى
مرنى بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب
شعاعها شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففى تضاعيف كل من الايتين ايات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صريحا
اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه اياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له فى ذلك عذر والا
لتعذر بقية الايات التسع منها لانها انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى تفسير
سورة الاعراف ولا ريب فى ان امر السحرة مترتب على اتيانه وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا للارشاد الى الايمان من فلق البحر
وما ظهر بعد مهلكه من الايات الظاهرة لبنى اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذى فر بثوبه او الذى انفجرت منه العيون
وكذا ان يعد منها الايات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون فى حكم اظهارها بين يديه
واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه فان حكايته لفرعون مما لم يجر ذكره هنا مع ان ما سيأتى من حمله ما اظهره عليه السلام
على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل ابى ذلك ابى اباء ظاهرا وايضا مما ينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لكان جعل فصله عليه السلام
نتيجة الدالة على صحته بارتيابه احكامها من جملة الايات فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتاخير مع ما
فى يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالايات جميعا وابى ان
يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه

وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال فى المجىء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدى له اى اجئتنا
من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل
لكونه من باب محاولة المحال وانما قال ذلك لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بابراز ان مراده عليه السلام ليس مجرد انجاء بنى
اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا فى المدافعة والمخاصمة
وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثله فقال فلنأتينك
بسحر مثله اى والله لنأتينك بسحر مثل سحرك الذى جئت به واللام جواب قسم محذوف كانه قال اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك
فاجعل بيننا وبينك موعدا اى وعدا لا نخلفه نحن ولا انت وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فانه المناسب لا المكان والزمان اى لا نخلف ذلك الوعد
نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة
انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب الات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط
كلمة النفى بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكد النفى بتكرير
حرفه واستبعاد مكانا سوى منتصب بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه
وحينئذ يكون مطابقة الجواب فى قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر
باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم
بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ
وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه عليه السلام ليظهر الحق
كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل
فى يوم مشهود على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ
على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اى انصرف عن المجلس
فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفى كلمة التراخى ايماء الى انهم لم يسارعوا
الى الاتيان بل اتوا بعد بطء وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الخ بطريق الاستئناف المبنى على السؤال الذى يقتضيه المقام كانه
قيل فماذا صنع موسى عليه السلام حينئذ فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان
تدعوا اياته التى ستظهر على يدى سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اى يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره
وقرئ فيسحتكم من الثلاثى على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بنى تميم ونجد وقد خاب من افترى اى على الله كائنا من
كان باى وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهى عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله فى الخيبة والجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبلها فتنازعوا اى السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذى اريد منهم
من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا بينهم فى كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول فى ذلك واسروا النجوى
اى من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اى بطريق التناجى والاسرار ان هذان
لساحران فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه اراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان وقد اهملت
عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وهى ايضا مخففة واللام بمعنى الا اى ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان
اسمها على لغة بنى الحارث بن كعب فانهم معربون التثنية بالالف فى الاحوال الثلاث وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان ساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم
وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام
لا يليق به الحذف وقرئ ان هذان لساحران وهى قراءة ابى وقرئ يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اى ارض مصر بالاستيلاء
بسحرهما الذى اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبهما
واعلاء دينهما يريدون ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل اراد اهل طريقتكم وهم بنو

نبيك

عليها

المرسل

لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم وبابائه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها ملكا
وتقريرا فاكتفى بذكر حينئذ بعض بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم
مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالات منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار
والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم
ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لانهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه
وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان
بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ
فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا
بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا
عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة من الفرس وثلاثمائة من الروم
وثلاثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلام
بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس
فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعين المكان
الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامر اي قد فاز بالمطلوب
من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين
جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم فيا لهم على بذل المجهود في المغالبة كما هو اللائق بجانب
النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا
موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملئه
ويحمل قولهم ان هذان لساحران الى آخره على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقر
آراؤهم على ذلك وابوا الا المناهضة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملئه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرا لهم
بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمما لا يلائم جزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا
يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغنائهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه
اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على اجراء الفعل مجرى اللازم واما ان نكون اول من القى
ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام وقدموه مراعاة للادب اذ انه عليه السلام رأوا منه مخايل الخير ورزانة الرأي واظهارا
للجلادة باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزه منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف اي اختر
الالقاء او الالقاء او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام
كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة للادب بأحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم
المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ووسعهم ثم يظهر الله سلطانه
فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان سيظهر بعد ما يلقون من مكائد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا
فاذا حبالهم اي للمفاجأة والتحقيق انها ايضا ظرفية مستدعية لمتعلق ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجأة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها
الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ
يخيل باسناده الى الله تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجأة

بمقتضى البشرية الجبلية عن النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا
يلبس ذلك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه
النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ
العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام
تهويلا لامرها وتفخيما لشأنها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد
الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي
هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العود الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها
وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصى ما فعلت على سبيل الاصلية وقد كان منها ما كان
وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكونه عبارة عن العصا اي
تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف
بتشديد القاف واسقاط احدى التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة لما
للتعليل موجبة لبيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية
وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن لما ذكر من مخالجة الشك للناس في عدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد
بما يوجب ايمانهم واتباعهم له وقوله تعالى انما صنعوا تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه
او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير
وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر
سحرا للمبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض
لشأن العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والقي السحرة سجدا
الفاء فصيحة معربة عن محذوف فيه بيان لسياق النظم الكريم غني عن التصريح به لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر
واستحالة عدم وقوع التلقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من التلقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ليس ذلك من باب السحر وانما
هو من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات
فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم
وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب اهلهما وعقاب اهلهما وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى
في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول
عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هارون وموسى تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون
ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هارون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان
فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اي فرعون
للسحرة آمنتم له اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم
اي من غير ان آذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع
انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي في فنكم او اعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او فعلتم
شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم
بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته فلا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم
بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو فان المبتدأ من المعروض مبتدأ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية
اي لاقطعنها مختلفات بحسب تلك الحالة للايذان بتحقق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا انها انقطع

يتبعوه

ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار
المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد
نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى
عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لان المراد ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف
من قبل موسى عليه السلام حسبما رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا
برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان
والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام
من العصا كان مشتملا على معجزات كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا اي خلقنا
وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان
فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه
وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا
لا نؤثرك الى آخره ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ
فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه
او تحكم ما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به
من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة
موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه
ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه
نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل اراد الاكراه على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان
منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل كان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم
قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان
يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى
اي جزاء ثوابا كان او عقابا او خير ثوابا وابقى عقابا وقوله تعالى انه الى آخر الشرطيتين تعليل من جهته تعالى لكون ثوابه تعالى
خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديره بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونه لان مناط وضع الضمير
موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى
الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كأنه قيل ان الشأن الخطير هذا اي قوله تعالى من يأت ربه مجرما
بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة
ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات
الصالحة كالخلية تجري مجرى الاسم ولذلك لا تذكر الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى
اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان
المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات

او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة لقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات
وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة
الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي
بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية
عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله
عز وجل قالوا ليس في القرآن ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا الى موسى
حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى
عليه السلام بعدما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها
وان في قوله تعالى ان اسر بعبادي اما مفسرة لان في الوحي معنى القول او مصدرية حذف منها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم
عباده تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل
وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان سر بعبادي الذين ارسلناك لانقاذهم من ملكة فرعون اي
بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل
مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد
الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ
لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اي وانت لا تخشى
او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا
عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي
تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول
الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة
بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه
فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك
فاتبعهم بعسكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر
فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده
فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت
قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي
غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى
واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب
الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب
الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى
وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن تتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم
وحمل الاضلال والهدى على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة
عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون
وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين
كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى
وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه ما ذكر بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي قلنا يا بني اسرائيل

قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
وقرئ انجيتكم ونجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة
نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبة
المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام خاصة او له وللسبعين المختارين نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم ايفاء
لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور
بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث كان
ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه
مرارا كلوا جملة مستأنفة سيقت لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه او حلاله
وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه
اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم
عقوبتي وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ
فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن
بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث
على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي
وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة
المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده
عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة
الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية
حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب
فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال
وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال
رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب
لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه حينئذ
فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا
ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته
لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر حيث ان مدار الابتلاء
المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا
العدة وليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى
عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام
اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري
كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار
بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها
السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون
البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل
الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه

حقيقة فان الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج
ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار
وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
رجوعه كذلك كأنه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور
والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه وآكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء
في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف فقط اي أوعدكم ذلك فطال
زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اي
من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على امركم الى ان ارجع من الميقات على اضافة
المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام
اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كأنه قيل انسيتم الوعد بطول العهد
فاخلفتموه خطأ او اردتم حلول الغضب فاخلفتموه عمدا وقيل الموعد مضاف الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين
فما لا يساعده السياق ولا السباق قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك الثبات على امرك وايثاره على ان يقال موعدنا
على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اي بان ملكنا امرنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة
بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم
حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم
وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها
اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك اي فمثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا
يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر
موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم
للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب
لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله
موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب
الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكور للكل لا للعبدة
فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة
للمعتذرين فما بالهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم
وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا باختيارنا وملكنا بل بسطوة
العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي
بفساده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون للانكار والتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه
لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون
فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب فان ناصبة
فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي لا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار
بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وركاكة عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف
على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم

ان لم يعبدوه او يفهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية موكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان
عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اى وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع
موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامرى كانه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحفرة توهم
منهم الافتتان فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اى اوقعتم فى الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد
من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذى يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد اخر على معنى انما فعل بكم الفتنة
لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم
عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اى
ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء فى قوله تعالى فاتبعونى لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اى اذا كان
الامر كذلك فاتبعونى فى الثبات على الدين واطيعوا امرى هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه قالوا فى جواب هرون
عليه السلام لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام
غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه
عليه السلام لا يرجع بشىء مبين تعويلا على مقالة السامرى روى انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثنى عشر الفا وهم الذين
لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال
وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استئناف مبنى على سؤال نشا من حكاية جوابهم لهرون كانه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم
له وهل رضى بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته وراسه يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل
وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء الا تتبعن اى ان تتبعنى على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان للمنع
وعامل فى اذ اى اى شىء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا
فان المنع عن الشىء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقنى وتخبرنى بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وهذا انسب لما سيجىء من
حيث لم يزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليه السلام القصة يخافون
رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام
افعصيت امرى اى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه فان قوله اخلفنى متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان
يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم تتبعنى او خالفتنى فعصيت امرى
قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين
لا تاخذ بلحيتى ولا براسى اى بشعر راسى روى انه عليه السلام اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان
حديدا متصلبا فى كل شىء فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى انى خشيت الخ استئناف سيق لتعليل
موجب النهى ببيان الداعى الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اى انى خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا
وتفرقوا ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل برايك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد
عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفرق الذى لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولى يريد به قوله اخلفنى فى قومى
واصلح الى اخره يعنى انى رايت ان الاصلاح فى حفظ الدهماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيت كى تكون انت المتدارك
حسبما رايت لا سيما وقد كانوا فى غاية العتو ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى
استئناف وقع جوابا عما نشا من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامرى واعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فماذا صنع
موسى بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامرى فقيل قال فما خطبك يا سامرى
اى ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا
للمفتونين ولمن خلفهم من الامم قال اى السامرى مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ
بكسرها فى الاول وفتحها فى الثانى وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له

او رايت ما لم يروه وهو الانسب بما سياتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى
عليه السلام جراة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان
راى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات فى الحال
فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اى من
موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم
من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض كالمضغة على الممضوغ
وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها
اى فى الحلى المذاب فكان ما كان وكذلك سولت لى نفسى اى ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل
المذكور بعده ومحل الكاف فى الاصل النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلا كائنا
مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس
المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه فلذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه
بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشىء اخر من البرهان العقلى او الالهام الالهى فعند ذلك قال عليه السلام
فاذهب اى من بين الناس وقوله تعالى فان لك فى الحياة الخ تعليل لموجب الامر وفى متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به لك اى ثابت لك
فى الحياة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى لا بقوله تعالى
ان تقول لا مساس لمكان ان اى ان لك ما دمت حيا ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف
بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه
فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجى الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه
باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد
فانه لما انشا الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التى هى من اسباب موت
الاحياء وان لك موعدا اى فى الاخرة لن تخلفه اى لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعدما عاقبك فى الدنيا
وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اى وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذى
ظلت عليه عاكفا اى ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب
قسم محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه
ثم لننسفنه اى لنذرينه وقرئ بضم السين فى اليم رمادا او مبرودا كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر
ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد
باليمين انما الهكم الله استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة
الذى لا اله فى الوجود لشىء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شىء من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها
احكام الالوهية وقرئ الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شىء علما اى وسع علمه كل ما من شانه
ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذى وسع كل شىء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسع بالتشديد
فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة فنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين فصار الفاعل مفعولا اول كانه قيل
وسع علمه كل شىء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى كذلك نقص عليك
كلام مستانف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص
حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك
من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة

التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة لمفعول
كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتأخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل
القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من انباء الامم قصا ناقصا تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين
من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من
متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما
وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب
برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن
اما شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اي عقوبة ثقيلة فادحة
على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض
ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سيأتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اي في الوزر
او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد
فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة
التقرير وتهويل الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة
عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على
اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للملك المقرب على ان نون العظمة لله عز وجل او لان الملك عليه السلام من المقربين وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين
اي يوم ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ يحشر المجرمون زرقا اي حال كونهم زرق
العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم
اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين
اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات
لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والاحوالهم قطع
من ان يكون لهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم
اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه
اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو
مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائل
فيذرها الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى
سطحه سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى
مراد الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا
قيل القاع السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان
اجزاءها صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال
ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين

اي اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا
يسيرا من كثبه ما سبق من القاع الصفصف حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم
يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم
القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة
بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا
عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة
لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي لاجله قول الشافع في شانه
او رضي قوله لاجله وفي شانه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن
ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها
عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها
بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة
ولا يحيطون به علما اي لا يحيط علمهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير
لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت
خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار والظاهر ان المراد بها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى
وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل
خابوا وخسروا وهو حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها او يراد بالوجوه وجوه العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه كما انه كذلك على الوجه الاول
اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان
الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا
منه بنقص ولا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك
نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه
اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه
العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد
اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم
ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر
والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ
امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه اي يتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف
وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع
لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اي في نفسك
رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي

بيانه وبين ذاك فإن تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته {ولقد عهدنا إلى آدم} كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان أن أساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من إنجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقال عهد إليه الملك وعزم عليه وتقدم إليه إذا أمره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أمرناه ووصيناه {من قبل} أي من قبل هذا الزمان {فنسي} أي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه أو تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي أي نساه الشيطان {ولم نجد له عزما} تصميم رأي وثبات قدم في الأمور إذ لو كان كذلك لما أزله الشيطان ولما استطاع أن يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويذوق شريها وأريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فإنه أخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد إن كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الأول لكونه ظرفا وإن كان من الوجود المقابل للعدم وهو الأنسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس في الإخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزما {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم} شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم أي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في إيجاب ذكرها فإن الوقت مشتمل على تفاصيل الأمور الواقعة فيه فالأمر بذكره أمر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على أعيان الحوادث فإذا ذكر صارت الحوادث كأنها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية أي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه {فسجدوا إلا إبليس} قد سبق الكلام فيه مرارا {أبى} جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الإخبار بعدم سجوده كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل أبى ومفعوله إما محذوف أي أبى السجود كما في قوله تعالى أبى أن يكون مع الساجدين أو غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم أي فعل الإباء وأظهره {فقلنا} عقيب ذلك اعتناء بنصحه {يا آدم إن هذا} الذي رأيت ما فعل {عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما} أي لا يكونن سببا لإخراجكما {من الجنة} والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما بالطريق البرهاني كما في قولك لا أرينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما أو على الإخبار بها {فتشقى} جواب للنهي وإسناد الشقاء إليه خاصة بعد تعليق الإخراج الموجب له بهما معا لأصالته في الأمور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال {إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى} تعليل لما يوجبه النهي فإن اجتماع أسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي إلى الخروج عنها والعدول عن التصريح بأن له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب والملابس والمساكن مع أنه المقصود بالذات إلى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الأمور المنكرة والتنبيه على ما فيها من أنواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي إليها على أن الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى أن لا تجوع فيها الخ أنه لا يصيبه شيء من الأمور الأربعة أصلا فإن الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض أضدادها بإعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الأمر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل إلى شيء من الأمور المذكورة تمتع به من غير أن يصل إلى حد الضرورة ووجه إفراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالإشارة إلى أن نفي كل واحد من تلك الأمور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على أن نفي كل واحد من الأمور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالأصالة لا أن نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ إنك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على أن لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بأن المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في إفادة التحقيق مع امتناع وقوعها

خبرا لها لأن المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا فإن اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه أن كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى أن مرجع خبريتها إلى ما في الخبر من الحكم الإيجابي أو السلبي وأن مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول المكسورة تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر وأما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وإنما لم يجوزوا أن يقال إن أن زيدا قائم حق مع اختلاف المناط لاطراد الفصل بينهما بالخبر نحو إن عندي أن زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وإن كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في إفضاء معناها وإجراء أحكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق أصلا فمعنى الآية أن لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا أنه لم يقتصر على بيان أن الثابت له عليه السلام عدم الظمأ مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان أن الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض أن المفيدة له كأنه قيل إن لك فيها عدم ظمئك على التحقيق {فوسوس إليه الشيطان} أي أنهى إليه وسوسته أو أسرها إليه {قال} إما بدل من وسوس أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال {يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد} أي شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلا سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكا لقوله تعالى إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين {وملك لا يبلى} أي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه {فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما} قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما {وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة} قد مر تفسيره في سورة الأعراف {وعصى آدم ربه} بما ذكر من أكل الشجرة {فغوى} ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل إذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لأولاده عن أمثالها {ثم اجتباه ربه} أي اصطفاه وقربه إليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعته أو من جبى إلى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام {فتاب عليه} أي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وإفراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه {وهدى} أي إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة {قال} استئناف مبني على سؤال نشأ من الإخبار بأنه تعالى قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا أمره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته {اهبطا منها جميعا} أي انزلا من الجنة إلى الأرض وقوله تعالى {بعضكم لبعض عدو} حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد أي متعادين في أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب {فإما يأتينكم مني هدى} من كتاب ورسول {فمن اتبع هداي} وضع الظاهر موضع المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه {فلا يضل} في الدنيا {ولا يشقى} في الآخرة {ومن أعرض عن ذكري} أي عن الهدى الذاكر لي والداعي إلي {فإن له} في الدنيا {معيشة ضنكا} ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولو أن أهل الكتاب آمنوا إلى قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر {ونحشره} وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط {يوم القيامة أعمى} فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما لا أعمى عن الحجة كما قيل {قال} استئناف كما مر {رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا} أي في الدنيا وقرئ أعمى بالإمالة في الموضعين وفي الأول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف {قال كذلك} أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بقوله تعالى {أتتك آياتنا} واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد {فنسيتها} أي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلا {وكذلك} ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا {اليوم تنسى} تترك في العمى

والعذاب آجلا وقال لكن لا بد كائن من بلائه اشد ثم زيل عنه فيرى سوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك
عذابا له فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا ﴿ وكذلك ﴾ اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية
﴿ نجزي من اسرف ﴾ بالانهماك في الشهوات ﴿ ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ بل كذبها واعرض عنها ﴿ ولعذاب الآخرة ﴾ على
الاطلاق او عذاب النار ﴿ اشد وابقى ﴾ اي من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى ﴿ افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون ﴾ كلام
مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال
الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها
وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون
الاولى وقد مر في قوله عز وعلا او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون
العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كأنه
قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الى آخره بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز
كم اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى ﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ حال من القرون او من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب
او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط
حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم
مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون من المشي ﴿ ان في ذلك ﴾ تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم
وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه ﴿ لآيات ﴾ كثيرة عظيمة
واضحة الهداية ظاهرة الدلالة على الحق فاذن هو هاد وأي هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم ﴿ لاولي النهى ﴾ لذوي العقول
الناهية عن القبائح التي من جملتها ما يتعاطاه هؤلاء من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان
مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ كلام مستانف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر
به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي لولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة
لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه ﴿ لكان ﴾ عقاب جناياتهم ﴿ لزاما ﴾ اي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم
ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم ﴿ واجل مسمى ﴾
عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لما تأخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة
الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم
كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ اي اذا كان الامر على ما ذكر
من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم
بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك
الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم
كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ الى آخره فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر ﴿ وقبل
غروبها ﴾ يعني صلاة الظهر والعصر لانهما قبل غروبها وبعد زوالها وجمعهما مناسبة لقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل صلاة العصر
﴿ ومن آناء الليل ﴾ اي من ساعاته جمع انا بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد ﴿ فسبح ﴾ اي فصل والمراد به المغرب والعشاء
وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فيكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال
تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ﴿ واطراف النهار ﴾ تكرير لصلاتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار

وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار ﴿ لعلك ترضى ﴾ متعلق
بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى
اي يرضيك ربك ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل ﴿ الى ما متعنا به ﴾ من زخارف الدنيا وقوله
تعالى ﴿ ازواجا منهم ﴾ اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم
اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا ﴿ زهرة
الحياة الدنيا ﴾ منصوب بمحذوف دل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف
او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار
بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ﴿ ورزق ربك ﴾ اي ما ادخره لك في الآخرة
او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى ﴿ خير ﴾ مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة
بخلاف ما منحوه ﴿ وابقى ﴾ فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا ﴿ وأمر اهلك بالصلاة ﴾ امر عليه السلام بان يأمر
اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعد ما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا
لفت ارباب الثروة ﴿ واصطبر عليها ﴾ وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش ﴿ لا نسألك رزقا ﴾ اي لا نكلفك ان ترزق نفسك
ولا اهلك ﴿ نحن نرزقك ﴾ واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة ﴿ والعاقبة ﴾ الحميدة ﴿ للتقوى ﴾ اي لاهل التقوى على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة
وتلا هذه الآية ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه الصلاة والسلام بالصبر عليها اي هلا
يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوا بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات
التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى ﴿ او لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ﴾
اي التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوه تحتها من انكار اتيان الآية باتيان
القرآن الكريم الذي هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات
اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين
على يدي امي لم يمارس شيئا من التعلم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعده وأي آية ترام معه وقوله بينة ما في الصحف
بيان لكونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام
التي اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما ينطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات غيره لكن من شأنه
الاظهار برهانه ومزيد تقريره وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة
لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل الم تأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه
وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ او لم يأتهم بالياء
التحتية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ﴿ ولو انا اهلكناهم بعذاب ﴾ الى آخر الآية جملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها
من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيامة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل ﴿ من قبله ﴾
متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لقالوا ﴾ اي يوم
القيامة احتجاجا ﴿ ربنا لولا ارسلت الينا ﴾ في الدنيا ﴿ رسولا ﴾ مع كتاب ﴿ فنتبع آياتك ﴾ التي جاء بها ﴿ من قبل ان نذل ﴾ بالعذاب في الدنيا
﴿ ونخزى ﴾ بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء ﴿ قل ﴾ لاولئك الكفرة المتمردين ﴿ كل ﴾ اي كل واحد منا ومنكم ﴿ متربص ﴾ منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم ﴿ فتربصوا ﴾
وقرئ فتمتعوا ﴿ فستعلمون ﴾ عن قريب ﴿ من اصحاب الصراط السوي ﴾ اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ
السوء والسوى والسوي تصغير السوء ﴿ ومن اهتدى ﴾ من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء وخبرها

التتمة

ما بعدهما والجملة سادة مسد مفعول العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على
الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل الثاني للاول بحذف المبتدأ والتقدير ثم
اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال عليه السلام
ولا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس والله اعلم

سورة الانبياء مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة
الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب
حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال
والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على
الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان
تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا للمسارعة الى بيان كون المخلوق لاجل
المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام والذي
يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه
نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره
بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات
الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل
او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه
نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره
ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره
مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولا بالنسبة الى شيء آخر وهم في غفلة اي غفلة
تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال
لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا
جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن
في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس
الذكر ومن مزيدة وقوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة
على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر
وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء مفرغ محله
النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل
استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث
في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي
غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى
كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون
الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل

من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه
اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى
هل هذا الا بشر مثلكم الخ في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم
فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي
والهمزة في قوله تعالى أفتأتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون
حال من فاعل تأتون مقررة للانكار مؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك
فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسل
لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وغفل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي تقتضيه
الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد
وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول
في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما اوحى اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف
سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر
على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق
بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات
والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد
بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مطاوي البطلان
اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط
الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر
وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين
فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر
الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام
والاعتذار بان بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كأنه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث
احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف
يفصح عنه السياق كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي مثل الآية
التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز ان تكون
مصدرية فالكاف منصوب على مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا بآية اتيانا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث
ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد
من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء
بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في اخر سورة يونس عليه السلام ما آمنت قبلهم من قرية كلام
مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه
بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله
عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق
منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة
لتأكيد العموم وقوله تعالى اهلكناها اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى
أفهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان

الاولين فالمعنى انه لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات انهم لم يؤمنوا افهؤلاء يؤمنون
لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى وفيه انه لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند
فى الاعتبار معتد به لترتب الانكار على وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما ورد عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما هو رأى الجمهور وقوله عز وجل ﴿وما ارسلنا قبلك الا رجالا﴾ جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم المتضمن لرد
ما دسوا تحته من انهم كما ارسل الاولون من الرد بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله
عليهم اجمعين لذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده
وابطاله كما فى تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق
وما كانوا اذا منظرين ولان فى هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم ولعل انما اخذوه سببا
للتكذيب موجب للتصديق فى الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما نطق به قوله تعالى
قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين
والتشريع وانما الذى تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ﴿نوحى اليهم﴾ استئناف
مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى
وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك اليهم الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والارسال نوحى اليهم
بواسطة الملك ما نوحى من الشرائع والاحكام وغيرها من القصص والاخبار كما نوحى اليك من غير فرق بينهما فى حقيقة الوحى
وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق
بينك وبينهم فى البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحى اليك ليس مخالفا لما اوحى اليهم فيقولون
ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بناء على صيغة المبنى للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى ﴿فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق
الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما لا يليق بالخطاب فى امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها
بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه
اى ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام لتزول شبهتكم
امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين فى عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم
فى امره ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبى صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى ﴿وما جعلناهم جسدا﴾ بيان لكون الرسل
عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس فى احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم فى نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن
والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من التصيير بل بمعنى جعله كذلك
ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر فى قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعى وافراده
لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اى ذوى جسد وقوله تعالى ﴿لا يأكلون الطعام﴾ صفة له اى وما جعلناهم جسدا
مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه ﴿وما كانوا خالدين﴾ لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة اى
ما كانوا اعنى وجعلناهم منشأ على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التى اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود اما
المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب
آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لهم خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل
السالفة عليهم السلام بشرا لا ملائكة مع ما فى ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾
عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددى كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم فى الوعد الذى وعدناهم فى تضاعيف

الوحى باهلاك اعدائهم ﴿فانجيناهم ومن نشاء﴾ من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعى الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه
بالآخرة وهو السر فى حماية العرب من عذاب الاستئصال ﴿واهلكنا المسرفين﴾ اى المجاوزين للحدود فى الكفر والمعاصى
﴿لقد انزلنا اليكم﴾ كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذى ذكر فى صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم
من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته
صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وقد صدر بالتوكيد القسمى اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا
بكون المخاطبين فى اقصى مراتب النكير اى والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش ﴿كتابا﴾ عظيم الشأن نيّر البرهان وقوله تعالى
﴿فيه ذكركم﴾ صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمى من كونه جليل المقدار بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اى فيه شرفكم
وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او ما تحتاجون اليه فى امور دينكم ودنياكم وقيل فيه موعظتكم وقيل فيه حسن الذكر من مكارم الاخلاق
وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى ﴿افلا تعقلون﴾ انكار توبيخى فيه بعث لهم على التدبر فى
الكتاب والتأمل فيما فى تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التى من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اى الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التى من جملتها ما ذكر وقوله تعالى
﴿وكم قصمنا من قرية﴾ نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير
محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفى لفظ القصم الذى هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية
من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿كانت ظالمة﴾ فى محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه
الضمير الآتى اى كثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم ﴿وانشأنا بعدها﴾ اى بعد اهلاكها
﴿قوما آخرين﴾ اى ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر فى تقديم حكاية انشاء هؤلاء
على حكاية مبادى اهلاك اولئك بقوله تعالى ﴿فلما احسوا بأسنا﴾ اى ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد
المحسوس ﴿اذا هم منها يركضون﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم فى فرط الاسراع ﴿لا تركضوا﴾
اى قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا ﴿وارجعوا
الى ما اترفتم فيه﴾ من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ﴿ومساكنكم﴾ التى كنتم تفتخرون بها ﴿لعلكم تسألون﴾
تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير فى المهمات والنوازل او تسألون اذا دخل مساكنكم غائلة ويسألونكم ان اصحاب
او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم ﴿قالوا﴾ لما يئسوا من الخلاص
بالهرب وايقنوا بنزول العذاب ﴿يا ويلنا﴾ اى يا هلاكنا ﴿انا كنا ظالمين﴾ اى مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم
بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ اى فما زالوا يرددون تلك الكلمة
وتسميتها دعوى اى دعوة لان المولول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ اى مثل الحصيد وهو
المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع ﴿خامدين﴾ اى ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا فى حيز المفعول
الثانى للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب فى جعلناهم او من المستكن
فى حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه فى حكم جعلناهم امثال حصيد ﴿وما خلقنا السماء والارض﴾ اشارة اجمالية الى ان
تكوين العالم وابداع بنى آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكى من العذاب النازل
بأهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم
اى ما خلقناهما ﴿وما بينهما﴾ من المخلوقات التى لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها على هذا النمط البديع
والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل ﴿لاعبين﴾ لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق
الخالى عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد فى استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ للوجود
وسببا للمعاش ودليلا يقود الى تحصيل معرفتنا التى هى الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذى خلق
السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى

لو أردنا أن نتخذ لهواً استئناف مقرر لما قبله من نفي اللعب واللهو أي لو أردنا أن نتخذ ما يتلهى ويلعب به لاتخذناه من لدنا
أي من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع
العروش وتحسينها وتسوية الفرش وتزيينها لكن يستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعاً وقوله تعالى إن كنا
فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أي إن كنا فاعلين لاتخذناه وقيل إن نافية أي ما كنا فاعلين أي لاتخاذ اللهو لعدم
إرادتنا إياه فيكون بياناً لانتفاء التالي لانتفاء المقدم أو لإرادة اتخاذه فيكون بياناً لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل إضراب عن اتخاذ
اللهو بل عن إرادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص هذا
من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص إلى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه أي يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى
المحكية وقد استعير لإيراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي
هو كسر الشيء الرخو الأجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي إلى زهوق الروح وتصويراً له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو
ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فإذا هو زاهق أي ذاهب بالكلية وفي إذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة
في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الأصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بأن لهم أيضاً مثل ما لأولئك
من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر أو بمحذوف هو حال من الويل أو من ضميره في الخبر وما مصدرية
أو موصولة أو موصوفة أي استقر لكم الويل والهلاك من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل أو بالذي تصفونه أو بشيء تصفونه
من الولد أو كائناً مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والأرض استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة
بالغة ونظام كامل وأنه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل أي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقاً وملكاً وتدبيراً وتصرفاً وإحياءً وإماتة وتعذيباً
وإثابة من غير أن يكون لأحد في ذلك دخل ما استقلالاً أو استتباعاً ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك
إثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلاً لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره
لا يستكبرون عن عبادته أي لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبراء ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون
وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله بحمله كما أن نفي الظلامية في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد لإفادة
كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لإفادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الأولى
وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والأرض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية
يسبحون الليل والنهار أي ينزهونه في جميع الأوقات ويعظمونه ويمجدونه دائماً وهو استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله كأنه قيل
ماذا يصنعون في عباداتهم أو كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ أو حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون أي لا يتخلل
تسبيحهم فترة أصلاً بفراغ أو بشغل آخر أم اتخذوا آلهة حكاية لجناية أخرى من جناياتهم بطريق الإضراب والانتقال من
فن إلى فن آخر من التوبيخ إثر تحقيق الحق ببيان أنه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وأنهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وأن عباده
مذعنون لطاعته مثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها الأنداد ومعنى الهمزة في أم المنقطعة
إنكار الوقوع لا إنكار الواقع وقوله تعالى من الأرض متعلق باتخذوا أو بمحذوف هو صفة لآلهة وأياً ما كان فالمراد هو التحقير
لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون أي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فإنه
واقع لا محالة أي بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوه آلهة بمعزل من ذلك وهم
وإن لم يقولوا بذلك صريحاً لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنشار ضرورة أنه من الخصائص الإلهية حتماً ومعنى التخصيص في تقديم الضمير
ما أشير إليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للإنشار الموجبة لمزيد الإنكار كما في قوله تعالى أفي الله شك وقوله تعالى أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فإن
تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فإن الألوهية
مقتضية للاستقلال بالإبداء والإعادة بحيث إذا ادعوا للأصنام الإلهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالإنشار كأنهم جعلوا بذلك
[illegible] لأصل الإنشار لو كان فيهما آلهة إلا الله إبطال لتعدد الآلهة بإقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وإيراد الجمع لوروده

إثر إنكار اتخاذ الآلهة لا لأن للجمعية دخلاً في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما وإلا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساغ
للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وإفضائه إلى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونها فيهما بدونه
ولا للرفع على البدل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب أي لو كان في السموات والأرض
آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا أي لبطلتا بما فيهما جميعاً وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعاً بيان
الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييراً وتبديلاً وإيجاداً وإعداماً وإحياءً
وإماتة فبقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة وإما بتأثير واحد منها فالبواقي
بمعزل من الإلهية قطعاً واعلم أن جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما أنه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما وإلا فالبرهان يقتضي
استحالة التعدد على الإطلاق فإنه لو تعدد الإله فإن توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالف تعاوقت
فلا يوجد موجود أصلاً وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من ثبوت الوحدانية بالبرهان أي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها أن يكون له شريك في الألوهية
وإيراد الجلالة في موقع الإضمار للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق
به ولتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل عما يصفون
متعلق بالتسبيح أي سبحوه عما يصفونه من أن يكون من دونه آلهة لا يسأل عما يفعل استئناف مبين لأنه تعالى لقوة عظمته
وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لأحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله عما يفعل من أفعاله إثر بيان أن ليس له شريك في الألوهية
وهم أي العباد يسألون عما يفعلون نقيراً وقطميراً لأنهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة أم اتخذوا
من دونه آلهة إضراب وانتقال من إظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة بإظهار خلوها عن خصائص الإلهية التي من جملتها
الإنشار وإقامة البرهان القاطع على تعدد الإله على الإطلاق وتفرده سبحانه بالألوهية إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة
مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله تعالى وتبكيتهم بإلجائهم إلى إقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق أن جميع
الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الإشراك والهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور استقباحاً واستعظاماً ومن متعلقة باتخذوا
والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالألوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الألوهية
بالكلية قل لهم بطريق التبكيت وإلقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل أو النقل فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه
في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وفي إضافة البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم برهاناً ضرب من التهكم
بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي إنارة لبرهانه وإشارة إلى أنه مما نطقت به الكتب الإلهية قاطبة وشهدت به
ألسنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على إقامة البرهان لإظهار كمال عجزهم أي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن
للبرهان القاطع العقلي ذكر أمتي أي عظتهم وذكر الأمم السالفة قد أقمته فأقيموا أنتم برهانكم ومن المعنى هذا كتاب أنزل على أمتي وهذا
كتاب أنزل على أمم الأنبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي
عن الإشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لإثباته وقرئ بالتنوين والإعمال كقوله تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً
ومن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون الحق إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام
الملقن وانتقال من الأمر بتبكيتهم بمطالبة البرهان إلى بيان أنه لا ينجع فيهم المحاجة بإظهار حقية الحق وبطلان الباطل فإن أكثرهم
لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لأجل ذلك معرضون أي مستمرون على الإعراض عن التوحيد
واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وإن كررت عليهم البينات والحجج أو معرضون عما ألقي عليهم من البراهين
العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيداً للسببية وقوله تعالى
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله
من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنياً للمفعول
وأياً ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولداً حكاية

لجماعة فرق من المشركين حكى بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الا
وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة
وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه
لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللائق على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد
او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال
لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه
تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره
تعالى اي لا يقولون شيئا حتى يقوله او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم
قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى
وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته
فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فغلبه والعياذ بالله تعالى
وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون
بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم
بقوله يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزال
يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى
وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء
والاشفاق خوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى بالعكس الامر ومن يقل منهم اي من الملائكة
اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال
نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة
كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان
دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى
بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية علمية اي الم يتفكروا
ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا
اي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا
ملتزقين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا
فتوسطتها ففتقتهما عن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة
واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس في رواية عطاء
وعليه اكثر المفسرين ان السموات والارض كانتا رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد
بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا
ريب فيه واما بالمعنى الاول فهم وان لم يعلموه لكنهم متمكنون من علمه اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار
من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم

او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب لا بد له منه وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد
ان المفعولين في الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه
مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر أفلا يؤمنون انكار لعدم ايمانهم
بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته
مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا
في الارض رواسي اي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء
مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات واياما معدودات ان تميد بهم اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم
بحذف اللام ولا لعدم الالباس وجعلنا فيها اي في الارض كرر الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان
حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له
ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه
من التوكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة
او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى
وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون
فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر الذي هما آيتاهما
بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده
كل اي كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد
بالفلك الجنس كقولك كساهم الحلة وهو حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع
وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية
أفإن مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزل حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة
لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم
بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس
كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون
اولا فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما
يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات واذا رآك الذين كفروا اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي
مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر
كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي في سورة الانعام أهذا الذي يذكر
آلهتكم على ارادة القول اي يقولون او قائلين ذلك اي بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الى آخره وقوله تعالى وهم
بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع
بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون
فهم احق بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني
تأكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط
استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه
عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق

من عندك فأمطر الآية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم. وروي أنه لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام. وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الإنسان خلقا ناشئا من عجل وذكره لبيان أنه من دواعي عجلته في الأمور والظاهر أن المراد به الجنس وإن كان خلقه عليه السلام ساريا إلى أولاده. وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب لههنا.

وقوله تعالى ﴿سأريكم آياتي﴾ تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد أي سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره ﴿فلا تستعجلون﴾ بالإتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وإنما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والإنكار كما يرشد إليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الإلزام كما في سورة الملك ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي في وعدكم بأنه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ فإن قولهم متى هذا الوعد في قوة طلب إتيانه بطريق العجلة فإن ذلك في قوة الأمر بالإتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة إن كنتم صادقين ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾ استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وإيثار صيغة المضارع في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم العلم فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضا بحسب المقام كما في قوله تعالى [illegible] فالمعنى أن انتفاء الشكر لاستمرار انتفائه لا لانتفاء استمراره ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم. وقوله تعالى ﴿حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾ مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه وإضافته إلى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب مع إنكار الكفرة بذلك للإيذان بأنه من الظهور بحيث لا حاجة له إلى الإخبار به وإنما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف أي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما أشهر الجوانب واستلزام الإحاطة بهما للإحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ من جهة الغير في دفعها لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم أي لو كان لهم علم لما فعلوه. وقوله تعالى ﴿حين﴾ استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره إلى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال ﴿بل تأتيهم﴾ عطف على لا يكفون أي لا يكفونها بل تأتيهم العدة أو النار أو الساعة ﴿بغتة فتبهتهم﴾ أي تغلبهم أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على أن الضمير للوعد أو الحين وكذا الثاني في قوله تعالى ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ بناء على أن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز عوده إلى النار وقيل إلى البغتة أي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لإمهالهم في الدنيا.

﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال ووعد ضمني بأنه يصيبهم مثل ما أصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له أي وبالله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿فحاق﴾ أي أحاط عقيب ذلك أو نزل أو حل ونحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله وقوله تعالى ﴿بالذين سخروا منهم﴾ أي من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو ما أشير إليه وما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد إليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله أما مصدرية فالضمير المجرور راجع حينئذ إلى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل إيثاره على الجمع للتنبيه على أن يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط أي فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب إيذانا بكمال الملابسة بينهما أو عين استهزائهم إن أريد بذلك العذاب الأخروي بناء على تجسم الأعمال فإن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح

وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الأعراف في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية إلى آخرها ﴿قل﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم إثر تسليته بما ذكر من مصير مستهزئيهم إلى الهلاك وأمر له عليه السلام بأن يقول لأولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت ﴿من يكلؤكم﴾ أي يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلا أو نهارا وتقديم الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعا وأشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية إيذان بأن كالئهم ليس إلا رحمته العامة وبعدما أمر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لأنهم بحيث لولا أن الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم أحقاء بأن يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الإشراك أضرب عن ذلك بقوله تعالى ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ ببيان أن لهم حالا أخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم وهي أنهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار وفي تعليق الإعراض بذكره تعالى وإيراد اسم الرب المضاف إلى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة أم في قوله تعالى ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال عما قبله من بيان جهلهم بحفظه تعالى إياهم لعدم خوفهم الناشئ عن إعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية إلى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم وإسنادهم الحفظ إليها والهمزة لإنكار أن يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا أو من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الإنكار والنفي إلى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر لا إلى نفس الصفة بأن يقال أم تمنعهم آلهتهم من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان اعتقادهم أي هم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقوله تعالى ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ إضراب عما توهموا ببيان أن الداعي إلى حفظهم تمتيعنا إياهم بما قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على أنه طمع فارغ وأمل كاذب حيث قيل ﴿أفلا يرون﴾ أي ألا ينظرون فلا يرون ﴿أنا نأتي الأرض﴾ أي أرض الكفرة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا وهو تصوير لما يجريه الله عز وجل من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفها إلى دار الإسلام ﴿أفهم الغالبون﴾ على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لإنكار ترتب الغالبية على ما ذكر من نقص أرض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما في قوله تعالى ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ وقوله تعالى ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ وفي التعريف تعريض بأن المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها ﴿قل إنما أنذركم﴾ بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجلونه ونهاية سوء حالهم عند إتيانه ونعى عليهم جهلهم وإعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي أحوالهم أمر عليه السلام بأن يقول لهم إنما أنذركم ما تستعجلونه من الساعة ﴿بالوحي﴾ الصادق الناطق بإتيانها وفظاعة ما فيها من الأهوال أي إنما شأني أن أنذركم بالإخبار بذلك لا بالإتيان بها فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذ الإيمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ إما من تمام الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض وقد أمر عليه السلام بأن يقول لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما أوليا أو للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصامم وتقييد نفي السماع بقوله تعالى ﴿إذا ما ينذرون﴾ مع أن الصم لا يسمعون الكلام إنذارا كان أو تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما أن إيثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم خارجا عن حد العادة وإما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الإسماع ونصب الصم والدعاء كأنه قيل لهم ذلك إثر ما بين أن وظيفته عليه السلام الإنذار بالوحي وقرئ على بناء الفعل للمفعول أي لا يقدر أحد على إسماع الصم وقوله تعالى ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك﴾ بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب إثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي أي وبالله لئن أصابهم أدنى إصابة أدنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرهما وبنائهما فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء ﴿ليقولن﴾

يا ويلنا انا كنا ظالمين • ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى • ونضع الموازين القسط
بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اى نقيم الموازين العادلة التى توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تحقيق ما فيه من الكلام فى سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة
ليوم القيمة اى لاهل يوم القيمة او لاجل اهله او فيه كما فى قولك جئت لخمس خلون من الشهر • فلا تظلم نفس
من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا من الظلم بل يوفى كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب
انتفاء الظلم على وضع الموازين • وان كان اى العمل المدلول عليه بوضع الموازين • مثقال حبة من خردل اى مقدار
حبة كائنة من خردل اى وان كان فى غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل فى الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة
اتينا بها اى احضرناها وذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ اتينا بها اى جازينا بها
من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها • وكفى بنا حاسبين
اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا • ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين • نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد
القسمى لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر اى وبالله لقد اتيناهما وحيا ساطعا وكتابا
جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم
المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم اثاره او ذكرا ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر
وهو اللائق بسياق النظم الكريم فانه تحقيق لامر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لاسيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر
هو الذى اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان • الذين يخشون ربهم
اى عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح • بالغيب حال من المفعول اى
يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل
وهم من الساعة مشفقون اى خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم
بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون واثار الجملة الاسمية للدلالة
على ثبات الاشفاق ودوامه • وهذا اى القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره • ذكر يتذكر به من تذكر وصف
بالوصف الاخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما فى صدر السورة الكريمة • مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به • انزلناه
اما صفة ثانية لذكر او خبر اخر • افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعدما ظهر كون انزاله كايتاء التوراة كانه قيل ابعد ان علمتم ان شأنه
كشأن التوراة فى الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له اصلا • ولقد
اتينا ابراهيم رشده اى الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة
بالوحى والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن • من قبل اى من قبل
ايتاء موسى وهرون التوراة وتقديم ذكر ايتائهما لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه ابان الحلم
وكنا به عالمين اى بانه اهل لما اتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار فى افعاله ما لا يخفى • اذ قال لابيه
وقومه ظرف لاتينا على انه وقت متسع وقع فيه الاتيان وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله
اى اذكر وقت قوله لهم • ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون • التمثال اسم للشىء المصنوع مشبها
بخلق من خلائق الله تعالى وهذا اجمال منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما يطلب به بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ماذا
مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بعنوان العكوف الذى ينبئ عن الملازمة والاستمرار على الشىء لغرض من الاغراض
قصدا الى التحقير والازدراء بها وتحاملا على اجلالها واللام فى لها للاختصاص دون التعدية والا لجىء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد
يضمن العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى • قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين • اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عليه السلام
الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كانه قال اى شىء حملكم على ان تصنعوا من العكوف عليها

فلما لم يكن لهم ما يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمى حيث قال لقد كنتم انتم واباؤكم الذين سنوا لكم
هذه السنة الباطلة • فى ضلال عجيب لا يقادر قدره • مبين اى ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك
ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضى الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولابائهم اى والله لقد كنتم مستقرين
على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية فى الجملة • قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا
لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمى وترددا فى كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد • اجئتنا
بالحق اى بالجد • ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفى ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية
الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم • قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم
نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك • بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن • وقيل هو اضراب
عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض ووصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا
للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اى انشأهن بما فيهن من المخلوقات التى من جملتها انتم واباؤكم وما تعبدون من غير مثال
يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل فى تضليلهم واظهر فى الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى عن التأمل فى كون ما يعبدونه من جملة
المخلوقات • وانا على ذلكم الذى ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان • من الشاهدين اى
العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشىء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباتها كانه قال
وانا ابين ذلك وابرهن عليه • وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التى هى بدل من الاصل وفيها تعجب • لاكيدن
اصنامكم اى لاجتهدن فى كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد
بعد ان تولوا مدبرين • من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولى بحذف احدى التائين ويعضده قوله تعالى فتولوا عنه
مدبرين والفاء فى قوله تعالى • فجعلهم فصيحة اى فولوا فجعلهم • جذاذا اى قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذى هو القطع كالحطام
من الحطم الذى هو الكسر وقرئ بالكسر وهى لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روى ان
خرج هو فى يوم عيد لهم فبدءوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة
على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه
جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان فى يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس فى عنقه وذلك قوله تعالى • الا كبيرا لهم • اى للاصنام
لعلهم اليه • اى الى ابراهيم عليه السلام • يرجعون فيحاجهم بما سيأتى فيبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن
المعبود ان يرجع اليه فى الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز الهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم • قالوا
اى حين رجعوا من عيدهم وراوا ما راوا • من فعل هذا بالهتنا • على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا
اليها بهؤلاء وهى بين ايديهم مبالغة فى التشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهى بين ايديهم مبالغة فى التشنيع وقوله تعالى
انه لمن الظالمين • استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة فى حيز الرفع على انها خبرها والمعنى الذى فعل هذا الكسر والحطم بالهتنا
انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على الهتهم الحقيقة بالاعظام او لافراطه فى الكسر والحطم وتماديه فى الاستهانة بها او بتعريض نفسه
قالوا اى بعض منهم مجيبين للسائلين • سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم فلعله فعل ذلك بهم وقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه
بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا ان كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام
يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح • يقال له ابراهيم • صفة اخرى لفتى اى يطلق عليه هذا الاسم • قالوا اى السائلون • فاتوا به
على اعين الناس • اى مرئيا منهم بحيث يكون نصب اعينهم فى مكان مرتفع لا يخفى على احد • لعلهم يشهدون اى يحضرون
عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل للبعض منهم مبهم او معهود • قالوا استئناف مبنى
على سؤال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا • اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم • اقتصارا
على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على انهم اتوا به وسارعوا الى ذلك من غير تلعثم • قال بل فعله كبيرهم هذا • مشيرا الى الذى
لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل فى شأن الهتهم

مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرز في ذلك المعرض فعلا
بجعل الفاس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حين ابصرها
مصففة للعباد من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه
او هو حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد
من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام
تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد بذلك نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم
بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم فمثله لو قال لك صاحبك
بخط رشيق انيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا وصاحبك امي فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه
عنك واثباته له فمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقريره لنفسك ادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل
وتجهيله في السؤال لابتنائه على احتمال صدوره عن غيرك بمحل عنده مع استحالته عندك كما لا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر
الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم الى
التفكر في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون اى ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما قال عليه السلام
ان كانوا ينطقون دون ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر
وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك حسبما نطق به قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم اى راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر
على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له كيف
يستحق ان يكون معبودا فقالوا اى قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اى بهذا السؤال لانه كان على طريقة
التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها
ثم نكسوا على رؤوسهم اى انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه
وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اى قائلين والله
لقد علمت ان ليس شانهم النطق فكيف تامرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع
قال مبكتا لهم افتعبدون اى اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اى متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم
من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله
تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت
المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتافف له افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا
اى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته
بالحجة القاطعة وافحم لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها
ان كنتم فاعلين اى للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل
من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هيزن خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية
من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما
فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم
حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليه السلام هل لك حاجة قال اما
اليك فلا قال فاسال ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على ابراهيم اى كوني ذات برد وسلام اى ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مامورة
مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه

روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار الا وثاقه
وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى
ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فراه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون
من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود
وعظمه وقال من الرجل الذي رايته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت
من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف
اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ستة عشر سنة وهذا كما ترى من المعجزات
فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل
كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم وارادوا
به كيدا اى مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اى اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه
عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم
التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط
عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اى عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة
على ما سال وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اى كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض
جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة
لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي يهدون اى الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا
مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا
قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذف تاء الاقامة
المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا
ولوطا اى وآتينا لوطا وقيل واذكر آتيناه حكما اى حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء
عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اى اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا
اى في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اى واذكر نوحا اى خبره
وقوله تعالى اذ نادى اى دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اى اذكر نباه الواقع وقت دعائه
من قبل اى من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اى دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه
واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام
والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتقمنا يأباه ما ذكر من دعائه عليه السلام لظاهر
يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده
من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا
وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مفعول مضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى
اذ يحكمان ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اى اذكر خبرهما وقت حكمهما
في الحرث اى في حق الزرع او الكرم المكسو عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اى تفرقت
وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اى لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة
لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما

مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فإنه في حكم الماضي وقرئ فأفهمناها والضمير للحكومة أو الفتيا روي أنه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال أحدهما إن غنم هذا دخلت حرثي ليلا فأفسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال أرى أن تدفع الغنم إلى صاحب الأرض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث إلى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك والذي عندي أن حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فإن قول سليمان عليه السلام غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع إلخ صريح في أنه ليس بطريق الوحي وإلا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عليهما السلام لإظهار ما عنده بل وجب عليه أن يظهره بداءة وحرم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل أقول والله تعالى أعلم إن رأي سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله هو أرفق بالفريقين ورأي داود عليه السلام قياس كما أن العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى عند أبي حنيفة إلى المجني عليه أو يفديه ويبيعه في ذلك أو يفديه عند الشافعي وقد روي أنه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت وأما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك من الغنم كما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق منه أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من المنافع فإذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام إليه وأن الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وإن كان أقوى منه من خصائص شرعنا على أنه ورد في الأخبار أن داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع وأما حكم المسألة في شريعتنا فعند أبي حنيفة رحمه الله لا ضمان إن لم يكن معها سائق أو قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا أي كل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا إنما يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله تعالى ففهمناها سليمان لإظهار ما تفضل عليه في صغره فإنه عليه السلام كان حينئذ ابن إحدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كراماته تعالى إثر ذكر الكرامة العامة لهما يسبحن أي يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال أو استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل وكنا فاعلين أي شأننا أن نفعل أمثاله فليس ذلك ببدع منا وإن كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس أي عمل الدرع وهو في الأصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا أو بمحذوف هو صفة لبوس لتحصنكم أي اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على أن الضمير لداود عليه السلام أو للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم بإعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من بأسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل أنتم شاكرون أمر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة أو التقريع ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح وإيراد اللام هنا دون الأول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر أي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب بحيث إنها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل فيه ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بأمره حال ثانية أو بدل من الأولى أو حال من ضميرها إلى الأرض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من إصطخر إلى الشام وإلى حيث شاء ثم يعود إلى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين أي وسخرنا له

من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسها ومحل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والأول هو الأظهر ويعملون عملا دون ذلك أي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وهؤلاء إما الفرقة الأولى أو غيرها لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع إليها باعتبار معناها [illegible] ومن الشياطين روي أن المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى وكنا لهم حافظين أي من أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار وأيوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان أي واذكر خبر أيوب إذ نادى ربه أني أي بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وأنت أرحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن إسحاق استنبأه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات روي أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت إفرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي أن إبليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا إله الأرض فعلت بزوجك ما فعلت لأنه تركني وعبد إله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرددت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت إلى أيوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لأضربنك مائة سوط وحرام علي أن أذوق بعد هذا من طعامك وشرابك شيئا فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وقام صحيحا ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ثم إن امرأته قالت في نفسها إن طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن إليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الأمور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأل عنه فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال أتعرفينه إذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه فتبسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم أيوب وذكرنا إياهم بالإحسان وعدم نسياننا لهم وإسماعيل وإدريس وذا الكفل أي اذكرهم وذو الكفل إلياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم فإن الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل أي كل واحد من هؤلاء من الصابرين أي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الأمر بذكرهم وأدخلناهم في رحمتنا أي في النبوة أو في نعمة الآخرة إنهم من الصالحين أي الكاملين في الصلاح الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام إذ ذهب مغاضبا أي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده أنه قرئ مشددا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده أي يعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت

العذر

الى ومه تسميه ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان
من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اي الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل
وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل ظلمتا بطني الحوتين وظلمتا البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان ان
مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك
شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة
فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان
فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك اي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين
من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع
حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع
من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام
وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند
الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اي واذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني
فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي ان لم ترزقني من يرثني فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى
وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة
بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة
بالانبياء المذكورين اي كانوا يسارعون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في
على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة خائفين العقاب
او المعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى
ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها اي واذكر خبرها التي احصنته بالكلية من الحلال والحرام
والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعموا في حقها اثر ذي اثير فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من
من الروح الذي هو من امرنا او فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما
آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته عز وعلا فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل
اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها
ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بما ذكر من كلمة امرها في القصص السالفة امتكم اي ملتكم التي
يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها او اي ملتكم امة واحدة نصب على الحال
من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع والاحتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة
حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران
وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون خاصة لا غيري وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التوحيد
في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبائح افعالهم الى الآخرين كأنه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه
كافة الانبياء كل اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون
بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل لتحقيق الجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها
لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى

لدلالة على اثبات الحق قوله تعالى
فمن يعمل من الصالحات الى آخره

ونفي نفي جنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون
في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل
والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه
مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون ولا في ان من معنى
النفي معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق وتخصيص
امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث
والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلي لما
قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذاك وهو ما ذكر في الآية المتقدمة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور
ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها
اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية
لما دل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الى آخره
وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث
غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان
من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اي يأجوج ومأجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث
وهو القبر ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق
عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط
والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك
وقيل هو جواب الشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء او لم نعلم انه حق
بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين
بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مساق للاذى
وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين تلا الآية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه وقال له
صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله تعالى فقال عليه السلام بل لكل من عبد
من دون الله تعالى اذ ليس منهما ما يدل على عموم كلمة ما كان الاول نص في خصوصها ومدلول حكم النص لاقتضى شموله بطريق العبارة
بل المعنى في ذلك ما انهم يطلبون لا ان النص يجامع الشرك في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام بعد ما بين مدلول
النظم الكريم باوكد وجه وحل المذكورين حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تأكيدا للرد والالزام
وذكر الملائكة الانعام لم لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما زعموا فان اخراج بعض المعبودين عن حكم معي عن العصب العقدة
والمعبودين ما هم الرحمة في عبادتهم بل بتحقيق ان انهم ليسوا من المعبودين في شيء حتى توهم دخولهم في الحكم المذكور لا انه
موجب لتشريكهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق قوله تعالى سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لا شركتهم الاصنام في المعبودية من دون الله تعالى دون
المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا حملا على سياق قوله تعالى ان الذين

سبقت لهم منا الحسنى الى آخره بيانا للتجوز او التخصيص فلا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم وحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما تزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما تعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما هم ادعوه من الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد ورد بطريق التكملة بانجرار الكلام اليه عند بيان ما يتناوله النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم الداخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين النصين وكل اي من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس كما في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الاوجه فيحمل عليها لما ان الاول مع خفائه ليس من مقدورات المكلفين فلا يجعل مع ما بعده تفصيلا لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام الى آخره اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجليل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وروي ان عليا رضي الله عنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس فيه مقتضى كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في ابعادهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس كذلك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت لهم منا الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من العائد المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو اي نطويها طيا كطي الطومار وقرئ السجل كالعتل والدلو بالكسر والسجل على وزن العتل وسجلا بالفتح واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على اي

يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأناه او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله المقدر لنعيده او منتصب لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور وهو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اي التوراة وقيل اللوح المحفوظ اي بالله لقد كتبنا في كتاب داود من بعد ما كتبنا في التوراة او كتبنا في جميع الكتب المنزلة من بعد ما كتبناه في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اي لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرم حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها فالآية تدل على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه عليه السلام وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بالضم وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته هنا الى ضمير الجمع المتكلم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق

أمركم وأن المتوعد به لو كان حالا لم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم
فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون
بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج ثمان وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **يا أيها الناس اتقوا ربكم** خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم
من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة وإن كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الأول
على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر فواردة
على نهج التغليب لعدم تناولها للإناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل
وترك ويندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا أوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا أي احذروا عقوبة مالك أموركم
ومربيكم وقوله تعالى **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباته الهائلة فإن ملاحظة عظمها وهولها
وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء
بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء عن مقارها
ويخرجها عن مراكزها وإضافتها إلى الساعة إما إضافة المصدر إلى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الأشياء أو إضافتها
إلى الظرف إما بإجرائه مجرى المفعول اتساعا أو بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى
إذا زلزلت الأرض زلزالها قال الحسن إنها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة
والشعبي أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فإضافتها إلى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها وفي التعبير عنها بالشيء إيذان بأن العقول
قاصرة عن إدراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام وقوله تعالى **يوم ترونها** منتصب بما بعده قدم عليه
اهتماما به والضمير للزلزلة أي وقت رؤيتكم إياها ومشاهدتكم لهول مطلعها **تذهل كل مرضعة** أي مباشرة للإرضاع
عما أرضعت أي تغفل وتذهل مع دهشة عما هي بصدد إرضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد
الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا إلا أنها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية أي تذهل عن إرضاعها
والأول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الإذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل أي تذهلها
الزلزلة **وتضع كل ذات حمل حملها** أي تلقي جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول
علقمة والشعبي وأما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل إنه تمثيل لتهويل الأمر وفيه أن الأمر حينئذ أشد من ذلك وأعظم
وأهول مما وصف وأطم وقيل إن ذلك يكون عند النفخة الثانية فإنهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الأولى فتقوم المرضعة على إرضاعها
والحامل على حملها ولا ريب في أن قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر **وترى الناس** بفتح التاء
والراء على خطاب كل أحد من المخاطبين ممن تتأتى منه الرؤية والإيذان بأن المرئي في الأول هي الزلزلة التي
يشترك في إدراكها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من إفراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة
فإن المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لأن مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كأنه قيل وتصير الناس
سكارى وإنما أوثر عليه ما في النظم للإيذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد أي يراهم كل أحد
سكارى أي كأنهم سكارى **وما هم بسكارى** حقيقة **ولكن عذاب الله شديد** فرهقهم هوله وطير عقولهم
وسلب تمييزهم هو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا إلى المخاطب من أريتك قائما أو رؤيتك قائما
وقرئ بضم التاء سكرى وقرئ برفع الناس على إسناد الفعل المجهول إليه وتأنيثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى بالفتح والضم
وأكثر القراء ترى الزلزلة أنحل جميع الناس سكارى وقرئ سكرى كعطشى جريا على إجراء السكر مجرى العلل

ومن الناس كلام مبتدأ جيء به إثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع
على الابتداء إما بحمله على المعنى أو بتقدير ما يتعلق به كما مر أي وبعض الناس أو وبعض كائن من الناس **من يجادل في الله**
أي في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل وقوله تعالى **بغير علم** حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل
أي ملابسا بغير علم روي أنها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين
ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولأضرابه من العتاة المتمردين **ويتبع** أي فيما يتعاطاه من المجادلة أو في كل ما يأتي
وما يذر من الأمور الباطلة التي من جملتها ذلك **كل شيطان مريد** عات متمرد متجرد للفساد وأصله العري كما
في المتحف له كالشجر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الأملس
والمراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وإما إبليس وجنوده وقوله تعالى **كتب عليه** أي على الشيطان
صفة أخرى له وقوله تعالى **أنه** فاعل كتب والضمير للشأن أي رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن **من تولاه** أي اتخذه
وليا وتبعه **فأنه يضله** بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط إن جعلت من شرطية
وخبرها إن جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أي من تولاه فشأنه أنه يضله عن طريق الجنة أو طريق الحق أو فحق أنه يضله عطفا
وقيل فأنه معطوف على أنه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل إنه لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ بإنه بالكسر على أنه خبر من أو جواب
لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو أو على تقدير قيل أو على إضمار القول والمعنى
كتب عليه هذا الكلام كما كتب إن الله يأمر بالعدل والإحسان أو على إضمار القول **ويهديه إلى عذاب السعير** بحمله على مباشرة ما يؤدي إليه من السيئات **يا أيها الناس**
إثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم وأشار إلى ما يؤول إليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث **إن كنتم
في ريب من البعث** من إمكانه وكونه مقدورا له تعالى أو من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم
في حقه بالريب مع أنهم جازمون بالاستحالة والتعبير بالشك مع تقرر جحدهم ذلك إشارة إلى أن
النظم الكريم على أن حالهم في البعث عدم تحققه نظير قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا **فإنا خلقناكم**
أي فانظروا إلى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فإنا خلقناكم أي خلقنا كل فرد منكم **من تراب** في ضمن خلق آدم منه خلقا إجماليا
فإن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا
منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا
للكل منه كما مر تحقيقه مرارا **ثم من نطفة** أي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة أي مني من النطف الذي هو الصب
ثم من علقة أي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني **ثم من مضغة** أي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الأصل
مقدار ما يمضغ **مخلقة** بالجر صفة مضغة أي مستبينة الخلق مصورة **وغير مخلقة** أي لم يستبن خلقها وصورتها
بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهر بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى
الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة إلى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وإنما أخر عنها لأنها عدم الملكة
وقيل هو ومفسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس ذلك في حيز كل واحد من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق بعدها
من المراتب كما في ولقد خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكمال حكمته في سورة المؤمنون بأبدع
لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا أي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة
من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فإن من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي ما اطلع عليه جزم جزما ضروريا بأن
من قدر على خلق البشر أولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وإنشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصريفه في أطوار الخلقة
وتحويله من حال إلى حال مع ما بين تلك الأطوار والأحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على إعادته بل هو أهون في القياس نظرا
إلى العامل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى **ونقر في الأرحام ما نشاء** استئناف مسوق لبيان حالهم
بعد تمام خلقهم وعدم نظمه في سلك التعليل لما عطف عليه من سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونها من متمماته من مبادي التبيين أيضا لما أن
دلالة الأول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أي ونحن نقر في الأرحام بعد ذلك

ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين اقصاه
الى ان يمضي في الارحام لان الله تعالى اقرارها فيها بعد تكامل خلقه فيسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام
فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا او ان فصل الى متناهي الاطوار المتواردة
على المولود قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر بفتح النون وضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم
بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد
والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم
نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة
النظم الكريم هذا وقد قرئ الافعال الخمسة بالنصب على ان نقر حينئذ عطف على نبين مثلها والمعنى خلقناكم على التدريج
المذكور لغايتين مرتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم
التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين
عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا
الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية
الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسرة والقتود كانها شدة في غير شئ مبنية
على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد
الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء
لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه
وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما
عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد
ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة
من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت
انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره
ذلك بان الله هو الحق كلام مستأنف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانفسي والآفاقي لبيان
ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون وجوده من اتيان الساعة
والبعث من مبادي تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان
بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته
وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شأنه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها
بدءا واعادة والا لما احيا النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق
القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شئ قدير اي مبالغ القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات
الفائقة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة
على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمستأنف للعقول عما يقتضيه النظم الكريم من بيان كون الآثار
المذكورة من فروع القدرة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح
بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سيأتي وايثار صيغة الفاعل

على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة [illegible]
مبني على ما ذكر من العقول وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها
انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية البرهانية بحيث ليس مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة
البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجمل داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث
من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى بآثار القدرة فيها بل من حيث
ان كلا منهما سبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكمة البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة
على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما
من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من احكام
حقيته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه
حكيما كما جعل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد
ان يفي بما وعد وانت خبير بان مآله الاستدلال بالحكمة تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام فيه ذلك انما هو في سببيتهما
لما من خلق الانسان واحياء الارض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور
بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى
وقيل المعنى ذلك ليعلموا بان الله هو الحق الآيتين ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس من اغوانهم كائنا من كان لان الاول من تعدد هم على ان الشكاية
عن الضلال المعنوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم
الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب
منير وحي مظهر للحق اي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير للتأكيد
والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان
موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالاعراض عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا
لجانبه وطاويا لكشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله
متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول
من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا
فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية بعده
مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي ثبت له في الدنيا
بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك
اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة
يكون بالايدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم
بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن
الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان احوال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر وغنيمة قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي

من الصحة والسعة اطمأن به اى ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم صارف
ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اى شىء يفتتن به من مكروه يعتريه فى نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه
روى انها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا
سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب
وعن ابى سعيد رضى الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى
فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما
بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر الدنيا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا
على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اى ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه غاية ما يكون
هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اى يعبد
متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اى جمادا ليس من شأنه الضر
والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد
فى التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه
ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفى الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء
بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى
لبئس المولى ولبئس العشير جواب القسم مقدر وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد
صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة فى تقبيح حاله والامعان فى ذمه اى يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين
يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس
الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو اعادة للاول تأكيدا له وتفظيعا لما بعده
من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته
لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به
وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اى يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل
للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات استئناف جىء به لبيان حسن
حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية
سوء حال الكفرة وما لهم من فرق المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة انهم
يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه هذه الذمة وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد
بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف
اى من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح
لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله
وتقرير له بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها اثابة
من آمن وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار
نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وجل من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة تحقيقا لها
وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله فى الدنيا والآخرة
لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله
تعالى بسبب مدافعته بعض الامور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ فى استفراغ المجهود وليتجاوز فى الجد
كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد

بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه
وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر فى قوله تعالى فلينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اى فليتصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو اقصى ما انتهت اليه قدرته
فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه
وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره
ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اداء المغيظ من البين لا
لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحى فانه ينافى المرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين
لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه
عليه السلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد
للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب
القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة انزلناه اى القرآن
الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه
بذلك وان الله يهدى به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادته فيها
ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك او الرفع على انه
خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله يهدى من يريد هدايته ان الذين آمنوا اى بما ذكر من الآيات البينات
ولغيره تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين
النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نور وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام
وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير
والتأكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء
باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شىء شهيد تعليل لما قبله من الفصل
اى عالم بكل شىء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء
جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور
من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه
تعالى شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب
لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية تنبيها على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة
المبنية على تشبيهه بكل افعال المكلف فى باب الطاعة اداء ما يكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء
سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادة شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما او بطريق التمكن
وقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة
او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه
المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن ضمنه استنفاذ ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة
بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له
اى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون المتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول
لا انه مبالغة فى الكثرة بحرف عليهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اى كفره واستعصائه وثبت
حق عليهم وتقرر حق عليه العذاب ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له

فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التي من جملتها
الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحد من الفريقين
وبين الكواكب وتقرير لحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قيل
اختصموا في ربهم حملا على المعنى اي اختصموا في شانه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان
اعتقاد كل من الفريقين لحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما
التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين
كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الماء الحار الذي
انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول
او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد والجلود
عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في الظاهر
مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم اي للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي الة
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا
في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء
باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها
الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب باسناد الادخال الى الله
عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق
مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول للتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اي يحليهم
الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها من أساور من ابتدائية او تبعيضية اي بعض اساور
وهي جمع اسورة جمع سوار او للبيان كما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه
بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب
بفعل مضمر دل عليه يحلون اي ويؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوا
بعد قلبها واوا وليا بقلبهما ياء ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا للايذان بان ثبوت
اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم
بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول
وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة الآية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته
وهو الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور ان ذكر الهداية الى الطيب من القول ومحل المراد
الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي
كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية
الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله اشد من ذلك
احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس
اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ سواء اي مستويا
مفعولا ثانيا لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق بظرف لغو وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين
عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم
بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف
الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة للاول قيل
لابراهيم مكان البيت وعليه مبنى قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود ذكر ما وقع فيه من الحوادث
قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان
وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه
القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية
بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء
ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وقد اوردنا ما في هذا الشأن من الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت الآية قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة
او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا وطهر
بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود اي وطهره من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير
عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء
واذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج
وقيل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع والاول هو الاظهر يأتوك جواب للامر
رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء مخففة الجيم ومشدده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر
عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة
على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق بمعنى العميق كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك
لا بأذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او هي منافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة والتنكير في قوله
لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات
هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل
عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب بها على الذكر فكلوا منها التفات
الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله
عز وعلا فانفجرت اي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية
من التحرج فيه او للندب لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة
الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقيل هو في الاول للندب ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالة وسخهم كقص الشارب
وقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم

وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث
وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم
من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله تعالى واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه
ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات
الله اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة
والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الآخرة و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج
الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة
عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا
لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحل الانعام على ما ذكر
من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة
حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى
ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي
لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن
يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب
عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة
الاوثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
ونحوها والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور والاشراك بالله تعالى وتلا هذه الآية والزور
من الزور وهو الانحراف كما ان الافك المأخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله
مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين له تعالى غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك
الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من
الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان
الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء
والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلها تختطفه او تهوي به الريح اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد
فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من التشبيه المركب
فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا شبيها باهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا
ومن يعظم شعائر الله اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان
روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت
منه بثلاثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى
التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها
ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت نحرها او وقت [illegible] ثم محلها الى البيت العتيق اي
الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية واعظمها النفع

محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهيا اليه هذا وقيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه
والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اي محل
الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى
ملابسة ولكل امة اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين
اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا
اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجه الله الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود على
ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم
اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى
وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الالهية للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا
لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا
فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق
اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلاة في اوقاتها
وقرئ بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن
بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمع بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد
النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شارك الابل البقرة في الاجزاء عن سبعة
بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم
وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان
للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير اي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها فاذكروا
اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات
قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة
تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص
لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده
انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر اي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره
وعراه واعتره كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية
قوتها فلا تستعصي عليكم حتى انكم تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون
لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها
المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم
التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره
فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اي ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية
او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما يأتون
وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى
ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه

وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اى يبالغ فى دفع غائلة المشركين وضررهم الذى من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما يتجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما فى ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية عن البغض اى ان الله يبغض كل خوان فى امانة الله تعالى وهى اوامره ونواهيه او فى جميع الامانات التى من جملتها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة فى نفى المحبة على اعتبار النفى اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اى رخص وقرئ على البناء للفاعل اى اذن الله تعالى للذين يقاتلون اى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبنى للفاعل اى يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتى ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد ليس مجرد تخليصهم من ايدى المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم واردا على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فى حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او فى محل النصب على المدح او فى محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اى اخرجوا بغير ما يوجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات اى كنائس لليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل فى الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اى وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على كل ما يريده من مراداته التى من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شئ ولا يدافعه الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم فى الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يعط الله تعالى التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ فى ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع فى الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اى ان يحزنوك على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدى فى ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اى رسلهم

ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اى فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان ذلك انما يقتضى عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بنى اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان فى غاية الشناعة لكون آياته فى كمال الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اى امهلتهم حتى انصرمت آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فرق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبى موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اى اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اى انكارى عليهم بالاهلاك اى فكان ذلك فى غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اى فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اى فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهى ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهى خاوية عطف على اهلكناها لا على وهى ظالمة لانها حال والاهلاك ليس فى حال خوائها فلا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه على الثانى وفى محل الرفع لعطفها على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهى ساقطة حيطانها على عروشها اى سقوفها بان تعطل بنيانها فخربت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة الكل لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهى خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اى فهى خالية وهى على عروشها اى قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهى مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما انفا وبئر معطلة عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوا نبيهم اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا فى الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحى او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى افاكون فى الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجئ العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستهزاء فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جئ بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه فى ضمن استعجالهم واظهار خطئهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجئ العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطئهم فى الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة

القصر عنده تعالى هذا واطوار الاعذهم حسبما يطلق قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا
ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا عنده
تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اى يعد المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة
لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاكهم
من موعد معين اجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فيكون الكلام الاول حالية كانت
او اعتراضا مبينا لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه
على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون النظم الكريم حينئذ متعرضا لانكارهم الذي هو يوجب
الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وقد حمل المستعجل به على عذاب
الاخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها
مما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي
مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكاين من قرية الخ فانه كما سلف من دون
فاملي للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اى كم من اهل قرية فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا
مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة
بطريق التعريض بظلم المستعجلين اى امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كهؤلاء ثم اخذتها بالعذاب
والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والى المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض
من ان مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اى الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا اشتراكا
فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحى من انباء الامم
المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين
بعده لما ان صدر الكلام مع المشركين وعقابهم انما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة لما صدر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته
والذين سعوا في آياتنا معاجزين اى سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله
من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين
اى مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اى ملازموا
النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى
بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى
عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول وقيل انه عليه السلام سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا
منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى
اى هيأ في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه
وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اى يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين
للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام
آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطأ حكيم
في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي وقيل حدث نفسه بزوال المسكنة

قوله

فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم
فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد
ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت
على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته
والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه
يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو
من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه
تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه بيان النظم الكريم لان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق
سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وقوله على ان يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض
اى شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم اى المشركين وان الظالمين اى الفريقين
المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اى عداوة
شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم اى القرآن الحق من ربك اى هو الحق النازل من عنده تعالى
وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت عادته في جنس الانس من لدن
آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين بما سبق من الالقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به اى
بالقرآن اى يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا بردهم ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان
لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضمير للاستمرار الى التمكين او الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهادي الذين
آمنوا اى في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح
الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اى في شك وجدال منه اى من القرآن
وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته ومن قوله تعالى انه الحق
من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له
لان ذلك ليس من شأنهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي من شان القرآن ولا يجدي حمل من على الشيطان ذلك ابدا
لان مريتهم المستمرة كما انها ليست مستندة من ذلك ليس ما نشأ منه مرية انها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم
حتى تأتيهم الساعة اى القيامة نفسها كما روي في قوله تعالى بغتة اى فجأة فانها الموصوفة بالاتيان لذلك لا اشراطها وقيل
الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اى يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما
والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل لا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها
لما عرفته آنفا وقيل ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن
او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اى ثكلى فوصف اليوم بوصف اهله تجوزا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح
العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا
وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل وبيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي بين
يقضي بان المراد به يوم القيامة قطعا فلا ريب الملك اى السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق
يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة
ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نيابة عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا
ذلك من ايمانهم كما قيل لان القيد المعتبر مع اليوم حيث يعتبر في الجملة يجب ان يكون مدار الحكم هاهنا كون الملك فيه

وما يتفرع عليه من الانابة والعذاب ولا ريب في ان اتيانهم او زوال مريتهم ليس مما يتعلق بما ذكر فضلا عن المداريه
فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يعتبر وعلى ما ذكر ان ما اتى هو مستحق بتصرفات الحق ومبدا
احكام الملك يحق جل جلاله فادون يوما ينبئ عن نفس الجملة الواقعة حالا من يوم فالمعنى الملك يوم اذ اتتهم الساعة او عذابها لله تعالى
وقوله تعالى يحكم بينهم جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم
حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والمماري فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين آمنوا الخ تفصيل للحكم المذكور وتفصيل لاي
فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه وعملوا الصالحات امتثالا لما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم
اي مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم
خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ او لهما مع خبره على الوجهين خبر
للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان
اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لاجل الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى
ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب قسم محذوف
والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية خبرا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا اما مفعول
على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهم في الوعد
لاستوائهم في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة روي
ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن
نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه والمدخل اما اسم مكان اريد به الجنة
فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قال يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة
ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب بمثل ما
عوقب به اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو
عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك اي
ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور وفيه حث بليغ على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى
بذلك وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
اي بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ادخال احد الملوين
في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص من الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل
المسموعات التي من جملتها قول المعاقب بصير يبصر جميع المبصرات التي من جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال
القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته
وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ الكل ما وجد من الموجودات عالما بجميع المعلومات او الثابت الالهية

فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه
عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته وان الله
هو العلي على جميع الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله
انزل من السماء ماء استفهام تقرير كما ينبئ عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل
وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف
يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله
سخر لكم ما في الارض اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر
ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
بتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر
بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الاخيرين ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة
ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها
بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرؤوف رحيم
حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية وهو
الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء آجالكم
ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة
كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع
واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اي وضعنا وعينا منسكا اي شريعة
خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى
لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور
على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى
الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التوراة هم ناسكوه والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي
عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم
من الموجودين الى يوم القيامة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة
شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في الدين
زعما منهم ان شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة
منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم بناء على زعمهم المذكور واما
عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا تنازعهم وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة في تثبيته اياه ان
حمل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون
ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة
المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اي وادعهم او وادع الناس كافة الى
[illegible] الى ربك اي الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم
اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق
ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم

يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيامة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال جهلهم وركاكة آرائهم من بناء امر دينهم على غير شيء من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واظلم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا مما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افأنبئكم اي افاخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوكم بهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استئنافا كما لو جعل الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائقة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي شبه في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بتاء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا على خلقه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان يختطف الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه ولا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب وعابده اجهل من كل جاهل

واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذل الاحياء وعجزها عن ظهار الجملة تعليل لما يفهم من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب لا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى المراتب واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير مدرك لجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي في صلاتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه ولنصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي القرآن والضمير لله عز وجل ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم تكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي والله الموفق

سورة المؤمنين مائة وتسع عشرة آية مكية

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار

الذي هو الدخول في البشارة وقد تجيء متعدياً بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا
لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا لتوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين هو الفلاح
لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعاً من حالهم فان ايمانهم وما تفرع
عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالفلاح حقيقة الدخول في الفلاح
الذي لا يتحقق الا في الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد بهم
كمال استتباعهم له فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة
اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال فلو ان الاطبا كان حولي والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه
من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلاتهم
خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضاً كما ينبئ عنه اضافة الصلاة اليهم فهي صفات
موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر في اوائل سورة
البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام
كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصلياً يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا
لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اي في عامة اوقاتهم
كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا اوليا وما في اعراضهم
عنه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا لمجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون
في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه
بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلا وحضورا
فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة
للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة
اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل
لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل هو تحصيله فقصر قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير
المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فلا يرسلونها الا على ازواجهم من بين الاشكال
الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى
وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان تكون على بمعنى من والاستثناء
كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف
وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم
وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وقيل بحفظ
على التضمين لتكون المعنى حافظين فروجهم على الازواج لا تتعداهن ثم قيل غير حافظين الا عليهن تأكيدا
على تأكيد تكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم اي سرياتهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء
او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم
منهن اي فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع
من الحرائر وما شاء من الاماء فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل
صريحا على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما
لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم لان لهم ان يقولوا
انها زوجة له في الجملة واما ان كل زوجة ترث فمم لا يسعه نهاه وانما يحصل من انه ان اريد لكانت زوجة حال كونها

العقد ان اريد بعد الموت فاللازمة ممنوعة فليس لمعنى يحصل ثم ان عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم
لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ
لامانتهم والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل
فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعت وليس فيه تكرير لان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان
بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك
اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم
منزلة المشار اليهم حساً وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة هم الوارثون اي الاحقاء بان يسموا وراثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر
وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيماً لشأنها
ورفعاً لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار
منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي الفردوس
والتأنيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان
خالدون لا يخرجون منها ابداً والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها
ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان مبدأ خلق الانسان
وتقلبه في اطوار خلقته وادوار فطرته بياناً اجمالياً اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية
وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً اجمالياً
حسبما تحقق في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقاً من سلالات جعلت نطفاً بعد ادوار واطوار فبعيد من سلالة السلالة
ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصوداً منه كالخلاصة واخرى غير مقصود كالقلامة
والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية
كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقع على التحقيق ثم جعلناه
اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان آدم عليه السلام نطفة
بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر عنها
بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها
مكنت بحيث حرزت ثم خلقنا النطفة علقة اي دماً جامداً بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة
مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاماً بان
صلبناها وجعلناها عموداً للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحماً
من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق
به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء
بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم انشأناه خلقاً آخر هي صورة البدن او الروح او القوى
بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان
البيضة فقط لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل
ما فصل من آثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يبادر الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين

بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا
اي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة
الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحي فلما انتهى عليه السلام الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه السلام فقال عليه السلام اكتب هكذا
نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقني ربي في اربع الصلاة
في المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله
احسن الخالقين انظر كيف وقعت الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا ولا يقدح صدور مثل هذه الكلمة عن البشر في اعجاز القرآن وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان
مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم
انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك مميزا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون الى الموت لا محالة
كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم
يوم القيامة اي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم
بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض
لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بذلك لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما
فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات
او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها
حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة اي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق
والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع
في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب
منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها
وانا على ذهاب به اي ازالته بالافساد او التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على
انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم
بماء معين فانشأنا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بها ومنها من الجنات تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود الضمير
للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه
وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين عطفه
سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى
عليه السلام بين مصر وايلة او بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب
منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس

من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او هو فعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالالف التأنيث بخلاف سيناء فانه
فيعال ككيسان او فعلال كعلباء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها
من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان انبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن
وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى
اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن
وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت
بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ
في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء
والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها
على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات
وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد
بالبطون الجوف او عن العلف الذي يكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم
الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون
بما يحصل منها وعليها اي على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل
وقيل المراد هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر
تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اي في البر والبحر وفي الجمع
بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع
الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع في بيان اهمال الامم السابقة
وتركهم النظر والاعتبار فيما عددوا من النعم الفائضة عليهم وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا
للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن
الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله
لقد ارسلنا نوحا ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود فقال
متعطفا عليهم مستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود الا تعبدوا
الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليست من العبادة في شيء رأسا وقوله تعالى
ما لكم من اله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي
هو الرفع على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى
وقرئ بالجر اعتبارا للفظه افلا تتقون اي افلا تتقون عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح
عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان يرفضوا عبادة الله الذي هو ربكم
وليس ذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الى آخره وفيه ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق
الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك
فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال الملأ اي الاشراف الذين كفروا
من قومه وصف الملأ بذلك مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم ما هذا
البنوه الا بشر مثلكم اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن

يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم ووصفوه بذلك اغضابا
للمخاطبين عليه عليه السلام واغراء لهم على معاداته وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق
على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اي لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل
لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال ومفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى
ولو شاء لهداكم ونظائره ما سمعنا بهذا اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة
ما سواه او بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة في آبائنا الاولين اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه
اما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم
هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه
ما سمعنا به عليه السلام انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر
عنهم في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل
به جنة اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله
يفيق مما هو فيه محمول حينئذ على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل
الى وصفه عليه السلام بالجنون مع انهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا على الاول على تناقض
مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا
قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال
حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة
فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اي بسبب تكذيبهم
اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول
باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه عليه السلام منه عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي او من
الزلل في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها
على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه
او ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجيء الامر روي انه قيل له
عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع الماء
اخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان
في عين وردة من الشام وقد مر تفسيره في سورة هود فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه
ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة زوجين اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين
فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي من كل امة زوجين وهما امة الذكر
وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء
امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل على انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي
نيط به الامر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك هو الامر بعينه لكن لما كان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به
في حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين
لادائه الى اختلاف المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها
لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام والى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها
باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر نوع تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم

صح

الا من سبق عليه القول منهم اي القول بهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل
للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه
لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم باهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك اي
من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي انزالا او موضع
انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول وانت خير المنزلين امر عليه السلام بان يشفع دعاءه بما يطابقه
من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه
السلام والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه
لآيات جليلة يستدل بها اولو الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة
بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف اي وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه
الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم
قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد
قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعل القرن موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة
ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم
بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اي من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى
ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ما لكم
من اله غيره تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اي عذابه الذي يستدعيه
ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل
اثر حكاية القول الحق الذي نطق حكاية ارسال الرسل بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام
اجمالا بعد حكاية ما جرى بينه وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال
كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه الذين كفروا في محل الرفع على انه صفة للملأ
وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتأخيره من تمام الصلة لما عطف عليه من قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف
عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر
مثلكم اي في الصفات والاحوال اشاروا اليه عليه السلام بهذا على سبيل المبالغة في تهوين امره عليه السلام وتهبيطه يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة
ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي ان امتثلتم باوامره انكم اذا اي على تقدير
لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة
الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذن واقع بين اسم ان
وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب القسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم
اذا لخاسرون ايعدكم استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان
به واستبعاده انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة
عن اللحوم والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد
وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى انكم تأكيد للاول لطول الفصل

الاتباع

بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقع الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم انكم اذا متم الى آخره هيهات هيهات تكرير لتأكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحياة هي الحياة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من الرسالة وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اي هود عليه السلام عندما يئس من ايمانهم بعدما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال عز وجل اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اي كغثاء السيل فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ثم انشأنا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اي ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشأنا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا والفصل بين الجملتين المعطوفتين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترا اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور والالف للتأنيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته لا ان كلهم جاؤوا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل امة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الاسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهي اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم

بما من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما انها ام آياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغاير العنوان منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب لا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر القلزم ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكهم موسى الكتاب اي التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كأنهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم اي من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فمما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية واية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بانها ولدته من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها امه للايذان من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الآباء دلالة على ان لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحده من غير ان يكون له اب آية وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليهما من الاحصان والنفخ وآويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة وهي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية

عشر ميلا على ما روي عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربى وقرئ بكسر الراء
وضمها ورباوة بالكسر والضم ﴿ذات قرار﴾ مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار
وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها ﴿ومعين﴾ اي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد
في المشي او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف
ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره
المونق ﴿يا ايها الرسل كلوا من الطيبات﴾ حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول
في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم تكن من خصائصه عليه السلام
بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا
فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه
الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما
رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستلذ
ويستطاب من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفه ﴿واعملوا صالحا﴾ اي عملا صالحا
فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿اني بما تعملون﴾ من الاعمال الظاهرة والباطنة ﴿عليم﴾ فاجازيكم عليه
﴿وان هذه﴾ استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد
مما امر بها كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك
في سلك الامور المشاهدة ﴿امتكم﴾ اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل ﴿امة واحدة﴾ اي ملة وشريعة متحدة في الاصول
الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة
على الايمان والتوحيد في العبادة ﴿وانا ربكم﴾ من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى
﴿فاتقون﴾ اي في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان الامر
في حق الرسل للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر ووجوب الامتثال به على ما قبله
من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام
اي ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون اي فاتقون كما في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل معطوف على
ما اي اني عليم بان امتكم امة واحدة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الى آخره وقرئ ان هذه
على انها مخففة من ان ﴿فتقطعوا امرهم﴾ حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل
عليه الامة من اربابها او لها على التفسير الثاني والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي تقطعوا امر دينهم
مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة ﴿بينهم زبرا﴾ اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء
جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا
من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل ﴿كل حزب﴾ من اولئك المتحزبين ﴿بما لديهم﴾
من الدين الذي اختاروه ﴿فرحون﴾ معجبون معتقدون انه الحق ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء
الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر
بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم
﴿حتى حين﴾ هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ﴿ايحسبون
انما نمدهم به﴾ اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى ﴿من مال وبنين﴾ بيان لها وتقديم المال على البنين

مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لاخبر لان وانما الخبر قوله تعالى ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ على حذف
الراجع الى الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم
على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى ﴿بل لا يشعرون﴾ عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا ويعرفوا ان ذلك
الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ﴿ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون﴾ استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب
اي من خوف عذابه حذرون ﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿يؤمنون﴾ بتصديق مدلولها
﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان
الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾
اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضي
في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار ﴿وقلوبهم وجلة﴾
حال من فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة
اشد الخوف ﴿انهم الى ربهم راجعون﴾ اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا تقبل منهم ذلك
وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات
الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة
منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ
وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة
استقلال الموصوف بها ﴿اولئك﴾ اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم ﴿يسارعون في الخيرات﴾ اي
في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى واتيناه اجره في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع
لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان
بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة الآية ﴿وهم لها سابقون﴾ اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى
هم لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون
في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس والاول هو
﴿ولا نكلف نفسا الا وسعها﴾ جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات
المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف
نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص
فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل
الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل
قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى ﴿ولدينا كتاب﴾ الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه
من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤونها
عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ينطق بالحق﴾ كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون

ولي

أي عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد على ما هي عليه أو أعمال السابقين والمقتصدين جميعاً لا أنه أثبت فيه أعمال
الأولين وأهمل أعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم أيضاً وقوله بالحق متعلق بينطق أي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو
عليه ذاتاً ووصفاً ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويرتب عليها
أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء إثر بيان لطفه
في التكليف وكتب الأعمال أي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التي كلفوها
ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز أن يكون تقريراً لما قبله من التكليف وكتب الأعمال أي لا يظلمون بتكليف ما ليس
في وسعهم ولا بعدم كتب بعض أعمالهم التي من جملتها أعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين
بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الأمور بالظلم مع أن شيئاً منها ليس بظلم على ما تقرر
من أن الأعمال الصالحة لا توجب الثواب فضلاً عن إيجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الإثابة بما دونها نقصاً وكذلك الأعمال
السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف بما في الوسع وكتب الأعمال البيان
مما لا يجب عليه تعالى حتى يعد تركهما ظلماً لكمال تنزه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى
بالمرة وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا إضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل أي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة
لها من هذا الذي بين في القرآن من أن لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها
كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الآية وقيل مما عليه أولئك الموصوفون من الأعمال الصالحة ولهم أعمال
سيئة كثيرة من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما
من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامراً تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الأعمال
الصالحة المذكورة وفيه أنه لا مزية في وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطي للأعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك
ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون
يبرحونها حتى إذا أخذنا مترفيهم أي متنعميهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية
لأعمالهم المذكورة مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم حتى إذا أخذنا رؤساءهم
بالعذاب قيل هو القتل والأسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والأولاد
والحق أنه العذاب الأخروي إذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والإقناط عن النصر وأما عذاب يوم بدر
فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فإن المراد بهذا
العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر حتماً وأما عذاب الجوع فإن أبا سفيان وإن تضرع إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالإقناط حيث روي أنه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك إذا هم يجأرون
أي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فإليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الأخذ
بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضاً لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم لأنهم مع
كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأدخل
ما قدم لا تجأروا اليوم على إضمار القول مسوقاً لردهم وتبكيتهم وإقناطهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة من الإغاثة والإعانة
من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والإيذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خبير بأن المقصود الأهم
في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك إلى أن يكون مفاجأتهم إلى الجؤار غير مقصود أصلي وقوله تعالى إنكم منا لا تنصرون
تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم إفادته ونفعه أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا
يساعده النظم الكريم لأن جؤارهم ليس إلى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منعهم من قبله ولاستئناف قوله تعالى قد كانت
آياتي تتلى عليكم الخ كما صرح به فإنه تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي

منعاً من الغير معللاً بعجزه وذلته أو بعزة الله تعالى وقدرته وقوته أي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على أعقابكم
تنكصون أي تعرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به أي بالبيت الحرام أو بالحرم والإضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه
أو بآياتي التي عبر عنها بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو لأن استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه
ويجوز أن يتعلق الباء بقوله تعالى سامراً أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت
بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً والسامر كالحاضر في الإطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء
على لفظ الفاعل وقرئ سمراً وسماراً وانتصابه على الحالية وقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أي
تهذون في شأن القرآن أو تتركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهجر في منطقه إذا أفحش وقرئ
تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى أفلم يدبروا القول الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام أي أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز
النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا في شأنه من القبائح وأم في قوله
أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر
والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا
فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال بمعنى أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد
تستنكر وأن مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم من الأمن من عذاب الله تعالى ما لم يأت آباءهم الأولين كإسماعيل
عليه السلام وأعقابه من عدنان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أد
فآمنوا بالله تعالى وكتبه ورسله وأطاعوه فهم له منكرون أي جاحدون لنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم
بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما هو مبني عليه أو فهم عرفوا أن له عليه السلام فهو ما كذب لما قبله أم يقولون
به جنة انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع كالأولى أي بل أيقولون به جنة أي جنون مع أنه أرجح الناس عقلاً
وأثقبهم ذهناً وأتقنهم رأياً وأوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الأربع التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان
به عليه السلام الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث وبخوا أولاً بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه
من الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سبباً لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم
من عدم معرفتهم به وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما كان فيه عليه السلام ذلك لقدح في رسالته بل جاءهم بالحق
إضراب عما دل عليه ما سبق أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام بل جاءهم بالحق أي الصدق الثابت الذي
لا محيد عنه أصلاً ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه وأكثرهم للحق من حيث هو حق أي حق كان لا لهذا الحق فقط
كما ينبئ عنه الإظهار في موضع الإضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا
هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق
وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين مثل وقيل نسبة الحكم إلى الأكثر لأن منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه
أو لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة للحق وأنت خبير بأن التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده
المقام أصلاً ولو اتبع الحق أهواءهم استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق إلا لعدم موافقته
إياها مقتضية للطامة أي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقاً لأهوائهم الباطلة لفسدت
السموات والأرض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام ليس إلا ذلك وفيه
من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى وأما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه السلام أهواءهم وانقلب شركاً لجاء
الله تعالى بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر قطعاً ففيه أنه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع آلهتان لا
وأما ما قيل لو اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الألوهية مما لا احتمال له أصلاً بل أتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق

سبب القيام

الذي يقوم العالم الى شنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي
هو فخرهم وشرفهم حسبما نطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا
عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك
مما يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع المضمر مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها
من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم
اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفي اسناد الايتاء بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه
السلام تنويه لشان النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القران الكريم عند نسبته اليه
عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته
المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قال المبطلون في شانه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا بساحة الرسول
صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم ويؤيده
بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس بمثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي
يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الى توبيخهم بوجه آخر كأنه قيل
ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اي
رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا
والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام ما لا يخفى
والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة
واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا الحجة
في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم
فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اي
عن جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول
ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة
ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشف
عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار
ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استشهاد مسوق للاستشهاد
على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط
المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم
على انه استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح
بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم
التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة
وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع

وغير ذلك فما روي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه
في شيء انما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك
الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم
اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي
هو اشد فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي
انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا
اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لان العمدة في الشكر صرف
تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذرأكم في الارض
اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون ولا تشكرونه
وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار
وهو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون
اي الا تتفكرون فلا تعقلون او تتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي
من جملتها البعث وقرئ يعقلون على الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول
لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون
اي آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه
من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا اي البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده
الى آبائهم لا اليهم اي ووعد آباؤنا من قبل او بالمحذوف وقع حالا من آبائنا اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا
الا اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر
قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام
عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة وتصريح الامر في تجهيلهم ما لا
او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون
لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون
اي اتعلمون ذلك او اتقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان
فان بدء الخلق ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها لشأن العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا
وقد روعي في الامر بالسؤال التدرج من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك
من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل افحاما لهم وتوبيخا افلا تتقون
اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شركاء
في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر ومما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اي
يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي
ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي لله ملك كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فانى
تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم بما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا
مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي يحق ان يتبع من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون
فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا اذن لذهب كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه

اي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه من ملك الاخرين ووقع بينهم
التغالب والتحارب كما هو الجاري بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل
لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون
اي يصفونه به من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف واياما كان فهو دليل اخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك
رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك
قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل واما العذاب
الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرناء لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان
بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة
الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلم هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عليه السلم بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم
بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يده عليه السلم
للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لا يؤدي الى وهن في الدين
وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل
وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف
ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز
النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع والجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امر عليه السلم بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة
في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ
من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هي التي
يبتدأ بها الكلام ودخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء
بالاستعانة به تعالى من الشيطان ان يزله عليه السلم عن الحلم ويغريه على الانتقام [illegible]
معمول لمحذوف دل عليه ما قبله وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم
الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون
اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظائره لعلي اعمل صالحا فيما تركت
اي في الايمان الذي تركته لم ينتظم في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بان يقول لعلي اؤمن فاعمل للاشعار بانه امر مقرر
الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان الذي آتيته البتة عملا صالحا وقيل فيما تركت
من المال او من الدنيا وعنه عليه السلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله
تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي قوله رب ارجعون الى آخره
كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير للاحد والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما
ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط

كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ في الصور
لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور
جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف
من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ
كما هي بينهم اليوم ولا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقائد
والاعمال اي فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون
بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده
تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك
الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين
عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضمير في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل
من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه
لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون
من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول
اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون
حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ
شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا
من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم
من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من الشقاوة والسعادة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم
ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا
الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتذارهم بما ذكر لما سألوا الرجعة
الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان
والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجع الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسئوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت
هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اي انزجر ولا تكلمون اي باستدعاء
الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون اصلا وهو آخر كلام
يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطاب الآتي
انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان كان فريق من عبادي وهم المؤمنون
وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتشاغلتم باستهزائهم
وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استئناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم
بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم
مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك
المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله تعالى اخسئوا فيها وقرئ قل على الامر
للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة

الراحمين

العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم ايضا يقولون مثل ما نقول كانهم الاتباع يسمون
او يسئلون ذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا سيستقصرون لبثهم قال اى الله تعالى
او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اى تعلمون شيئا او لو كنتم
من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها
افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اى
عابثين او مفعول له اى انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما خلقناكم بعد بعث من قبيل العبث
وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى
ولشئونه التي يصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته وتنزه عن
مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله من الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي
يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته
لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصف
بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع
على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا
لا برهان له به صفة لازمة للاله كقوله تعالى يطير بجناحيه جئ بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه
باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان
فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اى ان الشان وقرئ بالفتح
على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع
في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال
لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها
من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح م

سورة النور اربع وستون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف اى هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها
باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده
التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدا محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا
اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
سورة شانها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست كذلك وقرئ
بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اتل ونحوه او دونك فحينئذ من قبيل
اداة الاعراب محل انزلناها النصب على الوصفية وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه
من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتاكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض
عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اى في تضاعيف السورة آيات بينات ان اريد بها الآيات التي نيطت
بالاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على
الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الآيات

فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين
انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام
الثانية في الذال اى تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان
حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من
الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هي المراة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزني بها كرها وتقديمها على الزاني
لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى
واللذان ياتيانها منكم فآذوهما ومحل الخبر محذوف اى فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اى حكمهما وقوله تعالى
فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ
القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة
المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم
ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه ولا تاخذكم بهما رافة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اى رحمة
في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة
لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى
والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين اى لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول
الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع
يحصل به التشهير والزجر الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب
المعتاد جئ به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت
بالمدينة من بغايا المشركين فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص
المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما
او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصر الرغبة عليهن حيث استاذنوا في نكاحهن
او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا
لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم ذلك اى نكاح الزواني
على المؤمنين لما فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك
من المفاسد التي لا تكاد تليق باحد من الادانى والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل
النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول
للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
هو الوطء بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني وفي التعبير عن الاحصان
بمانع ... الوصفي الذي هو العفة عن الزنا والحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ
عن صلابة الآلة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير
وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة
فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه

مؤنة بيان ما اخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان في شأنه المعاودة كما قيل والذين يرمون العفائف المسلمات كما مر من الزنا ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخر الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له وقرئ باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن اهليته السابقة بل عن اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلا لحوق للمقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بمعزل من الاعتبار بالكلية في مقابلة النص لا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا لهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه من تتمة للحد كما قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله واولئك هم الفاسقون كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود والكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومن ذلك الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وعند الشافعي رحمه الله الاستثناء متعلق بالنهي ومحل المستثنى الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم [illegible] اشتراطه فلا يثبت بها الحد فان من شرط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فيبقى الاربع قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ كما هو شأن النسخ عن محل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل الا انفسهم بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى فشهادة احدهم اي شهادة كل احد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى اربع شهادات خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انها خبر لمبتدأ محذوف اي فالواجب شهادة احدهم او مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الى آخره فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد والخامسة اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة

حتى تعترف فترجم او تلاعن ويدرأ عنها العذاب اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين اي فيما رماني به من الزنا والخامسة بالنصب عطفا على اربع شهادات ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين اي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا تتأبد حرمتها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شأنه واوسع رحمته وادق حكمته ان الذين جاءوا بالافك اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به على الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج فذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجم عليهم [illegible]

في صدري فيهلك من سكات قوله تعالى عصبة منكم خبران اى جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة
وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى
لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم تسلية لهم
من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة
في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك
العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم
من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما
شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا
ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف
البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه
تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية
من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن
لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضوض عليه
ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم
اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه
فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل الى التصريح بتوبيخ الخائضات
ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره
المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط
الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضوض عليه عن ذلك الآن والتردد
فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما
سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن هذا افك
اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاؤوا
عليه باربعة شهداء اما من تمام القول المحضوض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه
منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم يأتوا
بهم واما جيء بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم
في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة
هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد
خاصة واما كلام مبتدأ مسوق اصالة ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا
من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة
لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض
في الحديث خاض واندفع وخضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التاءين
ظرف لمسكم اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان
متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة
وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق
والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي

تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عند الله
عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او المشايعين لهم قلتم
تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي
وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة وهذا اشارة الى المسموع وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما
مر من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد ان المحتمل الوقوع المفتقر الى التحضيض
الى تركه واما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى
كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف
الاشياء منزلة منزلتها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما يجعل فيما اذا
الظرف موضع المظروف بان يجعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة
باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما عرفت ان مناط التقديم موجبه المختص به وذلك متحقق في جميع متعلقات الفعل
كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن يقول به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه
تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها
تنفر عنه ويخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي ينصحكم ان تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او كراهة
من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان
وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا
بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن البيان
والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة
من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال
الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة
اي ان تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون
مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بينهم
وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة
في حق المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره
والآخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة
وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا
على ما شاهدتموه من الافعال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب
الاليم في الدنيا عبارة عن حد القذف ومثاله كما هو الظاهر وجلب الجهة واما اذا ابقي على اطلاقه واريد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها
التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها مبنيا على ان عذاب من باشر الاشاعة وتولاها اشد
واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله
عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على كمال عظم الجريرة وان الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق

لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحمة التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان
حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه ذلك وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ
خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها
او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يأمر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب
الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر ان يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره
الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من جملة الجزاء الى اسم الشرط او على ان الاصل يأمره وقيل عائد الى من
اي فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته اتيانكم الآيات الموضحة الماحية لذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى
اي ما طهر من دنسها وقرئ زكى بالتشديد اي ما طهر الله تعالى ويرجحه قوله تعالى منكم بيانية … من احد زائدة
واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا لا الى نهاية ولكن الله
يطهر من يشاء من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع
الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار
الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا يأتل اي لا يحلف افتعال من الالية
او لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته
وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل اولوا الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه
والسعة في المال ان يؤتوا اي على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف
المفعول الثاني لغاية ظهوره اي على ان لا يؤتوهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقرئ بالامر بالخطاب
على وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة
والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل الا تحبون
ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته
وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق
بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات اي السليمات الصدور النقيات القلوب
عن كل سوء المؤمنات اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات
عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر
على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر امهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة
والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا
اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه ان العقوبات المترتبة
على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على انهن
قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة من ان يحوم حوله احد حتى ان ابن عباس
رضي الله عنهما جعلها اغلظ من سائر افراد الكفر حيث سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها
وهي منه رضي الله عنه الا للتهويل امر الافك المبني على نهاية غلظه لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والآخرة حيث يلعنهم اللاعنون
من المؤمنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدي عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى
يوم تشهد عليهم الى آخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر

جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب
وان اغضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه
الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيله … كأنه قيل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم
السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها
بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها
كافة لا عن احداها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة
وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها … والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم
عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم وافيا كاملا كلام
مبتدأ مسوق لبيان ترتب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم
ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينتهم
الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي
من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها المبين المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر
انه هو الحق … وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب … الحق
… ولو فتشت ما ذكرت في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد
منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد الشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه والتنبيه على انافة
رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الى آخره كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين
الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم
على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا للخبيثات لان المجانسة من دواعي الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم
والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب
الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل فيها من الخرافات
حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤون مما يقولون على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك
الموصوفون بعلو الشأن مبرؤون مما تقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء
اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين
من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شأنهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه
الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول
متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام
لا تصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه الصديقة ايضا
لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اثر تفصيل
الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات
الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى
كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء حتى تستأنسوا اي تستأذنوا
من يملك الاذن من اصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او لا

الذي هو خلاف الاستيحاش لأن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس وتسلموا على أهلها عند الاستئذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع ذلكم أي الاستئذان مع التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه السلام أتحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه السلام فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر أي أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتعملوا بموجبه فإن لم تجدوا فيها أحدا أي ممن يملك الإذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو أحدا أصلا على أن مدلول النص الكريم عبارة عن النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقا وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لأن الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام ما هو أقوى منها إليه أعني الاطلاع على العورات أولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يؤذن لكم أي من جهة من يملك الإذن عند إتيانه من قبله وتعود حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى يؤذن لكم فعند ابن القطعي معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالإذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الأبواب بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا أي إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أو لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول ولا تلحوا بالإصرار على الانتظار إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أي قدح هو أي الرجوع أزكى لكم أي أطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا أي بغير استئذان بيوتا غير مسكونة أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر إليها كائنا من كان من غير أن يتخذها سكنا كالربط والحانات والحوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فإنه صفة للبيوت أو استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح أي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والحانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم وروي أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة ما ينتظمه البيوت لا أنها المرادة فقط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا أوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الأوامر والنواهي إلى رأيه عليه السلام لأنها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بأن يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه أي قل لهم غضوا يغضوا من أبصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما أن أمر النظر أوسع وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك أي ما ذكر من الغض والحفظ أزكى لهم أي أطهر لهم من دنس الريبة إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الأفاعيل التي من جملتها إجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه ويحفظن فروجهن بالتستر والتصون عن الزنا وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ما لا يخفى إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأمور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فإن في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان

لأنها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن إبدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الإلقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور إلا لبعولتهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذرا من أن يصفوهن لأبنائهم أو نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو ما ملكت أيمانهن أي من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها وقيل من الإماء والعبيد لما روي أنه عليه السلام أتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من أمور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين أي يخفينه من الرؤية من زينتهن أي لا يضربن بأرجلهن الأرض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلا إليهن ويوهم أن لهن ميلا إليهم وفي النهي عن إبداء صوت الحلي بعد النهي عن إبداء عينها من المبالغة في الزجر عن إبداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا إلى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكل بطريق التغليب لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط في إقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما أمرت لا سيما إذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى أيها المؤمنون تأكيد للإيجاب وإيذان بأن وصف الإيمان موجب للامتثال حتما وقرئ أيه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وأنكحوا الأيامى منكم بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فإنه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير زاجر عن ذلك والأيامى مقلوب أيايم جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان أو ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم أي زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وإمائكم على أن الخطاب للأولياء والسادات واعتبار الصلاح في الأرقاء لأن من لا صلاح له بمعزل من أن يكون خليقا بأن يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فإذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الأولياء لهم إذ ليس عليهم في ذلك غضاضة حتى يعتبر في مقابلها غبطة عائدة إليهم عاجلا أو آجلا وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله إزاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أي لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله عز وجل غنية عن المال فإنه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالإغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله

والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق إذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف إرشاد للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابه إثر
أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء أي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا أي أسباب
نكاح أو لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم
وتقوية لقلوبهم وإيذان بأن فضله تعالى أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعدما أمر بإنكاح
صالحي المماليك الأحقاء بالإنكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أي الذين يطلبون المكاتبة
مما ملكت أيمانكم عبدا كان أو أمة وهي أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه إلي وتعتق ويقول المملوك
قبلته ونحو ذلك فإن أداه إليه عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي
بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والتحقيق أن المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر
العقود الشرعية المنعقدة بالإيجاب والقبول لا ريب في أن ذلك لا يصدر حقيقة إلا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما
في العقد إلا الإتيان بأحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر
من فعله الخاص إلا أن كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه إلا منوطا بتحقق الآخر ضرورة أن التزام العتق
بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل من طرف العبد كان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن
من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتملكه من جانب المشتري لم يكن بد من تضمن أحدهما الآخر وتوقفه عليه فكما أن قول البائع
إنشاء لعقد البيع على معنى أنه إيقاع لما يتم من قبله أصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا إيقاعا متوقفا على رأيه توقف
عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا إنشاء لعقد الكتابة أي إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل
أصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا إيقاعا متوقفا على قبوله فإذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره
فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق
فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه إن علمتم فيهم خيرا
أي أمانة ورشدا وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا حالا لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق العنان وآتوهم
من مال الله الذي آتاكم أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك أقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه
حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي رحمه الله للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب
عبد ما بقي عليه درهم إذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وأيضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا
ومسقطا معا وأيضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم أقرضوهم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد
أن يؤدوا ويعتقوا وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيتائه إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وأنفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها
وقيل هو أمر بإعطائهم سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتما والإضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين
بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وإن كان غنيا لتبدل العنوان حسبما نطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا
فتياتكم أي إماءكم فإن كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة وعلى ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقل أحدكم فتاي وفتاتي
ولا يقل عبدي وأمتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الأصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا
من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى إن أردن تحصنا
ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني
أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء
وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فإن
عبد الله بن أبي كان له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت

وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه
حرمه من إمائه فضلا عن أمرهن به أو إكراههن عليه لا سيما عند إرادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه
لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وما قيل من أنه إن جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي لامتناع
المنهي عنه فإنهما بمعزل من التحقيق وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتما للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه
عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن
في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها إباء ظاهرا وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا قيد
للإكراه لكن لا باعتبار أنه مدار للنهي عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النزر
الحقير أي لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب
المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل إذ هو الصالح لكونه غاية للإكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث
ومن يكرههن إلخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه وعود
غائلة الإكراه إلى المكرهين أي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم أي لهن كما وقع
في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهم وكما هي عنه لهن من بعد إكراههن أي كونهن مكرهات على أن الإكراه
مصدر من المبني للمفعول فإن توسيطه بين اسم إن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري إذا قرأ
هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيينهما مع ارتفاع سبق ذكر المكرهين أيضا في الشرطية دلالة على كونهم
محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد إلى اسم الشرط فتوهم تعلقهما بشرط التوبة استقلالا
أو معهن إخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهي في مقام التهويل وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم إما باعتبار أنهن وإن كن
مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصرا عن حد الإلجاء
المزيل للاختيار بالمرة وإما لغاية تهويل الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن
عرضة للعقوبة لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ولقد أنزلنا إليكم آيات
مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للإقبال الكلي
على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لإبراز كمال العناية بشأنه أي وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة
آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على أن إسناد التبيين إليها
مجازي أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ
على صيغة المفعول أي التي بينت وأوضحت في هذه السورة في معاني الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبينا فيها الأحكام فاتسع
في الظرف بإجرائه مجرى المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على آيات أي وأنزلنا مثلا كائنا من قبيل أمثال الذين
خلوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة
رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الأمثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا
وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من الأمثال وموعظة تتعظون
وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ
بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين الحدود والأحكام والموعظة
بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا إذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وأما قوله
للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لقوله تعالى أنزلنا إليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين
ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات
والأمثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السماوات والأرض إلخ حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار
بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه وأما على الأول فتحقيق لما نيط به من السعي وإحلاء ما في درر السورة الكريمة من شامل للكل ما

بيانه من الاحكام والشرائع ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له دخل في البيان اذ
واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور
تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه
مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغايته لكل ما يليق من الاحوال
التي لها دخل في ارشاد الناس بواسطة شمول المستعار منه لجميع ما يتصل ويتعلق من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطرا
العالم الحسي الذي لا مظهر هو نور يحيى سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وهو
من احواله يبين السان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة
او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة
ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى الماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل
في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب والنفس عنهما من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء
عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور اهليهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده النظام
مثل نوره اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه وصف الآيات بالانزال والتبيين
وقد صرح بكونه نورا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم وجعله عبارة عن الحق او عن الشرع
استعارة له وتنزيل الطاعة لا يناسب المقام مع ان شأن الآيات سيقت لها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكرهما ولان المعنى منهم
الا هو الطاعة ولا الاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما الحمل على المعنى مفهوم من حيث هو هو فمحل الطاعة لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة
العجيبة اي صفة نوره العجيبة كمشكاة اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب
وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة اي قنديل من الزجاج الصافي
الازهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين الزجاجة كأنها كوكب دري متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته وابرازه
الكواكب المشهورة وقرئ دريء بكسر الدال وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اي مبالغ في دفع
الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والكاف على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة
معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري
من تفخيم شأنهما ورفع مكانتهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي
دون الوصف المنبئ عن الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة
واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دري يوقد من شجرة اي يبتدأ ايقاد المصباح
مباركة اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل وصف بالبركة لانها من الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين زيتونة
بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة
دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده
الى الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس
عليها حالتي الطلوع والغروب والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها
فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها
اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات
في مقناة ولا خير فيها في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو
في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف لدلالة ما قبلها عليه ملاحظة
قصدا الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض
من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان
الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال
ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها
لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل
لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والمعنى يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان
فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي
او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط
وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حذفا مطردا في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى
على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك
النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة
عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين
وتحديد لمراتب تضاعفه بما فصل من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق
كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه
وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب ما يزيد نورها اشراقا
ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل يهدي الله لنوره
اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد
فخامته الذاتية بفخامة الاضافة الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل
حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية
وملاكها ليس الا مشيئته عز وجل وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس
في تضاعيف الهداية حسبما يقتضيه حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد
المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان
باختلاف حال المسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعلق الاول بمن يشاء
والثاني بالناس كافة والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية
من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداه لمخالفة الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان تكون هدايته تعالى على
مختلفة طرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار
بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شأن القرآن
الكريم ببيانه للشرائع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها
واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى
مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم
المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها
نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة
ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر
البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري واياما كان
ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به وما كانه مستأذن
في ذلك فيقع الامر موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلاهما متعلقة بقوله تعالى يسبح له فيها

فيها تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت
فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا المراد به الصلوات
المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى بالغدو والآصال اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو جمع
كغدي في جمع غداة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشي ويشمل الاوقات
ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوة واوقاتها
لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لبيان تمام كلها لكونهما
الغدو فيها لكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف
ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كأنه قيل من يسبح
فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بالتاء الفوقانية مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول
على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة
اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسنادها الى الوصف كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما بل هذا
اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال
تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة
بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اي ولا فرد من افراد
البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان
ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهاء ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت
كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشراء لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب
لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلوة اي اقامتها
لمواقيتها من غير تأخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده
هنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التعميم اي
اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الى آخره فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم
وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه
القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا
او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بمحذوف مثل يفعلون ما يحكى من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة
والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة
واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها ولا بمقاديرها
ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه
السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد
الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير
اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه النظم

في سلك العلة والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه
بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره كما
لا انتظام الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه
ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله
ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه
هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى آخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اي كمشكاة في بيوت وقيل
لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الكريم كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار
على ما هو الحق وما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالمثل مقطعا فتوسيطه
بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين
بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات وفيه ما لا عهد به
في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين
آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا اعمالهم اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام
وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع
الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن
في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها
جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه الظمآن صفة اخرى لسراب وتخصيص
الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه
الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقنع المؤيس حتى اذا جاءه اي اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اي ما
علق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة
بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك
بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من
الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة
من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم
بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحسب ظنهم في الدنيا نافعة لهم في الآخرة
اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة
لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب
اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير
في الراجعين الى الذين كفروا لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما الحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع
الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام
كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون
بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية
يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا
معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ
وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج مرتفع بالفاعلية لاعتماده على الموصوف والكلام

كما في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة للموج الثاني
على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها
حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ محذوف اي هي ظلمات بعضها فوق بعض اي متكاثفة متراكمة وهذا
بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه
ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اي من ابتلي بها واضماره من غير ذكر لدلالة
المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها
ومن لم يجعل الله له نورا اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى
اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه
لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا
وقوله تعالى الم تر الخ استئناف خوطب النبي عليه السلام للايذان بانه تعالى قد افاض عليه صلى الله عليه وسلم اعلى مراتب النور
واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة
بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشأنه
الجليل من نقص او خلل من في السموات والارض اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية
منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله
يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك
الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة
لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كأن كل شيء مما عزوه ان كل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق
بعلو شأنه تعالى وعز سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة
في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع
من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا
من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما يسبحه ما ذكر من الدلالة التي شاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه
تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية لا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية
والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع
بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب
عنه تقييدها بقوله تعالى صافات اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف
في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والادوات المخففة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط ومنحها المكون وايتائه
لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة
كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية
وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة لما يليق به
بلسان استعداده وحقيقته ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق
بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو يستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض
المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك
الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما على العقلاء وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها
عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما عبر عنه السنون في كل انواع الطير وافرادها والصلاة
والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا بما رفعها فانه

يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اي
التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما في قوله تعالى وكثير من الناس اي ويسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات
اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما
عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم واتقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع
من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ
مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية
قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفائنهم
وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها
اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اي يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه
الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر
وعلى الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر
والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلاته
وتسبيحه للكل اي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين
لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق علمه تعالى به من صلاته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما
داخلان فيها دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات
وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير
اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء
او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه
بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تراكمه
وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته
خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق من الاعتناء بتقرير الرؤية
ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان
كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على
ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها
بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر
لخلوه عن ركاكة حذف المفعول بعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء
بعض جبال كائنة فيها من برد اي شبيهة بالجبال في الكثرة واما ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما
يقطع به والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار
سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد
يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح
فيصيب به اي بما ينزل من البرد من يشاء ان يصيبه فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عن من يشاء ان يصرفه
عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه
قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين

وبرقه بضم الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمة الباء يذهب بالابصار
اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها
كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد
وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما
وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب
وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان
بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع
الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة
اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون
تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم
من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي
على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع
كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف
بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر
بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد
العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله
على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي لقد انزلنا
آيات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي من يشاء
ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التأمل في معانيها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق
والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط
المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم
عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله عليه وسلم واما ما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل
طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا اي
اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد ما صدر عنهم ما صدر
من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة
وما اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف
العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه وآكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد
اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين
حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم اي الرسول بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام
والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام
لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم يأتوا اليه
مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين
معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح

لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار
الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلاثة ام ارتابوا في امر نبوته عليه السلام
مع ظهور حقيتها ام بل ايخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب عن الكل وابطل منشئيته وحكم بان
المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه
لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم
حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة
والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه السلام
لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف منشئيتهما للاعراض فقط
مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث الاصل والوصف جميعا هذا وقد جعل الانكار كالاستفهام المعروف لهم في الجملة المعنى
ام ارتابوا بان رأوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام هذا والنفي حينئذ لنفس الارتياب ومنشئه معا
حال ما ذكر على التفصيل ودع عنك قيل وقال حسبما يقتضيه النظر الجليل انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه
خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل
في التعريف وذلك هنا ان مع الفعل المقدر بالمصدر اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اخرجت الاضافة
لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو
اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب
في ان ذلك هنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث
كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى
انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول عليه السلام بينهم
اي وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم
لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم
المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا
للموضوع وابراز ما هو بخلاف ذلك في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره
مجاوبا بالقول كأنه اذا دعوا الى ان يفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم واولئك اشارة
الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل
اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلوب والناجون عن كل محذور
ومن يطع الله ورسوله استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الدخول
في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن
والاول هو الانسب للمقام ويخش الله ويتقه بسكون القاف المبني على تشبيهه بكتف باسكان العين
اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية
والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدة بالايمان
الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على انه حال من فاعل
اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر
مؤكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اي
بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت

نظام

لكن نحلف لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق الحكاية لفعلهم لا لحكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عليه السلام بردها حيث قيل قل اى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اى على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهى اى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بكونها كذلك مشهورة معروفة لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ او خبر او فعل مثل الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقة لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او لتكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التى منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول فى الاول نهى بطريق الرد والتقريع كما فى قوله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون وفى الثانى امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة فى شىء اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الامر بها والمبالغة فى ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه فى تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان فى خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بالواسطة عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولى عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول المأمور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ فى التبكيت يكسر سورة الامر والغاء الترهيب بعد اعلى تبليغه عليه السلام للمأمورين بانهم وعدم التصريح بالاذن بتعاطيهم مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اى ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اى فاعلموا انما عليه عليه السلام ما حمل اى امر به من التبليغ وقد اتى به عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اى ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية فى عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اى فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذى هو المقصد الاصلى الموصل الى كل خير المنجى عن كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لما فى تقديم الترهيب من تقديم التخلية وتقريبه مما هو مقصود به من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولى وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا او للعهد اى ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا استئناف مقرر لما فى قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التى هى من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اى طائفة كان وفى اى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى امر بها ورتب عليها ما نظم فى سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته فى استتباع الآثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تأخيره عنهما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما

فلان من بيانية والضمير للذين معه عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب فى انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحات مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة كما لا يخفى هذا ومن جعل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته عموما على ان من تبعيضية او له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وابعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم فى الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اى ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك فى ممالكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحات كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التى اشير اليهم فى قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهى مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية اى ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل فى الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبنى للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم فى الارض فيستخلفن فيها استخلافا اى مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين اى فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اى فلم يبق الا مسحت وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه فى سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها فى الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه فى كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشىء مكانا لآخر يقال مكن له فى الارض اى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له فى الارض ونظائره وكلمة فى للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض فى الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم مع التشويق اليه ترغيبا لهم فى قبوله عند وروده ولان فى توسيطها بينه وبين وصفه اعنى قوله تعالى الذى ارتضى لهم وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفى اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اى من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتى علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة يعبدوننى حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف وما انتظم معه فى سلك الوعد لا يشركون بى شيئا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئا ومن كفر اى اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اى بعد ذلك الوعد العظيم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعى الجميل فى حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون فى تيه الغواية والضلال هم الفاسقون اى الكاملون فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب والترغيب بقوله تعالى فان تولوا وترغيبه تعالى اياهم فى الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الى آخره ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الكلمات مما يستدعيه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهى عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحا

واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على اطيعوا الله ولا يبعد في جزالة النظم الكريم ۞ واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالطاعة
بامرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعة الله تعالى في الحقيقة تاكيدا للامر بها وتقريرا للمتعلق على ان
المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية ايضا اي اطيعوه في كل ما امركم به ونهاكم عنه او تكميلا لما قبله
من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر عدا ما مر من الشرائع اي اطيعوه في سائر ما امركم به الى آخره
وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة اي افعلوا ما ذكر
من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من اطاعه عليه السلام واشير الى فوزه
بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه السلام ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان
تناهيه في الفسق تكميلا للامر بالترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم
على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع
صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى
في الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول
الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا
كل مهرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على ان الفاعل كل احد او النبي كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين لنا في الارض او
الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين في الارض واما جعل معجزين
مفعولا اول وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة
في بيان كون المعجزين في الارض وقد تحرر ... اي حاصل في الارض خلقه وقوله تعالى ومأويهم النار معطوف على جملة النهي
بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأويهم الخ او على جملة
مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأويهم الخ وجعل الجملة المقدرة بل هم مقهورون
فتدبر ولبئس المصير جواب القسم المقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي
لا محل له وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در
شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان بقية الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة
فيها وفي الاحكام اللاحقة من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص
او للفريقين جميعا بطريق التغليب روي ان غلاما لاسماء بنت مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي
الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري والذين
لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اي من الاحرار
ثلث مرات اي ثلثة اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات
لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي احدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم
اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة اي من شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين
والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما انبئ عنه
ايراد الحين مضافا الى فعل حادث متقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال ...
ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد والاطراد فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح
ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما

المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما لطرفي ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلث عورات
خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة
وجوب الاستيذان اي هن ثلثة اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى
بستره اطلق على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم
ولا عليهم اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع
على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان
البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل كل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي
هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف به والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها
بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستأنفة
لا غير اذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم ثلث عورات لا اثم في ترك الاستيذان
بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لا علاقة له مع الامر بالاستيذان لم يتبين ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع
فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان
وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات
بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر
الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح
بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالة
عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم
متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام
وليس بواضح مع انه يؤدي الى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم
حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين
آنفا حكم الاطفال في انه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا
لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كالرجال الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي واذا بلغ الاطفال الاحرار
الاجانب فليستأذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين من قبلهم في حيز النصب
على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل الذي والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية وصفهم
بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان
هؤلاء وان عدا اليه ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع وانما
المعروف ذكرهم قبل ذكرهم اي فليستأذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا في جميع
الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي
سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء
اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها غير متبرجات
بزينة غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم
سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع

فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج كان هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذاراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فإن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت إليه عين أكيله وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو إلى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك يقولون ذهب بنا إلى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الأكل من أموال الذين كانوا إذا خرجوا إلى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا إليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء أيضاً يتحرجون من الأكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على أنفسكم أي عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج أن تأكلوا أي أنتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة أيضاً يأباه ما قبله وما بعده فإن الخطاب فيهما لغير أولئك الطوائف حتماً من بيوتكم أي البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه السلام إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الأولى وفتح الثانية أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه أو صديقكم أي أو بيوت صديقكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من الأقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرابهما وهذا كله إنما يكون إذا علم رضى صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول إني أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير وقيل كان قوم من الأنصار لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا إذا اجتمعوا ليأكلوا طعاماً عزلوا للأعمى وأشباهه طعاماً على حدة فبين الله تعالى أن ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعاً حال من فاعل تأكلوا وأشتاتاً عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على أنه صفة كالحق يقال أمر شت أي متفرق أو على أنه في الأصل مصدر وصف به مبالغة أي ليس عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين فإذا دخلتم شروع في بيان الآداب التي تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه بيوتاً أي من البيوت المذكورة فسلموا على أنفسكم أي على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضي الله عنه أنه عليه السلام قال متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير لتأكيد الأحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون أي ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية

القصوى بعد تذييل الأولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استئناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة تقريراً لها وتأكيداً لوجوب مراعاتها وتكميلاً لها ببيان بعض آخر من جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبراً للمبتدأ مع تضمنه له قطعاً تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده وإيذاناً بأنه حقيق بأن يجعل قريناً للإيمان بهما منتظماً في سلكه وهو قوله تعالى وإذا كانوا معه على أمر جامع معطوف على آمنوا داخل في حيز الصلة أي إنما الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة في الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه عليه السلام على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولي الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع لم يذهبوا أي من المجمع مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند إقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستأذنوه عليه السلام في الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الإذن المنوط برأيه عليه السلام والاقتصار على ذكره لأنه الذي هو من جهتهم وهو المعيار لكمال الإيمان لا الإذن ولا الذهاب المرتب عليه واعتباره في ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فإن ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب بغير إذنه عليه السلام من الجناية والتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان وفي أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى فإذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وأن الإذن عند الاستئذان ليس بأمر محتوم بل مفوض إلى رأيه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي بعد ما تحقق أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استأذنوك لبعض شأنهم أي لبعض أمرهم المهم وخطبهم الملم فأذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة إن الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في إفاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لإبراز مزيد الاعتناء بشأنه أي لا تجعلوا دعوته عليه السلام إياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضاً أي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في حال من الأحوال وأمر من الأمور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استئذان فإن ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقريب الجملة حينئذ لما قبلها إما من حيث أن استجابته تعالى لدعائه عليه السلام توجب امتثالهم بأوامره عليه السلام ومتابعتهم له في الورود والصدور أكمل إيجاب وإما من حيث أنها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدي إلى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه السلام عليهم وأما ما قيل من أن المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام قد يعلم الله الذين يتسللون منكم تهديد لمخالفي أمره عليه السلام فما ذكر من قبل وتوسيط ما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما أن رب للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر أي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية لواذاً أي ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالإذن إراءة أنه من أتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أي ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة أي يلوذون لواذاً والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره لترتيب الحذر أو الأمر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم فإنه مما يوجب الحذر البتة أي يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الإعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لأنه الآمر حقيقة أو للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالذكر أن تصيبهم فتنة أي محنة في الد

أو يصيبهم عذاب أليم أي في الآخرة، وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع، وإعادة الفعل صريحاً للاعتناء بالتهديد والتحذير، واستدل به على أن الأمر للإيجاب فإن ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن إصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتماً

ألا إن لله ما في السموات والأرض من الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصرفاً إيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة قد يعلم ما أنتم عليه أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق ويوم يرجعون إليه عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب، وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده، وفيه إشعار بأن علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعاً، ويجوز أن يكون الخطاب أيضاً خاصاً بالمنافقين على طريقة الالتفات، ويرجعون مبنياً للفاعل فينبئهم بما عملوا من الأعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيترتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء، وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية والله بكل شيء عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة

مما مضى ومما بقي م

سورة الفرقان سبع وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية، وكثرة الخير ودوامه أيضاً، ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية، وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فإن ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار غاياتها، وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية، والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لإفادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئاً فشيئاً وآناً فآناً بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها، ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والإشعار بالتعجب المناسب للإنشاء والإنباء عن غاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى. والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أي فصل بينهما، سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين المحق والمبطل بإعجازه، أو لكونه مفصولاً بعضه من بعض في نفسه أو في إنزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم، وإيراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والإيذان بكونه عليه السلام في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى ليكون غاية للتنزيل أي نزله عليه ليكون هو عليه السلام أو الفرقان للعالمين من الثقلين نذيراً أي منذراً أو إنذاراً مبالغة أو ليكون محمد إنذاراً، وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة، وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل، وإيراد تنزيل القرآن في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيهاً على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له ملك السموات والأرض أي له خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما إيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتةً وأمراً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح، ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الأول أو بيان أو بدل منه وما بينهما ليس بأجنبي لأنه من تمام الصلة ومعمولها، مقدمة للكفرة ما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله، ونظائره، أو مدح له تعالى بالرفع أو النصب ولم يتخذ ولداً كما زعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون سبحان الله عما يصفون، وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للإيذان بأنه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن له شريك في الملك أي ملك السموات والأرض وهو معطوف على الصلة وإفراده بالذكر مع أن ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعاً للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله

والأصالة والاحتراز عن توهم كونه تتمة للأول وخلق كل شيء أي أحدث كل موجود من الموجودات إحداثاً جارياً على سنن التقدير حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة، بأن خلق كلاً منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والأحكام فقدره أي هيأه لما أراد به من الخصائص والأفعال اللائقة به تقديراً بديعاً لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك والنظر والتدبر في أمور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع. وقيل أريد بالخلق مطلق الإيجاد والإحداث مجازاً من غير ملاحظة معنى التقدير وإن لم يخل عنه في نفس الأمر، فالمعنى أوجد كل شيء فقدره في ذلك الإيجاد تقديراً. وأما ما قيل من أن المعنى أحدثه تعالى خلقاً لأنه تعالى لا يحدث شيئاً إلا على وجه التقدير من غير تفاوت، ففيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الإحداث للتجرد عن معنى التقدير، فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعاً. وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء إلى الأجل المسمى، وأياً ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة، فإن خلقه تعالى لجميع الأشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الألوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائناً ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ شيء من ذلك قطعاً، وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولداً له سبحانه أو شريكاً في ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين حقية الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب وإظهار بطلانها، والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم، أي اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والأرض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة لا يخلقون شيئاً أي لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء أصلاً وهم يخلقون كسائر المخلوقات، وقيل لا يقدرون على أن يختلقوا شيئاً وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير، وقوله تعالى ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم، فإن بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان، وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه إليهم فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم، وتقديم ذكر الضر لأن دفعه مع كونه أهم في نفسه أول مراتب النفع، وتقديمه مطرد في جميع المواقع، والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً أي لا يقدرون على التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء وإحياء الموتى وبعثهم، بعد بيان عجزهم عما هو أهون من هذه الأمور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل، والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على جميع ذلك، وفيه إيذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الأمور المذكورة مفتقرين إلى التصريح بذلك وقال الذين كفروا إن هذا إلا شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معاً وإبطالها، والموصول عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم، وروي عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك، وأما وضع الموصول موضع ضميرهم فلذمهم بما في حيز الصلة والإيذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم، وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار إليه أي ما هذا إلا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه أي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بأن يلقوا إليه أخبار الأمم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته، وقيل جبر ويسار وعداس وكانوا يقرؤون التوراة والإنجيل، وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاؤوا ظلماً منصوب بجاؤوا فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته، أو بنزع الخافض أي بظلم، قاله الزجاج، والتنوين للتفخيم أي جاؤوا بما قالوا ظلماً عظيماً لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إفكاً مفترى من قبيل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته، ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والأحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر وزوراً أي كذباً كبيراً لا يبلغ غايته حيث نسبوا إليه عليه السلام ما هو بريء منه، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر أو يحصل بسببه بل على أن الثاني عين الأول حقيقة وإنما الترتب بحسب التغاير الاعتباري وقد لحقوا تلك المعاني بأن جاؤوا

من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم كيفية
الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها
لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام
وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه
فهي تملى عليه اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر ان
يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام لاسناد
الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه عليه السلام بكرة واصيلا اي دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر
الى هذه المرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الخفية والجلية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر
مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك كما تزعمون وتفتعلون جاءه قوم وكتابة
اخرى من الاحاديث المفتعلة اساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع
فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة
لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم
سوط العذاب صبا فقوله تعالى انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر
على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم اياها وغاية قدرته تعالى عليها
وقالوا ما لهذا الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوص المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة بالابتداء
خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه عليه السلام وتسميته عليه السلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه السلام كما قال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم وقوله تعالى يأكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي
اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لابتغاء الارزاق
كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون
وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه
بل لوجود سبب عدمه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب
وانكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما
ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه
ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وما هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز
الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته فيكون معه نذيرا تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل
والمشي الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى
او يلقى اليه كنز تنزل ايضا من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش
ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة يأكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع
وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عليه السلام
الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر
وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا لك الامثال

استعظام للاباطيل التي اجترءوا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة
الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع
فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا
الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او ضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون
طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك
الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك
الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها
الانهار بدل من خيرا محقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار ويجعل لك
قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه
الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا
بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها
بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما
عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية انما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف
للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتي في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم
بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب
بقوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت
بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم اي لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون
في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم
بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية
تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الرسول على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها
والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع
العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق
لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي
واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل
المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة
الى تكذيبك وقوله تعالى اذا رأتهم صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى للناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى
ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية
اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى
من مكان بعيد اشعار بان بعدها منهم من الشدة حيث يأتيهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات
المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن
مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف
المضاف واذا القوا منها مكانا نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا
مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الجنة بان عرضها السموات
والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه

عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون
يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال من مفعول القوا اي
اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر
مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اي
هلاكا وينادون يا ثبوراه هلم فهذا حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه
حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه
ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول لاجل الاشعار
اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول وقيل هو جواب سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند دعائهم
المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة
لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في
نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه
من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرار الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء
وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه
واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها
فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عنه
ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه
على انه ليس كسائر الايام المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير
باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم
اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن اهلها ذيت وذيت خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق
التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت لهم في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده الله تعالى
فهو كائن لا محالة فحكى تحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها ما يشاؤن
اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقنع بما اتيح
له من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان
خالدين حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ او من فاعل يشاؤن كان اي ما يشاؤنه وقيل الوعد
المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسئولا اي موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه
المتنافسون او مسئولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود
متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بانه
عليه السلام هو الفائز بآثاره ذي اثر مقام الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على
قل اذلك الى آخره اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة
عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم
وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رأيت
شبحا من بعيد تقول ما هو واما لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام على غيرها منها على انهم مثلها

في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام
ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل فيقول اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا
للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريقة الالتفات الى الغيبة أأنتم
اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله سبحانه
ام هم ضلوا السبيل اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول
كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضمير على الفعلين لان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم
لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم
اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما صح وما استقام لنا ان نتخذ من دونك اي متجاوزين
اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان يتخذنا وليا
او ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه
اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني
من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون هم الجن والاصنام
ولكن متعتهم وآباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا
اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا
في الشهوات وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب الهداية
بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم
من الاعمال السيئة قوما بورا اي هالكين على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع
بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين
الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله
تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة بما تقولون اي في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا وفيه ان تكذيبهم
في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصرهم
واياما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم
بقولهم سبحانك الآية فما تستطيعون اي ما تملكون صرفا اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي
لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اي فردا من افراد النصر
لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت
الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون
على صيغة الغيبة اي ما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما
ومن يظلم منكم ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا
في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله
سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وعموم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرطي اقتضاء
الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة
بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء

لمفعول اي يشبهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلم بطريق التغليب
والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتعيينهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبالثاني قوله تعالى لبعض
رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد
البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا معينا من الاولين فتنة لبعض معين من الاخرين
ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون لمجموع الامم ولا كل فرد منهم لكل فرد من الامم ولا بعض معين من الاولين
لبعض معين من الاخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة
من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال او اريد تعميم الخطاب لجميع
المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى جعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فتبادر قوله تعالى
اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور من ليس ان ليس ابتلاء كل احد من احاد الناس من معيا بالصبر لا بانيا بحاله
على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله للدلالة على ان اللائق بحال المفتونين المتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير
فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فالمعنى على التسلية له عليه السلم فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمنابذتهم
لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد
كريم للرسول عليه السلم بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلم بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره
صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض اخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر
ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز
الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاؤه عبارة عن مصادفته من غير
مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه كما في قوله تعالى
اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء
ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا
اي قال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا
الملائكة اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه السلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم
او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما ينبئ عنه قوله تعالى لقد استكبروا
في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها ما ليس من شأنها العظمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان
عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله
ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم على انفسهم الخبيثة اي انهم
ترقوا اليها احداق الامم ولا امتدت اليها اعناق الهمم ولا نالها الا اولوا العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الاية وفيه من الدلالة على قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم
وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلم
بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر
بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما دل عليه قوله تعالى
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه
بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك بشرى يمنعونها
او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة مثل في البغض والمقت لا
الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان
غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما

من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين
مبين على انه مظهر وضع موضع المضمر تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين
ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو
والشفاعة في وقت اخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون بالعطف على ذكر من الفعل المنفي المبني عن فظاعة ما
بهم من الشر وغاية هول مطلعه من انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور
وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى
ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون
نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه
عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة فقالوا
للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير
وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا
سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث
لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد
تشبيهه والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه اعمالهم المحبطة في حقارتها
وعدم الجدوى بالهباء المنثور في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين
اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاية يومئذ خير مستقرا
المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يأوي اليه للاسترواح الى
الازواج
مقيل
التمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين
والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل
واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الاية هذا
وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء
اي تتفتح واصله تتشقق فحذف احدى التاءين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام
الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت
الملائكة ونزل وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والنزال ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل
الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا
ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له
تعالى خاص بيومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق
بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وانما كان
بالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان احواله
وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله
عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله
المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديد الهول وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفاصلة واما للمؤمنين فيكون يسيرا

بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي
عليه السلام فدعاه عليه السلام يوما الى ضيافة فابى عليه السلام ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه
فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تأتيه
فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت
راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد
في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول حال من فاعل يعض وقوله
يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه واما المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته عليه السلام طريقا ولم اكن
ضالا لا طريق لي قط يا ويلتا بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري وقرئ على الاصل اي يا ويلتي اي هلكتي تعالي واحضري فهذا
اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث
والفلان والفلانة من غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثاني
عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان هل هي واو او ياء فان اريد بالظالم عقبة
ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني
وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر
تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني
عن ذكر الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى
وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف
الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته
واغوائه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه في الاخرة وهو ادخل في حال ابليس وقال الرسول
عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم من الاهوال
والتعبير عنه عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام اي قالوا
اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يريد الذين
حكي عنهم ما حكي من الشنائع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب
كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان
من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن
وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو
من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى
فان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون
ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي

وهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر
على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب
اجله واجراء احكامه الى اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم
الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به
والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن نزل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان
هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن
الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور
حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها
تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فانه استئناف وارد
من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لفعل مضمر معلل بما بعده
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك
التنزيل المفرق فؤادك فان في تيسير الحفظ وفهم المعاني وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح
المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد
في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة
من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث
امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكل وقوله تعالى
ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك الفعل المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله
تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا
وقال مجاهد جعلناه بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا
في عشرين سنة او في ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة
العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن الا جئناك
في مقابلته بالحق اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحى عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القاطعة
لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا وعلى محل الحق
اي اعطيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون له حسن في الجملة
وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه
وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا كما ترى ناطق ببطلان جميع الاسئلة
وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال
تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي
كانوا يقترحون كونه صلى الله عليه وسلم عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه
جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال
الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان نعطيه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني الذي انت عليه في الذات والصفات
ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دافعا لها
ولا ريب في ان ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل
دفعها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين

وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم
وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا والجار متعلق بمحذوف هو حال من ضمير يحشرون اي يحشرون مسحوبين على وجوههم الى جهنم
عنده تعلق بالسحب متوجهة وجوههم اليها فبعيدا وجر الى جملة محل الموصول النصب او الرفع على الذم او الرفع على الا
وقوله تعالى اولئك بدل منه او بيان له وقوله تعالى شر مكانا واضل سبيلا خبره او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره
والجملة خبر الموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم
على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقاويل تحقير مكانه
عليه السلام وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى
وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب
لقسم محذوف اي بالله لقد آتينا موسى التوراة اي انزلناها عليه بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى
اخاه مفعول اول له وقوله تعالى هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى
وزيرا مفعول ثان له وقد مر معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما اذهبا الى القوم الذين
كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم
عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر بل انما وصفوا
بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فارياهم آياتنا كلها فكذبوها
تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة
اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية
تدميرهم وقع والمقصود في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له دخل في هلاكهم كسائر الآيات
للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق
الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم فدمراهم وفدمرانهم على التأكيد
بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل معطوف على مفعول فدمرناهم
وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لاسيما بسبب قوله تعالى لما كذبوا الرسل اي نوحا ومن قبله
من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم
وانما يستقيم ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لما
لا يعمل فيما قبله مع انه مخل بعطف المنصوب الآتي على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف
مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية اي عبرة عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها
او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها
واعتدنا للظالمين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما
هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعداد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين اي الباقين الذين لم يعتبروا
بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم
نوح على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما تعسف والاوجه ان الكلام قد تم فيما بعد
كما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله
عز وجل اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس
قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار
وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها

وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها
حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه في بئر
وقرونا اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين
ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة
ثم يقول فذلك كت وكت على معنى فذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء
في شأن تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة
وكلا منصوب بمضمر دل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة
اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم
اتعاظهم بالامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة
الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا
عجيبا هائلا لما انهم لم يتعظوا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت
قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان
مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد
اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة وهي قرية قوم لوط وكانت خمس قرى
ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المراد بقوله تعالى
مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل انبته الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان
اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة
لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار موجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم
وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او الم يكونوا
ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر
وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اضراب
عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك
عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي
الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع
للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون
بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه
من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق وانما انتقل من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم
توقع النشور واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا هزوا اي موضع هزو او مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام
على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما يلوح به ظاهر العبارة كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك
هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا
محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزءون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله
رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفة عليه السلام مع كونهم في غاية الانكار له للتهكم والاستهزاء
والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشأن
اي انه كاد ليضلنا عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول
الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها

ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الى العزم
وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث
شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم روي انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى
لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى
حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى
لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية
قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه
والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجيب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما
في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارأيت من جعل هواه الها لنفسه
من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه
وقوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال
ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كانه قيل ابعد ما شاهدت غلوه في طاعة
الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة
واهتمامه بالارشاد والتذكير على انه لا يقع كالاول بل على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما يتلى
عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني
بشأنهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها
وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى ان هم الا كالانعام جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير
وتاكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه
من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم اضل منها سبيلا لما انها تنقاد
لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي
لمراعيها ومشاربها وتأوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار
والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب
لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام الشرور
ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة
والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى
المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون
للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال الم تر الى ربك بيان لبعض دلائل
التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر للتقرير والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته اي الم تنظر
الى بديع صنعه تعالى كيف مد الظل اي كيف انشأ ظل اي مظلل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس
لانه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكونه بانشائه
تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات
فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر لذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود

فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه
من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من ضح الشمس وما ذكر وان كان
في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته
عليه السلام لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون
الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا دخل فيما ذكر من المد
للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي
هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه
الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به ما قبله من بيان كمال قدرته تعالى
وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها
على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا ذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل
على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان
وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله
من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير
مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة
التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني كما في بيان كون القبض والمد مترتبين دائرين
على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشأناه ممتدا ومحوناه
بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع
المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان
حدوثه منه عز وجل قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة للمصالح
المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم
النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه
ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا
غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه
بانشائها ووصف القبض باليسير كما في قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام
الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان
احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم
اللباس والنوم سباتا اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافعال المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات
الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريقة المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ان المراد
هو الجنس بشرا مخفف بشر جمع بشور اي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف
وفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر والانعام

الى نون العظمة في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح
اي انزلنا بعظمتنا بما رتبناه من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه مطهرا
لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة
كما تقول ماء طهورا او اسم كما في قوله عليه السلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا
كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة وتتميم للمنة فان الماء
الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك
واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا بانبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار
على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك
الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمناقع والآبار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي
الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار
والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان
مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للاناسي وعامة منافعهم
ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى
لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء
وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كانعام في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر
انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين
والمتاخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيامه
وقيل الضمير للمطر وتصريفه تنويع انزاله في بعض البلاد دون غيرها في بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى
طلا وحينا ديمة وقد رهمة والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران
وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار
الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعل بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات
والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة
لما انه عليه السلام كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بما يتألف قلوبهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن
بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين
على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان
مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يحمل الباء على الملابسة ليكون
المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل وجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة
كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا كل قرية نذيرا
من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا
جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فان من تتبعه انما اللائق بالمقام
بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج
دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعله مخفف مالح

كرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا
كان كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ
لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل
واختلاف الصفة مع مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاحق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الماء
الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة
فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء
مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى
اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك
فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل
لهم ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك
بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل
مع نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على
الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين
من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال
طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها
بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصفه بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي من الصفات
الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام
على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة
لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن
مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مسند لما ذكر من وجوب التوكل عليه
تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه
في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع
روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل
الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسأل به
اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا لتعديته بالباء فائدة
فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء
بعد الذكر ليس كذلك والمعنى ان تقدير اي ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره او بنزل
منزلة اهل التقدير اي شيء يتحقق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر
الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فلا حاجة
حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا

يحيى ما يراد في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبره وقرئ فسل. واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا
انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير ان نعرف ان المسجود له ماذا وقيل لانه كان معربا
لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس
سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع
ليلة قمراء ولما كانت الليالي بالقمر تكون قمراء اضيف اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي
الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان
يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن
اراد ان يذكر اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم بالعباد
او اراد شكورا اي ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه
في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن
واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتخصيص وهو مبتدأ خبره ما بعده
من الموصول وما عطف عليه وهو ما في آخر السورة من الجملة المصدرة باسم الاشارة والاول هو الاولى لما فيه من التنبيه على ان
الاوصاف المذكورة لهم قصدا والاشعار بكون من عداهم ممن بهما خارجين عن رتبة العبودية وفيه من المبالغة
في الحث على الاتصاف بها ما لا يخفى وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا
اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون هينين
ليني الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال الا
لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم
في انفسهم اي اذا خاطبهم السفهاء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به
من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون
الليل كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اي
في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما وهلاكا
لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون
الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز
ان يكون تعليلا للاول وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه
ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا احتمال التعليلين
من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا لم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل
الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبضمها مع التخفيف والتشديد

وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما
وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز
ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه
والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاشراك
والقصد لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص
وتهويل القتل والزنا بنظمهما في سلكه والتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة الا بالحق اي
لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلون قتلا الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها
في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي
جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعون
عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي شيئا مما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد
اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقدير للتفخيم وقرئ
اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف
ونضعف المضاعف ويخلد فيه مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد
والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب وتضعيف العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته
للاولين فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه اي
اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها
لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد
ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا
وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم
عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه يتوب الى الله اي
يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى
الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع الى الله تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون
الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق
الاتفاق باللغو اي بما ينبغي ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه
والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم المشتملة على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين
لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعات وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده
اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسرهم عليه وتقر بهم عينه لما يشاهد من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم
في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ ذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما
وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا يسمح عليها نظرا الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون
بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا

أو لأن المراد واجعل كل واحد منا إماما أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وأنت خبير بأن مآل الكل صدور هذا الدعاء عن الكل بطريق المعية وأنه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس عقد واتفاقهم على كلمة واحدة وإما عن كل واحد منهم بطريق شركة غيره في استدعاء الإمامة وليس بسديد بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين إماما خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وأبقي إماما على حاله وقيل الإمام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم وإعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم أولئك إشارة إلى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الأبدية إثر بيان ما لهم في الدنيا من الأعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال أي يثابون على أعمالهم الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي اسم من أسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما أي تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الآفات ويلقون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كما في مقابله قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلا أي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم أي أي عبء يعبأ بكم أي أي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فإن ما خلق له الإنسان معرفة الله تعالى وطاعته وإلا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه أي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل معناه ما يصنع بكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز أن تكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم أي فقد كذبتم بما أخبرتكم به وخالفتموه أيها الكفرة ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال إذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أي الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الإيذان بأن مناط تميز أحدهما عن الآخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الوصف ليس إلا اختلاف الأعمال فسوف يكون لزاما أي يكون جزاء التكذيب أو أثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره والتنبيه على أنه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء آياتها مائتان وسبع وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها في الميم وهو إما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على أحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة كما عليه إطباق الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وهو أظهر من الرفع على الابتداء كما مر وجهه في مطلع سورة يونس أو النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر أو اقرأ وكلمة تلك في قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين إشارة إلى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد أو اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار إليه في الفخامة ومحله الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من الأول والمراد بالكتاب القرآن والمبين الظاهر إعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها أو الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك أي قاتل وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الإضافة ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين أي لعدم إيمانهم بذلك الكتاب المبين أو خيفة أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى إن نشأ الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أي إن نشأ تنزيل آية ننزل عليهم من السماء آية أي ملجئة لهم إلى الإيمان قاهرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فظلت أعناقهم لها خاضعين أي منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم في الصيغة أيضا كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين وقيل أريد بها الرؤساء [illegible] من الناس أي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على إسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فإن الإعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الإطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى المحضة لمنفعتهم أشنع وأقبح أي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة محدث تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إلا جددوا إعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء وإصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا أي بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء ولم يكتفوا بالإعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطير وأخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أي فسيأتيهم البتة من غير تخلف أصلا أنباء ما كانوا به يستهزئون عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الإعراض والتكذيب للإيذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير إليه حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون والأنباء ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك إما لكونها مما أنبأ بها القرآن الكريم وإما لأنهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة القرآن كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء وفيه تهويل له لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم أي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزئون به قبل من غير أن يتدبروا في أحواله ويقفوا عليها أولم يروا الهمزة للإنكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أفعلوا ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا إلى الأرض أي إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية إلى الإقبال على ما أعرضوا عنه وقوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف مبين لما في الأرض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية إلى الإيمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لإفادة الإحاطة والكثرة معا ومن كل زوج أي صنف مستحسن كثير المنافع من كل شيء مرضي محمود أي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ما عداه من الأزواج لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل أن يراد به جميع الأصناف النافعة فيها والضارة ويكون وصف الكل بالكرم

للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل
فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة الى مصدر
انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لآية اي آية
عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازاعة عن الكفر وما كان اكثرهم
اي اكثر قومه عليه السلام مؤمنين قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون اختيارهم
الذي عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم
مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه
تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما يخفى على مهرة العلماء المتقنين
كانه قيل ان في ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي
والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور
التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترءوا عليه من العظائم
الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام
من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات
التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم اي واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم
فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين
الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل بما ينبئ عن اصرارهم
على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
عقب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا ان ائت
يغني عنها بالجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد
في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى واراد ما جرى في قصة
واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال ما منعك الا تسجد قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار
على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون استئناف اتبعه عليه السلام ارساله اليهم للانذار
تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بالخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم
ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه
اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون
بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل
قال متضرعا الى الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان
على اخاف فارسل اي جبريل عليه السلام الى هرون ليكون معي واعاضدني في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء
ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب
عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعترته حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته
وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق
بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع فاخاف

اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية
المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف
وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن
فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل
للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بمحضر من
اخيه هنا في المعية قيل اجراهما مجرى الجماعة وقيل اريد بهما وما قبلهما وما بعدهما من ضمير التثنية اي سامعون لما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل
حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير
الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء
في قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد
للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما
او لانه مصدر وصف به والفاء في قوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول
ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به
يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن
له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا
اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين
واقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة
سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين
اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او وانت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره حيث كان
يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال من احدى التاءين ويجوز ان تكون حكاية مبتدأة عليه
من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا له مصدقا له في القتل
ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعم او
اي من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز لانه اراد به الزجر
كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت منكم الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما
لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به
قدحا في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان
في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار
اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار
الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها
علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده بل منه ومن ملئه قال فرعون لما سمع منه عليه السلام
تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد وشرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام
فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي
ادعى انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري
وعبده عند علماء امته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما بتعيين ما اراد

بالعالمين وتفصيل لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين
بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال
اى فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن
عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون جوابه عليه السلام
مع كونه مما لا يليق بان يعبأ به امر حقيق ان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف ما
لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا تحت ما قبله ربكم ورب آبائكم
الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف
من تأثر قومه منه فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا مقالته الشنعاء بحرفي التوكيد
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليغضبهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى المخاطبين
ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا لجوابه
الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقاله فان بيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد
حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى
معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها
على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امر حادث مفتقر الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات
والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها واستغنائها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اى ان كنتم تعقلون
شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل
في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام
تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه مما لا يجارى في حلبة المحاورة
ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه
ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه في دعوى الالوهية وهذا صريح في ان تحيره وتعجبه من الجواب الاول وسكوته عليه السلام
في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غيره لا لما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتحيره من جوابه كان لعدم
مطابقته له لكونه بذكر احواله وافعاله وهذه النظم الكريم لا لحال فرعون ولا لمقاله واللام في المسجونين للعهد اى لاجعلنك ممن عرفت
احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اى اتفعل
بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اى موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين
الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل فالواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام
اى جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف اى كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه
فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال
على ابعدها واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان
يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة تعلق الحكم بما بعدها ليظهر تحققه معه تحققه مع ما عداه
من الاحوال التي لا تنافيه وبين الحكم بطريق الاولوية المبني على ذكر الواو العاطفة عن تفصيلها كانك قلت فلان يعطي
لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فلما كان في حقيقته كلتا الجملتين المتعاطفتين المذكورة على ان

الواو للحال وتصدير الحي بما ذكر من كلمة لو دون ان لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى افعل ذلك في
حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي قال فأت به ان كنت من الصادقين اى فيما دل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين
موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين اى ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال
في سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الآية الاولى
قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق قال للملأ حوله اى مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء
الربوبية الى حضيض الخضوع للعبيد في زعمه والامتثال لامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي
والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا
ارجه واخاه اى اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اى شرطا يحشرون السحرة يأتوك اى الحاشرون
بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع وحثهم على المبادرة
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اى نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك
ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما مرادهم ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك
وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم
بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اى بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون
لم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا اى وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم
واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اى تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف
احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون اى ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم
انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اى اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم
وتردد غير متمالكين كان ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه
وفيه دليل على ان منتهى السحر هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين
بدل اشتمال من القوا او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم
ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة
قال اى فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اى بغير اذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شيء فلذلك
غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون
اى وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدهم به قالوا
لا ضير اى لا ضرر علينا وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اى لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم
لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا
من الانقلاب الى ربنا بسبب من الاسباب والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا
اى لان كنا اول المؤمنين اى من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اى لا ضير علينا في ذلك انا نطمع

ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين وقرى ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة
المدل بامره كقول العامل لمستأجر اخر اجرته ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة
الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرى ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وان سر
من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بهم حتى لا يدركوكم قبل الوصول
الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المداين حاشرين جامعين
للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقللهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا
بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع
عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان على رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف
الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم
لقلتهم لا نبالي بهم ولا نتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ
والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرى حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات
وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرى حادرون بالدال المهملة اي اقوياء اشداء او مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك
حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب وحملتهم عليه من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كان لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجناهم اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم
او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كان لهم كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي
ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها
فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرى فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس الى طلوعها فلما ترائى الجمعان
تقاربا بحيث يرى كل واحد منهما الآخر وقرى ترائت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة الاسمية
مؤكدة بحرفي التاكيد لانه دال على تحقق لادراك اللحاق وتنجيزه وقرى لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء
اذا تتابع ففنى اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي
بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت
فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام هاهنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان
وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون
قال امرت بالبحر ولعلي اؤمر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل
فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينها مسالك فكان كل فرق كالطود
العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الآخرين
اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يده
من المعجزات القاهرة وما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب النكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد
لتهويل المشار اليه وتعظيمه كتنكير الآية في قوله تعالى لآية اي آية آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان تعتبر بها المعتبرون
ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه
من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة
من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق

موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصصهم منه
عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين
ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام للقصة من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان
قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المصرين بعدما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقرير لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الى آخره واشارة الجملة الاسمية لدلالة على استمرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه حسبما
ان جعل كان بمعنى صار كما قيل وكما في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة
له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث لدلالة على كمال الحكمة وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية
وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم البالغ في الرحمة
ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي
يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل
من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل
ومريم ابنة ماموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام
انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين
بعدما شاهدوا بايديهم من الآيات العظام ما اوجب عليهم الايمان وزجرهم عن الكفر والطغيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب
فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم
وانجاء المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها اخراجا عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل
عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ نادى اي واتل على المشركين نبأ ابراهيم اي خبره
العظيم الشأن حسبما اوحي اليك ليقفوا على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الآيات بجدوى الطريقين اذ قال منصوب
اما على الظرفية لنبأ اي نبأه وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل عليهم وقت قوله لهم
ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق
العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم
قصدا الى ابرازها في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها مستديرين لها
وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون دعاءكم على
حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كذا فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرى هل يسمعونكم من
اسمع اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب
عبادتكم لها او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من
نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار
ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون
فاقتدينا بهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم او اتأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم وآباؤكم الاقدمون حق الابصار
او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم

لحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها الشيطان
الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها
نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها
بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك
بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعدده عليه السلام من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول
الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ
وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل انما وصفه تعالى بذلك ثم عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا
بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية
والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى فهو يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور
الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل
ما خلق لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا
مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم والذي هو يطعمني ويسقين
عطف على الصلة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول
للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان تجري عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها
واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات
الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام
فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدءا واعادة وامر
الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة
الى نيله عليه السلام للحياة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
ذكره عليه السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه
عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله
عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت تلك فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر
وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع انها
معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة
فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان
هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يتبين
يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما بعدما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف
الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم
الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات
لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد
اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره
الى يوم الدين ولذلك ما من امة من الامم الا وهي محبة له مثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس
الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام واجعلني في الآخرة
من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى
انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي

على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا وكل ذلك مبني على هضم النفس منه
عليه السلام او بتعذيب ابي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية
بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه
بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه
من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا
صلحاء مستأهلين للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع
كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه السلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا
مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من
اتى الله الآية وقيل المضاف محذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل هو ضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا
حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه
المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء
منقطع المعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة
في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع
ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونه من الموقف ويقفون على ما فيها
من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان
والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها
مصرفا وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اي اين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في
هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل
فكبكبوا فيها اي الآلهة في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اي الآلهة والغاوون الذين
كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم
وجنود ابليس اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر
فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه اجمعون
تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى قالوا الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل
بهم ما فعل فقيل قال العبدة وهم فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم
والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام
مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق
تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية
اي ان الشان كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم
في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف لكونهم
في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف
لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش
وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وما
اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم
بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كأنه قيل وما صدر
عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى

الموقف

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ومن السدي الاولون الذين اقتدوا بهم واياما كان ففيه
نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من
سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملئكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام فما لنا
من شافعين كما للمؤمنين من الملئكة والانبياء ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء او فما على ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما كان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله
لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا
منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته
او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لها بالمصادر كالحنين والقبول وكذلك في قوله تعالى فلو ان لنا كرة تمني كلمة
لو ان بينهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط
وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم
كونه جوابا للتمني مفيدا لترتبها على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة ولبس
عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة
على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان
بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش
وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجوع الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لازلاف الجنة لابرار النعيم
وتبريز الجحيم للغاوين وعقبيهم ما بهم من الوان العذاب وانواع العقاب لآية اي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام
كافة لاسيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها
خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب الاليم الا ساكنها يوجبه الحج ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه
من غير ان يسمعه من احد لا يخطئه الحجة الجلية على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان قطعا وما كان
اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وان ما كان
ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا كان الجميل اليه صلاحا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام
الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن لوط فنجيناه مما
قد حل الى الشام وقد مر تغيير الكلام آخر قصة موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل العقوبة
لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث
ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم المرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التي لا تختلف
باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة
او الجمع لتعاليه اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر
كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون
الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما
امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر ان اجري
فيما تولاه الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام
من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف
اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل
على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالاكالب جمع اكلب جمع كلب وقرئ واتباعك
وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي

وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصر انظارهم على حطام الدنيا
وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان
النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه
من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما علي الا اعتبار الظاهر وبناء الاحكام عليه دون التفتيش عن بواطنهم
والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي محاسبتهم على ما لهم التفتيش عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه
المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك
فتقولون ما تقولون وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث
جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم
عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء والاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان
الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين
من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون
تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله
فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي
من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون اي المملوء بهم
وبالآلهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد كذبت
عاد المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان
المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ما ذكر في صدر قصة نوح عليه السلام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر
وتصدير القصص بها للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب
وان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار
وانهم متنزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي مآخذ
وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك
تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب
ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا
الذي امدكم بما تعلمون من الوان النعماء واصناف الآلاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة
الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف
عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب
كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم
بوعظه كأنهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته اصلا ان هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين
اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم
مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء

أي أخلاق الأولين كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الأعمال فكذبوه أي أصروا على ذلك فأهلكناهم بسبب ريح صرصر إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون الله تعالى إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين إنكار ونفي لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة أو تذكير للنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع الإناث ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدل متكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو أبلغ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر وارتسامه أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازا الذين يفسدون في الأرض وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص فسادهم عن مخالطة الإصلاح قالوا إنما أنت من المسحرين أي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم أو من ذوي السحر أي الرئة أو من الإنس فيكون قوله تعالى ما أنت إلا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية إن كنت من الصادقين أي في دعواك قال هذه ناقة أي بعدما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام كما مر تفصيله في سورة الأعراف وسورة هود لها شرب أي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب فعقروها أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها عقر برأيهم ولذلك عمهم العذاب فأصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وإن كان بطريق التوبة فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء إلى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وأن قريشا إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وأنت خبير بأن [illegible] هم المشهورون بعدم إيمان أكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم فالمراد بالعالمين على الأول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لأجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى من أزواجكم للبيان إن أريد بها جنس الإناث وللتبعيض إن أريد بها العضو المباح منهن تعريضا بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضا بل أنتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط أي عن نهينا وتقبيح أمرنا أو عن دعوى النبوة التي من جملة أحكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين أي من المنفيين من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال إني لعملكم من القالين أي من المبغضين غاية البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو أبلغ من أن يقال إني لعملكم قال لدلالته على أنه عليه السلام من جملة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام أراد إظهار الكراهة في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله تعالى قائلا رب نجني وأهلي مما يعملون أي من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه وأهله أجمعين أي أهل بيته ومن اتبعه في الدين بإخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم إلا عجوزا هي امرأة لوط استثنيت من أهله

فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق الزواج في الغابرين أي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم أشد إهلاك وأفظعه وأمطرنا عليهم مطرا أي مطرا غير معهود قيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين الأيكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبيا منهم ولذلك قيل إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتب هاهنا وفي ص بغير ألف اتباعا للفظ اللافظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أي أتموه ولا تكونوا من المخسرين أي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا أي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو إن كان عربيا فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم أي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين أي وذوي الجبلة الأولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا إدخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب وإن نظنك لمن الكاذبين أي فيما تدعيه من النبوة فأسقط علينا كسفا من السماء أي قطعا وقرئ بسكون السين وهو أيضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد إن كنت من الصادقين في دعواك لم يكن طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب وإلا لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه قال ربي أعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه أي فتموا على تكذيبه وأصروا عليه فأخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي أن شعيبا عليه السلام بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم أي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الظلة والنار إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي أوحيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على إسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فإن كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل بوحي جديد وإنزال قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوا على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي إلى الإيمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بأنه عليه السلام لم يسمع شيئا منها من أحد أصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه السلام وإنه أي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين أي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للإيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين نزل به الروح الأمين أي جبريل عليه السلام فإنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى أنبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح

والامين اى جعل الله تعالى الامين نازلا به على قلبك اى روحك ان اريد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية
تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فتنتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين
متعلق بنزل اى انزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة اشارا عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام
فى سلك اولئك المنذرين المشهورين فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربى مبين واضح المعنى
ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل وتاخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين
المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه السلام لا انزاله باللسان العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى ان
الانزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطائفة المذكورة
فى باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تأثيرا فى قلوب المشركين ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم
اليه وادعائهم انهم على ملته عليه السلام وانه لفى زبر الاولين اى وان ذكره او معناه لفى الكتب المتقدمة فان احكامه التى
لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه من المواعظ
والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم آية الهمزة للانكار والنفى والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه فى زبر الاولين
على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر لكن
قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بنى اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى ان يعرفوه
بنعوته المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة
اسما والمعرفة خبرا وقد قيل فى تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم آية هى جملة الشأن وان يعلمه
بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو
بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع
السلامة وقرئ الاعجميين وفى لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقرأه عليهم
قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة
شكيمتهم فى المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم
وليس بذاك فانه بمعزل من المناسب لمقام بيان تماديهم فى المكابرة والعناد كذلك سلكناه اى مثل ذلك السلك البديع
المذكور سلكناه اى ادخلنا القرآن فى قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث
النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة بانزاله وبعثة من انزل
عليه بأوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون
على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فيأتيهم بغتة اى فجأة فى الدنيا والآخرة
وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافى ما فرطوه وقيل
معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب وضعناه فى قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به فى موضع الايضاح
والتلخيص له او فى موضع الحال اى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد
ادلة الايمان وتآخذ مبادى الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله
ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين افبعذابنا
يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فائتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب
كما وصف من طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم
فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافى ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون وانما قدم الجار والمجرور
للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرأيت لما كانت الرؤية من اقوى

اسباب الاخبار بالشىء واشهرها شاع استعمال ارأيت فى معنى اخبرنى والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء
لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهى متقدمة فى المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها
صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأى الجمهور اى فاخبرنى ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعاش
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اى شىء او اى اغناء اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اى كونهم
ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها وايا ما كان
فالاستفهام للانكار والنفى وقيل ما نافية اى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه
اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من شأنه الخطاب قد كلف ان يخبر بشىء من ذلك
اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما
ذكرى اى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر مؤكد
لفعل هو صفة لمنذرون اى الا منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى
لامعانهم فى التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع فى حيز النفى على
ان لكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار
والتعبير عن ذلك بنفى الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال
نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله
ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة فى حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشياطين
على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغى لهم اى وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون
ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة فى صفات الذات
والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يتلقوا القرآن
الكريم المنطوى على الحقائق الرائقة الغيبية التى لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها آخر فتكون
من المعذبين خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهى عنه عليه السلام تهييجا وحثا على ازدياد
الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف
بمن عداه وانذر العذاب الذى يستتبعه الشرك والمعاصى عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام
بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم
مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى انه قال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا
انفسكم من النار فانى لا اغنى عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم
ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فانى لا اغنى عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اى ألن جانبك
لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره
او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل
انى برىء مما تعملون اى مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذى يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه
يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذى يراك حين تقوم اى الى التهجد
وتقلبك فى الساجدين وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك
الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة
او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام
التى بها يستأهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفى العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه

إنه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين أي تتنزل بحذف إحدى التاءين
وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن
ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أن يحذف حرف الاستفهام
واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى تنزل على كل أفاك أثيم تقرير لتنزلهم على كل
من اتصف بالإفك الكثير والإثم الكثير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم بحيث لا يتخطاهم إلى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم منزهة من أن يحوم حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام
يلقون أي الأفاكون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاما وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها بحسب
تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى وأكثرهم كاذبون أي فيما قالوه من الأقاويل
وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أي المسموع
من الشياطين إلى الناس وأكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم
على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني وأما أكثرهم فكاذبون ومآله وأكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم
حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الإطلاق وليس معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى
يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادرا في بعض الأحايين وقيل الضمير للشياطين أي يلقون السمع أي المسموع
من الملأ الأعلى قبل أن رجموا من بعض المغيبات إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون إليهم إذ لا يسمعونهم على نحو ما
تكلمت الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم ولا يساعده أن حمل إلقاء السمع على سمعهم وإنصاتهم
إلى الملأ الأعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما أن يلقون كما صرحوا به إما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للإلقاء
أو استئناف مبني على السؤال عنه ولا ريب في أن إلقاء السمع إلى الملأ الأعلى بمعزل من احتمال
أن يقارن التنزل أو يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وإنما المحتمل لهما الإلقاء بالمعنى الأول فالمعنى على تقدير كونه حالا
تنزل الشياطين على الأفاكين ملقين إليهم ما سمعوه من الملأ الأعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا
يفعلون بهم يلقون إليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الإخبار كما فعله بعضهم غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزلهم
المذكور قبله غير متعلق بحاله السابق أما على تقدير كون ضمير يلقون للأفاكين فهو صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع سواء
أريد بإلقاء السمع الإصغاء إلى الشياطين أو إلقاء المسموع إلى الناس ويجوز أن يكون استئنافا إخبارا بحالهم على
أن كلا من تلقيهم من الشياطين وإلقائهم إلى الناس يكون بعد التنزل وأن يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الأول
فقط كأنه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون إليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون إليهم وقوله تعالى وأكثرهم كاذبون
على التقدير الأول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون أي يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى الناس والحال
أنهم في أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر والشعراء يتبعهم الغاوون استئناف مسوق لإبطال ما قالوا في حق القرآن العظيم
من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم
بعد إبطال ما قالوا إنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الأباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لأحواله عليه السلام
والمعنى أن الشعراء يتبعهم أي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون
وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال والأحوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين إلى طريق الحق
الثابتين عليه وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون استشهاد على أن الشعراء إنما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب
لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد إلى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء أي ألم تر أن الشعراء في كل واد
من أودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون
على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين من السبل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة
ديدنهم تمزيق الأعراض المحمية والقدح في الأنساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد

بين طرفي الإفراط والتفريط في المدح والهجاء وأنهم يقولون ما لا يفعلون من الأفاعيل غير مبالين بما يستتبعه
من اللوائم فكيف يتوهم أن يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف
بشيء من الأمور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الأخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية
وفاز بجملة الملكات الإنسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل أمر رشيد داعيا
إلى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة
مستقلة بنظم رائق أعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام من أن يكون من الشعراء
إن أتباع الشعراء الغاوون وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في أن تعليل عدم كونه عليه السلام منهم
بكون أتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الرواة وقيل الشياطين وقيل هم شعراء
قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف
ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله
تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون إليها والزجر عن الاغترار بزخارفها
والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد
بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن أبي سلمى الذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم اهجهم فو الذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان رضي الله عنه
قل وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون تهديد شديد ووعيد أكيد لما في سيعلم
من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون من الإبهام والتهويل وقد تلاه
أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين
يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق
بمحمد عليهم الصلاة والسلام

سورة النمل — أربع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طس بالتفخيم وقرئ بالإمالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الكريمة
ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الأظهر الأشهر الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذا طس أي مسمى به والإشارة
إلى السورة وكونها معروفة وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعها بالابتداء على أن ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك
تلك إشارة إلى نفس السورة لأنها التي نوهت بذكر اسمها لا إلى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولأن إضافتها
إليها إضافتها إلى القرآن كما ستعرف وما في اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان
ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن والجملة مستأنفة مقررة لما أفاده التسمية
من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل أو عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب
أي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب أي كتاب
عظيم الشأن مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب
أو مبين لسبيل الرشد والغي أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام أو ظاهر الإعجاز على أنه من أبان بمعنى بان وتفخيم
شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه
قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الإلهية كلها

وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر
هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه
لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته
فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب
على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل
معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى
هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى
بشارتها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية
مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب
او هي من تمام الصلة والواو حالية او عاطفة لها على الصلة الاولى وتغيير نظمها للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحدي
فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها
من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما نطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث
جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان
حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا فاضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم
فهم يعمهون يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها
من نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب عدم
المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وعكسهم في الامر اولئك
اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم
سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس
خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العذاب وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف سيق بعد بيان بعض شؤون
القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق
التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على طبقة علوه
عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم
يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل للاشعار
بان ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية
وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم اثر تلاوة بعض
من القرآن الذي يلقاه عليه السلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام
لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا اني آنست نارا
سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد المسافة وتأكيد الوعد والجمع
ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس
بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي بشعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ
بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لا غير لان من النار ما ليس

بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عنه ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان
بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم
تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه
اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة
المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام
من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة
بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولاسيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد
موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى
اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان
بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون ومن احكام ربوبيته تعالى للعالمين
يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير للشأن وانا الله جملة مفسرة له او راجع الى المتكلم
وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اي انا القوي
القادر على ما لا تناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير حسن والق
عطف على بورك منسلك معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك
بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة
تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى
اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها تتحرك بسرعة واضطراب وقوله تعالى كانها جان
اي حية خفيفة سريعة الحركة حالية من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي
او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات
بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا
واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت
منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به
من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما
لقوله عليه السلام رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها
وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او
مع التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع
على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا بان ظهرت على يد موسى مبصرة بينة
اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث
انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا

هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها
اي علمتها انفسهم علما يقينيا ظلما اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اي ظلم حيث حطوها عن رتبتها
العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك وعلوا اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر
مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه السلام لتلقى
القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام
وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام
وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة اللبوس ومنطق الطير او علما سنيا غزيرا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه
من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر
عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل
مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر
حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ما اوتي كل منهما لا على ما اوتيه نفسه فقط وقيل
في العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل لقد
آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فالكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت
علما اصلا وفيه انه لا يلائم تقييد الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الكثير بالذكر رمز الى ان البعض مفضل عليهما
وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي
لم يؤت غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم
كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود اي النبوة والعلم
او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء المنطق في المتعارف
كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة
وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه
ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين
تدان وصاح هدهد فقال استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه
وارضه وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن همه الدنيا والديك
يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا نون الواحد المطاع على عادة الملوك لا الاطلاع
سائر احواله وصفاته من كونه ملكا مطاعا لا للتكبر والتجبر لانه اراد تفهيمهم من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره
ونواهيه حيث كان على عزم المسير والمراد بكل شيء كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد كثرة
قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما يهمه من امر الدنيا والآخرة
وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم
والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على احد او ان هذا الفضل الذي

اوتيته لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو
فان اخبارهم بما اوتي كل شيء من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب واسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك ينبئ قوله تعالى
وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته
من الثقلين وغيرهم وتقديم الانس لكمال تغلبه وتقديم الجن على الانس في الذكر للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة
سلطانه من اول الامر لان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير فهم يوزعون اي يحبس
اوائلهم على اواخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة
ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم
بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير
السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن
وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه
وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به
مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني
قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته
الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى
خير مما اوتي آل داود حتى اذا اتوا على واد النمل حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كما في قوله تعالى
حتى اذا جاء امرنا وفار التنور فتأمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا
وواد النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد يسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية
الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ
آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند مسيرهم في الهواء وقوله تعالى قالت نملة
جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل ومرادها مستتبعة اياها في الفرار
فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو
الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تكاوس فنادت
بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده
نهي لهن عن الحطم والمراد نهيها عن التأخر في دخول مساكنهن اذ لا يحسن الظاهر نهيه عليه السلام وجنوده عن الحطم كقولهم لا اريتك
ههنا فهو استئناف او بدل من الامر كقول من قال فعلتم ارحل لا يبيتن عندنا الا جاء به فان النون لا تدخل في السعة
وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيد لتقييد الحطم
بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت به الايذان بانها عارفة بشؤون سليمان وسائر الانبياء
عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا
من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى
والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها
روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال

رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك
اصلا وقرئ بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه
مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيها فقال مالي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين كانه قال اولا مالي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو
غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق
بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر ابناء جنسه او لياتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة
على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ لياتينني او لياتيني مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس
تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين الف
ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا وام سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسناء
اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما ترى الماء في الزجاج
فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى
هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها
اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد
اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو
مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله
قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه
يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى
فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت
بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا يخفى انه لم يرد بادعاء الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف
التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اتيانها
بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونعيا عليه السلام حتى على جنايته فيحتاج الى الاعتذار
عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة
والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر
اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد
الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد الحس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم
انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره
واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني على امر بديع اقبل والى تلقي ما لا علم به اميل ثم ايده بقوله وجئتك من سبا
بنبا يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي
هو الخبر الخطير والشان الكبير ووصفه بما وصفه والاجاز اصدر عنه عليه السلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعاء
الايزاع حتى يتوقعه الا الله تعالى سعه عليه السلام على تركه وسبا منصرف على انه اسم للحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبا بن يشجب بن
يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد الشمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب
بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما على هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي
لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبائهم مع انتشار اسمهم وقربه لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان اشتمل اخفاؤه

من الحكم والمصالح لان المسافة بين محطه عليه السلام وبين مارب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام
هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة ثم احكم الهدهد بذلك مع كون البحث عنه مبنيا على حكم البديع بها
علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس
بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت
بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رايت لما اشير اليه
من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته
وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبا على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكرها فيهم على انه اسم لها
واوتيت من كل شيء اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا
وسمكا وقيل ثمانين ذراعا من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة
ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها
او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واما ما كان فوصفه بذلك مما يرغبه عليه السلام
لامر من رغبه عليه السلام في الاصغاء الى حديثه ووجه عزيمته نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر
قومها حسبما قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم
الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل
اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم القبيحة دون بيان طرق كفرهم وضلالهم من ضرورته تنبيه طريق الحق
الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او للتزيين
على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا له تعالى او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم
وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا او محل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا له تعالى وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى
محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وعلى هذا يحتمل ان يكون استئنافا
من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واما
فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء
في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده
تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره
التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشير بعطف قوله ويعلم ما تخفون
وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان
المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم
الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة وقيل الخبء اخراج الخبء اشراق الكواكب واظهارها من افاقها
بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع
الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود ومعلوم ان ذلك خاص به عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ
الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب وعلم ان هذا كله
من الهدهد مسوق له الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت ما احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف
التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بناء على اعتماده واظهار التصلب في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام
نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ

من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال سننظر اى فيما ذكرته من النظر
بمعنى التأمل والسين للتأكيد اى سنعرف بالتجربة البتة أصدقت أم كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر أم كذبت
وإنما عدل عنه إلى ما في النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين
فيه فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق
أصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب والإفك قوله تعالى اذهب
بكتابي هذا فألقه إليهم استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام وقد قاله بعدما كتب كتابه في ذلك
المجلس أو بعده وتخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف
لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر أصلا ثم تول عنهم اى تنح إلى مكان تتوارى
فيه فانظر اى تأمل وتعرف ماذا يرجعون اى ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول وجمع الضمائر لأن مضمون الكتاب الكريم
دعوة الكل إلى الإسلام قالت اى بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وإنما طوي ذكره
لكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة إشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي أنه عليه السلام كتب كتابه
وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب
ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها
والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة
كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وخضع جندها ذلك قالت لأشراف قومها يا أيها الملأ إني ألقي
إلي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوما أو لغرابة شأنه ووصوله
إليها على منهاج غير معتاد إنه من سليمان استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت
إنه من سليمان وإنه اى مضمونه أو المكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفيه إشارة إلى سبب وصفها إياه بالكرم
وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على أنه
بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة ألا تعلوا علي أن مفسرة ولا ناهية اى لا تتكبروا كما يفعل
جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على أنها بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اى مضمونه
ألا تعلوا أو النصب بإسقاط الخافض اى بأن لا تعلوا علي وقرئ ألا تغلوا بالغين المعجمة اى لا تجاوزوا حدكم وأتوني
مسلمين اى مؤمنين وقيل منقادين والأول هو الأليق بشأن النبي صلى الله عليه وسلم على أن الإيمان مستتبع للانقياد
حتما روي أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي
وأتوني مسلمين وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها
على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها
بما في حيزه من قولها يا أيها الملأ أفتوني في أمري اى أجيبوني في أمري الذي حزبني واذكروا لكم خلاصته وعبرت
عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للأمر ورفعا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل
المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة أمرا اى من الأمور المتعلقة بالمملكة حتى تشهدون اى إلا بمحضركم وبموجب
آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن أولو قوة في الأجساد والآلات والعدد وأولو بأس شديد
اى نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والأمر إليك اى هو موكول إليك فانظري ماذا تأمرين ونحن مطيعون
لك فمرينا بأمرك نمتثله ونتبع رأيك أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي
والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل إلى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت
في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية

من القرى على منهاج المقاتلة والحراب أفسدوها بتخريب عمارتها وإتلاف ما فيها من الأموال وجعلوا
أعزة أهلها أذلة بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال وكذلك يفعلون
تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله
عز وجل على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا إثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وإني مرسلة إليهم بهدية
تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مزمعة
على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اى إني مرسلة إليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون
حتى أعمل بما يقتضيه الحال روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل
مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب
وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقة فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف
قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك
في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل
الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول
الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر
بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ
والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت
إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحقة وأخبره جبريل عليه السلام
بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء
الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اى الرسول قال اى
للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه قرئ فلما جاؤوا والأول أولى لما فيه من تشديد
الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الإفراد في قوله تعالى ارجع إليهم أتمدونن بمال وهو إنكار لإمدادهم
إياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير المال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله اى
ما آتانيه من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم اى من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي إلى
هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للإنكار ولعله عليه السلام إنما قال لهم هذه المقالة إلى آخرها بعدما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة
الحقة وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه السلام خاطبهم بها أول ما جاؤوه كما يفهمه ظاهر قوله تعالى فلما جاء وقرئ أتمدونني بالإدغام
وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل أنتم بهديتكم تفرحون إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال
إلى التوبيخ بفرحهم بما يهدونه إليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث
الحقة والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه على أن إمداده عليه السلام بالمال منكر قبيح
وعده ذلك مع أنه لا قدر له عنده مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف إليه المهدى إليه والمعنى
بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع إفراد الضمير ههنا
بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الإمداد ونحوه للكل اى ارجع أيها الرسول إليهم
اى إلى بلقيس وقومها فلنأتينهم اى فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اى لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم
على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبأ أذلة اى حال كونهم أذلة بعدما كانوا
فيه من العزة والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اى أسارى مهانون حال أخرى مفيدة
لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجلاء وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية

بقيه جلالة الحال عليه كما قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قاله
عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس اليه روي انه لما رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمن عليه السلام قالت قد علمت والله
ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك
ثم آذنت بالرحيل الى سليمن عليه السلام وشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروي انها امرت فجعل عرشها في آخر
سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها وغلقت الابواب ووكلت حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام
باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله عز وعلا به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم
قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه او لا وتقييد الاتيان بقوله تعالى قبل ان يأتوني
مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون
اطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذه الا برضاها قال
عفريت اي مارد خبيث من الجن ... الرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخر انا
آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما
صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي آت
به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختلس منه شيئا ولا ابدله
قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان به
من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان
عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله تعالى به وقيل هو سليمان
نفسه وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده
انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ... الوعد وانجازه مدة ما كما في
... طوي عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر محقق غني عن الاخبار به ... الفصيحة لا داخلة
على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل
داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رأينه
اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به مع ظهور ما ترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام
اياه واستغنائها ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فرآه فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة
الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام اياه شيء اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده تأكيد لهذا المعنى
لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده
منتظما في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله عليهم السلام وخلص عباده
هذا اي حضور العرش بين يدي في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي
تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني ااشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة واقوم بحقه
ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن النعم الفائضة على العباد ومن شكر
فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران
ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال
اي سليمن عليه السلام كرر الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة
لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم
على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف اتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى

ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق لا ابتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اي البتة علينا
من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان
امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية
التجربة التي قصدها سليمن اي فلما جاءت بلقيس سليمان وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمن عليه السلام
بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر
بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة عقلها
قالت كأنه هو فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير
من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عليه السلام واوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه عليه السلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم
بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك
وكنا مسلمين في ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت
تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن اي صدها عن ذلك
عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها
كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة
سليمن عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدل من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من قوله تعالى
واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لاسلامها
فقالوا استحسانا لشأنها اصابت في الجواب علمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة
وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الى آخره
اي واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم
عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني
الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمن عليه السلام
امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره
ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا
لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا
ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها
شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فلما رأته
وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا حسبته لجة وكشفت عن ساقيها
وشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها
الشياطين فاتخذوها فاستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام
وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ سأقيها
حملا للمفرد على الجمع سؤق واسؤق قال عليه السلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء
صرح ممرد اي مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي
بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمن حيث ظننت انه يريد اغراقي في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمن
تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها

بالوحدانية تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس
ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام يتلقى
القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي تلقاه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف
اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى
القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق
والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عليه السلام للفريق الكافر منهم بعدما شاهد منهم ما شاهد
من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم
وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه
تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير
التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فمروا بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد اي تشاءمنا بك
وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم تزل اختلافاتنا وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال
طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم
قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان
طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ما ذكر هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اي تسعة انفس
وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع
ابن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة
وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض لا في المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه
شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اي لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا
من الاشياء قالوا استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه
السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام تقاسموا بالله امر مقول لقالوا او ماض
وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ
بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اي لولي صالح
وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اي حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان تولينا
اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول او حال اي نقول ما نقول والحال
انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك
ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون
او جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر
وكيف معلق لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا دمرناهم
اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف حصل اي على اي وجه حدث تدميرنا اياهم او خبر
لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت
اجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ واما التعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار
اي لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة واسمها عاقبة مكرهم وخبرها كيف فلا وجه حينئذ ان تكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ

تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم بالكسر على الاستئناف روي انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه
فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب
فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل
شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك
بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اي خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور
حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر
من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي من شأنهم ان يعلموا من الاشياء او لقوم يتصفون
بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا
فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي
وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه
وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل نصب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اي وانجينا
لوطا وهو بعيد اتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل
تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب
اي تعلمونها والحال انكم تعلمون علما يقينا كونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم
لتأتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد
للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية دون الذكورية لتربيع التقبيح
وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة
بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحها او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء
ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات
مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها
اي قدرنا انها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين
قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر بتحميده
تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بقصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى
وعظم شأنه وما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم
وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض
عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف
الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك مضمون ما نطق به قوله
عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وامره صلى الله عليه وسلم بان يحمد على ما افاض عليه من نعمه
العلم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين
قصت عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوصلها اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين
وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش
والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده آلله خير اما يشركون اي الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركونه

من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس
فيما اشركوه به تعالى شائبة خير حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ يشركون بالتاء
الفوقانية فانه بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم
وجعله من جملة القول المامور به ياباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من جهته عز وعلا بالذات
وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لا من عبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى ام من خلق السموات والارض منقطعة وفيها من كمال
على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التاكيد
واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقريرهم اي حملهم على الاقرار بالحق
على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات
وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من جنس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه
قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان التبكيت ههنا
بالخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأ
منافع ما بينهما وانزل لكم اي لمنفعتكم خطاب للكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم
ومنفعتكم من السماء ماء اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات
بهجة اي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها
وسائر صفاتها البديعة خيرام ما يشركون وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلة الانزال
على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته
تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال
مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييده بقوله
عز وجل ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لحدائق او حالا او جملة ووصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة
حدائق ذات بهجة على نحو قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها أاله مع الله اي أاله آخر كائن
مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت
لهم بنفي الالوهية عما يشركونه تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد
فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه
راسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد
نفي ان يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك المعنى فقط
كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل بانهم يشركون به
تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كما قيل أاله آخر مع الله في خواص
الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى اغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده
تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو
الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق بحق المقام لافادته نفي وجود اله آخر معه تعالى راسا
لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أاله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أالها
باضمار فعل يناسب المقام مثل اتدعون او اتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم
بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق الواضح الذي هو
التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة

ام من جعل الارض قرارا الخ بدل من ام من خلق السموات الى آخره وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكم الكل
واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام
بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء وتسويتها
حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي
اي جبالا ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من

المصالح

ما لا يحصى وجعل بين البحرين اي العذب والملح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة
وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي واخر مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق أاله
مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان
ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجته شدة من الشدائد والجأته الى اللجأ
والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر
ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف
فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط أاله مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجليلة
قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري
مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر منهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح

ذهن م

بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ يذكرون على الالتفات ويتذكرون بالتاء والياء مع الادغام
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريق
ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري
في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها بالهواء فلا ريب في ان الاسباب
الفاعلية القابلة لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا أاله مع الله نفي لان يكون
معه اله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة
الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات
مقهورا تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان
كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم امن يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث
ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها امر التكوين
خيرام ما يشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء اصلا أاله آخر موجود مع الله حتى يجعل شريكا له
في العبادة وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل
على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه
من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم
تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا واني لهم ذلك ان كنتم صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله بعدما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة
عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع
ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم
كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب وقيل متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع
عليهما اطلاع الحاضر فيهما كان ذلك معنى مجازيا عاما له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما يشعرون

ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وآن
وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي من الضمائر التي
لهم قطعا وحمل الكل على الجنس واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك
علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في ذلك بان اضرب عنه
وبين انهم في جهل فاحش من حالهم وقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان
معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق
لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز
بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها
مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل
بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع
فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون
دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلا الفعلين
على معناهما الظاهر اي تكامل واستحكم ادوم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات الباهرة والحجج القاطعة وتمكنوا من المعرفة
فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى
بل هم منها عمون اضراب آخر من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اسوأ وافظع من الشك وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سلوك
لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم فيكون وصفا لهم بكمال الجهل
مبالغة والاضرابات على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي فادغمت التاء في الدال وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل
فصار ادارك وقرئ بل ادرك واصله افتعل وبل اادرك بهمزتين وبل آدرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك
بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى ادارك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة
قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن كذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي
هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب على التفسيرين مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون
او ردوا انكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم عنها بحكاية انكارهم البعث ووضع الموصول موضع ضميرهم
لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون اي انخرج من القبور اذا
كنا ترابا كما هي عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون مدار الحال في اذا اجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج
بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله
بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل
بالتأكيد وتكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا
اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر
قصد به المبعوث بجملته وهذا مسوق لتقرير الانكار وتصديره بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير الاولين
تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه
من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي ينكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير
عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق
في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهما لغتان ويجوز ان يكون

المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود
ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك قل عسى ان يكون ردف
لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام
وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك
بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري
وعد الله تعالى ووعيده واشار عليه النظم الكريم على ان تعالى عسى ان يردفكم الى آخره لكونه ادل على تحقق الوعد وان
ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه
من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته وما يعلنون
من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى
يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما
وما من غائبة في السماء والارض اي خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب
ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء
العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شأن
المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن الغلو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء
حتى بلغ الامر الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى
ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل
بحكمه اي بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء
التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل
عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شأنه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه
وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل
او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى
انك لا تسمع الموتى الخ تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث
بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاؤه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام
على احد الوجهين اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا
بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب
لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا
بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات اصلا وقيل المراد
تشبيههم بالموتى لما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن
والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فقد شبهوا بالموتى
لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى اذا
ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب
في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط
بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمى لما فيه معنى البعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي

في نفي الهداية وقرئ وما أنت تهدي العمي إن تسمع أي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا إلا من يؤمن بآياتنا
أي من شأنهم الإيمان بها وإيراد الإسماع في النفي والإثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال إن تهدي إلا من يؤمن
لما أن طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لإيمانهم بها كأنه قيل فإنهم منقادون للحق وقيل مخلصون
لله تعالى من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله وإذا وقع القول عليهم بيان لما أشير إليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون
من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الأهوال
التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للإيذان بشدة وقعها وتأثيرها وإسناده إلى القول لما أن
المراد بيان وقوعها من حيث إنها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد أريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى أتى أمر الله
أي إذا دنا وقوع مدلول القول الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه أخرجنا لهم دابة من الأرض وهي الجساسة
وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد إبهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفى
وقد ورد في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي أن لها أربع قوائم وله زغب وريش وجناحان
وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة
وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها
خلق الطير وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير إلى أنه رجل والمشهور أنها دابة
وروي لا يخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ أعنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين
قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه تخرج ثلاثة أيام
والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد
حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن
دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف
بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا
ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب
بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم
أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه
وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس الشعب شعب جياد
مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلمهم بالعربية
بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أي تكلمهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى
الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآية وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والأول
هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بأن الناس لأنه وإضافة الآيات إلى نون العظمة لأنها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين
عبارتها وقيل لأنها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى وأثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا
وبلادنا وإنما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الإيقان بها مع أنهم كانوا جاحدين
بها للإيذان بأنه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ إن الناس بالكسر على إضمار
القول أو إجراء الكلام مجراه والكلام في الإسناد كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل إخراجها أو تكلمها
ويرده النعي في صيغة الماضي والمستقبل فإنه صريح في كونه حكاية لعدم إيقانهم في الدنيا والمراد بالناس إما الكفرة على الإطلاق
أو مشركو مكة وقد روي عن وهب أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي
هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده

ويوم نحشر من كل أمة فوجا بيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الأمر
بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا أي واذكر لهم وقت حشرنا أي
جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء عليهم السلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لأن كل أمة منقسمة
إلى مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج أي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون أي يحبس
أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم
ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة
وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار حتى إذا جاؤوا إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب
قال أي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى
ولم تحيطوا بها علما جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للإنكار والتوبيخ أي أكذبتم بها
بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في أن المراد بالآيات
فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لأنها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علما
مع وجوب أن يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم أي أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر
فيها أماذا كنتم تعملون أم أي شيء كنتم تعملون بها أو أم أي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى أنه لم يكن لهم عمل غير ذلك
كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعاصي مع أنهم ما خلقوا إلا للإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك
قوله تعالى ووقع القول عليهم أي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا
بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل
من العذاب الأليم ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لأن نفس الليل والنهار وإن
كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أي ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الإظلام ليستريحوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل
الإبصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا
المسلك لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الإبصار إن في ذلك أي في جعلهما
كما وصفا وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد درجته في الفضل لآيات أي عظيمة كثيرة لقوم
يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وأن من تأمل في تعاقب الليل
والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها إلا الله عز وعلا وشاهد
في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت
بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم
بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا
عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ في الصور إما معطوف على يوم نحشر منصوب
بناصبه أو بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو
واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف
هو قال عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عنده
في الحياة أحد غير ما شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله
ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون

والذي يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه أن المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع
من في السموات ومن في الأرض ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات
في الأنفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وإيراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه أعني ينفخ
مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها
من حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيذانا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير
على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر في قصة البقرة إلا من شاء الله
أي أن لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وكل أي
كل واحد من المبعوثين عند النفخة أتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب
والمناقشة والحساب وقرئ أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الأولى باعتبار معناه وقرئ أتوه أي حضروه
داخرين أي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله
عز وعلا تحسبها جامدة أي ثابتة في أماكنها إما بدل منه أو حال من ضمير ترى أو من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر
مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها أو في جامدة أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها تمر مر السحاب
التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه
قول من قال بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال
بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضا مما يقع بعد النفخة
الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات
الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان
بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية
وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم إن صيغة الماضي في المعطوف مع كون
المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والبروز كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل
إن المراد بالنفخة الأولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات
ومن في الأرض الخ فيختص أثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الأمم وجوز أن يراد
بالإتيان داخرين رجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في أن ذلك مما ينبغي أن ينزه ساحة التنزيل عن أمثاله
وأبعد من هذا ما قيل إن المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق التي أريدت بقوله تعالى ما ينظر
هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الأرض بأهلها
رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر أو كالقنديل المعلق ترجحه الأرواح فإنه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق
الذي لا محيد عنه ما قدمناه وبما نقل من الآيات سابقا من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله
مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنعا على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به
التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعيل وتهويل أمرها والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات
بالكلية من غير أن تدعو إليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتبعة
للغايات الجميلة التي لأجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الإبداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى
الذي أتقن كل شيء أي أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى إنه خبير بما تفعلون تعليل لما ذكر من كونه صنعا
محكما له تعالى ببيان أن علمه تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو إلى إظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه

من الحسن والسوء وترتيب أجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والأرض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا
بمشاهدة ذلك أن وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما أشير إليه
بإحاطة علمه تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزيتها عليها أي من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها
إما باعتبار أنه أضعافها وإما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الحسنة كلمة الشهادة وهم أي الذين جاؤوا بالحسنات من فزع أي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة
العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وعن الحسن رحمه الله
حين يؤمر بالعبد إلى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود
فلا موت يومئذ أي يوم إذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلا وأما الفزع
الذي يعتري كل من في السموات ومن في الأرض غير من استثناه الله تعالى فإنما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة
من معاينة فنون الدواهي والأهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة وإن كان آمنا من لحوق الضرر والأمن يستعمل بالجار وبدونه
كما في قوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالإضافة مع كسر الميم وفتحها أيضا والمراد هو الفزع المذكور أو الفزع
الأول لا جميع الأفزاع الحاصلة يومئذ ومدار الإضافة كونه أعظم الأفزاع وأكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة إليه ومن جاء
بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم في النار أي كبوا فيها على وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة هل تجزون إلا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد أو على إضمار القول أي مقولا لهم ذلك
إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها أمر عليه السلام بأن يقول لهم ذلك بعدما بين لهم أحوال المبدأ والمعاد
وشرح أحوال القيامة تنبيها لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال
بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا صلحوا أو فسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمور
أنفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بأمر دعوتهم أنه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم إلى الإيمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك
أحوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال
مكانها والتعرض لتحريمه تعالى إياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم إثر تعظيم مع ما فيه من الإشعار بعلة الأمر وموجب الامتثال
كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز إلى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا ترى
أنهم مع كونها محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه
قد استمروا فيها على تعاطي أفجر أفراد الفجور وأشنع آحاد الإلحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الأوثان وعكفوا على عبادتها
قاتلهم الله أنى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء أي خلقا وملكا وتصرفا من غير أن يشاركه
في شيء من ذلك أحد تحقيق للحق وتنبيه على أن إفراد مكة بالإضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات
وأمرت أن أكون من المسلمين أي أثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الإسلام والتوحيد أي الذين
أسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وأن أتلو القرآن أي أواظب على تلاوته
لتنكشف لي حقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الإرشاد
فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والإرشاد من غير حاجة إلى إظهار معجزة أخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فإنما
يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالإيمان به والعمل بما فيه من الشرائع والأحكام وعلى الأول فمن اهتدى باتباعه إياي
فيما ذكر من العبادة والإسلام وتلاوة القرآن فإنما منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلي ومن ضل بالكفر به والإعراض
عن العمل بما فيه أو بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه إنما أنا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الإنذار فليس علي
من وبال ضلاله شيء وإنما هو عليه فقط وقل الحمد لله أي على ما أفاض علي من نعمائه التي أجلها نعمة النبوة المستتبعة
لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها إلى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى
سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور به أي سيريكم الله تعالى في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر

الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة
لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق
من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون
انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك
بغافل عن اعمالهم فيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله اعلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهودا وصالحا وابراهيم وشعيبا
عليهم السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص ثمان وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه
نتلو عليك اي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبإ موسى وفرعون
مفعول نتلو اي بعض نبئهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك
بعض نبئهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم
الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره
بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان
وجعل اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه
يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا
مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل
جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له
يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان
من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام
ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع
في نريد حكاية حال ماضية معطوف على ان فرعون علا لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبإ او حال من يستضعف بتقدير
المبتدإ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له
لما ان تعلق الارادة بالمن تعلق استقبالي على ان منه تعالى عليهم بالخلاص لما كان في شرف الوقوع جاز اجراؤه مجرى الواقع
المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة وتذكير حالهم السابقة ونجعلهم ائمة يقتدى بهم
في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه
وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها
عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض اي نسلطهم على مصر
والشام يتصرفون فيهما كيفما يشاؤون واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ
ويرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه
فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة
بالغرق ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل

للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله
من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام
فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه
في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه
فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا
فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب
الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله والفاء
في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مرتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا
على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعدما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون
اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد
غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانس
يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون
في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن
يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون
في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا
بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت
لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم
وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون
انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام
في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له بالغرض الحامل عليه
وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه ليكبر
ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعين الف وليد او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى
عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين
او على انه متعدين الصواب الى الخطإ وقالت امرأت فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرت عين
لي ولك اي هو قرة عين كائن لنا لانهما لما رأياه احباه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك
لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى
ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه
فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون انهم على خطإ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني وقوله
ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم
لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي
هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى
بالهمز اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما في وجوه ان كادت لتبدي به اي انها كانت لتظهر بموسى اي

بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين
اى المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف
لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخوته دون ان يقال لبنتها للتصريح بدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر
قصيه اى اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به اى ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى
وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اى منعناه ان يرتضع من المرضعات
والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل اى من قبل قصها اثره
فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها
حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون
يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يده واجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى
فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اى جميع ما وعده من رده
وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك
فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
ولما بلغ اشده اى المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث
نبي الا على رأس الاربعين واستوى اى اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء
والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة
وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اى مصر من قصر
فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه
فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اى ممن شايعه على دينه
وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اى من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته
اى سأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه موسى اى فضرب
القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا
اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتياله
ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في
استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال
توسيط بين كلاميه عليه السلم لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت
نفسي اى بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اى المبالغ في مغفرة ذنوب عباده
ورحمتهم قال رب بما انعمت علي القسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد
هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اى بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن يؤدي معاونته الى جرم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلم لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت
علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد
الاستقادة او الاخبار فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له
موسى انك لغوي مبين اى بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى ان يبطش
بالذي هو عدو لهما اى لموسى والاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل على الاطلاق

وقرئ يبطش بضم الطاء قال اى الاسرائيلي ظانا انه عليه السلم يبطش به لما سماه غويا يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك
الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون بقتل موسى عليه السلم وقيل قاله القبطي ان تريد
ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم
الذي لا يتواضع لامر الله سبحانه وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى
المدينة اى كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى اى يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له
لا متعلق بجاء لان تخصيصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى
ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اى يتشاورون بسببك لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج
اى من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اى من المدينة
خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه
تلقاء مدين اى نحو مدين وهي قرية شعيب عليه السلم سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان
بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وحسن ظن به
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب عقيبه فشرعوا في الآخرين وقيل خرج
حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به
الى مدين ولما ورد ماء مدين اى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اى فوق شفيرها
امة جماعة كثيرة من الناس يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم امرأتين
تذودان اى تمنعان اغنامهما عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم
قال عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر
والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اى عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف
الرعاء مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية
وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى
عليه السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز والعفة وكونهم على السقي
غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء
بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وابونا شيخ كبير ابداء منهما للعذر
الى موسى عليه السلام في توليهما السقي بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال
ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يقضي الناس
اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام حذف مفعوله كما مر وروي ان الرعاء كانوا يضعون
على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب
والجراحة والجوع ولعله عليه السلم زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان الظاهر
انه عليه السلم غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك
بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عليه السلام سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان
لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان
هناك فقال رب اني لما انزلت الي اى اي شيء انزلت الي من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام
بمعونة المقام فقير اى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي
من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلم اظهارا للتبجح

والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هي كبراهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء اي جاءته
عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءته
وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي كائنة على استحياء ومعناه انها
كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء قيل
قد استترت بكم درعها قالت استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كأنه قيل فماذا
قالت له عليه السلام فقيل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك لنا اسندت
الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى
روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي
وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما جرى عليه
من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي
يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعي من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام
ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت الآية الا ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل
لا نبيع دينا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا وما قيل بعد ذلك على سبيل التقبل للمعروف كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من
البيت من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم الصلاة
والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب
انه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى
لا الى استيفاء الاجر قالت احداهما وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام
يا ابت استأجره اي لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل جار مجرى
الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على
امين مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدته وتبليغه رسالته
وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجرته
كذا اذا اثبته اياه وقوله تعالى ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف اي رعية
ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدود والاول اكثر فعلى هذا يكون
المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تأجرني نفسك وقوله ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا
في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا
من شعيب عرض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك
بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب
عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى
لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدأ وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني
عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى
ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد
وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين

بصدد المشارطة مع تحقق عدم العدوان في اكثرهما ايضا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة
على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي
يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما انها في
الاولى مزيدة لتأكيد ابهام اي وشياعها وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث
استهلت مواطره والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج
عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل
بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك
الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت
عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب
عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل عليه السلام
بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تأتيه بعصا فأتته
بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما
اول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن رضي الله عنه
ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح
قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا
اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين
قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع
الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عليهما السلام ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا
وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل
ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة
اي فعقدا العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن شعيب عليهما السلام روي انه عليه السلام قضى
ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه في ذلك فأذن له فخرج باهله
آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر
الطريق وقد كانوا اضلوه او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في رأسه نار او لا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها
جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال وألقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى
من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها اي النار التي آنسها
نودي من شاطئ الوادي الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة متصل
بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت ثابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين
وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر
لنودي والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية
سرعة تحققها كأنه قيل فألقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها
ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف
فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم
اليك جناحك اي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن
او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم

والجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما وكلها لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن من ربك متعلق بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنها باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة بآياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا بآياتنا او بنجعل سلطانا بآياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها او بقسم وجوابه لا يصلون او هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات اي واضحات الدلالة على رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالتهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعدما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان منهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين اي اصنع آجرا فاجعل لي صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كأنه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر تفصيله وفيه من فخامة شأن الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين ما لا يخفى كأنه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار اي الى موجباتها من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال [illegible]

الى تحصيل تلك الحالة وقيل تسميتهم ائمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا لا حينئذ ان يكون الجعل بعدهم وهم ابناء الامم وكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة او لعنا من اللاعنين حيث لا تزال تلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قاله ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المهلكين ويوم القيامة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اي انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي به تبصر وهدى اي هداية الى الشرائع والاحكام التي هي سبيل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اي ذا بصائر الخ وقيل على العلة اي آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريق قوله تعالى وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او بجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه وحكمنا بنبوته بالوحي وايتاء التوراة وما كنت من الشاهدين اي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قرونا اي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم اي تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن في ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا اياه الى فرعون ولكن رحمة من ربك اي ولكن ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس هذا كسابقه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة وقد اكتفي عن ذكر المستدرك هنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفي في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد منهما ايضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقرآن حتما لما ان المعلل بالانذار اعلم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ

وقوله تعالى ما أتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما أي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسمعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل لعلهم يتذكرون أي يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولا نفي ثوائه عليه السلام في أهل مدين ثم نفي حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد كما مر في قصة البقرة ولولا أن تصيبهم مصيبة أي عقوبة بما قدمت أيديهم أي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار امتناع ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكر في حيزها للإيذان بأنه السبب الملجئ لهم إلى قولهم ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا أي هلا أرسلت إلينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الأولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بجناياتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم أي أهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلاة والسلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا أوتي يعنونه عليه السلام مثل ما أوتي موسى من الكتاب المنزل جملة والآيات اليد والعصا وغيرهما بالتمام كما زعموا سحرا عليه السلام وقوله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل رد عليهم وإظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم إلى الحق أي ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الإنكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر مبتدأ محذوف أي هما يعنون ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام سحران تظاهرا أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا الرهط منهم إلى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا إنا بكل أي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فدع عنك ما قيل وقيل من الأقاويل إلى قوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين وقوله تعالى أتبعه جواب للأمر أي إن تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإفحام إن كنتم صادقين أي في أنهما سحران مختلقان وفي إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فإن لم يستجيبوا لك أي فإن لم يفعلوا ما كلفتهم من الإتيان بكتاب أهدى منهما كقوله عز وجل فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه بالاستجابة إيذانا بأنه عليه السلام على كمال أمن من أمره كأن أمره عليه السلام لهم بالإتيان بما ذكر دعاء لهم إلى أمر يريدون وقوعه والاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه فاعلم أنما يتبعون أهواءهم الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك أصلا إذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ومن أضل ممن اتبع هواه استفهام إنكاري للنفي أي لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أي هو أضل من كل ضال وإن كان ظاهر السبك لنفي الأضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والإشباع في التشنيع والتضليل وإلا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف أي أنزلنا عليهم القرآن متواصلا بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله أي من قبل إيتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام وإذا يتلى عليهم أي القرآن قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا أي الحق الذي كنا نعرف

حقه وهو استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به وقوله تعالى إنا كنا من قبله أي من قبل نزوله مسلمين بيان لكون إيمانهم به أمرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين ويدرءون بالحسنة السيئة أي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير وإذا سمعوا اللغو من اللاغين أعرضوا عنه تكرما كقوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم إنك لا تهدي هداية موصلة إلى البغية لا محالة من أحببت من الناس ولا تقدر على أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء أن يهديه فيدخله في الإسلام وهو أعلم بالمهتدين المستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل ابن عبد مناف حيث أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى أولم نمكن لهم حرما آمنا أي ألم نعصمهم ونجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى إليه وقرئ تجبى أي يجمع ويحمل إليه ثمرات كل شيء من كل أوب والجملة صفة أخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فإذا كان حالهم وهم عبدة أصنام فكيف نعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن أكثرهم لا يعلمون أي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى أو حال من الثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة ثم بين أن الأمر بالعكس وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش والدعة حتى أشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم إلا قليلا أي إلا زمانا قليلا إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض يوم أو لم يبق من يسكنها إلا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار زمان مضاف إليه أو بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية إثر بيان إهلاك القرى المذكورة أي ما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة أو ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الإنذار بل كانت عادته أن لا يهلكها حتى يبعث في أمها أي في أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها لكون أهلها أفطن وأنبل رسولا يتلو عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات إلى نون العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك وقوله تعالى إلا وأهلها ظالمون استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي وما كنا مهلكين لأهل القرى بعدما بعثنا في أمها رسولا يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إليه في حال من الأحوال إلا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الإهلاك

بموجب السنة الالهية بالعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شأنه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطف بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اي ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب واختيار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تقريعا لهم اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا لدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اي الهتكم ليخلصوكم او ليبكتاهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والدلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء انما طلب منهم مما اجابوا به الرسل او جميع الانباء وهي اذا فيه ذهولا او تقاولا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذاك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم

عن غائلة المسؤول فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المرهوب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا لما ذكر ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص ومثاله ريح دلاص اي ملساء الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء صفة لاله وعليها يدور امر التبكيت والالزام كما في قوله تعالى هل من رازق غير الله يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمه تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمه تعالى وتشكروه عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ذكره في حق موسى وهرون عليهما السلام

واتيناه من الكنوز اي من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه
وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة
والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له
قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل باتيناه ورد بان الايتاء غير مقيد به وقيل بمضمر نحو اذكر
وقيل هو اظهر الفرح وتجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته ويكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح
في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب
الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي هيهنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف
الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة
ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تاخذ منها ما يكفيك واحسن اي
الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ
الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه
انما اوتيته على علم عندي كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر
من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت على الناس واستوجبت التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم
التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك قراه في التوراة وتلقاه من موسى عليه السلام وسمعه من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التوراة ولم
يعلم ان الله تعالى باهلاكه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه
ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان
قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكده بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله
مطلع على ذنوب كل المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما
بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب
ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي
والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من اهل
جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به
الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا المؤمنين وانما كانوا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين
اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين
يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بها كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك
شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه
غير مكتفين بثوابه تعالى ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح
فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه
كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره
فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا
فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال
قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي يقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر

بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبح بنو اسرائيل ح
بينهم انما دعا عليه موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة
ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه
فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض
ووي عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك
وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطاء والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا
على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف
بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا
ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة
تعظيم وتفخيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا
ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الوعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير
منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة المحمودة
للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا ووصفا
وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان
الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد تتقاصر دونه الهمم
الاحداق لا الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل مكة المعظمة على انه نزل يوم الفتح وهو بمكة في اذيته وشدة
من اهلها انه يهاجر منها ثم يعيده اليها بعد ظاهرا وسالما قاهرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده
ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى
وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل دل عليه اعلم اي يعلم وقيل اعلم على اي بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين
وما يستحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير لقوله ان الذي فرض عليك القرآن وما كنت ترجوا ان يلقى
اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك
رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا
للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وادع
الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها
آخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح بحيث
ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك
في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق والعدل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا صدق النبي

سورة العنكبوت

تسع وستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظايره من الفواتح الكريمة خلا انه بعدما لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظايره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفائه عنه بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان وان الواقعة صلة للموصول الاسمي والحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتن بمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في اناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكمة البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصابهم فلم يصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ ليعلمن من الاعلام اي ليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذين يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيامة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عين لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والانصرام دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا حتما والجملة واقعة موقع الجواب لاتيان الاجل موجب لاتيان اللقاء والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها

ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عائد الى المامور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل اخواه لامه الحارث فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ له فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شأنه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فرتدع عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية الكفرة اولا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم اي ان كان ذلك خطيئة

ونأخذ عليها بالبعث كما تقولون وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد
بتخفيف الأوزار عنهم إن كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى «وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء» وقرئ من خطيئاتهم أي
وما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم التي التزموا أن يحملوا كلها على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة
حال «إنهم لكاذبون» حيث أخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا فإن الكذب كما يتطرق إلى الكلام
باعتبار منطوقه يتطرق إليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين «وليحملن أثقالهم» بيان
لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلاً والتعبير عن الخطايا بالأثقال للإيذان بغاية
ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر أي وبالله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة «وأثقالاً» أخر «مع أثقالهم» لما تسببوا
بالإضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير أن ينتقص من أثقال من أضلوه شيء أصلاً «وليسألن يوم القيامة» سؤال تقريع وتبكيت
«عما كانوا يفترون» أي يختلقونه في الدنيا من الأكاذيب والأباطيل التي من جملتها كذبهم هذا «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه
فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً» شروع في بيان افتتان الأنبياء عليهم السلام بأذية أممهم إثر بيان افتتان المؤمنين
بأذية الكفار تأكيداً للإنكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء وحثاً لهم على الصبر فإن الأنبياء عليهم السلام
حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء المؤمنون أولى وأحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام
ألفاً وخمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة ومن ذهب إلى أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة ولعل عليه النظم الكريم للدلالة
على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة وإظهار ركاكة رأي الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء
واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة «فأخذهم الطوفان» أي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل
ما طاف بكثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء «وهم ظالمون» أي والحال أنهم مستمرون
على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية
«فأنجيناه» أي نوحاً عليه السلام «وأصحاب السفينة» أي ومن ركب فيها معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين
وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم إناث «وجعلناها» أي السفينة أو الحادثة والقصة «آية للعالمين» يتعظون بها
«وإبراهيم» نصب بالعطف على نوحاً وقيل بإضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم «إذ قال لقومه» ظرف للأول على
أنه ظرف للإرسال أي أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال إلى درجة التكميل حيث تصدى
للإرشاد والخلق إلى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من إبراهيم «اعبدوا الله» أي وحده «واتقوه» أن تشركوا به شيئاً
«ذلكم» أي ما ذكر من العبادة والتقوى «خير لكم» أي مما أنتم عليه ومعنى التفضيل مع أنه لا خيرية فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل
«إن كنتم تعلمون» أي الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو إن كنتم تعلمون شيئاً من الأشياء بوجه من الوجوه فإن ذلك
كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى «إنما تعبدون من دون الله أوثاناً» بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان
شريته بالنسبة إلى الدين الحق أي إنما تعبدون من دونه تعالى أوثاناً هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك
«وتخلقون إفكاً» أي وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله أو تعملونها وتنحتونها للإفك وقرئ
تخلّقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلّقون بحذف إحدى التاءين من تخلّق بمعنى تكذّب وتخرّص وقرئ أفكاً
على أنه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقاً ذا إفك «إن الذين تعبدون من دون الله» بيان لشرية ما يعبدونه
من حيث إنه لا يكاد يجديهم نفعاً «لا يملكون لكم رزقاً» أي لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق «فابتغوا عند الله
الرزق» كله فإنه هو الرزاق ذو القوة المتين «واعبدوه» وحده «واشكروا له» على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم
بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد «إليه ترجعون» أي بالموت ثم بالبعث لا إلى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرئ ترجعون
من رجع رجوعاً «وإن تكذبوا» أي تكذبوني فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون بالبعث «فقد كذب أمم من قبلكم» تعليل
للجواب أي فلا تضرونني بتكذيبكم فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وإدريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم

تكذيبهم شيئاً وإنما ضروا أنفسهم حيث تسببوا لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم «وما على الرسول إلا البلاغ المبين» أي التبليغ
الذي لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك أصلاً
«أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق» كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة
لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لعلمهم والواو للعطف على مقدر أي ألم ينظروا ولم يعلموا علماً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور
كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة أي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الإنكار وتأكيده وقرئ يبدأ «ثم يعيده»
عطف على أولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو إخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياساً على الابتداء وقد جوز
العطف على يبدئ بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة مثل ما أنشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به
على صحة البعث ووقوعه من غير ريب «إن ذلك» أي ما ذكر من الإعادة «على الله يسير» إذ لا يفتقر فعله إلى شيء أصلاً
«قل سيروا في الأرض» أمر لإبراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أي سيروا فيها «فانظروا كيف بدأ الخلق» أي كيف خلقهم
ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى فإن ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق
القاطنين في أقطارها «ثم الله ينشئ النشأة الآخرة» بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها والتعبير عن الإعادة التي هي محل النزاع
بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسماً من حيث إن كلاً منهما
اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود ولا فرق بينهما إلا بالأولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة
ومحلها النصب على أنها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والأصل الإنشاءة أو بحذف العامل أي ينشئ فينشؤون النشأة الآخرة كما في قوله
تعالى وأنبتها نباتاً حسناً والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وإظهار الاسم الجليل وإيقاعه مبتدأ
مع إضماره في بدأ لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة بالإشارة إلى علة الحكم وتكرير الإسناد وقوله تعالى «إن الله
على كل شيء قدير» تعليل لما قبله بطريق التحقيق فإن من علم قدرته تعالى على جميع الأشياء التي من جملتها الإعادة لا يتصور
أن يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما أخبر به «يعذب» أي بعد النشأة الآخرة «من يشاء» أي تعذيبه وهم المنكرون
لها حتماً «ويرحم من يشاء» أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام
من الترغيب «وما أنتم بمعجزين» له تعالى عن إجراء حكمه وقضائه عليكم «في الأرض ولا في السماء» أي بالتواري في الأرض
أو الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي أفسح منها لو استطعتم الترقي فيها كما في قوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا
من أقطار السموات والأرض فانفذوا أو القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء صفة لمحذوف معطوف على أنتم أي ولا من في السماء
«وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير» يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم «والذين كفروا
بآيات الله» أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيها النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث
والآيات الناطقة به دخولاً أولياً وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام «ولقائه» الذي تنطق به تلك الآيات
«أولئك» الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه «يئسوا من رحمتي» أي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة
على تحققه أو يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء «وأولئك لهم عذاب أليم» وفي تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد
وتنكير العذاب ووصفه بالأليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أي أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه باليأس
من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الأوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام
«فما كان جواب قومه» بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى «إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه» وقرئ بالرفع على العكس
وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد أنهم لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج إبراهيم عليه السلام إلا هذه المقالة الشنيعة
كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل إن ذلك الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الأخيرة وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات
والأباطيل ما لا يحصى «فأنجاه الله من النار» الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً
حسبما بين في مواضع أخر وقد مر في سورة الأنبياء بيان كيفية إلقائه عليه السلام فيها وإنجائه تعالى إياه تفصيلاً قيل لم ينتفع يومئذ
بالنار في موضع أصلاً «إن في ذلك» أي في إنجائه منها «لآيات» بينة عجيبة هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخمادها

في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم
آثارها محرومون وقال اي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وما في متعلقها اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان يكون
هو المفعول الثاني بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا بسبب المودة بينكم او مودودة
او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئ بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة
او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول
الاول وقرئ مرفوعة منونة ومنصوبة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم كما قرئ لقد تقطع
بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس في الحيوة وقد اجريتم احكامها حيث تعلمون
ما تفعلون لاجل مودتكم لها انتصارا منكم كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الامور ويتبدل التوادد تباغضا
والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق
منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الاخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تأوون اليه لا ترجعون منه ابدا
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي لا احد لكم
من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعى اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر
وقيل انه آمن له حين راى النار لم تحرقه وينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي
اليها الا الامم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخيه عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني
انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي
روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين آيس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب
اي جنس الكتاب ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة
واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين
في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابرهيم او بالكلام ذكره قوله تعالى اذ قال لقومه كما مر في قصة
ابراهيم عليه السلام انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين
استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر
النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونه
بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون
في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل
المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس
وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة
اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله
تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد
حققه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم
والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى اي البشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر

انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين
تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابرهيم عليه السلام
من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله
الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم ابراهيم
عليه السلام لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال
وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان
مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم
وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد لا تخف
اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك
كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل
او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه
بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب
وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية آية بينة هي
قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف
على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اي
توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل ارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب
مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة
وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموج الهواء بما يجاورها
من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين
وعادا وثمود منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي واهلكنا وقرئ وثمودا بتأويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي
وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان
اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر
والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا
وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وقيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي
فتداركوا انواع الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين
اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل
للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به
الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته
تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من ذلك لان له
حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعكبان واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع

وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيئا من الاشياء
لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى ان
اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله
الى آخره وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدر
وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام
على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك
ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم
واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا
المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن واستتباع العوائد
الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم
من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب عن سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح
على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله
فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه
قوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية
والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته
وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق
واقم الصلوة اي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام
باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كأنه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم
عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام واعراض
كلي عن معاصيه قال ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره
صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
فصلوته وبال عليه وروى انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا
من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله
اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله
عز وجل هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده
عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم
بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية
وقيل منسوخ بآية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة
ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اي وبالذي
انزل اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم
واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر
الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال

سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين
آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة
كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين
بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه
المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب او اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به
اي بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالته على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى
واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك
يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت
قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تقدر على ان تخط بيمينك حسبما هو المعتاد
او ما كانت عادتك ان تتلو ولا ان تخط اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط
او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب
اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته
عليه السلام عن ذلك بل هو اي القرآن آيات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير
ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون
للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم
السلام وقرئ آية قل انما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين
ليس من شأني الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا
لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات
انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها
يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون
مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب العظيم الشأن الباقي
على مر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يؤمنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك
المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما تقوله اليهود فقال كفى بها
حمق قوم ان رغبوا عما جاءهم نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر مني ومنكم يعلم ما في السموات
والارض اي من الامور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو مقرر لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا بالباطل
وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة
بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله وخسرانه اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم
امطر علينا حجارة او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب
المعين لهم حسبما استعجلوا به وقيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روي انه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب
الاستئصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون
بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الاجل
اي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل بغتة اي فجأة وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد

باساءة كما انه لا ياتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى سؤالهم فان ذلك اتيان برايهم وشعورهم لا انه
بايتهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كاتيان بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم
يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اي يستعجلونك
بالعذاب والحال ان محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب ان العذاب لمحيط بهم اي سيحيط بهم
وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصي
الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر
تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار
بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوي ذكره ايذانا بغاية كثرته
وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به المقال
وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من جميع جهاتهم ويقول اي الله عز وجل او بعض الملائكة
بامره ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي
من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة
امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر
بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف
والمعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول لافادة
تقديم معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جيء بها حثا على المسارعة
في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه ثم راجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت
هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة غرفا اي عالي ومفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم
او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف المؤقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة
لغرفا خالدين فيها اي في الغرف نعم اجر العاملين اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه وقرئ فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك
من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون اي لم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تعالى وكاين من دابة لا تحمل
رزقها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخر وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها
مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم ولئن سالتهم اي اهل مكة
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى الانكار ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون انكار
واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير
الله يبسط الرزق لمن يشاء اي يوسعه من عباده ويقدر له اي يضيق لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم
حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له على التعاقب ان الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق
بقدره له فيقدر له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ولئن سالتهم من نزل
من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته

الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان
اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالات ليحمد بعث بل اكثرهم لا يعقلون اي شيئا من الاشياء
فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالتهم وما هذه
الحياة الدنيا اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اي الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة
ثم يتفرقون عنه وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هي
في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من معنى الحركة
والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون اي لما آثروا عليها
الدنيا التي اصلها عدم الحياة وما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في
سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين
على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون اي فاجؤوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا اي يفاجئون الاشراك ليكونوا كافرين بما
انفسهم
فسوف يعلمون اي عاقبة ذلك ووخامته حين يرون العذاب اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اي
بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة
يؤمنون دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين للاهتمام بها او لايهام الاختصاص
مبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفي
الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا
ولم يتاملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذي اثير اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال
الستم خير من ركب المطايا اي لا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح
او انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا
هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اي في شاننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة
لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعنه عليه السلام
من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين تم

سورة الروم ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض
اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام عوض
عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى الارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين
وقرئ في اداني الارض وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب
سيغلبون اي سيغلبون فارس في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
كما غلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر

اخوانا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع
فقال ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين
فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند راس سبع سنين
وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند
الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم
غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل
لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم
غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ
من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اي يوم اذ يغلب الروم
على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت
بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة
الروم فارس وقيل نصر الله عز وجل انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وقل كل منهما شوكة الآخر
وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى
والاول هو الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اي من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر
لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من شاء ان ينصر عليه كائنا من كان
الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر
لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخرى فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم
الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه
قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم الجليل في
موضع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله
وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهو ما يشاهدونه منها من زخارفها
وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها
كما قيل فانها ليست مما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علمهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اي يعلمون ظاهرا
حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا
من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار
غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة
لمقتضى الجبلة المقررة لجهالتهم وتشبيههم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الحسية دون احوالها التي هي من مبادي العلم
بامور الآخرة واشعار بان العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان اولم يتفكروا انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر
الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور
استحالة كونه في غيرها لتحقيق امره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا متعلق بالعلم
الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا
اي اعملوا الفكر في الحيوة الدنيا فقط او قصروا النظر عليها ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي
من جملتها انفسهم من الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت

الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكم البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها
المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء
بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم عما يتبين المحسن من المسيء وامتيازات درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات
علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره
عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى
واجل مسمى عطف على الحق اي باجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا
وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر
باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا
بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي رتبها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق
كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمتبادر ان مدار المجازاة هو العمل
من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات المحتاج الى الاثبات فجعل ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الحكم
لا يلائم فخامة التنزيل وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر
من الغفلة عن احوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم
منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة
على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله
تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة بيان لمبدأ احوالهم ومآلها يعني انهم
كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اي عمرها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد
عمارة لها اكثر مما عمروها اي اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه
تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتقلب في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم
يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة
لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان اجترؤوا على اقتراف ما يوجب من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤوا اي عملوا السيئات
وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها
التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء
وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه
من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم
وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤون عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره
وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل الله يبدأ الخلق اي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه
ترجعون اي الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق
ورجعهم اليه يبلس المجرمون اي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ يبلس بفتح اللام

من ابلس اذا افحم واسكت ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها
في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اي بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرها
وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس ذلك من الابلاس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم
تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض
منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد
عن الآخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات
وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبرة السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره
والحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون
وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم
اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال عليه السلام يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية
يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة وقال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة
لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها
اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة صرح
بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته
من الكفر والتكذيب بآياته تعالى ولقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من القبائح في العذاب محضرون
على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشيا وحين تظهرون
اثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي من الثاني
ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية
متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه تنزيها او ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق في هذه
الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السماوات والارض في معنى الامر على ابلغ وجه واكده
وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح
بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام
من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلام
كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم الى غير ذلك مما لا يحصى من الآيات والاحاديث
وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من آيات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمه شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه
الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وقوله حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لانه لا يجيء
منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس
وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا
اما في المساء والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح
الصلاة لاشتمالها عليه وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون
صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت
اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها مكية وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره هي خمس صلوات كل يوم وليلة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الآية وعنه عليه السلام من قال

حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي
ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان
من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد موتها
يبسها وكذلك اي ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل
لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ومن آياته اي امارته الدالة على انكم تبعثون دلالة واضحة ما سبق من دلالة خلقهم
على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم
اي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا من تراب لم
ير التراب حظا من الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاجاتم بعد ذلك
وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم
ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم
لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتالفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام
والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء
في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل
او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا
اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة ورحم
قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا
ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب
المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف
تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته
بل هي مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السماوات والارض اما
من حيث ان القادر على خلقهما وما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما
من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي
خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اي لغاتكم بان علم كل صنف
لغته والهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم
ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما او بتخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص
حتى ان التوامين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في خلقهما يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا
في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السماوات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام
في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي
فيما ذكر من خلق السماوات والارض واختلاف الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين اي
المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها
على احد من الخلق كافة ومن آياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله
فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين
لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي شانهم ان يسمعوا

الكلام مجامع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن آياته
يريكم البرق الفعل إما مقدر بأن كما في قول من قال ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى أي أن أحضر أو منزل منزلة المصدر
كما في المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحذوف أي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما
الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح أي فمنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغي فيها أو ومن آياته شيء
أو سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة أو للمسافر وطمعا في الغيث المقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور
فإن إراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم إياه أو للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو إراءة خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع
بالإخافة والإطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الأرض
بالنبات بعد موتها يبسها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فإنها من الظهور بحيث يكفي في إدراكها مجرد العقل عند
استعماله في استنباط أسبابها وكيفية تكونها ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره أي بإرادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها
بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والأسباب وليس المراد بإقامتهما إنشاءهما لأنه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات
والأرض ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فإن ذلك من تتمات إنشائهما وإن لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله
تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه إلى أجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله
السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود
أخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر أيضا فقيل ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون فإنه كلام مسوق للإخبار
بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كأنه قيل ومن آياته قيام
السموات والأرض على هيئتهما بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم إذا دعاكم أي بعد انقضاء الأجل من الأرض أنتم
في قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يوم يدعو الداعي ومن الأرض
متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي لا بتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها وله
خاصة من في السموات والأرض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له
قانتون أي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكريره
لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو أهون عليه أي بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهما عليه سواء
وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه إلى الإعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع إلى الخلق المشار إليه وأما ما قيل من أن
الإنشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان أقرب إلى الحصول
من الإنشاء المتردد بين الحصول وعدمه فمبني على التحصيل وليس المراد بأهونية الفعل أقربيته إلى الوجود باعتبار كثرة الأمور الداعية
للفاعل إلى إيجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل أسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير
ولا تفاوت في ذلك بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الإيجاب أو بطريق الاختيار وله المثل الأعلى أي الوصف الأعلى العجيب
الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا إله
إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية في السموات والأرض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف وعرف فيهما
على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وقيل متعلق بالأعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره في الأعلى وهو العزيز القادر
الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته الحكيم الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان
الشرك من أنفسكم أي منتزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها
بطريق الأولوية وقوله تعالى هل لكم الخ تصوير للمثل أي هل لكم مما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء من شركاء فيما رزقناكم من الأموال
وما يجري مجراها مما تتصرفون فيه فمن الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى
فأنتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوفا
معطوفا على أنتم لأنه عام للموقتين بطريق التغليب أي هل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم في البشرية وأحكامها

أن يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم فأنتم وهم فيه سواء شرع تتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم
خبر آخر لأنتم أو حال من ضمير الفاعل في سواء أي تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم أنفسكم أي خيفة كائنة
مثل خيفتكم من الأحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أي لا ترضون بأن يشارككم فيما هو
معار لكم مماليككم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية
مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه كذلك أي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات أي نبينها
ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وإبراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس
فيكون في غاية الإيضاح والبيان لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم في تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات
للكل لأنهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا إعراض عن مخاطبتهم ومحاولة إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات
واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا أهواءهم
الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه أو ظالمون
لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم أي جاهلين ببطلانه لا يكفهم عنه شيء فإن العالم إذا اتبع
الباطل ربما ردعه علمه ببطلانه فمن يهدي من أضل الله أي خلق فيه الضلال بصرف اختياره إلى كسبه أي لا يقدر على هدايته أحد وما لهم
أي لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد
منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فأقم وجهك للدين مثل لإقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه
بترتيب أسبابه فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه أي فقوم وجهك له وعدله
غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المأمور أو من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة والنصب على الإغراء
أي الزموا وعليكم فطرة الله فإن الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والإفراد في أقم لما أن الرسول صلى الله عليه وسلم
إمام الأمة فأمره عليه السلام مستتبع لأمرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين
وقيل على المصدر أي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن
خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فإنهم
لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية
عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد
على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب
الامتثال به أي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان
وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالة الاستعداد ووضع فطرة أخرى مكانها غير مستعدة
لقبول الحق والتمكن من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة
في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك إشارة
إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور
أو باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا
منيبين إليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه للأمة وما بينهما اعتراض أي راجعين إليه
من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى واتقوه أي من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى وأقيموا
الصلاة ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين بإعادة
الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين
ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وكانوا شيعا أي فرقا تشايع كل منها
إمامها الذي أضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون

ظنا منهم انه حق وانى له ذلك والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفرق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون
صفة كل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا والاول اوجه واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا
ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم
الذي كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لان بعضهم ليسوا
كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا
واشرا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجأوا القنوط
من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا
ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة
فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة
التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية
عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او رتكبتموه من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو
في اموالهم فلا يربو عند الله اي لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكاة تريدون
وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم
والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له
تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه
البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوز ان يكون
الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس
الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي كل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر
كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر
قرى السواحل وقرئ البحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل هابيل
وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام
للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل لتشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم
وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد
على رده من الله متعلق بياتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون
اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل
صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما
بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لان الاثابة بطريق التفضل

لا الوجوب اشار الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه
المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل الرياح اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور
فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر
وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها واللام
متعلقة بيرسل بحملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره
وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله
بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
كما ارسلناك الى قومك فجاؤوهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك الفاء في قوله تعالى
فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة والاشعار
بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى
ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق
الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح والحكم بها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى
لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح
استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء
سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون
السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب
به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجأوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة
من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير
للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة
بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس
الى الاستبشار بالاشارة الى تقارب ما بينهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين
خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار
والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها في حيز النصب
بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اي فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل وايا ما كان فالمراد
بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتاء على الاسناد الى ضمير الرحمة
ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم
من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية [illegible] وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير
تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا
ريحا فرأوه اي الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته
وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط
والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اي والله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة
فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم
بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجأوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم
القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا
على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم

لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين قيد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم
جامعون لخصلتي السوء نبو أسماعهم عن الحق وإعراضهم عن الإصغاء ولو كان فيهم أحدهما كفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فإن الأصم
المقبل إلى المتكلم ربما يفطن من أوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وإن لم يسمعه أصلاً وأما إذا كان معرضاً عنه فلا يكاد يفهم شيئاً
وقرئ بالياء مفتوحة ورفع الصم وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمى
قلوبهم وقرئ تهدي العمي إن تسمع أي ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فإن إيمانهم يدعوهم إلى التدبر فيها وتلقيها بالقبول
أو إلا من يشارف الإيمان بها ويقبل عليها إقبالاً لا إعراضاً فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذي خلقكم
من ضعف مبتدأ وخبر أي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى خلق الإنسان ضعيفاً أي خلقكم من أصل ضعيف
هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق بكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة
إذا أخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لأن المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الأشياء التي
من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فإن الترديد فيما ذكر من الأطوار
المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة أي القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا
أو لأنها تقع بغتة وصارت علماً لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في القبور أو في الدنيا
وهو الأظهر لأن لبثهم مغياً بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام وقيل لا يعلم أي أربعون سنة أو أربعون
ألف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسياناً أو كذباً أو تخميناً كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا
يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين أوتوا العلم والإيمان في الدنيا من الملائكة والإنس لقد لبثتم
في كتاب الله في علمه أو قضائه أو ما كتبه عينه أو في اللوح أو القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ إلى يوم البعث ردوا
بذلك ما قالوه وأيدوه بالنص كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا أن ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون
أنه يكون بعد فناء الخلق كما هو ويقدرون لذلك أمداً وإن لم يعتقدوا الحقيقة فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على أنهم
لبثوا إلى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبوهم بالإخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي
توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من
قال قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم أي عذرهم وقرئ
تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وإن وسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم أي إزالة
عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل أي ولقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم بآية
من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين إن أنتم إلا مبطلون أي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فإن الجهل المركب
يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة إن وعد الله حق
وقد وعدك بالنصرة وإظهار الدين وإعلاء كلمة الحق ولا بد من إنجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة
الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم إياها وإيذائهم لك بأباطيلهم التي من جملتها قولهم إن أنتم إلا مبطلون
فإنهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم أمثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق أي لا يفتننك فيملكوك
ويكونوا أحق بك من المؤمنين وإنما كان ظاهر النظم الكريم وإن كان نهياً للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه

في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن
قوم على أن لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح
الله تعالى بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته صدق رسول الله

سورة لقمان أربع وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم أي ذي الحكمة لاشتماله عليها أو
وصف له بصفة الله تعالى أو أصله الحكيم منزله أو قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعاً فاستكن في الصفة
المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد أي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب
على الحال من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة وقرأ حمزة بالرفع على أنهما خبران آخران لاسم الإشارة أو لمبتدأ محذوف
للمحسنين أي العاملين الحسنات فإن أريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوا من الحسنات على طريقة قوله الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى
وقد سمعا وإن أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين شعبها لإظهار فضلها وإنافتها
على غيرها وتخصيص الوجه الأول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الأخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له أولئك
على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر
من المعاني ما لا مزيد عليه في سورة البقرة ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار معناه أو بتقدير الموصوف ومن قوله
من يشتري لهو الحديث موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يشتري أو
يشتري على أن مناط الإفادة والمقصود بالإصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين
كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالأحاديث
التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والإضافة بمعنى من التبيينية إن أريد
بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية إن أريد به الأعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث
بها قريشاً ويقول إن كان محمد عليه السلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة وقيل كان
يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله أي دينه أو الموصل إليه تعالى أو عن قراءة
كتابه الهادي إليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء أي ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزداد فيه بغير علم أي بحال ما يشتريه
أو بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفاً على ليضل والضمير للسبيل فإنه مما يذكر ويؤنث
أو للإسلام أو القرآن أي ويتخذها هزواً مهزواً به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفاً على يشتري وقوله تعالى أولئك
إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر
المشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للإضلال لهم عذاب مهين
لاتصافهم بإهانتهم الحق بإيثار الباطل عليه وترغيب الناس عنه وإذا تتلى عليه أي على المشتري أفرد الضمير فيه
وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأول باعتبار لفظ من بعد ما جمع فيما بينها باعتبار معناها آياتنا التي هي آيات الكتاب
الحكيم هدى ورحمة للمحسنين ولى أعرض عنها غير معتد بها مستكبراً مبالغاً في التكبر كأن لم يسمعها حال
من ضمير ولى أو من ضمير مستكبراً والأصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخفف الثقيلة أي مشبهاً حاله حال من لم يسمعها وهو سامع فيه
رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها على طريقة قوله
قد كأنك لم تجزع على ابن طريف كأن في أذنيه وقراً حال من ضمير لم يسمعها أي مشبهاً حاله حال من في أذنيه ثقل مانع
من السماع ويجوز أن يكونا استئنافين وقرئ في أذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب أليم أي أعلمه بأن العذاب
المفرط في الإيلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين بآياته

اثر بيان الكافرين بها اي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اي
نعيم جنات فعكس للمبالغة وجعله خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى
خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميرها والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران
موكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا
فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد وموكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من انجاز وعده
او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف مسوق للاستشهاد
بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد ما عقبه من التوحيد وتقريره وابطال الاشراك وتبكيت
اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات
وقوله تعالى ترونها استيناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها
بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع
في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي التي فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد
كراهة ان تميل بكم فان بسائط اجرامها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز
معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها
بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء
بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق
الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء
وخبره ذا بصلته او في معلق وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال
البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم
عليه او ياثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه
ومتعدون عن حده وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان
الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته عاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ
منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال
النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود
عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله
فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان داود قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق
وانه امره مولاه بان يذبح شاة وياتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان ياتي باخبث مضغتين
منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اي اشكر له
تعالى على ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال
بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني
عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات
بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو راسه كما قال عليه السلام الحمد راس الشكر لم يشكر الله عبد
لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير
اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك
جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الخ كلام مستانف
اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله تعالى

اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر موكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى
على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن
بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عنده
وعند ابي حنيفة رحمه الله هي ثلاثون شهرا وقد مر وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا
وما بينهما اعتراض موكد للوصية ولذلك قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير
تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان
تشرك بي ما ليس لك به اي بشركته تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا
اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروءة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم
اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر
وقوله تعالى يا بني الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك تاكيدا بالاعتراض انها
ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير
للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر في اخفى مكان واحرزه كجوف
الصخرة او حيث كان في العالم العلوي او السفلي يات بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل
علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعدما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علمه
تعالى وقدرته امره بالصلاة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له
يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد
والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق
على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر
والنهي وايذان بان ما بعده ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين
من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير يلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه
وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر موكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل
المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة
الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام
سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع
الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي
اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراطا في التحذير
عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع
بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع
الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير
اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء
المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله
كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان
جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر

تبوا لحسه مسخرة تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعم
وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر
صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل
ولا هدى من جهة الرسول عليه السلام ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن
يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو
كان الشيطان يدعوهم اي آباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون
انفسهم كذلك اي اتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب
والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة
بالا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته حيث عدي باللام قصد معنى الا
وقرئ يسلّم وهو محسن اي في اعماله آت بها جامعا بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في آخر سورة النحل فقد استمسك
بالعروة الوثقى اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق
جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا
يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض الينا
مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب وجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما
ان الافراد في الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن العقاب نمتعهم قليلا تمتيعا
او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سالتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر
بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم
لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السماوات والارض
فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل
بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لان المراد تفصيل الآحاد والبحر
يمده من بعده اي من بعد نفاده سبعة ابحر اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا
وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد
قبل ان تنفد كلمات ربي وتقديمه من الامداد بالآية والآية واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها
والام لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها تنصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار
جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج
عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي الا كخلقها وبعثها
في سهولة التأتي اذ لا يشغله شان عن شان لان مناطه وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح
عنه قوله سبحانه انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر
كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام
لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق ولما لحق اي الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل اي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر
الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان الايلاج امر متجدد في كل حين واما التسخير
فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اي بحسب حركته
الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة بحسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى وهو

قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والكلام على تقدير عموم الخطاب اعتراض
بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه عليه السلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر
فان جريانهما الى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل
المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين
في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فانه كلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس وذلك
عند بلوغها الى راس السرطان رجع متوجها الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا وقصرا
النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها
برج الجدي وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص
الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله
ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وان
ما يدعون من دونه الباطل اي ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دون الله تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة
لا ريب فيها وقرئ بالياء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على حقية الالهية تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه
لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال
وان الله هو العلي الكبير اي ببيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين
لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اتم بيان هذا وجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري
تعالى به بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاتها او الثابت الالهية وان ما سواه باطل وان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت
صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل لها في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمها في سلك الاسباب
بل هو عكس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها يقتضيها الم تر ان الفلك تجري
في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء متعلقة بتجري
او بمحذوف هو حال من فاعلها اي متلبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون
ليريكم من آياته اي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل لما قبله اي
فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ
في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن واذا غشيهم اي علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظلل
من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة
من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد
او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر
والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد
او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين
ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله
عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت
حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام

اختصاص

من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء
منها فتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان
عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني
ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليه السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت ان اقبض روحه بالهند وهو
عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلة وبذل وسعه في معرفة ما هو لاحق به من كسبه
وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم
بالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة ثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذه مسمى بالم والاشياء التي بها
قبل جريان ذكرها قد عرف سرها وان سرد على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب قوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول
خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر
لالم اي المسمى تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد
بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب
فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر
والاوجه حينئذ انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك
اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين
فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة
انكارا له وتعجيبا لما فيه من الطلاوة واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقيته حيث قيل بل هو الحق من ربك
باضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم اشير الى بيان غاية حكمته
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونه غاية حسنة مستتبعة
لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولما كانت قريش اضل الامم واحوجهم الى الهداية
بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه السلام اي ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك
والترجي معتبر من جهته عليه السلام اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتمشى على ما ذكر
من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول
وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين وايا ما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد للحكم الاخر فتدبر الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه اي ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم
في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اي الا تسمعون
هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا
وعلى الثاني الى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية
من الملائكة وغيرها نازلة اثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اي يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون اي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان
وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون

فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر
وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء
الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالصة وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي
بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض
والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اي
ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده
وهما خبران اخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء خلقه خبر اخر او نصب
على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة
وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يحسن
اي يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه
اي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن
على تضمينه معنى اعطى اي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني
والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه
وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبدأ
خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه الصلاة والسلام
على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداته
المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله اي ذريته سميت به لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة
من ماء مهين هو المني الممتهن ثم سواه اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه
اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه
العقول البشرية من معرفته هو هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح
من امر ربي وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع
كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها باستعمال
كل منها فيما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الايات التكوينية الشاهدة بهما
وتستدلوا بافئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على ان
القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي تشكرون شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدا فطرته الى نفخ الروح
فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعدادهم وصلاحيتهم له من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا
كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد
جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ءاذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن
وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض اي صرنا
من جنس الصلة ومحل اذا النصب بما يدل عليه قوله تعالى
ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد
الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها
الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم
بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت

لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا
او لا يبقى منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذى وكل بكم اى بقبض ارواحكم
واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون اذا ضللنا
فى الارض الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها
فى الدنيا ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات
المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا صما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه
تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما ان ما
قبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة
اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ما سألوه من الرجعة
وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له اى ابصرنا وسمعنا فانهم حينئذ شاهدوا من الكفر
والمعاصى على صور منكرة هائلة وخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها فى الدنيا حسنة
وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب بما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك
وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه
وقيل سمعنا قول الرسل اى سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية فى ذلك الوقت
او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضى فيها وفى لو باعتبار ان الثابت فى علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اى لرأيت
امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة
الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة
بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن حمل عموم الخطاب على القصد الى بيان ان حالهم قد بلغت
من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص برؤيته راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل فى هذا الخطاب
فقد نأى عن تحصيل الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق
مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ
اى ونقول لو شئنا اى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به الى
الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه فى الدنيا التى هى دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول منى اى سبق
حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك
القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغى
باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلال لم نشأ اعطاءه لكم
وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سلف من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون
مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى فى الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلى بافعال العباد
عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون
عدمها منوطا بتحققها وانما مناطها علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتى الى الغى وايثارهم له على الهدى فلو اريدت
هى من تلك الحيثية لاستدرك جعل عدمها منوطا بذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم لم يتم
ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذى كان منهم اختياره لاهتدت ولكن لم نعطهم لما علمنا
منهم اختيار الكفر وايثاره فهذا اشبه بعلائق الشؤون والفاء فى قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما
عنه ما قبله من نفى الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان بان تعذيبهم

مطلب

ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا وحق وعيدى
فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اى تركناكم فى العذاب
ترك المنسى بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وبيان المفعول المطوى للذوق والاشعار
بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا وعدم نظم الكل فى سلك
واحد للتنبيه على استقلال كل منهما فى استيجاب العذاب وفى ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال
السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد فى الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا استئناف مسوق لتقرير عدم
استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون
بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين
اذا ذكروا بها اى وعظوا خروا سجدا اى سقطوا على وجوههم ساجدين من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف لما نطقت به من الوعد
والوعيد اى سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اى ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التى من جملتها العجز
عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التى اجلها الهداية بايتاء الآيات والتعرض للاستدعاء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق
الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اى
والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اى ترتفع وتتنحى عن المضاجع
اى الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضى الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار
كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبى صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا انه قال نزلت فى اناس من اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهى صلوة الاوابين وهو قول ابى حازم ومحمد بن المنكدر
وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر فى جماعة والمشهور ان المراد
منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعى وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله
المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع
الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اى داعين له تعالى على الاستمرار خوفا
من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا فى رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون فى وجوه البر والحسنات
فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفى لهم اى لاولئك الذين عددت نعوتهم
الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرئ اخفى لهم وما نخفى لهم وما اخفيت لهم
على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة
او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اى جوزوا جزاء او اخفى لهم للجزاء بما كانوا يعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة
قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اى بعدما ظهر ما بينهما من التباين البين
يتوهم كون المؤمن الذى حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة
الانكار لنفى المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتى عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
وقوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين فى الآخرة بعد ذكر احوالهما فى الدنيا
واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقى وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد
ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التى هى مأواهم فى الدنيا نزلا اى ثوابا وهو فى الاصل ما يعد للنازل من الطعام
والشراب انتصابه على الحالية بما كانوا يعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما الذين فسقوا اى خرجوا

عن الطاعة فمأواهم اي ملجأهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرفعهم الى طبقاتها حتى اذا قربوا من ابوابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين شاهدوه وهم في الحياة يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت الآية

ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل جارم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام فلا تكن في مرية من لقائه اي من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه من الوحي مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة وجعلناه اي الكتاب الذي آتيناه موسى هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم وكانوا بآياتنا التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ

اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم

بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كأنه قيل لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كأنما احيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام صدق الله العظيم

سورة الاحزاب ثلث وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعودون في الدين واعطاء الدنية في امر المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة ابن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تأتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خبير بما يعمله الكفرة والمنافقون من كيدك او فيه صلاح حالك وانتظام امرك يطلعك على ما يعملون من المكائد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر الجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي

وهو معنى خلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون
ايتان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاي وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام
التاء الثانية في الظاء ويظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياءكم
جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء
ذلكم اشارة الى كل ما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي قولكم هذا ابني قولكم
بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق
المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم
وخصوهم بهم وهو قوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل
تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا
آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فهم اخوانكم فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية
وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت
قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم
بقوله هو ابني اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثله المتبنى ولم يعرف قبل نسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم
من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج
فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية
ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن
كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام اي ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل
وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولو الارحام
بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء
من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر
في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين
كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيصهم بالذكر
مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مرتبتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم
من الرسل وتقديم نبينا عليه الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشان
او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ذكر اخذ الميثاق وغايته
لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك
ليسأل يوم القيامة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال
لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه تصديق واما ما قيل من ان
المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله
واعد للكافرين عذابا اليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل اذ لا وجه لعطفه على اخذ الميثاق لاثابة المؤمنين

او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين بعيد فانه مع انه بمعزل عن كون
بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كانه قيل فاثاب
المؤمنين واعد للكافرين النار يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا
فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على
انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا
فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين
فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن
ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى
على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن
ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب فركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا
فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين
حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني
ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك
قال علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه
ثم اقبل على علي فتناولا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق
هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتلهما ايضا علي رضي الله عنه
وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف
على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي تفصيلها في آخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا
بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب
واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم
فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق
وترتيب مبادي الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر
والمعاصي بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم
من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل
في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن
شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف واذ زاغت الابصار
عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت
عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع
القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة
والخطاب في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي تظنون بالله تعالى انواع الظنون المختلفة
حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم
والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس
وزيادتها لمراعاة الفواصل كما زيدت في الرسول والسبيل هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل
او المكان الدحض ابتلي المؤمنون اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا

زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي وإذ يقول المنافقون عطف على إذ زاغت وصيغة المضارع
للدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض أي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
من إعلاء الدين والظفر إلا غرورا أي وعدا غرورا وقيل قولا باطلا قاله معتب بن قشير إذ رأى الأحزاب قال يعدنا
محمد فتح كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم هم أوس بن قيظي وأتباعه
وقيل عبد الله بن أبي وأشياعه يا أهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل هو اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها ونهى
النبي صلى الله عليه وسلم أن تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم
إياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الأمر بالرجوع إليها لا مقام لكم لا موضع إقامة لكم أو لا إقامة لكم ههنا يريدون المعسكر
وقرئ بضم الميم أي لا قيام أو لا موضع قيام لكم فارجعوا أي إلى منازلكم بالمدينة مرادهم الأمر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا
لمقالهم وإيذانا بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا إلى ما كنتم عليه من الشرك أو عما
بايعتموه عليه وأسلموه إلى أعدائه أو لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والأول هو الأنسب لما بعده فإن قوله تعالى
ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عليه
السلام في الرجوع ممتثلين بأمرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن أو حال من فاعله أو استئناف مبني على السؤال
عن كيفية الاستئذان إن بيوتنا عورة أي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع إلى العسكر والعورة
في الأصل الخلل أطلقت على المختل وقد جوز أن تكون تخفيف عورة من عورت الدار إذا اختلت وقد قرئ بها والأول هو الأنسب بمقام
الاعتذار كما يفصح عنه تصديرهم مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال أنها ليست كذلك إن يريدون أي ما يريدون
بالاستئذان إلا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم أسند الدخول إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها
وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو أسند إلى الجار والمجرور
من أقطارها أي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة
والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة أي الردة والرجعة إلى الكفر
مكان ما سئلوا الآن من الإيمان والثبات لآتوها لأعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء
وقرئ لأتوها بالقصر أي لفعلوها وجاءوها وما تلبثوا بها بالفتنة أي بإتيانها أو بإعطائها إلا يسيرا ريثما يسع السؤال
والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد
إلا يسيرا والأول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد
الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أنهم إذا دعوا إلى الحق نكلوا عنه
وإن دعوا إلى الباطل سارعوا إليه أثر ذي أثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر
المذكورة وإسناد سؤال الفتنة الدعوة إلى الكفر إلى طائفة أخرى مع أن العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون
لقتال المؤمنين المصرون على الإعراض عن الحق المجدون في الدعاء إلى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار فإن بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا أن لا يعودوا لمثله
وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن
وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم
من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنفه أو قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم
وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل
الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله
المعوقين منكم أي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لإخوانهم من ساكني المدينة

هلم إلينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو أحضر أو قرب يستوي فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون
هلم يا رجل وهلموا يا رجال أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة
ولا يأتون البأس أي الحرب والقتال إلا قليلا أي إتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن
لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله تعالى
ما قاتلوا إلا قليلا وقيل إنه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم
أي بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم
فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم في أحداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون
أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا
ولواذا بك أو ينظرون كائنين كالذي إلخ أو تدور أعينهم دورانا كائنا كدوران عين الذي أو تدور أعينهم كائنة كعين إلخ فإذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا
غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرئ صلقوكم أشحة على الخير نصب على الحالية أو الذم
ويؤيده القراءة بالرفع أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالإخلاص فأحبط الله أعمالهم
أي أظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا وكان ذلك
الإحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها
لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب
لم ينهزموا ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم
خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ
يساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما يقال تراءينا الهلال
فإن صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسند إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور
ونظائره عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا
رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة خصلة حسنة حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة
الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ
بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا
وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم
والأكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله أي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا أي ذكرا كثيرا فإن
المثابرة على ذكره تعالى تؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رأى المؤمنون
الأحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم
أي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين إلى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه
فضلا عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله إشارة إلى الخطب
أو البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فإن ذلك
العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوا بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء إلى قوله ألا إن نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب
والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة
وصدق الله ورسوله أي ظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم
للتعظيم وما زادهم أي وما زادهم ما رأوه إلا إيمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره

من المؤمنين أي المؤمنين بالإخلاص مطلقاً لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لإعلاء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حرباً
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقني
إذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب إما بطرح الخافض عنه وإيصال الفعل إليه كما في قولهم صدقني سن بكره أي في سن بكره
وإما بجعل المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكونه بحيث لا يعد آن لم نتحرى وقالوا آتيناك
وحث وثوابه فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكانوا كذبوا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين
وتقسيم لهم إلى قسمين والنحب النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئاً من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه
والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
الآية فبعضهم أو بعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس بن مالك وغيرهم رضوان
الله عليهم أجمعين فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة
المغياة بما ليس منها ولا داخلاً تحت النذر وهو الموت شهيداً أو كان مستعاراً لالتزامه على ما سيأتي ومنهم أي وبعضهم
أو وبعض منهم من ينتظر أي قضاء نحبه لكونه موقتاً كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم
أجمعين فإنهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال إلى حين نزول
الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيداً هذا وقد جوز أن يكون النحب مستعاراً
لالتزام الموت شهيداً إما بتنزيل أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه
وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأياً ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة
بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة
وذهاب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله أي وما بدلوا
عهدهم وما غيروه تبديلاً أي تبديلاً ما لا أصلاً ولا وصفاً بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون
أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم
للإيذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز أن يكون ضميره للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان حالهم
وقد روي أن طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه السلام أوجب طلحة الجنة
وفي رواية أوجب طلحة وعنه عليه السلام رواية جابر من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله
وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة وهذا نشأ إليه الأول
ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع إلى وقوع ما حكي من الأحوال
والأقوال على التفصيل وغاية له كما في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين
بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولاً وفعلاً ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الأعمال والأقوال المحكية إن شاء
تعذيبهم أو يتوب عليهم إن تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق وإثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم
إلا إيماناً وتسليماً وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب
ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق إن الله كان غفوراً رحيماً أي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث إلى التوبة وقوله تعالى
ورد الله الذين كفروا رجوع إلى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار إليها إجمالاً بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحاً
وجنوداً لم تروها معطوف إما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كأنه قيل إثر حكاية الآية المذكورة وقع ما وقع من
ورد الله إلخ وإما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والأفهام وداهية تامة

تحاكت منها الركب وزلت الأقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي أهل الإيمان وأهل الكفر والنفاق من الأحوال
والأقوال لإظهار عظم النعمة وإبانة خطرها الجليل ببيان وصولها إليهم عند غاية احتياجهم إليها أي فأرسلنا عليهم ريحاً
وجنوداً لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى
بغيظهم حال من الموصول أي متغيظين وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيراً تداخلاً أو تعاقباً أي غير ظافرين بخير أو الثاني
بيان للأول أو استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من إرسال الريح والجنود وكان الله قوياً على إحداث
كل ما يريده عزيزاً غالباً على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم أي عاونوا الأحزاب المردودة من أهل الكتاب
وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث أسلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقاً
تقتلون وتأسرون فريقاً من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلاً عن المخالفة والاستعصاء روي أن جبريل عليه السلام
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا السلاح فقال
أتنزع لأمتك والملائكة ما وضعوا السلاح إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا
العصر إلا ببني قريظة فحاصروهم إحدى وعشرين أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا
فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة إلى تسعمائة وأسر سبعمائة وقرئ بسكون العين
كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون وقوله تعالى فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون لمراعاة الفواصل وأورثكم أرضهم وديارهم أي حصونهم
وأموالهم نقودهم وأثاثهم ومواشيهم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار
فقالت الأنصار في ذلك فقال عليه السلام إنكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عليه السلام
لا إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وأرضاً لم تطؤوها أي وأورثكم في علمه وتقديره
أرضاً لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديراً فقد
شاهدتم بعض مقدوراته من إيراث الأرض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن
تردن الحياة الدنيا أي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين أي أقبلن بإرادتكن واختياركن
لإحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني أمتعكن بالجزم جواباً للأمر وكذا أسرحكن
أي أعطكن المتعة وأطلقكن سراحاً جميلاً طلاقاً من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي أنهن سألنه عليه السلام
ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق
إليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار أو لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما كان
تخييراً لهن بين الإرادتين على أنهن إن أردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين أمتعكن
وأسرحكن وذهب آخرون إلى أنه كان تفويضاً للطلاق إليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقاً
وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم إذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع
شيء أصلاً ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى
وسفيان وروي عن زيد بن ثابت أنها إن اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وإن اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات
وهو قول الحسن رواه عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه أنها إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت
نفسها فواحدة بائنة وروي عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً وعليه إجماع فقهاء الأمصار
وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقاً وتقديم التمتيع على التسريح

من باب الكرم وفيه قطع لمعاذير من بين الامر والمتعة المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد
واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك
فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله﴾ اي تردن رسوله وذكر الله للاجلال
للايذان بجلالة محله عليه السلام عنده تعالى ﴿والدار الآخرة﴾ اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا ﴿فان الله
اعد للمحسنات منكن﴾ بمقابلة احسانهن ﴿اجرا عظيما﴾ لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد
الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه ولعل تقديم التمتيع على التسريح
في وصف السراح بالجميل ﴿يا نساء النبي﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده
بالاضافة اليه عليه السلام لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام ﴿من يأت منكن بفاحشة﴾ بكبيرة ﴿مبينة﴾
ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾
اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك
جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للفاعل ونصب العذاب
﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ﴿ومن يقنت
منكن﴾ وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة ﴿لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين﴾ مرة على الطاعة والتقوى واخرى
على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضميرا لله
﴿واعتدنا لها﴾ في الجنة زيادة على اجرها المضاعف ﴿رزقا كريما﴾ مرضيا ﴿يا نساء النبي لستن كاحد من النساء﴾ اصل احد
وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء
في الفضل والشرف ﴿ان اتقيتن﴾ مخالفة حكم الله تعالى ورضى رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بكن ﴿فلا تخضعن
بالقول﴾ عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾
اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع
كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب ﴿وقلن قولا معروفا﴾ بعيدا عن الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث
او قولا حسنا مع كونه خشنا ﴿وقرن في بيوتكن﴾ امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت
فتحتها على ما قبلها كما في ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل
به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ﴿ولا تبرجن﴾ اي ولا تتبخترن
في مشيكن ﴿تبرج الجاهلية الاولى﴾ اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم
السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى
الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر
﴿واقمن الصلاة وآتين الزكاة﴾ امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي الطاعات البدنية والمالية ﴿واطعن الله ورسوله﴾
في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ اي الذنب المدنس لعرضكم
وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح
﴿اهل البيت﴾ مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ﴿ويطهركم﴾ من اوضار الاوزار والمعاصي ﴿تطهيرا﴾ بليغا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وهذه كما ترى حجة بينة على ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان
رأي الشيعة في تخصيصهم اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما

يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت
دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾ اي اذكرن للناس بطريق العظة
والتذكير ما يتلى في بيوتكن ﴿من آيات الله والحكمة﴾ من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة
بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي
وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة
في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها
الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة
غيرهن تعليما وتعلما ﴿ان الله كان لطيفا خبيرا﴾ يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من
يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ﴿ان المسلمين والمسلمات﴾ اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى
من الذكور والاناث ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين ﴿والقانتين
والقانتات﴾ المداومين على الطاعات القائمين بها ﴿والصادقين والصادقات﴾ في القول والعمل ﴿والصابرين
والصابرات﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿والمتصدقين
والمتصدقات﴾ بما وجب في مالهم ﴿والصائمين والصائمات﴾ الصوم المفروض ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ عن الحرام
﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ بقلوبهم والسنتهم ﴿اعد الله لهم﴾ بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة ﴿مغفرة﴾ لما اقترفوا
من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة ﴿واجرا عظيما﴾ على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي
صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته
الدلالة على ان اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ اي ما صح وما استقام
لرجل ولا امرأة من المؤمنين ﴿اذا قضى الله ورسوله امرا﴾ اي اذا قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار
بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوج عبده ﴿ان يكون لهم الخيرة من امرهم﴾ اي
ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين
لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ يكون بالياء ﴿ومن
يعص الله ورسوله﴾ في امر من الامور ويعمل فيه برأيه ﴿فقد ضل﴾ طريق الحق ﴿ضلالا مبينا﴾ اي بين الانحراف عن سنن
الصواب ﴿واذ تقول﴾ اي واذكر وقت قولك ﴿للذي انعم الله عليه﴾ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته واعتاقه
﴿وانعمت عليه﴾ بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان
المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما
مما لا يتصور في حق زيد ﴿امسك عليك زوجك﴾ اي زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة
جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة
صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا
ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك ﴿واتق الله﴾ في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها ﴿وتخفي
في نفسك ما الله مبديه﴾ وهو نكاحها ان طلقها ﴿وتخشى الناس﴾ تعييرهم اياك به ﴿والله احق ان تخشاه﴾ ان كان فيه

ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى
في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه ﴿فلما قضى زيد منها وطرا﴾ بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت
عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك ﴿زوجناكها﴾ وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه او
وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن
زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج﴾
ضيق ومشقة ﴿في ازواج ادعيائهم﴾ اي في تزوجهن ﴿اذا قضوا منهن وطرا﴾ فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه
دلالة على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل ﴿وكان امر الله﴾ اي ما يريد تكوينه من الامر او ما امر به ان
يكون ﴿مفعولا﴾ مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ﴿ما كان على النبي من حرج﴾ اي اثم وما استقام في الحكمة ان
يضيق ﴿فيما فرض الله له﴾ اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم
﴿سنة الله﴾ اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة ﴿في الذين
خلوا﴾ مضوا ﴿من قبل﴾ من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام
مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية ﴿وكان امر الله قدرا مقدورا﴾ اي قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه ﴿الذين يبلغون
رسالات الله﴾ صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ﴿ويخشونه﴾ في كل ما يأتون ويذرون
لا سيما في تبليغ الرسالة حيث لا يحرفون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ﴿ولا يخشون احدا الا الله﴾ في وصفهم
تعريض بقصته صلى الله تعالى عليه وسلم من الاحتراز عن لائمة الخلق وقوله وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا والكبيرة فيجب ان يكون
حق الخشية منه تعالى ﴿ما كان محمد ابا احد من رجالكم﴾ اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة
المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم الا
عليه السلام لانهم ﴿ولكن رسول الله﴾ وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل ناصح لهم وسبب لحياتهم
الابدية وما زيد الا واحد لا دونهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم لا ادعاكم سوى التقرب
والاختصاص ﴿وخاتم النبيين﴾ وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
واياما كان لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام خاتم النبيين انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل
عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ ومن جملته تعيين الاحكام
والحكم التي منها لكم وكنتم منها في شك وريب ﴿يا ايها الذين امنوا اذكروا الله﴾ بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس
﴿ذكرا كثيرا﴾ يعم الاوقات والاحوال ﴿وسبحوه﴾ ونزهوه عما لا يليق ﴿بكرة واصيلا﴾ اي اول النهار واخره على ان
تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد
التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد
بالتسبيح الصلاة ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامر فان صلوته تعالى عليهم مع عدم
استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى ﴿وملائكته﴾
عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلاة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان
استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له
وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ
من الصلاة المستعملة في الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم

واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر
﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ متعلق بيصلي اي يعتني بامركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وقوله تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم
رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان
بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾
بيان للاحكام الاجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان اثارها العاجلة التي هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون
به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم
من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم او اخبارا بالسلامة من كل مكروه وآفة وقوله تعالى ﴿واعد لهم اجرا كريما﴾ بيان لاثار رحمته الفائضة عليهم
بعد دخول الجنة عقيب بيان اثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال
مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود وبيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى
من بين سائر اثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل ﴿يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا﴾ على من
بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل عنهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه وهو حال
مقدرة ﴿ومبشرا ونذيرا﴾ تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار ﴿وداعيا الى الله﴾ اي الى الاقرار به وبوحدانيته
وبما يجب الايمان به من صفاته وافعاله ﴿باذنه﴾ اي بتيسيره واطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد الدعوة به ايذانا
بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جانب قدسه كيف لا وهو صرف الوجوه عن القبل المعبودة
وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة ﴿وسراجا منيرا﴾ يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويقتبس من نوره انوار
الرشد والهداية ﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس
وبشر المؤمنين منهم ﴿بان لهم من الله فضلا كبيرا﴾ اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم
بطريق التفضل والاحسان ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال المجانبة في التبليغ
والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها
ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ﴿ودع اذاهم﴾ اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك
في الدعوة والانذار ﴿وتوكل على الله﴾ في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيهم ﴿وكفى
بالله وكيلا﴾ موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال
الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر
بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه حسبما ذكر انفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة
في انذارهم كما حقق وقوبل الداعي الى الله تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به
وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات
الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه ﴿يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن﴾
اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ بايام يتربصن فيها بانفسهن ﴿تعتدونها﴾ تستوفون
عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة
حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون
فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته
الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب ﴿فمتعوهن﴾
اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى

غير مستنجحة وسرحوهن أي أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق
ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لأنه إنما يتسنى في المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن
أي مهورهن فإنها أجور الأبضاع وإيتاؤها إما إعطاؤها معجلا أو تسميتها في العقد وأيا ما كان فتقييد الإحلال له
ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقدير الدخول وعدمه بل لإيثار الأفضل والأولى له
عليه السلام كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله تعالى وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها
وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة
بالنصب عطفا على مفعول أحللنا وليس معناه إنشاء الإحلال الناجز بل إعلام مطلق الإحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ
بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أي أحللناها لك أيضا إن وهبت نفسها للنبي أي ملكته بضعها بأي عبارة كانت
بلا مهر إن اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند إرادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى إن أراد النبي
أن يستنكحها أي أن يتملك بضعها كذلك أي بلا مهر فإن ذلك جار منه عليه السلام مجرى القبول حيث لم يكن بطريق
تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح أن يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة إيجابا أو سلبا واختلف في اتفاق العقد
فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده عليه السلام أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وإيراده عليه السلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة
والإيذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك أي خلص
إحلالها خالصة أي خلوصا فإن الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعاقبة والكاذبة أو خلص إحلال ما أحللنا لك من المذكورات
على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على الأول أن الإحلال المذكورة في المادة المعهودة غير متحقق
في حقهم بل المتحقق فيه إحلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك خلوص لك
وخصوص أو هي أي تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب المهر
وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم أي على المؤمنين في أزواجهم اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الإحلال
المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه
السلام تكرمة له وتوسعة عليه أي قد علمنا ما ينبغي أن يفرض عليهم في الأزواج وما ملكت أيمانهم وعلى أي حد وأي صفة يحق
أن يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج أي ضيق واللام
متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الإحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لأن مدار انتفاء
الحرج هو الأول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الأمر
في مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن أي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي إليك من تشاء وتضم إليك من تشاء منهن
وتضاجعها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت أي طلبت ممن عزلت
طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهي قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق أو يمسك وإذا أمسك ضاجع
أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق فإما أن يخلي المعزولة أو يبتغيها وروي أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان
يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي بينهن مع ما أطلق
له وخير إلا سودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك ذلك أي ما ذكر من تفويض الأمر إلى
أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن أي أقرب إلى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لأنه حكم كلهن فيه سواء
ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب أعينهن
وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيدا لنون يرضين وقرئ بالنصب على أنه تأكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا

في إحسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها
فإنه إمهال لا إهمال لا يحل لك النساء بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد أي من بعد
التسع وهي في حقه كالأربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك أي من بعد اختيارهن
الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا أن تبدل أي تتبدل بحذف إحدى التاءين بهن أي بهؤلاء
التسع من أزواج بأن تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق أراد الله لهن كرامة
وجزاء على اختيارهن ورضاهن فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه السلام عنهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة
بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش
الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي أحللناهن لك بالنعت
الذي تقدم ذكرها من الأعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الإماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا أن تبدل بهن فإن معنى إحلال
الأجناس المذكورة إحلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبدل بهن إحلال نكاح غيرهن بدل إحلال نكاحهن وذلك إنما يتصور بالنسخ الذي
ليس من الوظائف البشرية ولو أعجبك حسنهن أي حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو أزواج
لتوغله في التنكير وقيل تقديره مفروضا إعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم وقيل هي أسماء
بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب أي ممن أعجبه عليه السلام حسنهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة قيل بقوله تعالى
ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء وقيل بقوله تعالى إنا أحللنا لك فإن ترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة
وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء وقال أنس مات عليه السلام على التحريم إلا ما ملكت
يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا
فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب
على الناس من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم إثر بيان ما يجب عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى إلا أن
يؤذن لكم استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من أعم الأوقات
أي لا تدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم ورد عليه بأن النحاة نصوا على أن الوقوع موقع الظرف
مختص بالمصدر الصريح دون المؤول فلا يقال آتيك أن يصيح الديك وإنما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى إلى طعام
متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للإشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وإن تحقق الإذن كما يشعر به قوله تعالى
غير ناظرين إناه أي غير منتظرين وقته أو إدراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على أن الاستثناء واقع على الوقت والحال معا
عند من يجوزه أو من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا إبراز الضمير ولا مساغ له عند
البصريين وقرئ بالإمالة لأنه مصدر أنى الطعام أي أدرك ولكن إذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول
بغير إذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه فإذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لأنه
خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم وإلا
لما جاز لأحد أن يدخل بيوته عليه السلام بإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمر مهم ولا مستأنسين لحديث أي لحديث
بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين إن ذلكم
أي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإيجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده
عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم أي من إخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فإنه يستدعي أن يكون المستحيى منه
أمرا حقا متعلقا بهم لا أنفسهم وما ذاك إلا إخراجهم فينبغي أن لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وأمركم بالخروج والتعبير عنه
بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الأولى وإلقاء حركتها إلى ما قبلها وإذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول
عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا أي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن أي المتاع من وراء حجاب
أي ستر روي أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل إنه

عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اي ذكر
من عدم الدخول وسوال المتاع من ورا حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم
اي وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه من بعده
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد مرتبته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره
وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال
ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم
بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد
لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب
عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر
العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر
ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة
لانهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا
نسائهن اي نساء المؤمنين ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله
في كل ما تاتين وما تذرن لا سيما ما امرتن ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت عليه
الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة
ما بعده عليه على راي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي
يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم
او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار
وقيل تجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده
فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه عليه السلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان
غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك
ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في اية السجدة
وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من قال بوجوبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي
يقتضيه الاحتياط وتستدعيه معرفة علو شانه صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعي ان الصحابة كانوا
يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم
السلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين
يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التاذي في حقه تعالى وقيل في ايذاء
الله عز وجل هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في اياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته
وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل

للخطر والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته
في الدنيا والاخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الاخرة
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتاذون به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا
اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء ففيه
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير
فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن في الليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون
الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل
ما ذكر وما سيأتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم
بان يامر بعض المتاذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من الستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب واسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله
الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما
من المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العينين ذلك اي
ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين
من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال
هذه الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل
وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك
من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها
متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك
عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة
الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء
وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية
سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله
تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسالك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها
كان المشركون يسالونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التوراة
وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل
له عليه السلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت
قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرف
ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار
للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته
العاجلة والاجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الاخرة خالدين فيها ابدا
لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين
وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او يطبخ في القدر فيدور في الغليان
من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب وباسناد
الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر

وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل جسد فقوله تعالى يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة
كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى
بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او من المجرور في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي
للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم
في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين
لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير
والاهانة فاضلونا السبيلا بان زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين
من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا
وتصدير الدعاء بالنداء المكرر للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا
في حقه اي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان [illegible] اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها
او دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون
ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به
حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله
تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة
وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه
فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام وقولوا في كل شأن من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد
يسد سدادا والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر
عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم
ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات
فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم
ومآل المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل
مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق
مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة
عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض
عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم قبولها بالاباء لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل
الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة
في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك
لأبين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود
بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها
يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده
الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر
بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم
السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ليعذب

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين
لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض
افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله
تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم
بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم
الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي
الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وحمل الامانة اي شأنها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين
التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز
فوزا عظيما بتعظيم شأن الطاعة وذريعة الى ذلك اي من قام بحقوق هذا الامر العظيم الشأن [illegible] فهو جدير بان يفوز بخير الدارين
يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق وتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري
وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها
فيكون الاباء عنها عدم الخيانة واتيانها بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لنا واتين بما اردنا منها
بقوله تعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يأت بالمراد به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحمل فريضة
ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته
وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم
اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وهو قريب مما فصل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على المؤمنين
وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ
سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر والله تعالى اعلم بحقيقة الحال

سورة سبا اربع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام
والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه
تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب
ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها
في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل
من استحقاق الحمد الذي هو الثناء الجميل على الصانع القادر بالافعال فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله وله الحمد في الآخرة
بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار
واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفى بما سبق من ذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون
الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة
من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان
والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ
والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها بحسب ما تقتضيه الحكمة الخبير
ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض حينئذ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيط بها مصالحهم الدينية

والدنيا اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها «وما يخرج منها» كالحيوان والنبات والماء ونحوها «وما ينزل من السماء» كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ ننزل بالتشديد وبنون العظمة «وما يعرج فيها» كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة «وهو الرحيم» للحامدين على ما ذكر من نعمه «الغفور» للمفرطين في ذلك بمقتضى كرمه «وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة» ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد «قل بلى» رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى «وربي لتأتينكم» تأكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على ان فاعله ما دل عليه البعث او الوقت وقوله تعالى «عالم الغيب» الخ اعادة للتأكيد بالقسم اثر تشديد وتكرير لبيان استبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد عليه احق بالثبوت اولى لاسيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب بالرفع على المدح «لا يعزب عنه» اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي «مثقال ذرة» مقدار اصغر نملة «في السموات ولا في الارض» اي كائنة فيهما «ولا اصغر من ذلك» اي من مثقال ذرة «ولا اكبر» اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى «الا في كتاب مبين» هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل من الغيب شيء الا مسطورا في اللوح «ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات» علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها «اولئك» اشارة الى الموصول من حيث اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة «لهم» بسبب ذلك «مغفرة» لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر «ورزق كريم» لا تعب فيه ولا من عليه «والذين سعوا في آياتنا» بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها «معاجزين» اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده «اولئك لهم عذاب» الكلام فيه كالذي مر آنفا «من رجز» للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى «اليم» بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز «ويرى الذين اوتوا العلم» اي يعلم اولوا العلم من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه رضي الله عنهم «الذي انزل اليك من ربك» اي القرآن «هو الحق» بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني يرى وقوله ويرى اما مستأنف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات واما منصوب عطفا على يجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما «ويهدي» عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تأويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وهاديا كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا «الى صراط العزيز الحميد» الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذي انزل على اضمار مبتدأ اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا «وقال الذين كفروا» هم كفار قريش قال بعضهم لبعض «هل ندلكم على رجل» يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير التحقير والسخرية قاتلهم الله تعالى «ينبئكم» اي يحدثكم باعجب عجاب وقرئ ينبيكم من الانباء «اذا مزقتم كل ممزق» اي اذا متم وفرقت اجسادكم كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا «انكم لفي خلق جديد» اي تستقرون فيه عدل الى الجملة الاسمية الدالة على الحدوث مع [illegible]

او تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد كقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه «افترى على الله كذبا» فيما قاله «ام به جنة» اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة وبين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب «بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد» جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات ما هو الكاشف عن حقيقة الحال الناعي عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا في حقه عليه السلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون ويعدون العذاب ما يوجبه ويستتبعه من الحال بالنسبة اليهم ونفي اعتقادهم والاشعار بغاية تنزيهه عليه السلام عما نسبوه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ارتكابهم واجترائهم على ما اجترؤوا عليه من الشنيعة العظيمة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله «افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض» استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى «ان نشأ» الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم «نخسف بهم الارض» كما خسفناها بقارون «او نسقط عليهم كسفا» اي قطعا «من السماء» كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديد عليها والمعنى افعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فاتل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين «ان في ذلك» اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر «لآية» واضحة «لكل عبد منيب» شانه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وتأكيد لذلك بقوله تعالى «ولقد آتينا داود منا فضلا» اي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم لكن فخامته الذاتية تفخيمه الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن «يا جبال اوبي معه» من التأويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا «والطير» بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءه اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشيرة بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبريائه ما لا يخفى على اولي الالباب «والنا له الحديد» اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية «ان اعمل» امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى

سابغات أي دروعاً واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام أول من اتخذها وكانت قبل صفائح
قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني إسرائيل يخرج متنكراً فيسأل الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكاً
في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك
سأل ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه
وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد أي اقتصد في نسج الدروع أي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقاً ولا غلاظاً ورد بأن دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه إلانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف
جميع أوقاتك إليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة وهو الأنسب بقوله تعالى واعملوا صالحاً
عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولأهله إني بما تعملون بصير تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به ولسليمان
الريح أي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر أي جريها
بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو
أي من دمشق فيقيل بإصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً في منزل
بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون
منه فبائتون بالشام إن شاء الله تعالى وأسلنا له عين القطر أي النحاس المذاب أساله من معدنه كما ألان الحديد لداود عليهما السلام
فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عيناً وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى ومن الجن من
يعمل بين يديه إما جملة من مبتدأ وخبر أو من معطوف على الريح ومن الجن حال متقدمة بإذن ربه بأمره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى
ومن يزغ منهم عن أمرنا أي ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من أزاغه نذقه من عذاب السعير
أي عذاب النار في الآخرة وروي عن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون
له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب بيان لما يشاء أي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك
لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور الملائكة والأنبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فإنها كانت
حينئذ في المساجد ليراها الناس فيعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه
ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة
كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد
على الجفنة ألف رجل وقدور راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكراً حكاية لما قيل لهم
نصب على أنه مفعول له أو مصدر لاعملوا لأن العمل للمنعم شكر له أو للفعل المحذوف أي اشكروا شكراً أو حال أي شاكرين أو مفعول به
أي اعملوا شكراً وقليل من عبادي الشكور أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه
لأن التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية له ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي أنه عليه السلام جزأ ساعات
الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت أي على سليمان
عليه السلام ما دلهم أي الجن أو آله على موته إلا دابة الأرض أي الأرضة أضيفت إلى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة
من فعلها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضاً فأرضت أرضاً مثل أكلت القوادح أسنانه أكلاً فأكلت أكلاً تأكل منسأته أي
عصاه من نسأ البعير إذا طرده لأنها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بألف ساكنة بدلاً من الهمزة وبهمزة ساكنة وبإخراجها
بين بين عند الوقف ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته أي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان
كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ أكلت منسأته فلما خر تبينت الجن من تبين الشيء إذا علم بعد التباس عليك أي علمت الجن علماً
بيناً بعد التباس الأمر عليهم أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولاً مسخرين إلى أن خر أو من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى أي ظهرت الجن وأن مع ما
في حيزها بدل اشتمال من الجن أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المبين في الحقيقة

هو أن مع ما في حيزها لأنه بدل وقرئ تبينت الإنس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة
ابن مسعود تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أن داود أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى إلى سليمان عليه السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى إذا حان أجله وعلم به
أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب دعاهم فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي
متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما أمروا به من الأعمال حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتاً
وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر إليه شيطان في صلاته إلا احترق فمر به شيطان
فنظر فإذا سليمان قد خر ميتاً ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة
على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ملك وهو
ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ
شروع في بيان أخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى إثر بيان أحوال الشاكرين لها أي لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وقرئ بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة ألفاً ولعله إخراج لها بين بين في مسكنهم وقرئ
بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع أي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال آية
دالة بملاحظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الأمور البديعة المجازي للمحسن
والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف
أي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال
جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانا
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلاً للنعمة
وتذكيراً لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف
مبين لموجب الشكر المأمور به أي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور
لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج على رأسها
المكتل فتعمل بيدها وتسير فيما بين الأشجار فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمار ولم تكن فيها من مؤذيات الهوام شيء
فأعرضوا عن الشكر بعد إتيانه الآيات الداعية لهم إليه قيل أرسل إليهم ثلاثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله تعالى
وذكروهم نعمته وأنذروهم عقابه فكذبوهم فأرسلنا عليهم سيل العرم أي سيل الأمر العرم أي الصعب من عرم
الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر
الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سداً وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر
والقار وحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقاً على ما يحتاجون إليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب
عليهم ذلك السد وهو الفأر الأعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم
الوادي وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم
بجنتيهم أي أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي أكل خمط أي ثمر بشع فإن الخمط كل نبت أخذ طعماً من مرارة
حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض المر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع
بها وقيل هو الأراك أو كل شجر ذي شوك والتقدير أكل أكل خمط بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرئ أكل خمط
بالإضافة وبتخفيف أكل وأثل وشيء من سدر قليل معطوفان على أكل لا على خمط فإن الأثل هو الطرفاء وقيل شجر
يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرئ وأثلاً وشيئاً عطفاً على جنتين وقيل وصف السدر بالقلة لأن جناه وهو النبق
مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له
ثمرة عفصة لا تؤكل أصلاً ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هاهنا هو الثاني حتماً وقال قتادة كان شجرهم من خير الشجر فصيره الله تعالى

من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم او باجزيتها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر والسفر سيروا فيها على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاكون على الله تعالى ويتحازنون عليه وظلموا انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثر والايلام ما لا يخفى اي فرقناهم غاية التفريق وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبأ وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا

يسعه ومن هو من قومه فابوا فاقتتلوا فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك روي عن ابن عباس ان فروة بن مسيك الغطيفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخرى منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب ينقسمون الى قسمين قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور اي شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى جعل ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم وبرفعهما مع التخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما او ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبأ او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يتم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم لآلهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير امورهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد رأسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من عبدوه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا

ومن البين ان لا شفاعة للكفرة مقبول من البين او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن
اذن له اي لاجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها
عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء لا تنفع النفس من شفاعة الاصنام
بطريق الاولوية اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له
مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستماع
بمعزل اي ازيل الفزع عن قلوبهم بان نزل التفريع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية
لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب
كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل
الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون
بامره ماذا قال ربكم اي في شأن الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم
وبينه عز وجل بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله
الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظم جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه اي
المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فرغ بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء
للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد
المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال الظرف عند نفاد ما فيه فاسند اليه على عكس ما في جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء واصله فرغ الوجل
عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور به بصرف حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل
من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق
هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث
كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا واياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة
والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى مراتب الامكان لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعدما سبق
من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف
المسكت للخصم الالد وقرئ وانا واياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا
ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج منها قل
لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند الاجرام
وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا
يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء
اريد بامرهم بارادة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم اي اروني بها
لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم
عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي
هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير لله عز وعلا او للشأن كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة
للناس اي الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف
والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى

جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد
بطريق الاستهزاء يعنون به

يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم
اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة
مثل الاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف
الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة
على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا
وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف
المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع
اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم لنا
عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين
منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون لانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار
فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار
بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على التفخيم وقرئ
بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مرارا دائما لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء
في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدر اي بل تكرون الاغواء كر الليل
والنهار اي تكرارا دائما وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعل المذكور
نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة
لما رأوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها
فانه من الاضداد والهمزة للسلب لا للتعدية وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار
للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا
يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من القرى من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة
بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوه بنحو ما كادوه به عليه السلام
وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا
ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم وعلى ذلك الرأي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير
وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر الدين ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
ان يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما
يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى
يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس عليه ذلك امر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها
وقرئ يقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان

ولا تذرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات «وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى» كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقريره
اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث او بالخصلة
التي تقربكم وقرئ باللذي اي بالشيء الذي «الا من آمن وعمل صالحا» استثناء مفرغ من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد
تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله تعالى ويعلم اولاده الخير ويربيهم على الصلاح ويرشحهم للطاعة وقيل
من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من الخ «فاولئك» اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك
المنعوتون بالايمان والعمل الصالح «لهم جزاء الضعف» اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك
وفيه تأكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف
من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة
عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء
بما عملوا من الصالحات «وهم في الغرفات» اي غرفات الجنة «آمنون» من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ
في الغرفة على ارادة الجنس «والذين يسعون في آياتنا» بالرد والطعن فيها «معاجزين» مسابقين لانبيائنا او زاعمين
انهم يفوتوننا «اولئك في العذاب محضرون» لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا «قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء» اي يوسعه
عليه تارة «ويقدر له» اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى «وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه» عوضا اما عاجلا واما آجلا «وهو خير الرازقين» فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته
«ويوم يحشرهم جميعا» اي المستكبرين والمستضعفين «وما كانوا يعبدون من دون الله» ويوم ظرف لمضمر متأخر
سيأتي تقريره او معمول لمضمر متقدم نحو اذكر «ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون» تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم
على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة
لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم
يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون «قالوا» استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة
كأنه قيل فماذا تقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون منزهين عن ذلك «سبحانك انت ولينا من دونهم» والعدول الى صيغة الماضي
للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا
عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم «بل كانوا يعبدون الجن» اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا
يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها «اكثرهم بهم مؤمنون»
الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن «فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا» من جملة ما يقال
عند جوابهم بالتنزه والتبري مما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا
على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق ابدا وانما ذلك لابراز الترتب
على ان سببه عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة
لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا يتوهم اصلا لتعميم العجز
او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد الحكم بذلك
اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل «ونقول للذين ظلموا» عطف على نقول للملائكة
لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال
يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين «ذوقوا
عذاب النار التي كنتم بها تكذبون» يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى «واذا تتلى عليهم آياتنا

بيان لبعض آخر من كفرانهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان
الشرك «قالوا ما هذا» يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم «الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم» فيستتبعكم
بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم
على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد «وقالوا ما هذا» يعنون القرآن الكريم «الا افك» اي كلام مصروف عن وجهه لعدم مطابقة ما فيه
للواقع «مفترى» باسناده الى الله تعالى «وقال الذين كفروا للحق» اي لامر النبوة او للاسلام او للقرآن على ان
العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز «لما جاءهم» من غير تدبر ولا تأمل فيه «ان هذا الا
سحر مبين» ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما
من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه «وما آتيناهم من كتب يدرسونها» فيها دليل على صحة
الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس «وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير» يدعوهم
اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ
وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى «وكذب الذين من قبلهم» من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا
«وما بلغوا معشار ما آتيناهم» اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما
آتينا هؤلاء من البينات والهدى «فكذبوا رسلي» عطف على كذب الذين الخ بطريق التفسير والتفصيل كقوله تعالى كذبت
قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الى آخره «فكيف كان نكير» اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك «قل انما اعظكم
بواحدة» اي ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى «ان تقوموا لله» على انه بدل منها او بيان
لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى
معرضا عن المماراة والتقليد «مثنى وفرادى» اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام
ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب الى الاطمئنان «ثم تتفكروا» في امره صلى الله عليه وسلم
وما جاء به لتعلموا حقيقته وقوله تعالى «ما بصاحبكم من جنة» استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل
بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان
وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وقد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم
نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية فوجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم اليه معجزات
تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا
اي اي شيء به من آثار الجنون «ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» هو عذاب الآخرة فانه عليه السلام مبعوث
في نسم الساعة «قل ما سألتكم من اجر» اي اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة «فهو لكم» والمراد نفي السؤال رأسا كقول من
قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى نفعهم وكذا المودة في قرابته
عليه السلام قرابتهم «ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد» مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون
الياء «قل ان ربي يقذف بالحق» اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الآفاق
فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق «علام الغيوب» صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل
من المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين
وبالفتح كصبور مبالغة غائب «قل جاء الحق» اي الاسلام والتوحيد «وما يبدئ الباطل وما يعيد» اي ذهب
الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك
بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى

فانى تؤفكون لترتب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها اى اذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية
والرازقية فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطاب الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد
ثانيا اى وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعدما اقمت عليهم الحجة والزمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل
فى المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتعظيم الموجب
للسلوة والحث على المصابرة اى رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازى كلا منك
ومنهم بما يليق به من الاحوال التى من جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع به تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا
من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل فى التهويل يا ايها الناس رجوع
الى خطابهم وتكرير الندا لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق
ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما يهمكم
يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى ولا يغرنكم بالله
بعفوه وكرمه تعالى الغرور اى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم
ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع
الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع كقعود جمع قاعد
ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له فى عقائدكم وافعالكم
وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته
بالتنبيه على ان غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد
المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو ربطهم والقاؤهم فى العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم
بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير
لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الخ تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان حالهما المؤدى
الى تلك العاقبتين الخ والانكار متوجه الى ما بعدها على ما قبلها اى أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان
فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى
فان الله يضل من يشاء تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اى فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحقاقه
واستحبابه الضلال لصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدى من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى
فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا
لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا اى أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لدلالة قوله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ولا لائمة فيه عليه السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة فى دعوتهم
اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه فى غاية حسنه عندهم اى أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك
فيه يقبل الهداية حتى تطمع فى اسلامه وتبعث نفسك فى دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما سبق من قوله تعالى فان الله يضل من
عليه ومن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات
اما مفعول له اى فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم
الموجبة للتأسف والتحسر عليهم واما حال كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال على جبا دات عليه حسرة او هو بيان للمتحسر عليه لا بهران يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما حال كونها حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اى من القبائح تعليل لما قبله
على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ابى جهل ومشركى مكة والله الذى ارسل

الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع فى قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار
الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب
فان بينهما تلازما فى الذهن كما فى الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اى يبسها وايراد الفعلين على صيغة
الماضى للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض
وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى كذلك النشور فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى حيز الرفع على الخبرية
اى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء الاموات فى صحة المقدورية وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف بالاول
دون الثانى وقيل فى كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فتنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين
كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين
امنوا بالسنتهم كما فى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان
ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اى له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الاخرة
اى فليطلبها لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله
تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور لعبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو الذى يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ الصدقات اى اليه يصل الكلم الطيب الذى به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعرضها ويعطى بها
بالذات والمستكن فى يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الكلم ويقويه ولا ينال
الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للفاعل المصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وعن ابن مسعود ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن لا يمر بهن على جمع
من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والذين
يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها
صفة للمصدر المحذوف اى يمكرون المكرات السيئات وهى مكرات قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداورهم الرأى
فى احدى الثلاث التى هى الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده
لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين
واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامى امرهم فى الطغيان وبعد منزلتهم فى العدوان اى ومكر اولئك المفسدين
الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم
مكراتهم الثلاث التى اكتفوا فى حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور
اى خلقكم ابتداء منه فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا
ثم جعلكم ازواجا اى اصنافا ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم لبعض زوجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اى الا ملتبسة
بعلمه تعالى ومشيئته وما يعمر من معمر اى من احد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره اى وما يمد فى عمر احد ولا ينقص من عمره
اى من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء
ناقصا بل للزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون
والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر
من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتى على آخره وقرئ ولا ينقص

زوجا م
مبتدأ

فأنى تؤفكون ترتيب لانكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية
والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك مسوق لتسلية
والتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطاب الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد
ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق بعدما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل
في المصابرة على ما اصابهم من قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير رسل للتعظيم الموجب
للسلوة والحث على المصابرة اي رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك
ومنهم بما انت عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع به تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا
من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع
الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله الى الله ترجع الامور من البعث والجزاء حق
ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما ينفعكم
يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ولا يغرنكم بالله
اي بعفوه وكرمه تعالى الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم
ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع
الطبيعة وتكرير فعل النهي لاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد
ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم
وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته
بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد
المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم
بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر
كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين
الى تينك العاقبتين والفاء للانكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها اي أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان
فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى
فان الله يضل الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحقاقه
واستحبابه الضلال بصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى
فيرفعه الى اعلى عليين وما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا
لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ودلالة ما فيه من النهي عليه السلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم
اليه ببيان استحالة تحول حالهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانك
منه يعقل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتبع نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما بعده من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء
عليه ثم من شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات
اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم
الموجبة للتأسف والتحسر عليهم واما حال كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر ... عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته او حال كأن كلها حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله
على الوجوه الثلاثة ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل

الرياح مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة
البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها وللدلالة على استمرار
الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب
فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين بصيغة
الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض
وبين البعث الذي شبه به في قوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية
اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول
ودون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فتنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين
كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين
آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان
ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة
اي فليطلبها لا من غيره فاستغني عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله
تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور لبيان كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ الصدقات اي اليه يصعد الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعرضها عليه بطريقة
بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال
الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع
من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين مصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والذين
يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها
صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي
في احدى الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده
لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين
واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين
الذين ارادوا ان يمكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم
مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور
اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما حققناه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا
ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي الا ملتبسة
بعلمه تعالى ومشيئته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره
اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء
ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون
والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر
من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص

على أنه تعالى الفاعل ومن عمره بسكون الميم إلا في كتاب عن ابن عباس أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل إنسان
إن ذلك أي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محار العقول والأفهام على الله يسير لاستغنائه عن الأسباب
فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات
الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والأجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف
وملح كحذر وقوله تعالى ومن كل أي من كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية أي من الملح خاصة تلبسونها
إما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع وإما تكملة للتمثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان
من حيث ما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى
الكافر والمؤمن وإن اشتركا في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته
الأصلية وحيازته لكمالها دون الآخر أو تفضيل للأجاج على الكافر من حيث إنه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر
خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار
وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه
أي في كل منهما وأفرد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لأن الخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحر فقط
مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر وقد جوز تعلقها بما دل عليه الأفعال المذكورة أي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون أي تشكرونه على ذلك
وحرف الترجي للإيذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة أحدهما ونقص الآخر
بإضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر
متجدد حينا فحينا وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه وإنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى كل يجري أي
بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جريانا مستمرا لأجل مسمى قدره
الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما في فلكيهما والأجل المسمى منتهى
دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم إشارة إلى فاعل الأفاعيل المذكورة وما فيه
من معنى البعد للإيذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أي ذلكم العظيم الشأن الذي أبدع هذه الصنائع البديعة
الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على أن إبداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الأخبار له ما لا يخفى ويجوز
أن يكون الأخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى
بالألوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة إن تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا على الفرض
والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الأفعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فإن ذلك مما لا يتصور
منهم في الدنيا ويوم القيامة يكفرون بشرككم أي يجحدون بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد
تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الإلهية يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله في أنفسكم وفيما يعن
لكم من أمر مهم أو خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء وأن
افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الإنسان ضعيفا والله هو الغني الحميد
أي المستغني على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات المستحق للحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على صفتكم
بل مستمرون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك أي ما ذكر من الإذهاب والإتيان على الله بعزيز
بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة أي لا تحمل نفس آثمة وزر أخرى أي نفس أخرى بل إنما تحمل كل منهما
وزرها وأما ما في قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال إضلالهم

مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شيء وإن تدع مثقلة أي نفس أثقلتها الأوزار
إلى حملها ليحمل بعض أوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه ولو كان أي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى
ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا النفي للحمل اختيارا والأول نفي له إجبارا إنما تنذر استئناف مسوق لبيان من
يتعظ بالذكرى أي إنما تنذر بهذه الإنذارات الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن الناس
في خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم وأقاموا الصلاة أي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا أي
إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والعناد ومن تزكى أي تطهر من أوضار
الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الإنذارات فإنما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعها عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا عليها
وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة مبادي التزكي وإلى الله المصير لا إلى أحد
استقلالا أو اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء وما يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن ولا الظلمات
ولا النور أي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور
أي ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول
من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر
للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين أفراد الفريقين
وقيل تمثيل للعلماء والجهلاء إن الله يسمع من يشاء أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع من
في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه عليه السلام من إيمانهم إن أنت إلا نذير
ما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم إنا أرسلناك
بالحق أي محقين أو محقا أنت أو إرسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا بالوعد الحق
ونذيرا بالوعيد الحق وإن من أمة أي ما من أمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية إلا خلا أي مضى فيها نذير
من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولأن الإنذار هو الأنسب
بالمقام وإن يكذبوك أي تستمروا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم العاتية جاءتهم
رسلهم بالبينات أي بالمعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة
والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم أخذت الذين
كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلة الأخذ فكيف كان نكير أي إنكاري
بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها ألم تر استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن
الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أي ألم تعلم أن الله أنزل
من السماء ماء فأخرجنا به بذلك الماء والالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة
والحكمة ثمرات مختلفا ألوانها أي أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها وأشكالها
أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الأوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد أي ذو جدد أي خطط
وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق
الواضح بيض وحمر مختلف ألوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل
ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فإن الغربيب تأكيد للأسود كالفاقع
للأصفر والقاني للأحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي
مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي ومنهم
بعض مختلف ألوانه أو بعضهم مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وإيراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما
لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب

والانعام فما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المبني على حمل الرائي والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرها فانها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اي صفة لمصدر مؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ والوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها اي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن الكريم وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حسن حال العاملين بها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لان ما كان مشروعا ليس الا احكامها لكن لا من حيث انها احكامها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب الطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عدد من امتثالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان والذين يرجون حال من انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياها في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه او اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو

من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وقيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي رجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما المقتصدون فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومالهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخيرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنة عدن وجنات عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور من ذهب كأنه افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو همهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير

عطف على جملة الاستفهام لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ كأنه قيل قد عمرناكم
والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب
والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها
من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة
وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور
تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف
في الارض جمع خليفة وخليفة الاول جمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه
والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم
من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعم السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره
لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
بيان لوبال الكفر وغائلته والتعرض لعنوان الربوبية ... اي بغضا الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة
الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين
بطريق الاستقلال والاصالة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة
اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه النظم
الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارأيتم كأنه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة
في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك
الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات
وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى
انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله
يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك
وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما
من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم
والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب
كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى
الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير اي خير الرسل واشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق
استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله ان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا
السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق
المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد
لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء
لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني
وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق
من آثار ديار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم
ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارا فما اغنى
عنهم شدة القوة وطول المدى ومحل الجملة النصب على الحالية وقرئ قوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات
ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا
في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل
ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضد الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا
فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس ثلث وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل
وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع
والنصب اي هذه يس او اذكر او اقرأ يس ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين
على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف
كما سلف في فاتحة سورة البقرة هذا ان كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو
طاسين وياسين وحاميم الموازنة لهابيل وقابيل واما ما لا يتأتى فيها الاعراب اللفظي كالر ويستوي في باب تسمية السور كتابة
وقيل ما حركا بناء كما في حيث واين واستشهد به تلك قراءة يس بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه يا انسان في لغة طيء قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين
فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله والقرآن بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير
كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي
وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما
في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب القسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا
وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به
اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلام من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع
الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به
ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة
الشريعة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي
تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر
بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية
بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكيم وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به
ترهيبا وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه
مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن على كل تقدير بعد
تأكيد مضمونه بالجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي نزله لتنذر به كما في صدر الاعراف

وقيل هو متعلق بما دل عليه لمن المرسلين اى انك مرسل لتنذر «قوما ما انذر اباؤهم» اى لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول
مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذى انذره او شيئا انذره اباؤهم الابعدون
على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا اباؤهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اى
انذارا كائنا مثل انذارهم «فهم غافلون» على الوجه الاول متعلق بنفى الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اى لم
ننذر اباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين اريد تعليل
انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليه على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اى عما انذر اباؤهم
الاقدمون لامتداد المدة واللام فى قوله تعالى «لقد حق القول على اكثرهم» جواب القسم اى والله لقد ثبت وتحقق عليهم
البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من
التذكير والانذار وغلوهم فى العتو والطغيان وتماديهم فى اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا
والمراد بالقول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله
تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع
ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا ومعنى ثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس

[illegible]

وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان «احصيناه فى امام مبين» اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو
اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع «واضرب لهم مثلا اصحاب القرية» ضرب المثل يستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة
بحالة اخرى مثلها كما فى قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط واخرى فى ذكر حالة غريبة وبيانها
للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما فى قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اى بينا لكم احوالا بديعة
هى فى الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء فى الغلو فى الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اى
طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثانى
اذكر وبين لهم قصة هى فى الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف اى مثل اصحاب القرية انطاكية «اذ جاءها
المرسلون» بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى فى قوله
«اذ ارسلنا اليهم اثنين» بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وهم [illegible] يحيى ويونس وقيل غيرهما «فكذبوهما» اى
فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما فى الرسالة «فعززنا» اى قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه
اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به «بثالث» هو شمعون «فقالوا» اى جميعا
«انا اليكم مرسلون» مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة

[illegible]

بالا او افقها او كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق
بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا عن مقالتكم
لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اي سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا
وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم أئن ذكرتم وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف مثله بدلالة ما قبله
عليه اي تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم وان
بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرط من كون
التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اي بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم او في الظلم
والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت
اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي
غيره عليه السلام احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان
رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير
الدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم
ما اراد لها والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما اشار اليه بقوله تعالى واليه ترجعون مبالغة
في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة
استيناف لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن
بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني مورد الضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين فان
اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على من له
تمييز ادنى اني آمنت بربكم خطاب للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بذلك رجموه فاسرع نحو الرسل قبل ان
يقتل فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا
للاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال بربكم الذي ارسلكم او الذي تدعونا الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا
لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضاف الرب الى ضميرهم
تحقيقا للحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه
اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها
حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول له لظهوره وللمبالغة
في المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقالته كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب
في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال ذلك وانما تمنى
علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ
والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ المكرمين
وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به
تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء
لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن

الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لانا قدرنا لكل شيء
سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال
الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح
وامطار شديدة وغيرها ان كانت اي ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام
وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان هي التامة والاولى اقيس والاصح من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون
شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء
الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري
فيها وهي ما دل عليه بقوله تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصحهم
سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز
ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي
ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول
ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل بقوله تعالى كم اهلكنا قبلهم
من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك
الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا
من قبلهم من المذكورين كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل
حينئذ بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان
والتنوين في كل عوض من المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ان كلهم مجموعون
لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فيكون عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة
واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم لمجموعون وآية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله آية
خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلق بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفتها والارض مبتدأ والميتة صفتها
وقوله تعالى احييناها استيناف لبيان كيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبره والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها
خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر آية وقيل الخبر لهما والارض واحييناها صفتها لان المراد
بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض واخرجنا
منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات
من نخيل واعناب اي من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك
الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها
وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على رأي الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون
لانه من مبادي الاثمار اي جعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادي اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل
باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ
بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما
وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ويحتمل النصب على الحالية ويؤيد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذفه
من الصلة احسن من الحذف من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والعاطف
على مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج كلها انشاء
مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآلاء المذكورة واستعظاما لما ذكر في خبر الصلة من بدائع آثار قدرته

وأسرار حكمه وروائع نعمائه الموجبة لشكره وتخصيص العبادة به والتعجيب من إخلالهم بذلك والحالة هذه سبحان
علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا أي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الأرض والماء إذا
أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أي أسبح سبحان أي
أنزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل
ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة
إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة إسناد التنزه
إلى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا إخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل
ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به
ولا يغفلوا عنه والمراد به الأزواج الأصناف والأنواع مما تنبت الأرض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها
من الأشياء المذكورة وغيرها ومن أنفسهم أي خلق الأزواج من أنفسهم أي الذكر والأنثى ومما لا يعلمون
أي والأزواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الإحاطة بها ولما لم يتعلق به شيء من مصالحهم
الدينية والدنيوية وإنما أطلعهم على ذلك بطريق الإجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به من زيادة علمهم بقدرته
وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة
لكيفية كونه آية أي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد وهو إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال الالتحامي
في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الإهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فإذا هم مظلمون أي
داخلون في الظلام مفاجأة وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد معين
ينتهي إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع سيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد إبطاء بحيث يظن أن لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب
فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام
القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ إلى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها أي لا سكون لها فإنها متحركة دائما
وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ذلك إشارة إلى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه
للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته أي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والأفهام
تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب بإضمار
فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء أي قدرنا له منازل أو قدرنا سيره منازل وقيل قدرناه
ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة
الصرفة العواء السماك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها
فإذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج
فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق
وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها أي يصح ويتسهل لها أن تدرك القمر في سرعة السير
فإن ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في الآثار والمنافع أو في المكان بأن تنزل في منزله أو في سلطانه
فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار
أي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا
للأول وإيراد السبق مكان الإدراك لأنه الملائم لسرعة سيره وكل أي وكلهم على أن التنوين عوض من المضاف إليه
الذي هو الضمير العائد إلى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددا

في الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم
أنا حملنا ذريتهم أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية يطلق
عليهن لاستيداعهن النطف وتخصيصهم بالذكر لأن استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أبدع في الفلك
المشحون أي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الأقدمين في أصلابهم وهم ذرياتهم
وتخصيص أعقابهم بالذكر دونهم لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم
من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون من الإبل فإنها سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق
وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم بإقدار الله تعالى بل لمزيد اختصاص
أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن
بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعورهم واختيارهم
وإن نشأ نغرقهم من تمام الآية فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الإغراق بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب إهلاكهم من معاصيهم
ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحينئذ خلق الإبل حينئذ كلام جيء به
في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن
والزوارق فلا صريخ لهم أي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم كقولهم
أتاهم الصريخ ولا هم ينقذون أي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى إلا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من أعم
العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة أي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا لرحمة عظيمة من قبلنا
داعية إلى الإغاثة والإنقاذ ولتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقابل التمتيع من الرحمة الأخروية فيكون
كلاهما غاية للإغاثة والإنقاذ أي لنوع من الرحمة وتمتيع إلى حين أي إلى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولم أسلم لكي أبقى
ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام وإذا قيل لهم اتقوا بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية
التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أي إذا قيل لهم بطريق الإنذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا ما بين أيديكم
وما خلفكم من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع
النازلة على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب الأرض أو من عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون إما حال من واو اتقوا أو غاية له أي راجين أن ترحموا
أو كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب إذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا أما إذا كان الإنذار بالآية الكريمة فظاهر
النظم وأما إن كان بغيرها فلدلالته لأنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل وإذا قيل
لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الأولى مزيدة
لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها
المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها والمعنى ما ينزل إليهم آية من الآيات
القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها
إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء وإما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها
من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد بإتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الأمور
لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية إلا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان به تعالى وإيثار على في تعاملا الإعراض عنها كما وقع في قوله تعالى
وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة

بعرض ضمن قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول يأتي او من فاعله المخصص بالوصف لتمامها
على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من الاحوال الا حال اعراضهم عنها
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا
في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية
اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره
قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى
انطعم حسبما تعظوننا به من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا
بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي
زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم
فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا في ضلال مبين
حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متى ينجز وعد البعث مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانهم
ايضا كانوا يتلون عليهم الآيات الوعيد بعبارتها ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون
جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم فجأة وهم يخصمون اي يتخاصمون
في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها
ولا يزعموا انها لا تأتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع
وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليها وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن
الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم
ولا الى اهلهم يرجعون ان كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور اي النفخة الثانية بينها
وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى
لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا
من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا بحذف الجار وايصال
الفعل الى الضمير وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم
فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون
فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان
العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا على الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا
او اسم مكان اريد به الجنس فيتناول مرقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد
او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي
يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم
فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون
انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق
ان كانت اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فاذا هم جميع
اي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب
ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون

اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه
على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه
تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا
لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار
بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الا
قتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة
والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به
ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع او ضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله
تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم
كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص
كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم
في شغل واي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل
المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وشغل
بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن
في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها
بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على انهم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبره
والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران متعلقان بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول
والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكين بلا همز
نصبا على الحال من المستكن في الظرف او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به
وكذا في ظلال او هو ايضا حال من المعطوف والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة ظلل
والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا يكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة
بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل
القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون
موصولة او موصوفة عبر بها عنه او عن عظائم شتى مبهمة اذانا بانه لا يحيط بها الا دون عداه ثم صرح به رفعا لزيادة التعريف
بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي عامة على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياما كان فهو مبتدأ
ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كونها عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها
والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من عظائم الامور او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما كان
ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كالاشتواء والاجتمال اذا شوى وجمل لنفسه
بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل معناه يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعوه
اهل الجنة ياتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده قراءة التخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى
سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ محذوف قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار
متعلق بمضمر هو صفة له كما قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى
بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير
الثاني فقيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار للبيان
ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص

وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة
كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يؤيده وقيل خبر لفعل المقدر ناصب لقولا وقيل خبر من رب
رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم
عطف اما على الجملة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل لمشاكل يصحح عطفه
عليها بل على ان المعطوف مضمون قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما في قوله تعالى وبشر الذين
آمنوا الآية وكأن تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر
بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم
وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ابدا وقيل ان المعنى فامتازوا
بمعزل من السعداء لان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يستدعي ترتب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم
عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاخبار انما هو الانعام له والغضب عليهم
الكلام عليه فبعدما نزلت تلك الحال منزلة الواقع لم يبق اقتضاء المقام من تلك الآية بوجه والحكاية بوجه ما ترتيبا واسقط كونها
مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى
اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر
والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه
لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا
على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته
فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة
واعهد بكسر الهاء واحد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب
الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول
بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية
التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد
والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط علي مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم
في قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان ان جنايتهم
ليست بنقض العهد فحسب بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب
لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل الخلق بكسرتين وتشديد اللام وقرئ
وتشديد اللام بضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق
في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم
الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى
افلم تكونوا تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم
تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون استئناف
يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام
بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق
انك انت العزيز الكريم اي ادخلوها وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم اي

نمنعها عن الكلام المتعارف للاذهان بعد ذكر احوالهم الفظيعة استدعى ان اعرض عنهم ويحكى احوالهم الفظيعة لغيرهم
مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم وتكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين
فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها
دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بلام كي والنصب على معنى لذلك
نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود
ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم
لطمسناها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع
المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما في قوله تعالى
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا
سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك
ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ
على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة
وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر
من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل
بهم في الدنيا تلك العقوبة كما يفعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية كانه قيل لو شاء
عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأ جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين
الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد
ضعفه ويتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة العقل
والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي ونكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون
ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري
الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه السلام من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه
الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج
على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر
المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم
الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر
لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة
من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا ان هو اي القرآن الا ذكر
اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن مبين اي كتاب سماوي بين كونه
كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه
وبين ما قالوا لينذر اي القرآن او الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه
ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان حيا اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى

فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اى يجب كلمة العذاب على الكافرين
المصرين على الكفر وفى ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التى هى المعرفة اموات فى الحقيقة
اولم يروا الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اى ألم يتفكروا او ألم يلاحظوا ولم يعلموا
علما يقينيا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اى لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اى مما تولينا احداثه بالذات
وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء انعاما مفعول
خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما كون المقدم متضمنا ما يوجب كون المؤخر امرا
نافعا خطيرا كما فى النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثانى المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيد
النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان فى تأخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون الآية اى
فتملكوها اياهم واثبات الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استمرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون
مقوية لعمله اى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم ذلك
غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها بتقديرنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما فى قول من قال اصبحت
لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تأسيسا
على حيالها لا تتمة لما قبلها اى صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها من الذبح حسبما نطق
به قوله تعالى فمنها ركوبهم فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اى فبعض منها ركوبهم اى مركوبهم
معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوب
اسم جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم ومنها يأكلون اى وبعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها اى فى الانعام
بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران ومشارب
من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل فصل فى سورة النحل افلا يشكرون اى ايشاهدون هذه النعم او ايغفلون
عنها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اى متجاوزين الله الذى شاهدوا تفرده بتلك القدرة
الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة آلهة من الاصنام واشركوها به تعالى فى العبادة لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم استئناف
مسوق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اى لا تقدر آلهتهم على نصرهم وهم اى المشركون لهم
اى لآلهتهم جند محضرون يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم
ولا يساعده سياق النظم الكريم فان الفاء فى قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون
عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير
فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهى وان كان
بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن التأثر منه بطريق الكناية
على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه الى المسبب ويراد به النهى عن السبب كما فى قوله
لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو
عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء
وكسر الزاى من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهى بطريق
الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية
والبادية التى لا يعزب عن علمنا شئ منها وفيه مع تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة
فى بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما فى الحقيقة فان علمه تعالى

بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه مضمر فى القلب قبل ذلك
فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستأنف
مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعدما شاهدوا فى انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان
بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة
هى مستتبعة للمعطوف كما مر فى الجملة الانكارية السابقة اى ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة او هى
عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لما الحق به من الانكار والتعجيب لان المنكر ثمة عدم علمهم بما تعلق
بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما تعلق بخلق انفسهم ولا ريب فى ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها
اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك اعلى كانه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم
مع كون العلم بذلك فى غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثانى ابعد واقبح ويجوز ان تكون الواو
لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة فى الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة فى الكلام
كما هو رأى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما فى قوله تعالى اولا يذكر
الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اى شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف
على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ
خصومتنا فى امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره فى الخصومة
واستمراره عليها روى ان جماعة من كفار قريش منهم ابى بن خلف الجمحى وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة
تكلموا فى ذلك فقال لهم ابى بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيى هذا بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك
ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام
مبين معرب عما فى نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من تتمات شواهد صحة
البعث وقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتعجيب واما على التفسير الاول
فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اى اورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الامر هى فى الغرابة
والبعد عن العقول كالمثل وهى انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة فى زعمه استبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها
اشد الانكار وهى احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى
ونسى خلقه اى خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار والتعجيب
او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل
كانه قيل اى مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيى العظام منكرا اشد النكير مؤكدا له بقوله وهى رميم
اى بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكاره احياءه تعالى للعظام فانه امر عجيب فى نفس الامر
حقيق بالغرابة بعيد من العقول لعده مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانسان
بل اهون منه فى قياس العقل وعلى الثانى هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب فى زعمه استبعده وعده من قبيل المثل
وانكره اشد الانكار مع انه فى نفس الامر اقرب شئ من الوقوع لما تقرر من انه مثل الانشاء او اهون منه فى الامكان
فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلى من العظام
غير صفة كالرمة والرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من اثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون
بنجاسته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة فى بدن حى حساس قل

يمكننا له بتذكير نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستدلال بها * يحييها الذي انشاها
اول مرة فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل
كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها
واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق
مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية
للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه المنقضي وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل
من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم وجعل
منه نارا على ان الجعل ابداعي وايجاد او متعلقا به بدلا على سعوله الصريح مع تاخره عنه رتبة لما مر من الاعتناء
بالمقدم والتشوق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار
يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى
فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر
مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة والبلى وقوله
اوليس الذي خلق السموات والارض الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه
السلام بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي
انشاها اول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم
شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما
فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى
جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به
او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك
البالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اي شانه اذا اراد شيئا من الاشياء ان يقول له كن اي
ان تعلق قدرته فيكون فيحدث من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر
الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شانه تعالى والفاء
لتحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزيهه وتنزيهه كل ايجاب كما ان وصفه
تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة الملك كالرحموت
والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء واليه ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح
التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس
وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن
يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين مرة
وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه
صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم
قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها
وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض
الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة تشفع قارئها ويغفر لمستمعها
الا وهي سورة يس م

سورة الصافات مائة وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم * والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف
على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك
الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذا المعنى
مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا
اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور
ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سياتي
وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعول
للتاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد
والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها
بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس
وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات
فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها
في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه
واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص وطوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات
الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف
والدلالة على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر
في الملائكة والغزاة فتاخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر
عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال
ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المالوف في كلامهم من التاكيد القسمي تمهيدا لما يعقبه
من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها
على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها
الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها
ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب تغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى
رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة
بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاعها
من اعظم زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها
ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت به الكواكب وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب واما على تقدير
كون الزينة مصدرا فانها على تقدير اضافتها الى الفاعل فالمعنى بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها
الى المفعول فالمعنى بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينته الكواكب والمراد هو التزيين لمن راى فان جميع الكواكب من الثوابت
والسيارات تبدو للناظر كانها جواهر متلالئة في سطح سماء الدنيا على اختلاف انوارها واشكالها الرائقة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت
في الفلك الثامن وما عدا القمر من السيارات في الستة المتوسطة بينه وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله اما بتقدير فعل

مستقيمة كما قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء منهم مع التنبيه على كونها
ما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب لا صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى
ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما في جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف
ان واهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لان كل واحد من ذلك الحذفين غير منكر بانفراده فاما
اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صيانة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم
ثم الكتبة وهذا اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون يرجمون
من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى
مدحورين او مصدر مؤكد له لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جاز ان يكون
مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب اي لهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب
شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه
والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة
وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه الشهاب اي يرى من السماء
ثاقب مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا
وانما هو من يسلم منهم حيا وقطع السلام وقيل المراد كواكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة اهم اشد خلقا اي
اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب
والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله
انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات
المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم لاتب بل عجبت اي من قدرة الله
تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه تعالى بلغ
كمال قدرته وكثرة مخلوقاته الى حيث عجبت منها ومن الجهلة يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله
ويسخر ممن يجوز البعث من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اي ودأبهم المستمر انهم اذا وعظوا
بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم
واذا رأوا آية اي معجزة تدل على صدق القائل بها يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي
بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الآية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا
ما يدل عليه مبعوثون في قوله تعالى ائنا لمبعوثون اي انبعث لا نفسه لان دونه حاجزا لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم
الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ائنا لمبعوثون لتأكيد ذلك وكذا
تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في
قوله تعالى افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى
بطرح الثانية فقط اوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون
وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى
ما اشركنا ولا آباؤنا والمعنى ان كان مزيد الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او آباؤنا
قل نعم تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل

ثم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي مبهمة
يفسرها خبرها او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي او لا تستصعبوه فانما هي
والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فاذا هم قائمون من مراقدهم احياء ينظرون
يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا اي
يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى
باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا
بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام
بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل
للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم ونظراءهم
من العصاة عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي
على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وقيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص
فاهدوهم الى صراط الجحيم اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها فيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان الملائكة سارعوا
الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك ثم علل بقوله تعالى انهم مسؤولون اذا ناس من قبل الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم
ولا ليستريحوا باحتباسهم بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما نطق
به قوله تعالى ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال
الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ
اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم
وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض
هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكفرة للقرناء انكم كنتم تأتوننا
في الدنيا عن اليمين عن اقوى الوجوه واقواها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار
من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا
على الضلال وهو الاوفق للجواب الآتي او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء
بل لم تكونوا مؤمنين اي لم يمسكم منا الاغواء بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان
لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق
علينا اي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اي
العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد
انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية فانهم اي
الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك اي مثل ذلك
الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان
واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة انكم بما ذكر من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام
والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله

ولا ذاكرا الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات
او الا بما كنتم تعملونه منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوه وما بينهما اعتراض جئ به مسارعة
الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى
ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله
استثناء متصلا بتعميم الخطاب لجميع المكلفين فانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن
عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص
في عبادته تعالى عن غيرهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى لهم اما خبره وقوله تعالى رزق مرتفع
على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدا ولهم خبر مقدم عليه والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف لافادة الاستثناء
اجمالا وبيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه متاول بالمبتدا وقوله تعالى معلوم اي معلوم الخصائص
من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وقوله تعالى فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق
اهل الجنة كلها فواكه اي ما يوكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة
من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل
لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم من غير سؤال كما هو شان
ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن
في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك قوله تعالى على سرر لكن الحالة الحرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن في
اي في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين
او في احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما في
من قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اي كائنة من شراب
معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به
الخمر لانها تجري في الجنة في انهار كما تجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان
لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تانيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم
الصرخدي تركته بارض العدا من خشية الحدثان يريد به النوم لا فيها غول اي غائلة كما في خمور الدنيا كالخمار
من غاله يغوله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ونزف اذا ذهب
عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لانه من معظم
فسادها كانه جنس براسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم
ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف
ينزف بضم الزاء فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين
نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام
على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتاكيد
والدلالة على تحقيق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاوراتهم اني كان لي في الدنيا قرين مصاحب
يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ائنك لمن المصدقين اي بالبعث وقرئ بتشديد

الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمبعوثون
ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون مقهورون من دانه اذا ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق
بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الاخرة خيرا منه
فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم
وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتاكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث قال اي ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه
في الدنيا هل انتم مطلعون اي الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو
الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان
في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فراه اي قرينه في سواء الجحيم اي في وسطها وقرئ
فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون يقال طلع
علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا
ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو داب الجليس كانهم مطلعوه
وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعوني فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت
لتردين اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف واللام فارقة اي بالله انه الشان كدت لتردين ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين
اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام
الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح
وذبح ونودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا
بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل لتقرير قولهم وتصديقه اي ان هذا لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة
العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام
المشوبة بصنوف الالام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل
الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي ذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور
خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم وقيل النزل ما يعد ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه
على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة
صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الاخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يكون ذلك والنار تحرق الشجر
ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم
طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قال ابو
التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه
الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا

منتنا قبيح المنظر منكر الصورة سمى بثمرة رؤس الشياطين فانهم لاكلون منها اى من الشجرة او من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوا ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها اى على الشجرة التى ملؤا منها بطونهم بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمى به ثم ان مرجعهم اى مصيرهم وقرئ مرجعهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يمتلؤا ويسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء فى الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شئ يتمسك به اصلا اى وجدوهم ضالين فى نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اى قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كلتا الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى منهم المخلصين بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين من الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الا عبادنا لقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعالى فلنعم المجيبون اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اى من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه فى الآخرين من الامم سلام على نوح اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل هو مقول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا فى العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعده اى مثل ذلك

الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اى المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اى ممن شايعه فى اصول الدين لابراهيم وان اختلف فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى او اكثرى وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اى من آفات القلوب من الغل والغش او من العلائق خالص عن الشرك الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاول او ظرف لجاء او لسليم اى اى شئ تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اى اتريدون آلهة من دون الله افكا اى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى تريدون افكا ثم تفسير الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك فى نفسها للمبالغة والمراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شئ هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة فى النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى فى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت فقال انى سقيم وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها او فى كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان مقصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة فى علم النجوم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم وتركوه فى بيت الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اى هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اى ذهب اليها فى خفية من الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تأكلون اى من الطعام الذى كانوا يصنعونه عندها للتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اى بجوابى فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم ضربا وهو حال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اى فراغ عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل باليمين بالقوة والمتانة كما فى قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى الى ابراهيم عليه السلام بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعله فقيل فاتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اى يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل فى الزفيف او من ازفه اى حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام قال اى بعد ما اتوا عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اى والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم

ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد
والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضميرها للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث
نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا
مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل بمعناه
فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار
الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض عن المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنيانهم له في سورة
فارادوا به كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا اهلاكه لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين
الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عليه السلام حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي
اي الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين
اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك
حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين اي
بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد
مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان
المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما
واي حليم حيث عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل
ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المحكية بعد اعدل شاهد بذلك
الغاية في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي الفاء فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة
الى التصريح به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده
اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بالسعي لان صلة المصدر
لا تتقدم عليه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح
فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال اي ابراهيم عليه السلام يا بني اني
ارى في المنام اني اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه راى ليلة التروية كان قائلا
يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان
فمن ثمة سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك
والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة
بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب
نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل
ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة
ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف
فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه السلام قال يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بالفتح
فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من البلاء فيثبت قدمه ان جزع
ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وفتحها
مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا

بايصاله الى الفعل او حذفا دفعة وقيل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع
للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله
فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا او خضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا
واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما اخلص
نفسه وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى وعن قتادة في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله
عز وجل وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع
السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان
مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله
واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة
عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل
ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها وفديناه
بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله تعالى نبيا ابن نبي واي نبي من نسله
سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة وعن ابن عباس انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به
اسمعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات
حتى اخذه فبقي سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل
عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة
هو ابراهيم وانما قال وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والامر به على التجوز في الفداء او الاسناد وتركنا عليه في الاخرين سلام
على ابراهيم قد سلف بيانه في قصة نوح عليه السلام كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين
الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر انفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين
في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اي مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل
لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل بشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين
ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام
لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين وجوده ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه السلام وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم
في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات
الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي
مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب
ولقد مننا على موسى وهرون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل
من الكرب العظيم هو تغلب فرعون وتسلطهم عليهم بانواع العسف والعذاب كما في قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون وقيل
هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين
عليهم على الاغارة وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب
النجاة ان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنهما لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها

م بالنصر الذي هو حقه لوله بعض النجاة المنصور بين عدوه من غير تغلبه عليهم بالغلبة لتوفير مقام الامتنان حقه باظهار
ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين البليغ
في البيان والتفصيل وهو التوراة وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل
الشرائع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين
الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذي هارون جزاؤهم لاجزاء غيرهم انهما
من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين بن سبط هارون اخي موسى
عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال
لقومه الا تتقون اي عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك
من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى
اخدموا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل
البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضى
للانكار المعني بالمذموم وصرح به في قوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ
بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا
فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اي في العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين
هو لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلب والمهلبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام
وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف منفصلان فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
اي الباقين في العذاب او الماكثين ثم دمرنا الآخرين فان في ذلك شواهد على جلالة قدره وكونه من جملة المرسلين
وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام
مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي مساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد له مساء افلا تعقلون اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان
يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه
حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين
بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى به
وركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت
فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب
فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلاة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت
على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح
ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف
في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي
التقم فيه روي انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله
قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض

ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به والاكثر على انه الدباء غطته باوراقها
عن الذباب فانه لا يقع عليه وقيل انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي
يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف
اليه فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق
اخبر اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه الى الفلك بينهما
لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعلقهم
لا بانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب
الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اي في رأي الناظر
اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اي بعدما شاهدوا علائم
حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم اي بالحياة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة
وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل
المذكورين في آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال
مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك
من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى
ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى
واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم هاهنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج
عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب
جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله تعالى والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام
الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة
بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم
ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم الربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون
الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال
من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم
من صفات الاجسام ورذائل الطبائع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء
بهم وتجهيل لهم كقوله اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال ذلك
لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل واما النقل فمما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا
عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي بل اهم
شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق
لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا
وانهم لكاذبون في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اي الملائكة ولده تعالى
عن ذلك علوا كبيرا والولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين اي
لانكم تقرير لكذبهم حيث لو اتسقوا استبعاده لاستحالة اصطفائه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ
صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرآن عليه وعلى ان جعله بدلا من ولد الله ضعيف
وعلى تقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي تقضي ببطلانه بديهة العقول
افلا تذكرون بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون

ذلك فلا سند كون بطلانه فإنه مركوز في عقل كل زكي وغبي «أم لكم سلطان مبين» إضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم
بما ذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلاً أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة
أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسي أو عقلي وحيث استحال كلاهما فلا بد من سند نقلي «فأتوا بكتابكم» الناطق بصحة دعواكم «إن
كنتم صادقين» فيها وفي هذه الآيات من الإنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد
لأباطيلهم وتسفيه أحلامهم وركاكة عقولهم وأفهامهم مع استهزائهم والتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها
«وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً» التفت إلى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم
أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً كله فهو
شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً كله فهو ملك وإنما عبر عنهم بذلك الاسم وضعاً منهم وتقصيراً بهم مع عظم شأنهم فيما بين
أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وإنما أعيد ذكره تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى
«ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون» أي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسباً وهم الملائكة إن الكفرة لمحضرون
النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة
ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكماً مؤكداً وقيل إن قوماً من الزنادقة يقولون
الله تعالى وإبليس أخوان فالله هو الخير الكريم وإبليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً قال الإمام
الرازي وهذا القول عندي أقرب الأقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وأهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات
الله تعالى فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسباً جعلوا
مناسبة أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الأقاويل يجوز أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت
الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الأول
فإن قوله «سبحان الله عما يصفون» حكاية لتنزيه الملائكة إياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول
معطوف على علمت وقوله تعالى «إلا عباد الله المخلصين» شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة
لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة
أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف
وقوله تعالى «فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين» تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر ببيان عجزهم عن إغوائهم وإضلالهم
والالتفات إلى الخطاب لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغووهم وفيه إيذان
بتبريهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبودهم تغليباً وعلى متعلق بفاتنين يقال
فتن فلان على فلان امرأته أي أفسدها عليه والمعنى فإنكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بإفساد عباده
وإضلالهم «إلا من هو صال الجحيم» منهم أي داخلها لعلمه تعالى بأنه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار
لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من إفسادهم وإضلالهم فهم لا جرم برآء من أن يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى
بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى «وما منا
إلا له مقام معلوم» تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعدما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى
عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه وإظهار لقصور شأنهم وقماءتهم أي وما منا أحد إلا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء إلى أمر الله
عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعاً لعظمته وخشوعاً لهيبته وتواضعاً لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه
وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروي أنه عليه
السلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً
لله تعالى وقال السدي إلا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة «وإنا لنحن الصافون» في مواقف الطاعة
ومواطن الخدمة «وإنا لنحن المسبحون» المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد

لإبراز أن صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة
وجوه أخر فتأمل والله الموفق «وإن كانوا ليقولون» إن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام
الفارقة أي إن الشأن كانت قريش تقول «لو أن عندنا ذكراً من الأولين» أي كتاباً من كتب الأولين من التوراة والإنجيل
«لكنا عباد الله المخلصين» أي لأخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى
الأمم والفاء في قوله تعالى «فكفروا به» فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فجاءهم ذكر أي ذكر
سيد الأذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والأسفار فكفروا به «فسوف يعلمون» أي عاقبة كفرهم وغائلته «ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين» استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه أي وبالله لقد سبق
وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى «إنهم لهم المنصورون وإن جندنا» وهم أتباع المرسلين «لهم الغالبون» على أعدائهم
في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فإن قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وإن وقع في
تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ
على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا «فتول عنهم» فأعرض عنهم
واصبر «حتى حين» إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح «وأبصرهم» على سوء حال وقطع
ما ينال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالأمر بإبصارهم الإيذان بغاية قربه كأنه بين يديه «فسوف يبصرون» ما يقع حينئذ
من الأمور وسوف للوعيد دون التبعيد «أفبعذابنا يستعجلون» روي أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل
«فإذا نزل بساحتهم» أي فإذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع
دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور وقرئ نزل
مبنياً للمفعول من التنزيل أي نزل العذاب «فساء صباح المنذرين» فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح
مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحاً وإن وقعت ليلاً
روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا إلى حصنهم
فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين «وتول عنهم حتى حين
وأبصر فسوف يبصرون» تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في إطلاق
الفعلين عن المفعول من الإيذان بأن ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من ألوان المضار لا يحيط به الوصف
والبيان وقيل أريد بالأول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» تنزيه لله سبحانه عن كل ما
يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الأمور التي من جملتها ترك إنجاز
الموعود على موجب الكلمة السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة
عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام أولاً وإلى العزة ثانياً كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك
العزة والغلبة على الإطلاق عما يصفه المشركون به من الأشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى
«وسلام على المرسلين» تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وإيذان بأنهم سالمون عن كل المكاره
فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى «والحمد لله رب العالمين» إشارة إلى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه
تعالى بجميع صفات السلب وإيذان باستتباعها الأفعال الجميلة التي من جملتها إفاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية
والدنيوية وإسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى وإشعار بأن ما وعده عليه السلام
من النصرة والغلبة قد تحقق والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل
في فيضان الكمالات اللازمة والمتعدية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى
مع ما فيه من الإشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى
من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين والحمد لله وحده

سورة ص ست وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح
باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرا لا على كما مر في
سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرا صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب
او التنزيل وقيل من قراه بالكسر امر من المصاداة وهي المعارضة المقابلة ومنها الصدى الذي يحكي من الاجسام الصلبة
بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا
على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما قيل فمر اسما للسورة او اسما للسورة خبر المبتدا المحذوف او منصوبا
على اضمار اذكر او اقرا او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه
فاذا اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة
واما اذا كانت هي للتكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم
الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي او الامر الانشائي به
من كون المتحدى به معجزا او كون المامور به واجبا او كون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن انه لمعجز
او لواجب العمل به او لمستحق الاعظام وعلى الوجهين الثاني والثالث هو الكلام المرموز اليه بنفس الجملة المذكورة قبل القسم لتعظيم
شان المقسم به وتنبيه على عظم خطره اي لصدقت والقرآن ذي الذكر والشهادة ان القرآن لحق على طريقة قولهم
حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عنه بحيث صح الكلمة اتباعا بما كان قوله تعالى بل الذين كفروا
في عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لريب فيه بل لما بهم من استكبار وحمية
وشقاق لله تعالى ورسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين
كفروا الخ وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم النظر فيه من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم
على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون
فنادوا عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا
اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هي
المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها
وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها على انها اسمها اي لا حين مناص لهم او بفعل مضمر
اي لا ارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف الخبر
اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الا
سماء كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو
بعافية وانت اذ صحيح فانه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا
لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن
وقرئ لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريون بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها
في الامام بها ولا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكى
من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا

ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر
فيما يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل الالهة الها واحدا بان نفى
الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه آباءهم الذين اجمعوا على
الوهيتها وواظبوا على عبادتها كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف
ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بخلافي حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم
من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك
على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل
على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم
ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا
يرجونه بتوسط ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين
وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا
اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم اي اثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعون في حقها من القدح
وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا
من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ
يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي ان هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه
وسلم من امر التوحيد ونفي الهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله عن رايه
بواسطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح
وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا
الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا
الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد [illegible]
بما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله في الملة الآخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم
مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان
كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك اصح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا
اي ما هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر اي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس
واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي
بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته
بل ليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا
عذاب اي بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى
انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن

رحمة ربك العزيز الوهاب بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا
ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل
يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فإنه العزيز الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له أن يهب
كل ما يشاء لكل من يشاء وفي إضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره عليه السلام من تشريفه
واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما ترشيح لما سبق أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية
والسفلية حتى يتكلموا في الأمور الربانية ويتحكموا في التدابير الإلهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا
في الأسباب جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها إلى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الأصل
هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب
أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل
والتحقير نحو أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله
تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة
الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الأوتاد ومعناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات
البيت المطنب بأوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر قال الأسود بن يعفر ، ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة
في ظل ملك ثابت الأوتاد ، أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع
سكك وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه
العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أي أصحاب الغيضة
من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى أولئك الأحزاب إما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب
بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل
استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه أي ما كل أحد من آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم إلا كذب
الرسل لأن تكذيب أحدهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع
بالجمع وأيا ما كان فالاستثناء مفرغ من أعم العام في خبر المبتدأ أي ما كل أحد منهم محكوما عليه بحكم إلا محكوما عليه بأنه كذب الرسل
أو ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر إلا مخبرا عنه بأنه كذب الرسل وفي إسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام أولا
والإيذان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة
مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب أي ثبت ووقع على كل منهم عقابي
الذي كانت توجبه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها وأما ما قيل وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل جزء
محذوف الخبر أي إن كل منهم والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين
جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبره والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين
وجد منهم التكذيب فتدبره وأما ما قيل من أنه خبر المبتدأ أو قوله تعالى وعاد الخ أو قوله قوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن أمثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب الذين أخبر عنهم
بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فإن ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه إلى بيانه قطعا وفي الإشارة إليهم بهؤلاء
تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعله إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم في علم الله عز وجل
فمما لا مساغ له أصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد
وبعدما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وأما الذين في عصره ... فقد
كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لأشد العقوبات ما ارتكب الأحزاب أو أشد منه وإنما لم

شيئا من عوائلها أي ما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب إلا صيحة
واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بل فيها من الشدة والهول فإنها داهية يعم هولها جميع الأمم
برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع إلا هي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم
بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكمة الباهرة كما نطق به
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فمما لا وجه له أصلا لأنه لا يشاهد هولها ولا يصعق
بها إلا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا إليها بل يحل بهم من حين
موتهم ما لها من فواق أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء
والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والقط
القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة
أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا
منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للإمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون
من أمثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم عبدنا داود أي قصته تهويلا لأمر المعصية في أعينهم فإنه
عليه السلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما أتى صغيرة
نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب ووجد ما يحكى من بكائه الدائم وغمه
الواصب ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المرتكبين لأكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصي أو تذكر قصته
عليه السلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الأيد أي
ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأياد كل شيء ما يتقوى به إنه أواب رجاع إلى مرضاة الله
تعالى وهو تعليل لكونه ذا الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل إنا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأوابيته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير إيثارا
على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه كتسخير
الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعده وهو قوله
بالتسبيح كما في سورة الأنبياء يسبحن أي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو بخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان
الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات لدلالته على تجدد التسبيح حالا بعد حال واستمراره
لبيان كيفية التسخير بالعشي والإشراق أي ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي يضيء ويصفو شعاعها
وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضي الله عنها أنه عليه السلام
صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية
والطير على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس
كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية كل له أواب استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير
لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع
إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح
والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه
قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى
رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي في اليقظة فأعلمه الرجل

فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب لكن باني قد قتلت اباه غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا ا
اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور
وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص
الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار
والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له كالحمد والصلوة وقيل هو
الخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في نعت كلام النبي فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم
استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما في حيزه لانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر
وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف قال تعالى خصمان فريقان اذ تسوروا المحراب
اي تصعدوا سور الغرفة ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة
بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد اتى
اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم
لم يكن حينئذ وقوله تعالى اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روي ان الله تعالى بعث
اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبرئيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما
الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق
على خلاف العادة والحرس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه
اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه
لا تخف خصمان اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض
وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد
عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء
الصراط الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخي
استئناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل
ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر
على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها
دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست قال لقد
ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد عليه السلام به المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة
من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي
والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء اي الشركاء
الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم
على بعض من غير مراعاة لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والظلم
وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه والظن
مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه
فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام ان الله تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره

بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول باعتبار تعلقه بمفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر
الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص
حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا
في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص
فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره
في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق
بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق بالمعنى وعلم داود عليه السلام انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتلاه بامرأة اوريا وقيل
امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور بما
هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاظهار
بانه المقصود بالتصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه على ان اوريا
بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه
او خر للسجود راكعا اي مصليا كأنه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واهل القصص ان داود
عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان
عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعتهم معتادا فيما بين امتهم غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته
فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان للانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم
منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة
واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن
اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة
اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاء
الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء
ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله تعالى
على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع
مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال
علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام
هذا وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم عليه السلام غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك
اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه
حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك
عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه
فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا
او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان
قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس
بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين

والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين
اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين
يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة
الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية
بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا
لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فان تذكره يستلزم
لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو
عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره
بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة
الهوى فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء
اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية
الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز
بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا
للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها الرسل
وانزلنا عليها الكتب بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء
على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث
والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل
للذين كفروا مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار
بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى
فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم
اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة
وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه
بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين
في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا
منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى
ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق
الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده
المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين
الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير مثل ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدأ محذوف
هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ او صفة
لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلناه ومعنى المبارك الكثير
المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات
المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا
على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة

الى ما يستقل به العقل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه
مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او مسبح مرجع للتسبيح تعليل للمدح وهو من حاله
لا ان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه
بالعشي وهو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات
عن الظرف لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات
المحمودة في الخيل لا تكاد تتحقق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم
الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها
بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل
هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها وقيل خرجت
من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد
كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد
فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام
عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب
باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل
احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي
ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود
بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها
حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها
بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه
ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر
هو جواب لمضمر آخر كأن سائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل قال ردوها فالفاء في قوله تعالى فطفق مسحا
فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف
مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده
اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤق بهمز
لضمة السين بحذف الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة
بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه
في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر
فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على
ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف بذلك
فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد
يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر
واخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم
فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد

الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف
وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمن فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم
فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر
وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله
لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي
اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبا لحالي فانه
عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد
هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لان
لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار
على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ من بعدي
انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا
فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري
بامره بيان لتسخيرها له رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع او طيبة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد حيث اصاب
اي حيث قصد واراد وحكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء
وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل داخل في حكم البدل كانه عليه السلام
فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة يمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون
الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط به المنعم عليه وفرقوا
بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد هذا اي ما حكاه لما طلب سليمان
عليه السلام سعة لعظم شأنه ادنى من الملك انه مفوض اليه تفويضا كليا واما قول القول مقدر وهو معطوف على سخرنا
او حال من فاعله كما في خاطبنا داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك العظيم والبسطة
والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت
بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق
او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة
الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك
العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل مات سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة
عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر
كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار
سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها
اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره
الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على اذكر
عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب هو ابن
عيص بن اسحق عليهما السلام اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له اني اي باني
مسني الشيطان بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي بتعب وقرئ بفتح النون وبضمتين
وبفتحتين للتثقيل وعذاب اي الم وهو وصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر

في قوله تعالى اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه ربه بعبارته والا لقيل انه مسه والاسناد الى الشيطان
اما لان الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر
فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم
ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق
لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره
بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى اركض برجلك اما حكاية لما قيل له او مقول
لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب
فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام
كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال
وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له اهله معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر
يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم
وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل
رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا
الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على
مقدر اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة
فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت
فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق
به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب
كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس
والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال
ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به واراده القوة على الطاعة
فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان وروي انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف
لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهمني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله تعالى عنه نعم العبد ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له
بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي
والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال
لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة
وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي
على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم
اي تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون
وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم
في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية وانما الدنيا معبر

وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم
الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان
الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار
جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره
عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز
استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال رأيت الوليد
بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو علم اعجمي
دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه
مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة ركعة وكل اي كلهم
من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم
وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل
بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا
اوليا واما المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن
عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها
ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي
البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئا مرفوعين
على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من ضمير لهم والعامل
فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر
او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه
لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات
لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن وقت
هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات
ابلغ مقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له
من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب
شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس
المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد
هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هو مبتدأ خبره
حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار
من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت
اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين
وآخر من شكله اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر
اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى الغساق
ازواج اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم

هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا اتبعوهم في الكفر والضلالة
والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة
بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقولا او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتوا رحبا ولا رحبت بهم الدار
انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الخ كلام الرؤساء في حق اتباعهم
عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع
قالوا اي الاتباع عندما سمعوا ما قيل في حقهم وجه خطابهم للرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم اي على الوجه الاخير ظاهر واما
على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم قصدا منهم الى اظهار
صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا
او لهم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه
من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار
اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا اي الاتباع ايضا وتوسيط قالوا بين كلاميهم لما بينهما من التباين
البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار
كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله فيكون
ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام
سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم ام زاغت
عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا
كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت
عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء
والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا كقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار
اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا
بضم السين ان ذلك اي الذي حكي من احوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدأ
محذوف والجملة مبينة لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان
له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام
يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا منذر
من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار
لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب
في امر من اموره الغفار المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين
والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل
تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به امرا وائتمارا هو اي ما انبأتكم به من اني منذر من جهته
تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل ما بعده
من اخبار الآية الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون
نعي عليهم سوء صنيعهم وبيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول
وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى الخ استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ
من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي

من عند الله تعالى وان سائر انبيائه انما كان لك بالملأ الاعلى هم الملائكة وادم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون
متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم بوجه من الوجوه بحال
وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى فيهم من الاقوال فقط بل عام
لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه
الا ان بيانه ايضا فيما سبق لما كان منبئا عن سره الآن ومن ليس من ملابسه عليه السلام لشيء من مباديه المعهودة تعين انه
ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة المقصودة اخباره بحال
الى الوحي ومصحح له حقا له تعالى انما انا نذير في ضمن بحض حاله عليه السلام بعد الملأ الاعلى فالمقام مقام العامل لنوحي انما هي
عائد الى الحال المقدرة انما غيره والمعنى ما يوحى الى حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما
انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه ومن جملته حاله اذ الآن لعلم مقام الفاعل هو كونه المجرد
او سواء انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار وما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك
كاملا نفع وهو من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني
ملائمة على سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا فما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله
وان اقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى
بينهم من التقاول حيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى
وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك الاذان تجري
التبال بريئة ما تبتدله عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه واجبا عزلا من عنده تعالى كما في قوله
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي
وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما
كثيفا يلاقي ويباشر وقيل جسما باديا للبشرة اي ظاهرا لا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق
مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه
من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية
او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء
وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى
من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين
تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون
اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين
مبالغة في التعميم هذا وام ان سجودهم هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما
يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء فانما يفصح عنه ما في تفصيح من خلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي
كما تقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة
فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا مفردا مغمورا
بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فعلوا عليهم ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع
وقوله تعالى استكبر على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي
وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اي وصار منهم بمخالفة
الامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله تعالى عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات

من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد
التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين
للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى
قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه
قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضيلته
عليه عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى
لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة
بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج
الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد
بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفيته وسوسته في سورة البقرة
وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا
واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة
او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك
اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة الى يوم الدين
اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم
لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة
وتصير كالزائل الا ترى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضا قال رب فانظرني
اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف يستدعيه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته
للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال
فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم
في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان
طلبا لتأخير الموت او تحقيق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم
ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث
الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت
لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار
بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ذكر
ذلك هنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من الوجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي
من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق
لمقتضى الحال والبالغ رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج
الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على
الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته
فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اي فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين
اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين
على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اي الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه
مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب

منها

نظار

ما بعدها على ما قبلها أي فالحق قسمي لأملأن جهنم على أن الحق إما اسمه تعالى أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى بإقسامه به أو فأنا الحق
أو فقولي الحق وقوله تعالى ﴿لأملأن جهنم﴾ حينئذ جواب القسم محذوف أي والله لأملأن وقوله تعالى ﴿والحق أقول﴾ على كل تقدير
اعتراض مقرر على الوجهين الأولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المقدم عليها أعني قولي الحق وقرئا منصوبين على أن الأول
مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه
كقولك الله لأفعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الأول على إضمار حرف قسمه
ونصب الثاني على المفعولية ﴿منك﴾ أي من جنسك من الشياطين ﴿وممن تبعك﴾ في الغواية والضلال ﴿منهم﴾ من ذرية آدم
﴿أجمعين﴾ تأكيد للكاف وما عطف عليه أي لأملأنها من المتبوعين والأتباع أجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين
وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان
اتضح أن مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول
فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على القرآن أو على تبليغ ما يوحى إلي ﴿من أجر﴾ دنيوي ﴿وما أنا
من المتكلفين﴾ أي المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن ﴿إن هو﴾ أي ما هو ﴿إلا ذكر﴾ من الله
عز وجل ﴿للعالمين﴾ أي للثقلين كافة ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق
﴿بعد حين﴾ بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات
علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله
لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغيراً أو كبيراً وقيل أو ما عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله تعالى أعلم

سورة الزمر سبعون آية وآياتها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تنزيل الكتاب﴾ خبر لمبتدأ محذوف هو اسم إشارة أشير به إلى السورة تنزيلاً لها منزلة الحاضر
المشار إليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مراراً وقيل هو ضمير عائد إلى الذكر في قوله تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين
وقوله تعالى ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل عاملها معنى الإشارة أو من الكتاب الذي هو مفعول معنى
عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والجملة على الأول في معنى التقرير الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب
من الله تعالى لا أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزم
والتعرض لوصفي العزة والحكمة للإيذان بظهور آثارهما في الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء
جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه
إثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن وإظهاره على تقدير كونه هو المراد بالأول أيضاً لتعظيمه
ومزيد الاعتناء بشأنه والباء متعلقة بالإنزال أي بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للإنزال
وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أي أنزلناه إليك محقين في ذلك أو أنزلناه ملتبساً بالحق والصواب أي كل ما فيه
حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتماً والفاء في قوله تعالى ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ لترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتاب
إليه عليه السلام بالحق أي فاعبده تعالى ممحضاً له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما أنزل إليك وقرئ برفع الدين
على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلاً للأمر بإخلاص العبادة
وقوله تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ استئناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى الوجه
الأخير مؤكد لاختصاص الدين به تعالى أي ألا هو الذي يجب أن يخص بإخلاص الطاعة لأنه المتفرد بصفات الألوهية التي من جملتها الاطلاع
على السرائر والضمائر وقوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ تحقيق لحقية ما ذكر من إخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد
ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن تركه ومحل الموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي
من الحكم المعترض بينهما والأولياء عبارة عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾

حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد
على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى أي الذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الأشياء
إلا ليقربونا إلى الله تعالى تقريباً ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ أي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال
عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أي بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير
لو جاء سالماً أبو حجر إلا ليال قلائل أي بين الخير وبيني وقيل ضمير منهم للفريقين جميعاً ﴿فيما هم فيه يختلفون﴾ من الدين الذي
اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك إدخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير
للفريقين هذا هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد إليه وإضمار
المشركين من غير ذكر متوسلاً على ذلك بالسياق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله تعالى إن الله يحكم بينهم أي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الإغضاء
عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن ما يختلف فيه الفريقان اختلافاً محوجاً إلى الحكم
والفصل وإنما ذاك بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي إلى يوم القيامة وقرئ قالوا ما نعبدهم
فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل إذ ليس في الإخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم
وقرئ نعبدهم اتباعاً للباء ﴿إن الله لا يهدي﴾ أي لا يوفق للاهتداء إلى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب
﴿من هو كاذب كفار﴾ أي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فإنهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء
لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ استئناف
مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن الملائكة بنات الله تعالى أو عيسى ابنه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى
على الإطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجاً أولياً أي لو أراد الله أن يتخذ ولداً ﴿لاصطفى﴾ أي لاتخذ ﴿مما يخلق﴾ أي
من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه ﴿ما يشاء﴾ أن يتخذه إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب
استناد جميع ما عداه إليه ومن البين أن اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه
ولداً فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد وإليه أشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي يقتضيه الشرطية تنبيهاً
على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض إرادة وقوعه انتفاءه أي لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولداً لفعل شيئاً ليس هو
من اتخاذ الولد في شيء أصلاً بل إنما هو اصطفاء عبد ولا ريب في أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعاً فكأنه قيل لو أراد الله
أن يتخذ ولداً لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقق الإرادة بل على أنه متحقق عند عدمها بطريق الأولوية على منوال
لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى ﴿سبحانه﴾ تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه أي تنزه
بالذات عن ذلك تنزهه الخاص على أن السبحان مصدر من سبح إذا بعد أو أسبحه تسبيحاً لائقاً على أنه علم للتسبيح مقول على ألسنة العباد
أو سبحوه تسبيحاً حقيقاً بشأنه وقوله تعالى ﴿هو الله الواحد القهار﴾ استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات إثر بيان تنزهه تعالى عنه
بحسب الذات فإن صفة الألوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة
بينه تعالى وبين غيره على الإطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقناً وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت
ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء
الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات
الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى ﴿يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل﴾ بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فإن حدوث الليل والنهار في الأرض منوط بتحريك السموات أي يغشي
كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً
تتابع أكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ جعلهما منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى
﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ بيان لكيفية تسخيرهما أي كل منهما يجري لمنتهى دورته أو منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة ﴿ألا هو العزيز﴾

القادر على كل شيء من الأشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للإيذان باستقلاله في الدلالة وتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق الإنسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصالته في المعرفة فإن الإنسان بحال نفسه أعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس أي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فإنهما وإن كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب للتعجب من السامع فعطفت على الأولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا أب وأم وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى وأنزل لكم بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أي قضى أو قسم لكم فإن قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح المحفوظ أو أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب من الأنعام ثمانية أزواج ذكرا وأنثى هي الإبل والبقر والضأن والمعز وقد مر تفصيله في سورة الأنعام وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن كون الإنزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الأمور المهمة المشوقة إلى ما أنزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد أي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق أي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء أي ذلكم العظيم الشأن الذي عددت أفعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر أي مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا إله إلا هو والفاء في قوله تعالى فأنى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى أي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية إلى عبادة غيره من غير داع إليها مع كثرة الصوارف عنها إن تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر فإن الله غني عنكم أي فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر أي عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وإن تشكروا يرضه لكم أي يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ بإسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر أخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلا أي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون أي كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والإيمان أي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا إنه عليم بذات الصدور أي بمضمرات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة وإذا مس الإنسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا إليه راجعا إليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بأنه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار ثم إذا خوله نعمة منه أي أعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد أي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال إذا كان متعهدا له حسن القيام به

الغالب

أو من الخول وهو الافتخار أي جعله يخول أي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو إليه أي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى إلى كشفه من قبل أي من قبل التخويل أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه إما بناء على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والأنثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد وإما إيذانا بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف ما يدعوه فضلا من أن يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما يصفون وجعل لله أندادا شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء أي ليزداد ضلالا أو يثبت عليه وإلا فأصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا أن هذا أقرب إلى الحقيقة لأن الجاعل هنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الإضلال والضلال وإن لم يعرف لجهله أنهما إضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله تمتع بكفرك قليلا أي تمتعا قليلا أو زمانا قليلا إنك من أصحاب النار أي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الإقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته أمن هو قانت آناء الليل إلخ من تمام الكلام المأمور به وأم إما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له أكافر أحسن حالا ومآلا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائفها في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ساجدا وقائما أي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضمير الراجي لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط وإما منقطعة فما فيها من الإضراب للانتقال من التهديد إلى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ إلى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أمن هو قانت إلخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون أي ما ذكر أو شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الأولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من مكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى إنما يتذكر أولو الألباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من قال عوجوا لنعم فحيوا النؤي والدارا ... ماذا تحيون من نؤي وأحجار أي إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ إنما يذكر بالإدغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكر بأولي الألباب إيذانا بأنهم هم المتذكرون أي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فإن نقل عين أمر الله أدخل في إيجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين أحسنوا تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به وإيراد الإحسان في حيز الصلة دون التقوى للإيذان بأنه من باب الإحسان وأنهما متلازمان وكذا القصر كما في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وفي قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا أي عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الإحسان بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك حسنة أي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها أو حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها الصحة والعافية وأرض الله واسعة

فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه
لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم
لفضيلة الاحسان لما انه من استلزام التقوى الجامع لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة
ومتاعبها اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون
الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب
اى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب الموازين
يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلايا بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية
في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
اى من كل ما يشوبه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله
الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت
لان اكون اول المسلمين اى وامرت بذلك لاجل ان اكون اول مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق
في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها
لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم فيكون قوله تعالى وامرت لان اكون
اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه
قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة
وصفه بالعظم لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال قل الله اعبد لا غيره استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني
من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب
على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة
وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم ان تعبدوا من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم
ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اى الكاملين في الخسران الذي هو عبارة
عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اى اضاعوهما واتلفوهما
يوم القيمة حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم
ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور
ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة خسروا
اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم
المخاطبون بالموصول عبارة عنهم او على انهم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين من
من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم
ظلل من النار الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف هو حال
من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق
بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اى اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها
ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي هذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا
الطاغوت اى البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر

والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة
الرسل والملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة
على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اى اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله لدين الحق واولئك
هم اولوا الالباب اى هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة
على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال
اضداد المذكورين على طريقة الاجمال والتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق
عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان
جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة للانكار
ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا اى انت مالك امر الناس
فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير
من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام
في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستقلة لتقرير مضمون
الجملة الاولى وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائهم الى الايمان
بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه ثم شدد النكير فقيل افانت تنقذ من في النار
وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله
تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا
اتقوا ربكم الآية والمعنى ان لهم درجات عالية في جنات النعيم مقابلة لما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اى لهم علالي بعضها فوق
بعض مبنية بناء المنازل المبنية على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف
الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف فانه وعد واي وعد لا يخلف
الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استئناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال
وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار ببهجتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا الآية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه
من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى
بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اى عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها
فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الخافض اى في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه
من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
ثم يهيج اى يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما
فتاتا متكسرا كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد منه لذكرى لتذكيرا عظيما
لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في عجلة
التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء

من السماء فاجراه في ينابيع الارض قادر على اجزاء الانسان من تحت الغرق هذا او مثل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها
على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فمعزل عن تفسير الآية الكريمة واما من ذلك
بالوذكر ماذكر من الاثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر لحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل بعين
ان تكون متعلق التذكر والمتذكر شؤونه تعالى او شؤون آثار حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد
له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءة
بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه كلمة
العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا
للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم
من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن
قسى قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولت عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات
بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له
الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او آياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم
رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد
مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه
وابي جهل وذويه الله نزل احسن الحديث وهو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له عليه السلام حدثنا حدثنا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر
الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده
اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء
اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجيء الحال من النكرة المحضة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة لاتصافه
بقوله تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا وبمعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق
واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى
لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين
اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها
كما يقال رايت رجلا حسنا شمائل اي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم صفة
لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه
ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم
اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد
من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق
والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته وزواجر وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تبدلت
خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم
يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء
اي يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل الله اي يخلق فيه

يتقي

نخذل

الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعده ووعيده اصلا او من
فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر
من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد ومن هو بمعزل عن سبق
افمن يتقي بوجهه الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء
وحذف الخبر كالذي مر في نظيره والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه انه يقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه
سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد يوم القيامة لكون يده التي بها يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه
كمن هو آمن لا ياتيه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي
اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع
المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وبال ما كنتم
تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استئناف مسوق لبيان ما اصاب بعض
الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة
فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر
منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو
ذلك من فنون النكال ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان
من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر
في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص
بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون اي اراد المثل من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى
والمراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا
مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل
خبر له وبيان انه في الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا والوصف هو الجار والمجرور
وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف كالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقوده اليه مذهبه من ادعاء
كل من معبوديه عبوديته عبدا يشترك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه
ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما
بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقرئ
سالما وسالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا
انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد
ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر
في ابهام الفاضل والمفضول واقتصارا مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا ولا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان
في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي
الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان
يحمدوه ويعبدوه او على ان الله تعالى يعرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء وصنع الجميل واللطف التام
منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء

على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وهل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اى انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اى مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان لا غير اى اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق اى بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اى في اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل اليس في جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل هو جنس متناول للرسل والمؤمنين ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق هم المتقون المنعوتون بالتقوى الذي هو اجل الرغائب وقرئ وصدق بالتخفيف اى صدق الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وصار صادقا به اى بسببه لان ما جاء به من القران معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ وصدق على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وساير اهوال القيمة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما سلف كان في معنى الوعد كما في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوء الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوء والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان على ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوء بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوء لتكفير السيء لكن لا يمكن ذلك في الاحسن كما لا يخفى فيهما سلك احد الاعتبارين والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف

انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما الرسول صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ بكاف عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك او يصيبك مضرة باعابتك الهتنا وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اى الاوثان التي اتخذوها الهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى يغفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام ويخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا مانع ولا منازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدلائل وسطوع السبيل قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اى بعدما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اى او ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اى في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اى على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد اخزاهم الله تعالى يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اى دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اى انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اى بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اى فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الآخر لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اى بل اتخذ قريش من دون الله اى من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه اى قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان

ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمعتمد حينئذ غيره قدرا ولا
وصلا اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون لو كانوا يملكون شيئا
ولو كانوا لا يملكون الى آخره وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل لله تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر
تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا
له وكلاهما مفقود هنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتاكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات
لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا
ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين
من دونه فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ
في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز
ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية هو العامل في اذا المفاجأة تقديره
وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ الى الله
تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء
بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له
كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي او الاخروي وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا
من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب
الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة
والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا
فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من استحقاق
او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء من النعمة بل هي فتنة
اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة
وانما هو امر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر
كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة
وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون بها فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات
لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم
والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتأكيد وقد اصابهم اي اصابهم قحط سبع سنين
وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي اقالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء اي يبسطه له ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث
حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا ان في ذلك اي فيما ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل

لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي فرطوا في الجناية
عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا
من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره
حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر
والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين
للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر
الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني المنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي من اسباب
النزول الدالة على ورود الآية من باب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء
اكرام الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة
وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن او المأمور به
دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير
للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر
يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي
على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي في جانبه
وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذاته
على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين
بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت
من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين
في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك
آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هداني من معنى النفي
وفصله عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار
المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد وجوههم
مسودة لما ينالهم من الشدة او لما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على ان الرؤية بصرية
او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله
من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر
ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم لنيل الثواب اي
ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال
اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه
اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير لها نفيا لهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء
والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشير اليه او في جعل العمل
على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا

الله خالق كل شيء من خير وشر وإيمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لأسبابها وهو على كل شيء وكيل
يتولى التصرف فيه كيف يشاء له مقاليد السموات والأرض أي لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة
عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها
إلا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته إذا ألزمته وقيل جمع إقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير
وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر
وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض
من تكلم بها أصابه والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء
ومتصرف فيها كيف يشاء بالإحياء والإماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة الدالة
والأنفس التنزيلية التي من جملتها تلك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسارا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل
بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي أبعد مشاهدة هذه الآيات
غير الله أعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم
ويجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف
أن ورفع ما بعدها كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ويؤيده
قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمرونني بإظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك
أي من الرسل عليهم السلام لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج
الرسل وإقناط الكفرة والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف من
وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والأخريان للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم
لأن الإشراك منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما أمروه ولولا
دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين إنعامه عليك وفيه إشارة إلى موجب الاختصاص وتقديمه
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به
وقرئ بالتشديد والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته
وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالنسبة إلى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريق
التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى
القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للمؤقت بالمبهم
وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على أنها حال
والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته
عن إشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الأولى فصعق من في السموات ومن في الأرض
أي خر ميتا أو مغشيا عليه إلا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه أخرى نفخة أخرى وهي النفخة الثانية وأخرى تحتمل النصب والرفع فإذا هم قيام قائمون من قبورهم أو متوقفون
وقرئ بالنصب على أن الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون
ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما أقام فيها من العدل استعير له النور لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق
كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضاف الاسم الجليل إلى ضمير الأرض أو بنور خلقه فيها
بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف إلى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب

المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل الصحائف
وجيء بالنبيين والشهداء للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد
بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت أي جزاءه
وهو أعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من أفعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا الخ تفصيل للتوفية
وبيان لكيفيتها أي سيقوا إليها بالعنف والإهانة أفواجا متفرقة بعضها في إثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة
والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا ألم يأتكم رسل منكم من جنسكم
وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه
لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد أتونا وأنذرونا ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقد كذبنا
الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا تكذبون قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي مقدرا خلودكم فيها وإبهام
القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا أي فبئس مثواهم
جهنم ولا يقدح ما فيه من الإشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في أن دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فإنها
إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة مساق إعزاز
وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقرئ بالتشديد وجواب إذا محذوف للإيذان بأن لهم
حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي أو طبتم نفسا بما أتيح لكم من النعيم فادخلوها
خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب وأورثنا
الأرض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف
فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء أي يتبوأ كل واحد منا أي مكان أراده من جنته الواسعة
على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم أجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول
العرش أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم أي ينزهونه تعالى ملتبسين بحمده
والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه إشعار بأن أقصى درجات
العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم بالحق أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين أي على ما قضى بيننا
بالحق والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله
عنها أنه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر م

سورة المؤمن ثمان وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم بتفخيم الألف وتسكين الميم وقرئ بالإمالة وبإخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين
أو نصبها بإضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة فاعيل كهابيل وبقية الكلام
فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع
سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكرناه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب

ذي الطول وما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه
لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب شديده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس
او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب
وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك
لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب
المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال
الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا
من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله
تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة
منها فضلا من الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية
وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات
ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال الفاء في قوله تعالى فلا يغررك
تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت عند الله تعالى
ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون
عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا
على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم
وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا
بالباطل الذي لا اصل له ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب
ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين لآخذي هؤلاء
ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب
وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب
على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان
ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق
بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل
اي لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول
عليه السلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل
الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب
اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين
النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم
وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم
عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم
في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى ويؤمنون به
ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار
بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان المشاركة في الايمان توجب

والتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم
وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم
في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم
ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه
في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله
امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة
خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول
اي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله
للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصود بالذات هاهنا الفاء في قوله تعالى فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم
وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء
بينهما للمبالغة في الجؤار جنات عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم اي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخل
معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه
بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا على درجة من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة
فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة
وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال
فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح
بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم اي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه
الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات اي العقوبات لان جزاء السيئة
او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصي في الدنيا لقوله تعالى ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعدما سألوا المسبب وذلك
اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه
هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعدما
سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا
فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها
اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون
قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء بآبائكم المضلين واستحبابا لآرائهم
اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف لمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظرف
من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة
واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والمظروف من علاقة اللزوم في المعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لانكم تدعون الى الايمان
فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين

صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف
الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين
اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف
اي لم تدع فلم يبق الا مسحت اي مستأصل والمراد بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء
عادم الحياة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحياة وبالاحياءتين
الاحياء الاول واحياء البعث وقيل اريد بالاماتة الاولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحياءتين ما في القبر
وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فمدفوع بان مقصودهم تعداد
اعتدادهم بها ولزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا
كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة
من الرجوع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوه بقولهم فهل الى خروج
من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه
ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك
ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حياة القبر عليها
وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف بالاحياءتين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسبما
عليها وجودا وتنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيف كان وقوله تعالى ذلكم جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان
ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشأن
اذا دعي الله في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا كفرتم اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك
وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال
سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق لا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير
الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك
ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة
لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ
بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة
على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة
على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات
الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته
الكاملة ونعمه الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله
مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له
دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات
خبر مبتدأ محذوف على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون
من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش
ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر عنهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين
لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش
وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شأنه
وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش

وتقديم الانعام بما ذكر لما فيه من تأنيس المؤمنين المخلصين وقوله تعالى يلقي الروح من امره خبر آخر لما ذكر مبني على ازالة الرزق الجسماني الذي هو المطر
اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي
فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتديا من امره او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره
على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه
او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه السلام او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف
للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض
او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء
للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء
من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون
عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف
لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير
بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او
يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال اي ينادي مناد لمن
الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه وقد روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد
واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق واما حكاية لما سيقوله تعالى
يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم
بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب
الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل
النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل
فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الآزفة اي القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه
اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم
او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم
على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع
اي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار
وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة
خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي
بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد
لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين

وقضائه بالحق وعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم
قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جي بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول
اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله
متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله
ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات وبالاحكام الظاهرة
فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد
ارسلنا موسى باياتنا هي معجزاته وسلطان مبين اي حجة قاهرة وهي ما عين الايات والعطف لتغاير العنوان
وافراد بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكائيل مع ذكرهما في الملائكة
عليه السلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين
فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم
لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جي به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الا برای
والارعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كان ملؤه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس
بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك
عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف الظاهر من حال اللعين وتكاثر مرداته انه قد استيقن انه نبي وان ما جاء به
آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك كان قوله ذروني كان تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له
عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة
بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبارة
عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج
ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء
من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اي لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تاكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه
وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ
به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تاثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم
الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراة على الله تعالى وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون
قيل كان قبطيا ابن عم فرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي من فرعون وملائه
اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله اي وحده من غير روية وتامل في امره
وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات
احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه
وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما
ان تعرضتم له بسوء وهذا الكلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم

من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد تراك
امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لان مراده بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما
ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض
لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين
على بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من باس الله من اخذه وعذابه
ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك
والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء باس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه ناصح لهم ساع
في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتاثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير
عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا
ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا
وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة
الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض
له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب
قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما
للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لان المنفي فيه ارادة
ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم العذاب الدنيوي
ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما
حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا
زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا انفا
اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار وفارين منها حسبما نقل
ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة
ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد
وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم
في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث
كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات
لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه
كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في مجلة
اتاهم صفة لسلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من
وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر
والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب
اي الطرق اسباب السماوات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع
الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه

احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى
فيها دولة عليه السلام او اخباره من اسباب السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء ومما
لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك
اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال وصد عن السبيل
اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك
وعلى انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء
وقرئ وصدوا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم اتبعوني
فيما دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه
سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح
بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه تتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى
بتعظيم الآخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى
في الآخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير
وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة
بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا
لهم عن سنة الغفلة اعتناء بالمنادى ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلونه بضده ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام
دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله
بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء
كالهداية في التعدية باللام والى واشرك به ما ليس لي به بشركته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد
نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع
صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب
والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب عدم دعوة الهكم الى عبادته اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة
دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل منه ذلك الا ظهور
بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان
كرشد ورشد وان مردنا الى الله اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين
اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون ما اقول لكم وقرئ
فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله
قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا
شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون اي
بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه
فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب
الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار

خبر لمبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحق
ان يكون الحائق الى آخره لسوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم
بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون
فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود
رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما
فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه واشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول
اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء
منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار
المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب
بمضمر دل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا او بالنصب
على المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غناء فكذلك نصيبا قال
الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان
بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف
المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا
لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت عليهم لخزنة جهنم
اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات
النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم
في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه
في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر
والمعاصي كما في قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة
اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا
خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء
بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان انه بسبب من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن
لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء
الكافرين الا في ضلال اي ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الخ كلام مستانف مسوق
من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا
واتباعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات
ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي
يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ
وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع
بالتاء ولهم اللعنة اي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى

من المعجزات والصحف والشرائع وأورثنا بني إسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة
أو هاديا ومذكرا لأولي الألباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من أذية
المشركين إن وعد الله حق أي وعده الذي نطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون
وإن جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الإخلاف أصلا
واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لفرطاتك بترك الأولى في بعض الأحايين فإنه تعالى
كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار أي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى
وقيل صل لهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والإبكار وقيل هما
صلاة العصر وصلاة الفجر إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم في ذلك من جهته
تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإيذان بأن التكلم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين البتة
وهو عام في كل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكة وقوله تعالى إن في صدورهم إلا كبر خبر لإن أي في قلوبهم إلا تكبر
عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو إرادة الرياسة والتقدم على الإطلاق أو إرادة أن تكون النبوة لهم دونك
حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ولذلك يجادلون
فيها لأن فيها موقع جدال أو أن لهم شيئا يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم بجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر
قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست
صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه
الأنهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع إلينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله
أي فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز إلى أنه من همزات الشياطين إنه هو السميع البصير لأقوالكم وأفعالكم
وقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج
قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ولكن أكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتأمل
لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم وما يستوي الأعمى والبصير أي الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء أي والمحسن والمسيء فلا بد أن يكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة
لا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف
الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على
بطريق الالتفات أي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس أو الكفار إن الساعة لآتية لا ريب فيها
أي في مجيئها لوضوح شواهدها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور
أنظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني أي اعبدوني أستجب لكم أثبكم لقوله تعالى إن الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين أذلاء وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف
عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون على صيغة
المبني للمفعول من الإدخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى ضعف المحركات
وهدوء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا أي مبصرا فيه أو به إن
الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواضع
النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء
لا إله إلا هو أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافا
بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره كذلك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي مثل ذلك الإفك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أي آياته

ن

ن

لا لكان آخره وجه وصحيح في الجملة الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان
فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فإن
الإحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيئا
لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات أي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة
الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله أي تعالى بذاته رب العالمين أي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه
في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية
لا إله إلا هو إذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه تعالى به مخلصين
له الدين أي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين أي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله
فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج
والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لدلالة العقل منبهة عليها فإن الآيات التنزيلية مقررات للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية
وأمرت أن أسلم لرب العالمين بأن أنقاد له وأخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب أي في ضمن خلق آدم عليه السلام
منه حسبما تحقيقه مرارا ثم من نطفة أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي من مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا أي
أطفالا والإفراد لإرادة الجنس أو لإرادة كل واحد من أفراده ثم لتبلغوا أشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة
لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا
ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل أي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله
ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده أي ولتبلغوا أجلا مسمى هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون
ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الأموات ويميت الأحياء أو الذي يفعل الإحياء والإماتة
فإذا قضى أمرا أي أراد أمرا من الأمور فإنما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من الأشياء أصلا وهذا تمثيل
لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر وما
والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الإحياء والإماتة به تعالى ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله
أنى يصرفون تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع
وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى إن الذين يجادلون في آيات الله إلخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد
يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة فلا تكرير فيه أي انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها
الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى
الذين كذبوا بالكتاب أي بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فإن تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول أو
النصب أو الرفع على الذم وإنما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما أرسلنا به رسلنا
من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته
إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الأغلال والجار
في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العائد أي يسحبون بها وهو على الأول
حال من المستكن في الظرف أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل
يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى
لأن قوله تعالى الأغلال في أعناقهم في معنى أعناقهم في الأغلال أو إضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون أي
يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أي ملئ والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب
وينقلون من باب إلى باب ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا أي غابوا عنا وصيغة الماضي

لئلا يدل على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عنه بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك الحقت النون بالفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب فالنظم كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما كان لرسول اي ما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كألبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منها يجوز تعلقه بكل منهما ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي أقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم

تعذيبهم

من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهروه عليهم السلام على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة — خمسون آية وآيتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعل اسما للسورة فهو خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا او مبتدأ خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغيرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعنى من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم صفته او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرنا اننا عاملون اي على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولهم فاعمل اننا عاملون بل انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم

ايانه

فان الخطاب في الكلم محكي منتظم للكل لانه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وحاصل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد دل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وحاصل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا ثبت نبوتي وجب عليكم اتباعي فيما يوحى الي فالفاء في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايجاب الوحداينة فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سويها وقال الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن به عليهم من المن وهو القطع او لا يقطع من مننت الحبل اي قطعته وقيل نزلت في المرضى الذين اذا عجزوا عن العمل كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التاكيد كما قيل اي انكار ان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد اما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشان الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات ابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي تجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر رب العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة وجعل ابداعي وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى لتكفرون فهي بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل وهو كلام مستأنف اي ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اي حكم بالفعل بان يوجد فيها لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اي قدر حصولها في يومين اي تتمة اربعة ايام تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام اي استوت سواء اي استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان اي امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع عن الماء كما سيأتي

وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما حسبما نطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقدير الارض وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومامور كما في قوله كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران واقعان موقع الحال اي طائعتين او كارهتين وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اي منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب على تكوينهما اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل واوحى في كل سماء امرها عطف على قضاهن اي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وايا ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بتطبيعها للسماء في سلك الامر بالاتيان ايتاء واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه ائت يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة فانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس خلق جرم الارض حتى يتاتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالظاهر ان يسلك الآيتان وحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين اما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكون السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكون الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير وتجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة الباهرة كما هو على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمؤاتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لا يقدح تقدم الارض على خلق السماء اكلا على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الرتبي واما على تقدير كونها للتراخي الزماني كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة

فى الاية الكريمة على الترتيب كما فى الوجه الاول على ان كلمة ثم فى الكلام بمعنى قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا الآية
واما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه هنا لترقيه مقام الامتنان بخلقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب
فانها كلها ترى متلألئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر
مؤكد لفعل معطوف على زينا اى حفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة
وحفظا ذلك الذى ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم البالغ فى القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله
تعالى قل ائنكم الخ اى فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل
لهم انذرتكم اى انذركم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به صاعقة اى عذابا هائلا شديد
الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق او الصعق يقال
صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا
لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين
ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضى بالانذار عما جرى فيه
على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون
والمتأخرون على تنزيل مجئ كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجئ انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما
وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اى من قبلهم وممن يجئ من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى
ان لا تعبدوا الا الله اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اى لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء الله اى
ارسال الرسل لانزل الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفى رسالة البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملائكة
اى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل فانا بما ارسلتم به اى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون
لما انتم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى ان ابا جهل قال فى ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما
وما يخفى على فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من اى بنات قريش شئت
وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش
فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب
ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم
ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا فى الارض شروع
فى حكاية ما يخص كل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما عم الكل من الكفر المطلق اى فتعظموا فيها على اهلها
او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اى بغير استحقاق التعظم والولاية وقالوا مغترين بشدتهم
من اشد منا قوة حسبما نالوا من اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل
فيقتلعها بيده اولم يروا اى اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذى
خلقهم هو اشد منهم قوة اى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره
مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وايراده فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم
الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اى ينكرونها وهم يعرفون
حقيتها وهو عطف على فاستكبروا وقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا اى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع ويقبض او عاصفة تصوت فى هبوبها

من الصرير فى ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت
على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء لنذيقهم
عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضافة العذاب الى الخزى
الذى هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وهو فى الحقيقة وصف
للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم
فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازاحة عللهم بالكلية وقد مر تحقيقه
فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى
على الهدى اى اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب وقارعة العذاب
والهون والهوان صفة العذاب مبالغة او بدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين
آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع فى بيان عقوبتهم الآجلة اثر بيان عقوبتهم
العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين
ويرده ما سيأتى من قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ نحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله بنون
العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اى الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب
وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون
على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما فى قوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل الآية او ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل
يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اى جميعا غاية ليحشروا او ليوزعون اى حتى اذا حضروها وما
مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا من فنون
الكفر والمعاصى بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود
شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان شهادة
من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد
بالجلود الجوارح اى سألوها سؤال توبيخ لما روى انهم قالوا فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل
وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود فى قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ لوقوعها فى موقع السؤال والجواب
المختصين بالعقلاء اى انطقنا الله الذى انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح
وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ وليس ذلك لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار
وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع
مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه
من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا
لجواب الجلود اى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس
مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح
المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لانها كانت
عالمة بما شهدت به عند صدوره منهم عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى
او قرشيان وثقفى فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبى

صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالظن المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة
ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله
اخلده ليتم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية
بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدا وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا
فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء
النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة
للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غيابة
دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان
يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين
اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا
بعث ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومقتضاها وهي قوله تعالى
لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين
كما مر مرارا في امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله
عز وجل ما سبق المعهود من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة لامم اي مضت
من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب
والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا
لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا
اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون
اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون
فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم
التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة
بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله
جزاء اعداء الله خبره اي ذلك المذكور من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدأ محذوف
اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد
جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي
صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديدا وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة
على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء
او بالمصدر الذي قبله فان المصدر ينصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية
بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو
وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين
النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل
بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا
اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين

قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوا
اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان
او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الايمان
واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية
بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل
تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو
الاطلاق كما ستعرفه الا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم
يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل
غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا
على انه حال من الملائكة او استئناف وابشروا اي سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم
في احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق
ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق
الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة وفي الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع
من التعادي والخصام ولكم فيها اي في الآخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون
افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره
في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للاشباع في البشارة والايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور
رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما تتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله اي الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام
وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال
الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا
للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر
على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد
النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك
بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال
كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم بيان لنتيجة
الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية
التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي شأنهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار
وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبهت وسوسته به لانها تبعث
على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي ان صرفك الشيطان
عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم
بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة
على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى

او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعلق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن
المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بانفسها وهو السر في نظم الكل في آية تعالى ان كنتم اياه تعبدون
فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به تعالى وهو موضع السجود عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه
تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما
وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسئمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان
النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اي
ان الذي احياها بالذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الاحياء
قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في آياتنا بالطعن فيها وتحريفها
بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن يأتي آمنا يوم القيامة
تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد
انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون
الى آخره وخبر ان هو الجواب او قيل بعد خبره محذوف مثل الكل يسد مسده الجزاء السابق والذكر القرآن وقوله تعالى
وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لتأكيد شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم
حميد خبر لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامة الاضافة كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامة
الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر
بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شأنك
وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم من الامم
ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل
مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا
لولا فصلت آياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى أأعجمي وعربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم
وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري والمعنى أكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم
امة جمة لان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي
أكلام منسوب الى العجم وقرئ عجمي على الاخبار بان القرآن اعجمي والمتكلم والمخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها
اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان آيات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها
متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين
لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على ان التقدير هو اي القرآن في آذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي آذانهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر او نعت له قدم عليه وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم وقر على الظرف
وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول مثل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين
عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني
باعتبار اتصافهم بما في حيز صلته وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للاشارة الى بعد منزلتهم في الشر
من كمال المناسبة بما ذكر من البعد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة
التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها
الاصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف لبيان ان الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للامم

غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف
فيها فمن مصدق لها ومكذب بها كما اختلف قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت
من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى
بل الساعة موعدهم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة
وانهم اي كفار قومك لفي شك منه مريب اي من القرآن وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له
من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها
ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة
الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر في المقام من التحقيق
والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله
وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس
والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم
يناديهم اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب
باذكر او الظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اي
اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال فما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا
من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان
هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد لهم تلك الشهادة
الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم
ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم
من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة
واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة
التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى
ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لان اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لا يزول
عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سيأتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى
اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى
والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره
ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا
وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار
كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته
واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن
بعض غير البعض الذي حكى عنه اليأس والقنوط او شأن الكل في بعض الاوقات قل أرأيتم اي اخبروني ان كان اي
القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم

وضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم ﴿سنريهم آياتنا﴾ الدالة على حقيته وكونه من عند الله ﴿في الآفاق﴾ من ما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسره الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة ﴿وفي أنفسهم﴾ من ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآفاق أي منازل الأمم الخالية وآثارهم وفي أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق أي أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زماناً فزماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ أي القرآن أو الإسلام أو التوحيد ﴿أولم يكف بربك﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد إلا مع كفى وقوله تعالى ﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ بدل منه أي ألم يغنهم عن إراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حامله هذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع إشعاره بما لا يليق بحاله عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ أي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح في أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة إليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات صدق رسول الله تعالى

سورة الشورى مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم عسق﴾ اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الأول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق أو أن إيحاءها مثل إيحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على أنه مفعول ليوحي على الأول أو على نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الأول إشارة إلى ما فيها وعلى الثاني إلى إيحائها وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أوحى إليك في سائر السور وإلى من قبلك من الرسل في كتبهم على أن مناط المماثلة ما أشير إليه من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد أو مثل إيحائها أوحى إليك عند إيحاء سائر السور وإلى سائر الرسل عند إيحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغايراً له كما في قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للإيذان باستمرار الوحي وأن إيحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة أو إيحائها مشبهاً به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ نوحي على التكلم على أن كذلك مبتدأ ونوحي خبره المسند إلى ضميره أو مصدره ويوحي مسنداً إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحي كأنه قيل من يوحي فقيل الله العزيز

الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى ﴿له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم﴾ خبر له وعلى الوجوه الباقية استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿تكاد السموات﴾ وقرئ بالياء ﴿يتفطرن﴾ يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿من فوقهن﴾ أي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض حين أثرت في جهة الفوق فلأن تؤثر في جهة التحت أولى وقيل الضمير للأرض فإنها في معنى الأرضين ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعاً في إيمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ إذ ما من مخلوق إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز إلى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء وأنداداً ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بموكل بهم أو موكول إليه أمرهم وإنما وظيفتك الإنذار ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾ ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين ﴿لتنذر أم القرى﴾ أي أهلها وهي مكة ﴿ومن حولها﴾ من العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أي يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الأرواح والأشباح وقيل الأعمال والعمال والإنذار يتعدى إلى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف هنا ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن ﴿لا ريب فيه﴾ اعتراض مقرر لما قبله ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ أي بعد جمعهم في الموقف فإنهم يجمعون فيه أولاً ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين أي مشارفين للتفرق أو متفرقين في داري الثواب والعقاب ﴿ولو شاء الله لجعلهم﴾ أي في الدنيا ﴿أمة واحدة﴾ قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ أنه تعالى يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب في أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم مختلفين وإنما قيل ﴿والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ للإيذان بأن الإدخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما في الإدخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الإسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى لو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تقدير الاستدراك بإدخال بعضهم في رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تقديره بإخراج بعضهم منهم وإدخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه أن يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم في فترة إدريس أو في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى لو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم رسولاً لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل

من يشاء في رحمته اي يشاء ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى التحري فيهديهم
الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم
من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء
جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها
الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا
ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء
من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا
وليا في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي من شأنه ذلك وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ
وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما
خالفكم فيه الكفار من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم
الشأن الله ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من معضلات
الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي
وفي الثاني صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم وتنازعتم فيه من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا
على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ
لحمله على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلوة والسلام فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ
محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين
الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره مرارا ومن الانعام
اي جعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث
وفي معناه الذر والذرو فيه اي فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث
والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء في شأن من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته
كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن
من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض
اي خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم
مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة
كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته عليه السلام اي شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولي العزم من مشاهير الانبياء عليهم الصلوة والسلام وامرهم به امرا مؤكدا
على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه
السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو مأمور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف
باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به
والمراد بايحائه اليه عليه الصلوة والسلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة في قوله تعالى كذلك اوحينا الآية او ما يعمها وغيرها
مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلوة والسلام بالذي الذي هو اصل الموصولات لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله
وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة

والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح
عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلوة والسلام بطريق التلوين للتشريف
والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلوة والسلام ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى
وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ
او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال
نشأ من ابهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه
عن حيز الايحاء الى النبي عليه الصلوة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عليهم الصلوة
والسلام وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته صلى الله عليه وسلم وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اي
لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق
به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين
القويم اي عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حتى قالوا اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء استئناف وارد لتحقيق الحق فيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي
يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب
اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة
الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة اي ما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته
بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن او بدلائل حقيته حسبما وجدوه في كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلوة والسلام
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم
او الا وقت مجيء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيامة لقضي بينهم لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم
لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب
وقرئ ورثوا وورثوا اي وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه اي من القرآن
مريب موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب اهل الكتاب هذا
واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم السالفة وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد
عليه على السنة الانبياء عليهم السلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة
واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين
مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار
وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء
دين قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلوة والسلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه والتعرض
لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع
لهم الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي فادع الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من
تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه
ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار بل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى
كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحي اليك
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي بكل كتاب من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها

وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد بين كيفية الايمان
بها في سورة البقرة · وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي
بينكم ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به
محذوف اي امرت بذلك لاعدل او زائدة اي امرت ان اعدل والباء محذوفة · الله ربنا وربكم اي خالق الكل ومتولي امورنا
لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا · ولكم اعمالكم اي لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم
لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محل سوى المكابرة · الله يجمع بيننا يوم القيمة
واليه المصير · مظهر بيننا حالنا وحالكم وهذا كالمحاجرة في مواقف المجادلة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ
بآية القتال · والذين يحاجون في الله · اي في دينه · من بعد ما استجيب له · من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه [illegible] عن ذلك
بالاستجابة باظهار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلوة والسلام وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته عليه الصلوة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه السلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم
ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق · حجتهم داحضة عند ربهم · زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عنها بالحجة
مجاراة معهم على زعمهم الباطل · وعليهم غضب · لمكابرتهم الحق بعد ظهوره · ولهم عذاب شديد · لا يقادر قدره · الله الذي
انزل الكتاب · اي جنس الكتاب · بالحق · ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام · والميزان ·
والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن · وما يدريك
اي اي شيء يجعلك عالما · لعل الساعة · اي اتيانها · قريب · اي شيء قريب او قريب مجيئها وقيل القرب
بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفجاك اليوم
الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها · يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها · استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون
متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه · والذين آمنوا مشفقون منها · خائفون
منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب · ويعلمون انها الحق · اي الكائن لا محالة · الا ان الذين يمارون في الساعة · يجادلون
فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة
لفي ضلال بعيد · عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد · الله
لطيف بعباده · اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون لطفه ما لا تكاد تناله ايدي الافكار والظنون · يرزق من يشاء
اي يرزقه كيف يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة · وهو القوي · الباهر القدرة
الغالب على كل شيء · العزيز · المنيع الذي لا يغلب · من كان يريد حرث الآخرة · الحرث في الاصل القاء البذر في الارض
يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور
المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد باعماله ثواب الآخرة · نزد له في حرثه · فنضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة
فما فوقها · ومن كان يريد · باعماله · حرث الدنيا · وهو متاعها وطيباتها · نؤته منها · اي شيئا منها حسبما قسمنا له
لا ما يريده ويبتغيه · وما له في الآخرة من نصيب · اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء
ام لهم شركاء · اي بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع · شرعوا لهم · بالتسويل · من الدين ما لم ياذن
به الله · كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع ع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم · ولولا كلمة الفصل · اي القضاء
السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة · لقضي بينهم · اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم · وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم
في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة · ترى الظالمين · يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للعقد
الى ان ترى حالهم غير مختص بفرد دون فرد · مشفقين · خائفين · مما كسبوا · من السيئات · وهو واقع بهم

وبال لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض · والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات · مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها · لهم ما يشاؤن عند ربهم · اي ما يشتهونه من فنون المستلذات
حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن · ذلك · اشارة الى ما ذكر من حال
المؤمنين وما فيه من معنى البعد للاذان ببعد منزلة المشار اليه · هو الفضل الكبير · الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته · ذلك
الفضل الكبير · الذي يبشر الله عباده · اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله
رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله تعالى عباده · الذين آمنوا وعملوا الصالحات · وقرئ يبشر من ابشر · قل لا اسألكم عليه
روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا اطلب منكم
على ما انا عليه من التبليغ والبشارة · اجرا · نفعا · الا المودة في القربى · اي الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل
قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي المودة ثابتة في القربى
متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي
وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل
القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى
ومن يقترف حسنة · اي يكتسب اي حسنة كانت فضلا عن مودة ذوي القربى سيما ولاوتيا وعن السدي انها المراد وقيل
نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم · نزد له فيها · اي في الحسنة · حسنا · بمضاعفة الثواب وقرئ يزد له اي يزد
الله وقرئ حسنى · ان الله غفور · لمن اذنب · شكور · لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة · ام يقولون
بل يقولون · افترى محمد · على الله كذبا · بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي كانه قيل اتمالكون
ان ينسبوا مثله عليه الصلوة والسلام وهو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى
فان يشأ الله يختم على قلبك · استشهاد على بطلانه فالوا بيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك
قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء على الله تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم
بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك
يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا
تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان
كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه الصلوة والسلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم
وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل
لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم · ويمح الله الباطل ويحق الحق
بكلماته · استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف
لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه وبقضائه كقوله تعالى
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو
الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصره عليهم · انه عليم
بذات الصدور · فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات · وهو الذي يقبل التوبة عن عباده · التوبة
هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم
يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها

في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذاقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحكة ويعفوا عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله
تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله
عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو
فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب
الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي
طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه
مشيئته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل احد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق
فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي
ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل
الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا ايسوا منه
وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه
في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر اسنادا وهو الولي الذي يتولى عباده
بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شأنه العظيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي
على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب
وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة
وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت
كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي
اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير
من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه للثواب العظيم بالصبر عليه
وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله
من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام
اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن الريح التي يجريها وقرئ الرياح
جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن المسخرة بمجاريها او ركدها وجريها على حسب مشيئته تعالى
لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه
عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر
ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها
وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراؤه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لان
المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفوا على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا

عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما
وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما
لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون فيه وتتنافسون فيه فمتاع الحياة
الدنيا اي فهو متاع تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير لخلوص نفعه وابقى
زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط
من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخل جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق ابو بكر
رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا للدلالة
على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لفرط شمائلهم وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك والذين استجابوا
لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي
ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم
ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي
هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل
وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز
وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغو اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما
ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به فمن عفا عن المسيء
اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله
عدة مبهمة تدل على عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام
ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير من لفظها باعتبار اللفظ
ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبدؤونهم بالاضرار ويعتدون في الانتقام
ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق
لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك
الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم
وهذا في المواد التي لا تؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان
الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد
اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب
والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي
اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اي
المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيامة اما ظرف لخسروا والقول
في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب
مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله
حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى
على لسان نبيه من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي من الله

يوم لا مرد له ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه الى الرسول عليه الصلوة والسلام اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما ادعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة المعللة باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فله التصرف فيهما كيفما يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما يعلمه وما لا يعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهب لهم جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما تتعلق به مشيئته تعالى لا ما تتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب يعدونهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وروي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه مثل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقوله تعالى وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير ما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروي ان اليهود قالت للنبي عليه الصلوة والسلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت او لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يأتي جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا بالوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي مثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام والمعنى ارسلناه اليك عليهما السلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي

يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره من احد فيه وعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له صدق رسول الله

سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية المبين اي المبين لما انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غاية له عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة مطلع وايذان بانه من عليان الشأن بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام به فان شأنه هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كأنه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كأنه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي فننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلوة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم بالاشدية لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

ليقولن خلقهن العزيز العليم ای ليسندن خلقها الى من هذا شانه فى الحقيقة وفى نفس الامر لانهم يعبرون عنه بهذا العنوان
وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وباستلزامه ذلك من البعث
والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذى
جعل لكم الارض مهدا استئناف من جهته تعالى اى بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها فى اسفاركم
لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى والذى نزل
من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اى احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا
عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال
العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون
اى تبعثون من قبوركم احياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات
وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذى خلق الازواج كلها اى اصناف المخلوقات
وعن ابن عباس رضى الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما
فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا
للانعام على الفلك لان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك وتعديته بكلمة فى للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما
فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام
والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها
بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب
قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا
وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشىء اذا اطاقه واصله وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد
والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا
الى ربنا لمنقلبون اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى
الانقلاب الى الله تعالى فيبنى اموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شىء مما ياتى ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته
ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سالتهم الخ اى وقد جعلوا له سبحانه
بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات
وقرئ جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون
ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان
جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شانهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ
داخل فى حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ
اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور
استحالته وامتناعه اما كان لكم شىء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم
على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات
للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس
الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اى صار اسود فى الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود
ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له اومن ينشأ فى الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة
بمضمر معطوف على جعلوا اى او جعلوا من شانه ان يربى فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى امره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه

وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما
فى ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف لتغاير العنوانين اى او اتخذ من هذه الصفة المذمومة صفته وهو مع ما ذكر
من القصور فى الخصام اى الجدال الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه
واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رايه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشا وينشا
من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رايا واخسهم
صنفا وقرئ عبد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ اناثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى
احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ
أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه فى ديوان اعمالهم
ويسالون عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزءا وان له بنات
وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اى لو شاء عدم
عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان فعلهم حق مرضى عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته
تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى اياهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم
الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم له بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا
فى الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضى او السخط فى شىء من الطرفين
ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون فعلهم بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك
محقق ينطق به الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا
وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق
العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل
ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون اى لم ياتوا بحجة عقلية ونقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم
والامة الدين والطريقة التى تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد
وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اى والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم
بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على
آثارهم مقتدون استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين
بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين
وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لامهم اولو جئتكم اى اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم
باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التى ليست من الهداية فى شىء وانما عبر عنها بذلك مجاراة
معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحى حينئذ الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اى قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به
وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما فى قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلوة والسلام بحمل
صيغة الجمع على تغليبه على ساير المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظائر
قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اى بالاستئصال فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم اى واذكر لهم وقت قوله عليه السلام
لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله اننى براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال

او ليقلده وان لم يكن لهم حجة من التقليد فانه اشرف آبائهم وبرآء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد
والمذكر والمؤنث وقرئ بري وبرآء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم
او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام
او صفة على ان ما موصوفة اي انني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني على الهداية
او سيهديني الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي ذريته حيث وصاهم
بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه
على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت
هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها
من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من اهل مكة وآباءهم
بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق
اي القرآن ورسول اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات
والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم فان التمتيع
بزيادة النعم موجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يجعلوه سببا لزيادة الكفران وهي
مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا
الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة والطائف
على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي
وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله
الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا
لنزل على احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق الا بمن له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا
انها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل
الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى
اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب
معيشتهم في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم
عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب
والبعد حسبما يقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف
بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع
ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا
الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة
والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام
الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره
عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه
لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف

جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع
البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي وجعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج
جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة
عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا
عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء
يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقرئ بتخفيف لما على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو متاع كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن
والآخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم
هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان
بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج
وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه
في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض
على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع نقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد
ممن يعشو ليصدونهم اي قرناءهم فمدار جمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة باعتبار لفظها
عن السبيل المستبين الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون
اي الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم
كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم
عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى
حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر وافراد الضمير
في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر
من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك
في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق من المغرب اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس
القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم
اي يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم
اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني
لم تلدني لئيمة كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد
الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا تسعه طاقته ولان الانتفاع بذلك الوجه
ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم
ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما
عما يسمعونه من بينات القرآن فنزلت افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار عماهم مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف
على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم عنه لا توهم القصور من قبل
الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك

عذابهم وتشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فإنا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة
لام القسم في أنها لا تفارق النون المؤكدة أو نرينك الذي وعدناهم أي أو أردنا أن نريك العذاب الذي وعدناهم
فإنا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكنا وقهرنا ولعله أراد به ما أراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي أوحي إليك
من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه إلى اليوم الآخر وقرئ أوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل إنك
على صراط مستقيم تعليل للاستمساك أو للأمر به وإنه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يوم القيامة
عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون
الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم
قال الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
أي هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع
ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين
أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد وإشارة إلى إجماع جميع
الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي فاجؤوا وقت ضحكهم منها أي استهزؤوا بها أول ما رأوها
ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية من الآيات إلا هي أكبر من أختها إلا وهي بالغة أقصى مراتب الإعجاز بحيث يحسب كل من
ينظر إليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها أي إلا وهي
مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها وأخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا أيها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لغاية عتوهم ونهاية حمقهم
وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ أيه بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب
بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت
به من الإيمان والطاعة إننا لمهتدون أي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته إذا هم ينكثون فاجؤوا نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الأعراف
ونادى فرعون بنفسه أو بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا قال يا قوم أليس لي
ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي أي
من تحت قصري أو أمري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على الملك
فتجري حال منها أو واو الحال فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ أفلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه أم أنا
خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين أي الكلام قاله افتراء
عليه السلام وتنقيصا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت لقوله تعالى قد أوتيت
سؤلك وأم إما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال إثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أني أنا خير وهذه
حالي منه وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فأقام مقامه أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم
عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فإن إبصارهم لما ذكر من أسباب
فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي إليه مقاليد الملك إن كان صادقا إذ كانوا
إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة وقرئ أساورة جمع أسوار
بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين
من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما
أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا أي أغضبونا أشد الغضب
منقول من أسف إذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار

يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين
واللام على أنه جمع سليف أي فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرئ سلفا بإبدال ضمة اللام فتحة
أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم مثل
قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا أي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم حتى قال أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال
اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا
أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى إذا قومك منه أي من ذلك المثل يصدون
أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون أي من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أي يثبتون على ما كانوا عليه من الإعراض
أو يزدادون فيه وقيل هو من الصد وهما لغتان نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب بمعنى المفاجأة وقالوا ءآلهتنا خير
أم هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوا تمهيدا لما بنوا عليه من إبطال النبوة بما يعتريه السفهاء أي ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا
حيث كان في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الأصوات لم يكن إلا من أنه عليه الصلاة
والسلام سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فإن ذلك مع أنه لا يجب تنزيه ساحته
عليه الصلاة والسلام عنه من شأنه الإحجام من أول الأمر حتى الرابع كيف لا وقد روي أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أما علمت أن ما لما لا يعقل
السلام هذا الحكم بآلهتهم حين بان الفاجر عن الخصوص من العموم عملا بما ذكر من أحسنها كلمة ما لغير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين عنه عند
من توهم أن الخصم بعبادته في جملة حصبه بكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى
ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق
به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية بل إنما كان ما أظهروه من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما نطق به قوله تعالى ما ضربوه لك إلا جدلا
أي ما ضربوا لك ذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون أي لد
شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى
لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقولهم ءآلهتنا خير أم هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة
ومعنى ما ضربوه إلخ ما قالوا هذا القول إلا للجدال وقيل لما نزلت إن مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل
أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام
وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم
لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا
حيث نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فهو قوله تعالى إن هو إلا عبد أنعمنا عليه أي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني إسرائيل
أي أمرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب إليه
ما نسب إلى الأصنام بطريق التعليق به صريحا كقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه
عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من يرى أن شأن الملائكة أعلى وعلى الثاني والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو بأبطل على زعمهم
وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع
وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدى
منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف وأخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فمورد تهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببيان أن عيسى في الحقيقة وفيما أوحي إلى الرسل عليهم السلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلاة والسلام
بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تعالى ولو نشاء إلخ لبيان تحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى

وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع انه ليس في سقوط الملائكة اختصاص برتبة المعبودية اى بقدرتنا بحيث لو نشاء
لجعلنا اى لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع
في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون اى يخلفونكم مثل اولادكم فيما تأتون وما تذرون
ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة
الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اى انه
بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب او باحياء الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة
من الامور الاخروية وقرئ لعلم اى علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى
عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس
في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن
في وقوعها واتبعون اى واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى هذا اى الذي
ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير لعيسى اوله صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعى انه
لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات او بآيات
الانجيل او بالشرائع الواضحات قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اى الانجيل او الشريعة ولأبين لكم عطف على مقدر
ينبئ عنه المجئ بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين فليس
بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه الصلوة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون
فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اى
التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تمام كلامه عليه السلام او استئناف من جهته تعالى مقرر
لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى
فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيامة هل ينظرون اى ما ينتظرون الا الساعة ان تأتيهم
اى الا اتيان الساعة بغتة اى فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك
قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في امور الدنيوية يومئذ يوم اذ تأتيهم الساعة
بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم
في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول
متصل وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم
وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اى مخلصين وجوههم لنا جاعلين
انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا قال مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق
رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات
تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك
والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المئكلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له
وفيها اى الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ
وتلذه وانتم فيها خالدون تمام للنعم واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف
وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث
لانه يخلف العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبر وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق

بمحذوف لا باورثتموها كما في الاول لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها
تأكلون اى بعضها تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة
فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين
اى الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم مقابلا للمؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبر ان
او خالدون هو الخبر وفي عذاب متعلق به لا يفتر عنهم اى لا يخفف العذاب عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه اى في العذاب وقرئ فيها اى في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا
هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب ونادوا خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله
رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل
ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اى في العذاب
ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين
لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك
ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اى حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون منه
واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام مبتدأ ناع على
ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة
للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه
اى ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون
كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم
ويتشاورون في اموره عليه الصلوة والسلام ام يحسبون اى بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا
به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما
ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اى يكتبونهما او يكتبون
كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال
اى نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبونه قل اى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتهم بعدم عبادتهم لما يعبد
من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضهم وعداوتهم لهم او للمعبودين بل انما هو لجزمهم باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم
من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه
تعالى وبما يجوز عليه وما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم
كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد
ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية
وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله تعالى الموحدين له وقيل فانا اول الآنفين اى المستنكفين منه او من ان يكون
له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام
واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شئ منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير
اسم الرب تفخيم لشأن العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعدما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا
في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة

كما قيل وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرى هو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدا قد حذف لطول الصلة بتعلق الخبر والعطف عليه لا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدا موخرا للزوم عرو الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبر المبتدا المحذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهوا او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزا والالتفات للتهديد وقرى على الغيبة وقرى تحشرون بالتا ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقرى بالتا مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما زعموا الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثنا متصل ان اريد بالموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم اي سالت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر على انه عطف على الساعة اي وعنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب فان القول والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شانه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرى بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرى بالرفع على الابتدا والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرى تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان سبع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي هو القران في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراة ابتدي فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السما الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة القدر ووصفها بالبركة لان نزول القران سبب للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف ايضا فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهو يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سما الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرى يفرق بالتشديد وقرى يفرق على البنا للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرى نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر

لتخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي امرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستانف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد الرحمة او اصله الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف او علة ليفرق او لقوله تعالى امرا على انه رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية من تكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرى رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرى بالرفع على انه خبر اخر او استئناف على اضمار مبتدا ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فعلمتم انه علم ان الامر كما قلناه او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستانف كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب ابائكم الاولين باضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وجعل فاعل يميت او يحيي ضميرا راجعا الى رب السموات وقرى بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلوة والسلام ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المبني على التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا وادعى الى التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار ايات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا

العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا
او زمانا قليلا انكم عائدون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين
للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه
من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان ضج المعذبون به من الكفار والمنافقين
وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون
يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيامة وقيل يوم بدر ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون
لان ان تمنع عن ذلك وقيل بدل من يوم تاتي وقرئ نبطش اي نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم
البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد
للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه
وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان
وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الي
وهو قوله تعالى اني لكم رسول امين علة للامر او لوجوب المامور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنه الله تعالى على وحيه وصدقه بالمعجزات
القاهرة وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا على الله تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالاولى في وجهيها اني اتيكم
اي من جهته تعالى بسلطان مبين علة للنهي اي اتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها واتيكم على صيغة الفاعل او المضارع
وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة لا يخفى واني عذت بربي وربكم اي التجات اليه وتوكلت عليه
ان ترجمون ان ترجموني او تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني وقيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال
في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بسوء
واذى فليس ذلك جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن بالله
فدعا ربه بعدما كذبوه ان هؤلاء اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول وقيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل
قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال ربه اسر بعبادي او قبلها
كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى
انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على
هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح اي لانهم
كم تركوا اي كثيرا تركوا ابصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة اي تنعم
كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في محل النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا
اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما اخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع
على الخبر اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال بكت عليه
السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه واثاره في الارض
وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت اخر او الى الاخرة بل عجل
لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم
وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله نفس العذاب لافراطه فيه
او على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على الاستفهام تعريفا له

من سوء عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح
عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير
في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم
اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة
الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم
الايات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار
قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد الى اثبات
موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا
ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي تعقبها حياة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حياة
القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا باباءنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام
والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله
تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي ليسوا خيرا
في القوة والمنعة التي يدفع بها اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند
وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه باسم الذي ملك برا
وبحرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادري اكان
تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم
يتقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي باس شديد
والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين
تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم
شركاؤهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اي ما بين الجنسين وقرئ
وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب
الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء
ان يوم الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني
بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان
شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه
وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه
الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم
اي الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت
يغلي في البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقال له
للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم
اي وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم

ای وقولوا له ذلک استهزاء به وتقریعا له علی ما کان یزعمه روی ان ابا جهل قال لرسول الله صلی الله علیه وسلم ما بین جبلیها
اعز ولا اکرم منی فوالله ما تستطیع انت ولا ربک ان تفعلا بی شیئا وقری بالفتح ای لانک او عذاب انک ان هذا ای العذاب
ما کنتم به تمترون تشکون وتمارون فیه والجمع باعتبار المعنی لان المراد جنس الاثیم ان المتقین ای عن الکفر والمعاصی
فی مقام فی موضع قیام والمراد المکان علی الاطلاق فانه من الخاص الذی شاع استعماله فی معنی العموم وقری بضم المیم
وهو موضع اقامة امین یامن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذی هو ضد الخیانة وصف المکان به
بطریق الاستعارة کان المکان المخیف یخون صاحبه لما یلقی فیه من المکاره فی جنات وعیون بدل من مقام جی به للدلالة
علی نزاهته واشتماله علی طیبات المآکل والمشارب یلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمیر فی الجار
او استئناف والسندس ما رق من الحریر والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلین فی المجالس لیستانس بعضهم ببعض
کذلک ای الامر کذلک او کذلک اثبناهم وزوجناهم بحور عین علی الوصف وقری بالاضافة ای قرناهم بهن والحور
جمع حوراء ای البیضاء والعین جمع العیناء ای العظیمة العینین واختلف فی انهن نساء الدنیا او غیرها یدعون فیها بکل فاکهة
ای یطلبون ویامرون باحضار ما یشتهون من الفواکه لا یتخصص شی منها بمکان ولا زمان آمنین من کل ما یسوءهم
لا یذوقون فیها الموت الا الموتة الاولی بل یستمرون علی الحیوة والاستثناء منقطع او متصل علی ان المراد بیان استحالة ذوق
الموت فیها علی الاطلاق کانه قیل لا یذوقون فیها الموت الا اذا امکن ذوق الموتة الاولی حینئذ ووقاهم عذاب الجحیم
وقری مشددا للمبالغة فی الوقایة فضلا من ربک ای اعطوا ذلک کله عطاء وتفضلا منه تعالی وقری بالرفع
ای ذلک فضل ذلک هو الفوز العظیم الذی لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جمیع المکاره ونیل لکل المطالب قوله تعالی
فانما یسرناه بلسانک لعلهم یتذکرون فذلکة للسورة الکریمة ای انا انزلنا الکتاب المبین بلغتک کی یفهموه
ویتذکروا ویعملوا بموجبه اذ لم یفعلوا ذلک فارتقب فانتظر ما یحل بهم انهم مرتقبون ما یحل بک روی
عن النبی صلی الله علیه وسلم من قرا حم الدخان لیلة جمعة اصبح مغفورا له صدق رسول الله تعالی

سورة الجاثیة ست وثلثون آیة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم حم الکلام فیه کما مر فی فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع علی انه
خبر لمبتدا محذوف ای هذا مسمی بحم والاشارة الی السورة قبل جریان ذکرها قد وقع فی سورة مرارا وان جعل مسرودا
علی نمط التعدید فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالی تنزیل الکتاب علی الاول خبر بعد خبر علی انه مصدر اطلق
علی المفعول مبالغة وعلی الثانی خبر لمبتدا مضمر یلوح به ما قبله ای المؤلف من جنس ما ذکر تنزیل الکتاب وقیل هو خبر لحم
ای المسمی به تنزیل الخ وقد مر مرارا ان الذی یجعل عنوانا للموضوع حقه ان یکون قبل ذلک معلوم الانتساب الیه واذ لا عهد
بالتسمیة بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدیر المضاف ای تنزیل حم تنزیل الکتاب فمع انه
عن افادة فائدة یعتد بها بمعزل وقوله تعالی من الله العزیز الحکیم کما مر فی صدر سورة الزمر علی التفصیل وقیل حم مقسم به
وتنزیل الکتاب صفته وجواب القسم قوله تعالی ان فی السموات والارض لآیات للمؤمنین وهو علی الوجوه المتقدمة
کلام مستانف مسوق للتنبیه علی الآیات التکوینیة الآفاقیة والانفسیة ومحل الآیات اما نفس السموات والارض فانهما
منطویتان من فنون الآیات علی ما یقصر عنه البیان واما خلقهما کما فی قوله تعالی ان فی خلق السموات والارض وهو الاوفق
لقوله تعالی وفی خلقکم ای من نطفة ثم من علقة متقلبة فی اطوار مختلفة الی تمام الخلق وما یبث من دابة عطف
علی المضاف دون المضاف الیه ای وفیما ینشره ویفرقه من دابة آیات بالرفع علی انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة
معطوفة علی ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقیل آیات عطف علی ما قبلها من آیات باعتبار المحل عند من یجوزه وقری آیة
بالتوحید وقری آیات بالنصب عطفا علی ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر کانه قیل وان فی خلقکم وما یبث من دابة آیات
لقوم یوقنون ای من شانهم ان یوقنوا بالاشیاء علی ما هی علیه واختلاف اللیل والنهار بالجر علی اضمار الجار

المذکور فی الآیتین قبله وقد قری بذکره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء
عطف علی اختلاف من رزق ای من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلک تنبیها علی کونه آیة من جهتی القدرة والرحمة
فاحیا به الارض بعد موتها بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات وتصریف الریاح من جهة
الی اخری ومن حال الی حال وقری بتوحید الریح وتاخیره عن انزال المطر مع تقدمه علیه فی الوجود اما للایذان بانه آیة
مستقلة حیث لو روعی الترتیب الوجودی لربما توهم ان مجموع تصریف الریاح وانزال المطر آیة واحدة واما لان کون
التصریف آیة لیس لمجرد کونه مبدا لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التی من جملتها سوق السفن فی البحار آیات
لقوم یعقلون بالرفع علی انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة علی ما قبلها وقری بالنصب علی الاختصاص
وقیل علی انها اسم ان والمجرور المقدم خبرها بطریق العطف علی معمولی عاملین مختلفین هما ان وفی اقیمت الواو مقامهما
فعملت الجر فی اختلاف والنصب فی آیات وتنکیر آیات فی المواقع الثلث للتفخیم کما وکیفا واختلاف الفواصل لاختلاف
مراتب الآیات فی الدقة والجلاء تلک آیات الله مبتدا وخبر وقوله تعالی نتلوها علیک حال عاملها معنی الاشارة وقیل هو الخبر
وآیات الله بدل او عطف بیان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله ای نتلوها محقین او ملتبسة بالحق فبای حدیث
من الاحادیث بعد الله وآیاته ای بعد آیات الله وتقدیم الاسم الجلیل لتعظیمها کما فی قولهم اعجبنی زید وکرمه
او بعد حدیث الله الذی هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالی الله نزل احسن الحدیث وهو المراد بآیاته ومناط العطف
التغایر العنوانی یؤمنون بصیغة الغیبة وقری بالتاء ویل لکل افاک کذاب اثیم کثیر الآثام یسمع آیات الله
صفة اخری لافاک وقیل استئناف وقیل حال من الضمیر فی اثیم تتلی علیه حال من آیات الله ولا مساغ لجعله مفعولا
ثانیا لیسمع لان شرطه ان یکون ما بعده مما لا یسمع کقولک سمعت زیدا یقرا ثم یصر ای یقیم علی کفره واصله من اصرار الحمار
علی العانة مستکبرا عن الایمان بما سمعه من آیات الله تعالی والاذعان لما تنطق به من الحق مزدریا لها معجبا بما عنده
من الاباطیل وقیل نزلت فی النضر بن الحارث وکان یشتری من احادیث الاعاجم ویشغل بها الناس عن استماع القرآن
لکنها وردت بعبارة عامة ناعیة علیه وعلی کل من یسیر سیرته ما هم فیه من الشر والفساد وکلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستکبار
بعد سماع الآیات التی حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب کما فی قول من قال یری غمرات الموت ثم یزورها
کان لم یسمعها ای کانه لم یسمعها فخففت وحذف ضمیر الشان والجملة حال من یصر ای یصر مثل غیر السامع فبشره
بعذاب الیم علی اصراره واستکباره واذا علم من آیاتنا شیئا ای اذا بلغه من آیاتنا شی وعلم انه من آیاتنا لا انه
علمه کما هو علیه فانه بمعزل من ذلک العلم وقیل اذا علم منها شیئا یمکن ان یتشبث به المعاند ویجد له محملا فاسدا یتوصل به الی الطعن
اتخذها ای الآیات کلها هزوا ای هزی بها لا بما سمعه فقط وقیل الضمیر للشی والتانیث لانه فی معنی الآیة
اولئک اشارة الی کل افاک من حیث الاتصاف بما ذکر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للکل کما فی قوله تعالی کل حزب
بما لدیهم فرحون کما ان الافراد فیما سبق من الضمائر باعتبار کل واحد واحد لهم بسبب جنایاتهم المذکورة عذاب
مهین وصف العذاب بالاهانة توفیة لحق استکبارهم واستهزائهم بآیات الله سبحانه وتعالی من ورائهم جهنم ای
من قدامهم لانهم متوجهون الی ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلک مقبلون علی الدنیا فان الوراء اسم للجهة
التی یواریها الشخص من خلف او قدام ولا یغنی عنهم ولا یدفع ما کسبوا من الاموال والاولاد شیئا
من عذاب الله تعالی او شیئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولیاء ای الاصنام وتوسیط حرف النفی
بین المعطوفین مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلی من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنی علی زعمهم الفاسد
حیث کانوا یطمعون فی شفاعتهم وفیه تهکم ولهم فیما وراءهم من جهنم عذاب عظیم لا یقادر قدره هذا ای
القرآن هدی فی غایة الکمال من الهدایة کانه نفسها والذین کفروا ای بالقرآن وانما وضع موضع ضمیره قوله تعالی
بآیات ربهم لزیادة تشنیع کفرهم به وتفظیع حالهم لهم عذاب من رجز ای من اشد العذاب الیم بالرفع
صفة عذاب وقری بالجر علی انه صفة رجز وتنوین عذاب فی المواقع الثلثة للتفخیم ورفعه اما علی الابتداء او علی الفاعلیة

الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري
الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون كي
تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم
جميعا اما حال من ما في السموات والارض او توكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا
كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور
العظام لآيات عظيمة النفع كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل
نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب للامر
باعتبار تعلقه لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين
لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى
لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه
غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع
فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي
حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك
عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة
والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيامة قوما اي قوم قوما مخصوصين
بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وبعضهم
هذا البيان من ثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلم
الخبيث والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد
من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بالتصدي له تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد
كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه
او فصل الخصومة بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات
مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر
واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب
ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب
زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة
والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر
اي امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
اي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين آبائك
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع
اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض
عما سواه بالكلية هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين وشرائع الشرائع

بمنزلة البصائر للقلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور
ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين
والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع
ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع
واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى
سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما ان السواء
بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم
ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات
واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا
في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم
ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي ان نجعلهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة
وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ فالجملة
بدل من الكاف او حال وايا ما كان فمعنى حسبان التساوي اي التساوي في الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم
على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل
وتوبيخ عليه على ابلغ وجه وآكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض
بالحق استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء
في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت
عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل او بمعناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى
او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل وليجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون
بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزهه سبحانه
تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة
الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اي انظرت فرايته فان ذلك مما يقضي منه التعجب وقرئ آلهة هواه لانه كلما مال الى حجر
حجرا فعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله
لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتاثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر وجعل
على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اي
من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ
تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحيوة الا حياتنا
الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها
وما بعدها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ
فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من مبدئه
الى انقضائه وقد كانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه
للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واستناد الحياة
والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون

لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة الا اعتقادهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته
بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم
شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت الا هذا القول الباطل الذي
يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ
برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم
عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب
فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها
حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى
لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم
في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي
فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب
مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاشتداد استيفازهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية
مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل الاول
وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال
حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره
وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى
انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليكم باعمالكم من غير اخلال بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون
في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي
تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك اي الذي ذكر من الادخال في رحمته
هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق التوبيخ
والتقريع الم يكن يأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اي وعده من الامور الآتية او وعده بذلك
حق اي واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اي في وقوعها وقرئ والساعة
بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اي اي شيء
الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي نظن ظنا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان نتبع الا الظن وقيل ما نعتقد الا ظنا اي
وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه فان مقابل الاستيقان
مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا
على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا اي كما تركتم عدته
ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها
ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم آيات الله هزوا اي مهزوا بها ولم ترفعوا لها راسا وغرتكم الحيوة الدنيا
فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم
عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم
اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وله الكبرياء

للتأكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء
في السموات والارض لظهور آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء وهو العزيز
الذي لا يغلب الحكيم في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية
ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف — اربع وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة
ما خلقنا السموات والارض وما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل
خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود
الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق
بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امر الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمة
وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم ويجوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق
وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل ارأيتم
ارأيتم اخبروني وقرئ ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام اروني تأكيد لارأيتم
ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله تعالى في السموات اي في خلقها او ملكها
وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل
من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم
عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القرآن الناطق
بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم
للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم تقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما
وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثرة اي مناظرة فانها سبب الحصول على اثرة اي شيء
اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء فالمكسورة بمعنى الاثرة والمفتوحة للمرة
من اثر الحديث اي رواه والمضمومة اسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له
انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر
غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة
والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم غافلون الضمير الاول للمفعول والثاني للفاعل والجمع فيهما باعتبار معنى من
كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر
من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس
عند قيام القيامة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيي الاصنام
فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملئكة والجن والانس وغيرهم ويعني ارجاع الضمائر
واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبريهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله
ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شأنه وهو
الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال
الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه

اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل
ايقولون افتراه القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة
فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون
من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب
وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما
لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر مضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه
مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم
ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلي
من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرون قومهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي
ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن ما ادري ما يصير اليه امري
وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي وظائف النبوة من الحوادث الواقعة الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم
بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أاترك بمكة ام اؤمر بالخروج ح
الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبرؤ
عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى
اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع
الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام
من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير
انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارأيتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن
من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسط بين اجزاء الشرط
مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على نظمه في سلك الشرط
المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا
وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده
من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه او لا والمعنى اخبروني
ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي
بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك فانها عينه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار بها
تأديتها بعبارات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر من المثلية الآتي قوله تعالى فآمن لما لاح له على
سابع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي
ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه الصلاة والسلام اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه
واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي

قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر
قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله
ابن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال
الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية
مدنية والسورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى
وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم
الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا
حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان
اي ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا تنالها ايدي الاراذل وهم
سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية
والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان
واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية
لا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله وترتب عليه
ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا
اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى
قيل والجملة حالية او مستأنفة واياما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مع تحقق حقيته قطعا
اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن
به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام
ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه
لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي
لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى
للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه
عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة
في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي
دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا كما مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب
الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم
فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان
بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كأنه في ذاته نفس الحسن لفرط
حسنه وقرئ بضم الحاء والسين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها
اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر

وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى
والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اريد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا
يمضي عليها معاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه
للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل ذلك ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة
قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير
للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي اجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي
قال ابن عباس رضي الله عنهما اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة
ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا امنوا
جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن
ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين اني
تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة
الى الانسان والجمع لان المراد الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي
اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن
لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن
على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل
والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان
المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس
القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد
سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سياتي
من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله عنها
من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي
ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله تعالى يسالانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي قائلين له ويلك وهو
في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك امن ان وعد الله حق اي البعث اضافه اليه
عز وجل تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي امن بان وعد الله حق فيقول
مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة
اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم
جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم
بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر
والدرجات غالبة في مراتب المثوبة واطلاقها هنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة
وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استئناف مقرر لها
واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم

فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف
وقرئ ااذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وقد قرئ
كذلك بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون
من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة اخا عاد
اي هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل
مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر
من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه
اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله الا تعبدوا
الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه
عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره
مع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد في تحلله من بعده من الرسل من تنزيل الاتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتافكنا
اي لتصرفنا عن الهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا
قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي
في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فياتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها
بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون
حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير
اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اي فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض
في افق السماء مستقبل اوديتهم اي متوجها اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك
وقعا صفتين للنكرة بل هو اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به
من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اي تهلك
كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو
الهاء في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقتضيا منوطا بامر بارئه وكون الهالك كل شيء لكونه
بعض الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فاصبحوا
لا يرى الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا
لكل احد تتاتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة
فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما
عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم
فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم
فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن
عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن
بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قررناهم واقدرناهم وما في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة

او موصوفة وإن نافية أي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسط وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع إن ههنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي إلى قلب
ألفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها فيما خلقت له
ويعرفوا بكل منها ما نيطت بمعرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما أغنى عنهم
سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا أبصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف
العالم ولا أفئدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شيء أي شيئا من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى
إذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمته
إذ أكرمني في قوة قولك أكرمته لإكرامه لأنك إذا أكرمته وقت إكرامه فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون
لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى
وأحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم
آلهة حال كونها متقربا بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم
ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فإن البدل وإن كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى
بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أي متقربا به مما لا صحة له قطعا لأنه تعالى متقرب إليه لا متقرب به فلا يصح
أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم
لغيبتهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقد امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك أي ضياع آلهتهم
عنهم وامتناع نصرهم إفكهم أي أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ أفكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ
أفكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة حينئذ إلى الاتخاذ أي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ أفّكهم بالتشديد
للمبالغة وآفكهم من الإفعال أي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا إلى ضميرهم أي قولهم الآفك أي ذو الإفك كما يقال
قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على إفكهم أي وأثر افترائهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك إفك
مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ
صرّفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه
بالصفة أو صفة أخرى له أي واذكر لقومك وقت صرفنا إليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه أي القرآن
عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته على الالتفات والأول هو الأظهر قالوا أي قال بعضهم لبعض أنصتوا أي اسكتوا لنسمعه
فلما قضي أتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه إليه عليه السلام
ولوا إلى قومهم منذرين مقدرين إنذارهم عند رجوعهم إليهم روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا
ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي
نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف
وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم
فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام
إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب
الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله عليه الصلاة والسلام
وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته عليه السلام ثم انطلقوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت
شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك

قالوا

قالوا أي عند رجوعهم إلى قومهم يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى قيل قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه أرادوا به التوراة يهدي إلى الحق من العقائد
الصحيحة وإلى طريق مستقيم موصل إليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به أرادوا به ما سمعوه
من الكتاب وصفوه بالدعوة إلى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم إلى ذلك بعد بيان
حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الإجابة ثم أكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى
فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان ويجركم من عذاب أليم معد للكفرة واختلف في أن لهم أجرا غير هذا أو لا والأظهر أنهم
في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض إيجاب للإجابة بطريق الترهيب إثر إيجابها
بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وإظهار داعي الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة في الإيجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة
وإدخال الروعة وتقييد الإعجاز بكونه في الأرض لتوسيع الدائرة أي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وإن هرب كل مهرب من أقطارها
أو دخل في أعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه أولياء بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير إثر بيان استحالة نجاته بنفسه
وجمع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما أن الجمع في قوله تعالى أولئك
بذلك الاعتبار أي أولئك الموصوفون بعدم إجابة داعي الله في ضلال مبين أي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث
أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه أولم يروا الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أي ألم يتفكروا
ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان أن الله الذي خلق السموات والأرض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه ولم يعي بخلقهن أي لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا أو لم يعجز عنه يقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى
بقادر في حيز الرفع لأنه خبر أن كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الأولى اشتمال النفي الوارد في صدر الآية
على أن وما في حيزها كأنه قيل أو ليس الله بقادر على أن يحيي الموتى ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى بلى إنه على كل شيء قدير تقريرا
للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقول له
أليس هذا بالحق على أن الإشارة إلى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره
وتأنيثه إذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الأحزاب وقيل هي إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم
بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في
الدنيا وأنى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف أي إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم
كما صبر أولوا الثبات والحزم من الرسل فإنك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد بأولي العزم أصحاب الشرائع
الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم صبر على النار
وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه
إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم أجمعين
ولا تستعجل لهم أي لكفار مكة بالعذاب فإنه على شرف النزول بهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا
في الدنيا إلا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف
أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلغ وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا فهل يهلك
إلا القوم الفاسقون أي الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك ونون
العظمة من الإهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمل في الدنيا

سورة محمد عليه السلام اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صده
صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون
الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل
هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها
بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف
وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والصد عن سبيله بنصر رسول الله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله
تعالى فاذا لقيتم الخ والذين امنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام
للكل وامنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب
الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكده بقوله تعالى وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ
فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل
وانزل على البناء ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين
والدنيا بالتأييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قال مجاهد
ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب
ان الآخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحات فبيان سببية
اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما
حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب
الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله
واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد امر محسوس فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق العضدية بعد الاشعار
بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص
على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي مثل ذلك
الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال
وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين
كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب
ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير
عن القتل بضرب الرقاب تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم
واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم
واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا بعد ذلك
او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رحمه الله وعندنا منسوخ قالوا نزل
ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدى
كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها
وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا
الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابي حنيفة رحمه الله فان حمل الحرب

على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس
فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة
وقيل اوزارها آثامها اي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك
ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض
فامركم بالقتال ليبلوكم بالكافرين بان تجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم بان يعاجلهم على ايديكم
ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا
وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة
انها نزلت يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي
اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمل العبد في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى
او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة
او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم
ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار
والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى
تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في خبر الجزء للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال
الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه
واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها
افلم يسيروا في الارض اي اقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم
المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه
قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك
عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين سيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على
ان لهؤلاء امثالها لا اولئك اضعافا مثله او ما جمع باعتبار مماثلة لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز
ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل
اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم
في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء بان الله مولى الذين
امنوا اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب
ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولاية الله تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون
اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل وثواء
واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكأين كلمة مركبة من الكاف وأي بمعنى كم الخبرية ومحلها
الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى
التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم
اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة
للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان باولويتها
له لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى فلا ناصر لهم

بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما
بالغير على ذكره بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين
وكون الاولين في اعلى عليين والآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه السلام
او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والمعنى
اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات
والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي كهؤلاء الذين زين لهم قبيح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين
اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليه
وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف
مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين
ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها
ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار
الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم
في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والرائحة
وقرئ غير أسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حاذرا كألبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او
نعت بمبالغة وقرئ لذة بالرفع على انه صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل
مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب
منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من الوان
من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم
متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى
كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به
قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر مثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل
اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما
مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا
شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار
معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه لا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة
على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه
استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر
الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه
والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم
او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة
وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها

من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها
تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة
اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط
جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
حكم بخطائهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له
الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية
سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم
على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم
فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت
على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى
عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى التواضع
وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي اعادة صلة
الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط
افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها
موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم
فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب
القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره
تعالى ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم
اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مقلوب اويل
واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي امرهم طاعة الخ او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند
العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا
وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوه
تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك
الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا في الايمان وواطأت قلوبهم فيه السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم
الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي فهل يتوقع
منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا
فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير
وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون بشأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلق عنانكم وصرتم آمرين
ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض
بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام
لا بد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس
كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلكم

ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع
بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة
اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان
ذلك منهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم
من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه فاعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات
المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا
يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة ومعناها بل للانتقال
من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها
وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القساوة
واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها
غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا الى ما كانوا
عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام
من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتاب جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما
وجدوا نعته في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم
ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤال لاستمرار القلب بمعنى سول له امرا جعله له
امنية فان السائل لامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني
والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال
او للاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء
كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الآتي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي بسبب انهم
قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب
القول المفروض صدوره عنهم كان القول لهم المنافقين او المشركين على راي القائل بل من حين بعثته عليه السلام للذين
كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا
في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو
قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم
بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان
من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم لما يقولونه
لليهود وقرئ سرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة
والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل
يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وهو مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي فكيف حالهم
او حيلتهم اذا توفتهم وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل
توفتهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا يضرب
الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا
رضوانه اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط
لاجل ذلك اعمالهم اي التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها

ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعى
عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم ام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن
بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم
ولن يبرزها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء
اراءتهم لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة
فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء
من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة
واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة
واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية
ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان
بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم ما يخبر عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ يبلو بالياء وقرئ
ونبلو بسكون الواو على وكسر نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه
من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات
وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا
رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكائدهم التي نصبوها في ابطال
دينه عز وجل ومشاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل لا تثمر لهم الا القتل والجلاء من اوطانهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء
والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا
وتدعوا الى السلم اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب
النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا كارتموا الصيد وترامروه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد
بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى ثم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي
على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى
والله معكم فان كونهم الاغلبين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى
لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به
من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق
المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم
انما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب ايمانكم وتقواكم
من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون ولا يسألكم اموالكم بحيث يخل ذلك بمعاشكم وانما اقتصر على نزر
يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسألكموها اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء
المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم وضمير يخرج
لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان
ها انتم هؤلاء اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك

او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى ها انتم الذين تدعون فيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق فى سبيل الله يعم
نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اى ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى والله الغنى دون
من عداه وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا
عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا
امثالكم فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل هم الملئكة وقيل اهل فارس لما روى انه عليه
السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا
لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله
عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح تسع وعشرون اية

انا فتحنا لك

بسم الله الرحمن الرحيم فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ
من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروى
عن انس رضى الله عنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار
الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر
جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح
الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم
المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبى
ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى انه عليه السلام لما بلغه ان رجلا قال ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا
فقال بل هو اعظم الفتوح وقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسئلوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد راوا
منكم ما كرهوا وعن الشعبى نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة حيث
اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس
ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية اية عظيمة هى انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه
السلام من الفتوح كافة اذ لا فتح من الفتوح للاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه
الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة واياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس
الفعل وللايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال
او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام فى اعلاء كلمة الله
تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم
فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك
وما تاخر اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك
الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة
مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه
ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب
عنه تاكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اى نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة
او عزيزا صاحبه هو الذى انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمانينة اى انزلها

فى قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا
مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد
ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد
ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينها
السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا فى العلم بجميع الامور حكيما فى تقديره
وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر
من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله
فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير
مع ان الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير
عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا
لانه صفته فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله اى فى علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل اى وتقديم المنافقين على المشركين لما فيه من الدلالة
على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة
السوء اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرى دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره
والكره خلا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة
للسببية لما قبلهما للايذان باستقلال كل منهما فى الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت
مصيرا اى جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله
تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا
اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا
بالله ورسوله الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله عنهما
صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء
المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
اى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله يعنى ان مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لان المقصود
توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على طريق التخييل والمعنى
ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فمن نكث
وقرئ انما يبايعون لله اى لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه
على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم
لام الجلالة وقرئ بكسرها اى ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
حذرا من قريش ان يعرضوا له بالحرب ويصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب
وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام

بانهم سيعتذرون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ
شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقولون او استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم
اليك بأباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم
ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم
او اراد بكم نفعا اي من يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف
لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لما موجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج
من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه
بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها
تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان
لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم
فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث
واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم
غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد
اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم
صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال وكنتم قوما بورا اي هالكين
عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كحائل وحول او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم
وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله
ورسوله كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كدأب
هؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع
بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله
ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء
ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منها وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم وكان
الله غفورا رحيما مبالغ في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما
من عداه من الكافرين فهو بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم
الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم
اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا
كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة
ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة
فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر
لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اي
لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون
للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله تعالى بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم
وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا
وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين

قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي بأس شديد هم بنو حنيفة
قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركون كقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون
اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية
كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة
فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة
ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة
ومن يتول عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين
هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي
وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق او بالمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل
الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه
فاخبرهم انه عليه السلام لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت
فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح
حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي
على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وعشرين
وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك
لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى
فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم
فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها اي مغانم خيبر والالتفات
الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم
الله مغانم كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيامة تأخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه
اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤوا لنصرتهم فقذف
الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول
عليه السلام في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف
مؤخر اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او ما تعلق عليه اخرى محذوف من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه او كف ايدي الناس
لتغنموها ولتكون الخ فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الآية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله
تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها
وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى
قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله
عليها واستولى اظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوبة بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي وقضى
اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها
ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء

ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم
ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد
لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها
من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم
بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم
وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي ونحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي
اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه
الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه
عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطأوهم
اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة
ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة
من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطأوهم اي غير عالمين بهم فيصيبكم ذلك مكروه لما كف ايديكم
وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما دل عليه جواب لولا المحذوف وكذا قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي
الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها
الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة
مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة
عمن رغب في الاسلام من المشركين وياباه قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التنزيل وترتب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين
بالايمان والكفر قبل التنزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية
ومحل معمولة احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء
فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة
راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله تعالى
وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم تزيلوا فلم نعذب فانزل الخ وعلى الثالث على المضمر
تقديره والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب
بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له
قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول
الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون
ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا
احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستاهل لها

وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله
ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه عليه السلام في رؤياه كما في ولقد صدقكم الله وعده بتحقيق اراه الرؤيا
الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي
هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون
قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او نقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم
محذوف اي والله لتدخلن وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم
لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلام لاصحابه
آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا
آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين
او مقصرين او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق
بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب اراءة الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق
علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام الخ فتحا
قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية
للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فياباه
الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه او لاجله
ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة
بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل
سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين
على انه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان
ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى رسول الله
بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدا رسول الله خبره والجملة
مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدا خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء
جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرافة والرحمة كقوله تعالى
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة
فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول
خبر آخر او استئناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم
او من المستتر في ركعا سجدا او استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون
بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة
ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدا خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي
اي من التاثير الذي تؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما
هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي
لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم يقال لهما
ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعها منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي

الثفنات

ومن صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال
عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثر السجود ومن آثار السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر
من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
مثلهم اي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة
وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة
تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه الخ تمثيل مستأنف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة
مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه
بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره
فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد اي شد ازره وقواه
تعالى فاستغلظ فصار غليظا بعدما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ
سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم
قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع
في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان
الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة صدق رسول الله

سورة الحجرات ثمان عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي
مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه
ووازع عن الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار
تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف
المفعول للقصد الى تعميمه والاول اولى لتحققه العام لافادة النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم
لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش بمعنى المتقدمة ويعضده
قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد
بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل وقيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون
من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام
بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال
كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء
زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض
من صوته عليه السلام وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة
ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن
عباس

رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر
رضي الله عنه انه كان يكلمه عليه السلام كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط
اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا
لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد
بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة
من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا
لم يقيد بشيء ولا بما يقع منها في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت
ابن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن انس رضي الله عنه
انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية
واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل
الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله ان نهيهم
مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها
وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه
بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة
واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه اذهب عنها الشهوات
لهم في الآخرة مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة
او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة
لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع
حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة
والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها
او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض
الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذي
ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم
وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد
فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا
حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد
بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني مجيئك وبلغني انك قد جئت وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا
بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر
المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول

اذ روي انهم وعدوا شافعين في اساري بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة
والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي
فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم
احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عليه السلام
بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين
على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
حذار ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم
نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله
ان بما في حيزها سادة مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين
في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة هي انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رأيكم في
كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق
تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رأيهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار
طاعته عليه السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة لهم في الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته
في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام
في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار
الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق به بيانا لاستمراره واخرى بالنسبة الى ما يتعلق من نفس الزمان المتجدد
وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق او لازم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها
بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار
سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في شيء من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض منها
حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت
قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مدار امتناع العنت
حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة
في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما
واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق بالقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار
حسب وروده على المضارع للدلالة على صيغة المضارع المثبت للدلالة على اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس المصار اليه
انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس ولم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار
نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع رعاية موجب القياس حق الانتظام فالعدول
عنه مما لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم
عن اوصاف الاولين واحماد الافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به
من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها
ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل
لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول
هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي
في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب او كره
وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين

وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار
المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذارا من سيوفكم
فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح
بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله
يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال
وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فاء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة
من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون
الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر
لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج
وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح
لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى
عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال
لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين
في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم
عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء من نساء عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات
فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا
بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من
وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما الاولى
فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل
ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء
فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم
الايمان واشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر
والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء
يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام او الدلالة على ان
التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط
والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى
ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية
ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة ولا تجسسوا
اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لانه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله
تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما قيل للمشاعر الحواس بالجيم والحاء وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا
بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب
من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للآكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا
وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر
كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل
ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب
وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه
السلام فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون
تاكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسب الى اصل واحد
وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم
بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب
وقرئ لتعارفوا على الادغام ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب
المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ ان
المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا تتفاخروا بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس
وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله
وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم
الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر
من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام بما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق
المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم علي بما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان
الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا
ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد
مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم
وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان
او شيئا من النقص ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان
عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى
ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة
والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اي الذين صدقوا
في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون

اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لتشنيعهم والله يعلم
ما في السموات وما في الارض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم
تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد
تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا
ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا
تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم
مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف
يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفي كونه
ايمانا وسمي اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه
ان الله يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق خمس واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم
معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم
اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انا انزلناه
اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير
والتعجب مع كمال مباينة حالهما لذلك وقيل بل عجبوا اضراب من سابقيه اي لم يقبلوا ذلك بل عجبوا وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم
قد شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك والارتياب بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يعلم
من وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب
تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن واضمارهم
اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه وعطف لتعجبهم من البعث على ان الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده
من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم
لقدرة الله تعالى عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا
ءاذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي احين
نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الاستفهام
ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اي عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب
فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من
عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء
كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا
كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده
كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان
شناعتهم الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرئ
لما جاءهم بكسر اللام وتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وهو الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له
من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا
الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام

وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تاخيره لمراعاة الفواصل والارض مددناها
اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لاثباتها
وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى او
للفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه متفكر في بدائع
صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج
عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به اي بذلك الماء جنات كثيرة
اي اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر
لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيطها بينهما
لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اي طوالا او حوامل من بسقت الشاة اذا حملت
فيكون من باب افعل فهو فاعل وهي باسقات حال لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع
او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور
وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اي ليرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل
الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم من تمتعه به
من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به اي بذلك الماء بلدة ميتا
ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة
وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة
المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها
وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة
بين النبات والاحياء لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استئناف وارد
لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم النبي
عليه السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود وعاد وفرعون اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان
لوط قيل كانوا من اصهاره عليه السلام واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع
سبق شرح حالهم في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة
اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل
او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل
وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيبهم الرسل تكذيبهم من قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد
والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استئناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر
العجز عنه يقال عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كأنه
قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله
اي في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان
بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال
والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية
والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات
تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها

متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب
باذكر او باقرب لما فيه من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى
ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما
لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له
في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري
فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعين على اعماله
لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس بمعنى
المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي
رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه
من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب
اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما
رقيب لما فوض اليه خاصة كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اي معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه لهذا توهم ان معناه
رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه
في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعدما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء
وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث
وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت
شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به
الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة المرء وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء
فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقيل
سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل
الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد
اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية
ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد
على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان
وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس
البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان
احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب
السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته
الى ما هو في حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة
من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا
يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة من هذا والخطاب للكل لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ
بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس وكذا الكاف في غطاءك وبصرك على القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النفس عليها

فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه
اي الشيطان المقيض له يشير اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هياته لها باغوائي
واضلالي وقيل قال الملك الموكل به يشير الى ما معه من كتاب عمله هذا المكتوب عندي عتيد مهيا للعرض وما ان
موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا في جهنم كل كفار
خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول
من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء
الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه
المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق
مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب
الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي
الشيطان المقيض له وانما استونفت استيناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انها جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى
ربنا ما اطغيته فانه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان
اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر او الجاء
كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استيناف مبني على سؤال نشا مما قبله كانه
قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم
بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة
حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام الان والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا
على قوله تعالى ما يبدل القول لدي ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول
ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل
فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم
تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما
اشير اليه انفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على تقرير قاعدة
اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان
ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما
على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج
حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ
يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة
اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين
شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ
اي قربت للمتقين عن الكفرة والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها
فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تاكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد
ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتاويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون

اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ دال عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما
من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما راى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ
يوعدون والجملة اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم
او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ
لتوبته من النقض وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب
بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب لا يجوز ان يكون في حكمه لان لا يوصف الا بالذي او مبتدا خبره ادخلوها
بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره
اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم
مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى بسلام
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته
ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن
من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته
ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابها فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا او تصرفوا في اقطارها
وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة
على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف هل
من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص
او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستانف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة
اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر
وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في ذلك
اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك كنه ما يشاهده
من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الاثار من غير تذكير
او القى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر
فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اي حاضر
بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا تفي به
القوى والقدر من لغوب من اعياء ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدا خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون
اي ما يقوله المشركون في شان البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر
على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن ٤
وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم عليك من اصابة الحق
وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات

جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى ادبار السجود النوافل بعد المكتوبات ‌ واستمع ‌ اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به ‌ يوم يناد المناد ‌ اي اسرافيل او جبرئيل عليهما السلام ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر ‌ من مكان قريب ‌ بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء ‌ يوم يسمعون الصيحة ‌ بدل من يوم ينادي وهي النفخة الثانية ‌ بالحق ‌ متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما دل عليه قوله تعالى ‌ ذلك يوم الخروج ‌ اي يوم يسمعون الصيحة يخرجون الذي هو البعث يخرجون من القبور ‌ انا نحن نحيي ونميت ‌ في الدنيا من غير ان يشركنا في ذلك احد ‌ والينا المصير ‌ للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا ‌ يوم تشقق الارض عنهم ‌ بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل ‌ سراعا ‌ مسرعين ‌ ذلك حشر ‌ بعث وجمع وسوق ‌ علينا يسير ‌ اي هين وتقديم المجرور للتخصيص ‌ نحن اعلم بما يقولون ‌ من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه ‌ وما انت عليهم بجبار ‌ بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر ‌ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ‌ واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته صدق رسول الله تعالى

سورة الذاريات ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ‌ والذاريات ذروا ‌ اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال ‌ فالحاملات وقرا ‌ اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر ‌ فالجاريات يسرا ‌ اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب التي تجري في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر ‌ فالمقسمات امرا ‌ اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تنشئه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو باسطة له وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب صدورها عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى ‌ انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ‌ جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمونه المقسم عليه من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيش بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله ‌ والسماء ذات الحبك ‌ قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحباك كالنعم والحبك كالابل ‌ انكم لفي قول مختلف ‌ اي متخالف متناقض وهو قولهم في الرسول عليه السلام تارة شاعر وتارة ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر واخرى سحر واساطير وفي هذا الجواب تأكيد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك ‌ يؤفك عنه من افك ‌ اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افكهم عن ذلك القول وقرئ من افك اي من افك الناس

وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان ‌ قتل الخراصون ‌ دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله ‌ الذين هم في غمرة ‌ من الجهل والضلال ‌ ساهون ‌ غافلون عما امروا به ‌ يسألون ايان يوم الدين ‌ اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة ‌ يوم هم على النار يفتنون ‌ جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر لمبتدأ محذوف اي هو يوم هم والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ‌ ذوقوا فتنتكم ‌ اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى ‌ هذا الذي كنتم به تستعجلون ‌ جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته ‌ ان المتقين في جنات وعيون ‌ لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ‌ آخذين ما آتاهم ربهم ‌ اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بحسن القبول ‌ انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا ‌ محسنين ‌ اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى ‌ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ‌ اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا يجوز ان تكون ما نافية على معنى انهم لم يكونوا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ‌ وبالاسحار هم يستغفرون ‌ اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كأنهم اسلفوا في ليلهم اقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه ‌ وفي اموالهم حق ‌ اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس ‌ للسائل والمحروم ‌ للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة ‌ وفي الارض آيات للموقنين ‌ اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن متفننة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم ‌ وفي انفسكم ‌ اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير دال دلالته مع ما انفردت به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ‌ افلا تبصرون ‌ اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ‌ وفي السماء رزقكم ‌ اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات ‌ وما توعدون ‌ من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره قوله تعالى ‌ فورب السماء والارض انه لحق ‌ على ان الضمير لما وعلى الاول فهو لما ذكر من امر الآيات والرزق ‌ مثل ما انكم تنطقون ‌ اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت بدلا منه ومحل الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع ‌ هل اتاك حديث ضيف ابراهيم ‌ تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما اسرافيل عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك ‌ المكرمين ‌ اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته ‌ اذ دخلوا عليه ‌ ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم ‌ فقالوا سلاما ‌ اي نسلم عليك سلاما ‌ قال ‌ اي

أي إبراهيم سلام أي عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام أحسن
من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون أنكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم للإسلام
أو لأنهم ليسوا ممن عهدهم من الناس أو لأن أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام إنما قاله في نفسه من غير
أن يشعرهم بذلك لأنه جابههم به جهرا أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كأنه قيل ألا تكشفوا أحوالكم عند ذلك ثم تبعه عليه السلام المعد للضيافة
فراغ إلى أهله أي فذهب إليهم على خفية من ضيفه فإن من أدب المضيف أن يبادره بالقرى مبادرة حذرا من أن يكفه ويعذره
أو يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذانا بكمال سرعة المجيء
بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فذبح عجلا فحنذه فجاء به فقربه إليهم بأن وضعه لديهم حسبما هو
المعتاد قال ألا تأكلون أنكر عدم تعرضهم للأكل فأوجس منهم أضمر في نفسه خيفة لتوهم أنهم جاؤوا
للشر وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة جاؤوا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام ودرج حتى لحق بأمه
فعرفهم وأمن منهم وبشروه أي في سورة الصافات وبشرناه أي بشروه بغلام هو إسحق عليه السلام عليم
عند بلوغه واستوائه فأقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم متهاداة كأنه زاد ينظر إليهم في صرة في صيحة
من الصرير ومحلها النصب على الحالية أو المفعولية إن جعل أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمني فصكت وجهها أي لطمته لطم الحياء
لأنها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم أي أنا
عجوز عاقر فكيف ألد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وإنما نحن معبرون نخبرك عنه تعالى لا أنا نقوله
من تلقاء أنفسنا إنه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي أن جبريل عليه السلام قال لها انظري إلى سقف
بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المحاورة مع سارة فقط بل مع إبراهيم عليه السلام أيضا حسبما شرح في سورة الحجر
وإنما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر هنا وفي سورة هود قال أي إبراهيم عليه السلام لما
علم أنهم ملائكة أرسلوا لأمر فما خطبكم أي شأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا
إلى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم أي بعدما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة
حجارة من طين أي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من سمت الماشية أي أرسلتها أو معلمة من السومة وهي العلامة
وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فأخرجنا الخ حكاية من جهته تعالى
لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الإجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة
عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع أخر كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ من كان فيها
أي في قرى قوم لوط وإضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت أي غير أهل بيت
من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها أي في القرى آية
علامة دالة على ما أصابهم من العذاب قيل هي تلك الأحجار أو صخرة منضودة فيها أو ماء منتن للذين يخافون العذاب الأليم
أي من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فإنهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية
وفي موسى عطف على قوله تعالى وفي الأرض أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها
تبنا وماء باردا إذ أرسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف أي كائنة وقت إرسالنا وقيل بتركنا إلى فرعون
بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه أي فأعرض عن الإيمان به وازور كقوله تعالى
ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فإن الركن اسم لما يركن إليه الشيء ويتقوى به وقرئ بركنه بضم الكاف وقال
ساحر أي هو ساحر أو مجنون كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره
وسعيه أو بغيرهما فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الباهرة الربانية ونهاية
قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم أي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فأخذناه وفي عاد
إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقيم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيرا ما من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي

النكباء أو الدبور أو الجنوب ما تذر من شيء أتت عليه أي جرت عليه إلا جعلته كالرميم هو كل ما رم أي بلي
وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة أيام قيل
قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا
عن أمر ربهم أي فاستكبروا عن الامتثال به فأخذتهم الصاعقة قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام
من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله فنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع
تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون إليها ويعاينونها
فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم
وقوم نوح أي وأهلكنا قوم نوح فإن ما قبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر
وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه من قبل أي من قبل هؤلاء المهلكين إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين
عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وإنا لموسعون لقادرون من الوسع
بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق والأرض فرشناها
مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون أي نحن ومن كل شيء أي من الأجناس خلقنا زوجين
أي نوعين ذكرا وأنثى وقيل متقابلين السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون
أي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعملوا بمقتضاها
وقوله تعالى ففروا إلى الله مقدر بقول وقع خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء لترتيب الأمر على ما حكي
من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار إليها كأنه قيل قل لهم إذا كان الأمر كذلك فاهربوا إلى الله الذي
هذه شؤونه بالإيمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه وأما العطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون
كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففروا إلى الله كما قيل إني لكم منه نذير مبين تعليل للأمر بالفرار إليه تعالى
أو لوجوب الامتثال به فإن كونه عليه السلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه السلام أن يأمرهم بالفرار إليه وعليهم أن يمتثلوا
أي إني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى أو مظهر لما يجب إظهاره من العذاب المنذر به وفي أمره تعالى للرسول صلى الله
عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب إليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم
بنجاتهم من المرهوب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله إلها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الأمر
بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى إني لكم منه أي من الجعل المنهي نذير مبين فإن تعلق كلمة من بالإنذار مع كون صلته
أن تسعه ... الإفراد تعالى فمنه أي من ربه وافره غيره كأنه قيل ودوا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقادا أو قولا إلها آخر
وفيه تأكيد لما قبله من الأمر بالفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه وإيجاب الفرار منه كذلك أي الأمر
مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنونا وقوله تعالى ما أتى الذين من قبلهم تفسير له أي ما أتاهم من رسول
من رسل الله إلا قالوا في حقه ساحر أو مجنون ولا سبيل إلى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها
أتواصوا به إنكار وتعجيب من حالهم وإجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها
أي أوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون إضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر
تواصيهم بذلك وإثبات لكونه أمرا أقبح من التواصي وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة
عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم فأعرض
عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء فما أنت بملوم على التولي بعدما بذلت المجهود وجاوزت في الإبلاغ
كل حد معهود وذكر أي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الأمر فإن الذكرى
تنفع المؤمنين أي الذين قدر الله تعالى إيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت
الجن والإنس إلا ليعبدون استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله لأن خلقهم منبئا بعبادته تعالى كما يدعوه

عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي عنه تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول اليها مع تعاضد المبادي والمقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنس كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين قال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تأويل الاقتدار او الاثر فان للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك من قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور تسع واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله عز وعلا وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الالواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد الجنس اي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اي لنازل حتما جواب للقسم

وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج وقيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا انه سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما في الخبر او في الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ باتباعهم الحقنا بهم ذريتهم اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما التناهم وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من عملهم من ثواب عملهم من شيء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم اليهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجنا وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها

المستكن

وخباهم

تفضلا عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان دانى المنزلة وما ابان الدر كاد وصل شئ من الاتمام لانهم
لذريتهم الا بالحاقهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل
الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام
يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان يقبل من آكلا بالشئ فاكهة فتنبيه لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما
وزدناهم على ما كان لهم من مبادى النعيم وقتا فوقتا يشتهون من صنوف النعماء والوان الالاء يتنازعون فيها اى يتعاطون
فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اى خمرا تسمية لها باسم محلها
لا لغو فيها اى فى شربها حيث لا يتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم
فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو دين المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون افعال
الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اى بالكاس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل
هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين
الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف
ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى يسال كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض
سائلا ومسئولا لا انه يسال بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة انا
كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة
فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اى نعبده او نساله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذى اذا عبد
اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على التذكير بما انزل اليك من الايات والذكر
الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل
بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس
ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل يقولون
ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم
ام تأمرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور
والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع او صار ذا فى واحد وامر الاحلام به
مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد
ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اى
اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لا يخفى على احد بطلانها كيف لا
وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله
مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك
يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار
وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولا ريب فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به
ودواعى الامر بذلك ام خلقوا من غير شئ اى ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل
ام خلقوا من اجل لا شئ من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا
عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا او

او اعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اى الغالبون على الاشياء
يدبرونها كيف شاؤوا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء
ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن
من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رايه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا
عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ
ام تسألهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل اتسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك
من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ
المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك نفيا او اثباتا ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة
من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود
عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير
الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اى عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة
من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطنا
عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه
ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذى فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة
او من اصعقه وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها
الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض
لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعا فى الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه فى امره صلى الله عليه وسلم
من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجرى فى مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه
مع ما مر انفا ولا هم ينصرون من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم
ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون ما لاقوه من القتل
اى قبله وهو القحط الذى اصابهم سبع سنين او وراءه كما فى قوله تعالى من دونها وهو عذاب القبر وما بعده
من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم
ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك
فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين
لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق ملتبسا بحمد ربك على نعمائه
الفائتة للحصر حين تقوم من اى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك
وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق
على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها من آخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح
وقيل التسبيح من الليل صلوة العشاءين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته صدق رسول الله

سورة النجم ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب لها او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل

علامة يقال هوى هويّا بوزن قبول اذا غرب وهُويّا بوزن دخول اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن فهويه نزوله
والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام به
على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاول فلان النجم شانه
ان يهتدي به الساري الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدي به الساري الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اي ما عدل عن طريق
الحق الذي هو مسلك الآخرة وما غوى اي وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال
والغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه
على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشده كأنه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد
عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم
خبرا ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم لمحاسن
شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الاخير ظاهر واما على الاول فلان النجم لا يهتدي به الساري
عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال
المناسبة لما يحكى من التدلي من الافق الاعلى والدنو منه عليه السلام واما على الثاني فلانه آية الجليل وان حمل على انتثاره
يوم القيامة او على انقضاض النجم الذي يرجم به وان حمل النجم على النبات فهويه سقوطه على الارض او ظهوره منها فما له لا يناسب المقام
وما ينطق عن الهوى اي وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار
النطق عنه كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله تعالى وقوله يوحى صفة مؤكدة لوحي
رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة
في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها
الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي حصافة
في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اي فاستقام
على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب
وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد
من الانبياء في صورته غير النبي عليهم السلام فانه رآه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر
وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اي افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنى اي اراد الدنو من النبي عليهما السلام فتدلى
اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به من تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق
فكان اي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اي مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار
وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو مني معقد الازار او ادنى اي على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى اي جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر
لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اي من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطته ما اوحى
من ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد عليه السلام ما رأى
اي ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره
وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة وبعد ما ذكر
من احوال المنافية للمماراة وهو من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده
ولقد رآه نزلة اخرى اي وبالله لقد رأى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة

لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى
هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله
تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق
واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة
الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم
او الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى وان الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اي
الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية
وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان
بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين اي يأتيه والاول هو اللائق بالمقام وفي ابهام ما يغشى
من التفخيم ما لا يخفى وما عبر عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي
به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد
وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات
انوار الله عز وجل حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت فلم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد
من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت على السدرة فراشا من ذهب
ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهده هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا
او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الآيات
التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان تكون الكبرى
صفة للآيات والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من آيات ربه وان تكون من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ
بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالسويق ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج
فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى
كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة
ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى
ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة
وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز
ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله
مع المنافاة لها غاية المنافاة وهي علمية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه
وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها
ولها شركاء لله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن الهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي
السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الآخرة وقيل افرأيتم الى هذه الاصنام
ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى شهادة بينة فان توبيخ
مبني على التوبيخ الاول حيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب
ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر ان ليس شيء من القدر المذكورة من تلك النسبة

عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما ان الاصل اخبروني ان اللات
والعزى ومناة الكم الذكر وله الانثى اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحل
الذي منى عن ساحة التنزيل انما يساعده بعض مقتضى التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة
الولد اليه سبحانه تلك اشارة الى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية اذن قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه
وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه
اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى بالفتح على انه مصدر وصف كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي الضمير للاصنام
اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي يدعونها الا اسماء محضة ليس تحتها مما ينبئ عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى
سميتموها صفة للاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست
الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى ليحصل ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة
اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية
وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز
والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الحاملة للاصنام فليس في سلبها عنها
مزيد فائدة بل الحق في سلب الالوهية عنها كما هو المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان ما ينبئ عنها المذكورة بعض
الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم واباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل الله بها
من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية
جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى
الانفس اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان
ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى
بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم
عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه
وتشتهيه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الالهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الاخرة والاولى
تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الاخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور
وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم
عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم
مع افراد الملك باعتبار المعنى اي كثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد
ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم
من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل من الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم
بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالاخرة وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة
المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اي يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول
منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالاخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع
العقوبة في الاخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون
اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن
الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق
الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي
اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة

وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والاخرين المذكر
لامور الاخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الاخرة ولم يرد الا الحيوة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد
النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده
الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا
مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره فلا تجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان
ما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة
على الحيوة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله
تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى
من من شأنه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير فلا تتعب
نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بالاعراض عنه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين
عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي صريحا ولله
ما في السموات وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق بما دل عليه
ما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم اي يعلم من خلق كما قيل فيعلم ضلال من ضل
واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي الذين اساؤا بما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب عملهم
ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل
عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم
بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وكرر الفعل لابراز كمال
الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته
للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه
الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما
صغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر وقيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا
وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر والجملة
تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى انه
له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين صغيرة وكبيرة ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى
ولا يتوهم وجوب العقاب عليه سبحانه هو اعلم بكم اي باحوالكم منكم اذ انشأكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام
من الارض انشاء اجماليا حسبما مر تقريره مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار
مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله وضرره
مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم
كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها
من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم
من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت هذا اذا كان بطريق الاعجاب
او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة
بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرأيت الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا قليلا
واكدى اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن
المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله

ضمن ان يحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي
لانه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور
وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده
من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى اي اعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة
ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا
وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفانا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه التي هي
التوراة اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هي المخففة
من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبره ومحل الجملة الجر على انها بدل مما في صحف موسى او الرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل هو الا تزر الخ والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله
عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضر عنه
واما نفع الانبياء واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصى من الاحوال النافعة
فلان مع نيابة سعيه عليه قطعا حيث كان سببا لنفعه كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه فجعل النافع
نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان في المحقق منها معطوفة عليها وقوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه ويكشف له
يوم القيمة في صحيفته وميزانه من اريته الشيء ثم يجزاه اي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار
وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى الجزاء الاوفى او يبدل هو عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين
ظلموا وان الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء وانه هو
اضحك وابكى اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل
نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشأة الاخرى اي الاحياء بعد الموت وفاء
بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها بالذكر
لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء
من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم في دينهم وانه اهلك عادا الاولى هي قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم
وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف وثمود
عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين فما ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح
من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه ويضربونه
حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة
والمؤتفكة هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح
جبريل عليه السلام الى السماء فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباي الاء
ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد
فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه وان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد
ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط كما في تداعوه
اي دعوه وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما نحن فيه فان المراء متعدد بتعدد الالاء فتدبر والتسمية للامور المعدودة

مع ان بعضها نقم لما انها نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير
من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واياما
فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات
المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال
قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيمة اي دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها
الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة بالتأخير الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها
الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا الحديث
اي القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم
في شأنه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع
رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود
والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار وعلى البواقي
للمنفي والمعنى على الوجه الاول قيد للنفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والاول اوفق بمقام تقريع والفاء في قوله تعالى
فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان
مع كمال الخضوع والخشوع اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة صدق رسول الله تعالى

سورة القمر خمس وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي
القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات
اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد او الاستحكام اي وان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها
ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مستمر اي سحر مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر
او قوي محكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بما في تعقيبه القادة المكابرة
بما يسيل لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اي النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى
على يديه من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم
وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر استئناف مسوق لاقناطهم
عما علقوا به اطماعهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور مستقر
اي منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وابهام المستقر
للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة
خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر ومستقر اسم زمان اي ذو استقرار
او ذو موضع استقرار او ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر
ولقد جاءهم اي القرآن وقوله من الانباء اي انباء القرون الخالية او انباء الاخرة متعلق بمحذوف حال مما بعده اي وبالله
لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه

موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة
غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او موصوفة تخصصت بالصفة فساغ نصب الحال عنها
فما تغن النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونها مظنة للاغناء وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما على الوجه الثاني منصوبة اي فأي غناء تغني النذر
وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع
منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط
الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر
بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث
اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل
وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار
مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استئناف وقع جوابا عما نشأ
من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كأنه قيل ماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد
وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا على تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع
في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغن النذر
اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى
نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء
عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة
الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل
نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون
وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة
على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة
انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا
عيون الارض فغير لما ذكر من المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماء لم يكن بطريق المجاورة
والتقابل بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي
كائنا على حال قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهي ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره
الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر
ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي
نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة اي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره
في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف
على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر
اي معتبر متعظ وهو بحقيقته للاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء دالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر
استفهام تعظيم وتعجيب كأنها على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن
جملة مستقرة وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما

تغن النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار
اي والله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر
اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وقيل
على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته ومحاسن آياته كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية
تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه من ازدجار العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب
السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم
او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا
عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او استمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل
لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او اشتدت مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب
والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كأنهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا باعجاز النخل
وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها
في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس
فيه شائبة تكرار وقيل ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها
من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا
اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة
اخرى لبشرا واخيرة عن الصفة الاولى للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت النكتة
وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له
وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول
لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول
ءالقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك
بل هو كذاب حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله
لصالح عليه السلام ردا على ما قالوه ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون
البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد
التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض
كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما
اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم
ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا
صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة
وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه
كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر
اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ
بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر اي آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه
اي ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر

نعتا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا
فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم
لوط عليه السلام فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة وظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه
من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم
حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما
قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء
آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه
من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي بالله لقد جاءهم الانذارات
وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا
بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب
خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم
مما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب
وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية
فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت
والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل ايقولون
واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا
والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة
ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او لارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك
يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع
يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها
وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وجل بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا
من طلائعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص منه
والمقامات في موقع اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك
ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون منصوب اما بما يتعلق به قوله
تعالى في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون
يقال لهم ذوقوا مس سقر اي قاسوا حرها والمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته
والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر
معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده
وقرئ بالرفع على الابتداء وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة
واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا
اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر
والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور
في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين
ليتكامل الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات

عظيمة الشأن ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كأسد وأسد
في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب
بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن ست وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان القرآن العظيم قد
يسر لتذكر الناس واتعاظهم ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على كافة الانام من فنون
نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدأ بتعليم القرآن فقيل الرحمن
علم القرآن لانه اعظم النعم شأنا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية
ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه
الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وتقديم ذكره بيانا لاصالته جلالة قدره ثم قيل خلق
الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة
والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي
عليه يدور تعليم القرآن وتخلية الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر
بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات
ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان
اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا
على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه
كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملتين الاوليين عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينهما
لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين
من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل
اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان
اي شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام
بالعدل قامت السموات والارض وقيل هو ما عني بقوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى انزل الكتاب بالحق والميزان
وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا
على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان
اي لئلا تطغوا فيه على ان أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اي لا تطغوا على انها
مفسرة لما في الوضع بمعنى الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا
الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب
ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف
ونقصان وتكرير لفظ الميزان لتشديد التوصية به وتأكيد الامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها
يقال خسر الميزان يخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي للخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان
وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع
العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية

اى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿والنخل ذات الاكمام﴾ هى اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه ﴿والحب﴾ هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ﴿ذو العصف﴾ هو ورق الزرع وقيل التبن ﴿والريحان﴾ قيل هو الرزق اريد به اللب اى فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى وهو الحب الذى له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعوم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان اى خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فيعلان قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبى ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله ايه الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة فى نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم فى العبادة من دواعى اشراكهم لها فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب لها لا محالة اى فاذا كان الامر كما فصل فباى فرد من افراد الآلاء ما لكما ومن سلككما الا تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق ﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار﴾ تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا ينافى الآية الناطقة باحدها ما نطق باحد الاخرين ﴿وخلق الجان﴾ اى الجن او ابا الجن ﴿من مارج﴾ من صاف ﴿من نار﴾ بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما افاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ بالرفع على الخبرية لمبتدأ محذوف اى الذى فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على البدل من ربكما ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك ﴿مرج البحرين﴾ اى ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يلتقيان﴾ اى يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما فى رأى العين وقيل ارسل بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه ﴿بينهما برزخ﴾ اى حاجز من قدرة الله عز وجل او من الارض ﴿لا يبغيان﴾ اى لا يبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس منهما شىء يقبل التكذيب ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره ونسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشىء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع ان اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ ﴿وله الجوار﴾ اى السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان ﴿المنشآت﴾ المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج بجريهن ﴿فى البحر كالاعلام﴾ كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه ﴿كل من عليها﴾ اى على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين ﴿فان﴾ هالك لا محالة ﴿ويبقى وجه ربك﴾ اى ذاته عز وجل ﴿ذو الجلال والاكرام﴾ اى ذو الاستغناء

المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلى ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذى الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه ايذان بانه يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء ﴿يسأله من فى السموات والارض﴾ قاطبة لانهم يحتاجون اليه فى ذواتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام ﴿كل يوم﴾ اى كل وقت من الاوقات ﴿هو فى شأن﴾ من الشؤون التى من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفنى آخرين ويأتى باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وقيل فيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه ﴿سنفرغ لكم﴾ اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوعد على التكذيب بالانعام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم ﴿ايه الثقلان﴾ هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف ﴿فباى آلاء ربكما﴾ التى من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب ﴿تكذبان﴾ باقوالكما واعمالكما ﴿يا معشر الجن والانس﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفى بما كلفوه ﴿ان استطعتم﴾ ان قدرتم على ﴿ان تنفذوا من اقطار السموات والارض﴾ اى ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن اقطار سمواتى وارضى ﴿فانفذوا﴾ منها وخلصوا انفسكم من عقابى ﴿لا تنفذون﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿الا بسلطان﴾ اى بقوة قاهرة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين ﴿من نار﴾ متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اى كائن من نار والتنوين للتفخيم ﴿ونحاس﴾ اى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اى نقتل بالعذاب ﴿فلا تنتصران﴾ اى لا تمتنعان ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى لطف واى لطف ونعمة اى نعمة ﴿فاذا انشقت السماء﴾ اى انصدعت يوم القيامة ﴿فكانت وردة﴾ كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة نحوى الغنائم او يموت كريم ﴿كالدهان﴾ خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع عظم شأنها ﴿فيومئذ﴾ اى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر ﴿لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان﴾ لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى ﴿فباى

فبأي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فإن الإخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي إليه وأما ما قيل كما أنعم الله على عباده
المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال
قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والأقدام الجار والمجرور
هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا كان المأخوذ مقصودا بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به إذا كان المأخوذ
شيئا من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي أخذ الله بيدك أي يجمع
بين نواصيهم وأقدامهم بسلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة بأخذ النواصي وتارة بالأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على إرادة القول أي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على أن الجملة إما استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الأخذ بالنواصي والأقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال لهم أو حال من أصحاب
النواصي والأقدام لأن الألف واللام عوض عن المضاف إليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها أي بين النار يحرقون بها
وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم فبأي
آلاء ربكما تكذبان وقد أشير إلى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد
الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم أن ما عدد فيما بين هذه الآية وبين
خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة واصلة إليهم في الآخرة كذلك حكاياتها آلاء واصلة إليهم في الدنيا لما أنها
لكونها داعية لهم إلى السعي في تحصيل ما يؤدي إلى نيلها من الأعمال الصالحة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة إلى قوله كل يوم هو في شأن
من النعم الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة إليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث إيجابها للشكر والمثابرة
على ما يؤدي إلى استدامتها وأما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة
فهي من قبيل الآلاء وإنما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي إلى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما أشير إليه في تضاعيف تعدادها
ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه إذا راقبه أو
الخائف عنده للحساب بأحد المعنيين وإضافته إلى الرب للتفخيم والتهويل أو هو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة
للخائف الجني فإن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائف منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك
المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا أفنان
صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ والأفنان إما جمع فن
أي ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فنن أي ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر
ومنها تمتد الظلال فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة أخرى لجنتان أي في كل واحدة
منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك عن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما
التسنيم والأخرى السلسبيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين وعن أبي بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت
عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان أي صنفان
معروف وغريب أو رطب ويابس صفة أخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لأن من خاف في معنى الجمع أو نصب على المدح على فرش بطائنها من إستبرق
من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان
أي ما يجتنى من أشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن
قائما وإن قاعدا وإن شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن أي
في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائف من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية
في قوله تعالى متكئين وقيل فيهما من الأماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات
الطرف نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان أي لم يمس الإنسيات

أحد من الإنس والجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن
الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالإضافة
فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان إما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتي قبلها أي
مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فإن صغار الدر أنصع بياضا
قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله أي ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان
في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنتين
الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالإنكار
والتوبيخ أي خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين
المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين الأشجار والفواكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان أي فوارتان
بالماء والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الأخيرين
على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانا لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا
قال أبو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
فيهن خيرات صفة أخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات
لأن خيرا الذي بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل حسان أي حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله
حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أي مخدرة أو مقصورات
الطرف على أزواجهن وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم
ولا جان كالذي مر نظيره في جميع الوجوه فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص
على رفرف خضر الرفرف إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الأسرة من عالي الثياب وقيل
ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط
رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه
كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف وقرئ على أحد الوجهين رفارف خضر بضمتين
وعباقري كمدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس
له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الآلاء الفائضة على الأنام أي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن
المنبئ عن إفاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها وإذا كان حال اسمه
بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال إلى الحول ثم اسم السلام
عليكما ذي الجلال والإكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة سبع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا وقعت الواقعة أي إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للإيذان
بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كقولهم كانت الكائنة وحدثت الحادثة
وانتصاب إذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي
المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة أي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب في نفيها
كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط

على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لاجل وقعتها وفي حينها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق
لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل
لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات
ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض
على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اي زلزلت
زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض
ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس
السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اي ارتجت
وذهبت فكانت اي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة الحاضرة
والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اي اصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود
او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة تقسيم وتنويع للازواج
الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية
مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم
والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا
الكلام في قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل
فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال واختلف في تعيين الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة
اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات
الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى
والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل
ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا
فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات واياما كان فالجملة مبتدأ وخبر
والمعنى السابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم
واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل ان متعلق السبقين مختلف والمعنى السابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته او السابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى
اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع
على الابتداء خبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم
واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا الذي ذكر في اعراب هذه الجمل هو الاشهر والذي يقتضيه جزالة التنزيل
ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس
الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة
والآخر اصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي احوالهما
في الخير والشر انباء اجماليا تشويقا الى احوال كل منهما تفصيلا فيكون ما على ان الاستفهامية مبتدأ ما بعدها خبرها والجملة
في محل الرفع لا خبرا لما قبلها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده جعل الاتيان ان امر اصحاب الميمنة
كما يفيده كونها مبتدأ كذلك الحال في اصحاب المشأمة واما القسم الآخر فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج الى تقديم التنويه
فقوله تعالى السابقون مبتدأ اطنابا في مقام الاخبار بتفخيمهم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبره والجملة خبر للاول
وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم

بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هم امة
من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم عليه السلام الى نبينا عليه السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الآخرين اي
من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع
اكثرية تابعي هذه من تابعيهم ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين
في نفسها لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي انهما من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين هاهنا ايضا
متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين
في المحل الاولى ومن خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم
من قفا بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استئناف اي يدور
حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد
القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله عنه
وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق اي آنية
ذات عرى وخراطيم وكأس من معين اي خمر جارية من العيون وقيل انما افرد الكأس لانه لا يسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة
لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى
يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد
عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه ويأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون
وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي فيها او لهم حور وقرئ بالجر عطفا
على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون
باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل
بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي ولا نسبة الى الاثم
اي لا لغو فيها ولا اثم ولا سماع كقوله تعالى ولا تسمع فيها لاغية الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا
كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما بعد سلام
او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين
شروع في تفصيل احوالهم اثر تفصيل احوال السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ما اصحاب اليمين
جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها وقوله تعالى
في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب
اليمين من علو الشأن اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه
لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة
وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي
رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال آي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن
وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم
اينما شاءوا وكيفما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن
وحال اصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس
لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا
وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة

او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم
على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي
المضاجع عليهن دلالة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او ابداعا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا فذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل
وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى
لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اى مساو له وقيل بمحذوف هو صفة
لابكارا اى كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ محذوف اى هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين
وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف خبرت به عن اصحاب اليمين اى هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما
وعن ابى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اى من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر
الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا من امتى واصحاب الشمال
شروع في تفصيل احوالهم اثر ما اشير عند التنويع الى سوء حالهم وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى
ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا في قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء البالغ
في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير في الجملة سمى ذلك ظلا
ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اى هو
لا بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اى انهم كانوا قبل ما ذكر
من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من الماكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم
عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اى الذنب العظيم الذي هو الكفر ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى
الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض
اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لانه في الاستبعاد انزل من العظام البادية واذا
للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفس لمبعوثون لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث
وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص الانكار به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله
بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد
كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم
بصدد البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر قوله تعالى او آباؤنا الاولون لتأكيد النكير والواو للعطف
على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او آباؤنا قل
ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة
في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف
على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون
بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدئون
الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو صفة لشجر اى كائن من زقوم فمالئون منها البطون اى بطونكم
من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم اى الماء الحار في الغاية وتأنيث ضمير الشجر اولا وتذكيره
ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير

لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام
وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك
جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب
الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم للمشروب
هذا الذي ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر
فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي
تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم
فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اى
فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استشهادا
عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرأيتم ما تمنون اى تقذفونه
في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا
ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام
للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اى قسمناه
عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين
اى انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما
لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون مثلها قال الحسن اى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث
على غير صوركم في الدنيا ومن قدر على ذلك كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته
وعلى ان نبدل اما حال من فاعل قدرنا او علة لتقرير على معنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى هي
خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة
القياس وقرئ فلولا تذكرون من التذكر وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم
ما تحرثون اى تبذرون حبه وتعملون في ارضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون
اى المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار
بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما
يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف
الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث وقرئ تفكنون اى تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون
اى لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين
مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اى قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا
رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون افرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص
هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به أأنتم انزلتموه من المزن اى من السحاب واحده مزنة
وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا
لا يمكن شربه وحذف اللام منه مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية
وصعوبة الفقد او لان ما يقصد من نفسه مستقل ببيان ان عصمته تعالى للزرع والماء عائل بالجمع بجامع اخرى بعد نفوذه الاسباب
والانزال مسوقة للتشكر بقوله تعالى فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل افرأيتم النار التي تورون اى تقدحون

وتستخرجونها من الزناد أأنتم أنشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار أم نحن المنشئون لها
بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفاحشة ومباينة
سائر الشجر التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كان التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله
ثم أنشأناه خلقاً آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها أي جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث
علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجاً من جهنم لما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم وقيل تبصرة في أمر البعث فإنه ليس أبدع من إخراج
النار من الشيء الرطب ومتاعاً ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بالذكر لأنهم أحوج إليها
فإن المقيمين والنازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم أو مزاودهم
من الطعام وهو بعيد لعدم اختصاص الحاجة بهم وبيد خلوهم فما لا يؤكل إلا بالطبخ وما فيه من المنفعة للغير على أن الإنعام بها أعم من النفع
الأخروي والعاجل وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم ترتيب جيد على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه أو
لتسبيحه تعالى أي تنزيهه تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيته الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها أو تعجباً من أمرهم في غمط
تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكراً على تلك النعم أي فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره
فإن إطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب فلا أقسم أي فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله
تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلا رد لكلام
يخالف المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتعظيم شأن القسم به
بمواقع النجوم أي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر
دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها
ومجاريها فإن له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها
أوقات نزولها وقوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده
حيث اعترض بقوله وإنه لقسم بين القسم والمقسم عليه الذي هو قوله تعالى إنه لقرآن كريم أي كثير النفع لاشتماله على أصول
العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضي أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو
إما متروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أي لعظمتموه أو لعملتم بموجبه في كتاب مكنون أي مصون من غير المقربين
من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه إلا المطهرون إما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة
المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفياً بمعنى النهي أي لا
ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له أن يظلمه
أو يسلمه إلى من يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره
والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره تنزيل من رب العالمين صفة أخرى للقرآن وهو مصدر
نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلاً أفبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله أي
القرآن الكريم أنتم مدهنون أي متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به وتجعلون رزقكم
أي شكر رزقكم أنكم تكذبون أي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي تجعلون شكركم
لنعمة القرآن أنكم تكذبون وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما رزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله
حيث تنسبونه إلى الأنواء والأول هو الأوفق لسياق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل فلولا إذا بلغت الحلقوم
ترتيب على تكذيبهم بالقرآن فما يلحق وقوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من الروائع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى
من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم كما سيقت عليه ولولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا
أي فلولا إذا بلغت النفس أي الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت إلى الخروج وأنتم حينئذ أيها الحاضرون حول صاحبها

تنظرون

تنظرون إلى ما هو فيه من الغمرات ونحن أقرب إليه علماً وقدرة وتصرفاً منكم حيث لا تعرفون من حاله
إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شيء منها
ونحن المستولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا
وقوله تعالى فلولا إن كنتم غير مدينين أي غير مربوبين من دان السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدهم ناظراً إلى قوله
نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتماً وقوله تعالى ترجعونها أي النفس إلى مقرها
هو العامل في إذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مربوبين
كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم إن كنتم صادقين في اعتقادكم
فإن عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فأما إن كان من المقربين
شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أي فأما إن كان الذي بين حاله من السابقين من الأزواج
الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم فروح وريحان أي فله استراحة ورزق وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب
لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وجنة نعيم أي ذات تنعم وأما إن كان من أصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق
إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى فسلام لك من أصحاب
اليمين إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لسلام بعضهم على بعض والأصل سلام
والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف وأما إن كان من المكذبين الضالين وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما
وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ذماً لهم بذلك وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب
فنزل أي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل وتصلية جحيم أي إدخال في النار وقيل إقامة
فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها إن هذا أي الذي ذكر في السورة
الكريمة لهو حق اليقين أي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم
لترتيب التسبيح أو الأمر به على ما قبلها فإن حقيقة ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل
من الأمور التي من جملتها الإشراك والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة
لم تصبه فاقة أبداً

سورة الحديد — بسم الله الرحمن الرحيم — تسع وعشرون آية مدنية

سبح لله ما في السموات والأرض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح
في الأرض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند ههنا إلى غير العقلاء أيضاً فإن ما في السموات والأرض يعم جميع ما فيهما
سواء كان مستقراً فيهما أو جزءاً منهما كما مر في آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة
والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فإن كل فرد من أفراد الموجودات يدل بحدوثه على الصانع القديم
الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه
كما في قوله تعالى وسبحوه واللام إما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له أو للتعليل أي فعل التسبيح لأجل الله وخالصاً
لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضياً وفي البعض مضارعاً للإيذان بتحققه في جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن من شأن من أسند إليه
التسبيح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو
العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل إلا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والأرض أي التصرف الكلي فيهما
وفيما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت
استئناف مبين لبعض أحكام الملك وجعله حالاً من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الأشياء التي من جملتها
ما ذكر من الإحياء والإماتة قدير مبالغ في القدرة هو الأول السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدعها

والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها قد مر بيانه في سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء عمن كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل فيه ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في ااضرب ابي كذلك ما الاستفهامية تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في هذه الآية وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات واضحات ليخرجكم اي الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ لانهم في الحقيقة انما هم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل الا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كأنه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق

من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضمير في الفعلين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه قيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدأ اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى وقيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى وقال الحسن يضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استئناف اي يقال لهم بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنان المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين

الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله
اي الموت وغركم بالله الكريم الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحون
عنها ابدا
هي مولاكم اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم
او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة
عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية
الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة
من نزول القرآن اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وعظته ويسارعوا الى طاعته بالامتثال لاوامره والانتهاء
عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما
وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف
لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه
من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل
وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي
عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا
التوراة والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي الوقت الاطول
وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت فيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون
اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية
بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات التي من جملتها
هذه الآيات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات
اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله
قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعيب بانه
فصل بين اجزاء الصلة باجنبي هو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة
من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين
على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على
ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء
بحثهن على التصدق لما روي انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف
معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة
يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب
التصدق وقرئ على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام
والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذي
هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره
الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول

اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة
لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال
على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول
للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف
اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق
الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين من الاصل والاضعاف بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل
بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم
الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون
بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها
من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل
كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتريه مصفرا
بعد ما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك
ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع
على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا
عن العكوف عليها اشير الى فخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا عن عذابها
الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة
عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها
ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله
فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة
من ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان
عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقديم التخلية على التحلية اعدت للذين
آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة
والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل
ع العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزروع
والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان
نبرأها اي نخلق الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه عن العدة
والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم
الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه
بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها
فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر
والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال
وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول

فان الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا
رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه
الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل
نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة
وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء
وقوله تعالى فيه بأس شديد لان آلات الحروب متخذة منه والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره
ورسله عطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا كأنه قيل ليستعمله وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والسلاح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف حذف حرف الواو واعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله
انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم
وقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا تكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم
المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن
المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا
وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما
من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي فجعلناهم للتراحم والتعطف بينهم نحوه في شأن اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او بالعطف
على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية
واستحداثها وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان
من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة
ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم
فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية
والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم
راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل
نكثه لا سيما اذا قصد رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم
بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب من ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها
ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد رعاية رهبانيتهم لا لمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخصهم
من الاجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ
والمخلين بها اذ ذاك لسوء العقيدة والتحاد وهذه التسمية من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم ما هو
المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي محمد صلى الله عليه وسلم
وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول
وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقا قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون

يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور
رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط
اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة
كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وقوله تعالى ان لا يقدرون على شيء من فضل الله
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول العلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا
مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى
وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان
لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب
من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمان لا تفرقون بين احد
من رسله روي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم
فنزلت وقرئ لئلا يعلم بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع
الياء وقرئ ان لا يقدروا اذا وقيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي عليه السلام والمؤمنين والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب
انه لا يقدر النبي عليه السلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم
علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى ان الفضل بيد الله عطفا على ان لا يعلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام
في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك اي تحاولك اي تسائلك وتشتكي الى الله عطف
على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية
ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد
حرمت عليه في المرات كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه السلام
حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله
تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانها كانت
ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى
بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع
استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها
في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما
من دواعي الاجابة وقيل هي حالية وهو بعيد وقوله تعالى ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات
والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع
واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون
منكم من نسائهم شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل
لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب وكذا الحاقها ببهاء تشبيهها بالمحرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب
وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويظهرون

وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم
وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات
وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون
بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند
الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق
وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما
اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما
في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة
كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا
عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه من مال وولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة
وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف
عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب
المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم
للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله
بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها
فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطأ فمن لم يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب
فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا تستانف ان مس في خلال
الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا ومحله اما النصب
على اضمار فعل معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها
لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر مرة حدود
الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين
كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء
ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا او قيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل
اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل
الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات
حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم
وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات
دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين
او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم
بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد

تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله
من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله
عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى ونسوه حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل
لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ
وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه
وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه وفي قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات
سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه
تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي
ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى مصدر مضاف الى فاعله او على انها صفة بحذف المضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او جعلهم
نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما
لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك
ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ
ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض
فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف
بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم
اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم
وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وذكره عليه السلام بعنوان
الرسالة بين الخطابين الموجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين
ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام
على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان
محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم
في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنجوا وتناجوا بالبر
والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون
وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم
والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي
ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء
او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره
وضره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض لا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح
وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة
كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا

قطعاً ای توسعوا فی جلوسکم ولا تتضاموا فیه فافسحوا یفسح الله لکم ای فی کل ما تریدون التفسح فیه من المکان والرزق
والصدر والقبر وغیرها واذا قیل انشزوا ای انهضوا للتوسعة علی المقبلین او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غیرهما من اعمال
الخیر فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقری بکسر الشین یرفع الله الذین آمنوا منکم بالنصر وحسن الذکر
فی الدنیا والایواء الی غرف الجنان فی الآخرة والذین اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالیة بما جمعوا من العلم والعمل
فان العلم مع علو درجته یقتضی العمل المقرون به مزید رفعة لا یدرک شأوه العمل العاری عنه وان کان فی غایة الصلاح ولذلک یقتدی
بالعالم فی افعاله ولا یقتدی بغیره وفی الحدیث فضل العالم علی العابد کفضل القمر لیلة البدر علی سائر الکواکب والله بما تعملون
تهدید لمن لم یمتثل بالامر وقری یعملون بالیاء یا ایها الذین آمنوا اذا ناجیتم الرسول ای فی بعض شئونکم المهمة اذا
اردتم مناجاته علیه السلام فقدموا بین یدی نجواکم صدقة ای فتصدقوا قبلها مستعار ممن له یدان وفی هذا الامر تعظیم الرسول
صلی الله علیه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط فی السؤال والتمییز بین المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنیا واختلف
فی انه للندب او للوجوب لکنه نسخ بقوله تعالی أأشفقتم وهو وان کان متصلا به تلاوة لکنه متراخ عنه نزولا وعن علی رضی الله عنه
ان فی کتاب الله آیة ما عمل بها احد غیری کان لی دینار فصرفته فکنت اذا ناجیته علیه السلام تصدقت بدرهم وهو علی القول بالوجوب
محمول علی انه لم یتفق للاغنیاء مناجاة فی مدة بقائه اذ روی انه لم یبق الا عشرا وقیل الا ساعة ذلک ای التصدق خیر لکم
واطهر ای لانفسکم من الریبة وحب المال وهو یشعر بالندب لکن قوله تعالی فان لم تجدوا فان الله غفور رحیم منبئ عن الوجوب
لانه رخص لمن لم یجد فی المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بین یدی نجواکم صدقات ای أخفتم الفقر من تقدیم
الصدقات او أخفتم التقدیم لما یعدکم الشیطان علیه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبین فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق علیکم
وتاب الله علیکم بان رخص لکم ان لا تفعلوه وفیه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رای منهم من الانفعال ما قام
مقام توبتهم واذ علی بابها من المضی وقیل بمعنی اذا کما فی قوله تعالی اذ الاغلال فی اعناقهم وقیل بمعنی ان فاقیموا الصلوة
وآتوا الزکوة ای فاذ فرطتم فیما امرتم به من تقدیم الصدقات فتدارکوه بالمثابرة علی اقامة الصلوة وایتاء الزکوة واطیعوا
الله ورسوله فی سایر الاوامر فان القیام بها کالجابر لما وقع فی ذلک من التفریط والله خبیر بما تعملون ظاهرا وباطنا
الم تر تعجیب من حال المنافقین الذین کانوا یتخذون الیهود اولیاء ویناصحونهم وینقلون الیهم اسرار المؤمنین ای الم تنظر
الی الذین تولوا ای والوا قوما غضب الله علیهم وهم الیهود کما انبأ عنه قوله تعالی من لعنه الله وغضب علیه ما هم
منکم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بین ذلک والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ویحلفون علی الکذب ای
یقولون والله انا لمسلمون وهو عطف علی تولوا داخل فی حکم التعجیب وصیغة المضارع للدلالة علی تکرر الحلف وتجدده
حسب تکرر ما یقتضیه وهو قوله تعالی وهم یعلمون حال من فاعل یحلفون مفیدة لکمال شناعة ما فعلوا فان الحلف علی ما یعلم
انه کذب فی غایة القبح وفیه دلالة علی ان الکذب یعم ما یعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا یعلم روی انه علیه السلام کان فی حجرة
من حجراته فقال یدخل علیکم الآن رجل قلبه قلب جبار وینظر بعین شیطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وکان ازرق
فقال له رسول الله صلی الله علیه وسلم علی ما تشتمنی انت واصحابک فحلف بالله ما فعل فقال علیه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلک عذابا شدیدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما کانوا
یعملون فیما مضی من الزمان المتطاول فتمرنوا علی سوء العمل وضروا به واصروا علیه اتخذوا ایمانهم الفاجرة التی یحلفون بها
عند الحاجة وقری بکسر الهمزة ای ایمانهم الذی اظهروه لاهل الاسلام جنة وقایة وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ
علی هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما علی القراءة الاولی فهی عبارة عن اعدادهم لایمانهم الکاذبة وتهیئتهم
لها الی وقت الحاجة لیحلفوا بها ویتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلک متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع
الجنایة والاتخاذ جنة لا بد ان یکون قبل المؤاخذة وعن سببها ایضا کما یعرب عنه الفاء فی قوله تعالی فصدوا ای الناس
عن سبیل الله فی خلال امنهم بتثبیط من لقوا عن الدخول فی الاسلام وتضعیف امر المسلمین عندهم فلهم عذاب مهین
وعید ثان بوصف آخر لعذابهم وقیل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغنی عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله ای

من عذابه تعالی شیئا من الاغناء روی ان رجلا منهم قال لننصرن یوم القیمة بانفسنا واموالنا واولادنا
اولئک الموصوفون بما ذکر من الصفات القبیحة اصحاب النار ای ملازموها ومقارنوها هم فیها خالدون
لا یخرجون منها ابدا یوم یبعثهم الله جمیعا قیل هو ظرف لقوله تعالی لهم عذاب مهین فیحلفون له ای لله تعالی
یومئذ علی انهم مسلمون کما یحلفون لکم فی الدنیا ویحسبون فی الآخرة انهم بتلک الایمان الفاجرة علی شیء
من جلب منفعة او دفع مضرة کما کانوا علیه فی الدنیا حیث کانوا یدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ویستجرون بها فوائد
الا انهم هم الکاذبون البالغون فی الکذب الی غایة لا مطمح وراءها حیث تجاسروا علی الکذب بین یدی علام الغیوب وزعموا
ان ایمانهم الفاجرة تروج الکذب لدیه کما تروجه عند الغافلین استحوذ علیهم الشیطان ای استولی علیهم من حذت الابل
اذا استولیت علیها وجمعتها وهو مما جاء علی الاصل کاستصوب واستنوق ای ملکهم فانساهم ذکر الله بحیث لم یذکروه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئک الموصوفون بما ذکر من القبائح حزب الشیطان هم الخاسرون ای الموصوفون
بالخسران الذی لا غایة وراءه حیث فوتوا علی انفسهم النعیم المقیم واخذوا بدله العذاب الالیم وفی تصدیر الجملة بحرفی التنبیه والتحقیق
واظهار المضاف فی موقع الاضمار باحد الوجهین وتوسیط ضمیر الفصل من فنون التاکید ما لا یخفی ان الذین یحادون الله
ورسوله استئناف سیق لتعلیل ما قبله من خسران حزب الشیطان عبر عنهم بالموصول للتنبیه بما فی حیز الصلة علی ان
موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحکم اولئک بما فعلوا من التولی والموادة فی الاذلین
ای فی جملة من هو اذل خلق الله من الاولین والآخرین لان ذلة احد المتخاصمین علی مقدار عزة الآخر وحیث کانت عزة الله
عز وجل غیر متناهیة کانت ذلة من یحاده کذلک کتب الله استئناف وارد لتعلیل کونهم فی الاذلین ای قضی واثبت
فی اللوح وحیث جری ذلک مجری القسم اجیب بما یجاب به فقیل لاغلبن انا ورسلی ای بالحجة والسیف او بما یجری مجراهما
ونظیره قوله تعالی ولقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقری ورسلی بفتح الیاء
ان الله قوی علی نصر انبیائه عزیز لا یغلب علیه فی مراده لا تجد قوما یؤمنون بالله والیوم الآخر الخطاب للنبی صلی الله
علیه وسلم او لکل احد وتجد اما متعد الی اثنین فقوله تعالی یوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثانی او الی واحد
فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقیل صفة اخری له ای قوما جامعین بین الایمان بالله والیوم الآخر وبین موادة اعداء الله ورسوله
والمراد بنفی الوجدان نفی الموادة علی معنی انه لا ینبغی ان یتحقق ذلک وحقه ان یمتنع ولا یوجد بحال وان جد فی طلبه کل احد
ولو کانوا ای من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنی من کما ان الافراد فیما قبله باعتبار لفظها آباءهم ای آباء الموادین
او ابناءهم او اخوانهم او عشیرتهم فان قضیة الایمان بالله تعالی ان یهجر الجمیع بالمرة والکلام فی لو قد مر علی التفصیل مرارا
اولئک اشارة الی الذین لا یوادونهم وان کانوا اقرب الناس الیهم وامسهم رحما وما فیه من معنی البعد لرفعة درجتهم
فی الفضل وهو مبتدأ خبره کتب فی قلوبهم الایمان ای اثبته فیها وفیه دلالة علی خروج العمل من مفهوم الایمان فان جزء
الثابت فی القلب ثابت فیه قطعا ولا شیء من اعمال الجوارح یثبت فیه وایدهم ای قواهم بروح منه ای من عند الله
وهو نور القلب او القرآن او النصر علی العدو وقیل الضمیر للایمان لحیاة القلوب به فمن تجریدیة وقوله تعالی ویدخلهم
بیان لآثار رحمته الاخرویة اثر بیان الطافه الدنیویة ای ویدخلهم فی الآخرة جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها
ابد الآبدین وقوله تعالی رضی الله عنهم استئناف جار مجری التعلیل لما افاض علیهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة
وقوله تعالی ورضوا عنه بیان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالی اولئک حزب الله تشریف لهم
ببیان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالی الا ان حزب الله هم المفلحون بیان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتین
والکلام فی تحلیة الجملة بفنون التاکید کما فی نظیرها عن النبی صلی الله علیه وسلم من قرأ سورة المجادلة کتب من حزب الله یوم القیمة

سورة الحشر اربع وعشرون آیة مدنیة

بسم الله الرحمن الرحیم

سبح لله ما فی السموات وما فی الارض وهو العزیز الحکیم مر ما فیه من الکلام فی صدر سورة الحدید وفی تکریر الموصول
هنا زیادة تقریر والتنبیه علی استقلال کل من الفریقین بالتسبیح روی انه صلی الله علیه وسلم لما قدم المدینة

صالح بنو النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه
وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا انه النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان
يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام
فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة
فاستمهلوه عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن
معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف
الله في قلوبهم الرعب ايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم
فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة
فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا
من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة
على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا
لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك كما في
قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما لو اشير بما قيل ذلك المنعوت بعده والجملة الذي اخرج فيه اشعار بان في الاخراج
حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة
العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة
لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة
الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع
في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم
من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن
والطمأنينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم
الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة
افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض الاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين
حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لانهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم
اياه وامروهم به والجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب
النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا
مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب وتوكلوا
على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه
الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان
انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بالجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بانهم بسبب انهم
شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال
والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه السلام وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما
نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله
شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذي حاق بهم
من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من شاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد

فاذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون ياؤها مقلوبة من واو لكسرة
ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة
كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشيء
وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله
فذلك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم
اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون
حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع
ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى
وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل وما فعل بديارهم ونخيلهم
من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع في ايديهم بغير حق
فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى عبادته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم
اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها
وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم
على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان تجري بينهم مسايفة
كما قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما خلصوه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي سنته تعالى جارية
على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق
الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة
واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه عليه السلام
من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشموله
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء قيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم
الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام
على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم
الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به
دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان اي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك وبالضم
من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصر اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة
جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف
فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى
كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اي كيلا
يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكموه من الفيء او من الامر فخذوه فانه حلال لكم او فتمسكوا
به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عليه السلام ان الله
شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى
الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده او الفيء باعتبار الفقر بغير بني النضير والتعسف ظاهر
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا
من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج

من الديار والاموال وقيد ذلك بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك عليه بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوءوا الدار والايمان كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومنشؤه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على التقدير الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت اي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت فيما مر مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا ودیارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت هذا اصح ما ورد في الآية والذين تبوءوا الدار الى آخره مستأنفة غير معطوف على الفقراء المهاجرين نعم يجوز عطفه عليه فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدقات دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون الخ استئنافا مقررا لمدحهم او حالا من ضمير تبوءوا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار بالثناء عليهم وقرئ ومن يوق بالتشديد والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كأن قيل عطف عليه من الجملتين لمدح الانصار اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رءوف رحيم اي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهب في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اي في شأنكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس ذاك لان تقدير القتال مرتقب بعده ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير

ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاونكم على عدوكم على ان وعدهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله عليه السلام حينئذ قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بتلك المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير وذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية على انها مصدر المبني للمفعول في صدورهم من الله اي ان رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يظهرون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اي اليهود والمنافقون يعني لا يقدرون على قتالكم جميعا اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وجدر بفتح الدال وسكونها وجدر وجدر وهما لغتان بأسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم وتفرق فنونه واما ما حصل من المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجزهم عن السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا اي في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبتهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهي ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهو اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما حكي عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال اني بريء منك وقرئ انا بريء منك وان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وبريء قوله يوم بدر اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتفخيم والتهويل كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقبال الانفس

المواظبة عليها فقدمت لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد والاول
في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يوذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون
اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم اي نسوا حقه تعالى فما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب امره
ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او
اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين
نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر
للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين
المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل
يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الاية الكريمة على ان المسلم
لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير
عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استيناف مبين لكيفية عدم الاستواء
بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القران العظيم المنطوي على فنون
القوارع على جبل من الجبال لرايته مع كونه علما في القسوة وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله
اي متشققا منها وقرئ متصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القران وقوة تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه
هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له
من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وافة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء العزيز
الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا
او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفات
التي لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها شيء اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ
الموجد لها بريئة من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص
تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع كثرتها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر صدق رسول الله

سورة الممتحنة ثلاث عشرة اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة
بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد
وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها
فادركوها ثم جحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا
فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا في قريش ليس لي فيهم من يحمي اهلي

فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره
تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون
اليهم اخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير
الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون
وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم
اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا
بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والالتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية
والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله
تسرون اليهم بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم
اي والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع
والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله
اي الاتخاذ منكم فقد ضل سواء السبيل فقد اخطا طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء
اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل
والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادهم قبل ان يثقفوكم ايضا
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيمة بجلب نفع
او دفع ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب
لفرار كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه
وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ويفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم
اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها في ابراهيم والذين معه اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية
لاسوة او خبر لكان ولكم للتبيين او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا
ظرف لخبر كان لقومهم انا براء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة
مبالغة وما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه
من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله
اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به
النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه
مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عليه السلام لابيه
الكافر مما لا ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهي
الاستغفار عليه السلام له وانتفائه بكونه موسى لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لان مورد النهي هو الاستغفار للكافر
بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله
وتجويز ان يكون استغفاره عليه السلام له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له قطعا وتوجيه
الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له على الاستغفار وتخصيص
العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى ساستغفر لك ربي لوروده على طريق التوكيد القسمي اجمل الاستغفار
دائر عليها وترتيب النهي على الامر قد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول

المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار فمورد الاستثناء
نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى حد ذاته من خصال الخير فانه اظهار للعجز وتفويض للامر الى الله قوله تعالى ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير الخ من تمام ما نقل عن ابرهيم عليه السلام الخ من تمام قول ابرهيم عليه السلام ومن معه
من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل فى
امورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا
بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من من
توكل عليه الحكيم الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار فهو داخل فى الايتساء بهم
من جهته تعالى وامر لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم
من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اى فى ابرهيم ومن معه اسوة حسنة
تكرير للمبالغة فى الحث على الايتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر بدل
من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الايتساء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه
وقوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم اى من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من الصلابة فى الدين
والتشدد فى معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم
حين اباح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم والله قدير اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب
القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط
منكم فى موالاتهم من قبل وما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم
اى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اى تفضوا اليهم بالقسط اى بالعدل
ان الله يحب المقسطين اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه
بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها
وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل
اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية فى موضع العداوة
او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين
اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن
فى الايمان روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت
رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع
على ما فى قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بعد
والحق من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاشبها بالامارات والمخائل وهو الظن الغالب تسمية بالعلم للايذان بانه جار مجرى
العلم فى وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح
الجديد وآتوهم ما انفقوا اى اعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءكم
ردوناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب
فقال يا محمد اردد على امراتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان فى الرجال دون
النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضى الله عنه ولا جناح

عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط اتيان المهر فى نكاحهن
ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب
اى لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها
من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات
مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا اى ولا تتمسكوا واسألوا ما انفقتم من مهور
نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم الذى ذكر حكم الله وقوله تعالى
يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع
ما تقتضيه الحكمة البالغة روى انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون
ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اى سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم
الى الكفار اى احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم او شئ من مهور ازواجكم
فعاقبتم اى فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء
اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
من مهر المهاجرة التى تزوجها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة فآتوا بدل الفائت
من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين
المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وفاطمة بنت ابى امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابى جهل وكلثوم
بنت جرول واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى يا ايها النبى اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء
على ان لا يشركن بالله شيئا اى شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
اريد به واد البنات وقرئ لا يقتلن بالتشديد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود
فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه من بين رجليها
ولا يعصينك فى معروف اى فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه
وسلم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيهن
مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اى على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر
اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها
واستغفر لهن الله زيادة على ما فى ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة
من قبلهن ان الله غفور رحيم اى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف فى كيفية مبايعته
عليه السلام لهن يومئذ فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط
عليهن البيعة وعمر يبايعهن وروى انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن
وروى انه عليه السلام بايعهن وبين يده وايديهن ثوب قطرى والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضى الله عنها والله ما اخذ رسول الله على النساء
قط الا بما امره الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما
وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية
فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم
عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة
لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور
اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم

والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا منهم ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موضع الاضمار
للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة صدق

سورة الصف اربع عشرة آية مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد
كرهوه فنزلت وحمل هذا ان الرد على ما نزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا في الاقتتال وروي انهم قالوا
يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه ان الرام ان ترتيب الآيات الكريمة على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر
قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها فيمن تمدح كاذبا
حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله
صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس مما كما
تستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما
معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها
الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل
لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه
وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس وفيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير
لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التمييز دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبير عند من يحقر دونه
كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده
وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا بما يعم له المتمدح او المنتحل او دعاوي المنافق وان مناط
التوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم
او مصفوفين وقوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل
ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله
من شناعة ترك القتال اذ نصبوا على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين
عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا
على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك
واذوه عليه السلام كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون اني
رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الاذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره
اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات الباهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم
من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي
فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن
قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة
الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق
وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق نظرا الى ما في قوله تعالى فافرق

بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه
الذوق السليم واما حمل ما مضى على بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه
في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبتهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه
مما لا يلائمه المقام وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف
على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التوراة فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي
معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول
من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني
مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان
ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات
الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا
ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء
على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق البحت انه سحر اي هو اظلم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر
غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى
الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم
بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته بنشره في الآفاق
واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة ولو كره الكافرون اي ارغاما لهم والجملة في حيز الحال هو الذي ارسل رسوله
بالهدى بالقرآن او بالمعجزات ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان
المخالفة له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف وقع جوابا
عما نشأ مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون الخ وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب
الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا او قرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر
ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة خير لكم على الاطلاق او من
اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم
اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب
للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم
يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه واخرى تحبونها اي ولكم الى هذه النعمة العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وفيه تعريض بانهم يؤثرون
العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير خبر
مبتدأ محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص
او على المصدر اي تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى آمنوا الا انه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون

وبشرهم يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا
انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه
قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره وقال لهم عيسى من
انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت
طائفة من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا
الذين امنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه صدق رسول الله

سورة الجمعة احدى عشرة اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع
بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن وقيل من بعث الكتابة
اخذوها من اهل الحيرة وهم اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم
لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة
عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعلم المترتب على التلاوة
للاشعار بان كلا من الامور المترتبة نعمة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة
واحدة كما في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان
نوع على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام
من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة واخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم
اخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم
صفة لاخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك
الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله يؤتيه من يشاء
يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الاخرة مثل الذين
حملوا التورية اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الايات التي من جملتها الايات
الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل
اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني
بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر
مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا على ان مثل القوم فاعل
بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم
محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي
القوم الظالمين الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين
هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويزعمون
ان الدار الاخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم
اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة

ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان
من ايقن انه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون
منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما دل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة
لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افعاله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة
والله عليم بالظالمين اي بهم واثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون
من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد
كما ينبئ عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام
لو تمنوا الموت لشرق كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا
بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ
بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون
من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اي فعل النداء لها اي اذن لها من يوم الجمعة
بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع
الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم
يجمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود
ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل
الله اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل
قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته
صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى
ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اي اديت وفرغ منها فانتشروا
في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم
يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع
واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام
والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون
فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل
والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان
مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه
فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو
ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا
الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين احدى عشرة اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان
شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض

مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينهما قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب
من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه اماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اى والله يشهد
انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم
اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكى عنهم جنة اى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها
جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد
ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اى فصدوا من اراد الدخول
في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم
على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اى ما اظهروه على لسانهم فاتخاذه جنة عبارة وقرئ عما انهم عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون
دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء
ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول
الناعي عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان الفاجرة وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر بانهم اى بسبب انهم آمنوا اى نطقوا بكلمة
الشهادة كسائر من دخل في الاسلام ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان
عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل
وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها
ورونق منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي
جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم
ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب
في حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين
فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدنة وبدن او جمع
خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها اي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون
كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اى هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر
الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء
في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم
ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك قوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق
الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤوسهم اى عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا قد اصروا
على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان
الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد
اياهم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى
هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف
جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرة الله لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا

ازوادهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض
الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله عنه نازع سنانا
الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين
ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم
فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال
لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اى
لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات
المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك
اى التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اى الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا
مما رزقناكم اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت
بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر
فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اى هلا امهلتني الى اجل قريب اى امد قصير فاصدق بالنصب على جواب
التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ
واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع اى وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اى لن
يمهلها اذا جاء اجلها اى آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم
عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق صدق رسول الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن ثماني عشرة آية مكية

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها
مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول النعم وفروعها
واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يديه وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته
المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم
كافر اى فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له
حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم
فما فعلتم ذلك مع تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على ان فمنكم
كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحاكيه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير
فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق
بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى
والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة
خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا

او اشتراكا فاحسنوا شكرها باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقت له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية
والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح
به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا
فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة وتقديم تقرير القدرة
على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم
ايها الكفرة نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا
والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين
كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك
اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة بانه بسبب ان الشان كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم
الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل
في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله
اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين
فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزه والمراد بالموصول كفار مكة
اي زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اي تبعثون وقوله تعالى
وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما افاده
كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر اخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث
والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فامنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة
بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا
وهو القران فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال
والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال
به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه
من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه
الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث
ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة
وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه
لانطوائه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين
فيها وبئس المصير اي النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية
الا باذن الله اي بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه
عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف

ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ
قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن
ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر لتأكيد الايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية
وتوضيح مورد التولي في قوله فان توليتم اي عن طاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل
للجواب المحذوف اي فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة
في مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي
الله لا اله الا هو جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا مثل الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة
معروف وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة
في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله تعالى او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا
فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمأمور به على الاول
الحذر عن الكل وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتماله على العدو وان تعفوا
عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير
وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين
ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك
وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين
تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير
فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعكم في الاثم من حيث لا تحتسبون
والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم
اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي
امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تأكيد للحث
على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او
خبرا لكان مقدرا جوابا للامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام
ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم
بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور
يعطي الجزيل مقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية
العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي عليه السلام من قرا سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة صدق رسول

سورة الطلاق اثنتا عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عليه السلام
واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم
فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق بشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما
في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم كذا ان المرأة اذا طلقت
في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقهن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن
وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل
العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن حتى

عند الفراق وقيل ان يقضي عدتهن واخشوا فيما اليمين وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن
ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الانتقال
جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل
الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج
ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة بان
اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر بها
وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون
الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر
دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس
منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي
عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك
بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه
برجعة او استئناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة
وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل
منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي رحمه الله انه للوجوب
في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة
او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الخ
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد
وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب
ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج
فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد
يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك
الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله
واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بالغ بالتنوين
بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان
او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا
اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون
الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم لقدره والتوكل على الله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة
وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي
فعدتهن كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات
او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا

لتراخي نزوله عن ذلك لما اشتهر من قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت
بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شأن احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له
من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع لما فصح عنه قوله تعالى امر الله
انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان
يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا
بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى
كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم
اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا
عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن
من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لها فان ارضعن لكم بعد ذلك فآتوهن اجورهن على الارضاع
وأتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام
معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اي كثير من اهل قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله
بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا
اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان
لكونه مترقبا كأنه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم
واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا
لقوله تعالى كأين الذين آمنوا منصوب بمضمر اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت او بدل منه وفي فصل عنه فضل تحلية له
بحلية قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى
رسولا منه او لانه مذكور في السموات في الامم او اريد بذلك الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه
في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى
الله عليه وسلم وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح
او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدال منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر
المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات
حال منها اي حال كونها مبينات اي مبينا الله لقوله قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله
اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وجل ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات
الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما
ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق

التداخل وإفراد ضمير له تقدم وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدأ وخبر ومن الأرض مثلهن أي خلق من الأرض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الأرض خبره
واختلف في كيفية طبقات الأرض قال الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة
كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات
قال القرطبي والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من أن كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى أن صهيبا
حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع
وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر
أهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن
قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا دون من عداهم وإن كان فيهم من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم
السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثاني
أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها سبع أرضين
متفرقة بالبحار ويظل الجميع السماء يتنزل الأمر بينهن أي يجري أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء
وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر لتعلموا
أن الله على كل شيء قدير متعلق بخلق أو يتنزل أو بمضمر يعمهما أي فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء
وأن الله قد أحاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل في اللام
بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أي أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الأمور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب
المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء أصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في بيت عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها
اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل
خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فإنها صوامة
قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة وروي أنه عليه السلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا
نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين
أو من العسل تبتغي مرضات أزواجك تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف لما دعاه إليه يؤذن بعدم صلاحيته
لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك وإنما عاتبك محاماة على
قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والمراد بالأول هو
منها والله مولاكم سيدكم ومتولي أموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في أفعاله وأحكامه
فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما تقتضيه الحكمة وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه وهي حفصة حديثا أي حديث تحريم مارية
أو العسل أو أمر الخلافة فلما نبأت به أي أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته إليها وقرئ أنبأت وأظهره الله عليه
أي أطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على إفشاء حفصة عرف أي النبي عليه السلام بعضه بعض الحديث الذي أفشته
قيل هو حديث الإمامة روي أنه عليه السلام قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص
الله تعالى بها أباها وأعرض عن بعض أي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به أي أخبر النبي عليه السلام
حفصة بما عرفه من الحديث قالت من أنبأك هذا أي إفشاء الحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية
إن تتوبا إلى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كأنه
أقيم مقام الجزاء حتى أي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وإن تظاهرا عليه بإسقاط إحدى التاءين وقرئ على الأصل وتظاهرا بالتشديد
الإدغام وتظهرا أي تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
أي فلن يعدم من يظاهره فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه قال ابن عباس
رضي الله عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وقد روي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة
ومقاتل ولعل توسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام لأنه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وإن جبريل ظهير له
عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرتهما
أشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لأمرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر
عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل أي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين ظهير أي
فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما في حيثه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم
على نصرة غيرهم من حيث إن نصرة الكل نصرة الله تعالى وإن نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الأنسب
أن يحمل ذلك إشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ليكون بيانا لبعدية مظاهرة الملائكة عن مظاهرتهم لما في الترتيب الذكري
من فضيلة المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام إيذانا بعلو رتبة مظاهرتهم
وبعد منزلتها وجبرا لفضلها على مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أي يعطيه عليه السلام بدلكن
أزواجا خيرا منكن على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه السلام لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن
فإن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ أن يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات قانتات مصليات أو مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات
متعبدات أو متذللات لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لأنه يسيح في النهار بلا زاد
أو مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وأبكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي
وفعل الطاعات وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن النفس الكل
على تغليب المخاطبين أي قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم نارا وقودها الناس والحجارة أي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب أمر المؤمنين
بمحافظة أنفسهم عن النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة أي تلي أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية
غلاظ شداد غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة لا يعصون الله
ما أمرهم أي أمره على أنه بدل اشتمال من الله أو فيما أمرهم به على نزع الخافض أي لا يمتنعون من قبول الأمر والتزامه ويفعلون
ما يؤمرون أي يؤدونه ويأتون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول مضمر في
محل نصب على الحال أي يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا به إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا
من الكفر والمعاصي بعدما نهيتم عنها أشد النهي وأمرتم بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا
أي بالغة في النصح وصف التوبة بذلك على الإسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا
بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون
في قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلا وعن علي رضي الله عنه أن التوبة يجمعها ستة أشياء
على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك
في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز
بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح
إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل
بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فإن النصح والنصوح كالشكر والشكور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا
أو توبوا نصح أنفسكم على أنه مفعول له عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ورود صيغة

للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة
العبادة يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى
من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم اى على الصراط وهو على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون وهو على الثانى خبر آخر للموصول
اى يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى
مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط
وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم سيرون فيها
عذابا غليظا وبئس المصير اى جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل فى امثال هذه المواقع عبارة
عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على ان مثلا مفعول
ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأت نوح وامرأت لوط اى حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح
وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير
والصلاح اى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى فخانتاهما
بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى اى فخانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء
الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا بيان
لما ادى اليه خيانتهما اى فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل
لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء
وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا
تحت اعدى اعداء الله وهى فى اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اى ضرب مثلا للمؤمنين حالها
اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى اعلى درجات المقربين روى انها لما قالت ذلك اريت
بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها ونجنى من فرعون وعمله اى من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجنى من القوم الظالمين
من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأت فرعون تسلية للارامل اى ضرب مثلا للذين آمنوا
حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التى احصنت فرجها فنفخنا فيه
وقرئ فيها اى مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه
وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اى من عداد
المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها
من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم
ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا صدق رسول الله تعالى

سورة الملك وهى ثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذى بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل
على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان
ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه من الصيغ كالتكبر ونحوه انما نسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته
من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث
متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وابانتها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ

فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة
والاستيلاء الكامل اى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور
وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ فى القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة
مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذى خلق الموت والحيوة شروع
فى تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول
بدل من الموصول الاول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما من انه تعالى خلق الموت فى صورة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحيوة
فى صورة فرس انثى بلقاء لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ
تقديره او ازالة الحيوة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارئ وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاءهما لملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية
وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اى خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف
ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص
بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله
فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة
عز وجل الواجبة على العباد آثر ذى اثير وانما طريقها النظر والتفكر فى بدائع صنع الله تعالى والتدبر فى آياته المنصوبة فى الانفس
والآفاق وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض
قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل
الارض وتعليق فعل البلوى اى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه
بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة
التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان
المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة فى الباقين ايضا لكمال تعاضد
الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية لافعال الله تعالى وانما هو عمل
يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقائضهما ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذى لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذى
خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين
معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما فصل فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما فى سلك الشهادة
بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثانى فى كونه مدارا للبلوى كما ينطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اى مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها
وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اى طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت
صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة
وتفضلا وبان فى ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفى
اى ما ترى فيه شيئا من تفاوت اى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت بعض ما فى الآخر وقرئ
من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت
فى خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق
يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك

اى رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اى بعيدا محروما من اصابة ما التمس من العيب والخلل كانه يطرد
عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء
بيان لكون السموات على غاية حسن البهاء اثر بيان خلوها عن شائبة العيوب وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله
لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت اى كائنة
كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار في فهمه الافكار
وطراز فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض
الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام
والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير
اى جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفة فلما قدم
صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير في
وهي تفور اى والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها ممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير
وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اى تتميز وتتفرق من الغيظ اى من شدة الغضب عليهم فانه صريح في ان ما ذكر من آثار الغضب
عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان هو من شهيقهم الناشي من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال
تقدر او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اى
القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم ياتكم نذير
يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر وهو يعرب عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح
عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم
من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اى قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا
نذير اى واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا
ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل
الله من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اى ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات
تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله
مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد
مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم لاندراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط
بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام اين هم من ذلك وقد حال الجريض دون
هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذر اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام
اى اهل نذير او منعوت به مبالغة كلا والخطاب في الجملة من غير تجوز على الوجوه الثلاثة على التقدير الاول لم يحتج الى اعتبار
بالتقدير الآخر فقد اشتبه عليه الشئون واختلط الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة
القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسمه وان يكون من كلام الرسل
للكفرة وقد حكوه للخزنة قائل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع
او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اى في عدادهم ومن جملتهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا
فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل
متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قوله فيعدك اعطاء اى فاسحقهم الله اى ابعدهم من رحمته سحقا اى اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك

الفعل اى فسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال
الا مسحتا او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى
لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين
يخشون ربهم بالغيب اى يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه
كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله
عليه وسلم فيوحى اليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم
السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى
بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء
في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى ولان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب
يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله
وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل
انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه
وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله
تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اى الا يعلم ذلك من خلق والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه
وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم
عن المفعول اجراء له مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الكلام حينئذ عن الافادة لان نظم
الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو متابع العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم
على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل
على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا
في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اى فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير
ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل
وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه
أأمنتم من في السماء اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب
حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اى أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها
لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل
اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اى من ان يخسف فاذا هي تمور اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه
من الذل والاطمئنان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اى بل أأمنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع
الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اى انذاري عند مشاهدتكم
للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم
السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اى انكاري عليهم بانزال العذاب
اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله عليه السلام
وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به

على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض
على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان براهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهواء
والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن انه بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى
ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وهنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام
منقطعة بل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرته عز وجل الى التبكيت
بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته
صفة كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وايثار هذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه
الاول اما حال من فاعل ينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن
او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا
مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه
من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا في غرور
عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم
وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك
اي الله عز وجل رزقه بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر في تفصيله وقوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور ينبئ عن مقدر
يستدعيه المقام كانه قيل اثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا اي تمادوا في عتو اي عناد واستكبار
وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا
لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم
في مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد بالكلية فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو
المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا والمكب الساقط على وجهه يقال اكب خر على وجهه في كل خطوة لتوعر
طريقه واختلاف اجزائه اهدى الى المقصد الذي يؤمه امن يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوي
الاجزاء لا عوج ولا انحراف وقيل خبر من الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى
وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم
انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها
الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية
الشاهدة وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا
اما نعت لمصدر محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم
في الارض اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا امركم على ذلك
ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين
يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط
محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع
عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف
الانذار والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد اتاهم الموعود
فرأوه فلما رأوه الخ كما حقق في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الآية الا ان المقدر هناك امر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وهنا

امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول رأوه اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب
او على انه مصدر بمعنى الفاعل مبالغة او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة وعلتها
القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذي
كنتم به تدعون اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون
ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وهذا قد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارأيتم اي اخبروني
ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ومن معي من المؤمنين
او رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا يجيركم منه
احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم
الى عبادته مولى النعم كلها آمنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا
لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم
وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارأيتم اي اخبروني ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله
الدلاء وهو مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما
احيى ليلة القدر

سورة ن اثنتان وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع
الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف
والتأنيث على انه علم للسورة وان جعل اسما للحروف مسرودا على نمط التعديد للتحدي على احد الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة
منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه
واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه لما في
الناس له من كثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون
في الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطورهم
على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم
وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال
من الضمير في خبر ما والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه
من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة
مع جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي وان لك بمقابلة
مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مقطوع
كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسيط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك
شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان
خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال
ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة
امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال
مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر
كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين او بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض
بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم

بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد أي هو
أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون
الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو أعلم بالمهتدين إلى سبيله الفائزين
بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب وإعادة هو أعلم
لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم أو جميع
ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهي عن مداهنتهم
ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فإنه تعليل
للنهي أو للانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور فيدهنون أي فهم يدهنون
حينئذ أو فهم الآن يدهنون طمعا في إدهانك فهو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون حين إدهانك
لكن تسببهم بالإدهان على أن إدهانهم أمر محقق لا يناسب إدخاله تحت التمني وإنما كان المتمنى حقيقة الإدهان الذي
هو إظهار الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه عليه السلام فالمعتبر نسبته إلى وداده هو مواطأة الكلام فقط وإظهار خلاف ما في الضمير
ليس مما يمكن أن يكون من أمانيهم وإنما اعتبرناه لأنه عليه السلام لا يكون في بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني المفهوم من ودوا أو أنه بعد
حكاية لو داهنهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع
مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أي ودوا إدهانك لو تدهن فيدهنون
لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة
لكونه أدخل في الزجر مهين حقير الرأي والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم
على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنميمة السعاية مناع للخير أي بخيل أو مناع للناس من الخير الذي هو الإيمان والطاعة والإنفاق
معتد متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد
من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وقوله تعالى بعد ذلك للدلالة على أن
أشد معايبه أقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فإنه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده
وقيل هو الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة أن كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع أي لا تطع
من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين استئناف جار مجرى التعليل للنهي
وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا
بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ
أأن كان على معنى ألأن كان ذا مال كذب بها أو أتطيعه لأن كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف
شارطا يساره لأن إطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على أكرم مواضعه لغاية
إذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة
إنا بلوناهم أي أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من أهل الصلاة كانت
لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم
ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان
يجتمع لهم شيء كثير فلما مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى إذ أقسموا
ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون أي لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث إن
مؤداه مؤدى الاستثناء فإن قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يفعله أبوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها أي على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته
وهم نائمون غافلون عما جرى في المقادير فأصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى

مفعول وقيل كالليل أي احترقت فاسودت وقيل كالنهار أي يبست وابيضت سميا بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم
الرمل فتنادوا أي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح أن اغدوا أي اغدوا على أن مفسرة
أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أي اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الإقبال
أو الاستيلاء إن كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة
وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أي الجنة اليوم عليكم مسكين أن مفسرة لما في التخافت
من معنى القول وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا
وغدوا على حرد قادرين أي على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا
أن ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا
حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها
أي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ بذلك أي لم يقدروا إلا على حنق
بعضهم لبعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أي غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها
وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا في بديهة رؤيتهم إنا لضالون أي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعدما
تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا
قال أوسطهم أي رأيا أو سنا ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان
قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه
فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم أو لأنه تنزيه له
تعالى عن أن يجري في ملكه ما لا يشاؤه فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أي يلوم بعضهم بعضا فإن منهم من أشار بذلك ومنهم
من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا أن يبدلنا
وقرئ بالتشديد أي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير
وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمينها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروي أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع
أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا إليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة
المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف
الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد اليماني رأيت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها
كالرجل الأسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أو من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن قول أصحاب
الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم
والأكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري كذلك العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والألف واللام
للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر أعظم وأشد لو كانوا يعلمون أنه
أكبر لاحترزوا عما يؤديهم إليه إن للمتقين أي من الكفر والمعاصي عند ربهم أي في الآخرة أو في جوار القدس جنات النعيم
جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى أفنجعل
المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين
فيها فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا
ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين
كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وإيذانا بأنه
لا يصدر عن عاقل أم لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون أي تقرؤون إن لكم فيه لما تخيرون أي تختارونه وتشتهونه
وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما في قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام

على وجه في العاجل وتخير الشيء واختاره أخذ خيره أم لكم أيمان علينا أي عهود مؤكدة بالأيمان بالغة متناهية
في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين إلى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم إلى يوم القيامة
لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين
إن لكم لما تحكمون جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم مبكتا لهم أيهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم أي قائم
بتصحيحه أم لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في دعواهم إذ لا أقل
من التقليد وقد نبه في هذه الآية الكريمة على أن ليس لهم شيء يتوهم أن يتشبثوا به أصلا التعليل الذي لا يبلغ من تشبث به ولا مسلك المعنى
أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة يوم يكشف عن ساق أي يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل
في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الإنسان أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير
عيانا وتنكيره للتهويل أو للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء
المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر إذا دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أي اذكر يوم أو مؤخر أي يوم يكشف عن ساق
يكون من الأهوال وعظائم الأحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون إلى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم إياه في الدنيا وتحسيرا لهم
على تفريطهم في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدونه فلا يتأتى منهم كما عن ابن مسعود
رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث تبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة
خاشعة أبصارهم حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها
ترهقهم تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا والإظهار في موضع الإضمار لزيادة
التقرير أو لأن المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه أقوى تمكن أي
فلا يجيبون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث أي كله إلي فإني أكفيكه
أي حسبك في الإيقاع به والانتقام منه أن تكل أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء
لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام
منه وقوله تعالى سنستدرجهم استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالا والضمير لمن
باعتبار معناه كما أن الإفراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد
النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يزعمون أنه إيثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم
وأملي لهم وأمهلهم ليزدادوا إثما وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم إن كيدي متين لا يوقف عليه لا يدفع بشيء وتسميته ذلك
كيدا لكونه في صورة الكيد أم تسألهم على الإبلاغ والإرشاد أجرا دنيويا فهم لأجل ذلك من مغرم أي غرامة
مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك أم عندهم الغيب أي اللوح أو المغيبات فهم يكتبون منه
ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت أي يونس
عليه السلام إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء
فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذ منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه أي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر
والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا أن تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهي توفيقه للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ
تداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالأرض الخالية من الأشجار
وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لأنها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الأولى
والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر
أي فتداركه نعمة من ربه فاجتباه بأن رد إليه الوحي وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون وقيل استنبأه إن صح أنه لم يكن نبيا قبل

هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روي أنها نزلت بأحد
حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف وإن يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه وليزهقونك وإن هي المخففة واللام دليلها
والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر إلي نظرا يكاد يصرعني
أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن
دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر أي وقت سماعهم القرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد
بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في أمره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع
العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة في أحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه إنه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه
عليه السلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل وما هو إلا ذكر للعالمين على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية
بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراءتهم على تفوه تلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أي تذكير وبيان لجميع
ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف
وفضل لقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة وهي خمسون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة أي الساعة أو الحالة الثابتة أو الواقعة الواجبة المجيء لا محالة أو التي تحق فيها الأمور الحقة من الحساب والثواب والعقاب أو التي
تحق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة من حقه إذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الأمور أو لمن فيها من أولي العلم
وأياما كان فحذف الموصوف للإيذان بكمال ظهور اتصافها بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء وخبرها
ما الحاقة على أن ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والأصل ما هي أي أي شيء هي فما ذكروه في إعراب مثل هذه الجملة
ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن الحاقة
أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان أن أمرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى
وما أدراك أي وأي شيء أعلمك ما الحاقة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات
على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك
وأعظم فلا يتسنى الإعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ هنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه
الذي عرفته محلها النصب على إسقاط الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت
جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ أعني الحاقة
مؤكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة أي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الأفزاع والأهوال والسماء بالانشقاق
والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها
تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لإعلام بعض أحوال الحاقة له عليه السلام إثر تقرير أنه مما لا يدريه أحد كما في قوله
تعالى وما أدراك ما هيه نار حامية ونظائره على أن المبين هناك نفس المسؤول عنه وههنا حال من أحوالها كما في قوله تعالى وما أدراك
ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر فإن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا
هي عظم شأنها وكونها بحيث يحق إهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا فأما ثمود
فأهلكوا بالطاغية أي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة أو الرجفة وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت لها صرصرة
أو شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا
على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم إلخ استئناف جيء به لبيان كيفية إهلاكهم بالريح أي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة

سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات
حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله
المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا
لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر
والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا حينئذ فيها اي في مهابها او في الليالي
والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية
اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله
اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة
او الافعال ذات الخطأ التي من جملتها تكذيب البعث والقيمة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهاهم عما كانوا
يتعاطونه من القبائح فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء
اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام
التي من جملتها احوال القيمة حملناكم اي في اصلاب آبائكم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق
الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم
فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وانما السفينة سبب صوري
لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك
والايعاء ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية اي اذن من شانها ان تحفظ
ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم
الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان
عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد
القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة
حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم
اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اي قامت القيمة
وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي اي السماء يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اي الجنس
المعروف بالملك على ارجائها اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون الى اكنافها وحافاتها
ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم
هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة
والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر
وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم
اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر
وقيل تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال
والا فشؤونه سبحانه تعالى اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اي تحاسبون شبه ذلك بعرض السلطان
العسكر لتعرف احوالهم روي ان في يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة
ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع

فيه النفخة والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال
من مفعول تعرضون اي تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة
في العدل او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل
لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات اجودها هاء يا رجل وهاء
يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين
ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف
وتسقط في الوصل واستحب اثباتها لثباتها في الامام اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار
بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية
ذات رضا على النسبة بالصيغة كلابن وتامر او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب
دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف
وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى
هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم مقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية
في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتي كتابه بشماله وراى ما فيه من قبائح
الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت
القاضية اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي ليت
هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اي ليت الحيوة الدنيا
كانت الموتة لم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اي
اي غنى اغنى ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا
او تسلطي على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها في العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه
اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لكونه يتعظم على الناس
ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق
لا يستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية
وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستئناف التحقيقي ووصفه تعالى بالعظيم
للايذان بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه
او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب
فليس له اليوم هاهنا حميم اي قريب يدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ المقابل
للصواب دون الخطأ المقابل للعمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ الخاطون بطرحها
وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي اقسم على ان لا مزيدة للتأكيد
واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون
كما في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق
والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اي القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول
عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون

ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تزعمون تارة اخرى قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا
تذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا تذكرون اصلا وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية
لعلهما لان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته لها فانها تتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم
ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم و... ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما
تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف
والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه
الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف
ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم ايها الناس من احد عنه
عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اي القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون
وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وانه لحق
اليقين الذي لا يحوم حوله ريب فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا
على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا صدق رسول الله

سورة السائل اربع واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء
وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه
قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته
وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش ... او من السيلان ويؤيده
انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر
قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الآخرة فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة
لواقع او متعلق بسال اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالصلة او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة للعذاب او استئناف من الله تعالى متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته
ذي المعارج ذي المصاعد وهي السموات التي تصعد الملائكة بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة
والروح اي جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه
الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها
من حيث الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح
الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك
وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة
او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلاة
مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي
وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل ومعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارف
الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه على جهة الامحالة
فلذلك سالوا به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان

والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه
واقع او بمضمر مؤخر اي يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع
هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسالونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون
متى هذا الوعد ونحوهما او هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما
في قوله تعالى فاسال به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا
جميلا مترتب عليه وقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما دل
عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته
الريح ولا يسال حميم حميما اي لا يسال قريب عن شان قريبه ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول
اي لا يطلب حميم من حميمه ولا يسال منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم
بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضمير لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم
والجملة استئناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به
يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها
ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث
يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن
وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي
تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ومن ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود
لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات
كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم يترجم عنه
الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال مؤكدة
والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة
ولظى مبتدا ونزاعة خبره تدعوا اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان
فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى
اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل عن الدين وزهي باقتنائه حرصا وتاميلا ان الانسان
خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر
اي الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع
والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها والاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا
الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لمباينتهم عن الاستغراق في طاعة
الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة التي
من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق
معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة
للسائل للذي يساله والمحروم الذي لا يساله فيظن انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم
يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم
من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استحقارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل
كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض

بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكة
فاولئك المبتغون هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء
من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقيمونها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات
لابانة فضلها وقرئ لاماناتهم بشهاداتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلاتهم يحافظون اي يراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر
الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام
حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو منزلتهم وبعد درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره في جنات اي مستقرون
في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها مكرمون خبر آخر او هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال
من الضمير في الخبر اي مكرمون كائنين في جنات فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك
مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين اي فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزي الى غير من
تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزئون بكلامه عليه السلام ويقولون
ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع
لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى
أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان
يتبوأ منازل الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة
مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها والاقرب ان الكل من التعمق والاوجه كلام مستأنف
قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما
نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى حجة بينة
على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما
ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة
حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية
على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث
بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين كأنهم الى نصب
وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة
ابصارهم وصف لابصارهم بالخشوع مع ان وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك
الذي ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نوح تسع وعشرون آية مكية

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل
فان حذفه مع ان وان مطرد وجعل صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر

وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل
وهي لا يوصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك حيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة
الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل ارسلناه
بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون ان مفسرة لما في الارسال من معنى القول
فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان
على ارادة القول من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عاجل او آجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كأنه قيل فماذا فعل عليه السلام بالوجه المذكور فقيل قال لهم يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح
لحقيقة الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي
بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى
لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان
والطاعة صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدره لكم على تقدير بقائكم
على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه ويتحقق شرط التأخير الى الاجل
المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت حتما وحمله
على الاجل الاطول يأباه المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون
المنفي عند مجيئه الاجل سوى ان خيرا او عدم وكيف يتصور ان يكون ما فرض علته هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون
شيئا لسارعتم الى ما امركم به قال اي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل
والقال في تلك المدة الطويلة بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب اني
دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا عما دعوتهم اليه
واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم اي بسببه جعلوا
اصابعهم في آذانهم اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا ان تغشاهم
ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار
على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا من اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني
اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار
اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم
جاهرتهم او صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة
عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا
بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من المنافع
العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله
الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما
في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم
على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع
حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له
وقد خلقكم اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا
ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام

مع العلم بها حالا لا يكاد يحيد عن العمل بها او يؤخر وقيل الرجاء بمعنى الامل اى ما لكم لا تأملون لله تعالى توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون
على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقّر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه الجزالة اذ ليس
فان الذي يحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم
رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف ما لا يخفى وبيان
للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من تتمة معناه لا يخفى فاى نكتة في بيانه والتقييد يقتضى ان يكون الوقار صادرا عنه تعالى والوقار وصفا له تعالى
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اى اى عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم
لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم ارج
اى لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى متطابقا بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اى منورا
لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل او لان كل واحدة منها
شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل
ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر
بهذه المثابة انما هو نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اى انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون
من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لنبتم المقدر اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا
ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما
في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين جعل ومفعوله مع ان حقه التأخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول
من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة فيتمكن عندها
فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين جبلين ومن متعلقة بما قبلها
لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول
العهد بحكاية مناجاته اى قال مناجيا له تعالى رب انهم عصوني اى تمادوا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك
سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد
لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من
والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها مكرا كبارا اى كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وبالتثقيل ابلغ
من الكل وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اى لا تتركوا عبادتها
على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر
مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم فلما ماتوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم
صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل
وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا
للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اى الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا
من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب
انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم والمطلوب هو
الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتي من دعائه

عليه السلام مما خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرها زائدة
جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم
اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك
انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه
لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله
انصارا اى لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم
وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ
اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا
لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق
على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لأخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء
المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اى احد وهو فيعال من الدور او من الدار
اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا
عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار
مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه
بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ
وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اى
منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام
بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء
اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا
لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارائة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم
من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك
فقال علم الله برائتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان
باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان
من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام الحمد لله على الاتمام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن ثمان وعشرون آية مكية

قل اوحي الي وقرئ وحي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن
في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشأن استمع اى القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد
حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم
النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة
على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها
فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا
قرآنا كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة
يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اى بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به
ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرية بان في احد عشر
موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى ارتفع عظمته

من جد فلان فی عینی ای عظم تمکنه اوسلطانه او غناه علی انه مستعار من الجد الذی هو البخت والمعنی
وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او سلطانه او لغناه وقرئ بالکسر وکذا الجمل المذکورة عطفا
علی المحکی بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج کلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتیة تحت الایمان والتصدیق
کما تقتضیه العطف علی محل الجار والمجرور ففیه اشکال کما سخیط به خبرا وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بیان
لحکمه تعالی جده وقرئ جدا ربنا علی التمییز وجد ربنا بالکسر ای صدق ربوبیته وحق الهیته عن اتخاذ الصاحبة
والولد وذلک انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحید والایمان تنبهوا للخطاء فیما اعتقده کفرة الجن من تشبیهه
بخلقه فی اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالی عنه وانه کان یقول سفیهنا ای ابلیس او مردة الجن
علی الله شططا ای قولا ذا شطط ای بعد عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط فی نفسه لفرط بعده عن الحق
وهو نسبة الصاحبة والولد الیه تعالی وتعلق الایمان والتصدیق بهذا القول لیس باعتبار نفسه فانهم کانوا عالمین
بقول سفهائهم من قبل بل باعتبار کونه شططا کانه قیل وصدقنا ان ما کان یقوله سفیهنا فی حقه تعالی
کان شططا واما تعلقها بقوله تعالی وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن علی الله کذبا فغیر ظاهر وهو اعتذار منهم
عن تقلیدهم سفیههم ای کنا نظن انه لن یکذب علی الله تعالی احد ابدا ولذلک اتبعنا قوله وکذبا مصدر مؤکد
لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف ای قولا کذبا ای مکذوبا فیه وقرئ لن تقول
بحذف احدی التائین فکذبا مصدر مؤکد له لان الکذب هو التقول وانه کان رجال من الانس یعوذون
برجال من الجن کان الرجل من العرب اذا امسی فی واد قفر وخاف علی نفسه یقول اعوذ بسید هذا الوادی
من سفهاء قومه یرید الجن وکبیرهم فاذا سمعوا بذلک استکبروا وقالوا سدنا الانس والجن فذلک قوله تعالی
فزادوهم ای زاد الرجال العائذون الجن رهقا ای تکبرا وعتوا او فزاد الجن العائذین غیا بان اضلوهم
حتی استعاذوا بهم وانهم ظنوا ای الانس کما ظننتم ایها الجن علی انه کلام بعضهم لبعض ان لن یبعث الله
احدا وقیل المعنی ان الجن ظنوا کما ظننتم ایها الکفرة الخ فیکون هذه الآیة وما قبلها من جملة الکلام الموحی به
والاقرب انها کذلک علی کل تقدیر عطفا علی انه استمع اذ لا معنی لادراجها تحت ما ذکر من الایمان والتصدیق
وکذا قوله تعالی وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا ینبغی ان تکون معطوفة علی ذلک علی انها
الموحی به من عبارة الجن بطریق الحکایة کانه قیل قل اوحی الی کیت وکیت وهذه العبارة ای طلبنا بلوغ السماء
او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب کالجس یقال لمسه والتمسه وتلمسه کطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها
ملئت حرسا ای حراسا اسم جمع کخدم مفرد اللفظ ولذلک قیل شدیدا قویا وهم الملائکة یمنعونهم عنها وشهبا
جمع شهاب وهی الشعلة المقتبسة من نار الکواکب وانا کنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع
خالیة عن الحرس والشهب صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد ای لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد
ای مقاعد کائنة للسمع فمن یستمع الآن فی مقعد من المقاعد یجد له شهابا رصدا ای شهابا راصدا له ولاجله
یصده عن الاستماع بالرجم او ذوی شهاب راصدین له علی انه اسم مفرد فی معنی الجمع کالحرس قیل حدث هذا
عند مبعث النبی صلی الله علیه وسلم والصحیح انه کان قبل البعث ایضا لکنه کثر الرجم بعد البعثة وزاد زیادة
حتی تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالی باهل الارض وذلک
قولهم وانا لا ندری اشر ارید بمن فی الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا ای خیرا ونسبة الخیر
الی الله تعالی دون الشر من الآداب الشریفة القرآنیة کما فی قوله تعالی واذا مرضت فهو یشفین ونظایره
وانا منا الصالحون ای الموصوفون بصلاح الحال فی شان انفسهم وفی معاملتهم مع غیرهم المائلون الی الخیر
والصلاح حسبما تقتضیه الفطرة السلیمة لا الی الشر والفساد کما هو مقتضی النفوس الشریرة ومنا دون ذلک
ای قوم دون ذلک فحذف الموصوف وهم المقتصدون فی صلاح الحال علی الوجه المذکور لا فی الایمان

والتقوی کما توهم فان هذا بیان لحالهم قبل استماع القرآن کما یعرب عنه قوله تعالی کنا طرائق قددا واما
حالهم بعد استماعه فسیحکی بقوله تعالی وانا لما سمعنا الهدی الی قوله تعالی وانا منا المسلمون ای کنا قبل ذلک
ذوی طرائق ای مذاهب او مثل طرائق فی اختلاف الاحوال او کانت طرائقنا طرائق قددا ای متفرقة مختلفة
جمع قدة من قد کالقطعة من قطع وانا ظننا ای علمنا الآن ان لن نعجز الله ای ان الشان لن نعجز الله
کائنین فی الارض اینما کنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربین منها الی السماء او لن نعجزه فی الارض
ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدی ای القرآن الذی هو الهدی بعینه
آمنا به من غیر تلعثم وتردد فمن یؤمن بربه وبما انزله فلا یخاف فهو لا یخاف بخسا ای نقصا فی الجزاء
ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم یبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا یخاف
جزاءهما وفیه نجاة المؤمنین واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طریق
الحق الذی هو الایمان والطاعة فمن اسلم فاولئک اشارة الی من اسلم والجمع باعتبار المعنی تحروا
توخوا رشدا عظیما یبلغهم الی دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فکانوا
لجهنم حطبا توقد بهم کما توقد بکفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقیلة والجملة معطوفة
قطعا علی انه استمع والمعنی واوحی الی ان الشان لو استقام الجن او الانس او کلاهما علی الطریقة
التی هی ملة الاسلام لاسقیناهم ماء غدقا ای لوسعنا علیهم الرزق وتخصیص الماء الغدق وهو الکثیر
بالذکر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بین العرب وقیل لو استقام الجن علی الطریقة المثلی ای لو ثبت
ابوهم الجان علی ما کان علیه من عبادة الله تعالی وطاعته ولم یستکبر عن السجود لآدم علیه السلام ولم یکفر وتبعه
ولده فی الاسلام لانعمنا علیهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فیه لنختبرهم کیف یشکرونه وقیل معناه انه لو استقام
الجن علی طریقتهم القدیمة ولم یسلموا باستماع القرآن لوسعنا علیهم الرزق استدراجا لنوقعهم فی الفتنة
ونعذبهم فی کفران النعمة ومن یعرض عن ذکر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحیه یسلکه یدخله
عذابا صعدا ای شاقا صعبا یعلو المعذب ویغلبه علی انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف
علی قوله تعالی انه استمع ای اوحی الی ان المساجد مختصة بالله تعالی وقیل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا
ای لا تعبدوا فیها مع الله احدا غیره وقیل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان کل ناحیة منه مسجد له قبلة
مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقیل الارض کلها لانها جعلت مسجدا للنبی علیه السلام وقیل مواضع السجود علی ان المراد
نهی السجود لغیر الله تعالی وقیل اعضاء السجود السبعة وقیل السجدات علی انه جمع المصدر المیمی وانه من جملة الموحی ای
واوحی الی ان الشان لما قام عبد الله ای النبی صلی الله علیه وسلم وایراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضی
لقیامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع کلامه عن نفسه یدعوه حال من فاعل قام ای یعبده
وذلک قیامه لصلوة الفجر بنخلة کما مر تفصیله فی الاحقاف کادوا ای الجن یکونون علیه لبدا
متراکمین من ازدحامهم علیه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قیاما ورکوعا
وسجودا لانهم رأوا ما لم یروا مثله وسمعوا بما لم یسمعوا بنظیره وقیل معناه لما قام علیه السلام یعبد الله وحده
مخالفا للمشرکین کاد المشرکون یزدحمون علیه متراکمین واللبد جمع لبدة وهی ما تلبد بعضه علی بعض
ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهی بمعنی اللبدة ولبدا جمع لابد کساجد وسجد ولبدا بضمتین
جمع لبود کصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن علی هذا الامر لیطفئوه فابی الله الا ان
یظهره علی من ناواه قل انما ادعو ای اعبد ربی ولا اشرک به احدا فی العبادة فلیس ذلک
ببدع ولا مستنکر یوجب التعجب او الاطباق علی عداوتی وقرئ قال علی انه حکایة لقوله علیه السلام
للمتراکمین علیه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالی قل انی لا املک لکم ضرا ولا رشدا کانه اراد

لا املك ضرًّا ولا نفعًا ولا غيًّا ولا رشدًا فذكر من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر قل اني لن يجيرني
من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من دونه ملتحدًا ملتجأً ومعدلًا وهذا بيان لعجزه عليه السلام
عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغًا من الله استثناء من قوله
لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدًا اي لن اجد من دونه
منجًى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغًا من الله
والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغًا ومن الله صفة له لا صلة اي لا املك لكم
الا تبليغًا كائنًا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له
نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار
المعنى ابدًا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف
الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون
العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرًا واقل عددًا وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم
بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدًا فانه رد لما قاله المشركون
عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارًا له واستهزاءً به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته
فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من ربي او بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى
فلا يظهر على غيبه احدًا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدًا فلا يظهر عليه احدًا وفيه من الاختلال
ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء
لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعًا كاملًا ينكشف
جلية الحال انكشافًا تامًّا موجبًا لعين اليقين احدًا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولًا ارتضاه
لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقًا تامًّا اما لكونه من
مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونها من اركانها واحكامها كعامة التكاليف
الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه
من احوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها
من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة
فلا يظهر عليه احدًا ابدًا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل
على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل
لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلًا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل
عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا
تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول
عند اظهاره على غيبه حرسًا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته
وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه
اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف
والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا
اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشأن قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف
والتخليط علمًا مستتبعًا للجزاء وهو ان يعلمه موجودًا حاصلًا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة
هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث

عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما للمرتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين
باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما
ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط بما لديهم اي بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك
باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد
على الوجه المذكور اي يسلكهم من بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من
الاحوال جميعًا واحصى كل شيء مما كان وما سيكون عددًا اي فردًا فردًا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى
وفجرنا الارض عيونًا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودًا محصورًا او مصدر بمعنى احصاء واياما كان
ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء
قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالًا
فضلًا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدًا معينًا من عقود الاعداد
كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل
من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط
بما لديهم الخ فبمعزل من السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق
محمدًا او كذب به عتق رقبة تمت السورة الشريفة

سورة المزمل تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ على الاصل
وقرئ المزمل من زمله مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل قيل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينًا لما كان عليه
من الحالة حيث كان عليه السلام متلففًا بقطيفة مستعدًا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن
فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد جئث فرقًا
اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل
فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص صفة التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه
حين غاضبت فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارًا بانه غير عاتب عليه
وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرًا عظيمًا اي حمله والزمل الحمل وازدمله اي احتمله فالغرض للوصف
حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة
قم الليل اي قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم
الميم وفتحها الا قليلًا استثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه
والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون
القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف
الظاهر او انقص منه اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى قليلًا اي نقصًا قليلًا او مقدارًا
قليلًا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام
بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلًا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولًا
فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه
واما ثانيًا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه
بدلًا من قليلًا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين
مع كونه تمحلًا ظاهرًا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلًا استثناء من النصف

والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين
ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كأنه قيل
قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول
والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف
ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي
سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة
على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مأمور بتحملها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله
لتسهيل ما كلفه عليه السلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه
لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله عنهما
كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض
من نشأ من مكانه اذا نهض وان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التي
تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ
هي اشد وطأ اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلابد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطأة
يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات
او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات
ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ
للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ
سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره
تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اي
وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام
عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية
الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه
بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر
وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم
هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى فذرني والمكذبين
اي دعني واياهم وكل امرهم الي فان في كفايتهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا
زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم
وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من
العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال
اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا
واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه
كأنه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة
رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى
عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف

النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم
ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج عن التشبيه
جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل
اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون اي كيف تقون انفسكم ان كفرتم اي
بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا
جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب
وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر به اي منشق وقرئ متفطر اي متشقق
والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها
ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء
في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او
لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين
اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل
وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر
على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب
عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشأن لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات
ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا
ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير
المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن
في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استئناف
مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة
يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا
كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا
الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة
المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبل الخيرات
او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر
وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني
مفعولي تجدوا وهو تأكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك
يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان
قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر
في الدنيا والآخرة تمت السورة الشريفة

سورة المدثر ست وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول
سورة نزلت روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله

فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني
الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر
وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرا الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها
المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان سمعوه
واذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول
من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل قم اي من مضجعك
او قم قيام عزم وتصميم فانذر اي افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واخصص ربك
بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا او قولا وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر
فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء
حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول
ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر فالبس بظاهر فانه واجب في الصلوة
واولى واحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها
يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر
من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس
الاخلاق والرجز فاهجر اي اهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الاثم وغيره وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر
والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب
من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن
الاداب والتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف وابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر
على انه من المن الذي في قوله منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان
مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدي وقد قرئ
باثباتها ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغا بالرفع ولربك اي لوجهه تعالى
او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا نقر في الناقور
اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية
كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا
ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله
الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر
اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال
من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد
يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هي التي تختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي
هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور
ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى

الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الياء
اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد
المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب
في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه او صرف له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد
او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد
النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو ما كان له بين مكة
والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة
آلاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم
لا يفارقونه للتصرف في عمل وتجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل
لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد
وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة ومهدت
له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو
استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم
ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه
الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف
التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمه مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي
ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه
بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت
واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم
يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او استحقاقه له او بيان لعناده لاياته تعالى اي فكر
ماذا يقول في شان القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض
الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله تعالى او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل
كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره
الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش
كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان
محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى
شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو
الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادي
فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى
وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس وبسر قطب وجهه لما لم يجد فيه
مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب

فی وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلی الله علیه وسلم واستکبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر یؤثر ای یروی ویتعلم والفاء للدلالة علی ان هذه الکلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غیر
تلعثم وتلبث وقوله تعالی ان هذا الا قول البشر تاکید لما قبله ولذلک اخلی عن العاطف ساصلیه سقر
بدل من سارهقه صعودا وما ادراک ما سقر ای ای شیء اعلمک ما سقر علی ان ما الاولی مبتدأ وادراک خبره
وما الثانیة خبر لانها المفیدة لما قصد افادته من التهویل والتفظیع وسقر مبتدأ ای ای شیء هی فی وصفها لما مر
مرارا من ان ما قد یطلب بها الوصف وان کان الغالب ان یطلب بها الاسم والحقیقة وقوله تعالی لا تبقی
ولا تذر بیان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنی الذی یلوح به وما ادراک ما سقر وقیل حال من سقر ولیس
بذاک ای لا تبقی شیئا یلقی فیها الا اهلکته واذا هلک لم تذره هالکا حتی یعاد او لا تبقی علی شیء ولا تدعه من الهلاک
بل کل ما یطرح فیها هالک لا محالة لواحة للبشر مغیرة لاعلی الجلد مسودة لها قبل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا
من اللیل وقیل تلوح للناس کقوله تعالی ثم لترونها عین الیقین وقرئ لواحة بالنصب علی الاختصاص للتهویل
علیها تسعة عشر ای ملکا او صنفا او صفا او نقیبا من الملائکة یلون امرها ویتسلطون علی اهلها وقرئ بسکون
عین عشر حذرا من توالی الحرکات فیما هو فی حکم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشیر مثل یمین وایمن وما
جعلنا اصحاب النار ای المدبرین لامرها القائمین بتعذیب اهلها الا ملائکة لیخالفوا جنس المعذبین
فلا یرقوا لهم ولا یستروحوا الیهم ولانهم اقوی الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالی ولشدتهم
لما روی عن النبی صلی الله علیه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلین یسوق احدهم الامة وعلی رقبته جبل فیرمی بهم
فی النار ویرمی بالجبل علیهم وروی انه لما نزل علیها تسعة عشر قال ابو جهل لقریش ایعجز کل عشرة منکم ان یبطشوا
برجل منهم فقال ابو الاشدین اسید بن کلدة الجمحی وکان شدید البطش انا اکفیکم سبعة عشر فاکفونی
انتم اثنین فنزلت ای جعلناهم رجالا من جنسکم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذین کفروا ای وما جعلنا
عددهم الا العدد الذی تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبیها علی التلازم بینهما ولیس المراد
مجرد جعل عددهم ذلک العدد المعین فی نفس الامر بل جعله فی القرآن ایضا کذلک وهو الحکم بان علیها تسعة عشر
اذ بذلک یتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولی هذا العدد القلیل تعذیب اکثر الثقلین واستهزائهم به
حسبما ذکر وعلیه یدور ما سیاتی من استیقان اهل الکتاب وازدیاد المؤمنین ایمانا قالوا المخصص لهذا العدد
ان اختلاف النفوس البشریة فی النظر والعمل بسبب القوی الحیوانیة الاثنتی عشرة والطبیعیة السبع او ان جهنم سبع
درکات ست منها لاصناف الکفرة وکل صنف یعذب بترک الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب
یناسبها وعلی کل نوع ملک او صنف او صف یتولاه وواحدة لعصاة الامة یعذبون فیها بترک العمل نوعا یناسبه
ویتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فیبقی تسعة عشر قد تصرف علی ما [illegible]
بانواع من العذاب یتولاها الزبانیة لیستیقن الذین اوتوا الکتاب متعلق بالجعل علی المعنی المذکور ای لیکتسبوا
الیقین بنبوته صلی الله علیه وسلم وصدق القرآن لما شاهدوا ما فیه موافقا لما فی کتابهم ویزداد الذین آمنوا ایمانا
ای یزداد ایمانهم کیفیة بما رأوا من تسلیم اهل الکتاب وتصدیقهم انه کذلک او کمیة بانضمام ایمانهم بذلک
الی ایمانهم بسائر ما انزل ولا یرتاب الذین اوتوا الکتاب والمؤمنون تاکید لما قبله من الاستیقان
وازدیاد الایمان ونفی لما قد یعتریه المستیقن من شبهة ما وانما لم ینظم المؤمنون فی سلک اهل الکتاب
فی نفی الارتیاب حیث لم یقل ولا یرتابوا للتنبیه علی تباین الیقینین حالا فان انتفاء الارتیاب من
اهل الکتاب مقارن لما ینافیه من الجحود ومن المؤمنین مقارن لما یقتضیه من الایمان وکم بینهما والتعبیر
عنهم باسم الفاعل بعد ذکرهم بالموصول والصلة الفعلیة المنبئة عن الحدوث للایذان بثباتهم علی الایمان
بعد ازدیاده ورسوخهم فی ذلک ولیقول الذین فی قلوبهم مرض شک او نفاق فیکون اخبارا

بالسکون فی المدینة بعد الهجرة والکافرون المصرون علی التکذیب ماذا اراد الله بهذا مثلا
ای ای شیء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقیل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
وافراد قولهم هذا بالتعلیل مع کونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فی الشناعة کذلک یضل الله
من یشاء ذلک اشارة الی ما قبله من معنی الاضلال والهدایة ومحل الکاف فی الاصل النصب علی انها
صفة لمصدر محذوف واصل التقدیر یضل الله من یشاء ویهدی من یشاء اضلالا وهدایة کائنین
مثل ما ذکر من الاضلال والهدایة فحذف المصدر واقیم وصفه مقامه ثم قدم علی الفعل لافادة القصر فصار النظم
مثل ذلک الاضلال وتلک الهدایة یضل الله من یشاء اضلاله لصرف اختیاره الی جانب الضلال عند
مشاهدته لآیات الله الناطقة بالحق ویهدی من یشاء هدایته لصرف اختیاره عند مشاهدة تلک
الآیات الی جانب الهدی لا اضلالا وهدایة ادنی منهما وما یعلم جنود ربک ای جموع خلقه التی من جملتها
الملائکة المذکورون الا هو اذ لا سبیل لاحد الی حصر الممکنات والوقوف علی حقائقها وصفاتها ولو
اجمالا فضلا عن الاطلاع علی تفاصیل احوالها من کم وکیف ونسبة وما هی ای سقر او عدة خزنتها او الآیات
الناطقة باحوالها الا ذکری للبشر الا تذکرة لهم کلا ردع لمن انکرها او انکار ونفی لان یکون لهم تذکر
والقمر واللیل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنی ادبر کقبل بمعنی اقبل ومنه قولهم صاروا کامس الدابر وقیل
هو من دبر اللیل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر ای اضاء وانکشف انها لاحدی الکبر جواب
للقسم او تعلیل لکلا والقسم معترض للتوکید والکبر جمع الکبری جعلت الف التانیث کتائها فکما جمعت
فعلة علی فعل جمعت فعلی علیها ونظیره القواصع فی جمع القاصعاء کانها جمع قاصعة ای لاحدی البلایا او
لاحدی الدواهی الکبر علی معنی ان البلایا الکبر او الدواهی الکبر کثیرة وهذه واحدة فی العظم لا نظیرة لها نذیرا
للبشر تمییز ای لاحدی الکبر انذارا او حال مما دلت علیه الجملة ای کبرت منذرة وقرئ نذیر بالرفع علی انه خبر
بعد خبر لان او لمبتدأ محذوف لمن شاء منکم ان یتقدم او یتاخر بدل من للبشر ای نذیرا للمتمکنین من ان
یسبق الی الخیر فیهدیه الله تعالی او لم یشاء ذلک فیخذله وقیل لمن شاء خبر ان یتقدم او یتاخر مبتدأ فیکون
فی معنی قوله تعالی فمن شاء فلیؤمن ومن شاء فلیکفر کل نفس بما کسبت رهینة مرهونة عند الله تعالی
بکسبها والرهینة اسم بمعنی الرهن کالشتیمة بمعنی الشتم لا صفة والا لقیل رهین لان فعیلا بمعنی مفعول
لا یدخله التاء الا اصحاب الیمین فانهم فاکون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم کما یفک الراهن
رهنه باداء الدین وقیل هم الملائکة وقیل الاطفال وقیل هم الذین سبقت لهم من الله تعالی الحسنی وقیل
الذین کانوا عن یمین آدم علیه السلام یوم المیثاق وقیل الذین یعطون کتبهم بایمانهم فی جنات
لا یکتنه کنهها ولا یدرک وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استیناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ مما قبله من استثناء اصحاب الیمین کانه قیل ما بالهم فقیل هم فی جنات وقیل حال من اصحاب الیمین
وقیل من ضمیرهم فی قوله تعالی یتساءلون وقیل ظرف للتساؤل ولیس المراد بتساؤلهم ان یسأل
بعضهم بعضا علی ان یکون کل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه
علیهم فان صیغة التفاعل وان وضعت فی الاصل للدلالة علی صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه علیه معا
بحیث یصیر کل واحد من ذلک فاعلا ومفعولا معا کما فی قولک تراءی القوم ای رأی کل واحد منهم الآخر
لکنها قد تجرد عن المعنی الثانی ویقصد بها الدلالة علی الاول فقط فیذکر للفعل حینئذ مفعول کما فی قولک
تراءوا الهلال فمعنی یتساءلون عن المجرمین یسألونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لکونه عین المسؤول عنه
وقوله تعالی ما سلککم فی سقر مقدر بقول هو حال من فاعل یتساءلون ای یسألونهم قائلین ای شیء
ادخلکم فیها فان قیل ودع عنک ما تکلف فیه المتکلفون قالوا ای المجرمون مجیبین للسائلین لم نک

من المصلين للصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار
الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين
اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان
فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير
جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم
مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت
ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب
انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين
حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء
حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى
كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة
اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن
واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة
ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك
كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم
عن تلك الجرأة بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع
عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة
الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد
وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون
بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد
بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق
بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب

سورة القيمة سبع وثلثون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله
تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم
به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل
من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي
ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة
كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه
وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم
النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال
تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي

انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت
كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون
مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس
وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه
فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها
الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق
وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك
اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته
ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي
هي اطرافه وآخر ما تتم به خلقته وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب
اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام
اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسئل
ايان يوم القيامة اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل
اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي
انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى
من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل
لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه
وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر
لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي
اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار
ينبؤ الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم واخر من سيئة حسنة
او سيئة اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا
فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته
وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه
شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا
كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي
اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك ولو ألقى
معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من
مرفوع ينبؤ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبأ باعماله ولو
اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة
الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه

الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي
لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه
وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة
الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه ولا يسأمك ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك
من معانيه واحكامه كلا ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناءة واكد ذلك بقوله بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك
تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار
معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين
يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة
في قوله الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام
مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها
تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع
الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر
وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها
ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآجلة اذا بلغت التراقي
اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال
من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها
والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة
فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في الكفن الى ربك يومئذ المساق
اي الى الله والى حكمه سوقه لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلام والقرآن الذي
نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى
ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب
ما ذكر من الرسول والقرآن وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط
فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اي ويل
لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل
بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليك
ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك
في قبره ولا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور
فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله
تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته
فجعل منه من الانسان الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك
العظيم الشأن الذي انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في
قياس العقل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام

عن الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا
لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده
ايثاركم العاجلة

من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل اتى على الانسان قبل زمان
قريب حين من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا
غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة
اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله تعالى
انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس وقتادة والثوري
وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو
ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون
فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح
وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف
مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عليه السلام وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج
من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة
من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه القوة العاقدة وماء المرأة اصفر
رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم
وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل هو كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار
فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف
فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه نصرفه في بطن
امه نطفة ثم علقة الى آخره فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات
التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه
السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه اي مكناه
واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء
والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا
على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما
كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار
بان الانسان قلما يخلو من كفران وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان
الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم
وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم
تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في
بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به
ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من بر خالقه
اي يطيعه وقيل من يمتثل امره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر
يشربون من كأس هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني

او للتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل
البيان حاليه جميعا م

تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما تمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيثما شاؤوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون حتى نالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا اي اسيرا كان فانه صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه ما شاؤوا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله تعالى عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هنأك الله تعالى في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها

على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال في قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ ودانية بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة كانت قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة الاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية

فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذاً بلقائه باقياً ببقائه
وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الأبرار إن هذا على إضمار القول أي يقال
لهم إن هذا الذي ذكر من فنون الكرامة كان لكم جزاء بمقابلة أعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكوراً مرضياً مقبولاً
مقابلاً بالثواب إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً أي مفرقاً منجماً لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير
الضمير مع إن فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على الكفار فإن له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً أي كل واحد
من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي إليه وأو للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان
والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه فإن ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهي
عن الإطاعة في الإثم والكفر لا فيما ليس بإثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فإنه كان ركاباً للمآثم متعاطياً لأنواع الفسوق
والكفور الوليد فإنه كان غالياً في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً وداوم على ذكره
في جميع الأوقات أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له
ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلاً طويلاً وتهجد له
قطعاً من الليل طويلاً إن هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم أي أمامهم
لا يستعدون له أو ينبذون وراء ظهورهم يوماً ثقيلاً لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء
فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا أسرهم
أي أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب وإذا شئنا بدلنا أمثالهم بعد إهلاكهم تبديلاً بديعاً فيه هو البعث كما ينبئ عنه
كلمة إذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوماً غيركم وإذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية
إن هذه تذكرة إشارة إلى السورة أو الآيات القريبة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً أي فمن شاء أن يتخذ
إليه تعالى سبيلاً أي وسيلة توصله إلى ثوابه اتخذه أي تقرب إليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤون
إلا أن يشاء الله تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية
أي وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم
إذ لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤون بالياء وقرئ إلا
ما يشاء الله وقوله تعالى إن الله كان عليماً حكيماً بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه
مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل
من يشاء في رحمته بيان لأحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أي يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو
الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة
والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذكر أعد لهم عذاباً أليماً أي متناهياً في الإيلام قال
الزجاج نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم
تفسيراً لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه
على الله تعالى جنة وحريراً تمت السورة الشريفة

سورة المرسلات خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً إقسام
من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال
بالأمر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأقطار أو نشرن
النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء عذراً للمحقين
أو نذراً للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الإلقاء للإيذان بكونها غاية للإلقاء
حقيقة بالاعتناء بها أو للإشعار بأن كلاً من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف
الموصوفة بها للتفخيم والإجلال بالإقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الإلقاء والنشر
والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو إقسام برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفاً أو بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الأصناف
بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فألقين ذكراً إما عذراً للمعتذرين
إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها وإما إنذاراً للذين يكفرونها
وينسبونها إلى الأنواء وإسناد الإلقاء والذكر إليهن لكونهن سبباً في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت
أو إقسام بآيات القرآن المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى
في مشارق الأرض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق في أكناف العالمين والعرف إما نقيض
النكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف فإن إرسال ملائكة العذاب معروف للأنبياء عليهم السلام
والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر إذا محا الإساءة
ومن أنذر إذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكراً أو على العلية وقرئا بالتثقيل إنما توعدون لواقع
جواب للقسم أي إن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فإذا النجوم طمست محيت ومحقت أو ذهب
بنورها وإذا السماء فرجت صدعت وفتحت وكانت أبواباً وإذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي
ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بساً وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء إذا اختطفته
وقرئ طمّست وفرّجت ونسّفت مشددة وإذا الرسل أقتت أي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه
للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره إذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه
وقرئ وقتت على الأصل وبالتخفيف فيهما لأي يوم أجلت مقدر بقول هو جواب لإذا في قوله تعالى
وإذا الرسل أقتت أو حال من مرفوع أقتت أي يقال لأي يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم
ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق
وما أدراك ما يوم الفصل ما مبتدأ وأدراك خبره أي أي شيء جعلك دارياً ما هو فوضع موضع الضمير يوم
الفصل زيادة تفظيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط
الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون
أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين أي في ذلك اليوم الهائل وويل في الأصل
مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ
ظرفه أو صفته ألم نهلك الأولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى
أهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب
وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفاً على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين
هلاكاً من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين
أي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ أي يوم إذ أهلكناهم للمكذبين بآيات الله تعالى وأنبيائه وليس
بتكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا ألم نخلقكم أي ألم نقدركم من ماء مهين
أي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم إلى قدر معلوم إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى
للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر فقدرنا أي فقدرناه وقد قرئ مشدداً أو فقدرنا على ذلك
على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون أي نحن ويل يومئذ للمكذبين
بقدرتنا على ذلك وعلى الإعادة ألم نجعل الأرض كفاتاً الكفات اسم ما يكفت أي يضم ويجمع من كفت

الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها
واموانا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام وكفت
وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس واموانهم بعض
الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي
اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجمن
وداجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا
فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى
وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها
ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان
من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل
العرش قيل خصوصية الثلث لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى
هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة
الشهوية البهيمية التي من يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره
لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر
كالقصر اي كل شررة من القصر في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين
وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع
قصرة كانه جمالة جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان
الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم
وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة
وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لان السؤال والجواب
والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت فعبر عن كل وقت بيوم
او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل
الاعتذار مسببا عن الاذن كالو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل
جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم
كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا
واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب
في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في انواع الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم
تعملون مقدر بقول هو حال من الضمير المستقر في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال
الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ
للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الذليل كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا
وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل

مجرم ماله ذلك وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى
ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه
واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه
من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم
القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع
في حق المؤاخذة فباي حديث بعده اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط
بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ اربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقرئ
على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة
اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه
انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف
من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح
لكنها قد تطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يسالون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة
لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد
الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد
منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر
للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما نحن فيه
فالمعنى عن اي شيء يسال هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل
عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فباي آلاء ربك تتمارى
وقوله تعالى عن النبا العظيم بيان لشان المسؤول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه
وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه
وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسال عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل
اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة
بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة
التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء
الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاول للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبا العظيم وقيل عن الثانية استفهام
مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبا العظيم والنبا العظيم والنبا الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى
الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تاكيدا لخطره اثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون
قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن
جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك

وتسمى سورة عم يتساءلون سعد

تعجب من البعث بكونه مشتملا على ادوار النبوة والقرآن على ما قيل لا فعلنا اه قوله تعالى الم نجعل الارض الى الآيات ذكرت فانه من ادلة البعث كما قاله المص سعد

بحث صيغة التفاعل في الافعال المتعدية

وجه الدلالة ان ها السكت للوقف وتمام الكلام سعد

يقول ما ادري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعاد رأسا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد
الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار و
منهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل للفريقين
المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا
يرده قوله تعالى كلا سيعلمون الخ فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد
لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما يجب
تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل
صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على
مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب
الآخر اذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف
بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس
مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي
والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في موقع التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون
عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد
وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء
وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير
قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى ألم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ
استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد
ومن ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات
الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها
بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها كما يرسى البيت بالاوتاد
وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة أما جعلنا الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في
قوة ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش
ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة
وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا
من الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل
الذي فيه يقع النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف
ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار
محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت
كما في قوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره
عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في
المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر
العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف [illegible]

تكن عنده فصل تكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء
التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة
وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه
او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام
بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل
واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد
في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم
في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة والوهاج الوقاد المتلالئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج
من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هي السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر
السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحاب او الرياح فقد كان
بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب
وتدر اخلافه فصحت ان تجعل مبدأ للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح
الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع
تأخره في الانبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه
اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى
الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف
كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل
دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة
من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات
على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية
والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج
الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون
الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه وتستعجلون به قائلين متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين وشرع في تفصيل كيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا
اي ان يوم فصل الله عز وعلا بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه
من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه
ولا ريب في انها بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى قوله تعالى يوم ينفخ في الصور
اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان
ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك

قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت
الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى فتأتون فصيحة تفصح عن جملة
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من
قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم
او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم
فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين
على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة
الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين
خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع
من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات
واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف
على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى فكانت ابوابا تنفتح كقوله تعالى
وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح
مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح
سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة
لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه
تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله
الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء
وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي
الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل
احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد
اسم للمكان الذي يرصد فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها
للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون
اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا
على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونها معدة لها
وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل

قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى
احقابا ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث
يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون
الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها
شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل
البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم
او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لاقه انهم كانوا لا يرجون حسابا
تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا باياتنا الناطقة بذلك كذابا
اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ
بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي كذبوا
باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب
فانتصابه على الحالية اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا
اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه
وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه لان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله
المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب
عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك
الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر
بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع
فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اي لدات وكأسا
دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكأس لغوا ولا كذابا
اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر
مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام
عطاء اي تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر
اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد
على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن
صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى
لا يملكون منه خطابا استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى
بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني
نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون
حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ
بمعناه على رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون
استئنافا على حاله فعنيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لان المرفوع او المنصوب مدحا تابع

لا تبديل معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ
بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر مبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان
او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ
الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه
على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه
تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف
واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا
كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله
تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا
ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام
وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى
والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم
لتحقيق عظم سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها
والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا
يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا
اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملائكة
مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه
فكيف يملكه غيرهم كما قيل لانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا لـ لا يملكون فقد اشتبه عليه
الشؤون واختلطت عليه الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون
الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان
بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على
الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة
ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم
على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء
في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا
وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه
اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا
الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار به
لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة
من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا
هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله
تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل
هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر
هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد

محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر
وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى يا ليتني
ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى
الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم
فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل
بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد او ارواح
الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو
من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار
وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات
والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان
يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه
والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود
رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم
تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها
تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز
ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به
من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال
القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل
تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا
في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد
الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين
مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة
عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او بايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام
وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع
في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح
في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه والذي يليق بشأن
التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف
عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة
الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى

وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية
تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده
مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع
الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف
منصوب باذكر فيكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين
فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب
مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ابصارها اي ابصار اصحابها خاشعة جملة
من مبتدأ وخبر وقعت خبرا للقلوب وفيه ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا
ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع
لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به
مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل
اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع
بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان تنكير قلوب
يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير
كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة
اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى
اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث
المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند
وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون او قيل لهم الكم منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة
اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه
وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه
القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى أئذا كنا عظاما نخرة تأكيد لانكار الرد ونفيه
بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها
ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي
الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان
بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم
حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين
بغاية بعدها من الوقوع تلك اذن كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت فنحن اذن خاسرون
لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة الذي عبروا عنها
بالكرة فان مدار ذلك كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة
بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى
فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا
امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان
سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل
هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها
وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت
المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك حديث موسى كلام مستأنف
وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم
واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام ترغيب له في استماع حديثه
كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص حمل على
فقد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما
طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة
وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اي ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون
على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله
ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعدما اتيته هل لك
رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التاءين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى
بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته
قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى
اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر النبي عليه السلام بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه
بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
والفاء في قوله تعالى فاراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى
فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعدما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستكفاء والاجابة
وغيرهما من المراجعات وبعدما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت بآية
فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير والتعريف فان اللعين حين ابصرها وعرفها ادعى
سحريتها اما كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة
في قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما
بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك بآياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم
يعقلون كما فصل في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع
انما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب
في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترتب عليه فكذب بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد
بعدما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين
وقومه مأمورين بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني
اسرائيل من الاسر والقسر فقط ثم ادبر اي تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس يسعى اي يجتهد في معارضة الآية
او ادبر ثم اقبل اي اخذ يسعى فوضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر مرعوبا من الثعبان
فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت

يقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا وما أن
ذلك كان قبل الإصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر أي فجمع السحرة
لقوله فأرسل في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أي ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل
جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس فنادى في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادي فقال أنا ربكم الأعلى قيل
قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فأخذه الله نكال الآخرة والأولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم
وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله
كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أي أخذه
أخذ نكال الخ وقيل مفعول له أي أخذه لأجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أي أخذه بنكال الآخرة والأولى
وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك
لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي إليها لا محالة وقيل
المراد بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيري قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالإضافة
إضافة المسبب إلى السبب إن في ذلك أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى
أي لمن من شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى أأنتم أشد خلقا خطاب لأهل مكة المنكرين
للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله عز وجل
بقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أي أخلقكم بعد موتكم أشد أي أشق وأصعب في تقديركم أم السماء أي أم
خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله أوليس الذي
خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها إلى آخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد
من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله
تعالى رفع سمكها بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض ذهابا إلى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام
فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما
لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان إذا أصلحه وأغطش ليلها أي جعله مظلما يقال غطش الليل وأغطشه
كما يقال ظلم وأظلمه وقد جاء في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم وأخرج ضحاها
أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير
ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان
وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن يكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس
أي أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها والأرض بعد ذلك دحاها
أي بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها أخرج منها ماءها بأن فجر منها
عيونا وأجرى أنهارا ومرعاها أي رعيها وهو في الأصل موضع الرعي وقيل مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف
إما لأنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل
والمشرب حتما وإما لأنها حال من فاعله بإضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش كما في قوله تعالى أو جاؤكم
حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره أرساها أي أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق
للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات
ذواتها بل هو بإرسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في أنفسها فضلا عن إثباتها للأرض وقرئ والأرض والجبال
بالرفع على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الإرساء عليه وجودا لشدة تعلقه بالدحو

ابراز

لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى إلى الجبال
وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما روي عن الحسن من أنه تعالى خلق
الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك
الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر في سورة حم
السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله تعالى ثم استوى إلى السماء
وهي دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في
سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات
يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش كان قبل
خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه
الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي
أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن
يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل
تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويحمل البعدية
الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في ألسنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من أن انتصاب الأرض بمضمر
مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتحقق البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر إما التنبيه
على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع
المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ما روي عن الحسن من أنه
تعالى أخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي
من الدلالة على الترتيب بمعزل على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها
الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها كما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام
في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعا لكم ولأنعامكم إما مفعول له أي فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر
من البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وإلى أنعامهم فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناء على
استعارة الرعي لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسن للأنف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متعكم بذلك
متاعا أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى فإذا جاءت
الطامة الكبرى أي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات أي تعلوها وتغلبها وهي القيامة والنفخة الثانية
وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق إلى محشرهم وقيل التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان
أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كما قيل
كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الإنسان ما سعى قيل هو بدل من إذا جاءت والأظهر أنه منصوب بأعني كما قيل تفسيرا
للطامة الكبرى فإن الإبدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا
لإضافته إلى الفعل على رأي الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا في صحيفة أعماله وقد
كان نسيه من فرط الغفلة وطول الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية وبرزت الجحيم
عطف على جاءت أي أظهرت إظهارا بينا لا يخفى على أحد لمن يرى كائنا من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها
كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى إذا رأتهم من مكان
بعيد أو على أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فأما من طغى إلى آخره جواب
فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم

الاولى فتبين فاما من اتى والذي يسند عليه فخامة التنزيل وتقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشئون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان واثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الاخرة الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم التي ذكرت شانها هي المأوى اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدا وقيل نزلت الاية في النضر وابنه الحرث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها فان الجنة هي المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الايتان في ابي عزيز بن عمير وقد قتل مصعب اخاه اباعزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين ولمن يرى مغنيا عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث ينتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفي عنها اي ما انت من ذكراها وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك واني لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكراها لا تزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشان فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره ان ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألون عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير وتاكيد لما ينبئ عنه الانذار انها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته وانا رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون

اللبث في الدنيا او في القبور لا تقتضيه المقام وانما الذي تقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقديري الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كأن قوله تعالى كأنهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار حال من ضمير المفعول في نحشرهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفة لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله عليه السلام قطعه بكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات في قوله تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله لعله يزكى استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شانا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فانت له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اي اي شيء في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى اي يلهيك شان الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقدم له وعنه

للتعريض بعتابه عليه السلام بضمير الغائب روي انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني
كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبها من القرآن
الكريم مبالغا في الاهتمام بامره طمعا في اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من استرشده وقوله تعالى انها تذكرة
اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه من
تصدى له وتحقيق ان شأنه ان يكون موعظة حقيقية بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى
فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن
وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر
والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست
مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة
واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق
المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها
اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اي في السماء السابعة او
مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة اي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب
من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين
الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه
وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار
او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق
بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها
وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين
على المؤمنين يكلؤنهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه
وقيل صادقين من بر في يمينه قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه
في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة
الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه
مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من اي شيء خلقه شروع
في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها
بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه تحقير له اي
من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي
ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف
السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على
وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة
من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة
المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها
وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد
من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى بامره اذ لا يخلو احد من تقصير
كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان

وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه
احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله فاستقم كما امرت فالوجه ان
يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه المستغنى او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان
مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع
في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث
هو كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر
والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا بهذا وقد قيل كلا بمعنى حقا
فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه
بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء اي
الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى
بالامالة اي كيف صببنا الماء صبا عجيبا ثم شققنا الارض اي بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات
صغرا وكبرا وشكلا وهيأة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه
كلمة ثم والفاء في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتيب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين
انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض
بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه
بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم
مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه
فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها
وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اي مرعى من اب اذا
امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق
رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن
عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف
وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم
اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات
لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي تمتعكم بذلك
تمتعتم متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة
شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون
النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق
اي يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الآذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة
الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما في قوله تعالى يوم يتذكر اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا
يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم
بالتبعات فيأباه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد
من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى

عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابرهيم عليه السلام
من ابيه ونوح م من ابنه ولوط م من امراته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا
يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم
ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر
المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها
في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ذلك
من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول
ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اي
غبار وكدورة ترهقها اي تعلوها وتغشاها قترة اي سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الكفرة
الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر تمت السورة

سورة التكوير تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها
فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء واما لف ضوئها المنبسط في الآفاق
المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت
عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن
ابن عباس رضه تكويرها ادخالها في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل الفعل مضمر
يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء واذا النجوم انكدرت اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض
بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل
انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم واذا الجبال سيرت اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا
العشار جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون
عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحاب فان العرب تشبهها
بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت
اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت
ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار
سجرت اي احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت
نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف واذا النفوس
زوجت اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة
بالشياطين واذا الموؤدة اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن
قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد
حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا
ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سئلت باي ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ

والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين وقرئ سألت اي خاصمت او سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت
حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ
كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية
واذا الصحف نشرت اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف
فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب
فيها ذلك وهي صحف غير الاعمال واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء
عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور واذا الجحيم
سعرت اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف
واذا الجنة ازلفت اي قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة
ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر
الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت
نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها
من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء
ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي
من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد
بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من
ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن
والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار
وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال
الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال
السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل
كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما عملتها في الدنيا فكأنها احضرتها في الموقف
ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت
تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها من نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف
ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد
من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله
شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر
مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذي اشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم
سلطانه وانما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ويقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله ويقول من قال [illegible]

عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما ترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به اولا وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هي تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى منه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس اي التي تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول رسول كريم هو جبريل قاله من جهة الله عز وجل ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكانة رفيعة عند الله عز وجل عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع ثمة بين ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه امين على الوحي وثمة ظرف لما قبله وقيل لما بعده وثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاءون اي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها

بدون مشيئة الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانفطار تسع عشرة آية

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا بمعنى انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاها الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلفت من عمل خير او شر واخرت من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعدها قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدمت من معصية واخرت من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والزواجر الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها والتعديل عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا او بدين الاسلام الذي هو من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كأنه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين

بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التهويل والتفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيف ما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي اي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة ههنا هو ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لا امر غيره ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كأن ابدل من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل واي ما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى آخره صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم بحكم الشراء ونحوه ياخذونها وافية وافرة وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه

لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه مبتذلا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يتعقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم قصر عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان اخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما لا يليق بجلالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مشابها لما يتخايل في الوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين ويؤيده الاخيرين قراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف واشاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء اثيم اي منهمك

في الشهوات المخرجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا
الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين
قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة
وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ ااذا تتلى على الاستفهام الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول
الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة
اي ليس في آياتنا ما يصحح ان يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها
من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة وحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد
كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قاله لما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب
وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب
الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب
عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان
عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة
والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه
بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين استئناف سيق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان
سوء حال الفجار متضمنا لبيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون
علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو سمي بذلك
اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما
وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون
صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار على الارائك اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد يطلق
الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة ينظرون اي الى ما شاؤا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى
ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف
في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم
من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم
ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه
رائحة المسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب
لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك
خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون
كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله
من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد
ان يستأثر به وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره
اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به
ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت
به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب
على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها

صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة قاله ابن مسعود او بمعنى من قوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش
جئ بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزؤن بفقرائهم كعمار
وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا
من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا
مروا اي فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا
ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة
الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين
اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون
اي نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو
قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهته تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز
ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك
ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن
فاليوم الذين آمنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين
يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب
بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا
يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه
من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا
ويضحك المؤمنون منهم وبه مهد قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء
لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه

عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيمة الرحيق المختوم

سورة الانشقاق اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة
واذنت لربها وحقت اي انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور
المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها
الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا
على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك
بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار
خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف
عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها
وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مد
بمعنى امده اي زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء
والتخلي وحقت اي وهي حقيقة بذلك اي شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد
الافعال المنسوبة الى السماء والارض ووقوعها في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر يا ايها الانسان

انك كادح الى ربك كدحا اى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك
فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اى فملاق عقيب ذلك
لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الى آخره قيل جواب
اذا كما فى قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان
الى آخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايذان بقصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر فى سورة التكوير
والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الى آخره تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه
وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الى آخره باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن عائشة
رضى الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا
بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله فى الجنة من الحور والغلمان واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتاه بشماله
من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء
ظهره فسوف يدعو ثبورا اى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما فى قوله تعالى ونصله جهنم
انه كان فى اهله فيما بين اهله وعشيرته فى الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كدأب الفجار الذين لا يهمهم ولا
يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين
والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره فى الدنيا اى ظن ان لن يرجع
الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن او احدهما على الخلاف المعروف
بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له اى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى خلقه
كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل
نزلت الآيتان فى ابى سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هو الحمرة التى تشاهد فى افق المغرب
بعد الغروب او البياض الذى يليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق
وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه
من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اى لتلاقن
حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها فى الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو
الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من
بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان
باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء
اى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى لتركبن
طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء فى قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها
من الانكار والتعجب على ما قبلها من احوال يوم القيامة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اى اذا كان حالهم
يوم القيامة كما ذكر فاى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى
واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اى فاى مانع لهم
حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد
واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على
وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنه ليس فى المفصل سجدة وعن ابى هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجد
الا بعد ان رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس رضى الله عنه صليت خلف ابى بكر وعمر وعثمان
رضى الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رحمه الله هى غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من

احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما
يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء او بما يجمعون فى صحفهم من اعمال السوء
ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة
عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع او
ممنون به عليهم استئناف مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب
العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج اثنتان وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هى البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت
او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب
للظهور واليوم الموعود اى يوم القيامة وشاهد ومشهود اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه
من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة فى الكثرة وقيل
الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الآية وقيل
امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالى
وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى
الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلوة والسلام قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب
القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما فى قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال
وقيل تقديره لقد قتل والاظهر ان ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء
انهم اى كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان
وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم
ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون
مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد فى الارض وهو الشق ونحوهما بناء
ومعنى الخق والاخقوق روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت
الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال
ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام
فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت
بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى
وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام
فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد فى افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه
فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها
قعى ولا تنافقى ما هى الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واصبعه على صدغه
كما وضعها حين قتل وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب
المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله

حرقه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا
فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى
نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية
فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا
عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه
من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا
بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق وهم على ما
يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون
بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين
من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة
وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين
منها سالمين واليه ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا
منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية
على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه
وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله
تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال
الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه
والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية
والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة
في الذين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع
على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف فيه الاخفش والمعنى لهم
في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات
تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة
عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك
اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتاويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون
فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير
الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها
فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل ومحله
الرفع على الابتداء وخبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من
فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى
الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار
قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش
الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم
بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو

يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ
البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك المجيد
العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة ربك او للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف
وقوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة
وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود
بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب
والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم
مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد
منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب
فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليس جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا
من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة
بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط
تمثيل لعدم نجاتهم من باس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال
لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى
وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ
محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق سبع عشرة آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق
ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل
كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج
سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد هاهنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق
النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان
رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبره والثانية
خبر والطارق مبتدا كما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدا
محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشا مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب
الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل
هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين
يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف
عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى
ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون
الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ اي مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله

تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عليها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم
لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة
على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس
لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما تبين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما
يصدر عنها من قول وفعل يستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه
من مواد لم تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ
ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل
مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله
تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من
فضل الهضم الرابع وينفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف
بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه
وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر
وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه
اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اي اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اي يتعرف
ويتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويتميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف
لرجعه فما له اي للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اي المطر سمي رجعا لما
ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع
ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع وهو ما يتصدع عنه الارض من النبات
او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية
القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر
بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواضع من التنزيل لا في تشققها بالعيون انه
اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده لقول فصل اي فاصل
بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض
لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اي اهل مكة يكيدون في ابطال امره
واطفاء نوره كيدا حسبما تفي به قدرتهم واكيد كيدا اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث
لا يعلمون فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا
وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اي
امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله عنه او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل
تصغير رود وانشد كأنها مثل من يمشي على رود اي على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال
وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة الافعال
التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى
وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه

ينبئ عن الشركة فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم
وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل
سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك
سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل
بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى
والذي قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا ما بعده اي قدر اجناس الاشياء
وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له
طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال
النباتات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول روي ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى
ان مسح عينيها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف
مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة
باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قيض الله تعالى له
طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره
ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه واما فنون هدايته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث
الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى
اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي درينا اسود وقيل احوى حال من المرعى
اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة
برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي
هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ
وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما
بعد على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب
وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث
الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا
ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان
نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة
لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط آية
في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي النسيان رأسا فان القلة
قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفي اصلا لا ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم
الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما شاء
ويبقي محفوظا ما شاء ابقاءه لما نيط بكل منها من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه
الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع
تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف
فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي
نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه
تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه

عليه السلام وتخيل عجزه كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما يسرناك له
بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع
الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على
ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره
كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير
التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب
لقوله تعالى سيذكر من يخشى اي سيتذكر بتذكيرك من من شأنه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد
ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكره فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير
ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فانه اراد والبرد والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اي الذكرى
الاشقى من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار
الكبرى اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين
جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها اي حتى يستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت
والحيوة افظع من الصلي قد افلح اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه
بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند
الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه
ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة
الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل
اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة
فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضاء والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر ومما لا يخلو عنه الناس غالبا
من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك
في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والآخرة خير وابقى حال من
فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه
في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات
وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا
لفي الصحف الاولى اي ثابت فيها معناه صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها
بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل
على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام و
التوراة والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات
بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قد جاءك يا محمد
حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار

بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد
والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله تعالى
يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق
فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ
خاشعة الى قوله مبثوثة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته
عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن
اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها في موقع التنويع
وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة
تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار
ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت
في اعمال لا يجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل
هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية
في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة
وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل احوالها
تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم
اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة
نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك
وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من شأنه الاسمان والاشباع
كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا
للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك
ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة
لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما
عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام
النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملأها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ
عند اكل الضريع والتجاءهم في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به
في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش
فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه
لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام
نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع في رواية
حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال
اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم
تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة
لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية رفيعة المحل او علية المقدار لا تسمع اي
انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء

للمفعول بالياء والنار ورفع لاغية فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة اي مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها والجملة كيف تكون بانه معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا امساك بحيث لا يناله الفهم والادراك والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كتكذاب من كذب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء وادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلتها في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر تسع وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال عشر هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلي فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها على الاصل وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق هل في ذلك قسم اي تحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به حقيق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما في نظيره او الى الاقسام بها وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكرناه من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقيا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثر هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع

وكان يأوي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يَخلُق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان الخ متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه اشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدّر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب فيهما قال ابن عباس رضي الله عنه المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته ان تعنف مشافهة بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التاءين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي

على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث واصله وراث اكلا لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله اذا دكت الارض دكا دكا الخ استيناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا بعد دك حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاده كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الى احد طرفي الفعل فيعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيره بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او بلسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي الصالحين المختصين لي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ

فادخل في عبدي وفي رواية في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر
العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نوراً يوم القيامة

سورة البلد عشرون آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وما عطف عليه على ان الانسان خلق مغموراً بمقاساة الشدائد ومعاناة
المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله به مناطاً
لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال ببيان
انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا اخراجه
ثم قيل يحرمون ان يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عليه السلام بالوعد
بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان
كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء
قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا
فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم ويقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى
عليهم حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما بما دون
من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الوالدية
والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة
ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون
الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبداً اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب
كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد
كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغتراً بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي
فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعاً ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المتضعف
للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد اي مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد
يقول اهلكت مالاً لبداً يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره
احد حين كان ينفق وان الله تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولساناً يترجم به عن ضمائره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل
النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل
لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى
بمكانة رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيماً ذا مقربة اي قرابة
او مسكيناً ذا متربة اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع
الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيماً او مسكيناً والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب
من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم
للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا

اي اوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان
ببعد درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اي اليمين
او اليمن والذين كفروا بآياتنا بالقرآن او بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي الشمال
او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من آصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس خمس عشرة آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعها وقيل اذا
تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي
تبسطه وجلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوئها او الآفاق
او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما
معاً في قولك اقسم بالله حقيق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعاً كما تقول ضرب زيد عمراً وبكر خالداً والسماء وما بناها
والارض وما طحاها من لارادة الوصفية تفخيماً كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم
وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشأها وابدعها مستعدة
لكمالها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اي
افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة
الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف
اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به
ايضاً اصالة اي خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى
فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد واما الجواب فحذف تعويلاً على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه
كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله عليه السلام كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام
وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء
للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله تعالى او صلة للتكذيب اي كذبت بما اوعدت به
من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بالضم كالغفران وهو ايضاً مصدر كالرجعى اذ
انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه
لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم
على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال لهم رسول الله اي صالح عليه السلام عبر عنه
بعنوان الرسالة ايذاناً بوجوب طاعته وبياناً لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله
ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اي فيما حذرهم منه بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها فعقروها اي الاشقى وجمع على تقدير رضى
الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب
تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم
بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر كل مذنب فسواها اي

الدمدمة عليهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسواها فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف عقباها اي
عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل
بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شأنه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف وفسر لا
ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل وهي احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار
اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اي والقادر العظيم
القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي
خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اي ان مساعيكم مختلفة
وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اي
فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى
وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي
تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذله
في سبيل الخير واستغنى وكذب بالحسنى اي ما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المؤدية الى العسر
والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة
مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب
والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بها امر مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله
اي ولا يغني او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة
اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استئناف مقرر لما قبله اي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة
حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال
من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة
اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما كيف نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التي من جملتها
ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا تركهم الاهتداء بهدانا فانذرتكم
نارا تلظى بحذف احدى التاءين من تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل لا يصلاها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر
فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي
واما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح
في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي داخل
في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به
رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد
عنده نعمة من شأنها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة
ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق
رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او

اي زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة

امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين عذبوا بلالا وبلال يقول احد
احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله عنه ان بلالا يعذب في الله
فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا
قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى
جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى وقرئ
يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى وهي احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار فالتخصيص بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام
والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى
في مقابلة بياتا والليل اي جنس الليل اذا سجى اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل
عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى
ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى اي وما ابغضك
وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة
للفواصل روي ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره
سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمرتقبة
كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق
من نفي التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه السلام بان ما سيؤتيه في الآخرة اجل
واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية
مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو
في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له عليه السلام في الآخرة من السبق والتقدم
على كافة الانبياء والرسل يوم تجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات
المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي
بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتضاعف
رفعة وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس
وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه السلام وفي ايام خلفائه الراشدين
وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخره من الكرامات التي لا يعلمها
الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس رضي الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه السلام في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام
للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع
الا مع نون التأكيد وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم
بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه
الآية وكقولك والله لسوف اعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي
الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى
نوني التأكيد فكأنه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى
تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اوائل امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود

على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين فاتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فأوى وهو اما من أوى بمعنى آواه او من أوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار اي كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما اوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعي السائل بريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعم الله تعالى عليك في هذه الثلث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل فتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم تم السورة

سورة الم نشرح ثمان آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية الكاملة فتسعه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخير عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعة الله تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين كانه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وقيل فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الم نشرح لك فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين ثمان آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروي ابو ذر انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانها منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس رضي الله عنه التين مسجد نوح عليه السلام بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة
وابراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء
علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء
وتحريك النون بالحركات الاعرابية وهذا البلد الامين اي الآمن من أمن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى
وامانتها انها تحفظ من دخلها كما وصف بالآمن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع
المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان اي جنس الانسان في
احسن تقويم اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى مستوي القامة متناسب
الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذج
من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن
وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن
ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف مستعد لكيفياتها فاذا اردت فعلا من الافاعيل الجسمانية
تعلقت اولا بالقلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم
المجردات الفائض روحانيا وهو بلقيه ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها
القوى المحركة للانسان فعند ذلك يتحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه
ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب
العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد
بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني
الذي هو نسخة للعالم الاكبر والانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناه من اهل النار الذين
هم اقبح واسفل من كل سافل لعدم جريانه موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين
وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق
والاول ما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي
رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على
الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى
فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة
على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم
الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول صلى الله عليه وسلم اي فاي شيء
يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة
الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق
الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل
على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان
أليس الله باحكم الحاكمين اي أليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث
استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة مقررة لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار
وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك
من الشاهدين وعنه عليه السلام من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام
في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق وهي تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل
بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله ما لم يعلم اول ما نزل عليه كما ينطق به حديث الزهري
المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ متلبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتتحقق
مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب
بقوله الذي خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة
وما يتبعها من الكمالات العلمية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم
اي الذي له الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر
من بين خلق سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات
بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان تعالى
ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير وبالتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى
باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة
الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال
القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل
الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له
من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ اي افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الخ
فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شأن من
يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة
القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونها وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال
من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان
عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول
ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى
اي ليتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للردع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر
وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى
علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك
قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته
لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد
روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا
نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم
ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى
تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم
الجار والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى
حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها

من الشناعة والغواية بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي وتأكيد التعجيب والرؤية ههنا بصرية واما في قوله تعالى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى ارأيت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس بمتردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به والمفعول الاول لارأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارأيت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى اي يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم يعطفا في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالها بالوقوع في نفس الامر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارأيت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره خصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع للناهي اللعين وخسؤ له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصيته كاذب خاطئ فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كانسي واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء من الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر بعد زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب

ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر خمس آيات مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادراكها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن فلا يناسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تحريض من يريدها على الثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل رأى النبي صلى الله عليه وسلم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل مبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تتنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى سماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان وقيل لا يلقون فيها مؤمنا الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة وهي تسع آيات مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب

اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصفة فعلاً لما ان كفرهم حادث
بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه
من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب
مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله
قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما ينبئ عنه
انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام
وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم
اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا
اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير
عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين اي تلت
وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين
وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
رسول اي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة
من الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه او من ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث
ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضمير في مطهرة ويجوز ان يكون
الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان
ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال
وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة
بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو
جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركين باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق
واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا
لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي
آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي
بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها
كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل
اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين
دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة
الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان
اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها
وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة
هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام

من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وعكسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل
حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه وذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك
عما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت
على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم
عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد
ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه
القائل فلا فتأمل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة
بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة
شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان
بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان
ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة
الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف خالدين فيها
حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم
في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح
المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر
البرية شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار
او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ البريئة على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب
بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر
فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد
جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية
وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وجاز بها
نعيما وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما يتفضل
عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب
ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء
والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى عز وجل مناط لجميع
الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة
عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسافرا ومقيلا

سورة الزلزال وهي ثماني آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة
الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر

قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايذان بتبدل الارض غير الارض اولان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي عليه السلام انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وايا ما كان فينبغي رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مخصصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر مغفورة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله تمت سورة الزلزلة

سورة العاديات احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اي فالتي توري النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسناد الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى فأثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر اثارته بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان من جموع الاعداء والغارات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل لشديد لبخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه بخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائها للفاعل وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعدما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه على موجب الجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة

هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو القارعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى وما أدراك ما القارعة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الأول أي وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه السلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ما هي هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش أي كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فأما من ثقلت موازينه الخ بيان إجمالي لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل والموازين إما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضي الله عنهما إنه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لا يتوصل به إلى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان أي فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية أي ذات رضا أو مرضية وأما من خفت موازينه بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته فأمه أي فمأواه هاوية هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا وقيل إنها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسا والأول هو الموافق لقوله تعالى وما أدراك ما هيه نار حامية فإنه تقرير لها بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر وهي ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر أي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إن البغي أفنانا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم والمعنى ألهاكم التكاثر بالأحياء حتى زرتم المقابر حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لأخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء مغبة ما أنتم عليه إذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مضمر أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها أو المراد بالأولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم أي عن النعيم الذي ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة والعصر ثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة إن الإنسان لفي خسر أي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضا بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر أي عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها أو على ما يبلو الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لإبراز كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة

التي هي فعلها برضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد
بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى له بالجميل والرضى به
ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة تسع آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

ويل مبتدأ خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر
والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كالنهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة
على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم
وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان
ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد ابن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بهم
القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد
للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده
اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له
عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من
يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة
حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح
والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بمخلد ولا بخلد
وروي ان الاخنس كان له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة او حال من فاعل جمع
كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين
لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شأنها ان
تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادراك ما الحطمة
لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدأ محذوف
والجملة بيان لشأن المسؤول عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها
بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها
بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تألما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات
الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة انها عليهم مؤصدة اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي اطبقته
في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي
تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدأ مضمر اي هم في عمد او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان
توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ
عمد بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه السلام واصحابه

سورة الفيل خمس آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه السلام
بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة

والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه
بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة
على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من
الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها
ان ابرهة ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها
القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت
رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود
وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وكان وحده فلما بلغ
المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان
كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى
طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر
من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل
طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره
ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل
ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شأنها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما
جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فنزل
ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته
قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر
لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيحميه ثم رجع
واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من
نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي نجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون
ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان
وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل بيان اجمالي لما
فعل الله بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم
في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اي خرائق
وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عبابيد وشماطيط
لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى
من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان
سجينا علم للديوان وهو الارسال فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الآكال وهو ان يأكله
الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير باول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفيل عافاه الله تعالى ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة لقريش اربع آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى غير
محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك

اصحاب الفيل لايلاف اي وقيل تقديره اعجبوا الايلاف الى آخره وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف
مأكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع
الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين
متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا ألفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم
وقيل يقال ألفته إلافا والافا وقرئ لإلف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة
عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين
بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم
وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالتباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابدال
هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم
وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما
بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام
وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف
الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة
واعتكف بها

سورة الماعون سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف
الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول
خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدع اليتيم
دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم
والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله
من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن
المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع
اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك
حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى فويل لربط ما بعدها
بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات
الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤون اي
يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اي الزكوة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة
باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر
ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك ولذلك رتب الويل عليها او للسببية على
ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر عنه عليه السلام
من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر ثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة
العامة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها
فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير ورد في صفته احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ
من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات
ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسر
الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل
هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى فصل لربك
وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطية التي لم
يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجبة للمأمور به اي استيجاب اي فدم على الصلوة لربك الذي افاض
عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق
شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على
المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية
وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان شانئك
اي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك
وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص
ابن وائل وايا ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى
من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون ست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة
قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة
فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد
الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا
لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم
من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم
في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا
على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت
ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى
وايثار ما في ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته
وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان
وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد
ثانيا تأكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي

هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم واستلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم نعبد آلهتك سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي لي ديني لا دينكم كما في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتأمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر ثلاث آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى واما جعل مجيئه بمنزلة مجي سائر الفتوح وعلق بامره عليه الصلوة والسلام وانها على جناح الوصول اليه عليه الصلوة والسلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤيته دخول الناس في دين الله غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورأيت الناس اي ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما للنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي كان في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وانما آثر التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام وتب اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابي لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصله وما كسب من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى نارا وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه كما يطؤ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد على

على انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب
على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب على الشتم حمالة وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة
للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر
والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير
سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان
وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل او اوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة
من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن
لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم بابالة
من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات ليلة حاملة حزمة عيت فقعدت على حجر تستريح فجذبها
الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلعم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص اربع آيات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه
اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت فالضمير مبتدأ
قل هو الله احد الضمير للشان وارتفاعه موضعه مع عدم سبق ذكره للايذان بانه من الشهرة والنباهة
بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد اطلق على المفعول
مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر
في تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم
من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده فضل
تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا الهمزة التي تلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين
وما في قوله عليه السلام ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤوس غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد فابدلت الواو همزة
فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احدهما تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال
احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما سئل عنه
اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ
والله خبره واحد بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ قل
هو الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اي هو السيد المصمود اليه
في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل
الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف
بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا الوحدة الحقة
المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة
في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في وجودها
وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام
السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة
الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ولم يولد
اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله
وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد
الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما تحققته ولم يكن له كفوا احد
اي لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها
لان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذاك
واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء
مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اشتات
المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان
العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات
السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيده تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت
بها هذه السورة وعنه عليه السلام انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق خمس آيات مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق
والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال
عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف
الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه
والجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى
واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب
للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم
كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار
البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى
عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها
المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن
شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة
وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اي ومن شر ليل معتكر ظلامه
من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان
وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له لحدوثه فيه وتنكيره
لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه
فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده
لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي
بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق
في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب
لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان
ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النساء اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن
عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان
بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما انه كان غلام من اليهود

بخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه عليه الصلوة والسلام فاعطاه اليهود فسحروه عليه السلام
فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النفاثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل عليه بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا
فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاذا فيها مشاطة راسه واسنان
من مشطه واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فاتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما
قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من
عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا وعن
عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد
بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد
اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان
ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

سورة الناس ست آيات مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة
ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية
سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى
اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي
حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف
الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى
وملكوته والوهيته للارشاد الى مناهج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه
اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك
من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في
عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل
المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة
من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان
سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس
في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة
والناس بيان للذي يوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس
على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي بجعل سقوط
الياء كسقوطها في قوله يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى
الا من تداركه شوارق عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره قال
العبد الذليل المفتقر الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد ويا هادي الغواة الى سنن الرشاد يا من ذلت لعزته رقاب الملوك
والرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل خائف ملهوف والمجير من كل امر مخوف والوزر لكل من يرجو الامن
من غوائل ريب المنون والملجأ الى حرزك الحريز والموئل الى كنفك العزيز واسالك من خزائن بركتك المخزون في كتابك
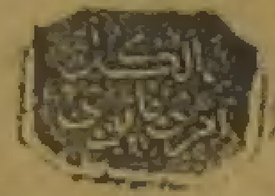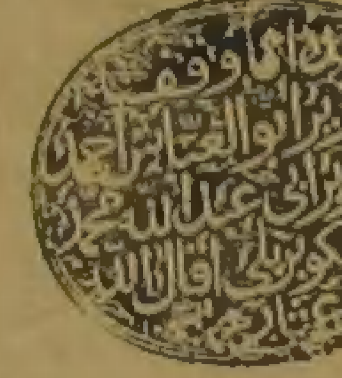
ترك المكنون خيرا يجري به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما
الاطغيان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فصل في لجاجتك واغنني بجنابك
وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق
الجسمانية ويهذب نفسي الابية من دنس الطبائع والاخلاق وينور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعروج على
مراتب الانس ويتهيأ للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى
واجعل اغراضي ابتغاء رضاك واشرف ايامي يوم القاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فرحا فائزا واحشرني مع الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا